

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

الجزء الأول - السنة الحادية والأربعون - المحرم سنة ١٣٨٩ هـ - مارس سنة ١٩٦٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

فوق الشعور بالخوف أو الضعف

للأستاذ عبد الرحيم فوده

لم يشهد التاريخ جيلا جليلا كأولئك الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأشربت قلوبهم حبه ، وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ، فقد كانوا من حوله كالكواكب حول الشمس تشرق بنورها ، وتدور حول مدارها ، ويشدها إليها قانون وجودها منها واتجاهها إليها ، وكانوا كما وصفتهم التوراة ، وتحدث عنهم الإنجيل ، وحكى القرآن ذلك حيث يقول : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » .

وقد كانت هجرة المهاجرين ونصرة الأنصار تطبيقا عميقا لهذا الوصف ، وتحقيقا دقيقا لأمر الله ، فالمهاجرون كانت غايتهم من الهجرة نصرة الله ورسوله كما يفهم من قوله تعالى : « الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم

يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ».

والأنصار كانوا كما يصفهم الله بقوله : « والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ».

وقد التقى أولئك وهؤلاء على إخاء وثق النبى عهده ، وعلى ولاء أحكم الإسلام عقده فكانوا كما يقول الله : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض . والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير ».

١ — فالهجرة من مكة إلى المدينة كانت استجابة لأمر الله ، كما يقول الله « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما ».

٢ — والهجرة لم تكن عملا مرتجلا يثيره الشعور بالفزع والجزع أو الضعف والخوف فقد كان هؤلاء يتحرقون شوقا إلى الموت فى سبيل الله ، ويرون فيه إحدى الحسنيين ، وكانت الهجرة ترتيبا سبقه تمهيد ، فى بيعة العقبة ، وإعداد فى مكة ، واستعداد فى المدينة ...

٣ — والهجرة لم تكن التماسا لراحة يجد فيها المسلمون برد الراحة ، بعد أن كانوا فى مكة ما تنوء بحمله الجبال ، فقد كانوا يعلمون أنهم سيجدون — فى المدينة وحول المدينة — أعداء الله وأعداء دينه من المنافقين واليهود من بنى قريظة والنضير وقينقاع ، وكانت مكة — مع ما قاسوه وعانوه فيها — كما قال صلى الله عليه وسلم وهو يودعها : « والله إنك لأحب أرض الله إلى ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت ».

٤ — والهجرة كانت فكرة قديمة عرفها النبى صلى الله عليه وسلم من ورقة بن نوفل فى أول عهده بالوحى والنبوة ، فقد قال ورقة : ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك . فقال صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ؟ فقال : نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً .

٥ — والهجرة سنة إبراهيم وموسى وعيسى وكثير من الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وعليهم جميعاً ؛ بل إنه لا تفسر حركة الهجرة فى الإسلام إلا بما تفسر به حركة الكواكب فى هذا الوجود لتشيع فيه الضوء والدفء والحياة .

و٦ـ كان حادث هجرة النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين من مكة إلى المدينة أعظم الحوادث فى التاريخ كله ، سواء نظرنا إليه من جانب الروح الباعث عليه ، أو النتائج التى نجمت عنه ، أو الأمة التى تأثرت به ، أو العالم الذى أخذ عن هذه الأمة ما أخذ من ألوان الحضارة والعمارة والعلوم والفنون ، وإذا كان تفصيل ذلك يطول ولا يتسع له مقال، فقد تكفلت به الكتب والموسوعات ، وأصبح المراء فيه ضباباً لا يحجب وجه الشمس ، وهراء لا يحمل غير الباطل .

فليذكر المسلمون هذا الحادث بما ينبغى له ، فإن فى ذكراه ما يجدد فى نفوسهم الأمل ، ويقوى عزائمهم على الجهاد ويقود مواكبهم إلى النصر ، وليذكروا مع هذا الحادث قول الله : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، وقوله فى رسوله : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » ، فقد كان ذلك هو التعبير الكبير عن شعوره صلى الله عليه وسلم بالأمن والاطمئنان ، وهو يرى جيوش أعدائه تحدق به ، وتكاد تطبق عليه ولكنه كان بإيمانه وقوة وجدانه فوق أن يرقى إليه الشعور بالضعف أو الخوف ؛ بل إنه صلى الله عليه وسلم لم يسجل عليه فى طور من أطوار حياته أى شعور بالضعف أو الخوف ، وصدق البوصيرى حين قال :

دع ما ادعته النصارى فى نبيهمو
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بفم

عبد الرحيم فوده

لا هجرة بعد الفتح

للأستاذ محمد الدسوقي

١ — تعد الهجرة من مكة إلى المدينة من الأحداث الفاصلة فى تاريخ الدعوة الإسلامية، فقد كانت نهاية لعهد تعرض فيه المسلمون لألوان مختلفة من الاضطهاد والأذى لما ضعفوا وما استكانوا ، وبداية لعهد جديد نصر الله فيه الإسلام على أعدائه نصراً مؤزراً ، حيث خاضت القلة المؤمنة حروبا عديدة ضد الكثرة المشركة ، فما أجدت كثرة المشركين شيئاً ، وما حالت قلة المؤمنين بينهم وبين الظهور على أعدائهم لتصبح كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

٢ — والهجرة إلى المدينة كانت أمراً لا مناص منه ، فالمشركون حين رأوا الإسلام ينتشر على الرغم من محاولاتهم الكثيرة لوقف ذيوعه واضطهاد أتباعه دبروا أمرهم بليل ، « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » لقد أراد المشركون — وبئس ما أرادوا — أن يقتلوا الرسول ليتخلصوا منه ومن رسالته التى تسفه أحلامهم وتعيب آلهتهم ، وتقضى على عاداتهم القبيحة وأعرافهم الفاسدة ، فكانت الهجرة لونا من الجهاد فى سبيل الله ، وخطوة ضرورية لحماية الدعوة وهى فى مستهل حياتها من الحاقدين عليها والمتربصين بها .

إن الهجرة كانت أسلوبا واقعيا فى نشر الإسلام ، وسبيلا عمليا لاعداد العدة والقوة حتى لا يستمر الشرك بصلفه وطغيانه يضع الأشواك والعقبات فى طريق دعوة التوحيد والوحدة والأخوة والمساواة والحرية .

وأثمرت الهجرة ثمراتها المباركة فقامت فى المدينة أول دولة إسلامية حققت فى أمد وجيز أعمالا خالدة كان قمتها فتح مكة وتطهير البيت الحرام من الأوثان والأصنام .

٣ — وبعد فتح مكة ودخول الناس فى دين الله أفواجا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا[1] .

وهذا الحديث الشريف يرشد المسلمين إلى حقيقة يجب أن تكون ماثلة أمام كل مسلم حتى لا ينسى رسالته فى الحياة ، وحتى يكون دائماً صورة حية للإنسان الكريم العزيز الذى يخوض غمرات الحياة ذيادا عن كيانه ووجوده ، ودفعا لكل إثم أو ضيم يناله .

إن الحقيقة التى يرشد إليها الحديث هى أن

---

(١) صحيح مسلم بتحقيق المرحوم الأستاذ فؤاد عبد الباقى ص ١٤٨٨ .

المسلم لا يفرط في وطنه ولا يستسلم لعدوه ولا يرضى بالدنية في دينه ودنياه ، وعليه أن يتخذ العدة التي تكفل له الحياة التي خلق من أجلها ، وأمر بالمحافظة عليها والموت دونها ، وهي حياة العزة والكرامة « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

إن الهجرة من مكة إلى المدينة فرضتها ظروف معينة ، وقد ذهبت تلك الظروف بعد فتح مكة ، قال الإمام السرخسي : كانت الهجرة قبل فتح مكة فريضة ثم انتسخ بقوله صلى الله عليه وسلم « لا هجرة بعد الفتح »[١] فليس أمام المسلمين بعد الفتح سوى النضال والكفاح من أجل حماية عقيدتهم وأوطانهم، وليس لهم أن يهاجروا من بلادهم بحجة ضعفهم وقوة عدوهم ، فالجهاد على المسلمين فرض عين إذا ما اعتدى على بلد مسلم وعلى الجميع أن يهبوا لدفع الظلم والاعتداء حتى ولو وقع هذا الظلم على فرد واحد .

٤ ـ ويحدثنا التاريخ أن إمرأة مسلمة وقعت أسيرة في يد الروم في معركة من تلك المعارك التي كانت تنشب بين المسلمين والروم في زمن الدولة العباسية ، وكانت تلك السيدة تعيش مع سيدها الرومي في مدينة عمورية ، وفي ذات يوم لطمها ذلك السيد العلج على وجهها الحر الكريم فرخرها ألم الذل وخزة صاحت على أثرها تستنجد بالخليفة العربي العظيم « وا معتصماه ، وا معتصماه » .

وسخر السيد الرومي من المرأة قائلا لها : وماذا عسى يفعل المعتصم أيجيء على أبلق وينصرك ؟ إنك ذليلة كسيرة ، وقد كتبت عليك الشقوة وهيهات أن يستجيب لندائك هذا الذي تنادين ، ثم أشبعها ضربا ولكما وهي تنادي « وا معتصماه ، وا معتصماه » .

وجاء رجل إلى المعتصم وبلغه نبأ هذه المسلمة الكريمة ، فانتفضت نفس الخليفة الجليل انتفاضة الألم ، وتجهز من فوره في اثني عشر ألف فرس أبلق تطوى سنابكها الأرض طيا لتغيث الملهوف ، وتستجيب النداء الأبي .

وكانت عمورية مدينة حصينة ، وبها من جنود العدو تسعون ألفا أو يزيدون وحاصرها المعتصم ، وأخبره المنجمون أنها لن تفتح إلا في الصيف حين ينضج التين والعنب ، وكان قدومه إليها في زمهرير الشتاء، ولكن المعتصم أبى أن يستمع لصوت المنجمين المثبطين ، وشد على المدينة شدة بطل مغوار فدك أسوارها وأشعل النار فيها.

ودخل المعتصم عمورية وبحث عن تلك المرأة التي استغاثت به حتى وجدها وقال لها : هل أجابك المعتصم ، وصار سيدها عبداً لها ذليلا[١].

(١) المبسوط جـ ١ ص ٤٧ .

(١) مجلة الرسالة السنة السادسة عشرة ص ٢٤

ورحم الله أبا تمام حين مدح المعتصم وتحدث عن ذلك الفتح المبين مستهزئا بآراء المنجمين :

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في
متونهن جلاء الشك والريب

أبقت بني الأصفر الممراض كاسمهم
صفر الوجوه وجلت أوجه العرب

٥ — على أن للمحدثين آراء مختلفة حول المقصود بنفي الهجرة بعد الفتح ، منها : أن المراد بنفي الهجرة هو نفي الثواب العظيم الذي أعده الله للمهاجرين من مكة إلى المدينة ، فمن هاجر بعد الفتح فثوابه لن يكون كثواب هؤلاء السابقين المجاهدين [1] ، ولكن الحديث لا يحتاج إلى مثل هذه التأويلات وهو واضح فيما يدل عليه ويرشد إليه .

إن الأمة الإسلامية صاحبة رسالة خالدة وهي لن تستطيع حمل هذه الرسالة إلا إذا كانت قوية يخشى بأسها ، ويحسب ودها لذلك كان الجهاد فرضا ماضيا إلى يوم القيامة ، وهو ليس سلاحا للتدمير أو انتهاك حرمات الإنسان ولكنه سلاح يحمي الحق وينصر الخير ويقضي على الظالمين .

والأمة القوية تذود عن أرضها وتدفع الغزاة عنها ، وتظل دائما أبية عزيزة لا تقهرها قوة غاصبة على الذلة أو الهجرة من موطنها إلى موطن آخر ، فالحديث حين ينفي الهجرة بعد الفتح فإنه ينفي كل الأسباب التي أدت إلى الهجرة قبل الفتح ويشير إلى ما يجب أن تكون عليه الأمة الإسلامية من القوة والعزة والإعداد للجهاد في كل وقت حتى إذا فرض على المسلمين أن يهبوا لنجدة مظلوم أو لملاقاة معتد أثيم حملوا سلاحهم وأسرعوا إلى ميدان القتال يجودون بأنفسهم وأموالهم فداء لعقيدتهم وأوطانهم « وإذا استنفرتم فانفروا » .

٦ — وبعد فإن المسلمين اليوم يواجهون عدوا يريد أن يبيد شعبا ويطمس معالم حضارة ولا سبيل لردع هذا العدو والحيلولة بينه وبين أطماعه وآماله غير القوة حتى يمكن للمسلمين أن يعيشوا حياة كريمة آمنة ، وحتى يستطيعوا أداء الرسالة المقدسة التي يجب عليهم القيام بها نحو البشرية كلها .

إن القوة في مختلف صورها وفي مقدمتها قوة الإيمان وثبات اليقين ، هي الطريق لإحقاق الحق وإقامة العدل مع عدو غاصب حول بعض المسلمين إلى مهاجرين ولاجئين .

من يستدل على الحقوق فلن يرى
مثل الحسام على الحقوق دليلا

ولقد بحثت عن السلام فلم أجد
كإراقة الدم بالسلام كفيلا

محمد الدسوقي

(١) صحيح مسلم ص ١٤٨٧ هامش .

بين مكة والمدينة

للدكتور محمد محمد خليفة

بين متاهات الوثنية والضلال عاشت مكة أحقابا نائية عن الدين الذى وصى به إبراهيم بنيه حين نادى فيهم : « يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

وشغلت مكة بالوثنية ، وشغلت أبها الحجيج حتى ألهتهم عن بيت الله الحرام بما عرضت فيه من أرباب صخرية صنعتها أيدى الناحتين آلهة يطوفون حولها ويتمسحون بها ، وكأنما تنكر المكيون لوصية إبراهيم ، واستسلموا لتجار الآلهة الذين تزعمهم « آذر » حقبة من التاريخ .

وعاشت الأجيال مع الوثنية الحمقاء لا تسترشد عقلا ، ولا تستهدى فكرا ، وكأنما استحوذ الجمود على العقول حين مسها جمود الأرباب فشدها إلى الأرض حتى لا تتعلق ببصيص من الهدى إذا تأملت فى الفضاء ، وما تناثر فيه من أضواء قد تهدى الأبصار والبصائر وتوارثت الأحقاب حب الأصنام حتى ملأ تقديسها القلوب والدور وطوفوا بها فى الغدو والرواح استدرارا لمرضاتها ، وتيمنا بها ولم تزل مكة تعيش بين ظلمات الضلالة ، ودياجى الفوضى ، حتى أطلع الله فجر الحق فى جنباتها ، وعمت إشراقاته تتلمس بين غيوم الضلالات منفذا إلى دنيا الناس ، وعساها تلقى بينهم أرواحا صافية تلمع على صفحاتها ثم تنعكس على من حولها ، وصادفت إشراقات الحق قلوبا مست شغافها ، ثم حلت الإيمان إلى أعماقها ، وخلق الحق فيها طبيعة حب الخير ، وحب البذل فى سبيل الخير .

وعاشت هذه القلوب على قلتها فى جو مكة المجدب كالواحات بين المفاوز القاحلة يفىء إلى ظلالها من أنهكته الحيرة ، ومن لم يجد بين ظلم الإنسانية وظلامها بصيصا يتعلق به فى الحياة ، وكما قد يلقى الحق قلوبا طيعة فإنه يلقى بين الناس كثرة استحوذت عليها شياطين العناد للحق فأعمتها وساقتها كما تساق السوائم إلى حتفها « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

ومثل هذه النفوس التى أعماها عنادها ، وطغى عليها الشر لن يجد الحق إليها سبيلا ، ولن تفىء إلى داعيه ، وإنما هى رهينة المحبسين محبس البصيرة ومحبس التقليد « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » .

وأقام نور الحق فى مكة ثلاثة عشر عاما

يتلمس بينها ربيعا للدعوة يبدل الله به جدب حياتها ، ولكن صخب الأهواء والكبرياء والأحقاد والغنى والجاه طغت على المجتمعات فلم يجد بينها ربيع الحق حياة إلا فى أرواح النفر الذين أشرق فيهم هدى الله لحول حياتهم إلى ربيع نعمت به أرواحهم .

ولم يشأ الله أن يعيش نور الحق مقيدا لا ينطلق ، مختنقا بين ضلال الهوى لا يتحرك ، حبيسا بين دخان العناد والفساد ، محتجبا عن الآفاق لا يعرف عنه من وراء مكة إلا أخبارا قد يتره أكثرها بين سوء النيات وحنق الطوية ، وإنما أذن الله لنور الحق أن يهاجر .

واصطفى الله يثرب مهجراً للنور بعد أن اصطفى الحق نفر من رجالها ، وبعد أن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة على أن يمنعوه وأن ينصروه ويحموه من كل طغيان يزحف ، أو يدخلها عليهم من أقطارها .

وهاجر نور الإسلام فاتخذ من يثرب مشرقا ينبعث منه إلى الآفاق ليهدى الضاربين فى متاهات الشرك والوثنية .

هاجر النور فلقى بين اليثربيين قلوبا متفتحة له ، فلم يلبث أن استقر فى أعماقها وأغوارها عقيدة خالصة ، ومبادئ كانت مشاعل على طريق الحياة تقى السادرين المزالق ، وتحفظهم من العثرات ، وقامت دعوة الإسلام هنالك تعمل عملها فى تربية النفوس على الخير والفضيلة ، وتطارد منها طباع الشر والرذيلة ، وتفتحت للدعوة المجالات فى الدور والمجتمعات ، فا نطلقت تعمل فى منطق يأسر العقول ، وبيان يسحر القلوب وتوجيه حكيم يثير التأمل والتبصر ، وهى فى كل ذلك تستمد المدد من رب السماء وحيا يقنع ويبهر أو عونا يردع ويقهر لا يصدها عن القلوب طغيان العناد الذى كانت تعانيه فى مكة ولا تحاربها سياط التحدى التى كانت تمزق أجساد المستعبدين هنالك .

وسلك نور الدعوة طريقه إلى القلوب لا يتخلل غيوم الأهواء طرق الدور والخدور وانثال بين الشعاب والكهوف والخيام ، أتى به اليثربيون المجد الخالد والكرامة الباقية ورأت فيه اليثربيات المكان العزيز الذى ضاع بين تقاليد الجاهلية ورأين فيه الأمن والسلام لبناتهن اللواتى كن يوأدن فى التراب دون ذنب أو جريرة إلا خوف العار أو الإملاق .

فلما ملأ نور الحق قلوب اليثربيين ، وخلصت لله عقيدتهم ورسخ إيمانهم ، وامتلأت عقولهم يقينا وعلما قيأم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمل رسالة النور ، وزودهم بكل ما يحتاج الرواد الهداة من علم وتوجيه وحكمة ثم انتشروا بين القبائل الضاربة

في الجزيرة يدعون إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي قلوبهم وعلى ألسنتهم كتاب الله يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ولم يكد ينقضي على هجرة النور من مكة عشرة أعوام حتى غمر نور الحق أرجاء الجزيرة ودوت آيات الله في حواضرها وبواديها وشعابها ووديانها ودروبها وفي قصور الأغنياء وبين مسارح الرعاة، وتبتل بها العباد في المساجد، ورتلتها النساء في الخدور واعتز بها جند الله واستعان بها الهداة وهم يشدون عرى الإخاء بين قلوب المسلمين على وحدة لا تنال منها نفثات الشياطين ولا أهواء الكائدين ثم انطلقت الدعوة من الجزيرة إلى العالم فاجتاحت الوثنيات التي طمست عقائد الأجيال قرونا، ثم نشرت بين الأقطار الدين الخالص في آسيا وإفريقيا وأوروبا.

وهكذا غيرت هجرة النور من مكة إلى المدينة عقائد كثير من الشعوب، وجمعتها على عقيدة التوحيد أمة مسلمة لله رب العالمين، وستعيش مع الأجيال حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

أيها المسلمون:

اذكروا هجرة النور لعل إشراقا من فيضها يشع في نفوسكم، ويهز أريحيتها إلى البذل في سبيل الإسلام ودعوة الإسلام، فلم يزل بمنزوايا العالم، من يجهلون حقيقة الإسلام، من يحتاجون إلى أقباس من إشراقاته لتهديهم إلى صراط الله.

ثم اذكروا هجرة النور لعلكم تلقون فيها ما يحملكم على الهجرة بأرواحكم من هذا العالم الذي ضاع بين أمواج ضلاله وانحلاله نور الإسلام فبات غريبا في أهله وأوطانه.

وليتنا ننتفع بالذكرى حين نذكر «فإن الذكرى تنفع المؤمنين».

د. محمد محمد خليفة

يقول الله تعالى:

«إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور. أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير».

(سورة الحج: الآية: ٣٨، ٣٩)

الهجرة في ضوء علم التنظيم وطرق العمل

للنقيب / حسن فتح الباب

يعد التنظيم في مقدمة الفروع التي ينتظمها علم الإدارة العامة . ذلك العلم الذي تزايد الاهتمام به في الدولة الحديثة وتشعبت دراساته وتعددت فروعه بحيث أصبح كل فرع منها يكاد يؤلف علماً قائماً بذاته ، ونظراً لأهمية التنظيم فإن بعض العلماء والباحثين يستخدمون كلمتي : التنظيم والإدارة كلفظين مترادفين .

ويعرف التنظيم بأنه تجميع جهود الأفراد الممثلين للقوى البشرية العاملة وفقاً لصلاحياتهم وقدراتهم ومواهبهم وتخصصاتهم المختلفة ثم تنسيق هذه الجهود داخل الهيئة التي تجمعهم لتسهيل مهمة القائد أو الرئيس وتمكينه من رفع الكفاية الإنتاجية لهؤلاء الأفراد وتحقيق الهدف المشترك .

وثمة تعريف آخر للتنظيم وهو أنه : ترتيب العلاقات المتبادلة بين الجماعات والأفراد الذين يتعاونون معاً على مستويات مختلفة في هيئة معينة ، لتحقيق غرض عام ، وتربطهم سلسلة من الروابط الوظيفية المختلفة . والهدف من وراء ذلك هو ضمان أكمل استخدام للموارد البشرية والمادية المتاحة . وكذلك الحد — ما أمكن — من أسباب استنفاد الجهود وضياعها سدى .

ولا شك أن للتنظيم أثره الفعال في أداء العمل وتنفيذه . وتحديد اختصاصاته وكذلك تحديد المسئولية عن هذه الاختصاصات بصورة واضحة تمكن من الإشراف على التنفيذ ومتابعة نتائجه وتقدير مدى كفاية وسائل أدائه ، الأمر الذي ييسر على الهيئة القيادية أن تباشر أعمالها في التخطيط والإشراف والتوجيه وتدارك الملاحظات وعلاج المصاعب وحل المشكلات التي تعترض تنفيذ خطة العمل ، سعياً وراء بلوغ أقصى درجات النجاح .

والتنظيم إجراء لاحق لوضع الخطة ، فمن المفهوم بداهة أن الوصول إلى الهدف المنشود يستلزم وضع خطة ثم وضع تنظيم مناسب لها بمعنى تقسيم الأعمال اللازمة لتحقيق هذه الخطة . فلا ضمان لنجاح خطة في التطبيق ما لم تقم على نظام سليم يوزع أدوار العمل بين المكلفين بأدائه ويوضح علاقات بعضهم ببعض ويرتب مسئولياتهم . ضماناً لعدم التضارب أو التنازع على السلطات أو الهروب

من المسئولية والقائها على عاتق الآخرين وما يؤدى إليه ذلك كله من تواكل وسلبية ومنازعات وانحرافات .

وقد استقر علماء الإدارة على أن من أهم مبادىء التنظيم وطرق العمل تحديد وتعريف السياسة التى يلتزم الجميع بتنفيذها وإعلانها لهم ، وتقسيم العمل وتخطيطه ووضع برامج تنفيذه ، وضرورة اقتران المسئولية بالسلطة المناسبة لها ، وعدم جواز تلقى الفرد الواحد أوامر من أكثر من رئيس ، وتنظيم العلاقات بين العاملين وتوفير القيادات الرشيدة وتحقيق التنسيق بين جميع التنظيمات من الأفراد .

فإذا أردنا إنشاء مشروع من المشروعات فإن خطوات العمل التى ينبغى أن تتبعها لحسن تنظيم هذا المشروع وضمان نجاحه هى :

أولا : تحديد الهدف أو الأهداف التى يسعى المشروع إلى تحقيقها .

ثانيا : تحديد مكونات ذلك المشروع .

ثالثا : بيان خطوط السلطات وحدود المسئوليات فيه .

وتتم الخطوة الثانية على مراحل تبدأ بمرحلة اختيار الأفراد الذين يقومون بالأعمال المؤدية إلى بلوغ هذا الهدف وإسناد العمل المناسب إلى كل منهم بحسب قدراته وخبراته أو بعبارة أخرى : تقسيم العمل بينهم وفقا لتخصصاتهم ، وتحديد سلطاتهم وواجباتهم ، ثم توجيههم والإشراف عليهم لكفالة سيرهم فى الطريق الصحيح بأعلى قدر من الكفاية ، والتزامهم بالتوجيهات ، وتعاونهم فيما بينهم . ومن أهم واجبات رب العمل فى هذا الصدد توعية الأفراد بدور كل منهم منفردا ودورهم مجتمعين فى ضوء الرسالة المنوط بهم القيام بها ورفع معنوياتهم وإثارة حوافزهم ، وحسن معاملتهم ، ومكافأة المجدمنهم وإرشاد المخطىء إلى مواضع خطئه ليتقيها فيما بعد .

أما الخطوة التالية لتنظيم الدعامة الإنسانية أو القوة البشرية فهى إعداد وتنظيم القوة المالية والمادية ويعنى بها الأموال والمواد والآلات اللازمة للمشروع .

فإذا درسنا هجرة النبى صلى الله عليه وسلم فى وقائعها المتتابعة المتكاملة تبين لنا اتساق الخطوات التى اتبعها عليه السلام مع خطوات العمل بحسب مفهوم علم التنظيم وطرق العمل الحديث . وأول ما يسترعى النظر فى هذا العمل الدينى التاريخى الخالد الذى يمثل مرحلة انتقال كبرى فى الإسلام وحدثا من أجل الأحداث فى تاريخ الديانات والحضارات أن رسول الله لم يقم به منفردا ، إذ شاءت إرادة الله عز وجل أن يقوم به متعاونا فى ذلك مع قلة قليلة من الرجال والنساء ، وكان سبحانه قادرا أن يجعله وقفا على رسوله صلوات الله

وسلامه عليه لا يسانده إلا عون الله وتأييده ولعل الحكمة الإلهية فيما اختاره الله لصفيه من عمل جمعي لا فردي أن يكون في ذلك أسوة حسنة للمؤمنين، فيتعلموا التعاون وهو أس من الأسس الجوهرية والركائز الأساسية في المجتمع الإسلامي بصفة خاصة والمجتمع الإنساني بصفة عامة ، كذلك فإن التعاون مقوم رئيسي من مقومات الإدارة الناجحة ومن ثم يركز عليه علماء التنظيم وطرق العمل بحسبانه روح التنظيم الكفء والضمان لإنجاز أهداف العمل الإداري . كما تعلمنا تلك الحكمة الإلهية السامية درساً آخر بالغ الأهمية وهو أن الفرد وحده مهما بلغت قدراته في حاجة إلى عون الآخرين ، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ، وتقضي قواعد علم التنظيم الإداري بتقسيم العمل بين القيادة والقاعدة من جانب وبين أفراد القاعدة بعضهم وبعض من جانب آخر فعلى القيادة التخطيط والتنظيم والإشراف والرعاية والرقابة ، وعلى القاعدة التنفيذ ذلك أن المشروع الكبير يجاوز طاقة القائد أو المدير لأن الطاقات البشرية حدوداً سواء من حيث التمكن من أداء الأعمال المتنوعة أو من حيث الجهد اللازم لها ، حيث وسائل هذا الأداء ومن ثم كان تقسيم العمل وكان التفويض .

ويجمع الباحثون في خصائص الإدارة الحقة وعوامل نجاحها على أن التقاء القائد بأفراد الجماعة هو أقوم الطرق المؤدية إلى تعاونهم في سبيل تحقيق الغاية المشتركة والتغلب على جميع المشكلات التي تعترض طريقهم ، وبهذا اللقاء وما يسفر عنه من تجاوب وتعاون وولاء يستطيع القائد أن يغير الواقع وأن يشكله في الصورة التي ينشدها، فيحيل الأهداف والأماني إلى حقائق حية .

وأساس بناء المجتمع هو تعاون أفراده جميعاً على اختلاف مستوياتهم ، وشعور كل منهم بحاجته إلى الآخر وإيمانهم بأن الواحد للكل والكل للواحد . ومن ذلك يتبين أن المجتمع الصالح هو الذي يتآلف فيه كل أعضائه ابتداء من الصف الأول حتى الصف الأخير ويتحدون في نظام متسق ، ويعملون في تعاون تام ، فلا تنافر ولا تضارب بينهم وإنما وحدة قوية متماسكة .

على أن مهمة توفير هذه الوحدة وذلك التناسق إنما تقع على عاتق رئيس الجماعة لأنه على قدر السلطة تكون المسئولية ، ولأنه بحكم ثقة الأفراد فيه وتفاعله معهم وقدرته على التأثير فيهم وما يملك من مواهب وخبرات وسلطة ، يستطيع رسم الطريق الصحيح الذي يسلكه المجتمع ، وتهيئة أفراده وتدريبهم على السير في هذا الطريق ، وممارسة هذا العمل الجماعي المثمر .

وتثبت الدراسات المقارنة لتاريخ المجتمعات والحضارات الإنسانية أن المجتمع الإسلامي

فى عصوره الأولى كان مجتمعا مثاليا فى تماسكه وتعاونه ووحدته بفضل القيادة الرشيدة الواعية وقدرتها على التنظيم المحكم. ولقد كان النظام الإسلامى أفضل الأنظمة السياسية والاجتماعية التى حققت أهدافها فى جميع الميادين بما أتيح له من قادة مستنيرين أكفاء فى إدارة شئون الناس وسياستهم استطاعوا أن يلتقوا بالقاعدة ويرفعوها إلى أعلى المستويات كفاية وأمنا وعدلا وتقدما .

ولقد تمثلت فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم صفات القائد الإدارى ومناقبه وتوافرت فى خلفائه وسائر صحابته المؤهلات اللازمة للإدارة الحكيمة وبخاصة فى مجال التنظيم ، فقبض الله على أيديهم رفعة الإسلام وازدهار حضارته فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأنجبت الأمة الإسلامية فى عهودها الزاهرة أفضل القادة على مدار التاريخ فى مختلف مناحى الحياة من دين وسياسة واجتماع واقتصاد ودبلوماسية وحرب وغير ذلك من الميادين . هؤلاء القادة الذين أثروا وجدان العالم أحقابا طوالا بآيات من العقيدة والفلسفة والآداب والعلوم والفنون ، وما زالت مبادئهم وتعاليمهم قادرة على هداية الناس إلى ما فيه صلاح الإنسانية ورقيها .

والتعاون بين القيادة والقاعدة فى سبيل تنفيذ المقصد المنشود فرع من أصل عام فى الإسلام هو مبدأ التعاون بين الناس جميعاً لتحقيق صالح البشرية ، يقول الله تعالى «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم» .

وإذا كان الناس أخوة فى الإنسانية بحكم نشأتهم الأولى من نفس واحدة فإن المؤمنين إخوة فى العقيدة والإنسانية معا :

« إنما المؤمنون أخوة » .

ومن ثم فإن التعاون بينهم توثيق لأسمى الروابط وأقدسها ، والله تعالى يخاطبهم بقوله « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

فالمؤمن الحق جندى فى كتيبة الله ، يلتحم بالروح مع شركائه فى الجهاد فى السلم وفى الحرب ، فهو ينكر ذاته ويضحى بجهوده بل بدمه فى سبيل المبدأ الذى اعتنقته الجماعة والهدف الذى التفت عليه . وأول خطوات هذا الإيثار هو التعاون ، ومظهره المشاركة فى العمل وتقاسم الأعباء والتضامن فى السراء والضراء ، والمبادرة إلى النجدة حين البأس .

وعدم التكالب على المغانم . فمن سمات الجماعة المؤمنة أنها تكثر عند المغرم وتقل عند المغنم ، كما قال رسول الله .

ولقد صور الرسول الكريم عن تعاون المؤمنين فى أبدع صورة حين قال :

« مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وفى صورة رائعة أخرى عن هذا التعاون يقول رسول الله :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

وصورة التعاون فى الهجرة تمثل أكمل الصور وأعظمها ، تلك الصورة التى تبهر العالم الإدارى حين يتصدى لتحليل أحداث الهجرة فى ضوء علم التنظيم الحديث . ولقد تحقق التعاون بفضل عدة عوامل مجتمعة تفاعلت فنجم عن تفاعلها النجاح أعظم النجاح وكان أهم هذه العوامل إسناد الدور المناسب إلى الفرد المناسب بمعنى وضع كل فرد من أفراد الجماعة فى الموضع الذى يتفق مع موهبته وقدرته ، فلقد اختار رسول الله لمرافقته فى رحلته الكبرى أبا بكر الصديق دون سائر أصحابه عليه السلام ، فكان اختيارا موفقا أجمل توفيق ؛ لأن أبا بكر كان أصلح الصحابة للقيام بهذه المهمة . وتاريخ أبى بكر قبل الاسلام وبعده يؤيد هذه الحقيقة ويرشحه لهذا الاختيار النبوى ، فلقد كان قبل أن يدخل الإسلام مثالا لحسن الخلق وحب الخير والعطف على المحتاجين . ومن أجل ذلك كله احترمه الناس وعظموه وجعلوه موضع ثقتهم وإجلالهم ومشورتهم ، وكان صاحبا للنبى صلى الله عليه وسلم قبل رسالته وكان كل منهما يعز الآخر ويخلص له ، فلما نزل الوحى على سيدنا محمد كان أبو بكر أول رجل تحدث إليه النبى بما أوحى إليه ودعاه إلى عبادة الله وحده ، فلم يتردد أبو بكر لحظة واحدة وآمن بمحمد وصدقه فكان أول رجل دخل الإسلام ولم يشاركه فى هذا السبق غير على بن أبى طالب رضى الله عنهما .

ولما أسلم أخذ يحبب الإسلام إلى أصدقائه ويدعوهم إلى الإيمان بدعوة محمد وعبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام ، فاستجاب له رجال لهم مكانتهم العظيمة ، وشهرتهم الواسعة فى تاريخ الإسلام ، وأسلم عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبد الله ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص ... هؤلاء وغيرهم أسلموا اقتداء بأبى بكر ، ثم كانوا قدوة لغيرهم ، فتتابع الناس من بعدهم يدخلون

فى دين الله ويؤمنون برسالة محمد عليه الصلاة والسلام فكان من أسلم: أبو عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطاب ، ثم أسماء وعائشة بنتا أبى بكر ، وكان إسلامهما دليلا على تحمس أسرة أبى بكر لدين محمد وهديه القويم .

فلا غرو أن يكون أبو بكر — وقد سماه النبى الصديق لأنه أول من صدقه من الرجال حين دعاه إلى الإسلام — أنسب أصحابه لصحبته فى مسيرته العظمى من مكة إلى المدينة ، ذلك التناسب بين العمل والرجل الذى تشهد بصحته ودقته صفات أبى بكر ، فلقد كانت هذه الصفات تتفق مع طبيعة العمل الذى يرشحه له الرسول وهو الإعداد للهجرة ومرافقته فيها . أجل ، كانت ملامح شخصية الصديق تؤهله أكثر من غيره لهذا الدور الخالد فى تاريخ الإسلام ، دور الشريك فى الجهاد والرفيق فى رحلة القضاء على اضطهاد المشركين ، وكان أهم هذه الملامح أن أبا بكر كان أعظم الناس إخلاصا وحبا لرسول الله وجدارة بثقته وأهلا للشرف الذى أسبغه عليه ، شرف صحابته ، ولا شك أن التجاوب بين رجلين واتفاقهما فى المنازع والأهداف ، وتفانيهما فى سبيل أداء الرسالة التى أؤتمنا عليها هى الضمان الأكيد لنجاح هذه الرسالة .

تلك هى مراحل اختيار الرسول لصاحبه فى الهجرة ، وثمة عامل آخر يضاف إليها وهو شجاعة أبى بكر وقوة احتماله وغير ذلك من صفات الثبات والجلد وكتمان السر والتضحية بالنفس والنفيس التى تقتضيها مثل هذه المهمة الشاقة ، ويتطلبها مثل هذا الموقف البطولى ، والقدرة على إعداد متطلبات الرحلة ، وليس بدعا أن تتكامل تلك المناقب والقدرات فى شخص الصديق رضى الله عنه .

فلم يكن من المستغرب إذن أن يختاره رسول الله لمشاركته تجربة الرحلة العظمى من مكة إلى يثرب ، كما اختار موسى أخاه هارون ليشد الله به أزره ويشركه فى أمره . وكانت الحكمة من وراء هذا الاختيار هى ملاءمة الصديق لهذه التجربة من جانب ومكافأة له إذ ينال هذا الشرف وتلك النعمة وما يكتب لصاحبها عند الله من أجر — من جانب آخر . ؟ (يتبع)

حسين فتح الباب

● فى سبيل الله . . . الفريق عبد المنعم رياض ●

احتسبت الأمة العربية والعالم الإسلامى - فى ميدان الجهاد والشرف - قائداً عظيما كان قدوة حسنة وأسوة طيبة وكفاءة ممتازة بين القواد والجنود فى الجيوش العربية .. وهو الفريق عبد المنعم رياض - رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة - فقد أبت عليه شجاعته وحميته وغيرته على شرف أمته إلا أن يقف فى خط النار بين الجنود على ضفة القناة ، ليشهد عن كثب حركة القتال ، ويديرها بما عرف عنه من مهارة وخبرة وشجاعة وقوة ، وكان نصيبه نصيب الشهداء البواسل الذين يرون الموت دون الشرف والكرامة شرفا يخلد ذكرهم ، ويرفع قدرهم ، ويلحقهم بالخالدين من يصفهم الله بقوله : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

وقد تجاوبت مشاعر الأمة العربية والعالم الإسلامى بالحزن العميق والأسف البالغ ، لهذا الحادث ، ولكن أثره فى إثارة الحمية وتجديد العزم والإصرار على النصر ، سيضاف إلى ما لهذا الفقيد الشهيد من مآثر فى مجال خدمته لأمته ودينه وعروبته ... رحمه الله رحمة واسعة ونفعنا برجولته وبطولته حيا وميتا ؟

ذكرى الهجرة

للأستاذ معوض عوض إبراهيم

إن سبيلنا إلى ما ننشد من عزة وتمكين هو الإسلام واستهداء ذكرياته ، وتمثل رجاله الذين استمرأوا فى سبيل الحق والخير الصعاب ، واستعذبوا العذاب ، واستهانوا بضرات الحياة ، وجادوا على عقيدتهم بالمهج والأرواح : « فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين » .

وذكرى الهجرة واحدة من هذه الذكريات الملهمة المسلية الحافلة بجليل العظات ونافع العبر ، وهى جديرة - إن نحن منحناها شيئا من التأمل والتمثل والدرس - أن توقظ النائمين وأن تبعث الحياة فى أوصال الكسالى الذين يطلبون فى الدنيا الأمل ، بلا عمل ، ويتطاولون إلى ما لم يأخذوا بأسبابه من الوسائل المشروعة ويصيحون بمناسبة وبغير مناسبة : متى نصر الله ؟ دون أن يرتفعوا بأنفسهم إلى موجبات النصر فى كتاب الله ، وسنة مصطفاه ، وحياة الذين تخرجوا فى مدرسة الوحى والذين اتبعوهم بإحسان . لنمضى فى طريق رسول الله وصحبه أمة واحدة كريمة ماجدة - فإن فراغ حياتنا من هذه الكرائم ضياع لا يجمل بأمة صان الله كتابه إليها ومن بلغ ، حتى يجهر فيهم بكرة وعشيا بمثل قوله تعالى : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

وإن من القدر اللطيف أن توافى ذكرى الهجرة فى هذه الأيام التى نعقد فيها العزم على لقاء الصهاينة فى معركة المصير بعد أن مكن لهم الاستعمار من مقدساتنا فى فلسطين وسيناء واستنسر البغاث بتأييد مقنع تارة ومؤازرة سافرة دائمة من الولايات المتحدة الامريكية فاقتطع الضفة الغربية فى نهر الأردن ، وغزة من فلسطين ، واستولى على هضبة الجولان الحصينة الخضراء فى سوريا ووقف وجها لوجه أمام المصريين على ضفة القناة الشرقية وراح كل يوم يتحرش ويمارس صنوف العدوان والتحدى فى كل مكان .

فى هذا الجو العاصف بأعصابنا وعقولنا تجيء ذكرى الهجرة فتعيد إلى الأذهان مقدماتها وبواعثها وأخلاقياتها ، وتتدارك

رجالنا وشبابنا الذين يكبدون العدو فى الأرض المحتلة المشاق ويجشمونه الصعاب ويطاردون أمله فى أن تخلص له الأرض المقدسة وأن يلق عصاه حول المسجد الأقصى الذى كان إليه إسراء محمد صلى الله عليه وسلم ومنه كان معراجه إلى حيث لم يرتفع ملك مقرب ولا نبى مرسل وفيه انعقد بإمامة محمد فى الأنبياء والمرسلين مؤتمر التكريم والتنويه بالحق والخير الذين جاء بهما ختاما لرسالات السماء فى رسالة لا حاجة إلى الحياة والأحياء إلى أبدالدنيا فى سواها .

وتتداركنا معهم أمثلة الفداء والتضحية والإيثار من بين ذكريات الهجرة وتقيم فينا معالم على طريق النصر وبينات ...

والحديث عن الهجرة يبرز الإيمان العميق الذى غمر نفس رسول الله ثم انطلقت منه طاقات ربط الله بها على قلب أبى بكر وعلى بعد أن هاجر المسلمون تراتا إلى يثرب إيثارا لعقيدة لم يتقدم عنها حب الوطن ولا زينة الأموال ونفائس المقتنيات ؛ فالدين ترجح كفته على كل ما سواه - عند الذين يعلمون أن الدين ينبوع كل نعمة ، وأن ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وما تصان الأوطان ويذاد عن حياضها إلا بعزائم المؤمنين ولا يكرم المال ويربوا وجوه الحلال إلا فى إطار من توجيهات الإسلام ووصاياه وما أحب الله لأهله من معالى الأمور .

هاجر الصحابة رضوان الله عليهم بعد أن أذن الله لرسوله فى الهجرة واستخفى أكثرهم وهو يهاجر واستعلن القوى فى دينه عمر رضوان الله عليه وكان فى إيغاله فى الاستعلان يستفز قريشا ويتحدى جبابرتها وهو يطوف حول الكعبة وأئمة قريش إلى قريب منه حول البيت فى حلقات وافرة فيمر عليها حلقة فى إثر حلقة وهو يصرخ فيهم بقوله : شاهت الوجوه ، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس من أراد أن يثكل أمه أو يؤتم ولده أو يرمل زوجه فليلقنى وراء هذا الوادى !!

وتتوزع المشركين حسرات وجبن هالع بينما عمر يمضى عزيزاً بإيمانه فى طريق الهجرة ومن عجب أنها بدت مع غير عمر على طبيعتها من الأذى والعدوان على من لا يعول على أهل أو عشيرة وكانت كما تقول كتب السيرة تحول بين المرء وزوجه إذا كانت المرأة من قريش ، وتأبى على صهيب ، رضوان الله عليه ، أن يهاجر كما هاجر النبى وصحبه حتى أطلق أيديهم فى ماله وخلى لهم ذخيرة العمر طلبا لشرف الهجرة وما أغلاه لتستقبله عدة رسول الله أول ما لقيه فى المدينة مهاجرا « ربح صهيب ربح صهيب » !!

لقد أخذ قريشا مقيم مقعد حين استبانت أن محمدا لاحق بصحبه الذين هاجروا إلى المدينة عما قليل ، وهى التى اضطرت غير من حملت الأرض يومئذ إلى الهجرة فى الله بعد هجرتهم إلى الحبشة - إلى بلد يرجون أن

يعبدوا فيه الله وامرين ، ويؤدوا دور
المؤازرة لرسوله وهو يبلغ رسالة ربه حتى
يرى الدنيا كلها نور الدين الخاتم .

وتآمر القوم بالنبى ، وأداروا الرأى فى
الخلاص منه كما قال الله تعالى : « وإذ يمكر بك
الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

ولقد كادوا فى مرات قبل الهجرة حيث
يقول تعالى « وإن كادوا ليستفزونك من
الأرض ليخرجوك منها وإذاً لا يلبثون
خلافك إلا قليلا » وهم فى هذا الضيق بمحمد
صلى الله عليه وسلم وبما قرروه من نفيه من
مكة يأخذون أنفسهم بما صنعت الأمم السابقة
بالمرسلين حين توعدتهم بالإخراج من أرضهم
والنفى من بين أظهرهم إن لم يتركوا ما جاءوا
به من الوحى » .

« وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا » .

وقال قوم شعيب له : « لنخرجنك ياشعيب
والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى
ملتنا » وحكى القرآن الكريم مقالة قوم لوط له
« فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا
آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون » .

إن طبيعة الكافرين عبر التاريخ واحدة ،
تعكس ضيقهم بالحرية والكرامة الإنسانية
والقيم الكريمة التى يضفيها الإيمان بالله على
الأحياء والحياة كلها ، فيبادر الطغاة إلى
التنكيل بالمؤمنين جهرة مرات ومن وراء
حجاب كرات واهمين أنهم قادرون على
إسكات صوت الحق والإجلاب بجحافل
الكذب على زخرف الصدق وهيهات هيهات.

هاجر الرسول بعد صحابته إلى المدينة ،
لا فراراً من الأذى ولا إيثاراً لعافية ، فقد
كان شعاره صلوات الله عليه فى أشد الأيام
عليه « إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى » .

وإنما هاجر صلوات الله عليه بأمر ربه
التماسا لآفاق جديدة يستطيع أن يؤدى فيها
رسالة مولاه ، بعد أن استحصد نبت الإيمان
بين أهله وعشيرته فى أحب البلاد إليه وإلى الله
تعالى ، وأحبط الله أعمالهم ، فمضى رسول الله
فى رعاية ربه من بين صفوف الشباب القادرين
المتقفين الأسلحة الماضية والسيوف التى
أرادوا أن يغمدوها فى نحر الإنسان الكريم
الذى قال له ربه « والله يعصمك من الناس » .

... وكان على ينام فى فراش النبى ، وهو
أمر ليس هيناً ولا سهلا ، فلقد كان أيسر
شىء أن يفلت زمام الصبر من الواقفين بباب
رسول الله ، فيخترم أحدهم بسيفه عليا فيرديه
وكان على لا يغيب عنه ذلك التصرف ،
ويروض عليه نفسه ويرضاه ما دام النبى
يمضى لغايته فى رعاية الله .

وكان أبو بكر قرير العين منذ أخبره
الرسول أن الله أذن له فى الهجرة وأن أبا بكر
سيكون فيها « ثانى اثنين » وكان بيت أبى بكر

منذ ذلك الخبر النبوى يبدو كنطبة النحل كل ما فيها يعمل حتى استقر الرسول وصاحبه فى الغار، وحتى خرجا منه وفادى أبو بكر رسول الله من إرصاد المشركين وخاطر فى ذلك - والحر الكريم يخاطر - حتى طاش سهم قريش. والذين جدوا فى طلب رسول الله وصاحبه، ليردهما أحياء أو أمواتا إلى قريش عادوا من ذلك بصفقة المغبون وفاتتهم جائزة قريش الجزيلة، وبقى القرآن الكريم وسيبقى إلى آخر الزمان يتلو المؤمنون منه فى ذلك قوله تعالى «إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا. فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم».

إن فى على وأبى بكر وأسماء ذات النطاقين وفيمن وراءهم من آل أبى بكر وعماله من صور عناية الله برسوله الشىء الكثير، وهى دروس تتردد وتتجدد فلا تصادف مع الذكريات الإسلامية الكثيرة فى كثير من غير آذان ذاهلة وقلوب غافلة، وأشتات من الناس يشغلهم المظهر عن المخبر والجوهر فيتراكضون تراكض البريد فى حياة لا أثر فيها لروح الإسلام.

فلقد أوصى دين الله بالاتحاد والأخوة والجهاد بكل ما يواتى من وسائل القوة، وفيهم من يتطاير ويستجيش كل دواعى القطيعة والجفوة، وعدوهم على قيد خطوات منهم يأخذ بما تركناه مما دعى إليه الإسلام.

وأوصى دين الله بالإيثار ومدح بذلك الأنصار فقال «والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة».

وفينا من يبنى مجده على أشلاء الآخرين وجماجمهم، ولو عقلوا لعلموا أن الوحدة فى ظلال الإسلام كرامة وعزة، وأن تفرق الأمة بعد اجتماعها ردة وانتكاس وذلة تقرح قلوب الأصدقاء وتقر عين الأعداء، وهى هدم يستطيعه كل من لا يتقى الله..

«فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون».

والذين يرسون قواعد الأخوة واتحاد الصف ووحدة الكلمة أمام تحديات الاستعمار هم البقايا الصالحة التى كان يلحظها النبى صلوات الله عليه وهو يقول «ولا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله».

فعسى الله أن يجمع المسلمين فى أضواء ذكرى الهجرة من فرقة، ويعزهم من ذلة ويطلقهم صفا واحدا يجاهدون بمثل فداء على وتضحية أبى بكر واحتمال أسماء؟

معوض عوض ابراهيم

مبدأ انطلاق وإشراق

للأستاذ أحمد حنفي نصار

بعث الله رسوله محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، على فترة من الرسل ، ليختم به الرسالات الإلهية ، فبدأ بالدعوة إلى الله – كما أمر – في بلده : مكة : أم القرى ، حيث بعث ، وبقي بها ثلاثة عشر عاما ، لقي في خلالها من قومه جهلا ، واستكبارا ، وحسدا ، وعنادا . ولكن قلبه الكبير ، وحلمه العظيم ، وحرصه الشديد على هداية قومه ، جعله أرفع من كل ما في الجاهلية من جهالة ، وحقد ، وأقوى من أن يرجع عن أمر ربه ، لما يلقى من صد ، وبغي ، وعدوان .

وعاش من تبعوه بمكة في ضيق وحرج : يتعرض الضعفاء منهم لكل أنواع الأذى ، وأشد ضروب القسوة ، ولم يك من كانت له عصبة قوية تحميه يسلم – مع ذلك – من السخرية أو ينجو من النقد والملامة .

وقد كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يألم لما يرى من أذى ينزل بأتباعه ، وسخرية مرة تلاحق كبار صحابته ، وهم في إصرار على الحق ، وثبات في النضال ، وصمود تجاه العدوان الغاشم ، والجهالة العارمة ، فأذن لمن أراد بالهجرة إلى الحبشة ، فهاجر إليها من هاجروا من رجال ونساء ، مرة بعد مرة .

ثم رأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن لا جدوى من الاستمرار على هذا الحال ، وأن لا أمل في البقاء بمكة لهداية هؤلاء المعاندين ، وأن الدعوة لا بد لها من وثبة إلى جو طليق ، ففكر في أن ينشر الدعوة خارج نطاق مكة ، وأخذ يعد العدة لذلك ، فحاول الاتصال بوفود العرب التي تقصد مكة أيام الحج ، ومواسم التجارة ، ليعرض عليهم الإسلام ، فلقي بعضا منهم أول مرة ، ولكنهم انصرفوا عنه ، ولم يستجيبوا له . ثم أقبل في موسم تال وفد من قبيلة الخزرج ، فدعاهم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إلى الإيمان فآمنوا ، واتفقوا معه على أن يقابلوه في الموسم القادم ، عند العقبة : وهي مكان مرتفع شرقي مكة . فلما حل الموسم قدموا ومعهم اثنا عشر رجلا من الخزرج ، واثنان من الأوس ، فقابلهم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عند العقبة ، فأسلموا جميعا ، وبايعوه ، وعاهدوه على نصرته ، وكانت هذه هي بيعة العقبة الأولى وفي العام التالي ، وفد على مكة كثير من أهل المدينة ، فوعدهم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أن يقابلهم ليلا ، عند العقبة أيضا ، ولما لقيهم ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا ،

وامرأتين، منهم أحد عشر من الأوس، عرض عليهم الإسلام، فأسلموا، وعاهدوه على مؤازرته، وحمايته، وهذه هي بيعة العقبة الثانية.

وكانت قريش، إلى هذا الوقت، قد استفرغت كل ما في جعبتها من الأذى، والتخويف، والإغراء، وصنوف الكيد والمكر، وقد أدركها فشل أمر الصحيفة التي التزموا فيها بمقاطعة بني هاشم، عصبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، اجتماعيا واقتصاديا، كما أحست بأمر البيعتين بالعقبة وعلى هذا فلا بد لها من عمل جديد حاسم، قبل فوات الأوان.

ولما كان أصحاب بيعتي العقبة من أهل المدينة، قد عاهدوا الرسول، صلى الله عليه وسلم، على حمايته ونصره، فقد أعد العدة للهجرة، لينتقل بالدعوة من مكة إلى المدينة، فنصح للمسلمين بالهجرة إلى المدينة، فأخذوا ينتقلون إليها تباعا، متسللين في خفاء وستر حتى لم يبق بمكة إلا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومعه أبو بكر الصديق، وعلى ابن أبي طالب، رضي الله عنهما، بأمره، وإلا من اعتقلهم المشركون كرها، فخذرت قريش خروج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، واندفعوا في جنون الطغيان، مع الشيطان، واشتوروا بدار الندوة، ثم اتفقوا على تدبير مؤامرة محكمة لقتله، بعد أن فشلوا من قبل في ذلك مرتين، فاختاروا من كل القبائل رجالا أشداء، ليذهبوا ليلا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ويفتكوا به، فيتفرق دمه في القبائل، ويذهب هدرا، لأن قبيلته، إذ ذاك، لا تستطيع أن تحارب جميع القبائل، التي يشترك رجالها في الجريمة، وفي ليلة تنفيذ المؤامرة، اجتمع المختارون لها، وراحوا يتربصون به، حول داره، ينتظرون من فرجة إلى مكان نومه.

فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو على علم من الله بما يقصدون، أمر علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أن ينام على فراشه، ويتشح ببرده الحضرمي الأخضر، وأن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس، إذ كانت عادة كثير منهم من أن يحفظ نفائسه وأماناته عند الرسول صلى الله عليه وسلم، لما اشتهر به من الأمانة والخلق العظيم.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، في الثلث الأخير من الليل، وأخذ حفنة من تراب، وجعله على رءوسهم، وهو يتلو من « يس . والقرآن الحكيم » إلى « فهم لا يبصرون »، فطمس الله تعالى أبصارهم فلم يروه، وانصرف، ولبثوا على حالهم، وهم يظنون أنه لم يبرح، إذ كانوا ينظرون فيرون في الفراش رجلا، فتطمئن نفوسهم إلى وجوده، وهم يجهلون أنه علي رضي الله عنه، فيقولون إن محمدا لنائم، حتى أصبحوا،

فقام على ، رضى الله عنه ، عن الفراش ، فعرفوه ، وسألوه عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا أدرى ؟ ؟

وقصد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، إلى بيت أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، فلقيه فيه ، ثم خرجا مهاجرين معا .

ولما خرج على بن أبى طالب رضى الله عنه ، إلى جماعة الشباب من قريش ، المجندين للفتك والإجرام ، وعلموا أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قد خرج من داره وترك مكة جزعوا واغتاظوا ، فتفرقوا فى الطرق ، يتتبعون أثر الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وصاحبه ، إلى أن ذهب الأثر عند غار ثور ، على بعد ساعة من مكة ، وكان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، قد لجأ إليه ، حتى ينقطع عنهما البحث ، وطاف الكفار بالغار ، ولكنهم لم يبصروا من فيه ، فقد نسجت العنكبوت وعششت حمامتان على باب الغار ، فعادوا فى خيبة ، ومكث الرسول وصاحبه فى الغار ثلاثة أيام ، على المشهور تحوطهما رعاية الله ، وتحرسهما الملائكة .

« ... إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ، إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه : لا تحزن ، إن الله معنا . فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ... » .

وكان عبد الله بن أبى بكر ، فى هذه المدة ، يحمل لهما الطعام ويقص عليهما أخبار الكفار .

ثم خرج النبى وصاحبه إلى المدينة ، من طريق ، غير الطريق الذى ألف الناس ، فوصلا إليها بعد أيام فى سلام ، واستقبلهما أهلها ، بسرور ولا يوصف ، وإكبار لا يدرك ، بعد التحرق فى انتظار مقدم الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعد إذ علموا بهجرته من مكة ، لرؤيته والاستماع إليه .

ولم تكن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم فرارا من قريش وأذاها ، ولا طلبا للنجاة من غدرها ، ولا التماسا للسلامة لذاتها ، فلطالما احتمل الرسول صلى الله عليه وسلم ، من ألوان البلاء والعناء ، ما تنوء بحمله الجبال وإنما كانت الهجرة عملا إيجابيا قويا وانطلاقة مباركة ، من جو مكة العسر المكفهر ، إلى الجو الفسيح الصالح لاستكمال الدعوة فى يثرب حيث تجمعت قوى الحق من المؤمنين الأنصار والمهاجرين ، ليأخذ الإسلام طريقه إلى غاياته العظيمة ، فى حرية ، بعيدا عن العدو القوى المتربص ، وبمنأى عن أسباب التعويق عن مواصلة التبليغ والعمل على إقامة صرح هذا الدين القويم .

فالرسول ، صلى الله عليه وسلم لم يترك مكة ليجد بالمدينة اليسر والرغد والراحة فى النعيم وإنما انتقل فى جهاد عسر قليل النتائج ، إلى جهاد ناجح فلقد أمكنه أن يجعل من المدينة قاعدة صالحة ، يستطيع أن ينطلق منها لجهاده وإبلاغ رسالته ، وهذا ما لم يتيسر له بمكة ، وكثرتها من المشركين الحاقدين المكابرين ،

الذين جعلوا كل همهم إطفــــاء نور الله ، والتقت قلوبهم على التخلص بأى ثمن من رسول الله ، وهذا ما تفسره كل الأحداث التى وقعت بعد الهجرة ، فقد أحرز الإسلام بعدها الذيوع والانتشار والقوة والاستقرار على طول المدى ، حتى أكمل الله دينه ، وأتم على المسلمين نعمته .

وبذلك كانت الهجرة ختاما لعهد الجهاد المرير الأعـول ، والصبر على المكاره ، والمصابرة فى انتظار الفرج ، مع الثبات على الحق ، والوقوف مع الدعوة ، فى عزيمة جبارة ، ويقين صادق ، كما كانت بدءا لعهد جديد مشرق ، عهد عزة وقـوة ، ونصرة للحق ، وحسن دفاع عنه ، مكن الله به للمسلمين فى الأرض ، وجعلهم الوارثين .

وفى الهجرة مواضع للعظة والاعتبار ، يجب أن يقف عندها أهل الحق ، والمجاهدون فى سبيله ، ليعلموا أن عليهم أن يوطنوا نفوسهم — أول كل شىء — على الصبر على المكاره ، وملاقاة الشدائد بصدر رحب ، وبذل التضحيات مهما غلت ، وأن لا يتعجلوا النصر وإن طال الأمد ، فإن الله مؤيد الصادقين ، الذين يقفون مع الحق ، ويدافعون عنه ، وهو مع الصابرين ، الذين يحتملون الأذى فى سبيله ، موقنين أن الله ناصر حزبه ، ولو بعد حين ، « حتى إذا استيأس الرسل ، وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ، فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » .

ومن الهجرة يتعلم أصحاب الدعوة إلى الحق أن ينقلوا المعركة من الميدان العسر إلى الجو الصالح ، الذى يجدون فيه الفرصة للانطلاق ويتوقعون فيه النجاح ، ومن بيئة فاسدة لا أمل فى إصلاحها إلى أخرى عندها القابلية للفلاح ، فالبذرة الطيبة لا تنبت فى الصخر .

ومنها يتعلم أولو الأمر ، فى كل عصر ، أن يستعينوا دائما بأهل الرأى المجربين ، وأن يختاروا للعمل معهم المخلصين الصادقين فإن أبا بكر ، رضى الله عنه ، وهو المجرب الراسخ ، الصادق فى حبه ، سبق الرسول فى الدخول إلى الغار ليضمن له السلامة ، كما أنه لم يرجف فؤاده ، خوفا على نفسه ، وتشبثا بحياته فى موطن الفزع ، إذا أحس بقدوم الكفار إلى الغار ، وإنما اهتم بسلامة الرسول رأس الدعوة ، اهتماما بلغ درجة الحزن ، ولم يخرجه من هذا الضيق الذى ملأ عليه نفسه إلا طمأنة الرسول صلى الله عليه وسلم له ، فى سكينة وثبات ، بقوله : « لا تحزن إن الله معنا » .

وبعد فإن لنا فى رسولنا الأعظم الأسوة الحسنة فى كل قول وعمل ، كما أن لنا فى صحابته الأكرمين القدوة العالية ، وذلك هو الطريق الواضح المستقيم المفضى إلى النجاح الموصل إلى السعادة الحقة فى الدنيا والآخرة ، والحمد لله رب العالمين ؟

أحمد حنفى نصار القرصى

تآمر الحاقدين وعصمة الله

للأستاذ محمد عباس محمد

أوحى الله إلى رسوله بأن يصدع بما يؤمر ، ويعرض عن المشركين ، ويجهر بالدعوة ، ولا يقتصر على الأقربين ، فهذه الرسالة عامة للناس أجمعين ، وهى خاتم رسالات الله على الأرض ، وأتمها وأكملها ، حيث قال : « يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس » .

فطلب من أهل مكة أن يعبدوا الله وحده ، لاشريك له ، وأعلن أنه رسول الله ، وخاتم النبيين ، وأمرهم بترك عبادة الأوثان ، ورغبهم فى الجنة ورهبهم من النار ونادى بالمساواة بين الناس : فلا عبد ولا سيد ولا عزة ولا استذلال ، والفقير حق على الغنى ، وذو المال عليه زكاة .

كلام ما كان يسمع به أشراف العرب وسادات القبائل لجن جنونهم ، وطاشت عقولهم ، وألهب الحقد فى نفوسهم على هذه المبادىء التى على رأسها هجر ما كان يعبد أجدادهم وآباؤهم .

وهذا الشرف الذى يحمل رايته محمد ابن عبد الله ، هم أحق باكتسابه منه ، وهذا الدين الجديد يهدم معتقدات ورثوها عن آبائهم كابراً عن كابر ، وهذا النداء مقر للضعفاء ، ومضعف لسلطان السادة ، ثم هو يرفع من شأن عبيدهم فلا عبرة لديه بالفوارق الطبقية إلى حد المساواة بينهم فى الحقوق والواجبات .

فضاقوا بمحمد وناصبوه العداء ، فأغلظوا له القول ، وترصدوا له فى كل مكان ، وآذوه فى نفسه وفى دعوته ، مادام لم تجد معه أسلحة الإغراء ، وحيل الملاينة والمداراة .

وثاروا على من اتبعوه من عبيدهم ، الذين ليس لهم عشيرة تحميهم ، واشتطوا فى تعذيبهم ، فحبسوهم مكبلين فى أغلال من حديد ، ووضعوا على صدورهم الأثقال ، وضربوهم بقسوة لإزهاق أرواحهم تحت وهج شمس الصحراء المحرقة .

لاقى النبى وأتباعه صنوفا من العذاب والإيذاء لا قبل لبشر أن يصبر فى غلها باستقرار ، فيقينه أن يعبد ربه وينشر الدعوة الإسلامية داخل وخارج شبه الجزيرة العربية مطلوب منه .

طال ليل العذاب ، ونهار الويل ، ونفد صبر المسلمين لطول الانتقام الواقع عليهم

فقال أحدهم للرسول من شدة ما بهم من آلام : لقد وعدتنا النصر ، وقد طال انتظارنا ، وكلت الأجسام من فظاعة ما قاسته .

فتلا عليهم الرسول قول الله تعالى : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب » .

ولكن محمداً وهو المرسل من قبل الله ورحمة العالمين ، رأى الترصد من قوة طاغية لضعفاء مغلوبين على أمرهم ، متمسكين بعقيدتهم ، والظلم لاحق بأتباعه وهو لا يقوى على رد المعتدين ، كما أن العداء أعمى نفوس الحاقدين .

فوضع الصبر في هذا الموضع تكليف غير قويم ، وفتح باب الهجرة في هذه الحالة لا يتعارض مع الإيمان بأن نصر الله قريب .

وقد قال الله تعالى : « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة » .

أمور جالت في نفس النبي كان صداها الإذن لمن يرغب في الهجرة ، فراراً بدينه من هذه الفتنة التي هم معرضون لها ، إلى بلاد الحبشة ، فسوف يلقون فيها أناساً يعرفون الله ، فإن لم يؤمنوا بما آمنوا ، فسوف يتركونهم ودينهم .

ولكنه وهو ربان السفينة المعرضة للأمواج المائجة ، لا يمكنه مغادرتها إلا بأن ينزل منها جميع الركاب إلى سفن النجاة ؛ ويصرح له بوحي من الله بالمغادرة وإلى أين ؟ ! إلى حيث يبعثه الله .

فاستأنف الدعوة ...

كان بين الحجيج جماعة من أهل المدينة من قبيلتي الأوس والخزرج ، وقد بلغ الجهد بأفراد هاتين القبيلتين من كثرة الحروب الطاحنة التي كانت سجالا بينهما حتى تاقت نفس كل منهما إلى منقذ يجمعهما على السلام ، كما أن بعض اليهود من جيرانهما أخبروهما عن النبي المنتظر ، أثناء أحاديثهم معهما .

كل ذلك كان سبباً في سرعة استجابتهم لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، والتسليم لتعاليم الإسلام ، ومساعدته على نصرته ، ودعوة أهليهم للدين الجديد ، وأن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم .

وأخيراً عادوا وذهب معهم بعض المهاجرين وعلى رأسهم مصعب بن عمير ، ليبذر المبادىء الإسلامية في المدينة ، وإعداد الأنصار للجهاد في سبيل نصرة هذا الدين .

ولما وصل الخبر إلى الكفار من أهل مكة ، أيقنوا أن الرسول لاحق بهم ، وأن أمره سيظهر بالمدينة ، ثم بعد ذلك سينقلب عليهم بالقوة ، ما دام لم يصلح معهم النصح .

فأجمعوا أمرهم على التخلص منه ، وكان

أمامهم أن يحبسوه فلا يهاجر ولا يدعو ، أو يخرجوه فيرحل بدعوته عن آذانهم وأعينهم ، وأخيراً اتفقوا على أن يقتلوه بأيدى شبان من مختلف القبائل فيضيع دمه هدراً بين بطون قريش جميعا ، ولا تقوى بنو هاشم وبنو عبد المطلب على مقاتلة جميع القبائل للأخذ بالثأر ، فيقبلون الدية ، وذلك أهون كثيراً من أن يروا محمداً حيا فى أرجاء الجزيرة يجهر بدعوته .

مؤامرة غادرة رسم الكفار خطوط تنفيذها وعلى رأسهم أبوجهل ، بغياً من عند أنفسهم ، ووأداً للدعوة فى مهدها ، وتنكيلا بالداعى الذى لم يستطيعوا منعه من رفع صوته فى أى مناسبة تعرض له ـ رغم تعدد أساليب الإرهاب التى اتخذوها ضده .

ظن الكفار أن محمداً فى حمى بنى عبدمناف وعبد المطلب ، وغاب عنهم أن الله حاميه وناصره وعاصمه من الظالمين .

فنزل عليه جبريل يطلعه على المؤامرة ويخبره بقوله تعالى : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

فلما كانت الليلة المتفق عليها لتنفيذ حيلتهم الغادرة ، واجتمعوا على باب النبى يرصدونه أمر الرسول علياً أن ينام على فراشه ، وأن يتغطى ببردته ، وأن يؤدى عنه الأمانات التى كانت عنده للناس ، وخرج عليهم صلى الله عليه وسلم ، وبيده حفنة من تراب وهم فى الظلام فذره فى أعينهم ، فأغشاهم فهم لا يبصرون وتوجه إلى دار أبى بكر الصديق بليل .

فلما تيسر لهم النظر إلى حيث كان محمداً نائما ، فإذا بهم يجدون علياً مكانه .

* * *

وبمقدم الرسول فوجىء أبو بكر بحضوره ، فأخبره الرسول بأنه أذن له فى الهجرة إلى المدينة ، فسأله الصحبة فأجابه .

فاستأجرا عبد الله بن أريقط دليلا على طريق السير حتى المدينة فى الوقت الذى سيخبرانه به .

وبعد ذلك مضيا إلى غار بجبل ثور ، وأقاما فيه ثلاثة أيام ، وكان يبيت عندهما فى هذه الليالى عبد الله بن أبى بكر ، ويصبح مع القوم بمكة وقــد عرف ما دبروه ، فيخبرهما به ، وكان عامر بن فهيرة يرعى غنما لأبى بكر ، فيذهب ويغدو عليهما ويتبع بالغنم أثر عبد الله حتى يخفى آثار أقدامه .

غير أن آثار أقدام الغنم لم تكن عافية ، فأمكن لقريش أن تصل الغار ، فرأوا العنكبوت على بابه ناسجا بيتاً ، وهو أوهى البيوت ، والحمام قد باض ولم يكسر بيضه ، والغار بلا أثر يدل على أنه تحصن به محمد وصاحبه .

ولكن نسيج العنكبوت وهو أضعف بيت ، والحمام وهو أضعف جند ، والغار وهو أقرب مخبأ ، كانوا بحفظ الله أروع جند ، وكان الغار أحصن قلعة للدفاع عن رسول الله وصاحبه .

وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم

وبعد ثلاثة أيام استقلا ناقتين أعدتا لهذه الرحلة ، وتوجها إلى المدينة يصحبهما عامر مولى أبي بكر ودليلهما عبد الله بن أريقط .

وحاول الأعداء أن يتبعوه وصاحبه فيردوهما أو يقتلوهما ، وجعلت قريش لمن يدل عليهما مائة ناقة . ولكن كيف الوصول إليهما وهما في حماية جنود رب العزة والقدرة؟

وأما سراقة بن مالك الفارس العربي الذي أغرته المكافأة المرصودة فقد سلب القدرة على المسير على الرغم من حرصه البالغ على إحراز المائة ناقة وهو من النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه بحيث يأخذ منه ويرد عليه . .

ورأى برهان ربه الشاهد على صدق رسالة محمد فعاد يضلل باقي المتتبعين ليرجعوا عن اقتفاء الأثر حتى يهيء الفرصة الآمنة للرسول وصاحبه .

ولم يعترف سراقة بأنه رأى محمداً إلا لأبي جهل بعد إلحاحه الشديد وطغيان الغيظ من خروج الأمر من يده .

ثم وصل الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه إلى دار الهجرة بسلام من الله ورعاية .

وأما أعداء الله ورسوله فقد خاب سعيهم وكان شأنهم كما قال شوقي .

فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم
كباطل من جلال الحق منهزم

محمد عباس محمد

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود » .

« قرآن كريم »

نفحات القرآن

حزب الله فوق الأحزاب جميعاً

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود ، فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ... » .
آية — ٩ — أحزاب

تمهيد :

١ — من مناهج القرآن فى خطاب الناس أن يبادرهم كثيرا بذكريات النعم التى فاضت عليهم ، أو لا تزال تعاودهم من فيض الله — سبحانه — لأن التذكير بالنعمة يوقظ مشاعر الغبطة ، ويثير فى وعى الإنسان تجديد الشكر عليها ، كما لو كان المرء فى مستهلها بعد تشوقه إليها وطول انتظاره لها .

وهذا وعده الكريم فى قوله تعالى : « وإذ تأذن ربكم — تعهد — لئن شكرتم لأزيدنكم » .
وإن شكر النعمة أياً كان مصدرها — ليعتبر وفاء بحق صاحبها ... والوفاء فى شرعة الدين ، وفى حساب العقل خلق كريم يعود بالخير على أهله ، ويكون وشيجة ميمونة بين الله ، والناس ...

ولعل هذا مما يقتبس فى قول الله عز شأنه « ومن شكر فإنما يشكر لنفسه » .

٢ — ومنهج القرآن يخاطب الناس بألوان من القول فى تذكيرهم بالنعم ، ليظلوا شاعرين بفضل الله عليهم ، ومستمدين العون من جانبه ، ومؤمنين بأن كل عطاء سابق ظفروا به ، وكل عطاء يطمعون فيه — يقتضيهم أن يتجهوا إلى ربهم بالقلوب ، والمشاعر ، وبالأعمال ، والأقوال مخلصين له الدين فى عباداتهم ، ودعواتهم .. فإن ما عند الله يلتمس بطاعته ، ولا ينال بمعصيته .

ومن هذا القبيل ما نحن بسبيله :
فإن القرآن يحدثنا عن شأن المسلمين ... يوم تألبت عليهم أحزاب الكفار من قريش وأحلافهم ، ومن اليهود المتمردين فى مناوأتهم

للمسلمين ، ومن المنافقين المذبذبين بين العداء والولاء .

ثارت ثائرة هؤلاء الحانقين فجيشوا جيوشا زاخرة فى عشرة آلاف من أشقيائهم ، وتواثبوا على الوطن الإسلامى - المدينة - ليستأصلوا هذه الجماعة التى ألف الله بينها على التوحيد ، وعلى الإخاء فى الله ، والجهاد فى سبيله . حتى إذا نضجت مؤامرة هؤلاء المتحزبين تهيأ للكفر الطاغى أن يستعيد جبروته ، ويتوارى سلطان الإسلام وراء سلطان الشيطان - هكذا زعموا ولهذا تحزبوا .

وهذه قصة الأحزاب فى موجزها .

وقد برز لها شأن فى تاريخ الإسلام ... وعرض لها القرآن فى سبع عشرة آية من السورة التى كتبت باسمها - الأحزاب - .

وربما خطر لبعضنا أن ليس فيها جديد من القول نتحدث به اليوم . ولكننا نطرق الكلام فيها: تجديدا للعبرة منها ، واستذكارا لنعمة الله بنصر النبى والمؤمنين على أعدائه المستكثرين أنفسهم على ثلاثة آلاف من المؤمنين . حتى كانت هذه القلة المستضعفة - بفضل رعاية الله - فى منعة لم تكن فى حساب أحد الفريقين . ثم يظهر هذا الجمع القليل على الحشد الكثير بنصر من عند الله لم تشهد مثله عين الزمن فيما سلف .

وتبوء تلك الكثرة وراء شيطانها ، متعثرة فى خزيها ، وخاسرة لجهودها ومدحورة بغضب الله عليها « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » .

٣ - ونقول فى شىء من التفصيل :

يخاطب الله عباده المؤمنين الذين حاصروا غزوة الأحزاب ، ولابسوا أهوالها بجانب الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فيذكرهم بنعمة الله عليهم ، ثم يسترسل القصص عنهم فى شأن هذه الموقعة المفاجئة ، ويكشف لنا فى قصصه ما أحدق بالمسلمين فيها من الذعر ، وما جمحت به الخواطر من الظنون ، وما ترددت به شماتة المنافقين فى تألب الكفار على الجماعة المؤمنة .

وفى ذلك يقول الله سبحانه : « إذ جاءتكم جنود » يعنى جنود بالغة الكثرة فوق ما كان سابقا فى غزوة بدر ، أو أحد مما يعهده المسلمون سلفا .

ويعقب الله على هذه الكثرة الساحقة - الموهمة بالتغلب على المسلمين - بما يهون من شأنها ، ويجعلها أمام القلة من جند الله فى خبر كان ، وهو سبحانه يقول فى ذلك دون فاصل : « فأرسلنا عليهم ريحا ، وجنودا لم تروها » .

كأنه - سبحانه - يقرر لنا أن تلك الجموع بعد تكتلها فى اعتزاز بكثرتها ، واطمئنانها إلى غلبتها بما لديها من الوسائل والعتاد :

لم تكن شيئا مذكورا أمام حزب الله ... بل ذهبت تلك الضخامة العددية هباء منثورا دون تضحية من جانب المسلمين .

وذلك إجمال يساق فى أول الحديث عن الأحزاب ، تعجيلا للبشرى بما كرم الله به حزبه المؤمنين .

مكث جيش الأحزاب حول المدينة نحوا من شهر ... وما منعهم من الهجوم لجأة كما كان تدبيرهم الخبيث إلا ما وجدوه رادعا لهم ومثبطا لنشاطهم ، وهو خندق عميق محفور بطوق المدينة ، ولا يدع إليها منفذا للدخيل وكانت فكرة الخندق مشورة من سلمان الفارسى اقترحها على الرسول ، فرضيها ، ورضيها جميع أصحابه ، وساهموا جميعا بأنفسهم فى حفر الخندق وهم يرددون الأناشيد التى ترطب ألسنتهم بالأمل ، وتثلج صدورهم بالبشرى ، وتشد من عزائمهم ، وتحبب إليهم كل مشقة فى الذود عن حمى الإسلام ، ومدينة الإسلام .

وبعد فترة طال فيها انتظار الكفار ، وكثرت فيها تحرشاتهم بالمؤمنين ، حتى تحرجت أنفس كثيرة من قسوة الموقف تجاه خطر لا يطاق إذا حصل ، ولا تعرف له نهاية إذا بقى ، ولا يستبين فيه من وراء الغيب ما الله فاعل بالفريقين ، أو بأحدهما بعد .

• • •

٤ — كانت عناية الله بالرسول والمؤمنين هى الكاشفة لهذه الغمة عن المدينة وأهلها ، وكانت نصرة الله لحزبه دامغة لأحزاب الكافرين بالهزيمة ، ثم بالفرار ، دون أن ينالوا من المسلمين مدركا ، أو يظفروا بغير المذلة والهوان على مشهد من أمثالهم القريبين وعلى مسمع بين بطون القبائل المترامية ، ومن كان يسمع باحتشادهم من هنا وهناك .

هذا الانتصار الذى كان من رعاية الله لأهل دعوته تركز على الأمرين السالفين ريح مرسلة من عند الله ، وجنود لا يراها الناس .

أما الريح فتطلق على ما يكون ضارا من العواصف ، ولذلك ترى القرآن يعبر بهذا اللفظ غالبا ، عن الريح التى سلطها الله على قوم هود سبع ليال ، وثمانية أيام ، وعلى كل ما يريده من العواصف المهلكة : « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليال ، وثمانية أيام حسوما ، فترى القوم فيها صرعى ، كأنهم أعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية » ؟ .

« وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ، ما تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم » يعنى كالمعدوم البالى .

وهكذا يجرى تعبير القرآن بالريح غالبا عن كل ريح مهلكة . وحينما يكون المقام مقام ترفيه بنعمة وامتنان بها ، يختار القرآن

ذكر الرياح ، بدلا من الريح : « وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته » .

ولذلك كان من دعوات الصالحين حين يهب عليهم الهواء فى قوة .

ـــ اللهم اجعلها رياحا ، ولا تجعلها ريحا ذلك موجز القول من الريح التى أرسلها الله تعالى على الأحزاب الكافرة . كما أرسل مع الريح جنوداً من ملائكته ، لا يراها الناس طبعا ، ولكن قد يراها الرسول صلوات الله عليه ، ويشتد عزمه ، وأمله .. وهو بثباته ، وبأسه يشد من عزائم المؤمنين الصادقين فى جهادهم معه ، مخلصين لله الدين ، والتضحية فى سبيله .

كان من تسليط الله للريح ، ولجنده من الملائكة على جموع الكافرين أن ثارت عليهم الطبيعة نفسها ، فالأعاصير تذرو فى أعينهم الرماد ، وخيامهم تطير بأوتادها الراسخة كالهباء فى الهواء .. وقدورهم المركزة على قواعد من البناء تنكفأ بطعامهم على الأرض فى مهب العواصف ، وخيولهم تضطرب ثائرة من الهول ، وتنفلت من قيودها إلى حيث يهوى بها الريح العاصف .

وإزاء هذا الكرب على الأحزاب لم يعد للقوم بقاء ، ولا أمل فى لقاء ، ولا مطمع فى سلام .. وتناثروا فى عودتهم مشردين بعد أن تجمعوا متكتلين ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً . وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزاً ، فذلك لجاج فى الخصومة ، ينتهى باضطراب فى الهزيمة .

وهذا موجز القول عن غزوة الأحزاب أو غزوة الخندق ـ فى أخريات السنة الرابعة أو فى أوائل السنة الخامسة من الهجرة ..

فإذا ذكرناها باسم الأحزاب ، فهو اسمها المخجل الذى تجمعوا تحته ..

وإذا ذكرناها باسم الخندق ، فهو الاسم الماجد الذى يشعرنا فى فخر بوسيلة النصر التى توقى المسلمون بها كثرتهم .. وأحبطنا بها كل ما أعدوا من حيلة ، وتدبير .

والنظر إلى قول الله تعالى « وكفى الله المؤمنين القتال » فهذا إعلان جهير لأن الله هو الذى تولى عن عباده المؤمنين ذلك الموقف الرهيب ، حتى نجاهم منه برعايته ، وفى أكرم ما يليق من كرامته ، وسلامته .

وهذه نهاية يمتن الله بها على المؤمنين جميعاً فهى خطاب بالامتنان لمن حاصروا هذه الغزوة كما أسلفنا .. وهى تخطيط لنار إيقاظ لوعينا دائماً بما وقع لأسلافنا .

٥ ـــ وما من شك فى أن سياسة الإسلام ، ومناهجه التى رسمها ربنا فى دستوره ، وأرشد إليها فى توجيهاته ، وحفزنا على الأخذ بها فى دنيانا ، وفى جهادنا لعدونا هى بعينها من

حيث التمسك بحبل الله ، وعدم البعد عن جانبه ، أو التدبر بعيده فيا تتعرض له من شأن يعظم ، أو يهون في حياة الجماعة الإسلامية .

٦ — ومما يركز لدينا هذا التوجيه الذى وردت به قصة الأحزاب من هذه السورة فى سبع عشرة آية أن الله أفصح لنا فى هذه الآيات عما أحدق — فى أول الأمر — بالمسلمين من الخوف ، والرهبة حتى لعبت بأفكارهم الظنون ، وارتجفت فيهم القلوب ، وبلغت الأرواح لشدة الهول الحناجر ولا حرج على المؤمنين أن يشتد بهم الخوف من سوء العاقبة إزاء عدو متكالب عليهم فى غطرسة . فإن المسلمين أناس من البشر .. يعتريهم الخوف بالفطرة من كل حدث مستور عنهم فى علم الغيب .

فالعدو يحدق بالمدينة من أعاليها وجوانبها ، ومن كل حدب يصل إليها كما يصف القرآن .

والمنافقون يتنادون بالرجوع : جماعات وأفرادا ويتصايحون بالشماتة فى رهبة المسلمين لهذه الملحمة الناجمة من أحلاف متكاثرين .

والمسلمون يخشون مع الإقدام والإخلاص فى التضحيات أن يكون لله تدبير لا يجارى أملهم .. أو ينجم عن سبب منهم كما سبق لهم فى غزوة أحد .

ومع هذه الاحتمالات الفطرية ، والمشاعر المرهفة فقد كان الإيمان آخذا بمجامع القلوب ، وكان الإقدام أحب إلى نفوسهم من أى تصرف عداه .

وكان غرور الكفار ، واستهانتهم بالقلة المؤمنة نكبة عليهم أنفسهم : أضعاف ماكان سرورهم بالكثرة المنتشرة على رمال الصحراء حول المدينة .. مذهبت ريحهم جميعاً ، وثبت الله المؤمنين فى إطار عصمته من كل سوء .

هذه المواقف فى صورتها : مبدأ ، ونهاية ينشرها بيننا القرآن شاخصة فى آياته البينات ويرددها على أسماعنا فى الندوات والروحات

ونحن — كأمة مسلمة بين خصوم ما كرين — أحوج ما نكون إلى فطنة مالدينا من كتاب منشور وتوجيه مذكور : غير مجهول ، ولا مستور .. وأسلافنا كانوا أناسا . ونحن أمثالهم أناس . وربنا وربهم واحد ، فلماذا لا نكون على نفس الطريق ، لتجرى علينا سنة الله بالنصر والتأييد ؟ !

ولهذا يذكرنا الله فى استمرار بنعمة الله على من سبقونا بالإيمان ، والجهاد ، والفوز المبين .

عبد اللطيف السبكى

من هدى السنة :

حديث الهجرة

للدكتور محمد أبو شهبة

روى الإمام البخارى فى صحيحه بسنده عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت من حديث الهجرة الطويل : « ... فقال النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين : « إنى أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين » ـ وهما الحرتان ـ فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « على رسلك فإنى أرجو أن يؤذن لى » فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبى أنت ؟ قال : « نعم » فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر ـ وهو الخبط ـ أربعة أشهر ... قالت عائشة : فبينما نحن يوما جلوس فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة قال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداء له أبى وأمى ، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر . قالت : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له . فدخل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : « أخرج من عندك » فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبى أنت يارسول الله ، قال : « فإنى قد أذن لى فى الخروج » فقال أبو بكر : الصحبة بأبى أنت يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم » قال أبو بكر : فخذ ـ بأبى أنت ـ يارسول الله إحدى راحلتى هاتين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن ، قالت عائشة : فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا سفرة فى جراب ، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ، فبذلك سميت ذات النطاق قالت : ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار فى جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال ... »(1).

الشرح والبيان

« السيدة عائشة » راوية الحديث هى زوج النبى صلى الله عليه وسلم عقد عليها النبى صلى الله عليه وسلم وهى بنت ست سنين قبل الهجرة

(1) صحيح البخارى ـ باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

بعد وفاة السيدة الجليلة المهيبة خديجة - رضى الله عنها وأرضاها - ودخل عليها وهى بنت تسع سنين فى شوال من السنة الأولى على الصحيح الذى رجحه الحافظ ابن حجر[1] وكان بنى قبل الهجرة بالسيدة سودة بنت زمعة وفى الصحيح أن النبى قال لها : « أريتك فى المنام مرتين ، أرى أنك فى سرقة[2] من حرير ويقول - أى الملك - هذه امرأتك فأكشف فإذا هى أنت فأقول : إن يك هذا من عند الله يمضه » وكانت أحب نسائه النبى إليه ، ولم يتزوج بكرا غيرها ولم تنجب - رضى الله عنها - وكانت من أوعية العلم والفقه ونشرت الكثير من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ولا سيما ما لم يطلع عليه غير نسائه مما يتعلق بالتشريع .

« إنى أريت دار هجرتكم بين لابتين ... » اللابة هى الحرة وهى الأرض ذات الحجارة السود ، والمدينة بين حرتين وقوله : وهما الحرتان مدرج فى الحديث على سبيل التفسير من الإمام الزهرى راوى الحديث ، وهذه الرؤيا غير الرؤيا الأخرى التى رآها قبل وتردد فى المراد بها ففى صحيح البخارى : « رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلى - أى ظنى - إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هى المدينة يثرب » ثم أرى هذه الرؤيا على سبيل التعيين .

« فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة » .

لما لاح نور فجر الإسلام وظهوره بالمدينة بعد بيعة العقبة الأولى حتى لم يبق بيت إلا وللإسلام فيه ذكر ونصير واشتد إيذاء المشركين للمسلمين ولا سيما بعد عودتهم من هجرة الحبشة الثانية - أذن النبى لأصحابه بالهجرة إلى المدينة حيث وجد لهم بها إخوة ، فمنهم من هاجر مستخفيا وهم الكثيرون ومنهم من هاجر مستعلنا متحديا لهم كالفاروق ، وكان أول من هاجر إليها أبو سلمة بن عبد الأسد ومعه زوجه أم سلمة ولكن أهلها منعوها منه فى قصة مثيرة ، فبقيت عاما لا يرقأ لها دمع حتى أذنوا لها فى اللحاق بزوجها ، وأما قوله : « ورجع عامة » فالمراد معظمهم وإلا فبعض الذين هاجروا إلى الحبشة لم يؤوبوا كجعفر بن أبى طالب وأصحابه ، فإنهم لم يقدموا على النبى بالمدينة إلا عقب خيبر ، ومثل هـــذا التعبير مما يتسامح فيه .

« وتجهز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « على رسلك ... »

« تجهز » أى أراد التجهز للهجرة إليها « ورسلك » بكسر الراء وسكون السين أى على

(١) فتح البارى ج ٨ ص ٢٢٦ ط الحلبى .

(٢) بفتح المهملة والراء والقاف أى قطعة

مهلك وعلل ذلك بأنه يرجو ويرجح أنه سيؤذن له فى الهجرة إلى المدينة ، ليكون مع أصحابه ، ويقوم بنشر الدعوة الإسلامية من هناك ، فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبى أنت ؟ قال : « نعم » .

أراد الصديق أن يستوثق ليتم له السرور بالصحبة، وليضع نفسه وماملك فداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأبى أنت ، مبتدأ وخبر ، أى أنت مفدى بأبى وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما شيخ الإسلام الأول الصديق أبو بكر يفدونه بآبائهم وأمهاتهم بل بأنفسهم وأولادهم ، وقد أكثر الصديق فى حديثه هذا من التفدية لرسول بأبيه أو بأبيه وأمه كما سمعت ، وما ذلك إلا لأن حب الرسول وتفديته أمر امتلأ به القلب ففاض على اللسان ، وهذا ما صدقته أحداث الهجرة كما ستسمع .

وكان من الصديق أن امتنع من الهجرة حتى يحظى بشرف الصحبة فيها لرسول الله وأعد راحلتين أى ناقتين نجيبتين فأطعمهما ورق السمر أربعة أشهر وهى المدة التى كانت بين ابتداء هجرة الصحابة بين العقبة الأولى والثانية وبين هجرته صلى الله عليه وسلم تقريبا ، وأما بين العقبة الثانية وهجرته صلى الله عليه وسلم فشهران وبعض شهر على التحرير [1] . والسمر (بفتح السين وضم الميم) : نوع من الشجر ، والخبط (بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة) ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر ، وهو مدرج فى الحديث على سبيل التفسير من الإمام الزهرى ، « قالت عائشة : فبينما نحن يوما جلوس فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة » .

نحر الظهيرة أول الزوال وهو أشد ما يكون فى حرارة النهار والغالب فى أيام الحر القيلولة فيها فمن ثم فهم الصديق أنه ما جاء إلا لأمر خطير ومهم ، وكان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيت أبى بكر وهو بمكة مرتين أول النهار وآخره ، ولم يكن من عادته أن يأتى فى مثل هذا الوقت .

قال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ، بينت رواية الطبرانى أن القائل هى أسماء رضى الله عنها ، « متقنعا » يعنى مغطيا رأسه ولعله فعل ذلك من شدة الحر ولئلا يعرف مبالغة فى إخفاء أمر الهجرة .

« فقال أبو بكر : فداء له أبى وأمى والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر » .

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ٨ ص ٢٣٥ ط الحلبى .

جمع فى التفدية هنا بين أبيه وأمه ، ومعنى « أمر » أى أمر جليل خطير يستحق المجىء فى هذه الساعة « قالت - يعنى عائشة - فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل » .

فيه أدب من آداب النبى فى الاستئذان مع ما كان بينه وبين الصديق من أصالة الصداقة وشدة المخالطة وقد روى « فـ‍ى . . » بالقصر أيضا .

« فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بكر أخرج من عندك » .

فى هذا أدب من آداب النبى فى التحوط فى مثل هذا الأمر الذى يحتاج إلى السرية حتى يفسد على المشركين خطتهم ، ولا ينكشف لهم أمره ويروى فى الأثر « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » .

« فقال أبو بكر . إنما هم أهلك بأبى أنت يارسول الله » .

يريد الصديق بأهلك عائشة ، وأسماء ، فى رواية موسى بن عقبة قال «أخرج من عندك قال . لا عين عليك إنما هما ابنتاى» وعائشة كانت مسماة على النبى ، وأسماء فى منزلة ابنته ومن أحرص الناس على كتمان السر فلا يخشى من جهتهما شىء ، ولما قال الصديق رضى الله عنه .

قال : « فإنى قد أذن لى فى الخروج » .

يعنى إلى المدينة مهاجرا . وكان ذلك عقب ائتمار المشركين بالنبى صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وتشاورهم فى حبسه أو إخراجه أو قتله وهو ما استقر عليه رأيهم حسبما جاء فى قوله سبحانه «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ، أو يقتلوك[1] ، أو يخرجوك ويمكرون ، ويمكر الله والله خير الماكرين» [2] .

فقال أبو بكر : الصحابة بأبى أنت يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم » . الصحابة مصدر بمعنى الصحبة يقال : صحبه يصحبه الصحبة وصحبة ، وفى رواية هشام بن عروة : « الصحبة يارسول الله قال : الصحبة » ، والصحابة أو الصحبة بالنصب مفعول به أى أريد الصحبة ويجوز الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى قصدى وأمنيتى الصحبة فوافق الرسول الكريم ، وقابل الشعور الكريم ، بشعور أكرم ، وقد بكى الصديق من الفرح ففى رواية ابن إسحاق : «قالت عائشة : فرأيته

---

(١) كان القتل آخر ماذكره المشركون واجتمعوا عليه كما دل على ذلك كتب الأحاديث والسير ، ولكن البيان المعجز جاء به فى الوسط ليدل على أنه الرأى الوسط الذى اختاروه فلله در التنزيل ما أبلغه . وما أفصحه وما أعظم أسراره .

(٢) الأنفال الآية ٣٠ .

أبا بكر يبكى ، وما كنت أحسب أن أحداً يبكى من الفرح » .

قال أبو بكر : « فخذ بأبى أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثمن » .

فى رواية ابن إسحق : « لا أركب بعيراً ليس هو لى ، قال : فهو لك ، قال : ولكن بالثمن الذى ابتعتها به ، والسر فى إصرار رسول الله على أن يأخذها بالثمن مع أن الصديق كان ينفق ماله فى سبيل الله ورسوله ، هو أن تكون هجرته متمحضة لله ، ومن مال نفسه وقد اختلف فى هذه الناقة فقال الواقدى : هى القصواء وأنها كانت من نعم بنى قشير وأنها عاشت بعد النبى صلى الله عليه وسلم قليلا ، وماتت فى خلافة الصديق ، وكانت مرسلة ترعى فى البقيع ، وفى رواية ابن إسحق ، وابن حبان أنها الجدعاء .

قالت عائشة : « فجهزناهما أحث الجهاز ، وصنعنا سفرة فى جراب فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق » .

أحث : بالمهملة والمثلثة أفعل تفضيل من الحث وهو الإسراع ، الجهاز : بفتح الجيم وقد تكسر هو ما يحتاج إليه فى السفر ، السفرة : الزاد الذى يصنع للمسافر ، وقد يستعمل فى وعاء الزاد ومثله المزادة والراوية وهى هنا على معناها اللغوى ، والجراب : كيس من جلد ونحوه يوضع فيه الزاد ، والنطاق : ما تشد به المرأة وسطها ، وفى رواية أخرى للبخارى : ذات النطاقين ، وكذلك جاء فى رواية ابن سعد والروايتان صحيحتان فمن نظر إلى ما بقى لها قال : ذات النطاق ، ومن نظر إلى شقها لنطاقها نصفين قال : ذات النطاقين ، وهى مكرمة خالدة لها ، وسمة شرف إلى يوم الدين .

« قالت : ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر بغار فى جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال » .

وكان مبتدأ هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق فى أواخر صفر ، وقيل فى أول ربيع الأول والأول هو الصحيح وقد حصل الاتفاق على أنهما وصلا إلى قباء يوم الإثنين وإن اختلفوا فى التحديد الزمنى لهذا اليوم .

وقد أحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم التدبير ، وأجاد الخطة ، فأمر فتى الفتيان عليا رضى الله تعالى عنه أن ينام على سريره وأن يتسجى ببرده الحضرمى ، وبشره بأنه لن يناله منهم مكروه ، وكان ذلك فى الليلة التى أجمعوا فيها على قتل الرسول ، وكانوا كلما نظروا من شقوق الباب يرون من هو نائم فيظنونه النبى ولكنه صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهو يتلو قول الله ، يس والقرآن

الحكيم ، إلى « فهم لا يبصرون » فأخذ الله أبصارهم فلم يروه حتى أصبح الصباح ، فدخلوا فإذا بالنائم على . فسألوه : أين صاحبك قال : لا أدرى ، وثارت ثائرة المشركين ، وصاروا يهيمون على وجوههم فى كل طريق يطلبونه ، واشترك فى البحث القافة وقصاص الأثر .

أما رسول الله فخرج وذهب إلى بيت الصديق وخرجا ليلا من خوخة فى ظهر البيت ومعهم الزاد قاصدين إلى غار ثور ، وفى الطريق رأى رسول الله من أبى بكر عجبا : كان مرة يمشى عن يمينه ، ومرة عن شماله ، ومرة أمامه ، ومرة خلفه لا يستقر على حال فسأله رسول الله فقال : أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك ومرة عن شمالك لا آمن عليك . ولما انتهيا إلى الغار قال الصديق : مكانك يا رسول الله حتى استبريء لك الغار فإن كان به شىء نزل فى قبلك . فاستبرأه فلم يجد شيئا ، فدخلا فيه بعد جهد ونصب شديدين ، ولقد صعدت إليه وأنا فى شبابى ومعى رفقة نهارا فوصلنا إليه بعد لأى وتعب فقلت : لله ما وجد الرسول وصاحبه فى هذه الليلة .

وأما المشركون فاقتفوا الأثر حتى وصلوا إلى الغار ولكنهم وجدوا العنكبوت قد نسج على فم الغار فقالوا : لو دخلا ها هنا لما كان نسج العنكبوت على بابه بل يروى أن الله سبحانه ألهم حمامتين وحشيتين فباضتا على فم الغار مما قوى عندهم استبعاد أن يكون الرسول وصاحبه قد دخلاه ، والله إذا أراد شيئا هيأ له الأسباب وصدق القائل .

وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم

كل ذلك والرسول وصاحبه يسمعان ولقد بلغ الخوف بالصديق على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار فرفعت رأسى فإذا بأقدام القوم ، فقلت : يا رسول الله : لو أن أحدهم طأطأ بصره رآنا فقال : (اسكت يا أبا بكر ، إثنان الله ثالثهما) وفى رواية : (ما ظنك باثنين الله ثالثهما) أى بنصره وحمايته رواها البخارى .

وبعد فقد طال الحديث اليوم فلنرجىء الكلام عن بقية حديث الهجرة إلى مناسبة أخرى إن شاء الله تعالى .

ومهما يكن من شىء فقد تمت الهجرة بحفظ الله ورعايته وكان الجانب الإلهى فى أحداثها ظاهرا بينا وكان يوم وصول النبى المدينة يوما مشهودا لم تر له البشرية مثيلا من قبل ، ولن ترى له مثيلا من بعد ، فلله الحمد على إتمام هذه النعمة الكبرى التى كانت فتحا وعزا ، ونصرا وقوة للإسلام والمسلمين ؟

د . محمد محمد أبو شهبة

سكنى الكواكب فى نظر العقل والدين

للأستاذ مصطفى الطير

يسأل الإنسان نفسه منذ بعيد ، هل الكواكب والنجوم التى نراها خلقت لأهل الأرض وحدهم ؟ وهل أرضنا يلزم لها كل هذه النيرات وهى تفوق أرقام الحساب التى عرفها الإنسان بلبارات الأضعاف ، ثم يقول أنا كائن صغير وأرضى كوكب صغير ، فأنا وهى لا نستحق كل هذه العوالم المتألقة الفائقة التى لا غاية لعظمتها ، فلا بد أن الله تعالى خلق فى كثير من هذه الكواكب خلقا مثلنا يعيشون فى جو يشبه جونا ، ويحيون حياة تشبه حياتنا ، ومن حولهم حيوانات تستعمل فى أغراض مثل أغراضنا ، وبساتين مليئة بفواكه تشبه فواكهنا ، وبها رياحين وزهور ينتشر منها عبير كالتى فى رياضنا . وفيها أراض كثيرة البقول والأعشاب يتخللها روابٍ ووهاد ، وتهامات ونجاد ، وصحارى وجبال ومناظر تسرح فيها العيون ، وتنجلى بها عن القلوب الشجون .

ثم يقول : لا بد لهذه الكواكب من شموس حارة وهاجة ، يعيش أهل تلك الكواكب على أشعتها الدافئة الوضاءة نهارا حتى إذا جن الليل استضاءوا بأنوارها المنعكسة من كواكب أخرى تشبه القمر الذى نستضىء به ليلا بنفس الطريقة المذكورة .

ثم يقول الإنسان ، أليس الله قديرا على كل شىء ، أو ليس هذا الظن له ما يبرره فى حكمة الله تعالى وعظمة ملكه وجلاله ؟

ولقد أولع الإنسان من قديم برصد الكواكب لعله يتجلى له من غوامض أمرها ما يكشف عن بعض مكنوناتها ، فنشأ بسبب ذلك علم الفلك ، وجعل رصيده العلمى يزداد جيلا بعد جيل ، حتى بلغ فى العصر الذى نعيش فيه مبلغا عظيما بعد اختراع المناظير الضخمة البعيدة المدى ، ومما كشفته تلك المناظير فى بعضها ما يشبه الأنهار والحشائش الخضراء والصحارى والجبال ، فقويت بذلك الشبهة فى أن هذه الكواكب مسكونة ، ففكر العلماء فى السفر إلى القمر لأنه أقرب الكواكب إلينا ، لعلهم يكشفون فيه حياة ما لبعض الكائنات الحية ، وليتعرفوا جوه وصلاحيته لسكنى أهل الأرض أو إقامتهم بعض الوقت ليدرسوا منه الكواكب الأخرى ويسافروا منه إليها إن أمكن ذلك ، حتى يتحققوا من صدق ما حدثتهم به نفوسهم من أن

بالكواكب سكانا يعيشون مثلما نعيش، ويموتون مثلما نموت، وأن هذه السموات لم تخلق من أجل هذه الأرض الصغيرة وحدها وأن الأرض ما هى إلا واحدة من أرضين عديدة مثلها، وأنه ليس هناك ما يمنع من أن أرضنا تعتبر سماء بالنسبة إلى تلك الأرضين بانعكاس الوضع فى الدورة الفلكية، كما أنها بالنسبة لوضعنا تعتبر سماء لنا، فإن كل ما علاك سماء.

دارت كل هذه الخواطر بأذهان المفكرين فعكف عباقرتهم على التفكير فى صنع قذيفة توصلهم إلى القمر، تدفعها قوة هائلة تقاوم جاذبية الأرض، وتحمل تلك القذيفة على أجهزة لدراســـة الأشعة الكونية وأثرها فى الكائن الحى عند سفره، ودراسة أسرار الفضاء، وإيصال المعلومات التى تحصل عليها إلى الأرض حتى يكون السفر إلى القمر مأمون العاقبة. ثم قالوا: لا بد من دراسة الأساليب التى تجعل عودة القذيفة إلى الأرض مأمونة حتى إذا استقلها بعض البشر عادت بهم ومعهم معلومات يقينية عن هذا الكوكب، وكل ذلك لا يتأتى إلا بوقود شديد فى قوة الدفع وصنع أجهزة يعيش فيها الكائن الحى ولا يموت فيها من الصدمة أو أى سبب سواها، إلى غير ذلك من اللوازم الضروريه لنجاح الرحلة.

وأخيرا وصلوا بعد مختلف التجارب إلى ما يريدون، وأوصلوا إلى القمر قذائفهم وبها أجهزة دراسة ولم يكن بها أحد من البشر إمعانا فى دراسة أسباب السلامة، ثم أرسلوا قذيفة بها بعض البشر إلى القمر فوصلت إلى مداره، ودارت حوله على بعد مائة وأحد عشر ميلا، ثم عادت بركابها إلى الأرض فى شهر يناير الماضى، ومعهم معلومات خطيرة كشفوها أو كشفتها أجهزتهم، ضمت إلى ما سبقها من معلومات الأقمار الصناعية والقذائف ولا يزال أولئك العباقرة يستعدون للجولة القادمة التى ينزلون فيها بعض البشر إلى القمر للوصول إلى الحقائق التى لم يصل عليها إلى الناس من قبل بعد أن عاشت البشرية فى ظنون وخيالات فى شأن القمر وغيره من الكواكب، وسيكون ما خفى دائما أعظم مما يعلمون، لأن ملكوت الله فوق قوى البشر العلمية مهما صنعوا من الأسباب والوسائل.

ولسوف نستفيد مما يصل إليه أولئك الدارسون آيات وبينات على قدرة الله وعظيم حكمته وبديع خلقه، «إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب».

رأى الدين فى سكنى الكواكب.

قد علمت رأى العقل فيما أسلفناه، وبقى أن نعلم رأى الدين فى الموضوع المعروض عليك أيها القارئ الكريم، ونحن نبسطه إليك كما يلى دون خفاء أو غموض.

من فضل الله علينا نحن أمة محمد أنه ضمن كتابه العظيم رصيدا من الآيات لا يحمل أى كشف علمى أو كونى غريبا عليه أو منافيا لضوابطه وقواعده، بل تراه قد أشار إليه إشارة أو صرح به تصريحا، وإذا كان من قبلنا لم يدركوا مراميه، فإنه بصدد أن ينكشف عنه اللثام ويعرف بذلك قدر الدين الذى جاء به كتابه العظيم، وذلك حينما يتوصل الباحثون إلى ما خفى على الناس من أسرار نصوصه.

فإذا تحقق ما ظنه الناس من مسكونية الكواكب فإن ذلك لا يفاجأ به الإسلام، إذ أنه ليس غريباً على نصوص كتابه المجيد، ولا على أفهام علمائه المحققين.

فن النصوص التى تفهم أن السماء مسكونة قوله تعالى: «ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير». الآية ٢٩ من سورة الشورى، فهذه الآية ناطقة بوضوح أن الله أسكن السموات والأرض دواب بثها فيهما ولقد كان مجاهد من التابعين جريئا حين فسرها بقوله: أسكنهما بالناس والملائكة.

قال الألوسى بعد موافقته على هذا الرأى إنه عبر بها تغليبا لغير ذوى العلم فى السموات والأرض، ثم قال ولا يبعد أن يكون فى كل سماء حيوانات ومخلوقات على صور شتى وأحوال مختلفة لانعلمها ولم يذكر فى الأخبار شىء منها فقد قال تعالى «ويخلق مالاتعلمون» يعنى أن هذه الآية قاسمة مقام الإخبار فى ذكر أنه تعالى يخلق ما لا علم لنا به، ولم نعلمه مفصلا لأنه لاضرورة لنا فى علمه، ونلاحظ أن الرسول لم يخبر الناس بذلك فى أول عهدهم بالرسالة لأنها مظنة تشككهم، فإن الإنسان مجبول على إنكار ما لا عهد له به وما لا دليل عليه مما يقع عليه الحس، وإن كان فى حيز الإمكان العقلى، فكيف يكون موقفهم إيجابيا من مثل هذه التفاصيل وهم حديثو عهد بجاهلية وعبادة أوثان وتقليد للآباء.

والذى لاريب فيه لغة إمكان دخول ذوى العلم فى عموم قوله تعالى: «وما بث فيهما من دابة» إذ لا مانع من تغليب غير ذوى العلم عليهم لكثرته بإطلاق «ما» التى تستعمل لغير العاقل على الجميع فإن ذلك مألوف فى العرف القرآنى، كما فى قوله تعالى: «ولله ما فى السموات وما فى الأرض» الآية من سورة النجم، فإن العقلاء داخلون فى عموم «ما» هنا قطعا، وليست كلمة دابة قاصرة على الحيوانات فإنها من دب يدب دبا ودبيبا أى مشى على هينة، ولهذا أطلقت الدابة على الناس وهم سائرون إلى منى كما فى القاموس وقال الشاعر:

زعمتنى شيخا ولست بشيخ
إنما الشيخ من يدب دبيبا

وكيف لا يدخل الإنسان فى هذا العموم والكلام فى آيات الله تعالى ، فهل يليق أن تقصر الآية على ما بث فيهما من الحيوانات وهم أولى منها بالدلالة على الله تعالى مع مساعدة اللغة على ذلك ، فلهذا يتبين أن رأى مجاهد فى الآية له مايبرره فى اللغة وفى سياق الآية .

وسترى لحبر الأمة ابن عباس فيما يأتى ما هو أوسع وأوضح فى تعدد الأرضين ومسكونيتها بالإنسان .

الأرضون السبع فى القرآن والسنة

يقول الله تعالى فى سورة الطلاق : « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » ويقول جمهور المفسرين كما نقله الآلوسى إن مثلية الأرض للسموات فى كونها سبعا وفى كونها طباقا بعضها فوق بعض ، وبين كل أرض وأرض كما بين السموات والأرض ، وفى كل أرض من خلق الله ما لا يعلم حقيقتهم إلا الله تعالى .

وأخرج ابن جرير الطبرى وابن أبى حاتم والحاكم وصححه والبيهقى فى شعب الإيمان وفى الأسماء والصفات من طريق أبى الضحا عن ابن عباس أنه قال فى الآية : سبع أرضين فى كل أرض نبى كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وإبراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى ، قال الذهبى إسناده صحيح لكنه شاذ ، وفسر شذوذه بقوله لا أعلم لأبى الضحا عليه متابعا ، أى أنه رواية واحد ، وهذا لا يمنع صحته ، ولهذا وصفه بالصحة ، وذلك من الأمور المقررة فى علم مصطلح الحديث .

قال الآلوسى فى تفسيره : والمراد أن فى كل أرض خلقاً يرجعون إلى أصل واحد رجوع بنى آدم فى أرضنا إلى آدم عليه السلام ، وفيهم أفراد ممتازون على سائرهم كنوح وإبراهيم وغيرهما فينا .

ومن هذا تعلم أن القرآن حقق للناس ظنونهم فى تعدد الأرض وسكانها ، وأن حبر الأمة ابن عباس كان أصرح الناس فى تبيان هذا التعدد والقول بمسكونية هذه الأرضين ، ومشابهة ساكنيها لساكنى أرضنا حتى فى إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام إليهم ، فإن ثبت هذا التعدد والمسكونية بأدلة يقينية فى المستقبل فلن تفاجأ به بعد أن علمناه نصاً فى كتاب الله وفهماً لأئمتنا ولقد صرحت السنة الصحيحة بسبعية الأرض ، فلقد صح من رواية الإمام البخارى وغيره قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن » الحديث

ولقد صرح الآلوسى بأنه يجوز أن يكون العدد لا مفهوم له وأنه يمكن أن تكون الأرضون أكثر من سبع وكذلك السموات

(بقية المنشور على صفحة ٤٧)

عود الى قضية السجع والقرآن والباقلانى

للدكتور عبد الرءوف مخلوف

— ٣ —

وأخيراً وفى المقال الثالث مما كتب أستاذنا الدكتور محمد الغمراوى، والذى نشرته المجلة فى عدد صفر ١٣٨٨ يقرر سيادته «أن قضيته : هل فى القرآن سجع، وإن كانت تفقد أهميتها بعد الاتفاق على أن السجع إن كان فى القرآن فهو برىء من كل تكلف». وأنا وإن كنت لا أوافق على أن القضية تفقد أهميتها، فإنى أشكر لسيادته تقريره هذه الحقيقة، وأعنى حقيقة أن فى القرآن أسجاعاً وأنها من النوع البرىء من التكلف. ولقد أسهبت أما فى نفى التكلف عن أسجاع القرآن، حتى ما خلت صفحة، ولا فقرة من فقر المقالات التى نشرتها فى المجلة تحت هذا العنوان، من تقرير ذلك، وتأكيد أن المواطن التى حفلت بالسجع فى القرآن الكريم جاءت وقد برئت من التمحل أو التكلف. سنة الله فى كل ما يأتى ويدع، سبحانه وتعالى : «إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون».

ثم يقرر سيادة أستاذنا أيضا «أن قضية السجع قضية أدبية». وذلك أيضا من تقرير الحق الذى أشكر له عليه، غير أنه يستدرك فيقول : «إلا أنها صالحة للدراسة بالطريقة العلمية من حيث الاستقراء أولا، ثم الاستنباط». وهل فى رأى سيادته أنى خالفت عن ذلك حتى يستدرك، وهل صنعت فى دراسة القضية غير أن استقرأت واستنبطت. ثم وصل بى الاستقراء الطويل، والاستنباط اليقظ إلى أن فى القرآن سجعا. ولكنه السجع الذى أعجز العرب، كهانها وشعراءها وخطباءها عن أن يأتوا بمثله ؟

ويقول سيادته مناقشا أصول الاستقراء وشروطه : «إنه لا يكفى فى الاستقراء ... الاقتصار على الأمثلة المحدودة التى تنافى محدوديتها معنى الاستقراء ...»، وكأنى به تنازعه نفسه أنى اقتصرت فى استقرائى على أمثلة محدودة، ولكننى أطمئن أستاذى إلى أنى لم أقتصر فى تتبعى على أساليب القرآن وآياته، على أمثلة محدودة، وإنما استقرأت، وقرأت القرآن كله، واستقرأت كثيراً، وكثيراً جداً من كلام العرب، فى رسائلها وخطبها، فى ماضيها الموغل فى القدم، وفى حاضرها المحدث، وفيما بين هذا وذاك،

فأمضيت فى ذلك بضع سنين ، وموضوع السجع جزء من دراسة جامعية فرغت لها ، وأعطيتها من جهدى ووقتى ما أعطيتها . وما كتبت ما كتبت فى مجلة الأزهر إلا بعد استقراء استوفى شروط الاستقراء الصحيح ولم يكن ما كتبته مجرد خواطر ألقيت فى روعى فألقيت بها فى مجلة الأزهر ، وإنما كان ما كتبته خلاصة دراسة مستأنية مستقرئة انتهت بى إلى أن فى القرآن سجعا ، ولكنه السجع الذى تسمو به العبارة إلى مرتبة لا تبلغها قدر البشر ، ولم أغفل فى أثناء هذه الدراسة الأصلين الهاديين ـ كما يقول سيادته : أصل إعجاز القرآن ، وأصل تنزيه القرآن عن التكلف .

ولو أن أستاذنا استأنى حين قرأنى ، واستأنى حين كتب يرد على رأيى ، ولم أضيف القرآن فى إعجازه ، ولوجدنى أنزهه عن التكلف والتمحل ، وحاشا وهو تنزيل من حكيم حميد .

ولو أنى أعلم علم اليقين غيرة أستاذى على أسلوب القرآن وإعجازه ، وأعلم تصديه لأول قضية أثيرت حول القرآن من أربعين عاما ، وأعلم بلاءه فيها وقيامه بعبء الرد عليها أقوى ما يكون الرد يومئذ . لقلت مقالا غير هذا .

على أنى أضيف إلى الذى كتبت حول القرآن أنه كما قال الرازى : « ما من حرف ولا حركة فى القرآن إلا وفيه فائدة » ، ثم إن العقول البشرية تدرك بعضها ، ولا تصل إلى أكثرها ، وما أوتى البشر من العلم إلا قليلا » . ولقد أثبت هذا المعنى وأكدته فى مواطن كثيرة من رسالتى للماجستير[1] وللدكتوراه وخصصت هذه الفكرة ذاتها بفصل مسهب جعلت عنوانه « هل يتفاوت أسلوب القرآن بالحقيقة والمجاز » ولعل أنشر منه ما يغنى القارىء الذى لا يتسع وقته لقراءة البحوث المطولة ، وما ننشره فى مجلة الأزهر إن هو إلا خلاصة دراسات مطولة لا تتسع لها المجالات بعادة .

وإذا كنت تحدثت فى قضية السجع عن المشاكلة بين رءوس الآى فى القرآن الكريم ، وأن هذه المشاكلة فى النبرة والجرس ونوع الصوت مما يضفى على الأسلوب جدة وحلاوة ، وأنها من الأهمية فى الصياغة الفنية بحيث يحسب حسابها ، ويقام لها وزن أى وزن ، واعتبار أى اعتبار ، وأن ذلك فى القرآن الكريم مما يسر وييسر على الناشئين ـ بل وعلى الكبار ـ حفظه فإنى أحمد لأستاذنا الدكتور الغمراوى أنه يقول فى القضية : « على أن موسيقى العربية ، وربما موسيقى النفس الإنسانية حقيقة واقعة فى الكلم القرآنى ، فى كل آية منه » ، ولم يبق إلا أن نطلب سر ذلك » ولعل سر ذلك أن يجرى القرآن فى نظمه مع حقيقة النفس الإنسانية وطبيعتها الموسيقية كما يقول سيادته .

(١) طبعتها موجزة فى سلسلة أعلام العرب « ابن رشيق الناقد الشاعر » عدد ٤٥

ثم يقول أيضا « وإذا كان السجع جزئيــة من جزئيات تلك الموسيقى فهو جزئية صغرى، وأصف هنا وقفة قصيرة لأقول إنه من الذرة الصغيرة يتكون العالم الكبير ، ومن جزئيات القرآن أو جزئيات اللغة يتكون النص القرآني وتتكون اللغة

وحسبي ما قال السيد الأستاذ الدكتور في أمر السجع وأنه على كل حال سجع لاتكلف فيه وما أيسر على الله أن يحقق لعباده أقصى الموسيقى اللغوية في كتابه الكريم من ألفاظ العربية ، كما حقق لهم في الفطرة ألفاظا من الجمال شتى ، من عناصر محدودة وموجات محدودة ، ذلك هو عين ما قلته فيما كتبت عن « السجع والباقلاني والقرآن الكريم » .

بقي أن أستاذي قال عني إني نقلت من السيوطي ما نقلته عما أخذ على - كما يقول - في مقاله الأول ، وبرغم إتفاقه معي ورجوعه إلى أن في القرآن سجعا ، كما قلت في مقالاته الثلاث ، أقول برغم أننا اتفقنا ، أو أن سيادته اتفق معي بعد اللتى والتيا ، فإني إنصافا للحقيقة العلمية أولا ، ولنفسي ثانياً ، أقرر أنه غير صحيح أني رجعت للسيوطي في إتقانه ، وإذا كنت قرأته فإني لا أعده ولم أعده من المراجع لأنه هو دائما ينقل عن غيره ، ومن ثم فمصادري أقدم من السيوطي بكثير لاسيما إذا عرف أن الباقلاني مات سنة ٤٠٣ ، أي قبل السيوطي بقرون.

ولعل أستاذي لو رجع إلى مصادر بحثي في رسالة الدكتوراه - ومن بين أبوابها السجع - لم يجد للسيوطي ذكراً لا في البحث ولا في مصادره ولا في مراجعه ، ولعله من الآكد أنه لم يكن في حسبانه أن سيناقشني سيادته فأخفي ذلك المرجع يومذاك ، على أن الفكرة في ذهني وكتبت منها عرضا سنة ١٩٥٥ في رسالة الماجستير أيضا ولم يكن السيوطي من مثيريها في ذهني يومذاك ولا بعد ذلك .

وهكذا لا يكون السيوطي ، ولا ابن الصائغ من مصادري كما زعم سيادته على الظن وليس باليقين ، وأما أن آيات موسى وهرون وحديث السجع المرتبط بها جاء في السيوطي أو عند ابن الصائغ فإني أذكر لأستاذنا أن أقدم من تحدث عنها في هذا الصدد إنما هو الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، وذلك في كتابه « البيان والتبيين » فيما وقع لي من مؤلفات ، ولعل الجاحظ أن يكون نقل من غيره .

ومع ذلك كله فلأستاذنا الدكتور أن يناقش ابن الصائغ في كثير مما ذهب إليه في كتابه ، وقــد فعل حيث كتب قرابة خمس صفحات من جملة صفحات مقاله المنشور في عدد صفر سنة ١٣٨٨ هـ وعدتها سبع صفحات وليس له من تعقيب على ذلك ، إلا أنه كان أفضل لو جعل للمقال عنوانا غير

العنوان الذى يرد به على ، أما أن أكون بمقالاتى مدخلا الرد على ابن الصائغ فمسألة فيها نظر .

وأخيراً أشكر لأستاذنا الدكتور الغمراوى ما جاء فى مقاله من « أن على أهل القرآن أن يقفوا منه موقف علماء الفطرة من الفطرة ، يلتمسون منه ، ولا يتحكمون فيه برأى ، ويتحاكمون إليه حتى فى أمور الفن والأدب ، ويجعلون إعجازه فى الأسلوب وفى المعنى متآزرا ... » ، وأطمئن سيادته إلى أن ذلك هو ديدننا حين نتعرض لدراسة إعجاز القرآن فى الأسلوب وفى المعنى . والله يعصمنا من القول فى جنب القرآن بما لا يرضى ، وشكرا لأستاذنا الذى فتح أمامنا باب القول فى جنب القرآن ، وفى جنب اللغة العربية بما نطمع أن يكون الحق والصواب؟

د . عبد الرءوف مخلوف

(بقية المنشور على ص ٤٣)

والاقتصار على العدد المذكور لا يستدعى نفى الزائد فلو ثبت هذا الذى قاله الألوسى يقينا أمكن تأويل الدليل السمعى ، فإن من القواعد المقررة فى أصولنا أنه متى عارض الدليل العقلى الدليل السمعى وجب تأويل الدليل السمعى لأجل الدليل العقلى .

قال الألوسى ولا أرى بأسا فى ارتكاب تأويل بعض الظواهر المستبعدة بما لا يستبعد وإن لم يصل الاستبعاد إلى حد الامتناع إذا تضمن ذلك مصلحة دينية ولم يستلزم مصادمة معلوم من الدين بالضرورة ، أقول ومن ذلك قوله تعالى « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح » فإنه ظاهر فى أن الكواكب فى السماء الدنيا ، وهذا يمكن تأويله بأن الآية جاءت على ما نشاهده فلا يضر كونها كلا أو بعضاً فوقها أو تحتها كما قال الألوسى ولم يقم دليل على أن شيئاً من الكواكب مغروز فى شىء من السموات كالفص فى الخاتم والمسمار فى اللوح بل فى بعض الأخبار ما يدل على خلافه ثم قال وبالجملة من صدق بسعة ملك الله تعالى وعظيم قدرته عز وجل لا ينبغى أن يتوقف فى وجود سبع أرضين على الوجه الذى قدمناه ، وليس فى ذلك ما يصادم ضرورياً من الدين أو يخالف قطعيا من أدلة المسلمين .

ولعل القول بذلك التعدد هو المتبادر من الآية وتقتضيه الأخبار . ومع هذا هو ليس من ضروريات الدين فلا يكفر منكره أو المتردد فيه ، لكن لا أرى ذلك إلا عن جهل بما هو الأليق بالقدرة والأحرى بالعظمة والله تعالى هو الموفق للصواب.

مصطفى محمد الحديدى الطير

أدعية القرآن

للأستاذ أبو الوفا المراغي

الدعاء ملاذ كل مكروب ، وأمل كل خائف وهو مظهر من مظاهر الفطرة الإنسانية ، فحين تنقطع الأسباب ، وتتأزم الأمور ، وتنفذ الحيل ، يبرأ الإنسان من حوله وقوته وجاهه وسطوته ، ويقبل بقلبه ولسانه إلى من له الحول والقوة والجبروت والعزة كما قال تعالى : « وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون » .

والدعاء مخ العبادة — كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — أى لبها وخالصها ، لأن فيه إظهار الافتقار إلى الله والتخلى عن الحول والقوة ، تلك أمارة العبودية ، واستشعار ذل البشرية ، كما أنه يتضمن الثناء على الله وإسناد الكرم والجود إليه ، ولأن الداعى إنما يدعو عند انقطاع أمله عن سوى الله ، وذلك حقيقة الإخلاص والتوحيد ؛ فالدعاء ليس قولا باللسان فحسب ، وإنما هو تضرع باللسان يصدقه ، تضرع بالقلب وإخبات واستسلام لله ، والإخبات والاستسلام يقتضيان أن يكون الداعى واقفا عند حدود الله مؤتمرا بما أمر به منتهيا عما نهى عنه ليكون قريبا من الله حتى يستجيب دعاءه ، وكلما ازداد المرء معرفة بربه وقربا منه اشتد تضرعه إليه وتزلفه منه ، وكان على علم بأدب الدعاء وأسلوب الضراعة .

وقد تضمن القرآن نماذج للأدعية ، ناجى بها أنبياء الله ورسله ربهم ، وكانت غاية فى رقة الاستعطاف والضراعة وحسن الطلب ، كما كانت غاية فى البلاغة وقوة النسج والصياغة وتجردت من الأنانية والذاتية ، فلم تكن تقتصر على طلب الخير الشخصى ، بل كانت فى أكثرها دعوات عامة لخير البشرية والإنسانية ولم تكن دعاء فحسب ، بل كانت دعاء وثناء صراحة وإيماء .

وقد كانت للأنبياء دعوات مختلفة ، فدعوات بأن ينصرهم الله على أعدائهم ومن يقف فى طريق دعواتهم ليبلغوها كما أمروا ومن دعاء نوح عليه السلام . « رب انصرنى بما كذبون » ، ودعوات بأن يغفر لهم ذنوبهم ومن دعاء موسى عليه السلام : « رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم » ، ودعوات بأن يهبهم الله العلم والمعرفة ويجعلهم من الصالحين ، ومن دعوات إبراهيم

عليه السلام : « رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين» ودعوات بأن يهبهم الله ذرية مباركة ومن دعاء زكريا عليه السلام : « وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » .

وربما كان أكثر الأنبياء دعوات وتوجهات إلى الله : إبراهيم عليه السلام ، وفى سورة البقرة وإبراهيم والشعراء أمثلة لهذه الدعوات .

ونلاحظ أن أكثر الدعوات تفتتح بلفظ رب أو ربنا وهو أنسب ما تفتتح به الدعوات لأنه اعتراف من الداعى ابتداء بأن الله هو المالك لجميع الخلائق والمتولى شئونهم ، فلا يخرج عن ملكه وتدبيره وهيمنته شىء .

ومن دعوات القرآن ما هى دعوات عامة تعبر عن حاجات كل مسلم وأمانيه فى الدنيا والآخرة ، وفى الدعاء بها طلب ما هو مرغوب كما أنها تلاوة للقرآن وذكر لله وثناء عليه ، فجدير بكل مسلم أن يجعلها ديدنه وورده ، يرطب بها لسانه ويلين بها قلبه ، وحسبنا أن نذكر أمثلة لهذه الدعوات العامة يدعو بها المسلم فى خشوع وإخبات ، مستشعرا هيبة من يدعوه وسلطان من يلجأ إليه وقدرته على إجابة الدعاء وتحقيق الرجاء .

قال تعالى : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » .

وقال تعالى : « ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار » .

وقال تعالى : « رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » .

وقال تعالى : « ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا » .

وقال تعالى : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم » .

وبالتزام أدعية القرآن يأمن الداعى من العثار فى الدعوات ، ويستجمع الشروط التى أرشد إليها العلماء فى الدعاء ، فليس بعد أدعية القرآن دعاء ، وليس بعد أدبه أدب ، فقد كان العلماء يستكرهون التكلف فى الدعاء بالسجع والتحذلق فيه بالتحديد والتقييد ، ويستحبون أن يجرى فيه الداعى على سجيته وطبعه ، ويدعو بما يخامر نفسه ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم إذا دعا :

(البقية على صفحة ٥٣)

جريمة الزنا بين الشريعة والقانون

للاستاذ عبد الخالق النواوى

— ١ —

الجرائم كلها أيا كان نوعها فيها اعتداء على المجتمع ، أو بعبارة تتفق مع الشريعة الإسلامية اعتداء على حق الله تعالى ، فمن زنى ، أو سرق ، أو حارب الله ورسوله وسعى فى الأرض فسادا فهو معتد على المجتمع وفى نفس الوقت يعتبر معتديا على حق الله ، وقد جاء هذا فى قوله تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله » . « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا ، نكالا من الله والله عزيز حكيم » . « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه » . والعقوبة ، على كل الجرائم أيا كان نوعها ، فيها حماية للمجتمع وفى الوقت نفسه حماية لحق الله .

وفى هذا البحث سنتكلم عن جريمة الزنا والعقوبة المقررة لها فى القانون الجنائى ، والشريعة الإسلامية :

أولا : فى القانون الجنائى

المقصود بالزنا طبقا للقانون الوضعى هو خيانة العلاقة الزوجية بشرط وجود عقد زواج صحيح قائم فعلا أو حكما ، فالقانون عندما نص على هذه الجريمة لم يأخذ فى اعتباره مجرد الوطء من مكلف زوجا أو غير زوج كما هو الحال فى الشريعة الإسلامية ، وإنما نظر إلى تدنيس فراش الزوجية .

فإذا لم يكن الشخص متزوجا فلا يكون مرتكبا لجريمة فى نظر القانون وإن زنى مع امرأة متزوجة لا يعاقب باعتباره زانيا وإنما باعتباره شريكا لامرأة زانية .

فلا بد إذن أن يكون أحد طرفى الجريمة أو كلاهما متزوجا ، وإلا فلا جريمة فى الأمر وتأسيسا على ما تقدم سنستعرض الفروض الآتية :

(١) إذا وقع الزنا من رجل غير متزوج مع امرأة غير متزوجة فلا جريمة ولا عقاب .

(٢) إذا وقع الزنا من رجل غير متزوج مع امرأة متزوجة تقع جريمة الزنا من الزوجة فتعتبر فى نظر القانون زانية ولا يعتبر الرجل زانيا وإنما شريكا لها إذا توافرت شروط معينة سنذكرها فى حينها .

(٣) إذا وقع الزنا من رجل متزوج مع امرأة غير متزوجة تقع جريمة الزنا من الزوج فيعتبر فى نظر القانون زانيا ولكن يشترط أن يرتكب الجريمة فى منزل الزوجية أى على فراش زوجته وتكون المرأة التى زنى بها شريكة له .

(٤) أن يقع الزنا من رجل متزوج مع امرأة متزوجة وفى هذا الفرض يكون الرجل زانيا بشرط أن ترتكب الجريمة فى منزل الزوجية ، والمرأة زانية ، فإن وقعت الجريمة فى غير منزل الزوجية كانت زانية وكان الرجل مجرد شريك لها .

هذه النماذج استخلصناها من نصوص القانون الجنائى فى جريمة الزنا ، ومنها يتضح لنا أن المشرع قد جانبه الصواب عند تقريرها . فلم يكلف نفسه مجرد المرور العابر على أحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بموضوع الزنا ، فجاءت أحكامه منحرفة وغير عادلة ، وأكبر دليل على ذلك أنه لم يعتبر الرجل المتزوج زانيا إلا إذا ارتكب جريمة الزنا فى منزل الزوجية ، أما إذا زنى فى مكان آخر غير منزل الزوجية فلا يعتبر زانيا رغم أنه متزوج .

كما أنه ـ أى المشرع ـ أباح الزنا للرجل والمرأة الغير متزوجين ، وهذا لا نرضاه منه وله ، فالمسألة إذن تستدعى حلا تشريعيا وخير حل عندنا هو الاهتداء بأحكام الشريعة الإسلامية فى هذا الخصوص بما يتناسب ومجتمعنا المعاصر .

بهذا نكون قد عرفنا الزنا طبقا لنصوص القانون الجنائى .

ثانيا : فى التشريع الإسلامى .

أما فى الشريعة الإسلامية فإن الزنا هو كل صلة جنسية محرمة بين رجل وامرأة ، فلا يشترط أن يكون أحدهما أو كلاهما متزوجا إذ الزواج ليس ركنا فى الجريمة كما هو الشأن فى القانون الجنائى ، وإنما هو ظرف مشدد فقط للعقاب إذ بالزواج تتعدد عقوبة الزنا من الجلد إلى الرجم حتى الموت .

كيفية إثبات الزنا فى القانون :

فرق القانون الجنائى فى الإثبات فى جريمة الزنا بين كل من :

(١) الزوج الزانى ، الزوجة الزانية ، وشريكة الزوج الزانى .

(٢) شريك الزوجة الزانية .

أولا : بالنسبة للزوج الزانى ، والزوجة الزانية ، وشريكة الزوج الزانى :

إثبات جريمة الزنا بالنسبة لهؤلاء يخضع لتقدير القاضى الذى يتمتع بحرية مطلقة فى تكوين عقيدته من أى دليل يعرض عليه فهذه الجرائم شأنها شأن أى جريمة أخرى يمكن التدليل عليها بأى دليل من الأدلة

المعروفة فى القانون كشهادة الشهود، والقرائن والاعتراف وغيرها .

ثانيا : بالنسبة لشريك الزوجة الزانية :

أما بالنسبة لشريك الزوجة الزانية فقد نص القانون فى المادة ٢٧٦ عقوبات أنه على القاضى أن يستمد اقتناعه على الإدانة من أدلة معينة أوردها على سبيل الحصر وهى :

(١) القبض عليه حين تلبسه بالفعل .
(٢) اعترافـــه .
(٣) وجود مكاتيب أو أوراق أخرى صادرة منه .
(٤) وجوده فى منزل مسلم فى المحـــل المخصص للحريم .

هذه الطريقة التى سلكها المشرع بالنسبة لشريك الزوجة الزانية اقتبسها من القانون الفرنسى ، فهى طريقة غير مفهومة ، فما هى الحكمة التى أرادها المشرع من إطلاق محاكمة الزوج الزانى ، والزوجة الزانية ، وشريكة الزوج الزانى من كل قيد وإخضاع محاكمتهم للقواعد العامة فى الوقت نفسه الذى يجعل فيه محاكمة شريك الزوجة الزانية وحده مقيدا بأدلة محدودة أوردها على سبيل الحصر .

وإنى لأتساءل ما هو الرأى فى هذه القضية ؟ قدمت زوجة زانية ومعها شريكها للمحاكمة وقد ثبتت الجريمة عليهما بشهادة الشهود وشهادة الشهود يثبت بها زنا الزوجة ولا يثبت بها زنا الشريك طبقا للشروط التى نص عليها قانون العقوبات .

فى هذه الحالة يصدر الحكم بإدانة الزوجة وبراءة الشريك مع أن الجريمة واحدة بل هى لم تتم إلا بفعل الشريك !

ولنناقش الآن الشروط التى حددها القانون لإثبات جريمة الزنا على شريك الزوجة الزانية والسابق الإشارة إليها .

(١) القبض عليه حين تلبسه بالفعل :

عرف قانون الإجراءات الجنائية حالة التلبس بأنها مشاهدة الجرم وقت ارتكاب الجريمة أو عقب ارتكابها ببرهة يسيرة ، أو إذا تبعه المجنى عليه أو العامة بالصياح عقب وقوعها .

وبخصوص جريمة الزنا فالتلبس معناه أن تكون المرأة وشريكها فى حالة تقطع بوقوع الزنا ولا تدع مجالا للشك فى وقوعه سواء تم هذا عن طريق رؤيتهما أو سمعهما .

وسأقدم لكم الآن بعض النماذج الحية من قضايا عرضت على محكمة النقض وقضى فيها بتوافر حالة التلبس .

(١) إذا شهد شاهد بأنه دخل على المتهمة وشريكها فجأة فى منزل المتهمة فإذا هما بغير ملابس داخلية وقد وضعت هذه الملابس بجوار بعض وحاول المتهم الهرب عندما

أمر الشاهد على ضبطه ثم توسلت الزوجة أن يصفح عنها وتعهدت له بالتوبة فتأثر بذلك وأخلى سبيلهما .

(ب) إذا كان الزوج قد فاجأ المتهم فى منزله ليلا خالعا ملابسه الخارجية ومختفيا تحت مقعد فى غرفة مظلمة بينما كانت الزوجة فى حالة اضطراب وكانت تتظاهر بالنوم بادىء الأمر عند دخول زوجها ومفاجأته لها

(ج) إذا شهد الشهود بأن زوج المتهمة حضر لمنزله فى الساعة العاشرة ليلا ولما قرع الباب فتحته وهى مضطربة مرتبكة ، وقبل أن يتمكن من الدخول طلبت إليه أن يعود للسوق ليستحضر لها حلوى فاستمهلها قليلا ولكنها ألحت عليه فى هذا المطلب فاعتذر غير أنها عادت وطلبت منه أن يستحضر لها حوائج أخرى فاشتبه فى أمرها ودخل غرفة النوم وفيها وجد المتهم تحت السرير مختفيا وكان خالعا حذاءه . وكانت زوجة هذا الرجل عند قدومه لا شىء يسترها غير قميص النوم .

هذه هى بعض القضايا التى أصدرت فيها محكمة النقض حكمها بتوافر حالة التلبس بالنسبة لشريك الزوجة الزانية .

وسنستكمل بقية البحث فى مقالات قادمة إن شاء الله .

عبد الخالق النواوى

(بقية المنشور على صفحة ٤٩)

اللهم اغفر لى إن شئت ، اللهم ارحمنى إن شئت ليعزم المسألة ، فإنه لا مكره له » . وقال : « إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة ، فإن الله لا يتعاظمه شىء » .

ونلاحظ فى الدعوات القرآنية أنها اتجاه إلى الله مباشرة دون واسطة ، وهذا مما اختص به الإسلام ، فإنه ألغى الواسطة بين العبد وربه ، فالناس جميعا بين يدى الله سواء فى الدعاء تجمعهم العبودية الخالصة ويؤهلهم للقرب منه والحظوة لديه الصلاح والتقوى والتذلل والخشوع وطلب ما فيه الخير للداعى وللناس لا ما فيه الإثم وأذى العباد ، وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه من حديث طويل عن النبى صلى الله عليه وسلم « أعطيت ثلاثا لم تعط الأنبياء : كان الله إذا بعث نبيا قال ادعنى أستجب لك . وقال لهذه الأمة ادعونى أستجب لكم » .

فاللهم أعلنا لمناجاتك ، ووفقنا لمرضاتك واجعل دعاءنا مقبولا غير مردود يا مجيب السائلين ؟

أبو الوفا المراغى

القاهرة المعزية

للأستاذ عباس حلمي إسماعيل

لما دخل جوهر الصقلي مصر سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) عدل عن اتخاذ كل من الفسطاط والعسكر حاضرة لولايته ، وفكر في تأسيس مدينة جديدة ، تكون مقرا للملك الفاطميين ومركزا لنشر دعوتهم الدينية ، فوضع أساس مدينة القاهرة في ١٧ من شعبان سنة ٣٥٨ هـ وحاطها بسور كبير من اللبن . وقد أطلق اسم القاهرة على الجزء الواقع بين الأسوار ، وتشمل : أحياء : الجامع الأزهر والجمالية والحسينية وباب الشعرية والموسكي وباب الخلق ، على حين كان يعرف الجزء الواقع خارجها بظاهر القاهرة ، وهو عبارة عن خطط وأحياء تمتد إلى جامع أحمد بن طولون وجبل المقطم والجهة المقابلة له من شاطئ النيل ، وتعرف بأحياء : بولاق وشبرا وباب اللوق . وتقع القاهرة المعزية شمال الفسطاط تحد شرقا بباب البرقية (الدراسة) والباب المحروق ، وغربا بباب سعادة وباب الفرج وباب الخوخة ، وشمالا بباب النصر ، وجنوبا بباب زويلة : إحدى قبائل المغرب التي قدمت إلى مصر على إثر الفتح ، وهو المعروف عند العامة ببوابة المتولى ، نسبة إلى متولى الحسبة في مدينة القاهرة : إذ كان يجلس على مقربة من هذا الباب ثم وضع جوهر أساس القصر المعزى ، في ذلك الفضاء الفسيح الواقع شرق القاهرة في المكان الذي يقع فيه الآن خان الخليلي ومسجد الحسين ، وكان الخليفة يسكن فيه ويباشر أعمال الدولة ، وأعدت فيه أبنية لدواوين الحكومة وخزائن السلاح ، وقيل إنه كان يحتوى على أربعة آلاف حجرة ، وله أبواب كثيرة منها : باب الذهب ، وباب العيد وباب الديلم ، وباب زمردة ، وسمى بذلك لأنه كانت تشم منه رائحة اللحم المشوى ، وكان غربى القصر الشرقى قصر آخر أصغر منه ، بناه الخليفة الفاطمي العزيز بالله في مكان سوق النحاسين . وأطلق اسم بين القصرين على الفضاء الذي وسع عشرة آلاف من الجند اصطفوا لحراسة الخليفة (١) .

كانت القاهرة على عهد الفاطميين من أهم مراكز الصناعة ، فقد بلغ التطريز الجودة والدقة ، كما ازدهرت صناعة المنسوجات الحريرية (٢) وتجلت مهارة المصريين وحذقهم في الكسوة التي أمر الخليفة المعز بصنعها للكعبة الشريفة ، وكانت مربعة الشكل

---

(١) د . على إبراهيم : جوهر الصقلي

(٢) د . زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين

مشغولة من ديباج أحمر ، سعتها مائة وأربعون شبرا ، وفى حافاتها اثنا عشر هلالا ذهبيا ، كما كانت مرصعة بالياقوت الأحمر والأصفر والأزرق ، ونقشت فى حافاتها الآيات التى وردت فى الحج بحروف الزمرد الأخضر ، وزينت هذه الكتابة بالجواهر الثمينة . وبنى المعز فى القاهرة دار الكسوة ، حيث كانت تفصل الثياب للعاملين على اختلاف مراتبهم . وقدمت الحلل إلى الوزراء والأمراء والأشراف فى عيد الفطر ، ولذلك سمى هذا العيد بعيد الحلل . كما قدمت الحلل المزركشة بالذهب لكبار رجال الدولة فى غرة رمضان وفى الاحتفال بالجمع الثلاث الأخيرة منه .

ومن مظاهر تقدم القاهرة على عهد الفاطميين الأسواق التجارية التى عمرت بحوانيت البزازين ومتاجر الأمتعة والمأكولات على اختلاف أنواعها . ومن هذه الأسواق سوق الدجاجين حيث كان يباع من الدجاج والأوز شيء كثير وبه حانوت فيه العصافير التى يبتاعها الولدان ليعتقوها ويباع العصفور بفلس ، ويخدع الصبى بأن من يعتقه يدخل الجنة ، ولكل واحد حينئذ رغبة فى فعل الخير وفى كل يوم جمعة يباع فيه أصناف القمارى والهزازات والشحارير والببغاء والسمانى وكان سوق الحلاويين من أبهج الأسواق ، به من الحلاوات المصنفة عدة ألوان ، وتسمى المجمعة ، وصنع فيه من السكر أمثال خيل وسباع وقطاط تسمى العلاليق ، ترفع بخيوط على الحوانيت ، منها مايزن عشرة أرطال إلى ربع رطل ، تشترى للأطفال[1]

وأورد ناصرى خسرو الشاعر الفارسى ، ما كانت عليه القاهرة من يسر ورخاء ، عندما قدم إليها سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) فذكر فى كتابه سفر نامه أنه شاهد كثيرا من المدن العظيمة فى بلاد الفرس والعراق ، وأن القاهرة قد بذت غيرها من مدن العالم الإسلامى فى العظمة والجلال ، وأن الفنادق والحمامات وغيرها من المنشآت العامة ، كانت كلها ملكا خاصا للخليفة ، وأن الدور مبنية بالحجر لا باللبن ، يفصل بعضها عن بعض حدائق غناء . كذلك وصف ناصرى خسرو البلاط الفاطمى وأبهته ، وذكر أن القاهرة فى رغد من العيش ، وأن الخليفة المستنصر محبوب جدا من الناس ، ولم يكن أحد يخشى سلبا أو تعديا فى ظل حكومته .

وقد عنى الفاطميون بغرس كثير من البساتين بالقاهرة ، منها البساتين الجيوشية ، وهى عبارة عن بستانين كبيرين ، يمتد أحدهما من باب الفتوح إلى المطرية ، والآخر يمتد من باب القنطرة إلى الخندق .

وبلغ من ولع الوزير الأفضل بن بدر الجمالى بالبستان ، أن بنى له سورا يشبه سور القاهرة ،

(١) المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .

وحفر به بركة كبيرة كما بنى فى وسطه منظرة على أربعة أعمدة من الرخام، وزرع حواليها شجر النارنج، وجعل على هذه البركة أربعة سواق، وجلب إليه الطيور المسموعة، واستخدم للحمام عدة مطيرين، وسرح فيه كثيرا من الطواويس. وبلغ ثمن الفاكهة والزهور التى بيعت من هذه البساتين سنة ٥٢٤هـ - ١١٣٠م نيفا وثلاثين ألف دينار، كما بلغ عدد أشجار النخل والجميز التى كانت تحيط بأسوار هذه البساتين سبعة عشر مليونا ومائتى ألف شجرة، عدا ما غرس من الليمون المطعم بالتفاح الذى كان يؤكل بقشره لحلاوة طعمه.

وكان من مظاهر القاهرة الفاطمية المواكب والاحتفالات التى كانت على شىء كبير من الأبهة والعظمة فى أيام الأعياد والمواسم الدينية، فقد عنى الخلفاء الفاطميون بالاحتفال بعيدى الفطر والأضحى احتفالا رائعا، ففى ليلة عيد الفطر كان يقام بالإيوان الكبير، الذى يقابل مجلس الخليفة، سماط ضخم طوله نحو ثلثمائة ذراع، وعرضه سبعة أذرع، ثرت عليه صنوف الفطائر والحلوى الشهية، مما أعد فى دار الفطرة الخليفية، فإذا انتهى الخليفة من صلاة الفجر، عاد إلى مجلسه، وفتحت أبواب القصر والإيوان، وهرع الناس على اختلاف طبقاتهم إلى السماط الخليق، وتناولوا ما عليه من الطعام بمشهد من الخليفة ووزرائه، وإذا طلعت الشمس خرج الخليفة فى موكبه إلى الصلاة، ولما يعود الخليفة من الصلاة، يقام سماط آخر أبهى وأروع، فيجلس الخليفة وأمامه مائدة من فضة يقال لها المدورة عليها أوانى الذهب والفضة، ملأى بأفخر ألوان الطعام وأشهاها. وقبالتها سماط ضخم، يتسع لنحو خمسمائة مدعو نثرت عليه الأزهار والرياحين، وصفت على جانبيه الأطباق الملأى بصنوف الشواء والطيور والحلوى، ويجلس إليه رجال الدولة وعظماؤها. وأما عيد الأضحى، فكان يحتفل به بركوب الخليفة إلى الصلاة ثم يختص بسماط حافل يقام فى أول يوم، ويركب الخليفة ثلاث مرات متواليات، فى الأيام الثلاثة الأولى، ويشترك الخليفة نفسه فى إجراءات النحر، فبعد أن يفرغ من صلاة العيد، يتشح ثوبا أحمر اللون، ويركب إلى المذبح، حيث يكون الوزير وقاضى القضاة والأستاذون المحنكون وغيرهم فى انتظاره. وإذا وصل الخليفة ذبح بيده بين تكبير المكبرين إحدى وثلاثين ناقة وبعيرا. وكان ينظم فى اليوم التالى نفس الموكب الخليق إلى المنحر، حيث يذبح الخليفة بيده سبعة وعشرين رأسا، وفى اليوم الثالث ثلاثة وعشرين [1]

واقترنت الاحتفالات الرسمية بالاحتفالات

---

(١) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون فى مصر.

والمآدب الشعبية واستقبل المصريون المواسم بمظاهر البهجة إلا يوم عاشوراء ، فكان يوم حزن شامل ، تعطل فيه الأسواق ، ويخرج المنشدون إلى الجامع الأزهر، حيث ينشدون الأناشيد المحزنة فى رثاء سيد الشهداء الحسين ابن على ، وابن فاطمة الزهراء ، رضى الله عنهم وأرضاهم .

ويقام سماط يسمى : سماط الحزن ، فى بهو صغير، ويمد عليه خبز الشعير والعدس والجبن ويحضره الخليفة ملثما مرتديا الثياب القاتمة

واتجهت سياســـة الفاطميين إلى اجتذاب المصريين بالعطايا والهبات فى المواسم ، ومنها ليالى الوقود وهى : ليلة أول رجب ، وليلة نصف رجب ، وليلة أول شعبان ، وليلة نصف شعبان.وكان الناس تبعا لتعاليم الفاطمية يصومون فى هذه الأيام الأربعة كصومهم رمضان،وإذا احتفلوا بها كما احتفلوا برمضان

وكان الاحتفال بوفاء النيل من أعظم الاحتفالات ، يحضره الخليفة ، وفى ركبه عشرة آلاف فارس ، يمتطون الخيل المطهمة الملجمة ، ويلبسون الدروع المحلاة بالذهب والأحجار الكريمة المكسوة بديباج مطرز باسم الخليفة، ويلى هؤلاء صفوف من الجمال عليها هوادج مزركشة تقودها طائفة من جند الخليفة ، ميممين فم الخليج ، مرتدين الحلل السندسية المصنوعة فى بلاد الروم ، حاملين المعاول والمزاريق ،ويسير إلى جانب الخليفة حامل المظلة ، ويحف بهما خصيان يطلقون البخور على جانبى الطريق ،حتى إذا ما وصل إلى الفسطاط المقام عند فم الخليج ، ووقف الناس له إكبارا، قذف المزراق فى سد النيل ومن ثم ينطلق الناس يعملون فى هذا السد بمعاولهم ، فينساب الماء . وعندئذ يهرع الناس إلى زوارقهم فرحين ، يحملهم زورق يضم جماعة من الصم والبكم ، تيمنا وتفاؤلا.

هكذا كانت القاهرة فى عهد الفاطميين ، تشهد كثيرا من الاحتفالات والمواكب الباهرة ، غمر الخلفاء فيها المصريين بجودهم الوافر ، ليكسبوا ولاءهم وتأييدهم ، ويصبروا عن قوتهم وثرائهم . والواقع أن القاهرة المعزية فاقت غيرها من المدن الإسلامية فى الأبهة والعظمة ، واعتبرها المسلمون بحق المثابة التى يفزعون إليها من جميع بقاع الأرض .

وجدير بالذكر أن القاهرة حفلت بالعلماء والشعراء الذين شجعهم الخلفاء الفاطميون ، لنشر عقائد مذهبهم ، وإثبات صحة نسبهم إلى على وفاطمة رضى الله عنهما . وكان ليعقوب ابن كلس وزير العزيز بالله أثر كبير فى نهضة العلوم والآداب ، فقد أشار على الخليفة بتحويل الجامع الأزهر إلى جامعة ، يدرس فيها الفقه الإسلامى ، والفلسفة ، والمنطق والرياضيات ، والطب ، والفلك، حتى غدت نبراسا للجامعات . وعمل الخلفاء على جذب

الطلاب ، بما كانوا يقدمونه إليهم من المأكل والمسكن وأسباب الراحة بغير مقابل . وبنى الخليفة العزيز بجوار الأزهر دارا الفقهاء يجتمعون فيها بعد صلاة الجمعة ، ويقرءون القرآن الكريم إلى صلاة العصر ، وأجرى الخليفة على الأساتذة العطايا والصلات ، وحملهم على البغال ، اعترافا بما لمركزهم العلمى من أهمية وتقدير . وكانت دار ابن كلس منتدى علميا يعقد فيه كل ليلة جمعة مجلسا حافلا بالقضاة والفقهاء والقراء والنحاة ، فيحاضرهم فى أصول المذهب الفاطمى ، وقد صنف هو نفسه كتابا فى أحكام الدين ، أخذه عن المعز وابنه العزيز ، وتناول فيه الفقه الشيعى ، ويعرف بالرسالة الوزيرية ، وكان القضاة يصدرون عنه فى الأحكام ، وقد أفادت مكتبة القصر الشرقى بالقاهرة ، من غيرة ابن كلس وولوعه بجمع الكتب وكانت مفهرسة مبوبة ، بها مئات الألوف من المصنفات فى الفقه واللغة العربية والتاريخ والفلك والكيمياء ، عدا المصاحف ، وقيل فى وصفها : وإنه لم يكن فى جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التى كانت فى القاهرة فى القصر ، ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبرى ، ويقال : إنها كانت تشتمل على ستمائة ألف كتاب . وسار الخليفة الحاكم على نهج أبيه العزيز .

فأسس مجمعا علميا أطلق عليه دار الحكمة ، وألحق بهذه الدار مكتبة أطلق عليها دار العلم حوت كثيرا من المصنفات فى مختلف العلوم وأعد بها الحاكم ما يحتاج إليه المطالعون والنساخ من الحبر والورق والأقلام .

ومن فقهاء القاهرة المعزية القاضى أبو حنيفة النعمان المغربى ، وقد وضع كتابا فى الفقه الشيعى ، استمده من المعز وابنه العزيز ، وسماه كتاب الهمة فى معرفة الأئمة ، وكان هو وأولاده الذين تولوا القضاء فى مصر من بعده حجة فى عقائد المذهب الفاطمى ، ومن أشهر الأطباء والفلاسفة على بن رضوان ، الذى ألف فى المنطق ، وكان رئيس الأطباء فى بلاط الخليفة العزيز ، واشتهر بالتجديد فى مهنته ، ولم يكن كل همه الكسب ، بل كان يصرف اهتمامه لإسعاف المريض ، ومساعدة الفقير ، ومن النحويين أبو يعقوب النجيرمى نسبة إلى نجيرم أو نجارم إحدى قرى البصرة وقد نقل بخطه الجيل كثيرا من المصنفات فى الشعر وأيام العرب ، ومن المؤرخين ابن منجب الصيرفى ، الذى تولى ديوان الإنشاء وقد سمح له مركزه بالوقوف على كثير من أخبار الدولة الفاطمية . ولهذا يعتبر كتابة الإشارة إلى من نال الوزارة حجة فى تاريخ العصر الفاطمى ؟

عباس حلمى اسماعيل

من أضابير لجنة الفتوى

يعود هذا الباب من جديد استجابة لرغبة القراء
ويقدمه الشيخ محمد أبو شادى

المصحف المعلم :

السؤال :

ما حكم الشرع فى المصحف المعلم وطريقته كما يأتى :

يقرأ الفقيه الآية بحروف واضحة قراءة مفصلة حرفا حرفا — ثم يقرؤها بعده طائفة من القراء المجيدين للقراءة محاكين القارىء الأول فى الإلقاء وتجويد الحروف وتبيانها وتمييز بعضها عن بعض .

والغرض من هذا تعليم السامعين النطق بكلمات القرآن نطقا صحيحا مبنيا على القواعد التى قررها علماء التجويد .

عبد الفتاح القاضى

الجواب :

الأصل فى قراءة القرآن ماورد بالتوقيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن بعد أن يسمع من جبريل عليه السلام وهذا مصداق لقوله تعالى « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه كيف يقرءون كما كان يسمع من بعضهم قراءته على نحو ما علمهم ، وكان يأذن لهم أن يسمع بعضهم من بعض كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : « من شاء أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ بقراءة ابن أم عبد — يريد عبدالله بن مسعود » .

وكان مما أذن فيه عليه الصلاة والسلام أن يقرأ القوم فى صوت واحد قراءة جماعية فى لهجة واحدة يبتدئون جميعا وينتهون جميعا .

وفى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » .

قال النووى أعلم أن قراءة القرآن مجتمعين مستحبة بالدلائل الظاهرة وأفعال السلف والخلف المتظاهرة وساق لذلك أحاديث كثيرة ومنها ما رواه ابن أبى داود أن أبا الدرداء — رضى الله عنه — كان يدرس القرآن ومعه نفر يقرءون جميعا .

ولما تقدم ترى اللجنة أن طريقة المصحف المعلم على ما جاء فى السؤال من أن الفقيه يقرأ ويقرأ بعده جماعة يجيدون القراءة بصوت واحد جائزة بل مستحبة لأنها من مشتملات

الحديث ولما فيها من الأثر الظاهر فى ضبط كلمات القرآن وتثبيتها فى أذهان السامعين .

والله تعالى أعلم

النبى صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين :

السؤال :

١ — هل هناك نص قرآنى بأن النبى محمد — صلى الله عليه وسلم — خاتم الأنبياء والمرسلين ؟

٢ — ما هو الفرق بين الرسول والنبى ؟

المهندس / محمد منير شهاب

الجواب :

فنفيد عن الأول بأن « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » آية ٤٠ سورة الأحزاب — نص فى أنه صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل إذ النبى أعم من الرسول وإذا كان خاتم الأنبياء على معنى أنه لا نبى بعده ، فلا رسول بعده لأن نفى الأعم يستلزم نفى الأخص .

وعن الثانى بأن النبى إنسان ذكر حر أوحى إليه بشرع يعمل به ، وإن لم يؤمر بتبليغه ، والرسول إنسان ذكر حر أوحى إليه بشرع يعمل به وأمر بتبليغه فالفرق بينهما أن الرسول مأمور بالتبليغ والنبى أعم من ذلك أى — أمر بالتبليغ ، أو لم يؤمر .

والله تعالى أعلم ...

الفول الأخضر والذرة الخضراء فيهما زكاة

السؤال

١ — ما حكم قطع الفول الأخضر والذرة الخضراء قبل نضجها ، هل تجب فيها الزكاة ؟

٢ — هل الطماطم الخضراء التى تباع فى الأسواق للاستهلاك المحلى فيها زكاة ؟

٣ — هل فى المواخ والفاكهة زكاة ؟

مع الإحاطة بأن من الناس من يزرع هذه الأشياء ويبيعها لحسابه ومن الناس من يزرع ويبيع لتاجر الجملة .

محمد كامل

الجواب

فنفيد عن الأول بأن ما يبيعه الزارع من الفول الأخضر والذرة الخضراء تجب الزكاة فى ثمنه بنسبة نصف العشر إن كان سقيه بالآلة وما يأكله الزارع أو يهديه فتجب نصف عشر قيمته إن كان سقيه بالآلة كذلك .

وعن الثانى بأن الطماطم لا زكاة فيها عند جمهور الفقهاء وتزكى عند أبى حنيفة ويخرج الزكاة من ثمنها على ما تقدم فى السؤال الأول .

وعن الثالث بأن المواخ والفاكهة تأخذ حكم الطماطم فتزكى عند أبى حنيفة ولا زكاة فيها عند جمهور الفقهاء .

هذا بالنسبة للزراع أما التجار فإن عليهم زكاة التجارة فى كل ما يتجرون فيه يقومون تجارتهم آخر العام ويخرجون من قيمتها ربع العشر حيث بلغت نصابا والله تعالى أعلم.

ولا تزر وازرة وزر أخرى

السؤال

١ — ما السن الذي حدده الشرع في إنفاق الأب على ابنه ؟ وهل هو مسئول عن تزوج الابن ؟ وهل الأب مسئول شرعا عن مخالفة الابن للدين بعد سن البلوغ ؟

٢ — رجل أدى فريضة الحج ولديه مال، فهل ذهابه للحج تطوعا أولى أم صرف ما يملكه للوقف أولى ؟

عبد الله محمود توفيق

الجواب

فنفيد عن الأول بأن نفقة الولد على أبيه مادام فقيراً عاجزاً عن الكسب صغيراً أو كبيراً ولا يجب على الأب تزويج ابنه. أما عن تحمل الوالد وزر ابنه إذا ترك الصلاة أو الصوم فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى.

وعليه أن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة».

وعن الثاني بأن صرف هذا المبلغ في وجوه الخير التي منها التصدق على الفقراء والمساكين أولى من صرفه في الحج تطوعا لأن نفع التصدق متعد إلى غيره بخلاف الحج فنفعه قاصر عليه والله تعالى أعلم.

كفارة الصلوات المتروكة قضاؤها

السؤال

قرأت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من فاته صلاة في عمره ولم يحصها فليقم في آخر جمعة من رمضان ويصلي أربع ركعات بتشهد واحد يقرأ في ركعة فاتحة الكتاب وسورة القدر خمس عشرة مرة وسورة الكوثر كذلك ويقول في النية نويت أصلي أربع ركعات كفارة لما فاتني من الصلاة» وقال أبو بكر – رضى الله عنه – سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم – يقول «كفارة أربعمائة سنة» حتى قال علي كرم الله وجهه «هي كفارة ألف سنة» فهل هذه الصلاة المذكورة مرة واحدة في آخر جمعة من رمضان تكفر عن صلوات لم تصل قبل ذلك طول العام ؟

جمال الدين يس عبد الوهاب

الجواب

فنفيد بأن السؤال الذي تذكره فرع صحة الحديث والظاهر أن الحديث ليس صحيحاً لمنافاته لما ثبت من قوله صلى الله عليه وسلم «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها سوى ذلك» وعلى هذا فمن ترك صلاة أو أكثر من صلاة فعليه قضاؤها ولا يخرج من عهدة التكليف بغير ذلك. والله تعالى أعلم.

تصحيحات لكتاب لسان العرب في طبعتيه

للأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة

— ٤ —

(٤٣) نسب في اللسان (علف) البيت .

يسر إذا هب الشتاء وأمحلوا

في القوم غير كبنة علفوف

إلى عمر بن الجعد ، ثم قال بعد : وما هو إلا عمير بن الجعد ، بالتصغير وقال في (كبن) عمير ، بالتصغير .

ط بولاق جـ ١١ صـ ١٦٣ س ٤ ، ٨ ، ط بيروت جـ ٩ صـ ٢٥٧ س ٨ ، ١٦ أ .

(٤٤) روى في اللسان البيت :

نجاء كدر من حمير أبيدة

بغائلة والصفحتين ندوب

برفع (نجاء) و(أتيده) بالتاء والصواب (نجاء) بالنصب وأبيدة بالباء كما في المذكر والمؤنث صـ ٢٠٣ ، وليس في اللسان مادة (أبد) أبيدة : متوحشة .

ط بولاق جـ ٦ صـ ٤٥٠ س ٦ ، ط بيروت جـ ٥ صـ ١٣٥ س ٢٤ أ .

(٤٥) بيت خداش :

فأي امرئ من بني عامر

وأنك دارية تيتل

ضبط في اللسان (تيتل) بكسر الكاف في (أنك) والصواب فتحها ليناسب (دارية) قال ابن الأنباري : الداري : الذي يقيم مع النساء ولا يسافر .

(٤٦) بيت مضرس الأسدى :

تدلت عليه الشمس حتى كأنها

من الحر ترمى بالسكينة نورها

ضبط في اللسان ط بيروت جـ ٥ صـ ٢٤٤ س ١٤ ب (ترمى) بالبناء للفاعل ونصب (نورها) والصواب بناء (ترمى) للمفعول ورفع (نورها) كما في المذكر والمؤنث صـ ٣٢٢ وإصلاح المنطق صـ ١٢٥ ، وبقرينة البيت الذي ذكر معه في تهذيب إصلاح المنطق جـ ١ صـ ٢٠٣ .

وفي ط بولاق جـ ٧ صـ ١٠٣ س ٢٣ رفع (نورها) وبناء (ترمى) للفاعل ، والصواب بناؤهما للمفعول .

(٤٧) في اللسان (سهدم) « وماء سهدم هندف ... »

وكذلك في القاموس . أما في أساس

البلاغة ، وفى المذكر والمؤنث لابن الأنبارى ص ٣٨٥ فهو « مندفن » بالنون .

وهو الصواب، لأن اللسان ذكر بعد ذلك قوله « وركية سدم وسدم ، مثل عسر وعسر ، إذا ادفنت » .

ط بولاق ج ١٥ ص ١٧٧ س ١ ، ط بيروت ج ١٢ ص ٢٨٤ س ١٨ ب .

(٤٨) فى المخصص ج ١٦ ص ١٦٢ : « وعين حشد : لا ينقطع ماؤها » .

وكذلك فى اللسان (حشد) . وقال فى (حشد) « وعين حشد كجشد بالجيم : لاينقطع ماؤها » والصواب كحشد ، بالحاء المهملة والشين كما فى المخصص ، وكما ذكره فى حشد ، وكما فى المذكر والمؤنث ص ٣٨٧ .

ط بولاق ج ٤ ص ١١٤ س ٢٤ ،

ط بيروت ج ٣ ص ١٣٩ س ١٧ ب .

(٤٩) البيت :

وجناء جفرة الضلوع رجيلة

ولق الهواجر ذات خلق حادر

فى اللسان (رجل) وضع سكون على لام (ولق) وحركتها الفتح عما جاء على فعل بفتح العين ، وقد نص اللسان فى (ولق) على ذلك أيضا ، وانظر المقصور لابن ولاد ص ١١٥ ، والمذكر والمؤنث ص ٤٠٨ ، والمخصص ج ١٥ ص ١٩٩

ط بولاق ج ١٣ ص ٣١٨ س ٥ ،

ط بيروت ج ١١ ص ٢٧١ س ٨ ب .

(٥٠) بيت الطرماح :

فبات يقاسى ليل أنقد دائبا

ويحدر بالقف اختلاف العجاهن

روى هكذا فى المذكر والمؤنث ص ٢١ ، والمخصص ج ٤ ص ١٤٣ ، ج ٢ ص ٩٤ ، ج ١٣ ص ٢٠٩ ، والاقتضاب ص ٣٩١ ، وديوان الطرماح ص ١٧٠ ، وديوان المعانى الكبير لابن قتيبة ص ٦٥٤ ، ص ٧٤٦ ، واللسان (عجهن ، نقد) ورواه فى (دجل) برواية : يحذر ؛ بالذال المعجمة .

ط بولاق (دجل) ج ٣ ص ٩/ س ١١ ،

ط بيروت ج ٢ ص ٢٧٣ س ١٧ ب .

(٥١) بيت حميد بن ثور :

إذا الحل الربعى عارض أمه

عدت وكرى حتى تحن الفدافد

هكذا روى فى المذكر والمؤنث ص ٤١٠ وقال: الفدافد من الأرض: الصلب المستوى . تحن : تسمع لها صوتا من شدة عدو المرأة .

يقول : إذا عارض الجمل أمه ليرضعها عدت هذه المرأة حتى تنتزع الخلف من فم الجمل . وروى بهذه الرواية فى المقصور لابن ولاد ص ١١٥ ، وفى الألفاظ لابن السكيت ص ٣٢٥ ، وهو فى ديوان حميد ص ٧١ بوضع (القراقد) مكان (المدافد) .

روى فى اللسان (و كر) هكذا :

إذا الجمل الربعى عارض أمه

عدت وكرى حتى تحن القراقد

الجمل روى بالجيم المعجمة ، وهو تصحيف وكذلك روى فى المخصص ج ١٠ ص ١٩٩ ط بولاق ج ٧ ص ١٥٦ س ١٣ ، ط بيروت ج ٥ ص ٢٩٣ س ١٢٥

(٥٢) بيت السموءل :

رب شتم سمعته فتصامت

وغى تركته فكفيت

هكذا روايته فى ديوانه ص ٢٩ ، وروى فى اللسان (قوت) وعى ، بالعين المهملة .

ط بولاق ج ٢ ص ٣٨٠ س ٨ ، ط بيروت ج ٢ ص ٧٥ س ٣ ب .

(٥٣) بيت أبى طالب :

بورك الميت الغريب كما بو

رك نضح الرمان والزيتون

ضبط فى اللسان (نضح) بكسر نون (الزيتون) والصواب الرفع .

والبيت من قصيدة رثى فيها أبو طالب صديقه مسافر بن أبى عمرو ومطلعها :

ليت شعرى مسافر بن أبى عمـ

رو وليت يقولها المحزون

والبيت من شواهد سيبويه ج ٢ ص ٣٢ . والقصيدة فى ديوان أبى طالب ص ١٦٨ - ١٧٢ .

(٥٤) البيت :

مرت بأعلى سحرين تذأل

فى اللسان (سحر) تدأل ، بالدال المهملة والصواب الذال المعجمة ، أى تسرع كما فى المخصص ج ٩ ص ٤٧ .

ط بولاق ج ٦ ص ١٣ س ٢٤ ، ط بيروت ج ٤ ص ٣٥٠ س ١٦ أ .

(٥٥) البيت :

بنى ثعل لا تنكعوا العنز شربها

بنى ثعل من ينكع العنز ظالم

ضبط فى اللسان (نكع) شربها ، بضم الشين والصواب كسرها كما صرح بذلك فى (شرب) وكما فى كتاب سيبويه ج ١ ص ٤٣٦

ط بولاق ج ١٠ ص ٢٤٢ س ١٨ ، ط بيروت ج ٨ ص ٦٣٤ س ١٦ أ .

(٥٦) فى اللسان (طلى) الطلاوة : مايطلى به الشىء ، وقياسه طلاية ، لأنه من طليت ، فدخلت الواو هنا على الياء كما حكاه الأحمر

عن العرب من قولهم : إن عندك لأشاوى».

الصواب : لأشاوى ، والأصل أشايا جمع أشياء ثم قلبت الياء واوا شذوذا .

في تصريف المازني ج ٢ ص ٩٤ «وأخبرني الأصمعي قال : سمعت رجلا من أفصح العرب يقول لخلف الأحمر : إن عندك لأشاوى » وانظر المقتضب ج ١ ص ٣١ .

ط بولاق ج ١٩ ص ٢٣٦ س ١٥ ،

ط بيروت ج ١٥ ص ١٢ س ١١ ب .

(٥٧) في اللسان (غليا) ، وقال مالك ابن خالد الخناعي :

يا مي إن سباع الأرض هالكة

والغفر والأدم والآرام والناس

والجيش لن يعجز الأيام ذو حيد

بمشمخر به الظليان والآس

الصواب : والخنس ، بالخاء المعجمة والنون ، وهي الوعول كما في ديوان الهذليين ج ٣ ص ٢ .

ط بولاق ج ٩ ص ٥١ س ٢٢ ،

ط بيروت ج ١٥ ص ٢٦ س ١٢٩ .

(٥٨) بيته عدي بن زيد :

ساءها ما تأملت في أيادينا

وإشناقها إلى الأعناق

قال عنه ابن سيده في المخصص ج ٤ ص٤٣ ، وإنما يصف إبلا ، والبيت من قصيدة أرسلها عدي بن زيد من محبسه للنعمان ، وذلك أن النعمان أرسل إليه ذات يوم فأبى أن يأتيه ، وكان النعمان قد شرب فغضب وأمر به فسحب من منزله وحبسه فأرسل إليه عدي يستعطفه . انظر الأغاني ج ٢ ص ١١٦-١١٧ .

روى إشناقها ، بالرفع والنصب والجر في كتب اللغة ، والنحو يجوز ذلك كله والمعنى لا يأباه . الاشناق : رفع اليد بالغل إلى العنق .

في مادة (قوس) قال : «الجوهري : وكان أصل قسي قووس لأنه فعول ، إلا أنهم قدموا اللام وصيروه قسو على فلوع ، ثم قلبوا الواو ياء وكسروا القاف كما كسروا عين عصي .. وكانت من ذوات الثلاثة فصارت من ذوات الأربعة ، وإذا نسبت إليها قلت قسوي ، لأنها فلوع مغير من فعول فتردها إلى الأصل » .

ط بولاق ج ٨ ص ٦٨ س ٢١ - ٢٤ .

ط بيروت ج ٦ ص ١٨٥ س ٢ - ٧ ب .

ما نقله اللسان عن الجوهري هو في الصحاح كما ذكر وفيه خطأ من وجهين :

(١) قووس جمع قوس على أربعة أحرف فقدمت اللام على العين فصار قسوو ، ثم قلبت الواو الثانية ياء لأنها جمع على فعول ، ثم اجتمعت الواو والياء مع سبق الأولى بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء

فى الياء ثم قلبت ضمة السين كسرة كما فعل بعصى فصارت قسى على وزن فلوع وهى على أربعة أحرف أيضاً ، فلا معنى لقوله « وكانت من ذوات الثلاثة فصارت من ذوات الأربعة .

(ب) قوله « وإذا نسبت إليها قلت قسوى » القاعدة فى النسب إلى جمع التكسير الذى له مفرد أن ينسب إلى مفرده ، فيقال فى النسب إلى أقواس وقسى : قوسى . ولو سميت بقسى شخصا أو غيره قلت فى النسب إليه قسوى ؛ كما تقول فى النسب إلى كل اسم مختوم بياء مشددة بعد حرفين ؛ نحو غنى وغنوى .

فليس فى قسوى رجوع إلى الأصل كما زعم الجوهرى .

محمد عبد الخالق عضيمة

رثاء عمر بن الخطاب

كان متمم بن نويرة دائم الرثاء لأخيه مالك ، يذكره فى كل مناسبة وكان عمر بن الخطاب معجباً بمتمم ، وحضه على الزوج حتى يكون له ولد . فلما مات عمر بن الخطاب رثاه متمم بهذه الأبيات :

يسألنى ابن بجير أين أبكره ؟ عنى فإن فؤادى عنك مشغول

هلا بيوم أبى حفص ومصرعه إن بقاءك ما ضيعت تضليل

إن الرزيئة فابكه ولا تسمن عبد تطيف به الأنصار محمول

(النوادر لأبى على القالى ص ١٧٨)

ما يقال عن الإسلام

موسيقى القرآن

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

لا ينفك القرآن منذ أنزل مبعث حيرة الباحثين ، وبخاصة من الكفار وأهل الديانات الأخرى ، ما علة ما فيه من تأثير ؟ ومرجع ما عليه من سحر يخلب الألباب ، ويحث على الفضيلة ، ويبعث على شحذ الهمم ؟ كان ذلك فى عصر النبى ، إذا حتار فى شأنه العرب ، وهم أهل الفصاحة والبلاغة ، فى الجاهلية إلى أن أذعنوا للوحى ، وانقادوا للرسالة ، واطمأنت قلوبهم بالإيمان ثم زالت هذه الحيرة مع انتشار الإسلام .

ولكن لا تزال هذه الحيرة موجودة حتى اليوم ، يحمل لواءها المستشرقون ، يحاولون تطبيق أساليب البحث الحديثة على القرآن المجيد .

وقد انقسم المستشرقون منذ العصر الوسيط أى منذ ترجم القرآن إلى اللغة اللاتينية ، فريقين : الأول يهاجم القرآن ، ويسف فى الهجوم ، زاعماً أن القرآن ليس وحياً ربانياً ، بل من تأليف محمد عليه السلام ، حاشا لله ، إن يقولون إلا كذبا ، وهذه الفرية ، كما نعرف ليست مبتدعة ، فهى مسجلة فى القرآن نفسه ، ونزل الوحى الكريم بدحضها .

والفريق الثانى يسلم لمحمد بالنبوة والرسالة أو على الأقل يتظاهر بهذا التسليم ، ولا ينكر على المسلمين إيمانهم بكتابهم ، ويصدق بهذا لسببين ، الأول موافقته للكتب السابقة وهى التوراة والإنجيل ، والثانى ثبات دعوته على مدى أربعة عشر قرنا من الزمان ، وإيمان الملايين به فى كل مكان .

ومن هذا الفريق الثانى المستشرق أربرى Arberry ، المعروف ببحوثه العربية والإسلامية ، وبخاصة فى مجال التصوف . وهو يعرف اللغة العربية معرفة وثيقة ، ويتكلمها بطلاقة ، زار مصر ، وتعرف إلى كثير من الأدباء والعلماء ، أذكر أنى التقيت به فى حدود الأربعينات ، وتحادثنا طويلا عند أحد الوراقين ، وقدرته حق قدره ولا أزال . ولكن الصداقة والتقدير شىء والحق شىء آخر ، كما قال أرسطو : أحب أفلاطون وأحب الحق ، ولكن حبى للحق أعظم .

والقضية التى أختلف فيها مع الأستاذ أوبرى هى ترجمة القرآن . فهو يزعم أنه فى الإمكان ترجمته إذا عرف السر فى بلاغته ، وصور موسيقاه ، ولذلك بدأ فى سنة ١٩٥٣ يدرس هذه المسألة ، ويمهد لها بحاورا معا من تاريخ ويحلل الآيات القرآنية مبينا ما فيها من وزن وسجع ، مع تقديم نماذج لترجمة بعض قصار السور، وبعض الآيات، وذلك فى كتاب صغير سماه (القرآن المجيد) The Holy Koran . والترجمة الحرفية لهذا العنوان هى القرآن المقدس ، ولكن يكره وصف القرآن بما لم يصف نفسه به ، فهو قرآن كريم أو عزيز أو مجيد .

والكتاب يقع فى مائة وأربعين صفحة ، وتبلغ مقدمته ثلاثة وثلاثين صفحة أى ربع الكتاب ، والباقى مختارات من بعض السور والآيات نماذج الترجمة . والمقدمة على صغرها مهمة ، يستعرض فيها المؤلف أقوال المستشرقين خلال قرنين من الزمان ، وتقدم القرآن ، وتحاملهم على هذا الكتاب نتيجة الجهل بأسرار العربية ، وسقم الترجمات الأجنبية . وقد تصفحت هذه الترجمات ، وحاولت أن تتفادى مساوىء السابقة عليها .

ظهرت ترجمة بالمر Palmer التى أعيد نشرها مؤخرا فى سلسلة كتب الروائع الكلاسية (Classics) ، وترجمة رودول (Rodwell) فى سلسلة افريمان (Everyman) وأخيرا ترجمة بكتهول (Pickthall) المسماة « معانى القرآن العظيم » .

(Meaning of the Glorus Koran)

هذا إلى عدد من الترجمات التى قام بها بعض الهنود والباكستانيون .

وقف أوبرى وقفة طويلة عند مقدمة بكتهول — وهو إنجليزى مسلم — ونقل جزءاً منها ، وهى التى يقول فيها إنه سيترجم إلى المسلمين الإنجليز ما يعتقده المسلمون أنه يؤدى معانى القرآن ، فقد يقال إنه لا يمكن نقل أى كتاب مقدس لغة أخرى .

ولقد كان اعتقاد السلف من المشايخ أن القرآن لا يمكن ترجمته ، وهذا أيضاً رأى بكتهول الذى بذل وسعه أن ينقله بأمانة إلى اللغة الإنجليزية ، ولكن النتيجة التى انتهى إليها هى أن ترجمته ليست هى — كما يصف بكتهول القرآن — « ذلك القرآن المجيد ، تلك السمفونية التى لا تقبل المحاكاة ، والتى يؤدى سماعها إلى انخراط المستمعين فى البكاء ، والنشيج عنوا تضمهم فى حال من النشوة الدينية إنها ليست سوى محاولة لنقل معانى القرآن وشىء من حلاوته إلى اللغة الإنجليزية » .

ينتقد أوبرى بكتهول فى أمور ثلاثة أساسية الأول أنه ليس فى إمكان غير المؤمن بالكتاب الدينى ترجمته ، والثانى أن القرآن

لا يقبل الترجمة . والثالث صفة القرآن الوجدانية ، وسماع صوته الذي يحرك السامعين إلى البكاء والنشوة .

وفيما يلي تفنيد هذه الأمور الثلاثة :

إن بكتهول إنجليزي اعتنق الإسلام ، وأصبح مسلما ، وهو عالم باللغتين الإنجليزية والعربية ، بالإضافة إلى إيمانه بالقرآن ، ولذلك يحق له الترجمة ، كما يزعم ، بل والترجمة الأمينة . أما أربري فهو يقرر أنه غير مسلم ولكنه على الرغم من عدم إيمانه ، وعدم إسلامه ، له اعتراضات على ترجمة بكتهول ، ويرى أنها غير جيدة ، وفيما يختص بعدم إيمان المترجم ، فإن أربري يرى أن الذين نقلوا العهد القديم عن العبرية إلى الإنجليزية لم يكونوا من اليهود بل من المسيحيين ، وعلى الجملة هذه القضية لاتستحق الرد عليها في نظر أربري ، لما فيها من امتهان لقدرة المترجمين .

وفي الرد على هذا النقد الذي يوجهه أربري نقول : إن المسيحيين الذين نقلوا العهد القديم مؤمنون به ، كما نعرف ، هذا إلى أن القرآن ليس من جنس الكلام العادي الذي يمكن ترجمته سواء أكان الناقل مؤمنا به أم ليس مؤمنا .

ثم ناقش أربري القضية الثانية ، وهي أن القرآن لا يمكن ترجمته ، مناقشة طويلة في الحواء : إن مذهب المسلمين من قديم أن القرآن لايترجم ، وهي قضية مرتبطة بقضية أخرى أقدم منها ، وهي أن القرآن معجزة لا يمكن محاكاتها ، فالقرآن يتحدى الكفار في كثير من الآيات أن يأتوا « بسورة من مثله » . (البقرة ٢٣) . « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله » . (الإسراء ٨٨) .

وقد قبل التحدي في حياة الرسول ولكن النماذج التي خلفها لنا التاريخ لا ترق بحال إلى مستوى القرآن ، ولا تحاكيه .

ثم يضيف أربري : من الصحيح بوجه عام أن أي نص لا يمكن نقله من لغة إلى أخرى نقلا كاملا ، إذا كان ذلك النص على هيئة فنية وله إيحاء ناطق ، انظر إلى صيغة فرنسية واقرأ منها عبارة تهكمية وتعليقا مسليا على حادثة عابرة ، فإنك تتحقق أنه من المستحيل ترجمة طعم تلك الملاحظات المازحة إلى أي شخص لا يألف اللغة الفرنسية . وبعد أن أنفقت سنين عددا في دراسة مشكلات الترجمة ، فإني أعرف تماما ، بمقدار تجريبي ، أن أي نص رشيق العبارة لم ينل حظه الكامل في أي ترجمة ، ولا شك أن القرآن زاخر بالتعبير الجميل ، وله صفاته الخاصة به ، كما أن لغته على الرغم من أنها اصطلاحية إلا أنها توهم بالبساطة . إن ما فيه من وزن وسجع يعدان من ملامحه التي لا تنفصل عن بلاغته

المؤثرة ، وهما لا يقبلان حقا المحاكاة ...
ثم انتقد نيكلسون فى ترجمته لسورة القارعة وبيرتون Burton مترجم « ألف ليلة وليلة » فى ترجمته الفاتحة ، وقال عنه بعد أن أورد الترجمة : « لست أظن أن القرآن لو كان قد نزل على ذلك النحو أن يكون قد هز أرجاء العالم » .

القضـــية الثالثة هى الصفة الوجدانية للأسلوب القرآنى ، وصعوبة ترجمـــة الوجدانيات . وقد فطن كثير من المستشرقين الذين ترجموا القرآن إلى هذه الصفة . وفى ذلك يقول « سيل » Sale فى مقدمته القرآن الذى ترجمه : من الراجح أن موسيقية التعبير التى وجدها العرب فى القرآن أسهمت إلى حد غير قليل فى أن تجعل الصحابة الأولين يتذوقون المذهب الإسلامى ، وخلعت على المنهج القرآنية تأثيرا لو جردناها من هذا الثوب الخطابى ما انتشرت بسهولة . إن آثاراً عجيبة تنسب إلى قوة الألفاظ المختارة بعناية والموضوعة فى مكانها بفن ، حتى أنها لا تقل فى أثرها الذى يتذوقه المرء أو يدهش له عن الموسيقى نفسها . لقد كان ذلك هو التأثير على أذهان السامعين لتلاوة محمد القرآن ، حتى أن كثيراً من خصومه ظنوا أن ذلك من أثر السحر » ...

وينقل أربرى كذلك شطراً من رأى الدكتور ماردوس Mardus مترجم ألف ليلة وليلة إلى الفرنسية ، والذى ترجم بعض السور سنة ١٩٢٦ ، وتحدث عن أسلوب القرآن قائلا : « أما عن أسلوب القرآن فهو كلام الله ، فى الأصل أسلوب الله » :

"Style personnel d'Allah".

ولما كان الأسلوب هو ماهية الموجود ، فلا جرم أن يكون إلهيا . الحق إن أكثر الكتاب شكا تأثروا بسحره ، ولا يزال سلطانه قويا حتى اليوم على ملايين المسلمين فوق ظهر الأرض ، حتى إن المبشرين ليتفقون على الاعتراف بأنهم لم يستطيعوا إحداث حالة واحدة لمسلم مرتد » .

إذن ما السر فى نظر أربرى لبلاغة القرآن ؟
السر يرجع إلى أمرين : الوزن والسجع .

إن بلاغته تكمن فى موسيقيته ، وهذه الموسيقية يمكن النظر إليها من جهة القراءة واستخلاص التفاعيل التى منها تتكون السورة . وهذا ما يسميه أربرى بالتفاعيل من ناحية الكم . ولكن لما كان القرآن لا يقرأ قراءة صامتة ، بل يتلى ، يجود ويغنى ، عندئذ تتغير التفاعيل ، وهذه القراءة تسمى بقراءة الترخيم .

وإليك نموذجا من تحليل أربرى على سورة القارعة ، يقول إنها مجرد محاولة .

١ ـ القارعة ما القارعة .

٢ ـ وما أدراك ما القارعة .

٣ ـ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث

هذا النموذج من الكتابة العربية بأحرف لاتينية) سيرمز للمقطع الطويل بدائرة كبيرة ، والصغير بدائرة صغيرة ، هكذا فى قراءة السكم .

١ ـ ○○○○:○○○○

٢ ـ ○○○○:○○○○

٣ ـ ○○○○○○:○○○○○○

وفيما يلى نفس الآيات بقراءة المد والغن وفيها تتغير التفاعيل .

١ ـ ○○○○:○○○○

٢ ـ ○○○○:○○○○

٣ ـ ○○○○○○:○○○○○○

هذا فيما يختص بالوزن ، وقد طبقه على عدد من الآيات فى الجزء الثانى من الكتاب نكتفى منه بهذا القدر .

الخاصة الثانية التى يرجع إليها أربرى بلاغة القرآن هى السجع الذى يجرى خلال القرآن كما يقول ـ كشريط لامع يضم شتات الكلام إن السجع ولو أنه ليس شعراً إلا أن له تأثيرا على السامع وقد اعترض محمد على الذين وصفوا القرآن بأنه كلام شاعر ، لأن أوزانه الحرة تمنع إدراجه فى جملة الشعر (ص ٢٥)

وقد حاول أربرى أن يضفى على محاولته الترجمة شيئا من السجع الذى يتحلى به القرآن حتى يكون قريبا منه فى الانجليزية ونحن ذاكرون ثلاث آيات من سورة الزخرف (٨١ ـ ٨٢ ـ ٨٣) وما يقابلها فى الترجمة الإنجليزية ، نذكرها نموذجا للترجمة بعامة ومحاولة نقل الوزن والسجع بخاصة ، وهى :

قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين

سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون .

فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون .

If the All-Comppassionate indeed had a son

I would be the first of his worsh ippers Glorions is the lord of the heavens and the earth the Lord of the throne far transcending what they des Cribe Leave them then to plugeand play until they shall meet their day

the day wheraeurith they were ever menaced '

فما أبعد الفرق بين الترتيل الربانى ، وهذا اللسان الأعجمى ، على الرغم مما حاول صاحبه أن يخلع عليه من صفة الشاعرية والموسيقية.

كان ذلك الكتاب الصغير تمهيدا وتجربة لترجمة كاملة للقرآن ولذلك دعا أربرى القراء (ص ٣١) أن ينقلوا إليه آراءهم بحرية وصراحة فى المناهج المختلفة التى اتبعها ، لأن

ملاحظاتهم سيكون لها فضل كبير في هذا العمل حين يتم .

ونحن إذ نقدر للمترجم تحليله التاريخي لمحاولات الترجمة السابقة، وتجشمه عناء كبيرا في محاولة عمل ترجمة جديدة ، نود أن نختم هذه الكلمة بنقد واحد يغني عن كل نقد آخر ، نوجهه إلى ترجمة البسملة : « بسم الله الرحمن الرحيم » فلم يستطع أربري ، ولا أي مترجم آخر ، حتى الآن أن ينقل بدقة : « الرحمن - الرحيم » ، وهما في اللغة العربية من أصل واحد وهو الرحمة ، ولكن أحدهما صيغة مبالغة ، على حين أنهما في الترجمة الانجليزية لفظان مختلفان .

The ALL - Comdassionate , the Merciful .

وهما في القرآن اسمان من أسماء الله الحسنى وفي الترجمة صفتان . ؟

أحمد فؤاد الأهواني

« فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ، قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ، ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين . إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم » .

قرآن كريم (النحل ٩٨ — ١٠٤)

الكتب

عرض وتعليق :

للأستاذ محيى الدين الألوائى

ترويح الفوائد برقائق الوعظ والإرشاد

تأليف : فضيلة الشيخ على رفاعى محمد

لا يستطيع أحد منا أن يخفى إعجابه وتقديره بكل كتاب جديد يحتوى على إضافة جديدة فى الموضوعات التى تهدف إلى تهذيب النفوس وتكوين مجتمع إنسانى مثالى الذى جاء لأجله الإسلام . وأما الكتاب الذى نحن بصدده فيقدم له المؤلف الجليل بنفسه بقوله : وحاجة الأفراد والجماعات إلى الوعظ كحاجتهم إلى الماء والغذاء والشمس والهواء وإن كان الغذاء فيه حياة الأجسام فإن فى الوعظ حياة القلوب والأرواح وإلى المتشائمين من إصلاح الأمراض الخلقية المنتشرة والذين يزعمون ألا فائدة من الوعظ تقول : إن قوما قالوا مقالهم فحكى الله قولهم ورد عليهم بقوله تعالى : « لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا . قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون » .

وقد تعرض الكتاب الذى يقع فى ٢٠٤ صفحة من القطع المتوسط للكثير من الموضوعات ومنها : فضائل القرآن - والزكاة وأثرها فى المجتمع وإصلاح الفرد وإصلاح الأسرة وإصلاح المجتمع - وكفاح الاستعمار وتوحيد العرب والمسلمين - والأخلاق الفاضلة مثل : التواضع والحلم والوفاء والإخلاص والأسرة المؤمنة - والتخطيط فى نظر الإسلام - وتربية الأيتام وما يحدث فى موالد الأولياء مما يسىء إلى الإسلام، واختتم المؤلف كتابه ببيان مفصل عن صفات النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة .

شيء آخر أود أن أقوله هنا : ... وهو أن المؤلف في مجال معالجته لموضوع توحيد العرب والمسلمين أكد أن : ... « الوطن العربي وطن واحد في أرضه ولغته وعقائده وتاريخه وعاداته وتقاليده ويجب أن يكون كذلك في واقعه السياسي وقد استطاع الاستعمار في غفلة من المسلمين أن يقسم الوطن الإسلامي إلى دويلات ويضع لكل دولة حدودا مصطنعة تمزق وحدة المسلمين . والمسلمون مطالبون في أي جزء من الوطن الإسلامي أن يعملوا متعاونين لإعادة توحيد وطنهم وطرد الدخيل منه وإلا فقد استحقوا عذاب الله بفقد حريتهم وضياع كرامتهم » .

ومما لفت نظري من بيانات المؤلف الفاضل وهو أستاذي الجليل الشيخ على رفاعي محمد ، من كبار رجال الوعظ في الأزهر وعلمائه ، ما أورده في صفحة ١١٥ من الكتاب بعنوان : « التوسط في مرافق الحياة » إذ قال : ... وإلى هذا أشارة بقوله تعالى : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » . لا تنال أمة السعادة ولا تبلغ درجة الكمال الاقتصادي إذا كان أفرادها مسرفين في ملذاتهم وشهواتهم ينفقون بالشمال ما تجمعه اليمين . وأضاف قائلا : وقد أبان الدين الإسلامي في ذلك أيما بيان ونفر من الإفراط وحذر من التفريط ودعا إلى الاعتدال بأسلوب تنجذب إليه القلوب فقال تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » وزاد على ذلك أن جعل المبذرين إخوان الشياطين . وفي الحديث : من فقه الرجل قصده في معيشته » .

وهكذا قدم الكتاب موضوعات تساعد على خلق مجتمع مثالي يبني حياته على هدى من الله متسلحا بالعلم والخلق القويم وليس هذا بجديد من فضيلته الذي قدم عملا إلى المكتبة العربية والإسلامية مؤلفات عديدة في الوعظ والإرشاد وفي بيان محاسن الإسلام والخطب المنبرية الملهمة . كما أسدى خدمات جليلة للعلم والدين كأستاذ مثالي وواعظ ومرشد . وأخيرا - وليس آخرا - كمراقب عام للوعظ بالأزهر الشريف .

تيسير الحج

تأليف الأستاذ . محمد محمد صقر

يقدم المؤلف في كتابه صورة عامة عن مناسك الحج وحكمها وطرق أدائها وأماكنها والجديد فيه أنه يشرح الموضوع علميا وعمليا مستعينا ببعض الصور والخرائط . ويشتمل الكتاب على ١٨٤ صفحة من القطع الصغيرة

واستهل مؤلفه بكلمة قصيرة عن الميزة

الاجتماعية العامة التي تترتب على هذا الركن من أركان الإسلام فقال : الحج دعامة من من الدعائم الخمس التي بني عليها الإسلام فرضه الله على المسلمين ليكون لهم في كل عام مؤتمر إسلامي تتلاقى فيه وفودهم من مختلف الأقطار فيتقاربون ويتعارفون ويتدارسون شئونهم ويتبادلون منافعهم ويتعاونون على تحقيق أعمالهم وعلاج آلامهم . ثم قال : ينعقد هذا المؤتمر السنوي في مهد الإسلام عند مهبط الوحي ليستشعر المسلمون وحدتهم الجامعة وأخوتهم الدينية ويتناسوا ما بينهم من فروق في الجنس أو اللغة أو الوطن ليكونوا يدا واحدة وقلبا واحدا . وهذه الفريضة المحكمة التي شرعت لهذه الغاية الاجتماعية السامية من أول واجبات المسلمين أن ييسروا سبيلها ويمهدوا صعابها ويعملوا على الغاية بشئونها وتحقيق الغرض منها .

وقد أصاب المؤلف في سرد موضوعاته من تجاربه ومشاهداته الشخصية . ويعتبر هذا الكتاب بمثابة دليل علمي وعملي للحاج من وقت خروجه من بلده إلى أن يعود إليها .

وإن كان قد وضع مستهدفا الحجاج المصريين فليس بخال من الفوائد العامة والإرشادات الكافية للحجاج الذين يتوجهون إلى البلاد المقدسة من سائر بقاع الأرض لما اشتمل عليه من تفاصيل المناسك في أيام الحج وأركانه وواجباته وشروطه وتفاصيل بيانية عن الكعبة وزمزم والأماكن التي تقام فيها مشاعر الحج ووصف المدينة المنورة وآثارها ومسائل متفرقة أخرى . وقد تناول المؤلف أيضا باختصار مسائل خاصة بالمرأة في الحج . وأن مجموعة الأسئلة والأجوبة التي أردفها المؤلف الخبير في ختام كتابه لزيادة التفقه في الحج لجدير بالمراعاة والاهتمام لكل من عقد عزمه وأعد عدته لحج بيت الله الحرام .

محيي الدين الألوائي

يقول الله تعالى :

« وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »

(سورة الحج الآية : ٢٧)

أنباء وآراء

● باشر الدكتور عبد الحليم محمود عمله أمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية :

وفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود نال العالمية من الأزهر الشريف عام ١٩٣٢ .

سافر إلى فرنسا ودرس علم الاجتماع ، وعلم النفس ، وتاريخ الأديان ، وحصل على الليسانس ، والدكتوراه فى الفلسفة من جامعة باريس .

عاد إلى القاهرة ، فعين فى أوائل سنة ١٩٤٢ مدرسا فى كلية اللغة العربية ، ثم عين أستاذا للفلسفة بكلية أصول الدين عام ١٩٥١ ، ثم عميدا لها عام ١٩٦٤ .

واختير عضواً بمجمع البحوث الإسلامية منذ إنشائه .

والدكتور عبدالحليم من المؤلفين المحققين ، فمن مؤلفاته :

القرآن والنبى صلى الله عليه وسلم ، والإسلام والإيمان ، والعبادة ، والتفكير الفلسفى فى الإسلام ، والإسلام والعقل ، والمدرسة الشاذلية .

ومما حققه :

المنقذ من الضلال للإمام الغزالى ، والصدق لأبى سعيد الخراز .

وترجم إلى العربية : محمد رسول الله لإتيين دينيه .

والدكتور عبد الحليم محمود معروف فى الأقطار العربية : عرفته « جامعة الزيتونة » بتونس ، وجامعة « السيد محمد بن على السنوسى » بليبيا أستاذا زائراً لها عدة مرات .

ودعته حكومة العراق ، فسافر بدعوة من وزارة الأوقاف العراقية لأخذ رأيه فيما يتعلق بإصلاح قسم الدعوة والإرشاد بها .

ومثل الأزهر الشريف فى « مهرجان الإمام الغزالى » بدمشق .

● أنشأ الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية دكتور عبد الحليم محمود أربع لجان تتبع الأمانة العامة :

● « لجنة موسوعة السنة » وتكونت ابتداء من الأساتذة الشيخ محمد حافظ والشيخ عبد الرحمن الوغي والشيخ عبد الحميد ندا .

وقد باشرت عملها فعلا في تحقيق « الجامع الكبير » للإمام السيوطي ، وبين يديها أربع نسخ للجامع الكبير بين مصور ومخطوط .

● « لجنة القاموس القرآني » وتكونت ابتداء من الأساتذة الشيخ عبد المهيمن الفقي ، والشيخ إسماعيل الطحان ، والشيخ محمد السنباطي .

● « لجنة دائرة المعارف الإسلامية » وتكونت ابتداء من الأساتذة : الشيخ محمد أحمد حسنين الشرقاوي ، والأستاذ محمد كمال السيد (للإنجليزية) والأستاذ محمد عبد اللطيف عبد العزيز (للعبرية) والأستاذ فتحي محمود يوسف (للفارسية) والأستاذ محمد حجي والأستاذ إبراهيم دسوقي عبده (الفرنسية) .

● « لجنة تقنين الشريعة » وتكونت ابتداء من الأساتذة : السيد السيد رجب ، محمد عبده البحيري ، فهمي عبد الله سيد علي ، عبد التواب عبد التواب بالمطة .

● كان جلالة الملك فيصل إمام الحج هذا العام ، وشهد المواقف كلها مع الحجيج ، وقد صرح جلالته في وفود المسلمين بوجوب إعلان حرب مقدسة لاستعادة الأراضي الإسلامية المغصوبة .

● « إدفع ريالا تنقذ عربيا »

« إدفع دولاراً تقتل عربيا »

الكلمة الأولى شعار جمع التبرعات بالمملكة العربية السعودية لإنقاذ فلسطين ، وأبناء فلسطين ، وهي تبرعات لا زالت جارية حتى الآن .

أما الكلمة الثانية فهي شعار جمع التبرعات للصهيونيين في الولايات المتحدة ، ولهذا الشعار تاريخ ؛ فقد أصبح عنوانا لمؤلف أمريكي ما إن طرح في السوق حتى أسرعت الأيدي الصهيونية بشرائه لتخفيه من السوق واستطاعت إحدى دور النشر العربية أن تحصل منه على نسخة نشرت بهذا العنوان منذ عدة سنوات .

ولقد كان مستر أتلي الزعيم العمالي الإنجليزي ورئيس حزب العمال الأسبق في بريطانيا على رأس جامعي التبرعات لإسرائيل في الولايات المتحدة حين زارها قبل وفاته ؟

علي الخطيب

الشبيه بالمضاف ... والتنوين

أرسل بهذا الرأى :

الأستاذ محمد كبير

مدرس اللغة العربية بكلية الشريعة

بجامعة كابل بالأفغان وأحد أبناء الأزهر

المعروف لدى علماء اللغة أن التنوين يحذف عند وجود الألف واللام فى صدر الكلمة ، وعند إضافة الكلمة إلى كلمة أخرى، ولا وجــــود له ـ طبعا ـ فى الممنوع من الصرف ، ويحذف عند الوقف فى حالتى الرفع والجر (أما فى حالة النصب فيقلب ألفا) ، وعند كون الاسم علما مفردا موصوفا بكلمة (ابن أو ابنة) مضافة إلى علم آخر ، مفردا كان هــذا العلم الثانى أم غير مفرد .

غير أن صاحب المغنى يضيف إلى هــذه الحالات حالة أخرى (ص ١٧٣ ج ٢) وهى كون الكلمة شبيهة بالمضاف ـ ومثل بـ (لا مال لزيد) وتبعه الأستاذ عباس حسن فى (ص ٩ ج ١) النحو الوافى ومثل بـ (لا مال لمحمود) وأضـــــاف : بشرط أن يكون الجار والمجرور صفة والخبر محذوفا .

وينتهى رأيهما هذا إلى البغداديين حيث يجيزون حذف التنوين فى أمثال (لا طالعا جبلا ظاهر) حملا على المضاف . وعلى هذا الأساس يخرج « ابن هشام » حديث (لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت) كما يقدرون الخبر بعد الجار والمجرور فى (لا جدال فى الحج) أيضا بينما يستقيم معنى الحديث والآية على رأى البصريين المعروف أيضا حيث يقال : (لا مانع مانع لما أعطيت) و (لا جدال حاصل أو مقبول فى الحج) فاسم (لا) على رأى الأستاذ عباس حسن ومن وافقه شبيه بالمضاف ومعرب إلا أن التنوين حذف .

وعلى رأى البصريين هو مفرد مبنى والفتحة فتحة بناء .

هنا يقول الأستاذ عباس حسن (٥٢٦ جـ ١ — النحو الوافى) فى شأن تأويل البصريين إنه تكلف مردود مع أنه أيضا يفضل التزام التنوين — لكنه لم يوضح وجهة التكلف إذ التكلف إذا كان فى تقدير شىء غير مذكور فهو موجود فى تأويل البغداديين أيضا . وهل التكلف فى تقدير المقدر أكثر وأوضح أم فى تقدير شىء غير مذكور مع كون الجملة مفيدة دون تقدير شىء — كما فعله فى (لا مال لزيد) أو بعبارة أخرى جعل الجار والمجرور خبرا أو متعلقا بالخبر أكثر تكلفا أم جعله صفة لمال ؟ !

فلا ينبغى أن نرفض رأى البصريين المتمشى مع القاعدة العامة وهذا ما ألفته دائما فى الأستاذ عباس حسن حيث لا يرضى التشقق .

وعلى فرض صحة تأويل البغداديين أيضا لا يتحتم حذف التنوين بل إنه أمر « جائز » فلا ينبغى أن يقال : يحذف التنوين لزوما فى موضع كذا بل يجب التصريح بأنه جائز . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى : جواز حذف التنوين من الكلمة إذا كانت شبيهة بالمضاف بهذا التفصيل الذى ذكرناه — خاص باسم لا النافية للجنس فلا يصح تعميم هذا الحكم فى الكلمة الشبيهة بالمضاف فى المواضع الأخرى . إذ لا يجوز حذف التنوين من الشبيه بالمضاف فى باب المنادى بل يقال : (ياطالعا جبلا) وكذلك فى نفس مثال المغنى ، ومثال النحو الوافى لو لم تكن لاموجودة إذ لا يصح أن يحذف التنوين بل يقال : (مال [1] لزيد أو مال [1] لمحمود هندى) دون حذف التنوين . ففى نهاية المطاف يجب أن أصرح بأن الفتحة فى (لا مال لزيد) فتحة بناء لا فتحة إعراب . ولا يوجد هناك تنوين ليحذف وعلى صحة رأى البغداديين أيضا فهو خاص باسم لا النافية للجنس ويجب أن لا يعمم فى الاسم الشبيه بالمضاف فى جميع المواضع وكذلك يجب التصريح بأنه جائز لا واجب ؟

محمد كبير

---

(١) بتنوين مال .

محاولة يهودية فاشلة :

(جاءنا من مكتب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ترجمة مقال نشرته مجلة اليقين في « باكستان » عن محاولة يهودية لتحريف القرآن ننشرها فيما يلي) :

عمـــل قبيح من الأعمال الشريرة

علمنا أن اليهود قد قاموا بنشر طبعة جديدة للقرآن الكريم في ألمانيا الغربية في الفترة الأخيرة ، وقد صدرت هذه الطبعة في إطار جذاب من الورق المصقول والطباعة الفاخرة والتجليد الممتاز ، وتعرض الآن في الأسواق مقابل ثمن زهيد للغاية وهذه ، الطبعة كما جاء في « الدعوة » بالرياض يعتريها الكثير من الحـــذف والتغيير خصوصا في الآيات المتصلة باليهود . ويقال إن نحو ٢٥٠٠٠ نسخة من هذه الطبعة قد تم إعدامها في أندونيسيا ، وتحذر مجلة الدعوة جميع المسلمين في أنحاء العالم من تداول هذه الطبعة .

وأقل ما يقال عن هذه الطبعة أنها أقبح عمل من الأعمال الشريرة وجه ضد كتاب مقدس حتى الآن ولكن اليهود يمكنهم عمل أى شيء .

وقطعا سيكون الفشل مصير هذه المحاولة للنيل من القرآن الكريم . وهو محفوظ في ذاكرة الإنسان ، وقد ضمن الله سبحانه وتعالى حفظه في جوهره الأصيل ؛ ولكن ذلك لا يعفى المسلمين من عمل كل ما في مقدورهم في هذا الشأن وأول كل شيء فإنه ينبغي فضح هذه الجريمة النكراء مرارا وتكرارا والتنبيه إليها على أوسع نطاق .

ثانيا : يمكن جمع الآيات المحذوفة ونشرها حتى يمكن التعرف على هذه النسخ (المفبركة) وجمعها وحظر تداولها وإعدامها ؟

And those things which I did before I became a (Muslim), which were wrong — many of them I did not know they were wrong — but his saying that this is wrong, and this is right was enough for me to change and to live in accord with his teachings. This is the way I feel. This is what I believe. I now see myself as an aid, as a tool, or as an instrument of God in the hands of the Honorable Elijah Muhammad for the complete resurrection of our Nation of Islam."(1)

During the personal interviews with these people, the cohesion, loyalty, and group solidarity for which the organization strives became readily apparent. The bus driver recieves a salary of fifty dollars a week; the teacher with at least a B. S. degree recieves seventyfive dollars a week. Yet neither would give up the job within the Nation of Islam to seek a better job elsewhere. And finally, the commitment and reverence of a number of members with advanced degrees to the cause of Elijah Muhammad to such an extent that they consider themselves merely tools for the good of the Nation of Islam could be considered vital proof that group solidarity does exist among the members of the Nation of Islam. In speaking of this solidarity, Arnold Rose says,

"The feeling of kinship may stem originally from common culture traits and a common origin or from the majority group. The latter is the case among Negroes, at least.(2)

(1) Tape-recorded interview with a principal in the (Muslim) schools, September 24, 1965.

(2) Arnold M. Rose, The Negro's Morale, University of Minnesota Press, Minneapolis, London, Geoffrey cumberlege, Oxford University Press, 1949, p. 4.

they do not belong to any commercial insurance program.

These services together with the efforts of the school seem to create in the (Muslim) followers a cohesion and a loyalty which are exceptional. Each member of the Nation of Islam is so thoroghly devoted and committed to the cause that he is willing to sacrifice his very life for the good of the group. This devotion became manifest in the interviews of members of school personnel of all strata. When various employees were asked as part of this study whether they might leave their job with the Nation of Islam to find a better job outside, the answer was always emphatically, "No !" One bus driver said :

"I am not working for money. I am working for my self — for my own people ; this is the best job I have ever had."(1)

A teacher commented :

"I believe I owe everything to the Nation of Islam, I am so delighted to work with the Honorable Elijah Muhammad to help propagate his cause in every way that I can."(2)

(1) Tape recorded - interview with a bus-driver in the (Muslim) schools September 21, 1965.

(2) Tape-recorded interview with a teacher in the (Muslim) schools, September 21, 1965.

A Ph. D. principal in the (Muslim) schools stated :

"The truth of the mission of the Honorable Elijah Muhammad is the main motivation for my being with the Nation of Islam today. In fact, I will say it is the only motivating factor in giving my life, my talent, and my energy to help the Honorable Elijah Muhammad get his work done among our people here in America which is badly needed. Since I have become a follower of the Honorable Eligah Muhammad, I definitely experience a great zest of life, a great purity of thoughts, a great desire to achieve as I never achieved before. It is, to me, a brand new existence. For the first time in my life, I began to realize just why I was born ; why I was put here.

After I heard the teachings of the Honorable Elijah Muhammad, I began to realize why I was born. It is my greatest pleasure to be able to help in a little way the work of the Honorable Elijah Muhammad as a servant to him and as a disciple of his. On first hearing him, I realized then that I was in the presence of a man who had to be from God in order to be able to teach us such profound things which bring about, overnight, a change in our lives.

incentive the students buy the paper at eleven cents a copy and sell it at fifteen, thus earning a fair profit if they work hard. In addition, the paper awards prizes such as new cars, tours, trophies, and other prizes for achieving high sales quotas. When students were interviewed and questioned as to whether they enjoyed selling the paper, their response was, "Yes, it is my paper." The forthcoming issues of the paper are always eagerly awaited, because every issue contains pictures and articles about boys and girls at school or selling the paper, as well as news about the celebration of births or marriages, or condolences for the deaths of (Muslim) members. The students are given recognition, find a place within the group, and gain new incentive to sell more papers.

The schools put forth great effort to see that the students are acquainted with each other. This facilitates the development of unity among themselves. All students in the school know each other by name, and each day begins with a religious assembly of all the students. Boys and girls sit in separate row. The school provides the necessary materials so that students may give one another hair cuts and shoe shines at school. The classes which meet three times a week at the mosque, and evening classes — the Fruit of Islam F.O.I.) for boys and the (Muslim) Girls Training (M. G. T.) or General Civilization Classes (G. C. C.) for girls — also ply an inportant role in helping students become a cohesive group with a basis of intimate relationships.

Intimate relationships within the group are fruther fostered by various services : which the organization extends to its members. Some of these services are :

1 — caring for the sick and widowed members.

2 — visiting members who are in jail for refusing to register for the draft or for any other reason, and defending those members if they must go to court.

3 — attaching a kitchen to each mosque so that those members who have no money and those whose wives are still Christian can obtain meals which follow the proscriptions of the (Muslim) diet.

4 — offering an evening class at every mosque to teach the adult members reading, writing, mathematics, the history of the black man, physical fitness, and self defense.

5 — providing health and welfare services to its members, as

The Role of The School of The Nation of Islam in America In Cultural Renewal

— V —

By :
Dr. Ibramih M. Shalaby

Another of the major values the (Muslim) school is attempting to develop within its students is a strong feeling of group solidarity. This value is promoted in a number of wayes so that the students and members of the Nation of Islam in general will feel a constant, strong bond uniting them with their fellow (Muslims).

(Muslim) stores and enterprizes all include either the word Muhammad or the word Shabazz as part of their names. The name Muhammad is used as a symbol of every (Muslim), and Shabazz refers to the lost tribe from which they believe the black man is descended. The incorporation of these key words into the titles of (Muslim) shops seems to serve a two-fold purpose. It works in a positive way to instill a deep feeling of identity and a sense of belonging, and, at the same time, removes the sense of poverty, need, and deprivation of the black man. The profits of the individual enterprises help support the organization itself, and also provide the (Muslim) with a pride of possessiveness. In addition, the (Muslim) shops exist as concrete examples of what (Muslim) students encounter in their text books when they read of "our bakery" and "our butcher shop."

Group solidarity is also encouraged through the sale of the weekly (Muslim) publication, Muhammad Speaks. All school boys from the third through the twelfth grades sell Muhammad Speaks. Each has a fixed weekly quota of sales. Vontress speaks of the paper as "probably the most widely circulated Negro weekly in this country,"(1) and it is small wonder since all (Muslim) school boys sell it. As an added

---

(1) Clemmont E. Vontress, "The Black Muslim Schools," Phi Delta Kappan, Vol. XLVII, No. 2, October 1956 p. 86.

If the divorce is for the first or the second time, the husband either retains his wife in good fellowship or sets her free with with liberality. He is not permitted to retain her for injury. The holy Qur'an says, what means : "When ye divorce women, and they fulfill the term of their (Iddat). Either take them back on equitable terms or set them free on equitable terms ; But do not take them back to injure them, (or) to take undue advantage ; if any one does that, he wrongs his own soul. Do not treat God's signs as a jest, but solemnly rehearse God's favours on you, and the face that He sent down to you the Book and Wisdom, for your instruction. And fear God, know that God is well acquainted with all things." (S. 2 : 231)

And : "Thus when they fulfill their term appointed, either take them back on equitable terms, or part with them on equitable terms;" (S. 65 : V. 2)

The husben is prohibited from taking any of what he has given her as a dower or as a free gift,* be it large or small, and whether she is rich or poor :

« وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ... ... »

(النساء ٢٠ ، ٢١)

It means : "But if ye decide to take one wife in place of another even if ye had given the latter a whole treasure for dower, take not the least bit back ; Would ye take it by slander and a manifest wrong ? " "And how could ye take it when ye have gone in unto each other, and they have taken from you a solemn convenant ? " (S. 4 : V. 20, 21)

(to be Continued)

---

*There is, however, one case in which the husband can take back what he gave, or some of it. That is when the wife herself is not happy with the marriage and there is no fault on the part of her husband. She may, then, offer him some of her wealth to get her freedom from such a situation. If he accepts, there will be no blame on him :

". . . It is not lawful for you, (men) to take back any of your gifts (from your wives), except when both parties fear that they would be unable to keep the limits ordained by God. If ye (judges) do indeed fear that they would be unable to keep the limits ordained by God ; there is no blame on either of them if she gives something for her freedom. . ." (Quran)

If the assigned time expires without improvement in their relations, the wife becomes free and has the right to refuse the resumption of relations with her ex-husband, or to accept the marriage again under some conditions because it is a new contract.

However, in the case of reconciliation either before the allowed time is ended, or by a new contract after its expiration, they will be given another chance similar to he privious one if they differ again with each other :

« الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ... » (البقرة ٢٢٩)

It means : "A divorce is only permissable twice ; after that, the parties should either hold together on equitable terms, or separate with kindness. . . . "

(S. 2 : V. 229)

But if they fail to understand how to live peacefully together after this second chance, the separation for the third time is permanent

Although the wife has to wait without marriage for the time required, the husband has no rights over her. They cannot re-marry each other until she marries another husband and their marriage ends in divorce, and unless they will be able to keep their marriage this time healthy :

« فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله ... » (البقرة ٢٣٠)

It means : "So if a husband divorces his wife (irrevocably), he cannot, after that, re-marry her until after she has married another husband and he has divorced her. In that case there is no blame on either of them if they re-unite, provided they feel that they can keep the limits ordained by God. Such are the limits ordained by God, which He makes plain to those who understand."

(S. 2 : V. 230)

In all these steps the husband must be honest and just. He must not do anything to annoy or harm his wife.

If the divorce is a necessity it must be done at the right time in the case of women who must wait for three courses so that the waiting period will be as short as possible :

"O Prophet ! When ye do divorce women, divorce them at their prescribed periods, and count (accurately) their prescribed periods. . . . " (S. 65 : V. 1 .

the wife is not free to marry another man, and the husband has the right to resume marriage relations with her if they can overcome their differences.

The first divorce is another attempt to cool the matter off and to give each of them an opportunity to think calmly and examine the situation carefully.

It is worthnoting that the Holy Qur'an still sanctions their marriage relations during the waiting period, and that each inherits the other if one of them dies before its experation. That is why the husband is instructed not to drive her from his house and she is instructed not to leave the house unless she is guilty of some open lewdness. It is not difficult to see the effect of their living in the same house, seeing each other everyday. No doubt this will facilitate more understanding if they still have any desire to keep their relationship :

« يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم . لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ......

(الطلاق ١)

It means : "O Prophet ! When ye do divorce women, divorce them at their prescribed periods, and count (accurately) their prescribed periods : and count (accurately) their prescribed periods and fear God your Lord, and turn them not out of their houses, nor shall they (themselves) leave, except in case they are guilty of some open lewdness, those are limits set by God ; and any who transgresses the limits of God, dœs verily wrong his (own) soul, thou knowest not if perchance God will bring about thereafter some new situation "

(S. 65 : V. 1)

"Divorced women shall wait concerning themselves for three monthly periods. (S. 2 : V. 22)

b) Women who have no menstruation, either naturally or for the old age they have reached should wait for three months :

"Such of your women as have passed the age of monthly courses, for them the prescribed period, if ye = have any doubts is three months, and for those who have no courses (it is the same) : . . . "

(S. 65 : V. 4)

c) Women who are pregnant should wait until they lay down their burden :

"For those who carry (life within their wombs), their period is until they deliver their burden: "

(S. 65 : V. 4)

WOMAN'S POSITION IN ISLAM - V

By :

Dr. Ahmad I. Mohanna

As we mentioned before, there should be an understanding between wife and husband about the manner in which their marriage could be best run, but it is natural that differences in opinions will spring from time to time for some reason or another; Islam, as a practical religion, does not overlook this fact; instead, the couple is instructed to try in every possible way to solve problems in private and as soon as they exist. If they fail and their differences prove to be a threat to the family life it becomes the duty of the society to step in and take part in their affairs by appointing two arbiters (one from the family of the husband, and one from the family of the wife) to help in reaching a solution :

« وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ... ... » (النساء ٣٥)

It means : "If ye fear a breach between them twain, appoint (two) arbiters, one from his family, and the other from hers; if they wish for peac, God will cause their reconciliation : for God hath full knowledge, and is acquainted with all things." (Verse 35, Ch. 4)

If this fails again, it would become clear that the marriage between this couple is a failure, and it would be better for them to separate from each other :

« وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما »

It means : "But if they separate, God will provide abundance for all from His all-reaching bounty : for God is He that careth for all and is wise." (Verse 130, Ch. 4)

DIVORCE

This separation is called the first divorce. The separation in this case is a temporary one for a period of time * during which

* The length of this period differs from case to case. The rule that is followed is this :

a) Women who have regular menstruations should wait for three courses :

to it; and if he did not find anything there, he used to question the Muslims around him if they knew of any decision of the Prophet in a matter of a similar case, and everyone of them stated what he knew from the Prophet, and Abu Bakr would say: "Praise be to Allah who had kept among us those who remembered what the Prophet had said". If he was unable to find anything in the Sunna of the Prophet, he gatherd to gether the heads of the companions and consult them, and if they agreed upon one opinion he decided according that opinion".

The second Caliph, Umar bin Kattab also followed the same rule. When there was a difference of opinion among the learned companions, he took the decision on the basis of the majority. Their unanimous or majority decisions and judgements were subject to the condition that they were neither contrary to the Holy Qur'an nor to the Sunna of the Prophet. This procedure was followed by the later Jurisprudents in the cases of new problems and needs of their ages.

4 — Qiyas

The fourth source of Islamic Jurisprudence is Qiyas. It literally means measuring by a thing or comparing with or judging by comparing with a thing. From the Jurisprudents' point of view it means a process of reasoning of a law based on Analogy i. e. A case might come up for decision, which is not expressly provided for either in the texts of Holy Qur'an or in the traditions of the Prophet, or by the unanimous decision of scholers (Ijmâ); Then the Jurisprudent looks for a case resumbling [illegible]n the Holy Qur'an or in t[illegible] sunnah or in Ijmâ, and by reasoning on the basis of Analogy (Qiyas), arrives at a decision. Thus, this is also a kind of extension of the law as met with in the Qur'an, Hadith, Ijmâ, but it is not of equal autharity with them; because it is based on only analogical deductions. Briefly it may be concluded as that the Holy Qur'an is the fountain — head of Islamic law, explined by Traditions of the Prophet, Unanimous opinion of the Muslim Jurisprudents and Analogical decision of the Muslim Jurists.

so that he who does not know should come to know, for knowledge does not disappear until it is concealed from the public." The importanc of this stage lies in the fact that the Calif himself took the interest in the formal collection of all Hadith of the Prophet in a systemetic way.

4 — After the death of Umar bin Abdul Aziz, the collection of Hadith entered to the fourth stage in the history of the work of collecting the Prophetical traditions. By the middle of the second century of Hijra, Hadith began to assume a more permanent shap and written collections had became popular. The first works on the subject are that of 'Imam Ibn Juraij, who lived at Mecca, Imam Malik bin Anas at Medina, Abdullah bin Waheb in Egypt, Mamar bin Abdul Razak in Yemen, Sufyan al Thawry in Kūfa, Hammad bin Salma at Basara, and Abdulla bin Mubarak in Kurasan. The book of Imam Malik bin Anas, known as the 'Muwatta' is considered the most important of collections of the second century.

5 — The fifth stage of the collection of the traditions started in the third century of Hijra. It was then that the great work of collection of Hadith brought to complete for. The most important works of this stage is the Six Books of the following Imams : 1 - Bukhari 2 - Muslim 3 - Abū-Dāwūd 4 - Tirmizi 5 - Ibn Māja 6 - Nasāī. These books classified the reports and arranged subjects under special headings. It may be noted that these works made Hadith easy for reference. There are two kinds of collections of Hadith : "Musnad" and "Jāmi". Musnad is meant the tracing of any Hadith back through various transmitters to the companion of the Prophet on whose authority it rested. So the collections of the Musnad contains reports of traditions of all sorts. The Jami means a work that gathers together ; it arranges reports according to their subject matter. The credit of bringing knowledge of 'Sunna' to perfection is due to these two kinds of collection of Hadith.

3 – Ijmâ

In the Muslim Jurisprudence, the term Ijmâ expresses the unanimous consent of the religious scholars. Imam Jalaluddin al - Suyūti reported in his famous book, "Tarikulkhulafa" (History of the Caliphs) that :

"During the reign of Abu Bakr, when a case came before him, he used to consult the Qur'an ; if he did not find it in the Book of Allah, and he knew of a Sunna of His messenger, he decided according

preservation of the text of the Qur'an, and the Sunna of the Prophet, was in the safe custody of good memory and the writings of the faithful conpanions.

In addition to this, there was a party of disciples who lived in Medina Mosque itself and they were speciall equipped for the teaching of the religion to the people outside Medina. Some of these would remain in the Prophet's company at all costs, and store up in their memory everything which the Prophet said or did about any aspect of human activities. Propeht's wife, 'Aysha' was also one of those who sought to preserve the traditions of him. She was gifted with a clear understand and a marvellous memory. According to a report, Omar bin Khattab made arrangements with one of his neighbour that they should be in the company of the Prophet on alternate days, so that each might report to the other, what happened in his absence. Most important of all, the Prophet had repeatedly laid the obligation on everyone of his followers to follow his Sunna and transmit it to others. These facts refute the mistaken idea that the need for Sunna was felt, and the preservation of it started only after the demise of Prophet (peace be on him).

There is no doubt that the collection and recording of the traditions of the Prophet, had passed through several stages. We can summarize the stages of collection of Hadith in five main stages.

1— First stage was during the lifetime of the Prophet.

2— Second stage started just after his dealth. In this stage Hadith had passed from individual into public possession.

3— Third stage began with the passing of the generation that had seen and heard the Prophet directly. This stage was a turning point in this field. At this time the writing down of Hadith became more and common ; but merely as an aid to memory.

Towards the close of the first century of Hijra, the Omayyad Calif, Omar bin Abdul Aziz, known Omar II, issued definite orders to the effect that written collections of Hadith should be made. It is reported by Bukhari, that he had written to governer of Medina, Abu Bakr bin Azm, the following letter: "See whatever saying of the Holy Prophet can be found and write it down, for I fear the loss of knowledge and the disappearance of the learned men. Do not accept anything but the true Hadith of the Prophet. People should make knowledge puplic and should sit in companies,

detailed principles of Islamic laws in three ways : By his sayings or by his practices or by his silent approval of the practice of some person. Since Islam covered the whole spheres of human life, hundreds of points had to be explained by the messenger of God, through his example in actions and words. The Holy Qur'an required the people to follow him and it declard that he was the example of Qur'anic life :

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » . (الأحزاب ٢١)

It means : "Verily in the messenger of Allah ye have a good example for him who looketh unto Allah and Last Day, and remembereth Allah much." (33 : 21)

There is some mis-conceptions, in certain quarters, about the transmission and the recording of Hadith during the life time of the Prophet. About the first point, it was a well established fact the transmission of the practices and sayings of the Prophet from one person to another became commen during the Prophet's lifetime. The Prophet himself used to give instructions with regard to the transmission of his teachings. Whenever a deputation came to him in the early days of Medina, the Prophet concluded his instructions to them with the following words: "Remember this and report it to those whom you have left behind". In some cases he said : "Go back to your people and teach them these things". It is also reported that when 'Mu'āz bin Jabal' appointed governer of Yemen by the Prophet, he was asked how he would judge cases and he replied : "By the Book of Allah ; if I do not find a direct instruction in it, by the Sunna of the Prophet of Allah. . . . ." Thus, the Sunna was recognised in the time of the Prophet as a source of Islamic guidance, and it started to be transmitted to different places and peoples.

About the second point, it is a fact that the people were started to record the traditions of the prophet by writing, and he sometimes objected to the writing, lest that the Hadith may be mixed up with the Qur'an. It is clear from this objection itself that the recording of Hadith started in Prophet's lifetime, in addition to preserving it in the memory of the thousands of the disciples of the Prophet. The Arabs had a wonderful and rare power of memory and in that memory they kept the beautiful poetry of the pre-Islamic days, and the Holy Qur'an, alive and intact. So the

of Mecca and Medina, had occasion to learn the Qur'an and the Islamic doctrine directly from him. It is the original source of Islamic theology, Jurisprudence, culture and civilization.

2 - The Sunnah

The Second source of Islamic laws is the Prophet himself as he is the recipient of the Qur'an and the typical model of the Qur'anic life. In him we find the precepts of Islamic teachings in their applied and concrete form. His precepts and examples are most reliable guide to the theoretical as well as practical knowledge of Islam. The record of his precepts and examples is called 'Hadith' or Prophetical traditions. Muhammad (peace be on him), as all the Prophets, was a man and his distinction was that he received revelation. The prophethood of Muhammad (peace be on him) is an integral part of the Islamic Faith. But he is merely a messenger and perfect servant of Allah. The text of the Kalima itself mentions this fundamental purity of faith in the Oneness of God. The Kalima says :

« لا إله إلا الله محمد رسول الله »

(There is no God but Allah and Muhammad is His messenger) or

« أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله »

(I witness that there is no God but Allah and I witness that Muhammad is His servant and messenger).

The Prophet lived only for 63 years and he received the first revelation in his 40th year. It is during these 23 years that he delivered his mission and worked. The nomadic children of desert who only a few years ago were the worst specimen of humanity, became during this short period of Muhammad's mission, the best men in every respect - morally, culturally, socially and politically — and the teachers of the then civilized world.

23 years in the life of an average man is not very much significant, for less as a whole this number only be lakened to potentiality of carrying humanity from progress to progress. The Prophet transformed this potentiality, within such a small period of time into practical shape. Hence the traditions of the Prophet is known as 'Sunna' which literally means a way or rule, or manner or example of acting or mode of life. Sunna, therefore, indicates the actions, practices and sayings of the Prophet.

The Prophet explained the teachings of Qur,an, and laid down the

one better or the like thereof. knowest thou not that Allah is Able to do all things." (11 : 106)

Being the last revealed Book, the Qur'an contains universal and eternal truths previously revealed to mankind at various stages of its development. As such, it is a systemetic and correctly formulated integration of past revelations and is the correct interpretation of man in relation to the Universe when man and his nature were made complete. It correctly interprets life, guides humanity in the right path and keeps the tourch of progress burning ever - fresh and bright through all ages to come. When such a complete and well - formulated Divine constitution guarantees preservation of its original purity, there will no longer be need for further revelation. The Holy Qur'an speaks clearly on this point when it declares :

« وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه ، قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون » (الأنعام ٣٧)

It means : "They Say : Why hath no portent been sent down upon him from his Lord ? Say : Lo ! Allah is Able to send down a portent. But most of them know not." (4 : 37)

The purpose of studying the Qur'an must be seeking knowledge and practical guidance in the aspects of life. the knowledge of Arabic Language and literature, is the Key to the proper understanding and assimilation of the message of the Qur'an. But translations and commentaries of the Qur'an, which are now available in different languages, will help only to acquire some general knowledge of this Divine Book. The true spirit of this eternal miracle of Islam may not be felt without complete knowledge of Arabic and the life of the Prophet.

The Qur'an laid down the principles of laws relating to rites, ceremonies and transactions. These principles needed explanation and sometime practical examples which were given by the Prophet. In this manner, the Prophet himself was the interpreter of the Qur'an. The interpretations of the Prophet may be divided into two parts :

(1) Explanation of the passages occurring in the Qur'an.

(2) Answer to questions or giving practical reflection on the texts of the Qur'anic passages. The Qur'an, as a living miracle of Islam and the Prophet, has retained its purity without the least change, for the last one thousand, and four hundred years. The companions of the Prophet, particularly the inhabitants

If any conflict between Qur'an and Nature appears it is not because of the conflict is real but because human study of Nature and of the Holy Qur'an is not perfect. Some people try to interpret the Qur'an to adjust it with the human interpretation of Nature. They claim that the knowledge of man is final and unfailing. This attitude definitely indicates the weakness of faith in the revelation of God. The Holy Qur'an is directly revealed from the Creator of Fitrat, and the Will of God made manifest in His creation. So the Qur'an would lead to discoveries of the secrets of Nature, and a careful study of Nature will help the proper inderpretation and understanding of the Qur'an. Whenever any contradiction between human - knowledge, and the Holy Qur'an arises, the human interpretation of Nature must be rejected as mistaken. As human knowledge increases the Qur'an unfolds itself gradually like a flower leaf.

Qur'an is the last of all revealed Books from God to the guidance of mankind. Humanity has been receiving guidance from God directly through revelation received by the Prophets, since the birth of man on this earth. The office of prophethood was sealed and made final with the complition of revelation of the Holy Qur'an. The Qur'an calls people to believe not only in the prophethood of Muhammad (Peace be on him) and the revelation of the Qur'an, but it enjoins the belief in previous revelations and prophets. The Qur'an declares :

« والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون »
(البقرة ٤)

It means : "And who believe in that which is revealed unto thee (Muhammad) and that which was revealed before thee, and are certain of the Hereafter." (11 : 4)

Thus the belief in previous revelations and prophets is a fundamental of the Qur'anic call. It is further stated in the Holy Qur'an that the prophets were sent to every people, and the discrepancy found between the Holy Qur'an and previous revelations is definitely due to human interpretation. The Holy Qur'an discovers earlier revelations and makes them complete. It removes all doubts on this point when it proclaims :

«ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ، ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير»
(البقرة ١٠٦)

It means : "Such of Our revelations as We abrogate or cause to be forgotten, We bring (in place)

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FÛDA

Muharram 1389	ENGLISH SECTION A. M. MOHIADDIN ALWAYE	MARCH 1969

THE SOURCES OF ISLAMIC LAWS

By :

A. M. Mohiaddin Alwaye

The religion of Islam is a complete and concrete system dealing with man and his affairs in all walks of life. It is not only laid down the fundamental principles of faith and the practical devotions but it also distinctly defined the rules of transactions, moralities, penal laws, and social, economical and political systems. The Holy Qur'an is the fountain — head of Islamic laws. There are beside this standing miracle of Islam, three sources of Islamic Jurisprudence; namely, the Sunnah (traditions of the Prophet), Ijmâ (the unanimous opinion of the Muslim Jurisprudents) and Qiyas (Analogical decision of them).

1 – The Holy Qur'an

Holy Qur'an is the first source of Islam. It contains the fundamen- t[illegible] Nature which [illegible] Qur'an and [illegible] perfec[illegible] harmony, because [illegible] religion is defined in the clear verses of Qur'an as the 'Fitrat' or Nature of God. The Qur'an Says :

« فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر النـــــاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

(الروم ٣٠)

It means: "So set thy purpose for religion as a man by nature upright-the nature (framed) of Allah, in which He has created man. There is no altering (the law of) Allah's creation. That is the right religion, but most men know not)." (30 : 30)



مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

الجزء الثاني ـ السنة الحادية والأربعون ـ صفر سنة ١٣٨٩ هـ ـ إبريل سنة ١٩٦٩ م

أسئلة [illegible]

وعد الله لا يخلف

للأستاذ عبد الرحيم فوده

١ ـ لا يستقيم معنى الإيمان إلا على أساس الثقة المطلقة واليقين الثابت بأن كل ما صدر عن الله حق وصدق ، ثم العمل على هدى ذلك بكل ما يأمر به ويدعو إليه ، والبعد عن كل ما يحذر منه وينهى عنه ، وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون » . فالمؤمنون الصادقون هم أصحاب العقائد القوية ، الذين يثقون بصحتها ، ويرتاحون لها ، ويحرصون عليها ، ويطمئنون إليها ثم يعملون على تحقيقها في العمل ، وتطبيقها في السلوك . ولا تزيدهم المحن والفتن إلا تمسكا بها ، وحرصا عليها ، وكفاحا دونها ، وجهادا بمقتضاها .. وهؤلاء هم الذين وعدهم الله بالنصر حيث قال : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » وحيث قال : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » وحيث قال : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون »

نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون » .

٢ — ولا شك أن وعد الله حق ، لأنه — جل شأنه — متصف بكل كمال منزه عن كل نقص ، وليس مما يتفق مع كمال كماله وجلاله أن يتخلف وعده عن عباده إذا حققوا شرط تحققه كما أمرهم ، واستقاموا على طريقه الذى شرعه لهم ، وقد وعدهم بالنصر إذا نصروه بالتزام دينه والعمل بشريعته . فقال جل شأنه : إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، وقال سبحانه : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » فإذا تخلف النصر عنهم فذلك لتقصيرهم فى القيام بما أمرهم بوده وهداهم إليه ، فإنه كما يقول جل شأنه : « إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون » وإذا ساءت حالهم ، وضاق عيشهم ، وخف فى ميزان الوجود شأنهم ووزنهم ، ولم تتحقق لهم الحيـاة الطيبة التى وعدهم الله بها حيث قال : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » فذلك يرجع إلى ضعف إيمانهم وعملهم وإعراضهم عن ذكر الله كما يفهم من قوله تعالى : « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » .

٣ — وقد مضت على المسلمين فى (المدينة) أيام سود وليال عصيبة رهيبة ، فكانوا يمسون فى السلاح ويصبحون فى السلاح ، ويغدون ويروحون فى السلاح ، حتى أصبح ترك السلاح أملا يحلمون به ويتشوقون إليه ، فقال أحدهم : ما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح ، وقال المنافقون : « ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا » فقال عليه السلام : ما تغبرون (تمكثون) إلا قليلا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم ليس معه حديدة ، ثم هبط الوحى بوعد الله كما يقول سبحانه : وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » ، وتحقق لهم كل ذلك فكانوا أئمـــة الناس والولاة عليهم ، ومكن الله لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وساد الأمن قلوبهم وربوعهم ، ودانت لهم الدنيا ، وطابت لهم الحياة ، ثم صاروا إلى ما يشير إليه قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

٤ — وإذا كان حالهم قد تغير فصاروا إلى تخلف بعد تقدم ، وضعف بعد قوة ، وضيق بعد سعة ، فإن وعد الله لا يزال قائما يلوح لهم بالحياة الطيبة والكرامة الموفورة والمكانة الرفيعة ، فإن (تعليق الحكم على مشتق أو موصوف يؤذن بعلية ما منه الاشتقاق أو الصفة كما يقول الأصوليون) ، وقد علق الله كل ما تطمح إليه نفوسهم من خير على الإيمان الصادق الصحيح ، والعمل الصالح الحسن ، فهما سبيل المؤمنين إلى النصر وقيادة غيرهم إلى طريق الحق والخير ، ومهما تكن الظروف التى نقاسيها ، والأحداث التى نعانيها والمؤامرات التى تحاك ضدنا فلن تضعف ثقتنا بوعد الله ، ولا إيماننا بعدله ، ولا أملنا فى فضله ولكن يجب أن نجدد نفوسنا بالتربية ، ونصحح أخطائنا بالتوبة ، ونقوى عزائمنا بالإيمان ، ونجمل نفوسنا بالتقوى ؛ فإن ذلك هو السبيل إلى أن يكون الله معنا ، فإنه كما يقول جل شأنه : « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » ، وكما يقول سبحانه : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

٥ — إن الإيمان هو الطاقة الدافعة إلى العمل ، والعمل هو الثمرة اللازمة للإيمان ، وهما سبيلنا إلى ما نرجوه من خير ونصر ، وبمقدار ما يكون إيماننا بالله ، واعتصامنا بحبله ، وثقتنا بوعده ، ووفاؤنا بعهده ، تكون الحياة الطيبة التى ننشدها والمنزلة الكريمة التى نرجوها ، والخير العظيم الذى نتطلع إليه ؛ فإن ذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ، ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا » .

ولا شك أن ملة إبراهيم هى الإسلام « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور » .

« ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد » .

عبد الرحيم فودة

اتخاذ الهجرة مبدأ للتأريخ عند المسلمين

للدكتور مهدى علام

جدير بنا ـ نحن المسلمين فى جميع أرجاء المعمورة ـ أن نقف اليوم وقفة تدبر وإمعان لنتبين السر العظيم الذى هدى أسلافنا الكرام إلى اتخاذ هجرة الرسول ، عليه الصلاة والسلام مبدأ التأريخ . وقد كان أمامهم نقط ابتداء هامة متعددة يستطيعون اتخاذ إحداها مبدأ للتأريخ الإسلامى . وسأتناول فى هذا المقال بحث هذا الموضوع ، بعد تمهيد موجز عن بيان النظم السابقة التى كانت الأمم المختلفة تتبعها فى ضبط تأريخها .

فمنذ أقدم العصور ، شعر الناس ، أفرادا وجماعات ، بحاجتهم إلى التأريخ ، أى إلى نسبة الأحداث والأعمال إلى نقطة زمنية يحسبون منها مرور الزمن ، بمقياس يصطلحون عليه ، بوصفه وحدة قياس زمنية ، كاليوم أو الأسبوع أو الشهر أو العام . وكانت ظاهرة النهار والليل أسبق الظواهر التى استرعت انتباه الإنسان إلى أول وحدة زمنية دقيقة هى اليوم . كذلك كانت المجتمعات الأولى فى تاريخ البشر تهتم اهتماما خاصا بظهور القمر وتتبع نموه منذ ظهوره هلالا ، إلى أن يستدير بدرا ، ثم يتناقص فى محاقه إلى أن يختفى ، ليعود مرة أخرى فى دورته الزمنية المنتظمة . فكانت هذه الظاهرة القمرية أساسا لوحدة زمنية أخرى هى الشهر ، وبذلك كان الشهر القمرى من أسبق الوسائل التى اتخذها الإنسان لعد أيامه ، وتبعا لذلك كان السبق للتقويم القمرى . ومن الدلالات اللغوية على ذلك ، الاشتراك فى الاشتقاق ، أو الترادف ، بين الألفاظ التى تدل على الهلال والقمر ، والألفاظ التى تدل على الشهر ، فى كثير من اللغات [١] .

على أنه جاء بعد ذلك عهد على الإنسان تنبه فيه إلى الدورة الشمسية ، فاتخذ الشهر الشمسى والسنة الشمسية أساسا لحساب الزمن .

وفى كل من الحالتين السابقتين : حالة الاعتماد على التوقيت بالدورة القمرية ، وحالة الاعتماد على التوقيت بظاهرة الدورة الشمسية لم يكن ثمة بد من نقطة يبتدىء بها التأريخ .

وفى العهود السحيقة فى تاريخ الإنسان ، قبل اختراع الكتابة ، لم تكن الذاكرة تعى أكثر من مدة قصيرة لا تتجاوز بضع سنوات

---

(١) يراجع فى ذلك على الأخص اللغات العربية ، والعبرية ، واللاتينية ، والفرنسية ، والإيطالية ، والأسبانية ، والانجليزية ، والألمانية .

ولهذا كانت المدة التى يحتفظ بها الناس فى ذاكرتهم مدة قصيرة ، ثم يتركونها وينتقلون إلى مدة أخرى يبدءون التأريخ بها لارتباطها بحادثة هامة فى حياتهم . ويظلون يحتفظون بسنواتها حتى يحدث حادث عظيم آخر يفرض نفسه على ذاكرتهم ، ويختفى عنهم عنه العدد الكبير من السنين المنسوبة إلى الحادثة السابقة ، وعندئذ يبدءون تأريخهم من هذا الحادث العظيم الجديد ويستمرون فيه حقبة أخرى ، وهكذا .

وهذه الأحداث التى كان الناس قديما يلجئون إليها نقطا لبدء حقبهم التأريخية ، كانت تختار فى العادة من بين الحوادث الجسام التى تسير مجرى الحياة فى المجتمع ، أو من النوع الذى يخلف ذكرى قوية لاتنسى ، كالفيضانات الجتاحة ، والزلازل المفزعة ، والبراكين المدمرة ، والحروب الرهيبة ، وتعاقب الملوك على العروش – كل هذه أمثلة مما كان يتخذه الإنسان نقطا يبدأ بها حقبه التأريخية . ونحن ما زلنا نجد صورة مصغرة لهذا النوع من التأريخ بين بعض معاصرينا ، ممن يؤرخون بمعنى كذا من الزمن على ثورة عرابى ، أو على العام الذى حجوا فيه ، أو على السنة التى تزوج فيها فلان من أسرتهم .

وفى طفولة البشرية لم يكن الإنسان يهتم ، أو لم يكن يستطيع أن يهتم ، بالدقة فى حساب التاريخ ، أو بربطه ربطا دقيقا بنقطة زمنية ثابتة . بل كانت الأمور تسير سيراً تقريبياً ومن المعروف أن أول من ابتكر نظاما للتأريخ المنظم المتواصل هو أمين مكتبة الإسكندرية فى القرن الثانى قبل الميلاد ، حتى إنه اكتسب ، بسبب ذلك ، لقبا هو : « أبو التأريخ » .

ومن أمثلة النظم التى كانت متبعة فى التأريخ ، النظام الأولمبى فى بلاد اليونان . فقد كانت الألعاب الأولمبية تقام مرة كل أربع سنوات فكانوا يؤرخون أحداثهم بأن يقولوا مثلا : حدث هذا فى السنة الثانية من الأولمبية الرابعة ، وهكذا .

ومن هذه النظم القديمة النظام الرومانى ، وكان هذا النظام يتخذ تأسيس مدينة روما مبدأ للتأريخ ، تنسب إليه الأحداث ، وتعاقب القناصل والأباطرة .

ثم كان هناك نظام التأريخ الفارسى ، الذى كان يبدأ باعتلاء الملك يزدجرد الثالث العرش (يوم ١٦ يونية سنة ٦٣٢ ميلادية) ، وهو نظام شبيه بالنظام الصينى القديم ، الذى كان يبدأ من سنة ١٦٣ ق . م . ويعد السنوات منسوبة إلى اعتلاء كل إمبراطور العرش ، فكانت مدة حكم كل إمبراطور تحدد حقبة تاريخية تبدأ بذلك الحكم وتنتهى بانتهائه .

وكان العرب قبل الإسلام يسيرون كغيرهم من الأمم المتبدية ، فيؤرخون بالأحداث

العظيمة التي تمر بهم وتؤثر في حياتهم ، كأيام العرب المشهورة في حروبهم ، والتي من أشهرها عام الفيل ، الذي ظلوا يؤرخون به حتى ظهور الإسلام ، وكذلك حرب الفجار وغيرها .

وبعد ظهور الإسلام اتخذ المسلمون عدة نقط زمنية بدءا لتأريخهم . فتارة كانوا يقولون : حدث كذا قبل البعثة بسنة أو بسنتين ، أو بعدها بكذا سنة . وأحيانا كانوا يؤرخون بالغزوات ، فيقولون : في عام الخندق ، أو بعد بدر بعامين ، وهلم جرا . وكان هذا النظام كافيا لتحديد الزمني الذي كانت تتطلبه حياة المجتمع يومئذ ، فلما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ، وتشعب نشاطها ، كان لا بد لها من نظام ثابت للتأريخ ، ينسب إلى نقطة زمنية ثابتة ، وتتبعه الدولة في جميع أنحائها ؛ فإن من دواعي الخلط ، وعدم الدقة في تحديد أزمنة الأحداث ، أن يكتب الخليفة مثلا إلى وال في الشام كتابا يؤرخه بالسنة السابعة والعشرين من البعثة النبوية ، فيرد عليه الوالي بكتاب يؤرخه بسنة كذا من بدر .

وأول من فكر في اتخاذ نظام ثابت للتأريخ في الإسلام هو سيدنا عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وكان ذلك جزءا من تنظيماته العامة للحكومة الإسلامية . ففي السنة الثالثة من خلافته ، أي في السنة السادسة عشرة من الهجرة النبوية ، رفع إليه صك موقعه بشهر شعبان . فقال : أي شعبان هو ؟ الذي مضى ، أو الذي هو آت ، أو الذي نحن فيه ؟

ثم جمع أصحابه وقال لهم : ضعوا شيئاً للناس يعرفونه . فقال قائل : اكتبوا على تاريخ الروم . وقال آخر : اكتبوا بتاريخ الفرس ، كلما قام ملك طرح ما كان قبله (أي ترك النقطة الزمنية التي كان يؤرخ بها ، وبدأ نقطة زمنية أخرى من تاريخ اعتلائه هو العرش) .

وتناقش القوم في الأمر . وكان أمامهم من أحداث الإسلام ما يغنيهم عن اصطناع النظم الأجنبية : كان أمامهم لنقطة البدء بالتأريخ مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، كما كان أمامهم يوم وفاته ، وكان لديهم كذلك يوم بعثته بدين الإسلام . ولكن رأيهم استقر على أن يتخذوا لتأريخهم يوم الهجرة من مكة إلى المدينة ، وهو اختيار أوحته البصيرة النافذة ، والتقدير السليم لحوادث التاريخ . فلقد كانت الهجرة هي أعظم حدث في تاريخ الإسلام ، لأنها الحادثة التي جمعت أنبل الصفات التي دعا إليها الدين ، كما تمثلت فيها معجزة الإسلام الكبرى . فقد كانت الهجرة هي نقطة التحول في ذيوع الإسلام ، وخروجه من شعاب مكة ، إلى أرجاء الجزيرة العربية ، ثم إلى سائر أجزاء المعمورة .

والذين قرروا اختيار هذا اليوم مبدأ

للتأريخ هم الذين شاهـــدوه وشاركوا فى أحداثه : هم المهاجرون والأنصار الذين تجلى فيهم إبان الهجرة خير ما تتحلى به النفوس البشرية . تجلى فيهم الاقتداء حين تحدى المهاجرون سطوة كفار قريش وبطشهم وتنكيلهم بهم لمغادرتهم مكة . وتجلت فيهم التضحية المنقطعة النظير حين تخلوا عن أهليهم وديارهم وأموالهم فى سبيل الله . وتجلى فى ذلك اليوم الإخاء الصادق والسماحة الهائلة حين استقبل الأنصار إخوانهم المهاجرين استقبال الأخ لأخيه ، وقاسموهم كل ماملكت أيديهم ؛ فهؤلاء الأنصار هم الذين تهافتوا على الرسول الكريم يوم قدومه للمدينة يقول له كل بيت فيهم : أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة . فلما عز عليهم جميعاً أن يقاسموا النبى بيوتهم ، قاسموها أصحابه المهاجرين .

ومن أروع ما يدل على ما كان يفيض به جو الهجرة من الكرم والسماحة أن التاريخ لم يذكر عن هؤلاء الذين تركوا مكة ولجئوا إلى المدينة أنهم « لاجئون » . لقد كرمهم الله تعالى بما كرمهم به الأنصار بتسميتهم بالمهاجرين . وكرم الله تعالى هؤلاء وأولئك بما أنزله فيهم من القرآن الكريم : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، رضى الله عنهم ، ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، ذلك الفوز العظيم » .

أما معجزة الإسلام الكبرى التى تمثلت فى حادثة الهجرة ، فهى أنه فى تلك الساعة التى كان الإسلام فيها مضطهدا طريداً من وطنه، حقق أعظم انتصار لرسالته . وكذلك كانت قوة الإسلام دائماً ، يرفع علم انتصاره حتى يوم اضطهاده ، وتعلو كلمته ، حين تعظم محنته ، ويقبل عليه الناس حتى إبان العدوان عليه . ومن هذه القوة الروحية العظيمة استمد سلطته السياسية ، ونشر لواء العدل والمساواة فى العالم .

وبعد فقد كانت الهجرة فى اليوم الثامن من ربيع الأول ، الموافق لليوم العشرين من شهر سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية ، وبدأ التأريخ بها فى اليوم السادس عشر من شهر يوليه سنة ٦٣٩ ميلادية .

وفى هذه الذكرى السامية تتحرك فى نفوسنا تلك العزة التى استمسك بها أسلافنا الكرام، فى نفوسهم الأبية ، وقلوبهم الصفية ، وعقولهم الرشيدة ، وأحكامهم السديدة ، لنستلهم من ذلك كله منهجا يهدينا إلى سواء السبيل : إصلاحا لنفوسنا بهدى الدين القويم وشحذا لعزائمنا بالصمود فى وجه أعدائنا ، واستنهاضا لقـــوانا لاسترداد مقدساتنا الإسلامية ، وأرضنا العربية العزيزة .

مهدى علام
عضو مجمع البحوث الإسلامية

حياة العمل ، وحياة الذكرى

عاش فضيلة المرحوم الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر حياته الأولى مبتدئا نشأته المكتبية بعد طفولته وهو فى سن مبكرة لحفظ القرآن الكريم وأجاد تلاوته — ثم كانت حياته الأزهرية بالانتساب إلى الأزهر وقد كان المذهب الحنبلى وقتئذ فى قلة وكاد يندثر ، فأراد المغفور له فضيلة الشيخ محمد شاكر وكان وكيلا للأزهر أن يحيى هذا المذهب فاختار من بين المتقدمين الشيخ السبكى وألزمه بذلك لما رأى عليه من ملامح الذكاء والنجابة فسار فى طريقه سيرة الطلاب النابهين الأخيار لجد واجتهد وكافح حتى لمع اسمه بين أقرانه ونال عطف جميع أساتذته وفى وسط الطريق دفعته طبيعته الأدبية إلى أن يكون خطيبا وكاتبا وكان لا يقعد به جده ونشاطه فى تحصيل العلوم — وهذا كرتها عن القيام بواجبه الوطنى فإذا ما حدثت المناسبات كان يبث الروح الوطنية فى قلوب إخوانه وزملائه مستمدا من بعض أساتذته الذين كانت لهم اليد الطولى فى الحركة الوطنية .

وهكذا انتهت حياته التعليمية على خير مثال يحتذى فنال شهادة العالمية بتفوق ثم اختير مدرسا العلوم الحديثة بمعهد الزقازيق الدينى ولمكانته العلمية وتفوقه فى مذهب الإمام أحمد ابن حنبل اختير مدرسا بالأزهر فتخرج على يديه كثير من طلاب هـــذا المذهب وظل متخصصا فى دراسة هذا المذهب فى كلية الشريعة الى أن عين مفتشا للعلوم الدينية ثم رئيسا للتفتيش ومديرا لمجلة الأزهر .

ونال عضوية جماعة كبار العلماء بعد تقديم رسالته العلمية التى شهد له بالتفوق فيها كل الأعضاء بالإجماع ، وقد اختير عضوا فى لجنة الفتوى بالأزهر فى عام ١٩٢٥ ثم رئيسا لها فى عام ١٩٦٥ ، وكل هذه المناصب التى تولاها قام بالعمل فيها على أحسن وجه وأكمله .

ولفضيلته مؤلفات كثيرة اختارها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى كان يعمل به رئيسا للجنة التعريف بالإسلام وعضوا بلجنتى الموسوعة والخبراء فطبعها على نفقته ونشرها فى الأقطار الإسلامية للنفع بها ومن أبرزها — نفحات القرآن ورياض القرآن — .

الهجرة فى ضوء علم التنظيم وطرق العمل

للعقيد / حسن فتح الباب

— ٢ —

رأينا كيف أن محمدا عليه الصلاة والسلام وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب باختياره أبا بكر رفيقا له فى الهجرة من قبل أن يضع علماء التنظيم الإدارى تلك القاعدة بنحو أربعة عشر قرنا .

وإذا حللنا شخصية على بن أبى طالب رضى الله عنه تبينا دقة اختيار النبى صلى الله عليه وسلم له فى المهمة التى ناطها به فى الهجرة .

تلك المهمة التى عهدها النبى إلى «على» من أن يتوسد رداءه وينام على فراشه كى يطمئن المتآمرون إلى أن محمدا عليه السلام لم يبرح داره على حين يكون هو وصاحبه الصديق يغذان السير فى الصحراء إلى يثرب آمنين من مطاردة الكفار لهما بضع ساعات يكونان قد قطعا خلالها بعض الطريق وأويا إلى مأمن .

ويتطلب نجاح هذه المهمة أن تسند إلى إنسان تتوافر فيه صفات الفداء أولا :

وكان على بن أبى طالب أصلح الصحابة لهذا الموقف بل أصلح الرجال من ذوى قرابة النبى فهو ابن عمه ، وكان لم يزل دون الحلم ، ودخوله دار النبى وتوسده فراشه لم يكن ليسترعى نظر المتآمرين إذ كان أقرب أهله إليه وكان يقيم فى بيته .

ثانيا : قوة الإيمان ، إذ بمقدار أو بعمق إيمان من ينتدب لذلك العمل تكون درجة توفيقه فى أدائه . ولقد كان على رضى الله عنه فى طليعة الصحابة قوة إيمان وكلهم أقوياء الإيمان بالله ورسوله ورسالته ، فهو أول من آمن بالله ورسوله إذ يقول أكثر أهل العلم أن أول من آمن كان على بن أبى طالب وخديجة بنت خويلد زوجة النبى عليه السلام ،

كما خدم العلم والدين بمقالاته التى تنشرها الصحف والمجلات وبأحاديثه فى برامج الإذاعة والتليفزيون وكانت موضع الإعجاب ممن قرأ له أو سمع منه لأنه كان أمينا فى كل ما يكتبه ويذيعه لا يحيد عن الحق ولا يتزحزح عنه وكثيرا ما كان يناقش من يدلى برأى غير صائب ومن ينحرف بدعوى التجديد على غير هدى .

هذا ولجنة الفتوى بالأزهر خاصة تشهد بما كان له فيها من خدمات جليلة ومواقف مشرفة ومعاشرة طيبة ، فإذا ما ذكرت شيئا عن مناقبه فإنما ذلك الذكرى التى تجعله فى عداد الخالدين ، أسكنه الله فسيح جناته ، وجزاه أحسن ما يجازى من خدمة العلم والدين .

محمد سامونه (عضو لجنة الفتوى بالأزهر)

ويقول بعض الرواة إن أول من آمن ـ غير خديجة ـ على وأبو بكر واختلف فى الأول منهما والأكثر منهم يقولون : على ، واختلفوا فى سنه يومئذ بين ثمانى سنين وخمس عشرة سنة .

ثالثا : الأخوة وتبادل المحبة والثقة : فلم يكن الرسول ليُنيب عنه فى مثل هذا الموقف الصعب غير أخ حميم يعطى الأخوة حقها فى الشدة كما يعطيها حقها فى الرخاء . يعطيها المحبة والوفاء والإخلاص والتضحية بل يؤثر أخاه على نفسه ، وكان ذلك الرجل هو على بن أبى طالب الذى وصفه رسول الله بأنه رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وزوجه ابنته فاطمة الزهراء .

رابعا : الشجاعة وروح الفداء . فلقد كان مبيت على فى فراش النبى ثم طلوعه على المتآمرين صباحا يخبرهم بما يتضمن أن رسول الله قد غادر البيت أمرا محفوفا بالمخاطر التى تصل إلى حد القتل بيد هذه العصابة انتقاما منه ولا سيما إذا لاحظنا أى خيبة أمل أصابتهم بعد إخفاقهم فى مؤامرتهم وما يترتب عليها من خزيهم بين العرب جميعا .

لقد كان هذا الموقف يتطلب بطلا مثاليا وكان على رضى الله عنه هو ذلك البطل رشحته نفس مطبوعة على الاستبسال مفطورة على الشجاعة مشغوفة بالتحديات ومواجهة الأحداث الجسام وقد صقلها الإيمان منذ الصبا الباكر فضاعف من قوتها وأرهف من عزمها وجعل الحياة أصغر لديها أمام جلال المقاومة وروعة الجهاد فى سبيل الله ورسوله والمؤمنين .

فإذا تأملنا الأدوار الأخرى التى حددها رسول الله لمن اشتركوا معه فى إنجاز الهدف الجليل وهو الهجرة إلى المدينة تبينا دقة اختياره لكل شخص ووضعه حيثما يكون أكثر فائدة وتحقيقا للغرض من سواه ، وفى وسع الباحث المعاصر ـ مسلما كان أو غير مسلم طالما ن الوصول إلى الحقيقة غايته ـ أن يتأكد من تمام تطبيق تلك القاعدة الإدارية إذا تصفح تاريخ كل من شارك رسول الله فى الإعداد للهجرة وتنفيذها ، فالتاريخ خير شاهد على موهبة التنظيم الإدارى التى منحها الله رسوله بما يرويه من وقائع ومعاملات تثبت توافر الصفات الكفيلة بنجاح الفرد فيما ندبه له الرسول وخصصه له .

لقد اختار ـ بادىء ذى بدء ـ جماعة يرتبط كل من أفرادها بأبى بكر الصديق بصلة وثيقة أو يكون موضع ثقته على أقل تقدير ، فلقد كانت « السرية » شرطا ضروريا لتحقيق الهدف فلو أن فردا واحدا لا تتوافر فيه صفة الكتمان قد ندب للقيام بدور فى هذه

الرحلة ، لما تحقق الغرض ومن ثم كان اختيار أسرة الصديق للمعاونة فيما تتطلبه المسيرة العظمى من شئون اقتضاها التخطيط المحكم القائم على إعداد العدة قبل التنفيذ .

وفضلا عن ميزة اختيار جماعة قرابية واحدة من حيث كتمان العمل المتفق عليه فإن ثمة ميزة أخرى لهذا الاختيار وهى ضمان الانسجام بين أفراد الجماعة لما يؤدى إليه ذلك من تعاون وثيق إذ يصبح الجميع كأنهم رجل واحد ، ولا يخفى ما يسفر عن ذلك من إيثار الفرد للصالح العام على المصلحة الشخصية بل إن كلتا المصلحتين تندمجان ، فتلتهب الحماسة ويتضاعف الجهد ومن ثم يركز علماء التنظيم الإدارى على أهمية توافر روح الجماعة فى نفوس العاملين بوصفها الدعامة الأولى للنجاح .

وقسم النبى عليه السلام العمل بين أفراد هذه الأسرة المؤمنة تقسيما يتفق مع أحدث أصول التنظيم وطرائق العمل ، وهو التقسيم على أساس الخبرة والتخصص .

وكانت الأسرة تتألف من عبد الله ابن أبى بكر وأختيه عائشة وأسماء ومولاهم عامر ابن فهيرة .

وقبل أن نحلل مهمة كل منهم وتناسبها مع طبيعته وصفاته وإمكاناته ، يجدر بنا أن نذكر أن اختيار النبى وأبى بكر قد وقع على رجل من كفار قريش هو عبد الله بن أرقط ويقال ابن أريقط الديلى ليكون دليلهما فى الطريق إلى المدينة . وقد يثور تساؤل عن أسباب اختياره — وهو كافر — للقيام بتلك المهمة الدقيقة ؟ ألم يكن ثمة مسلم يصلح للقيام بها ؟ ألم يكن من المحتمل أن يعمد هذا الرجل إلى الوشاية بمحمد وصاحبه إلى قومه المشركين من قريش أو التآمر مع بعض هؤلاء لإيقاع النبى وأبى بكر فى كمين تنتظرهما فيه طائفة من المجرمين كى تقتلهما أو تأسرهما وتسلمهما إلى قريش ، أو تضلهما عن الطريق الصحيح وتتركهما فى الصحراء حتى يهلكا

والإجابة على ذلك — فى ضوء العلوم والتجارب العصرية — أن الخبير الذى لا غنى عنه وليس ثمة بديل يقوم مقامه لامفر من استخدامه ولو لم يكن على دين من اختاره طالما كان موضع ثقته الشخصية ، ومثال ذلك أن الدول الإسلامية الحديثة تستخدم خبراء أجانب غير مسلمين للاستفادة بهم حيث تقصر الطاقات البشرية المحلية . أما الخطأ فهو الاستعانة بخبير من غير أهل الدين على حين يوجد مثله بين المسلمين . والقاعدة الشرعية أن الضرورات تبيح المحظورات والإسلام شريعة ودولة فهو يستند

فى أحكامه إلى الواقع والمصلحة دون تعصب أو تعقيد .

ولقد استعانت الدول الإسلامية قديما بالخبراء الأجانب من الكتابيين وغيرهم الوافدين إلى دار الإسلام فى سبيل الانتفاع بعلومهم وخاصة فى عصر النهضة العلمية أيام الخلفاء العباسيين ، فكان ذلك عاملا مساعدا على ازدهارها وبلوغها مبلغا عظيما فى مضمار الحضارة مما سجله التاريخ فى صفحات من نور ولا يعترض على ذلك بأن الاستعانة بهؤلاء الأجانب كان من أسباب تفسخ الدولة العباسية وانحلالها .

فالواقع أن ترك الحبل على الغارب للشعوبيين الخارجين على الأمة الإسلامية من مواطنين أو أجانب وعدم تحرى الدقة فى اختيار فئة الخبراء برغم كثرتها هما بعض تلك الأسباب والعوامل ولا تكمن العلة فى استخدام الخبراء ذاته . بل إن استخدام الخبير الأجنبي بعد اختياره ثم الرقابة الخفية عليه فى أثناء عمله مع حسن معاملته قد يكون سببا فى إسلام ذلك الخبير كما حدث فى حالات لا يحصرها العد إبان ازدهار الدولة الإسلامية ، وكما يحدث فى عصرنا الحاضر . فثمة شرطان أساسيان للاستعانة بخبير من غير الملة : أولهما : أن يكون موثوقا به ، والثانى أن يكون اختياره حتميا بمعنى ألا يوجد من أهل الملة مثيل له . وقد توافر هذان الشرطان فى عبد الله ابن أرقط إذ يقول كتاب السيرة إنه كان كافرا لكن النبي وصاحبه وثقا به وكان خبيرا بالطرق . وجاء فى الحديث الصحيح أنه كان هاديا خريتا - أى حاذقا - يعرف مضايق الطرق ولو مثل خرت (أى ثقب) الإبرة لذلك دفع رسول الله وصاحبه راحلتيهما إليه واستأجراه ليدلهما إلى المدينة .

ويأخذ الفقهاء من ذلك جواز الاعتماد على الكافر فى الأمور الخطيرة إذا غلب على الظن أنه لا يخون ، كالاعتماد على الكافر فى الكحل (علاج أمراض العيون) وعلى النصارى فى الطب والكتابة والحساب ونحو ذلك من الشئون العلمية والإدارية والمالية ، مالم تكن ولاية فيها عز ، فلا يجوز الاعتماد عليهم فيها . ولا يلزم من مجرد كون الخبير كافراً ألا يوثق به فى شيء ، فإنه لا شيء أخطر من الدلالة فى الطرق ، ولا سيما فى مثل الهجرة . ومع ذلك فقد اعتمد رسول الله فيها على هذا الرجل وهو كافر وحمدت العاقبة فى ذلك . والدليل على حسن هذا الاختيار أن ابن أرقط قد سلك بالنبي وصاحبه طريق الساحل ، الأمر الذى لم يرد على خاطر قريش إذ لم يكن طريقا مألوفا فى ذلك الحين .

ومن ثم فإن اختيار عبد الله بن أريقط مرشدا ودليلا كان وضعا للرجل المناسب فى المكان المناسب .

أما عبد الله بن أبى بكر فقد كان دوره الصدد هو استطلاع أخبار قريش بمكة والوقوف على رد الفعل الذى أحدثه خروج النبي سراً وما عسى أن يدبره زعماؤها لوقف مسيرته عليه السلام ، وبذلك يكون رسول الله وصاحبه على بينة مما يحاك خلفه من مؤامرات فيستطيع أن يتقيها ويبلغ مأمنه فى يثرب ، ومن ثم تبدو أهمية العمل الذى أسند إلى عبد الله بن أبى بكر وحساسيته وخطورته ، ومدى تأثيره فى تحقيق الهدف ، ومثل هذا العمل يتطلب فيمن ينهض به توافر عدة صفات أساسية : أن يكون قوى العقيدة ، موثوقا به ، قادراً على أداء هذا العمل .

وكان عبد الله بن أبى بكر هو الرجل الذى يصلح لتلك المهمة لاجتماع هذه الصفات فى شخصه ، فأما قوة عقيدته وأهليته للثقة ، فيكفى دليلا عليهما انصياعه لأمر أبيه راضيا قرير العين حين ندبه لتقصى أخبار الفئة الباغية من قريش بمكة ، ثم إبلاغها إلى الرسول وصاحبه فى مأمنهما على الطريق من مكة إلى يثرب . وأما قدرته على أداء ما ندب له فإنها ترجع إلى رباطة جأشه وثباته وحسن تصرفه ـ وتلك صفات ورثها عن أبيه ـ وإلى أنه لم يكن موضع ريبة من قريش فتظن به الظنون إذا جلس فى مجالسها أو حام حولها إذ لم يلازم الرسول مثل أبيه ولم يكن من أهله ، ففرصته فى استقاء الأنباء وتقصيها أوفر من غيره ، كما أن حبه أباه وإيمانه بالله ورسوله حافز أى حافز له على بذل جهده فى سبيل خدمتهما .

ولا ريب فى أن مثل هذا العمل الذى عهد إلى عبد الله بن أبى بكر القيام به كان يتطلب روحا فدائية ، ولقد كان عبد الله مسلما فدائيا وظلت شعلة التضحية متقدة فى دمه طوال حياته القصيرة ، وأبى إلا أن يكون مقاتلا تحت راية رسول الله فى الغزوات ، وكان من شهداء الإسلام فى حصار الطائف إذ أصابه سهم فاستمر بسببه مريضا حتى مات فى خلافة أبيه رضى الله عنهما .

وكان دور أسماء بنت أبى بكر الصديق فى الهجرة أن تأتى النبي وصاحبه بالماء والزاد إبان اختفائهما عن أعين قريش ، وتنقل إلى أبيها وصاحبه فى الغار ما علمت من أخبار قريش ، ويشهد تاريخ حياة أسماء منذ عصر النبي عليه السلام حتى عصر خلفاء بنى أمية بأنها نموذج يندر مثيله بين النساء : قوة إيمان وقوة إرادة تتجسدان فى مواقف الصمود والتضحية بكل غال فى سبيل الحق والثبات على المبدأ .

لقد بادرت أسماء إلى الإسلام حين أسلم أبوها الصديق وهي في الرابعة عشرة من عمرها فكانت من أول الناس إيمانا بالله ورسوله ، وصارت من أفضل الناس خلقا وعلما بحكم اهتدائها بهدى الإسلام ، واكتمال نشأتها في ظله .

وكان أبوها الصديق العظيم يرشحها لأعظم الأعمال ، فحين ذهب النبي في بيته ليحدثه بأمر الهجرة إلى المدينة بعد أن أذن الله تعالى له بها ، وقال له : « اخرج عنى من عندك » (يريد أن يخلو به ليحدثه سرا) قال أبو بكر : « يارسول الله ، إنما هما ابنتاى (يريد أسماء وعائشة) . فأخبره الرسول خبر الهجرة في حضورهما ، مما ينبيء عن أعظم الثقة بهما . فلا غرو أن يعهد أبو بكر إلى ابنته دورا مؤثراً لا يستطيع أداؤه إلا من توافرت فيه قوة الإيمان والطاعة والثقة والشجاعة والمقدرة .

فحين خرج الصديق مع النبي إلى الغار ، واختفيا فيه ثلاثة أيام والكفار يبحثون عنهما في كل مكان ، كانت أسماء تخرج كل ليلة في الظلام الحالك ، تحمل لهما الطعام والأنباء غير مبالية ـ وهي مازالت بعد صغيرة السن ـ بوحشة الليل ، ورهبة السرى في الصحراء المترامية ، وعدوان الكفار الذين بثوا العيون والأرصاد في الطريق من مكة إلى المدينة ليظفروا بمحمد ، ومستهينة بكل خطر في سبيل الله ورسوله . فأى معدن أصيل من النساء كانت تمثله أسماء !

ولما هم الصاحبان بالرحيل إلى المدينة جاءتهما أسماء بما يحتاجان إليه في رحلتهما من زاد وماء ، وهمت بتعليقه في رحل البعير فلم تجد رباطا فحلت نطاقها وشقته نصفين ربطت بأحدهما الزاد . وانتطقت بالآخر ، فقال لها الرسول : « أنت ونطاقاك في الجنة » وسميت بعد ذلك بذات النطاقين .

وجاءتها قريش عقب خروج أبيها مع النبي مهاجراً تسألها عن أبيها ، فقالت : لا أدرى أين يكون ، فلطمها أبو جهل لطمة أطارت قرطها من أذنها ، واحتملتها في سبيل الله ، وأقبل جدها أبو قحافة وكان كفيف البصر مهموما يقول لها في غضب وحزن : لقد فجعكم أبو بكر في نفسه وفي ماله ، فقالت أسماء : كلا يا أبت ، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً ، وصارت تحرك يده على جرة ملأتها حجارة وغطتها لتوهمه أنها مملوءة بالمال ، وملأت به حتى اطمأن وهدأ غضبه ، وتروى أسماء هذه الواقعة فتقول :

« لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل ماله كله معه ـ خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف ـ فانطلق

بها معه ، فدخل علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره ، فقال : والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه . فقلت : كلا يا أبت ، إنه ترك لنا خيراً كثيراً ... ثم أخذت أحجاراً فوضعتها فى كوة البيت ، حيث كان أبى يضع فيها ماله ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده فقلت . ضع يا أبت يدك على هذا المال . فوضع يده عليه وقال : لا بأس ، إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم ... فلا والله ما ترك لنا شيئاً ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك » .

وفى تلك الواقعة دلالة على ما اتسمت به أسماء من إصرار على الموقف وذكاء فى التصرف كانت تقتضيهما طبيعة المهمة التى وكلت إليها .

وليس ثمة شك فى أن أبا بكر الصديق إذ ناط بابنته أسماء ذلك العمل الشاق المحفوف بالمخاطر كان يدربها على الاضطلاع بالمهام الكبرى فى مستقبل حياتها ، الأمر الذى أكد التاريخ نجاحه فيما روى عنها من صفحات مجيدة تمثل ملحمة بطولية يعتز بها تاريخ النساء فى الإسلام .

فقد تزوجت أسماء فى صدر الإسلام من الزبير بن العوام أحد أصحاب رسول الله ، وكانت وهى ربيبة النعمة والثراء فى بيت أبى بكر الصديق تقوم بنفسها بخدمة بيتها ، وكانت تعلف لزوجها فرسه وتسقيها حين عجز أن يستأجر خادما لها .

وبحكم ما تلقته أسماء من مبادىء الدين وتعاليمه منذ صغرها ، وما أخذت عن أبيها من علم ، وما سمعته من النبى عليه السلام من حديث ، فقد كانت من الصحابيات اللاتى روين الحديث ، ونشرن العلم فى صدر الإسلام وتروى كتب السنة عن أسماء كثيراً من الأحاديث ومنها استنبط العلماء والفقهاء الأحكام الفقهية والمسائل الدينية

ولقد عاشت أسماء أكثر أيامها الأخيرة مع ابنها عبد الله بن الزبير ، وشاركته حياته العاصفة ، وكف بصرها فى آخر حياتها ، ولكنها ظلت حاضرة الذهن ، عامرة القلب بالإيمان والإخلاص للحق ؟

حسن فتح الباب

طريق العودة

للشاعر عبد الهادي حرب

الله أعلم ذاك شيء مبهم ... يقسو الزمان على الورى أو يرحم

نسبوا إليه جميع ما فوق الثرى ... هدى الزمان . وإنما خلقوا هم

فالشمس قد هديت صراطا واضحا ... تجرى كما شاء الإله الأعظم

والبدر يسبح فى الفضاء إلى مدى ... وفق الإرادة والسما والأنجم

طالعت أسفار الدهور هشبة ... فقرأت ما خط الورى أو ترجموا

عبر من الأيام . لكن أين من ... يصغى لها . بل أين من يتعلم ؟

وغرقت فى بحر تلاطم موجه ... صخبا فبحر الحادثات عرمرم

وكأن ما تيك القرون جميعها ... بعثت بفكرى جمرة تتضرم

وإذا بيثرب مقبل فى جحفل ... لجب وبين يديه يسعى بحرم

وإذا بهم ألقوا قيادتهم إلى ... طه الذى صلوا عليه وسلموا

وإذا بدين الله يفتح فى الدنا ... كبرى الممالك والقياصر تهزم

بالوحدة العصماء شقوا دربهم ... فإذا فسيح الدهر ذاك الأعجم

صنعوا لنا التاريخ أبيض ناصعا ... يحمر حينا إذ يراق لهم دم

ومشوا على هام الكواكب فترة ... إن كنت تجهلهم فسلني عنهمو

ومضى الزمان فبدلت أخلاقهم ... فتأخروا ، والآخرون تقدموا

مذ ضيعوا التوحيد ضاع شبابهم ... هدرا وبركة الحنيفة منهمو

لم تمح عهد المجد عن إدراكهم ... لكنهم عن قول ربهم عموا

وتفرقوا فتمزقوا شيعا وأحـ ... ـزابا يقودهم الضلال الأشأم

يخشون طنطنة الذبابة وهم ... والأسد كانت فى الوغى تتحاشمو

عودا بنى وطنى لنهج كتابكم ... إن الكتاب هو الصراط الأقوم

عودا بنى وطنى لوحدة صفكم ... ستعود أرضكم إذا ما صمموا

لجروح يعرب داميات يابنى ... وطنى وفى آى الكتاب (المرهم)

«حطين» ما زالت تريد «صلاحها» ... هل فيكم ياقوم ذاك الضيغم ؟

قولوا : نعم فينا ولكن لم يزل ... فينا التشتت . والتفرق يحكم

عبد الهادي حرب

التاريخ الديني والعلم

للدكتور عفيفي عبد الفتاح

يتساءل (هنري برجسون) في طليعة حديثه عن الدين والأخلاق، عما كان عسى أن يكون عليه الوجود الإنساني، لو أن آدم لم يأكل من الشجرة ولم يهبط من الجنة إلى الأرض؟

ويثير هذا التساؤل صورا لا حاط لها في الخيال من العوالم الممكنة بيد العناية الإلهية. وتتبع الفكر النظر في أيها كان أفضل مقاما ومصيرا؟

ويفترض التساؤل، أو يحمل في طيه اعتبارا أن التاريخ الإنساني متصل بالخطيئة، وأن أحداث هذه الخطيئة قاعدة الحياة البشرية على وجه الإطلاق.

والفيلسوف (برجسون) رجل ديني قبل أن يكون فيلسوفا فهو متأثر تبطا بالتصورات الدينية المسيحية على غرار ما كان عليه فلاسفة العصر الوسيط، عصر سيادة الدين بعلومه وثقافاته وآدابه وفلسفاته.

ولا شك في أن كثيرا من هذه التصورات كان صدى لوجود تاريخي وواقعي وأنها تطامنت في امتداد عصور النهضة التي تمردت على سلمها محاولة أن تسدل ستارا كثيفا من نسج العلوم المادية الملائمة لهوى الإنسان في حياته العامة.

وقد كان من هذا الاختلاف بين السالف والخالف اختلاف مقاييس النظر والحكم في مجال اتصال التفكير الديني بالتفكير العلمي الحديث، فقد ترى الباحثين المحدثين يعترفون للدين بصدارته بين روافد الثقافات الحديثة بينما لا يكادون يأخذونه إلا كظاهرة اجتماعية تسمح لهم أن يتحدثوا، كيفما شاءوا في جوهره ومصدره، طواعية لما تمليه عليهم الفروض العلمية.

ونتيجة لذلك أن شهدنا، ونشهد اليوم أيضا، تباعدا واضحا بين الذين يكتبون عن التاريخ الديني من ناحية. والذين يكتبون عن تاريخ العلوم، وبخاصة العلوم الطبيعية والكونية، من ناحية أخرى، فهم لا يتلاقون في الطريق، ولا ينتهون عند أمر جامع.

والذي يؤسف له أن يبدو هذا التباعد في مسائل ذات أهمية بالغة في صميم كيان ثقافتنا الدينية والعلمية، مما قد يستحيل إلى بلبلة واضطراب في فهمنا لهذه الثقافة.

ونلفت النظر هنا إلى موضوعين كمظهر لذلك ؛ الأول : موضوع النشأة الإنسانية والثانى موضوع النشأة الكونية .

ماذا يقول التاريخ الدينى عن الأول ؟ .

يقول القصص الدينى بأن الله بدأ خلق الإنسان من طين،وأنه صنع آدم من صلصال من حمأ مسنون ، فسواه بشرا ثم نفخ فيه من روحه ، ثم أمره ونهاه ،فكان منه ما كان إلى أن أنزله الله من الجنة إلى الأرض ليعمرها (وكأنها لم تكن من قبل ذات عمران) .

ويسير القصص الدينى على أنه الإنسان الأول والجد الأعلى البشرية .

ويتحدث الرواة فى أنه كان نبيا أو رسولا متفقين ـ تيما وضمنا ـ على أنه خلق جملة واحدة متكامل المدارك مستجمع الملكات العقلية ، ليقوم برسالته كرسول أو نبى .

ويسرد القصص ذكرا مفصلا لأبنائه وأحفاده تتكشف فيه حياة اجتماعية قديمة منتظمة كل مقومات المجتمع المتحضر من فنون وعلوم . قد (نوح) أحد سلالته الأقربين يملك العمال والصناع والبناء والمهندسين ويعاصر شعبا شديد المراس فى الخلائق والحوادث فيما يقرب إليه زلفى .

والحديث فى جملته رائع كقصة ، وكقصة تعبر عن واقع ، من حيث هى نبأ عن الخلق تواطأت على جملته وأصوله روايات الكتب المنزلة ، وأجمعت على تفسيره بمعناه الصريح الرسل والأنبياء .

وقد يعرض لما يعمل إليه الغرابة كقصص التوراة الذى يضع لهذه الأحداث فيما بينها أنفسها وفيما بيننا وبينها ، تاريخا لا يكاد يحسب من عمر الزمن الذى يذكره مؤرخو النشأة الحديثون .

والذى يعنينا التنبيه إليه هنا : أن قصة الخليقة هنا تضعنا فى بيئة تبعد عنها كل البعد تلك التى تقوم عليها حديثا دراسة النشأة الإنسانية : بيئة العلوم البيولوجية المنتظمة لعلوم التاريخ المقارن والتاريخ الطبيعى وعلوم الوراثة والخلية والأجنة والحفريات ثم بيئة العلوم الجيولوجية التى تسهم من ناحيتها فى كشف مراحل التطور ، ثم بيئة القوانين العامة التى تخضع لها حركات الأجرام السماوية وحركات أدنى الكائنات الحيوية ، وأخيراً بيئة التاريخ التى تتتبع التطور المشق والحضارى للإنسان تاريخا عريقا فى القدم . فقد نسمع من الأستاذ جـ . هـ . برستد ، أنه استغرق ملايين السنين حتى استقل الإنسان عن الحيوانات الدنيا . وقريبا منها فى تدرجه من الصور الجيولوجية المختلفة : العصر الخشبى والحجرى والجليدى والباليوليتى والنيوليتى إلى أن استحال إنسان اليوم .

وكذلك نرى أبعاد ما بين التاريخين هنا ، فمؤرخ الدين ينكر أو يكاد ينكر مؤرخ العلم

ومؤرخ العلم ينكر أو يكاد ينكر مؤرخ الدين ، وذلك ما شأنه أن يحدث جفوة بين حقائق لها سند من وحي السماء أو من العقل وتجاربه وتنشد بذلك التآلف والانسجام ليؤديا في هذا الإطار رسالتهما معا .

وقد نجد في تاريخ الثقافات محاولات للتقارب والتوفيق ، فقد يلتزم بعض العلماء بأن الله خلق الإنسان من طين ، ولكن أكان ذلك في آدم الذى نعرفه ؟ ليس بلازم عندهم . إذ . . جائز أن يكون آدم هذا . . قبله آدم على إثر آدم .

وكما يقول أبو العلاء أيضا :

وما آدم في منطق العقل واحدا
ولكنه عند القياس أوادم

فآدم الذى نعرفه مظهر لمرحلة من مراحل التطور ، تكاملت فيها حلقات النشأة وتمت خطوات التكوين ، واستوى عندها الإنسان نفسا وجسما .

ويرى بعض العلماء أن لا غضاضة في هذا الرأى ، ويتلمسون من القرآن نفسه ما يأتنسون به له ، وهو احتجاج الملائكة على السجود لآدم استنادا إلى علمهم بطبائع البشر ، وذلك يتضمن سابق الخبرة والتجربة والوجود السابق للإنسان .

وقد يطمئن له علمـــاء الحفريات الذين يعثرون على آثار الجنس الإنساني يرجع تاريخها - حسب قواعد العلم - إلى عشرات الآلاف من السنين .

على أن البحوث العلمية مهما تكسب كل يوم جديدا لدعم نظرياتها في تطور النشأة الإنسانية فلن تضير الدين في شيء ولن تشكل خطرا ضده طالما كان في إمكان رجل الدين أن يفهم التطور على أنه مسلك من مسالك العناية الإلهية ، وأسلوب من أساليب الحكمة ، وقد يكون منطقيا أن يرى عظمة وجلال الخالق في دقة النظم واطراد القوانين أكثر منها في العمل الخارق والعجيب حيث يقف العقل بمعزل عن فهم أسرار الوجود و(الموجد) ونذكر هنا انتماضة الفيلسوف (كانت) إعجابا من هذه القوانين في النفس وفى الكون معا .

وأيا كان فذلك أمثل مما ذهب إليه بعض كتاب المسيحية في طريق تعليلهم لصحة توارث الخطيئة من أن آدم كان رمزا للنوع الإنساني ، فتكون الخطيئة للنوع وينداح أثرها على أفراده ، ومما ذهب إليه آخرون في أنه كان رمزا للضعف الإنساني .

فإطلاق الرمزية بشأن شخص آدم غير مقبول ولا معقول ، ويجب أن يؤخذ كل ما يتعلق بالرمزية بحذر وحيطة حتى لا ينتهى إلى خطر ، فقد تذرع بها من لا روية لهم ولا دراية لحمل القصص محل الأساطير على مثال ما عرفت في الأدب اليوناني ، ثم أنكروا واقعيتها وبالتالى شخصياتها ، وفي ذلك تجريد للكتب السماوية من مضمونها العلمي والتاريخي ولأساليب القرآن من خصائص دلالتها

الوضعية والحقيقية ، ثم فيه إنكار لرصيد ضخم من التراث التاريخي وإحالة مضمونه إلى فعل الخيال .

إن علينا أن نقف مع الدين ومع العلم ، ولا مشاحة في أن للعلم أن يفترض ما يشاء ولا يلزمنا إلا بما ثبت أكيداً معززاً بالبراهين والنتائج ، وعند ذلك نفهمهما معاً على سواء واستواء في مجال النشأة الإنسانية ومجال النشأة الكونية ؟

يقول التاريخ الديني عنها : إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام (أحوال أو أطوار راجع تفسير الرازي)

جعلها بادىء الأمر رتقاً ثم فتقها ، فجعل الأرض مبسوطة ، وركز فيها الجبال كي لا تميد ولا تحيد ، وشقها بالبحور والأنهار ، هذا عذب سائغ شرابه وهذا ملح أجاج . وأحكم صنع السموات فلم يجعل لها من فروج ، وزينها بالكواكب والبروج ، ووصفها بأنها بناء وأنها طبق وأنها شداد وأنها سقف وأنها طرائق ، وجعل القمر فيهن نوراً ، والشمس سراجاً ، وأوحى في كل منها أمرها (كأنها ذات عوالم عاقلة) وجعل الأمر يتنزل بينهن ، من فوق عرشه ، وحاطها من عبث الشياطين ومسترق السمع بحراسة الشهب والملائكة ...

وكذلك يتحدث التاريخ الديني عن بعض مظاهر النشأة الكونية ، وإذا كان القرآن الذي يحدثنا بهذه الصور لا يعنيه - وليس من رسالته أن يعرض نظرية شاملة عنها - فهو لا يحدثنا بها لنفهمها أشتاتاً أو نلم بها في غير نظام ، ولكن لنعتبر بمجالي العظمة فيها ، وإنما لنعتبر بمقدار ما ننظمها في مسلك يمثل الكمال والإتقان ويبرز مناط العبرة والحكمة . إنها إذاً حقائق تنم عن علم وعن أصول وقواعد لهذا العلم .

ولكن هنا أيضاً نرى صورة غير الصورة التي تقدمها الجغرافيا الفلكية الحديثة حيث تتزاحم الفروض والنظريات ، وتتمثل فيها العوالم الكونية - في أعداد وأبعاد غير ذات نهاية في الزمان والمكان ، ثم هي لا تسير عن كثب مع معطيات النصوص ولا تكشفها فما هي السموات السبع ؟

لقد يكون ميسوراً أن يقول الفلكي مع اللغويين السماء هي كل ما علاك ، ولكن إذا قلنا السبع ؟ أهي الأفلاك السبع كما يطلقها بعض قدامى الجغرافيين ؟ ولكن الأفلاك مدارات الكواكب ، بشهادة القرآن نفسه : « وكل في فلك يسبحون » . أهي الكواكب الكبرى كما يشيع ذلك في كتب المفسرين نقلاً عن جغرافية (بطليموس) ؟ ولكن ما تلك الكواكب ؟ لا سبيل اليوم إلى القول بأنها زحل والمشترى والزهرة وعطارد ... فالعلم الحديث يسخر من هذا الرأي بعد أن كشف أن هذه أجزاء لا تذكر من مجموعة لا تذكر

من مجموعات الكواكب التي تتجاوز حدود الخيال والتصور . وإذا صدونا عن بعض مسائل الدين ، فكيف نفهم ، على اعتبارها ، حادث المعراج ؟ أكان الرسول يعرج من زحل إلى المشترى ثم إلى عطارد ... مثلا ؟ ثم كان يجد في الأول إدريس عليه السلام ، وفي الثاني إبراهيم عليه السلام ، وفي الثالث موسى عليه السلام ... وهلم جرا ؟ وهل كان بين هذه الكواكب تجوال مسترق السمع ؟ وهل هي التي كان يتنزل الأمر بينهن ؟ وهل هي وحدها التي كانت مع الأرض رتقا ففتقها الخالق وفصل بينها ؟

ثم إذا لم يكن هذا الفرض سليما أيمكن حمل السموات السبع على مجموعات كبرى قد تكون المجموعة الشمسية إحداها أو زارية في إحداها ، إن وصف السموات بأنها طباق قد يفهم هنا بوجه أوضح ، فالانطباق قد يعني الاشتمال ، اشتمال السماء الكبرى على ما دونها بدورة مجموعة الأولى حول مجموعة الثانية ، وذلك ما يتفق مع تصور الفلكيين في أوضاع الكواكب ورأى الطبيعيين في قانون الجاذبية ، ولا يغض من هذا الفرض أن يكون القمر فيهن نورا ، وأن تكون الشمس فيهن سراجا ، فما هو نور في الجزء يمكن إطلاقه على أنه نور في الكل ، كالشمعة الصغيرة تضيء بعض جوانب المنزل الكبير ، ويقال عنها : إنها نور في المنزل على الإطلاق .

وأيا كان الفرض فلست فلكيا ألزم الفلكيين به في تفسير نشأة الكون كما أني لست مؤرخا طبيعيا ألزم العلماء رأيي في تفسير النشأة الإنسانية ، ولكني مؤمن أولا بخبر السماء ، وثانيا بهبة العقل وكشوفه العلمية وأرى ما رآه (ابن رشد) من قبل في مثل هذا الموقف من أن العقل والدين أخوان رضيعا لبان ، فلنفهم الدين على ضوء العقل لتستنير العقيدة وليتجلى جلال الخالق ، ولنسر بالعقل في حدود الدين لنأمن العثار ، وتتجنب الأخطار ولا يعوزنا في هذا إلا إضاءة ما خفي من نص ، والتأكد من سلامة منطقنا فيما نبحث ، وليس ذلك عسيرا ولا شاقا فالدين الإسلامي بصفة عامة بعيد عن الغموض والالتواء ، وقد تفتق عن كتابه العلم حتى اخترق أبعد الآفاق وأبعد الأعماق .

فليحمل علماؤنا المختصون مما عليهم لإلقاء الضوء اللازم حتى يكون دائما الوفاق والاتساق ، وحتى نرى بهذا الضوء أسرار النشأتين ، وحتى ندفع ما يدعيه أحد المغرضين من المستعربين الروس في كتابه (الأدب الجغرافي في القرآن) من أن محمدا عرض فيه خليطا غير مؤتلف من جغرافية بطليموس .

والله الموفق ؟

د . عفيفي عبد الفتاح

نفحات القرآن

سلبية الكفر وإيجابية الإيمان

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(أ) « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً
(ب) وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا »
آية — ٢٥ — الأحزاب

١ — تقدم لنا كلام عن غزوة الأحزاب وهى غزوة كان لها جانب فسيح من قصص القرآن ، حتى خصها بسورة من سوره ، وأورد فى هذه السورة تسع عشرة آية متوالية فى الحديث عن هذه الغزوة كما أسلفنا .

والحق أن هذه غزوة ستظل فى روعتها ، ورهبتها ، وما كان فيها من عجيب الأحداث وما لحق بها من النتائج مضرب المثل على لسان التاريخ .

ولئن كانت الغزوات الإسلامية كلها مثار عجب ، وباعث الشكر لله على ما جرى فيها من هزيمة الكفر وأهله وتأييد الإسلام وأبنائه ، فلعل غزوة الأحزاب تتميز فى روعتها كثيرا عن غزوات أخرى .

وحسبنا أن الله يطالبنا بشكره على ما قدره فيها من نعمة النصر على جموع كانت تقصد إلى القضاء على المسلمين جميعا فى المدينة التى تجمعت فيها جموعهم ، من المهاجرين والأنصار وتوحدت فيها كلمتهم ، فلم يعد فيها حزب يعادى حزبا آخر كما كان بين الأوس والخزرج فى التاريخ الجاهلى الطويل .

٢ — ولسنا نعود إلى تفصيل ما سبق ، ولكننا ننظر نظرة اعتبار واقتباس إلى ما كان من نتائج الحزبية الخبيثة الشريرة على نفس الأحزاب المتكتلين وراء الشيطان فى سبيل الباطل .

(أ)

وفى تصوير هذه النتائج يذكر القرآن جملتين :

إحداهما هى « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا » ، وهى جملة تكشف عن معان تثير الوعى الغافل وتهز القلب الجاحد .

إذ يقول الله فيها ، ورد الله الذين كفروا ، ومعنى الرد : الإبعاد والطرد عن مجال الخير وعن توسم الأمل في القبول .

وجعل هذا الرد خاصا بالذين كفروا ، ليبين لنا سبب ردهم ، وأنه من جناياتهم على أنفسهم .

ثم بين أنه تعالى طردهم عن موقفهم بما كان في صدورهم من الغيظ الذى حفزهم على التجمع وكانوا يطمعون في النيل من المسلمين .

وبعد أن جشموا أنفسهم ما تجشموه من المشاق، والنفقات ، وكد الأذهان في التفكير وسوء التدبير أحبط الله كيدهم ، وردهم ، طردا وهزيمة ، لارغبة واختيارا وهم تغيظهم المستمر في صدورهم كالجمرات .

٣ - ثم قال : لم ينالوا خيرا ، يعنى لم يدركوا من هذا العناد شيئا يخفف من لومتهم ، أو يعوضهم عن قليل من خسارتهم .

فإذا راعينا ما سلف من أمر هؤلاء الأحزاب تبين لنا أن كراهيتهم للمسلين ، وغيظهم من ظهورهم كأمة استقرت في وطن خاص ، وأن هذا التحزب كان خسارة عليهم في الأموال والأرواح وأنهم طردوا بأسباب لايستطيعون مقاومتها ، وهى الريح ، وما يقترن بها عما يخق عليهم أن يهتدوا إليه - الملائكة - .

إذا راعينا ذلك وضح لنا أن سياسة الكفار وجهودهم ، ونتائج مساعيهم كلها سلبية لا ترفع شأنهم ، ولا تركز سلطانهم ولا تأتيهم بما يظنون من خير .

٤ - وإذا كانت هذه السلبية هى نصيبهم فى دنياهم . وأن ما يبدو في أيديهم من ثراء ، وما يصادفهم من حظوظ : كل ذلك رهين بأوقات محدودة ، وأن الله الذى منحهم ما يمنحهم من هذه الأعراض يجعل ذلك في دنياهم ، ويجعل هذا العطاء مقرونا بالسخط عليهم ، ويؤكد لنا غير مرة أنه ليس دليلا على الرضا عنهم ويقول - تعالى - فى ذلك: « لهم فى الدنيا خزى ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » فخزيهم فى الدنيا بعداوتهم لله ، وخروجهم عن سبيله ، وارتكابهم لما ينهاهم عنه ، وبما يعتريهم من مذلات ، وهزائم ، وخسارات تفاجئهم فى كل ما يحرصون عليه ، ويفرحون به أكثر مما ينبغى .

وكذلك يقول تعالى : « ولا تعجبك أموالهم ، وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا ، وتزهق أنفسهم وهم كافرون » فهذا تحديد لزمن النعمة ، وبيان ؛ لأن النعمة على الكفار ، والمنافقين ليست متاعا صافيا ، بل هى مشغلة لهم ، وكد لأذهانهم . فى استثمارها وتنميتها ، والمبالغة أكثر من غيرهم فى حراستها ، والخوف من نقصها .. ثم هم لا ينتفعون بها

فى الآخرة ، لأنهم يموتون على ما بهم من كفر ، أو نفاق . . فلم ينفقوا شيئا منها فى سبيل الله ، إذ لم يؤمنوا ، وبدفعوا حقوق الفقراء من صدقات ، ومواساة .

وهكذا مما يطول بنا استيعابه فى بيان السلبية التى يعيش عليها أعداء الله ، كما فهمنا عن أولئك الأحزاب الذين ردهم الله بغيظهم ، لم ينالوا خيراً .

(ب)

٥ — والجملة الثانية التى تقرر الإيجابية فى جانب المؤمنين هى قوله تعالى :

« وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا » .

نعم : أرسل الله على الأحزاب الريح العاصفة . وأرسل الملائكة لنصرة المؤمنين فلم يلحق بالمسلمين ضرر مما كان يطمع فيه الأحزاب ، ولم يدخلوا فى حرب معهم . . ولم تكن معركة من المعارك المعهودة ، بل كانت مشاكسات عدائية ، وسهام تطلق من فريق على فريق . فذهبت أرواح قليلة من المسلمين ، وأصيب أفراد بالسهام ، مع كثرة من أصيبوا من الأحزاب قبل فرارهم .

فالمؤمنون كانوا فى رعاية الله ، فأغناهم من القتال ، ونصرهم نصراً مؤزرا على من كان يرام فئة حربية وهكذا كانت للمؤمنين إيجابية مستمرة فى سائر مواقفهم الجهادية ، إلا فى أحيان نادرة ، كان حظهم يخفق فيها بسبب منهم ، كخروجهم على النظام فى موقعة أحد ، أو غرورهم بكثرتهم فى موقعة حنين . فكان تأديب الله لهم بالهزيمة ، تعليما لهم ، وتوجيها إلى عدم التعرض ثانيا لما تعرضوا له أولا .

وفيما عدا هاتين الحادثتين كانت الإيجابية حظا مكفولا برعاية الله لهم دائما . لأن جهادهم كان حقا فى سبيل الله .

٦ — وتأكيدا لهذا السياق يختم الله هذه السلبية والإيجابية بقوله تعالى : « وكان الله قويا عزيزا » .

يعنى — لا غرابة فى هذا الذى صنعه الله بالأحزاب ، ولا بما صنعه للمؤمنين . فإن الله قوى لا يعجزه شىء تتعلق به قدرته ، وعزيز لا يغلبه شىء تتجه نحوه إرادته . وصدق الله .

(ج)

٧ — وإلى جانب هذه العجائب فى قصة الأحزاب ، يقترن بها حديث للقرآن عن بنى قريظة .

وبنو قريظة يهود من اليهود الذين كانوا يعيشون حول المدينة ، ولهم أموال وأعمال وذرية ، ومظاهر .

وكانت لهم عهود مع المسلمين ، ويعيشون في أمان .

غير أن الخصائص الدنيئة التي شبت عليها النفسية اليهودية ، وامتزجت بدمائهم الوراثية كانت تغلب على عقولهم ، وتفسد عهودهم وتضرم نار الحقد في صدورهم على النبي والمسلمين . فكانت لهم دخيلة مع الأحزاب ضد المسلمين ، وما منعهم من الإيقاع بمحمد وأصحابه إلا فشلهم في تدبيرهم الحربي ، وانصراف قريش إلى حيث كانوا في ربوعهم ورباعهم .

٨ — لهذا جعل الله عقوبة هؤلاء عقب انصراف الأحزاب .

فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ـ وقال له : إن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة ، وإني عامد إليهم فمزلزل حصونهم . . فأمر النبي مؤذنا ، فأذن في الناس : من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة . . وأعطى الراية لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه فاجتمع إليها الناس. ثم سار النبي بجيشه وحاصر بني قريظة . أكثر من عشرين يوما ، حتى أجهدهم الحصار ، وشق عليهم الأمر ، واشتد بهم الخوف مما بعد ذلك .

وأيقنوا بأن رسول الله غير منصرف عنهم حتى يناجزهم الحرب . وينتهي من شأنهم

وعندئذ اقترح عليهم أحدهم ـ كعب بن أسد ـ أن يختاروا لأنفسهم رأيا من ثلاثة . الأول : أن يؤمنوا بمحمد ويتابعوه لتسلم أرواحهم وأموالهم من الهلاك ، وأكد لهم كعب أن ثبوت الرسالة لمحمد أصبح أكيدا عندهم ، وأنه على الصفات التي يعرفونها عنه في التوراة فأبى القوم أن يستجيبوا إلى الإيمان والعدول عن التوراة إلى القرآن .

فعدل بهم كعب إلى الرأي الثاني ، وهو : أن يقتلوا نساءهم ، وأطفالهم ، ثم يخرجوا بالسيوف لقتال محمد ، وليس وراءهم من الأهل من يشغلهم التفكير فيهم فأبوا هذا الرأي ، وقالوا له : لا خير لنا في العيش بعد الأهل

فعدل إلى الرأي الثالث . وهو : أن يخرجوا إلى مهاجمة النبي وأصحابه ليلا ، وكانت ليلة سبت ، ولا يخشى منهم أي عمل فيها إذ المفروض فيهم أنهم يتفرغون فيها للعبادة . فأبوا هذا الرأي كذلك وقالوا له : إذا فعلنا هذا فقد أفسدنا سبتنا ، ونخاف أن يحصل لنا بسبب ذلك ما حدث لأسلافنا من عقوبات .

٩ — وانتهى بهم الرأي إلى أن يبعثوا إلى الرسول يطلبون منه أن يرسل إليهم أبا لبابة ـ أحد الصحابة ـ ليستشيروه فيما يفعلون.

وكان أبو لبابة من الأوس ، وبين الأوس وبني قريظة ولاء قديم . فلما حضر إليهم أبو لبابة ، تجمع إليه رجالهم ونساؤهم ، وصبيانهم ، وهم جميعا يجهشون بالبكاء والتذلل ، وسألوه : هل ترى أن ننزل من الحصون على حكم محمد : قال : نعم . ولكن العاطفة الرحيمة سيطرت على أبي لبابة ، فأشار لهم بيده - حين الجواب - إلى مقطع العنق ، ففطنوا إلى مايراد بهم .

ومع هذا نزلوا من الحصون على ما يحكم به محمد ، فاستشفع لهم حلفاؤهم الأوس ، وقالوا للرسول : إنهم موالينا وقد قبلت شفاعة الخزرج في بعض مواليهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا معشر الأوس .. الا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم . قالوا : بلى - نعم - قال فحكمهم إلى سعد بن معاذ - سيد الأوس .

فلما علم سعد بهذه التولية ، وحضر إليهم قال : إني أحكم فيهم أن تقتل الرجال . وتقسم الاموال . وتسبى الذرارى ، والنساء ، فاستراح النبي إلى صواب هذا الحكم ، وجهر بالتكبير : إعجابا ، وقال لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات .

أما أبو لبابة فقد ندم كثيرا على ما كان من عطفه عليهم ، وإشارته لهم بيده إلى عنقه ، وأدرك أنه أخطأ ، واعتبر ذلك خيانة لله ورسوله ، فلم يرجع من موقفه إلى الرسول في رباطه حول الحصون . بل ذهب إلى المدينة ، وربط نفسه بجذع في المسجد ، أو بسارية من سواريه ، وحلف لا يتحول عن حالته هذه حتى يحله رسول الله ، أو يكون من شأنه ما يكون .

وقد استجاب الله لتوبته ، ونزلت فيه الآية رضي الله عنه ، وهي قوله تعالى « .. وآخرون اعترفوا بذنوبهم ، خلطوا عملا صالحا ، وآخر سيئا ، عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم » .
آية - ١٠٢ - سورة التوبة

ولفظ (عسى) في أسلوب القرآن ليس لمجرد الرجاء ، بل هي لإفادة الحصول . وبهذا كانت التوبة من أبي لبابة مقبولة والحمد لله ... وكانت من الأسباب في تشريع الزكاة لتطهيره مما علق به .

وفي هذا المقام نزل قوله تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ، وتزكيهم بها ، وصل عليهم ، إن صلاتك سكن لهم ، والله سميع عليم » آية - ١٠٣ - سورة التوبة .

١٠ — وقد أخذ النبي من أبي لبابة ونحوه من التائبين عن تخلفهم في بعض مواقف الجهاد ثلث أموالهم ، أو نحو الثلث ، وتصدق بها على فقراء المسلمين .

١١ ــ وأما بنو قريظة فبعد أن حكم فيهم سعد بن معاذ : حبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى دار امرأة من بنى النجار ، حتى حفروا لهم الحفائر ، ثم أخرجوهم من دار الحبس تباعا ، وضربوا رقابهم بالسيوف فى تلك الخنادق التى كبكبوهم فيها .

وكان من بين هؤلاء اليهود كعب بن أسد . وحيي بن أخطب ، وهما من رءوس النفاق ، والعداوة للإسلام ، ورسوله ، وأهله .

١٢ ــ ويذكر العلماء أن عدد هؤلاء الرجال الذين أهدرت دماؤهم كانوا على أقل الروايات سبعمائة .

ومع ما اقترفه بنو قريظة من شنائع الخيانات ، وما استحقوه من التنكيل فقد كان لبعضهم معاملات سابقة مع بعض الصحابة فكان من وفاء الصحابة أن يستأذنوا النبى فى إطلاق هؤلاء . فكان من سماحة الإسلام ومكارم رسوله أن يهب دم هؤلاء اليهود عفواً لأصحابه الأوفياء : تغطية للمعاملات السابقة .

والقصص عن بنى قريظة فسيح ، وفيه أعاجيب كما ذكرنا إجمالا .

وفى كتب التاريخ ، والسير ما يشبع رغبة الباحث .

ولعل ما فيه من صفات اليهود عامة لايبعد عما يسجله التاريخ عنهم حديثا ...

فإن تكن لهؤلاء الأجناس مكرمة فى الحياة أو خصلة تحمد لبعضهم ، فإن مآثمهم ، وقبائحهم لأوسع مما يحيط به الفكر ، أو يحصيه الحاسبون ، أو يأتى على ذكره القلم .

حتى تعارف الناس فى البدو ، وفى الحضر أن كلمة يهود عنوان الخسة وشعار الخبث ، والخداع ... وانهم لكذلك فى عيطهم اليهودى نفسه ، ومن يقترب من عشرتهم يعرف الكثير عنهم ...

فكلامنا عنهم ليس وليد الخصومة الدينية بل هو صدى لما يشهد به الواقع .

وماذا نستطيع أن نقول فيهم بعد أن قال الله عنهم لنبيه : « ولا تزال تطلع على خائنة منهم » ثم يستثنى القرآن منهم قلة نادرة ـ إلا قليلا منهم ـ وهم الذين تناجيهم ضمائرهم فيعدلون عن الضلال ـ وقليل ما هم ... وكتى ... ؟

عبد اللطيف السبكى

حول إعجاز القرآن :

الإعجاز البيانى

للدكتور على العمارى

كثر القول قديما وحديثا حول السر فى إعجاز القرآن الكريم ، وألفت فى ذلك الكتب ، وكتبت الأبحاث الموجزة ، والمسهبة ولكن لا يزال مجال القول متسعا ، فعلى الرغم مما كتب قديما وحديثا لا يزال المرجع الأول والأخير فى إدراك الإعجاز هو الذوق ، أو كما كان يعبر عنه القدماء (الحس) ، ولم تستطع كل الأسباب والأسرار التى كشف عنها الباحثون عاجزة عن أن تعطى الدارس حكما فاصلا فى الإعجاز ، بل لعل رجوع صاحب الذوق السليم إلى ذوقه أجدى عليه فى تثبيت إيمانه بالإعجاز من قراءة الفصول الكثيرة التى كتبت فى هذا الشأن ، ولكن مما لا شك فيه أن الدراسة العلمية الواعية تؤكد للدارس الذى لم يرزق الذوق العربى حقيقة الإعجاز ، وتعين صاحب الذوق على أن يعلل ويبرهن ، ويجد ما يؤكد عنده الثقة فى ذوقه .

وقد رأيت أن أدون فصولا عن بعض مذاهب الإعجاز التى وقف عندها العلماء طويلا تكشف لنا عن أصول هذه المذاهب ، واتجاهاتها ، وتدرج البحث فيها ، ومبتدأ بالمذهب السائد منذ بدأ البحث فى إعجاز القرآن إلى يومنا هذا ، وهو المذهب الذى يرجع سر الإعجاز إلى ما فى القرآن من بلاغة وفصاحة .

• • •

والقائلون بالإعجاز البيانى للقرآن أكثر أهل الإسلام ، وإن زعم ابن حزم الظاهرى أن القائلين به (طائفة) واحدة ، فى حين يؤكد أن القائلين بمذهب الصرفة ، – وهو المذهب الذى يقول به ابن حزم – (طوائف) [1] .

وقد اختلف القائلون بالإعجاز البيانى فى سر إعجاز القرآن ، بعد اتفاقهم على أنه فى أعلى درج البلاغة .

فعند (الرمانى) أن القرآن معجز من سبع جهات ، إحداها (البلاغة) وهى إيصال المعنى إلى القلب فى أحسن صورة من اللفظ .

---

(١) الفصل فى الملل والنحل جـ ١ صـ ٨٧ .

والبلاغة عنده على عشرة أقسام . الإيجاز والتشبيه والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل والتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان .(١)

قال : وظهور الإعجاز فى الوحدة التى تبينها يكون باجتماع أمور يظهر بها النفس أن الكلام من البلاغة فى أعلى طبقة (٢) .

وبكل أقسام البلاغة يظهر الإعجاز ، إذا جاء كل قسم فى أعلى درجاته ، كما هو حالها فى القرآن ، وقد شرح الرمانى كل هذه الأقسام وأكثر لها من الشواهد القرآنية ، وبين فى باب الاستعارة - بخاصة - فضل كل استعارة على ما يؤدى معناه من التعبير بالحقيقة (٣) .

وتحدث عن التلاؤم وهو تعديل الحروف فى التأليف ، قال: والتأليف على ثلاثة أوجه متنافر ومتلائم فى الطبقة الوسطى ، ومتلائم فى الطبقة العليا ، ومثل لكل قسم ، ثم جعل المتلائم فى الطبقة العليا : (القرآن كله) .

والمرجع فى إدراك الفرق بين القرآن والكلام البليغ يرجع إلى (الإحساس) . (وبعض الناس أشد إحساسا بذلك وفطنة له من بعض . كما أن بعضهم أشد إحساسا بتمييز الموزون فى الشعر من المكسور) .

قال : وهو قول على جانب كبير من الدقة والتقدير - : (واختلاف الناس فى ذلك من جهة الطباع كاختلافهم فى الصور والأخلاق) فهذا سبق من الرمانى فى إدراك أن إعجاز القرآن إنما هو بالذوق الذى امتن الله به على عباده ، وغرسه فيهم كما امتن عليهم بالصور والأخلاق .

وهو - أيضا - تفريق من هذا العالم بين أمرين: بين الوجوه التى يعرف بها الإعجاز، وبين إدراك الإعجاز نفسه ، وهو تفريق له وزنه وقدره (١) .

وأعلى مراتب البيان - عنده - ما جمع أسباب الحسن فى العبارة من تعديل النظم ، حتى يحسن فى السمع ويسهل على اللسان ، وأتى على مقدار الحاجة .

والذى نلحظه فى رسالة الرمانى أنه لم يجعل

---

(١) أبو الحسن على بن عيسى الرمانى،عاش فى بغداد فى القرن الرابع الهجرى ، وكانت له مشاركة فى الأحداث السياسية ، وكان نابغة فى الأدب وعلوم اللغة والنحو والكلام ، وفى علوم القرآن والتفسير ، توفى سنة ٣٨٦هـ وله رسالة فى الإعجاز اسمها (النكت فى إعجاز القرآن) .

(٢) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص٧٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٧٩ .

(١) المصدر السابق ص ٨٨

(وروعة المعانى) ركنا فى الإعجاز، واكتفى بأن يكون المعنى صحيحا وواضحا (١).

وكذلك فعل الخطابى (٢) حين عرف الإعجاز، إذ قال: (واعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ، فى أحسن نظوم التأليف، مضمنا أصح المعانى)(٣)

وهو يذكر أن القائلين بإعجاز القرآن من جهة (البلاغة) إنما هم الأكثرون من علماء أهل النظر، لكن عرض عليهم فى كيفيتها الإشكال. قال: ووجدت عامة أهل هذه المقالة قد جروا فى تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد، وضرب من غلبة الظن، دون التحقيق له، وإحاطة العلم به (٤).

وآية ذلك – عنده – أنهم حين يسألون عن تحديد هذه البلاغة يعجزون عن تصويرها، ويحيلون على ما يقع فى نفوس العلماء عند سماعه من المعرفة، وهو ما نعبر عنه نحن بالذوق، وما عبر عنه الرمانى بالإحساس.

وعند الخطابى أن الإحالة على الإحساس (لا تقنع فى مثل هذا العلم، ولا تشفى من داء الجهل به)، وقد أدى ذلك إلى البحث عن (أجناس الكلام ومراتبها).

وخلاصة رأيه فى الإعجاز أن الكلام يقوم بأشياء ثلاثة: (لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لها ناظم) قال: (وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه فى غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا، وأشد تلاؤما، وتشاكلا من نظمه، وأما المعانى فلاخفاء على ذى عقل أنها هى التى تشهد لها العقول بالتقدم فى أبوابها، والترقى إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها) (١).

وهنا نراه اعتبر (المعانى) ركنا فى الإعجاز، وكان قد اكتفى فى موضع آخر بمجرد (صحتها) كما نراه اعتبر (النظم) أحد الأركان، ولم يجعله (الركن كل الركن).

وهو شديد العناية بالألفاظ المفردة، حتى إنه ليرى أن عمود البلاغة التى تجتمع لها كل

---

(١) أنظر كتابنا (حول إعجاز القرآن) ص ١٦.

(٢) أبو سليمان حمد بن محمد الخطابى من بلاد الأفغان، كان عالما جليلا، وله كتب كثيرة منها كتابه (بيان إعجاز القرآن) وتوفى فى بلده سنة ٣٨٨ هـ.

(٣) المصدر السابق ص ٢٤.

(٤) المصدر السابق ص ٢١.

(١) المصدر السابق ص ٢٤.

صفات الحسن هو وضع كل نوع من الألفاظ موضعه الأخص الأشكل به .

وفي هذا التعبير إشارة إلى (النظام) ، ولكن يبدو أنه يريد أن يوضع اللفظ في (حاق) معناه ، ولذلك يرى أن الخطأ في وضع الألفاظ مواضعها ينشأ عنه فساد الكلام ، وسقوط البلاغة ، وهذا - في الحقيقة - هو صحة النظم . ثم يأخذ في ضرب الأمثلة بالكلمات المتقاربة في المعاني ، ويظن أكثر الناس أنها متساوية ، فإذا انتهى من إيراد الأمثلة أفعالا وأسماء وحروفا ، وبين الفوارق الدقيقة بين ما يظن أنه متماثل منها نسب إلى ذلك سر عجز العرب عن معارضة القرآن ، وقد كانوا بطباعهم يتبينون مواضع تلك الأمور ، ويعلمون أنهم لا يبلغون شأوها .

ثم يعود فيشير إلى المعاني ، وإلى نظوم التأليف ، كما يتحدث عن (الغريب) ويبين أن الذي جاء في القرآن منه إنما هو (النمط الأقصد) ولا يلبث أن يعود إلى بيان الفوارق بين بعض الكلمات التي آثر القرآن أفرادا منها على ما يتوهم أنه أولى منها بموضعها . ويجيب عن بعض مطاعن وردت على آيات من القرآن في وجوه المناسبة والحذف والتكرار وغيرها ثم يتناول بعض ما روى من معارضات القرآن فيبين زيفها .

وبذلك تنتهي رسالة الخطابي دون أن (يشفي من داء الجهل) ولعل أصدق ما توصف به رسالته ما وصف به هو كلام من سبقوه إلى الحديث في إعجاز القرآن ، حيث يقول : (وما وجدناهم صدروا فيه عن ري) ، وقد اعتذر عن سابقيه ، وينبغي أن نعتذر نحن عنه بنفس العذر ، قال : (وذلك لتعذر معرفة الإعجاز في القرآن ، ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيته) .

ومع ذلك كانت هذه الرسالة رافدا ثرا من روافد بلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجاني كما أشارت إلى مسائل في النقد الأدبي ، وإلى تحديد المعارضة المقبولة ، وأخيرا ذكرت وجها في إعجاز القرآن قال عنه المؤلف : إنه ذهب عن الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ منهم وذلك صنيعه بالقلوب ، وتأثيره في النفوس .

والحق أن أروع ما في هذه الرسالة أن كل كلامه عن الألفاظ وعن المعاني إنما هو كلام عن النظم ، ولو أنه بسط القول في هذا النحو من النظر لوفر على الإمام عبد القاهر كثيرا من الجهد .

وقد لاحظت أن كلامه عن الألفاظ يوشك أن يكون كلاما عن النظم ، وكذلك وجدت كلامه عن المعاني ، فهو - بعد أن يذكر بعض المعاني التي تضمنها القرآن - يقول إن القرآن

وضم كل شيء منها (موضعه الذى لا يرى شيء أولى منه . ولا يرى فى صورة العقل أمر أليق منه) . وهذا هو الذى بنى عليه عبد القاهر نظريته فى النظم .

وإذا كان الخطابى جعل (المعنى) ركنا من أركان الإعجاز ، فإن عالما كبيرا من علماء المعتزلة فى القرن الرابع الهجرى، وإن تأخرت وفاته عن الخطابى قد نفى أن يدخل المعنى ركنا أساسيا فى الإعجاز ، ولعله كان يرد على (الخطابى) ومن أخذوا برأيه .

القاضى عبد الجبار المعتزلى، صاحب كتاب (المغنى فى التوحيد) يرى أن (القرآن فى أعلى رتبة من الفصاحة الجامعة لشرف اللفظ ، وحسن المعنى [١] ، ثم لا يلبث أن يستدرك على كلامه هذا ، فيقول : (فإن قال : قد قلتم إن فى جملة ما يدخل فى الفصاحة حسن المعنى فهل اعتبرتموه ؟ قيل له: إن المعانى وإن كان لا بد منها فلا تظهر فيها المزية ، وإن كان تظهر فى الكلام لأجلها) [٢] .

وأفراد الكلمات لا تظهر فيها الفصاحة ، وإنما تظهر الفصاحة فى الكلام بالضم ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة . ولا يمتنع فى الكلمة الواحدة أن تكون إذا استعملت فى معنى تكون أفصح منها إذا استعملت فى غيره [١]

والنظم - عنده - ، مظهر الإعجاز (كما نعلم من حال الثياب المنسوجة أنها تتفاضل بمواقع الغزل وكيفية تأليفه ، وإن كان غزل الجميع لا يتغير ، كما نعلمه من حال الديباج المنقوش وغير ذلك [٢] .

وهذا ما يقول به عالم آخر من علماء المعتزلة هو أبو مسلم الأصبهانى [٣] فهو ينفى أن يتعلق الإعجاز بعنصرى الكلام : اللفظ أو المعنى لأن ألفاظ القرآن هى ألفاظ العرب، ومعانيه كثير منها موجود فى الكتب المتقدمة وإنما يتعلق الإعجاز بالنظم المخصوص كالخاتم من الفضة والحديد يختلف فيه الحكم باختلاف الصور بالعنصر .

قال : فظهر من هذا أن الإعجاز مختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص وبيان كون النظم معجزا يتوقف على بيان نظم الكلام ، ثم بيان أن هذا النظم مخالف لما عداه

ثم أخذ يبين مراتب تأليف الكلام ; وهى خمس : ضم الحروف بعضها إلى بعض

(١) المغنى جـ ١٦ صـ ٣٢٧ .
(٢) المصدر السابق صـ ١٩٩ .

(١) المصدر السابق صـ ٢٠٠ .
(٢) المصدر السابق صـ ٢٠١
(٣) توفى أبو مسلم الأصبهانى سنة ٥٣٥ هـ وتوفى القاضى عبد الجبار سنة ٤١٥ هـ

لتحصل الكلمات ، وضم الكلمات بعضها إلى بعض لتحصل الجمل التى يستعملها الناس فى تخاطباتهم ، وسمى هذا النوع (المنثور) ، وضم هذه الجمل على طرق خاصة تكون منها الخطبة والرسالة ، وسماه (المنظوم) ، ثم قد يكون فى هذه الجمل (الفنية) تسجيع وسماه (المسجع) ، ثم يكون الوزن وهو الشعر .

ثم قال : (فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام ، ولكل من ذلك نظم مخصوص والقرآن جامع لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شىء منها ، يدل على ذلك أنه لا يصح أن يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو سجع [١]) .

هذا ـ وقد أشرت فى أول هذه الكلمة إلى مذهب ابن حزم الظاهرى ، فهو ينفى الإعجاز البيانى جملة ، ينفيه فى حماس وإصرار ، ومما يؤكد ذلك قوله : (وقد ظن قوم أن عجز العرب ومن تلاهم من سائر البلغاء عن معارضة القرآن إنما هو لكون القرآن فى أعلى طبقات البلاغة . قال أبو محمد ـ رضى الله عنه ـ وهذا خطأ شديد ، ولو كان ذلك ـ وقد أبى الله عز وجل أن يكون ـ لما كان حينئذ معجزة) [١] .

قلت : وكلام ابن حزم هذا فى غاية من الإبعاد والغرابة ، ولا أعرف فى علماء الإسلام من نفى عن القرآن الإعجاز البيانى بهذه الحدة ، والإغراب فى الرأى ، وإن فى كلامه المعول القوى الذى يهدمه ، فكيف يتعارض الإعجاز ، وكون القرآن فى أعلى طبقات البلاغة ؟ وكيف أبى الله سبحانه أن يكون القرآن فى هذه الدرجة من البلاغة ؟

إن الحيرة الشديدة لتستبد بعقل الناظر فى هذا الكلام ، وتبلغ به الحيرة مداها حين لا يجد لهذا الكلام تعليلا مقنعا ، وبيانا شافيا .

وسنمضى فى الإشارة إلى آراء العلماء القائلين بالإعجاز البيانى ، ثم نقف ـ بمشيئة الله ـ وقفة متأنية عند رأى ابن حزم لعلنا نتبين بصفة قاطعة مدى بعد رأيه عن الحق ، وتماديه فى الخطأ ، والله المستعان ؟

د . على العمارى

---

(١) عن الاتقان للسيوطى ج ٢ ص ١٢٠ .

(١) الفصل فى الملل والنحل ج ١ ص ٨٧ .

التلقيح الصناعى فى الأرحام والأنابيب

للأستاذ مصطفى الطير

« أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون »

صدق الله العظيم

لله تعالى فى خلقه شئون وحكم « يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير ».

فالأمور لا تجرى دائماً على وتيرة واحدة ليعلم الناس أن من وراء هذه الظواهر المختلفة الحتمية إلهاً ذا قوة قادرة قاهرة له وحده حق الاختيار وحق المشيئة والتقسيم، وأنه ليس فى قدرة أحد أن يحقق لنفسه ما يريد، وليس فى قدرة سواه أن يعينه على تحقيق ما يبتغى إلا أن يشاء الخالق الذى يعلم ما ينبغى لعباده، وما تصلح به الأرض التى يعيشون عليها، وما يصلح به الكون جميعاً ولهذا بقى العالم بحكمته وتدبيره من يوم أن خلقه الله حتى الآن دون أن يعتريه فساد، أو يتسرب إليه وهن، « فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ».

فالخيرة دائماً فيما يختاره الله تعالى، ولا يختار دائماً إلا ما فيه مصلحة الكون لأنه حكيم خبير فلهذا يتحتم على كل مخلوق أن يرضى بما قسمه الله فهو أعلم بمصلحته ومصلحة الكون الذى يعيش فيه، ولو أشرك معه آخر فى الاختيار أو التنفيذ لفسد كل شىء.

ولا ينبغى لأحد أن يعترض أو يجزع لأنه تعالى حرمه من الذرية أو أعطاه ذكورا أو إناثا خلصا أو عدداً قليلا أو كثيراً، فذلك ليس من شأنه بل من شأن الخالق البصير الذى عنده الأسباب والحكم الداعية إلى هذا التفاوت، وهى فى مجموعها تعود إلى المصلحة العامة أو الخاصة أو إليهما جميعا، وقد تظهر بعض هذه الحكم للناس، وقد تختفى عند العليم الحكيم الخبير.

هذه مقدمة بين يدى الموضوع استحث بها كل مؤمن على أن يرضى بما كتبه الله له، وأن يتجنب الوقوع فى شرك الدجالين وارتكاب موبقات تغضب ربه ولا تحقق له أمنيته التى يبتغيها كما نفصله فيما يلى:

(التلقيح الصناعى داخل الرحم)

حرم بعض الأزواج الإنجاب لأن حيواناتهم المنوية ميتة مع استعداد نسائهم له

وكان هؤلاء فيما مضى يحرصون بقضاء الله تعالى وقد يشبعون حبهم لأولاد يعيشون فى جوهم بتربية أطفال لأقاربهم أو لقطاء .

ولم يكن الناس فى هذا الاتجاه التربوى على نسق واحد ، فقد كان منهم من يربى الطفل دون أن يتبناه ، ومنهم من كان يتبناه ويورثه ماله ويمنع أقاربه الشرعيين من الميراث بطريقة لا يقرها شرع الله تعالى .

وأخيراً ظهرت فكرة الإنجاب الصناعى فى أوروبا وأمريكا ، وسمح بعض الأزواج هناك باستعمالها رغبة فى الحصول على أطفال يولدون فى البيت يشبعون بهم رغبتهم فى الأطفال وإن لم يكونوا منهم اكتفاء بأنهم ولدوا من زوجاتهم بغير مباشرة رجل .

وطريقته هناك أن يحصل الزوج لزوجته أو تحصل هى على نطفة رجل أجنبى مجهول فى أنبوبة من مصرف طبى أعد لمثل هذا الغرض ، وأن يضع الطبيب النطفة فى مكان الإنجاب أمام الزوج ليطمئن إلى أن زوجته لم يغشها رجل غشياناً مباشراً ، فإذا حملت من هذا التلقيح اعتبر الولد الحاصل من هذا التلقيح ولداً شرعياً لهما عند هؤلاء ، وما هو بشرعى وإنما هو جريمة كبرى على إثمها الزوجان ويوم أن ظهرت هذه الجريمة فى المجتمع الأجنبى تساءل الناس هنا أيحل مثل ذلك ، وقد أجيبوا يومئذ من العلماء أن مثل ذلك حرام ، وأقول اليوم إنه مع حرمته يجب تعزير المرأة التى ترتكب هذا الإثم أى عقابها إذا ثبت عليها ، وكذلك يجب تعزير زوجها إذا حصل ذلك بعلمه ، ولا يمكن رجمها كما فى الزنى لعدم المباشرة : ولو قال أحد برجمها لكان لقوله هذا شبهة فى أن بعض الغرض من الزنى قد حصل فعلاً ولا شك أن المرأة التى يبيح لها زوجها ذلك تستهين بحرمة الزوجية ، ويضعف عندها الوازع الذى كان يحول بينها وبين الزنى فتجرؤ عليه وتقارفه دون علم الزوج إعتماداً على أنها حملت من التلقيح الصناعى الذى رضى به الزوج ، فليحذره الأزواج فإنه باب واسع يدخل منه إثم كبير وفساد عظيم .

(التلقيح بالنطفة الملوثة)

ويباشر التلقيح الصناعى بعض التجربات بطريقة خفية ، وذلك بأن يعطى من لا تحمل لعقم زوجها نطفة مبللة يزعمن أن بها دواء للحمل لا يعرفه سواهن ويطلبن من المرأة أن يغشاها زوجها بعد أن تحملها فإن ما بها من الدواء يمنح الحياة لنطفة زوجها ويجعلها قادرة على الإنجاب ، فإذا حملتها المرأة وغشيها زوجها العقيم وعلقت هذه الليلة ظنت وظن زوجها معها أن الحمل من هذا الغشيان بسبب ذلك الدواء .

وهذه حيلة شيطانية لا تجوز إلا على السذج الغافلين ، فليس الدواء المذكور سوى نطفة رجل تعرفه التجربة ، وهى التى كانت سببا للحمل لما فيها من الحيوانات المنوية ، فليحذرها الرجال والنساء جميعا ، ويلاحظ أن المرأة العقيم لا تستفيد من هذه القطنة لعدم وجود بويضة صالحة عندها تتلقح بهذه النطفة المدسوسة .

وعند مقياس الروضة شجرة جميز أحاطها بعض الدجالين بهالة من القداسة ، وأطلقوا عليها اسم المندورة ، وبدعايتهم لها حملوا بعض النساء المحرومات من الذرية على زيارتها والتبرك بها ليحملن .

ومعلوم أن لحاء شجر الجميز إذا شق خرجت منه مادة لبنية استغلها الدجالون المحيطون بهذه الشجرة ، وأشاعوا أن المرأة التى تحمل قطنة مبللة بلبنها فى مكان العفة منها ويغشاها زوجها فى يومها تحمل سواء كان العقم منها أو من زوجها ، فأقبل بعض النساء المحرومات من الذرية على زيارتها ، ولبست كل واحدة منهن قطنة تزعم أنها مبللة بلبنها كما سولت لها أولئك الدجالون .

وكانت بعضهن تحمل بعد هذه العملية ويزعمن أن الحمل سببه لبن شجرة المندورة ، والأمر ليس كذلك ، فإن ما فى القطنة كان من أولئك الدجالين ، غمسوا فيه القطن وأعطوه لقاصداتهم فقمن بإيهام الزائرات أن الماء الأبيض الذى بالقطن من لبن المندورة (الجميزة) وكلفنهن بدخول دورة المياه ولبس القطنة ، وبدهى أن المرأة التى تحمل من ذلك الماء هى المستعدة للحمل ، والعقم من زوجها أما المرأة العقيم فإنها لا تحمل منه قطعا .

ويلاحظ أن الحيوانات المنوية تبقى حية خمسة عشر يوما إذا حفظت فى مكان مناسب لحفظها .

(أطفال الأنابيب)

تطورت عملية التلقيح الصناعى فى سنة ١٩٦٩ إلى حد جرىء ، فقد عمد ثلاثة من علماء الإنجليز إلى تلقيح بويضة امرأة بحيوان منوى من رجل داخل أنبوبة اختبار ، وتعهدوا التجربة حتى جاءت فى النهاية بطفل داخل أنبوبة الاختبار ، ثم قتل هؤلاء الأطباء ذلك الجنين حتى يتمكنوا من فحص نتائج التجربة فحصا شاملا ، وهؤلاء الأطباء قاموا ويقومون بأبحاثهم تحت إشراف جامعة كمبردج .

نشرت هذا الخبر جريدة أخبار اليوم بتاريخ ١٩٦٩/٢/١٥ نقلا عن مجلة (نيتشر) العلمية ، وذكرت عنها أن المرحلة التالية فى التجربة ستكون وضع البويضة بعد تلقيحها

داخل الرحم لتواصل دورة الحياة وتنتهى بولادة طفل بالطريق الطبيعى .

كما ذكرت هنا أن هذا الاكتشاف يعيد الأمل لملايين النساء اللاتى يعانين العقم ويجعل من الممكن إنتاج أجنة فى أرحام السيدات العاجزات عن الإنجاب بسبب انسداد قنوات فالوب ليتمكن من إنتاج أطفال طبيعيين ، وقالت إن أحد رجال الكنيسة هاجم التجربة وقالت جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٦٩/٢/١٦ نقلا عن تقرير على أن الهدف من هذه التجربة هو معرفة الخطوات البالغة التعقيد التى تمر بها عملية الإخصاب حتى يؤدى ذلك إلى معرفة المزيد من وظائف الخلايا والأجنة والصفات الوراثية ومختلف مراحل تكوين الجنين ، وإنه قد ظهر لهؤلاء العلماء أن عمليه الإخصاب تمر بمراحل بالغة التعقيد أكثر آلاف المرات مما تصوروا ، وإنهم لم ينجحوا إلا بعد آلاف العمليات الكيماوية والطبيعية التى باءت بالفشل قبل اهتدائهم إلى السبيل الصحيح ، وإنهم اهتدوا فى التجربة خارج الرحم بالقنفذ البحرى الذى تتم عملية الإخصاب عنده فى الماء ، وإنهم بدأوا تجربتهم بالفيران ، وفشلت تجاربهم فيها ٨٤٤ مرة قبل أن تكلل بالنجاح .

وأخيرا اهتدوا إلى الطريق الصحيح بأخذ حيوانات منوية لذكر الفيران استخرجوها من أنثى الفيران بعد تلقيحها بالفأر الذكر بساعتين ، وبهذه الحيوانات المنوية لقحوا بويضة أخرى من أنثى الفيران ، وإنما استخرجوا الحيوانات المنوية من الأنثى بعد تلقيحها بالذكر لتكون قد مرت بمرحلة التحضير التى لا يمكن أن تتم خارج الرحم ليتمكن الحيوان المنوى بهذه المرحلة من إخصاب البويضة .

وقالت إن التلقيح تم عن طريق الخلط البسيط بين الحيوانات المنوية للذكر والبويضة فى وسط كيماوى سهل التحضير ، ووضعت أنبوبة الاختبار فى حضانة ذات حرارة معينة وبذلك نجحت التجربة التى أعيدت بنجاح أربعين مرة .

وقالت إن تجربة الفيران الناجحة أمكن أن يطبقها هؤلاء العلماء بزعامة الدكتور روبرت إدوارد على الإنسان وإن الدكتور المذكور صرح بأن الهدف لم يكن صنع أطفال داخل أنابيب بقدر ما هو خطوة هامة فى الدراسة الفسيولوجية وتحقيق فى نفس الوقت لآمال راودت الكثيرات من النساء .

كما قرر هؤلاء العلماء أن الهدف لم يكن صنع أطفال بصفات معينة يمكن تبديلها

أو تغييرها حسب رغبة الأطباء أو الآباء . هذه خلاصة ما كتبته الأخبار ، نقلا عن تقرير هؤلاء العلماء .

(وجهة نظرى الدينية)

قبل أن نذكر رأى الدين فى ذلك نسجل هنا ما أثبته هؤلاء العلماء فى تجاربهم من عظمة الله فى خلق الإنسان تلك العظمة التى لم يدركوا بعض أسرارها إلا بعد فشل تجاربهم آلاف المرات ، وصدق الله تعالى إذ يقول : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

ثم نقول إن هذه التجارب ذكرتنا بما يصنعه أطفالنا تلاميذ المدارس الإبتدائية حين يزرعون البصل فى أكواب الماء وحبوب القمح مثلا على قطن مبلل بالماء ليطبقوا ما سمعوه من مدرس التربية الزراعية على ما يزرعون ، فيروا الجذور تنبت أولا ثم البراعم كما فهموه من مدرسهم ، وقد استبدل هؤلاء الأطفال الماء أو القطن المبلل بالتربة ليستطيعوا أن يشاهدوا تطورات الإخصاب .

فالذى فعله هؤلاء العلماء يشبه ما يفعله أطفالنا بفارق أستاذية هؤلاء وإجرائهم نفس التجربة فى الإنسان ، فقد جعلوا أنبوبة الاختبار بديلا من الرحم ليروا تطورات نمو الإنسان ومراحل تخليقه البالغة التعقيد ، كما جعل أولادنا الأكواب والأطباق بديلا من الأرض ليروا تطورات النبات .

وهؤلاء العلماء لو كانوا يفعلون ذلك ليتعرفوا مدى قدرة العليم الحكيم فى خلق الإنسان وليتعلموا من أمور تكوينه ما يساعد على علاج بعض الأمراض والنقص التكوينى ولا يترتب على علمهم هذا وتعليمه لغيرهم أضرار لقلنا هذا عمل يجوز تبريره بحجة أن الغاية الشريفة تبرر الواسطة ، كما بررنا تشريح الموتى لنفع الأحياء ، وكما بررنا إنبات أطفالنا للنبات فى القوارير والأطباق بدل إنباته فى الأرض لتطبيق العلم على المعلوم ولتقديس الخالق جل وعلا .

لكن عملهم هذا اقترن بجريمة ، وسوف يستتبع آثارا سيئة ، وإليك البيان :

أول جريمة لهذا العبث أن هؤلاء العلماء بعد أن تكون الجنين داخل أنبوبة الاختبار قتلوه كما قالته أخبار اليوم ، وقتل النفس حرام بإجماع الديانات ، فإنه لا فرق بين جنين ينشأ فى الرحم وآخر ينشأ خارجه إذ الأصل فى كل منهما حيوان منوى وبويضة من آدميين خلقهما الله تعالى ، وقد نشأ عن تزاوجهما نفس فى كل من الرحم وأنبوبة

الاختبار إن صح مايقولون ، فإذا كان لافرق فى الحيوانية بين فرخ احتضنت بيضته الدجاجة وفرخ آخر احتضنته الحضانة الصناعية ، فكذلك لا فرق فى الإنسانية بين جنين احتضنته آدمية وجنين آخر احتضنته أنبوبة الاختبار .

فإن كانوا قتلوه لأنه لا يستطيع أن يعيش على غذاء الأطفال إذ لم ينشأ فى الرحم كما نشأوا فاذا أجدام هذا الجهد المضنى الذى كانت نهايته الإعدام ، وكيف طاوعتهم نفوسهم أن يعدموا إنسانا يرونه حيا كالأطفال كما زعموا خصوصا بعد مابذلوا فيه هذه التجارب الشاقة عدة سنين .

وثانى جريمة ستتلو هذا العبث جريمة خلقية واسعة الانتشار كما صدروا له وكما ينتظر له فعلا ، فإنهم صرحوا أنهم لا يريدون بما فعلوا مجرد الدراســة ، بل وتحقيق أمل الكثيرات المحرومات من الإنجاب لانسداد قنوات فالوب لديهن ، فإنه من المعلوم أن انسداد هذه القناة يجعل المرأة عاجزة عن إنتاج بويضة قابلة للتلقيح بنطفة زوجها ، وسوف يجلبون لها بويضة من امرأة أخرى لتلقح بحيوانات زوجها المنوية داخل رحمها لتقوم هى بحضانة هذه البويضة الملقحة مدة الحمل المعتادة ، فالولد الذى تلده بهذه الطريقة ليس لها فيه سوى الحضانة فكيف يكون هذا ولدا نسبياً لها يرثها وترثه ، ومثلها بالنسبة له كمثل المرضعة لولد غيرها ، بل وكيف يكون ولدا شرعيا لزوجها والبويضة التى لقحها بمائه من غير زوجته ، أليس مثله فى هذا كمثل رجل زنى بامرأة أجنبية ولقح بويضتها بمائه ، ولا فرق بينهما إلا أن زناه بالأجنبية كان عن طريق زوجته التى أوصلته إلى بويضتها المستعارة منها للإنجاب ، وهل الطفل المتولد عن ذلك يحمل صفات المرأة الحاضنة وزوجها أم يحمل صفات صاحبة البويضة وصفات زوج الحاضنة ، إنه سيكون حاملا لصفات الزوج وصاحبة البويضة كولد الزنا تماما .

فإذا كنا قد حرمنا نقل النطف من الرجال الأجانب إلى امرأة ولود لأن زوجها عقيم نظراً لأن هذا يشبه الزنى ، فهذه مثلها فإن النتيجة إنجاب أولاد غير شرعيين إذ لم يجتمع الزوجان على أصلهم فى كليهما ، فالنطفة فى المرأة الولود لغير الزوج ، والبويضة فى المرأة العقيم لغير الزوجة .

وثالث جريمة ستترتب على هذه التجربة غرور أولئك العلماء وظنهم أنهم شاركوا الخالق جل وعلا فى الخلق وقدروا على ماقدر عليه من خلق الإنسان الذى انطوى فيه العالم

الأكبر ، كما سيترتب عليها غرور من يقلدونهم ويأخذون عنهم .

وعلى صفحات هذه المجلة نخاطب المؤمنين فنقول : إن هؤلاء العلماء لم يأتوا بشيء من عندهم ، فالنطفة والبويضة من خلق الله تعالى ولا يستطيع أحد إبداعهما ، والمواد التى أحاطوا الجنين بها وكذلك الجو ليهيئوا له بيئة الرحم من خلق الله ومستنبط من نظام الله فى تكوين الجنين ، والعلماء الذين قاموا بالتجربة وعقولهم التى اعتمدوا بها من خلق الله والطريقة التى سلكوها من إرشاد الله . وفوق كل ذى علم عليم ، وما خفى من خلق الإنسان وشئونه أعظم مما ظهر ، وصدق الله تعالى إذ يقول : « أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون » .

وقد نشرت الأخبار بتاريخ ٦٩/٢/١٧ أن مسئولا بالفاتيكان صرح أن الفاتيكان يرى أن كل هذه العمليات غير أخلاقية وغير مشروعة .

وقد أحسن الفاتيكان بهذا التصريح فى العالم المسيحى ، وهو بذلك يضم صوته إلى صوت الاسلام الذى يستنكر هذه الجريمة البشعة فى مبدئها وفى آثارها المرتقبة ، والله الهادى إلى سواء السبيل ؟

مصطفى محمد الطير

(هذا خلق الله)

يقول الله تعالى :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » .

(المؤمنون ، الآية ١٢ — ١٤)

دور الإسلام في تطور القانون العربي القديم

للدكتور عبد الناصر توفيق العطار

---

١ — كانت العرب قبل ظهور الإسلام نظم اجتماعية واقتصادية وسياسية تحكمها قواعد مستمدة من العرف السائد عندهم أو من العقائد التي يصورها لهم كهنتهم ، وكانت هذه القواعد تشكل ما نسميه القانون العربي القديم . ولما ظهر الإسلام كان عقيدة وشريعة ودنيا ودولة ، وفكرة وسلوكا ، مما كان له أثر كبير على هذا القانون العربي القديم ، حيث أقر الإسلام بعض نظمه وألغى البعض الآخر كما أنشأ نظما أخرى جديدة .

٢ — في الناحية الاجتماعية كان للإسلام دور كبير في تطوير نظام الطبقات ونظام الأسرة .

لقد عرف عرب الجاهلية نظاما غير طبيعي للطبقات ، فقريش هم أشراف العرب وسدنة الكعبة ، والعرب أشرف من العجم ، والكهنة ورؤساء القبائل هم الطبقة الممتازة ، والرقيق عبيد لا حقوق لهم ، والأصنام آلهة من دون الله يخشى الناس لعنتها وغضبها وينحرون لها الذبائح ويقدمون القرابين . وأتى الإسلام رحمة للعالمين ، يحرر العقول من أوهام الأصنام معلنا أن الله واحد لا شريك له ، هو الملك القدوس العزيز الجبار المتكبر ، فلا ينبغي لأحد أن يخشى غير الله ، ولا ينبغي لأحد أن يخشى صنما أو كاهنا أو عظيما في قوم أو كبيرا في جماعة ، فالبشر كلهم من آدم وآدم من تراب ، أحرارهم وأرقاؤهم إخوة في الإنسانية ، ولا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود ولا لرئيس على مرءوس إلا بالتقوى ، ولا يكتفي الإسلام بأن يضرب النظام الطبقي غير الطبيعي بهذه المبادىء ، بل يسعى إلى تصفيته ، فالمسلمون يسعى بذمتهم أدناهم ، وتحرير رقاب الأرقاء واجب الدولة وواجب الناس ، فهو واجب الدولة لأن من مصارف الزكاة تحرير الرقاب وهو واجب الناس حيث فرض الإسلام تحرير الرقاب عليهم كفارة لكثير من الذنوب .

وكانت الأسرة عند العرب لا تقوم على رابطة الدم فحسب ، بل كانت تشمل كذلك أبناء بالتبني وأقارب بالولاء . وفي التبني ينسب المتبنى إلى المتبني دون أبيه من النسب ، وللولد المتبنى من الحقوق ما للابن من النسب منها ، وعليه ما على الابن من الواجبات ، فهو يرث كأولاده من النسب ويحرم عليه أن يتزوج بابنة المتبني كما يحرم على من تبناه

أن يتزوج بزوجة ابنه المتبنى ... أما الولاء فهو عقد يرتبط به شخصان على أن ينصر كل منهما الآخر ويتوارثا ... وقد أقر الإسلام نظام الأسرة القائمة على رابطة الدم وهى الرابطة الطبيعية الأصيلة وأبطل ما عداها من الروابط الصناعية كرابطة التبنى ورابطة الولاء .

وكان الزواج عند العرب فى الجاهلية أنواعا شتى ، فقد عرفوا نظام الزوج الواحد بالزوجة الواحدة ، ولم يكن هناك ما يمنع أن تكون هذه الزوجة امرأة الأب الأرملة أو المطلقة ، وكان عندهم نظام تعدد الأزواج وكان فى صورة زواج الأخدان وفيه يتزوج عدد من الرجال دون العشرة من امرأة واحدة يكون لها أن تنسب ولدها إلى من تختاره من أزواجها ، كما عرفوا نظام تعدد الزوجات دون حصر لعدد الزوجات وكان من الجائز عندهم أن يجمع الرجل فيه بين المحارم كالأختين والأم وابنتها . وكان عندهم زواج المتعة والزواج المؤقت وفيهما يتم الزواج لمدة معينة يفترق بعدها الزوجان ، كذلك زواج المقت وفيه يتزوج الابن الأكبر بزوجة أبيه المتوفى أو يزوجها من غيره حسبما يرى ودون رضاها ، وكذلك زواج الشغار وفيه يزوج الرجل ابنته أو أخته لآخر مقابل أن يزوجه الآخر ابنته أو أخته ولا يدفع أى منهما مهرا .

فلما أتى الإسلام أقر نظام الزوج الواحد بالزوجة الواحدة وحرم أن تكون هذه الزوجة أما أو بنتا أو أختا أو عمة أو خالة أو بنت أخ أو بنت أخت أو زوجة أب أرملة أو مطلقة .. إلخ . كما حرم الأم والأخت من الرضاع واعتبر سائر ما يحرم من النسب يحرم فيه من الرضاع ، وأقر الإسلام تعدد الزوجات ولكنه قيده قضاء بأربع زوجات وبعدم جواز الجمع بين المحارم كالأختين والأم وابنتها والبنت وعمتها أو خالتها ، كما قيده ديانة بالعدل بين الزوجات . وأبقى الإسلام زواج الشغار مع إلزام كل زوج فيه بدفع المهر إلى عروسه وأبطل الإسلام نظام تعدد الأزواج فى كافة صوره ، كما أبطل زواج المتعة والزواج المؤقت وزواج المقت ، فأعطى العلاقة الزوجية شرفها واستقرارها وطمأنينتها .

٢ — ومن الناحية الاقتصادية نجد للإسلام دوراً كبيراً فى نظام الملكية حال الحياة وحال الوفاة .

فقد كانت الملكية عند العرب فردية وجماعية وتتمثل هذه الأخيرة فى حمى القبيلة وهى أرض تملكها القبيلة كلها . وكان الاستيلاء والعقد والميراث من أسباب كسب الملكية . غير أن الاستيلاء كان يتم على الأموال المباحة وعلى أموال الغير عن طريق القهر والحروب التى شاعت بين عرب الجاهلية . وعرف العرب

كثيراً من العقود كالبيع والإيجار والرهن والقرض ، غير أن هذه العقود فى الجاهلية كانت لا تخلو من الغرر والاستغلال والربا ، فالبيع مثلا قد يتم بمجرد الملامسة أو المنابذة أو إلقاء الحصاة ، وليس هناك ما يمنع أن يحتكر بعض التجار السلع الضرورية أو يساوم شخص على سوم أخيه ليبيع له السلعة بثمن أكبر أو يشتريها بثمن أرخص ، وإذا تأخر المدين فى الوفاء بدينه قال له الدائن أو أد أو رب أى زدنى فى الدين نظير تأجيلى له . وكان الربا يؤكل أضعافا مضاعفة . ولما أتى الإسلام أعلن أن لله عز وجل ملك السموات والأرض وأن كل من آتاه الله مالا إنما يحمل مسئولية تتمثل فى خلافته لله عز وجل فى الأرض ليعمرها ويشكر نعمة الله فيها ثم يحاسب على ما قدمت يداه وأنه لا يجوز أن يأكل الناس الأموال بالباطل، ولا تتم العقود بغير التراضى فلا بيع ملامسة أو منابذة أو حصاة كما نهى صلى الله عليه وسلم عن سوم المسلم على سوم أخيه ، وكره الإسلام أن يكون المال دولة بين الأغنياء فأقام نظام الزكاة ونظام الفىء وهو خمس الغنائم لتوزيع أموالها على الفقراء وحث الإسلام على مداومة إنفاق المال فى وجوه الخير وتوعد الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بعذاب أليم وحرم الربا تحريما باتا قاطعا فى جميع صوره.

وكان الميراث فى الجاهلية مقصوراً على الذكور البالغين لأنهم القادرون على حمل السلاح والدفاع عن الأموال ، ولا ميراث للأطفال ولا للنساء، ومع ذلك يدخل الأبناء بالتبنى والموالى ضمن الورثة ، وتجوز الوصية لوارث ولغير وارث بكل الأموال . وقد نسخ الإسلام الإرث بالتبنى وبالولاء ، ولم يجز الوصية إلا فى حدود ثلث التركة حسب محافظة على حقوق الورثة ، كما أقام الإسلام الميراث على أسس طبيعية توزع فيها تركة المتوفى على أقاربه الأقرب فالأقرب توزيعا تتفتت به الملكية على أكبر عدد من الأقارب وجعل الإسلام للمرأة نصيبا فى الميراث بنتا كانت أو أما أو زوجة أو أختا، كما ورث الأطفال كالكبار لمكان حاجة لهم ورعاية .

وهكذا قامت العلاقات الاقتصادية فى الإسلام على أساس التعاطف والتراحم بين الأقارب وعلى أساس التراضى فى المعاملات وعلى أساس أن للسائل والمحروم من الأقارب وغير الأقارب حقا معلوما فى أموال الأغنياء لا إحسان فيه ولا فضل ، بل الوفاء به ركن فى الدين ، من أقامه أقام الدين ومن أنكره وامتنع عن الوفاء به أرتد عن الإسلام ، وما حروب أبى بكر للمرتدين ما نعى الزكاة بخافية على كل من يعرف شيئا عن تاريخ الإسلام .

٤ — ومن الناحية السياسية كان للإسلام دور عظيم فى نظم الحكم والدفاع والأمن والعدالة .

فقد كان عرب الجاهلية قبائل متفرقة يغير بعضها على البعض الآخر لمجرد الرغبة فى القهر والغلبة أو عند هجاء شاعر أو اغتصاب أنثى أو الاستيلاء على مغنم ، ولم يكن هناك نظام سياسى يجمعهم ، فوحد الإسلام مشاربهم وألف بين قلوبهم وأقام لهم دولة ونظاما سياسيا قوامه الشورى ولا يتم تولى الخليفة فيه إلا بالبيعة التى يشترك فيها كل المسلمين .

ولم تكن هناك ضمانات للعدالة فى المجتمع العربى القديم ، فالوصول إلى الحق أو توقيع العقوبة متروك لنظام التحكيم الاختيارى أو الانتقام الشخصى أو التضامن القبلى ، ولم يكن هناك قضاة يتولون الفصل فيما ينشب بين الناس من منازعات ، وإنما كان هناك محكمون قد يقبلون الفصل فى النزاع وقد يرفضون التصدى له ، ورأيهم عند الفصل فيه استشارى قد يرفضه أحد الخصوم ولم يكن المحكمون يطبقون على النزاع غير آرائهم الشخصية المستمدة من العادات والتقاليد العربية ، ولم تكن هناك ضوابط للجريمة ولا ضوابط للعقوبة ... فلما أتى الإسلام فرض على الوالى أن يتولى الفصل فى المنازعات بنفسه أو بمن ينيبهم عنه قضاة للناس ، ووضع ضمانات للقضاء ، فالقاضى لا يحكم برأيه الشخصى وإنما يحكم طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ، وهو فى قضائه يتبع إجراءات من شأنها أن تمكن كلا من الخصوم من الدفاع عن حقه وإظهار حجته ، وللجرائم ضوابط وللعقوبات قواعد ، ولا يسأل عن المنكر غير فاعله ولو كان شريفا فقد قال تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ويدرأ الحد بالشبهات لصالح المتهم . وإذا قضى فى نزاع تولى ولى الأمر تنفيذ الحكم الصادر فيه دون أن يترك هذا التنفيذ للأشخاص ، إلا فى جريمة القتل حيث أجيز لولى الدم أن يقتص تحت إشراف ولى الأمر وفى حدود ما قرره القاضى للجانى من عقوبة .

ودعا الإسلام إلى الإصلاح بين المسلمين وألا يحارب بعضهم بعضا ، إلا إذا بغت فئة منهم على الأخرى « فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » . أما الجهاد ضد الكفار فهو مشروع بكافة صوره ، غير أن خوض الحرب الهجومية ضدهم لا يكون إلا بعد تخييرهم بين الإسلام ودفع الجزية

(البقية على الصفحة رقم ١٢٥)

الإنسان الكامل

للأستاذ الدسوقي حسن سلامه

— ١ —

إن موضوع بحثنا هذا في درجة من الأهمية إلى حد كبير خطير معا ، اختلفت فيه الأفكار ، واشتجرت فيه الأنظار ، وتضاربت فيه الآراء ، على يد العلماء القدامى وعلى يد المحدثين ، وسواء في الشرق أو في الغرب بصور متعددة متنوعة يكاد كل مفكر من المفكرين - على كثرتهم - يكون له فيه مذهبه الخاص ، ورأيه الخاص يخالف به كل من عداه ، علاوة على القائمين على الحركات العلمية ، فعقدوا لحل عقدته المؤتمرات الدولية ، ومجالس البحث والمناظرة ، فما وصلوا إلى وفاق بين الآراء ، أو تلاق بين وجهات النظر في حقيقة « الإنسان الكامل » أو (السوبرمان) .

وقد كان على رأس مؤتمر كبير انعقد لهذا الغرض سنة ١٩٣٠ السلامة (دريش) روقف يفتتح الجلسة قائلا « إن على المنقطعين لدراسة العلوم الروحية ، واجبات في أعناقهم تأديتها لسعادة البشرية ، وأهم هذه الواجبات في نظرى أن يوجهوا قواهم لدراسة نظريتهم

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

وحد السيف ، فإن أسلموا كان لهم ما للمسلمين من حقوق وإن دفعوا الجزية عصموا دماءهم وأموالهم ، وإلا كانت الحرب لا بقصد الاستعمار واستنزاف الثروات ولكن بقصد تأمين المسلمين من أخطار الكفار وبهدف هداية الكفار إلى الإيمان .

● — وبعد ... فلا يرسم هذا القدر غير الملامح العريضة لدور الإسلام في تطور القانون العربي القديم ، وهو دور أحياه العرب حياتهم فأمسكوا بمشاعل النور وطافوا بها في كل مكان حتى بدد الله ظلمات كثير من القلوب ، وكان الإسلام رحمة منه للعالمين . ؟

د . عبد الناصر توفيق العطار

وتحقيقها ، بل يجب على جميع المشتغلين بسائر العلوم أن يعنوا بدراسة تمكنهم من الوقوف على العلاقة الوثيقة لعلومهم بهذا المبحث الجليل ، الذي له أكبر الأثر والصلة بسعادة الإنسان .

وها نحن أولاء نجد من فحول علماء أوربا أمثال « تكنسون » و « نتشة » و « فلامريون » و « درويل » وكثير سواهم ، قد تناولوا موضوعنا هذا فى عمق ودراية ، نتيجة لعمل دائب ليل نهار فى دائر البحث عن الإنسان الكامل ، بالطرق العلمية الحديثة ، ومناهج البحث المنطقية .

كما نجد لهذا موجة روحية قوية تسرى فى علماء أمريكا خاصة ، وأوربا بعامة ، دعت إلى تمحيص هذا الموضوع للوصول إلى غاية الغايات ، كى ينال الإنسان حظه كاملا ، وسعادته موفورة . ولا تفوته غاية بينما كل من فى الوجود يحقق غايته ، ويقتنص سعادته وتعطيه الطبيعة كماله النوعى والجنسى والشخصى . دون عناء لأنه لا يفكر .

أما الإنسان فعليه بمجهوده العقل الخاص ، أن يبحث عن كماله . فى أى شىء هو ؟ ومن أى شىء هو ؟ وما أى شىء هو ؟ وكيف . ومتى ... ولماذا ... ومتى يكون ؟

وهذه الموجة المعاصرة لا يسع رجال الدين – إن فى الدنيا القديمة أو الجديدة – إلا أن يسروا لها ويغتبطوا منها ، فهى ستؤدى حتما إلى غاية يقرها الدين ، ويرضى عنها ، فالدين إنما جاء لما هو خير بالذات كأناسى بذلك الوضع الإلهى . وهل خير الإنسان بالذات شىء آخر غير كماله ؟

وإذن فالدين منهج يحدد الإنسان الكامل ويبينه ويصفه ويدعو إليه ، والإنسان الكامل فى نظر الدين ورجاله هو الملتزم الحدود الشرعية ، المتصف بها علما وعملا ، خلقا وسلوكا ، إيمانا وإسلاما ، المبتعد عن كل ما نهى عنه ، وحذر منه ذلك الدين ، ويصفه الإسلام بأنه التقى . « المستقيم » . ويطلق عليه آيات الإطراء ، ويعده بالثواب وحسن المآب وكل ذلك فى كتاب الله الكريم واضح لا خفاء فيه .

ثم إن هذه الموجة المعاصرة إذا أسرتنا كثيراً ، وحمدنا لعلمائها ، والقائمين عليها هذا الاتجاه الذى سيلتقى حتما بالدين عند الغاية الأخيرة ، ما دام الهدف واحدا ، وهو الدعوة إلى تحقيق الكمال فى الإنسان ، فإنها تثير فى نفوسنا موجة أقوى وأشد من الألم الممض والحزن والأسى ، وأنها لتثير فينا حوافز كانت كامنة ، وعزائم كانت نائمة ، وهمما كانت غافية .

وذلك لأن الشرق هو مهبط الوحى ومنزله ومهد الديانات ، ووطن النبوات والرسالات ومع هذا فإننا لم نشارك فى هذه البحوث

المعاصرين ، وتهاوننا تهاونا معيبا فى البحث عن حالة الإنسان المنشودة ، عن طريق الفكر الحر ، والنظر العقلى الصائب ، وليتنا عرفنا أن ديننا أغنانا فاستغنينا به ، واستخرجنا منه درره النيرة وعرضنا ذلك على العالم الحائر ليهتدى أو ليقصر عناءه .

ولكننا حتى ذلك لم نفعل بل لم نحاول أن نفعل ، ومن حاول فى القديم حورب بمختلف الأسلحة وهى دعوة إصلاحية إنسانية من القمة فى الأهمية ، ومن الذروة فى المكانة ولهذا احتلت منزلة الصدارة لدى كبار الدعاة فاختصها بعضهم بقلبه كله فملأه بها حتى فاض الشغاف وأجرى لسانه فى ترديد الدعوة إليها حتى يكاد لا يتكلم فى سوى هذه الدعوة ، وقصر عليها كبير مؤلفاته ، من ألفه إلى يائه .

وأشهر هؤلاء : (عبد الكريم الجيلى) المتوفى سنة ٨٢٦ هـ ، صاحب المؤلف القيم « الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل » ويقع فى جزئين كبيرين .

ومن قبله (محى الدين بن عربى) المتوفى سنة ٦٣٨ هـ الذى استقامت عنده مسألة الفكرة حتى ألبسها « ثوب النظرية » فى كتابه « الفتوحات المكية » .

ولا يفوتنى أن أذكر : أن ابن عربى هذا تلميذ (الحسين بن منصور الحلاج) الذى استشهد ببغداد سنة ٣٠٩ هـ وأودع أقواله كتابه (طاسين السراج) .

وهذه مذاهب صوفية قد يكون لها عيوبها ومثالبها ، وجمالها وجـــلالها ، وإفراطها وتفريطها ، ولسنا بصدد بيان شيء من ذلك ولكن الذى يهمنا هو القول بالإنسان الكامل على أنه مبدأ عام ، وإن اختلفت فى وسائل تحقيقه المذاهب والآراء وإن تعددت مصادره أو تنوعت موارده .

وإذا كان ، ما صدق ، الإنسان الكامل واحدا لا يتعداه ـ عند الحسين بن منصور وهو آدم عليه السلام فإن ابن عربى لم يرض هذا الضيق ـ كما رأينا ـ وفتح الباب على مصراعيه لكل من سلك سبيله ، ووصل إليه ، فكان ذلك جيلا منه لأنه يدعو إلى التسابق للحصول على الكمال .

وكم كنا نتمنى أن تسود هذه الروح بين المتصوفة ، ولكننا نرى أن الباب عاد يوصد على يد (عبد الكريم الجيلانى) ، الذى قصر الما صدق على سيد البشر « محمد بن عبد الله » .

يدافع عن نظريته دفاعا استغرق منه كثير الوقت فى البحث والتوليف ، بأسلوب حازم ، يوحى باليأس من بلوغ درجة الكمال الإنسانى التى أشبعها بحثا وتحليلا ، وأكثر من ذكرها فى شعره ونثره . (البحث موصول)

الدسوقى حسين سلامة

جنوب السودان الوثنى بين الإسلام والمسيحية

للأستاذ عبد الستار البدرى

لعل الدارسين والملمين بالظروف التى عاشها جنوب السودان يذكرون أن حربا شعواء ضد الإسلام قد شنها الاستعمار ، لا عن تعصب أعمى ، أو حقد أحمق ، أو كراهية جاهلة ، بل كان تعصبه وحقده وكراهيته للإسلام تقودها دراسة عميقة وإلمام واع ومعرفة أكيدة بتعاليم الإسلام وأصوله وكيفية انتشاره ووسائل الدعوة إليه .

فحين شن الاستعمار حربه السافرة ضد الإسلام فى جنوب السودان ، وضع يده على هذه التعاليم وتلك الوسائل ، فأحس أن الهجرات العربية إلى أفريقيا ، وبخاصة السودان من جنوبه الشرقى ، عبر البحر الأحمر حيث تقع الجزيرة العربية ، ومن شماله الغربى حيث مديرية «دارفور» واتصالها بالمملكة الليبية وشمال إفريقيا ، أو من الشمال حيث السودان الشمالى ومصر ، أحس أن هذه الهجرات قد نقلت إلى شمال السودان عنصراً جديداً قابلا للاختلاط والامتزاج ، فربط بين قبائل الشمال انثروبولوجيا ، كما أضعف آثار عصبياته روحيا بفضل ما حملته هذه الهجرات من تعاليم الإسلام وسماحته .

وقد أدرك الاستعمار هذه الحقائق فبنى سياسته فى جنوب السودان على أساس وقف تيار الهجرة إليه من الشمال ، أو الاختلاط بين الشمال والجنوب ، وأطلق على هذه السياسة «سياسة الجنوب» ، والهدف الواضح منها هو جعل جنوب السودان حداً فاصلا فى وجه المد الحضارى الإسلامى ، والثقافة العربية ، حتى يحول بين كل ذلك وبين الوصول إلى قلب إفريقيا السوداء ، إذ يطمع فى أن يجعل منها منطقة احتكار لانتشار التبشير المسيحى بين قبائل وثنية تعيش فى ظلمات الجهل أسيرة التقاليد والعادات القبلية .

وتطبيقا لسياسة الجنوب هذه طردت سلطات الاستعمار جميع الشماليين من تجار وموظفين من جنوب السودان ، وقد كانوا عنصراً هاما فى نشر الدين الإسلامى عن غير قصد أو تنظيم . كما حرم استخدام اللغة العربية والزى العربى فى الجنوب ، وفضلا عن ذلك فقد حرم أداء الشعائر الإسلامية بصورة علنية ، وأغلقت المساجد ، وعملت السلطات الاستعمارية الجنوبية على تغيير أسمائهم العربية والإسلامية ، باعتبار كل هذه المظاهر كانت من وسائل انتشار الإسلام .

ولعل من أخطر ما اتجه إليه الاستعمار فى حربه للإسلام هو مطالبة الجنوبيين بالعودة إلى النظام القبلى ، وإحياء اللغات واللهجات المحلية ، وصدرت الأوامر إلى مديرى المديريات الجنوبية والمفتشين والإداريين والمأمورين بتشجيع هذا الاتجاه والعمل على تطبيقه ، حتى يتم بذلك إقامة وحدات منفصلة اقتصاديا واجتماعيا يسهل عـــزل أى منها إذا اعتنقت الإسلام .

هذا من حيث إقامة الوحدات المنفصلة ، كما أن إحياء اللهجات المحلية يحول دون ربط سكان الجنوب فكريا وثقافيا إذا ما انتشرت بينهم اللغة العربية ، خاصة وأن اللغة الانجليزية لا تجد ـ فى الغالب ـ مجالا للانتشار ينافس انتشار اللغة العربية ، وقد ظهرت هذه الحقيقة جليا فى قلة عدد الذين يتكلمون اللغة الانجليزية فى الجنوب ، ويكاد يقتصر عددهم على الذين تلقوا تعليمهم فى مدارس التبشير المسيحى .

ولقد فتح الاستعمار جنوب السودان على مصراعيه للتبشير المسيحى ، وأعطى له كل مقومات النجاح ، ووفر له الإمكانيات البشرية والمادية والمعنوية .

فمن حيث الإمكانيات البشرية ، سمح لجميع الهيئات التبشيرية باستخدام أى عدد من المبشرين وقسم الجنوب إلى مناطق نفوذ وعمل بين الهيئات التبشيرية الثمانية التى دخلت جنوب السودان والتى يعد أخطرها شأنا هيئة التبشير الكاثوليكى .

ومن الناحية المادية ، قطع الاستعمار هذه الهيئات إقطاعيات من الأرض تستغل فى الإنتاج الزراعى ، والفواكه والبن . كما سمح لها بالتجارة مع الجنوبيين ، وإنشاء الشركات وحق ملكية المواصلات برا وبحرا وجوا ، ووسائل الاتصال اللاسلكى ، لتضمن هذه الهيئات دخلا ثابتا ، للانفاق منه على أوجه النشاط التبشيرى المختلف .

أما من الناحية المعنوية فقد أطلق الاستعمار لهيئات التبشير حرية العمل دون رقيب أو إذن ، كما ربط مصالح الجنوبيين بالبعثات التبشيرية فعهد للهيئات بتنظيم التعليم وإنشاء المدارس والإشراف عليها وإقامة المستشفيات والملاجىء والتصرف فى الخدمات الاجتماعية وتوظف المتخرجين من مدارس الإرساليات ، ليحقق بذلك إمكانيات ومعنوية كبيرة تساعد بلاشك على ربط الجنوبيين بالبعثات التبشيرية .

وفضلا عن هذه الإمكانيات الضخمة التى أتيحت للتبشير المسيحى فى جنوب السودان فسكان الجنوب بحياتهم البدائية أرض خصبة لأى دين سماوى ، كما أن جنوب السودان قد أغلق فى وجه أى دعوة للإسلام أو مظهر من مظاهره ... برغم ذلك كله فإن التبشير المسيحى لم يحقق ما كان يصبو إليه من نجاح

لا دينيا حيث لم تتجاوز نسبة الذين اعتنقوا المسيحية ٦ ٪ من عدد السكان البالغ ثلاثة ملايين نسمة، ولا تزال الغالبية العظمى منهم وثنية تعيش حياتها البدائية كيوم دخلها التبشير المسيحى ... كذلك لم يحقق التبشير نجاحا فى جعل اللغة الانجليزية لغة مشتركة الجنوب.

ولقد أدرك الاستعمار فشل هذه السياسة رغم طول الفترة التى أغلق فيها جنوب السودان (من ١٩٠٢ إلى ١٩٤٨) فاضطر — تحت ضغط الحركة الوطنية فى شمال السودان، والغيرة الدينية فى نفوس سكان الشمال — إلى تغيير هذه السياسة، فسمح لبعض الشماليين بدخول الجنوب بإذن خاص، وإباحة تعليم اللغة العربية فى مدارس الجنوب وعودة كبار الموظفين من أبناء الشمال إلى العمل فى جنوب السودان.

وواضح من العرض السابق أن الاستعمار قد اختط سياسته هذه حتى يستطيع أن يوقف انتشار الإسلام فى قلب أفريقيا السوداء، سواء عن طريق موجات الهجرة كما حدث فى معظم مناطق أفريقيا، وخاصة فى شمال أفريقيا وشرقها، أو عن طريق الاختلاط والتآخى بين المسلم وغير المسلم، أو عن طريق التعرف على طبيعة الإسلام وسماحته، أو باستخدام اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم.

ولم يقصر الاستعمار جهوده عند وقف انتشار الإسلام والتمكين للتبشير المسيحى، وإنما اتجه إلى بث الدعوة ضد الإسلام والمسلمين، واستغل بدائية سكان الجنوب بكل الوسائل الممكنة، سواء بالمحاضرات أو الكتب، أو النشرات الملونة لتحقيق أهدافه، وأهم ما أقام عليه دعوته ضد الإسلام والتشكيك فيه وضد المسلمين من أبناء الشمال ما يلى:

١ — الادعاء بأن الدين الإسلامى يبيح الرق، الذى قاسى منه أبناء الجنوب فى القرن التاسع عشر، وأن دخول الإسلام جنوب السودان سيعيد إليهم تجارة الرقيق من جديد.

٢ — الادعاء بأن دخول المسلمين — وهم عرب — إلى جنوب السودان وهم من أصل زنجى سيجعل الشماليين يستعبدون الجنوبيين بدعوى أن الإسلام يقوم على العصبية والعنصرية.

٣ — الادعاء بأن مستقبل الجنوب يتوقف على انفصاله عن الشمال للاختلاف بينهما فى اللغة والدين والعادات واللون والجنس ولاختلاف الظروف الاقتصادية والمعيشية بينهما وقام بعض المبشرين فعلا بتدريب بعض الجنوبيين على استخدام الأسلحة، وخلق الاضطرابات.

فلما استقل السودان وأدركت حكوماته المتعاقبة الدور الذى تقوم به البعثات التبشيرية

لبث التفرقة بين الشماليين والجنوبيين ، وإثارة النعرات العنصرية ، والتدخل فى السياسة ، وإيغار صدور الجنوبيين ضد الحكومة الوطنية ، واتهامها بالتحيز لدين معين ، ومحاولة الحد من الامتيازات التى حصلت عليها البعثات التبشيرية ... من أجل ذلك أصدرت الحكومة السودانية عام ١٩٦٢ قراراً بتنظيم أعمال الإرساليات التبشيرية ، مع ضمان حرية العبادة والتبشير ، والاعتراف بالهيئات التبشيرية قانونيا ... فاعتبرت الهيئات التبشيرية هذا القرار مقيداً لنشاطها ، وتعرض السودان لحملة دعائية من بعض دوائر التبشير المسيحى فى أوربا ، ويرجع ذلك إلى الخوف من وجود المنافسة فى مجال التبشير ، وهو الذى لم يحقق أغراضه رغم الإمكانيات الضخمة ، وعدم وجود منافسة.

وليس من شك أن سكان جنوب السودان - وهم يعيشون حياة بدائية فى غابات وأدغال لم تعرف الحضارة طريقها إليهم ، ولم تجد الثقافة مكانا بينهم - يحتاجون إلى دين سماوى يخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويفتح لهم طريق المعرفة والمدنية ، وسبل الحضارة والتقدم ، وهو ما عجز التبشير المسيحى عن تحقيقه بعد أكثر من نصف قرن من الزمان وظروف الجنوب عامة ، والسوابق التاريخية فى أفريقيا بصفة عامة تدفعنا إلى الاعتقاد بأن الإسلام بعقيدته الواضحة ، وأصوله الفطرية ، وتشريعاته السمحة هو الدين الذى سيشع نوره فى جنبات جنوب السودان وذلك للاعتبارات التالية :

١ - إن تاريخ شمال السودان ، ووسائل انتشار الإسلام فيه تؤكد حقيقة واضحة هى سهولة انتشار الإسلام فى إفريقيا ... فلقد دخل الإسلام السودان حين كانت هناك ممالك مسيحية لم تلبث أن أسلمت دون فتح أو قهر.

٢ - إن الإسلام يعترف بالديانات الكتابية ، ويتسامح معها ، ويعترف بالعلاقات المدنية التى تقوم بين المسلم وغير المسلم من الكتابيين وأهل الذمة ، ويكفل الحرية الدينية ، والتاريخ ملىء بالشواهد والأدلة على أن هذا التسامح قد عزز الدعوة الإسلامية وكان داعية لها .

٣ - وضوح العقيدة الإسلامية وبساطتها ويسر الإسلام وسماحته كان من أهم العوامل التى جذبت الإفريقيين إليه . فلم يواجهوا بتعقيدات عويصة ، أو حتى يغلق عليهم مجال التفهم والتفكير .

٤ - أن الإسلام لا يفرق بين الناس بسبب الجنس أو اللون أو اللغة ، ويدعو إلى حسن التعايش والإخاء .

وإن كان بعض المناهضين للإسلام يرون أن سبب انتشار الإسلام فى أفريقيا هو أنه

دين بدائى ، وإن سكان أفريقيا بدائيون ، فإن بعض المنصفين يرون أن انتشار الاسلام فى أفريقيا يرجع إلى أنه أكثر وضوحا وأشمل بناء للإخاء بين العناصر والألوان البشرية المختلفة .

٥ — إن هناك ارتباطا فطريا بين العربى والإفريقى ، فكلاهما محب للحرية الشخصية وهذا ما يؤكده الإسلام .

٦ — إن الإسلام يجعل العلاقة مباشرة بين العبد وربه ، فلا وساطة ولا وسيط ولا استغلال للدين ، ولا تقرب إلى الله بغير العمل الصالح .

٧ — إن جنوب السودان متأثر بالوجود العربى والإسلامى ، فنى الشمال يتحدث الناس العربية ويدينون بالإسلام ، وفى الشرق الإفريقى تستخدم بعض مفردات اللغة العربية ويدين البعض بالإسلام وكذلك فى الغرب ، بل إن جنوب السودان ذاته تستخدم فيه لغة يطلق عليها « لغة جوبا » تقوم على الكثير من مفردات اللغة العربية .

٨ — إن الدين الإسلامى واللغة العربية أصبحا دينا ولغة مشتركتين فى أفريقيا ، فيوجد الإسلام فى شرق أفريقيا وشمالها وغربها ، ولذلك فإن منابع الدين الإسلامى واللغة العربية أصيلة وليست دخيلة ، مما يسهل الدعوة إلى الإسلام .

٩ — إن الإسلام انتشر فى أفريقيا نتيجة لاتصال التجار العرب والآسيويين بسكان البلاد ولم يكن نتيجة دعوة إليه منظمة أو نتيجة ترغيب وترهيب ، وظل فى انتشار دائم حتى القرن التاسع عشر وما أسفر عنه من تقسيم الدول الاستعمارية لأفريقيا ، فبدأ الاستعمار يحارب الإسلام والثقافة الإسلامية لتثبيت أركانه ، والتمكين للتبشير المسيحى .

كل هذه الأمكانيات الطبيعية التى حبا الله بها الإسلام وأصحاب دعوته فى أفريقيا لجديرة بالمحافظة عليها وتعزيزها واستغلالها لصالح الدعوة إليه ، ويجدر بنا أن نضيف إلى العوامل السابقة بعض ما يمكن أن يقدمه المسلمون والهيئات الإسلامية فى هذا المضمار لخدمة الاسلام والدعوة إليه فى جنوب السودان ، وذلك بما يلى : —

(ا) تزويد السودان بعدد من المعدات لقرى السلام التى يقيمها الآن لاستقبال المهاجرين من الجنوب للدول الأفريقية المجاورة ، فإن من المعروف أن الاضطرابات التى قامت فى جنوب السودان كانت سياسية المظهر ولكنها دينية الجوهر .

(ب) الاهتمام بنشر التعليم العربى فى الجنوب والعمل على زيادة المدارس حتى يمكن ربط قبائل الجنوب بلغة مشتركة تذيب آثار

(البقية على ص ١٤٣)

علماء ... وأولياء :

السيد أحمد الدردير

للأستاذ احمد حنفي أصار

[تقدم المجلة تحت هذا العنوان نماذج لعلماء الذين جمعوا إلى العلم التصوف وأثروا في الأمة تأثيراً علمياً وروحياً كان بعيد المدى عظيم النفع] .

في بني عدي : إحدى بلاد مركز منفلوط بمحافظة أسيوط ، وفي سنة ١١٢٧ هـ ، ولد العارف بالله ، علامة الزمان ، والحامل في وقته لواء العرفان ، شمس الشريعة ، وشيخ الطريقة : أحمد الدردير بن محمد بن أحمد بن أبي حامد ، العدوي ، المالكي ، الأزهري ، الخلوتي .

وقد عرف عن نفسه ، في مقدمة أحد كتبه : « الشرح الصغير » فذكر أن الدردير لقبه الذي اشتهر به بين الناس ، كأبيه وجده ، وأن والده كان رجلا صالحا عالما ، متقنا القرآن ، فقد بصره في آخر عمره ، فاشتغل بتعليم كتاب الله تعالى ، فحفظ القرآن على يده خلق كثير . وكان يعلم الفقراء حسبة لله تعالى لا يأخذ منهم شيئا ، بل كان يمدهم بالمعونة من عنده ، وكان كثير السكوت ، لا يتكلم إلا نادرا ، وورده في غالب أوقاته صلاة سيدي عبد السلام بن مشيش : أستاذ سيدي أبي الحسن الشاذلي ، رضي الله عنهما ، وشوهدت له كرامات ، وكان يبشره في صغره ، بأنه سوف يكون عالما ، ومات رحمه الله شهيداً بالطاعون سنة ١١٣٨ هـ .

ولقد ورث الشيخ الدردير من أبيه حب القرآن والعلم ، وجرت في دمه الحرارة الدافعة إلى كثرة ذكر الله . وكان لهذا الإرث الروحي أثره الواضح في منهجه ، وسلوكه ، وفي توجيه همته إلى ما بلغ ، من المعرفة والصلاح ، حتى صار له المقام الملحوظ ، الذي تميز به من أقرانه ، عند أهل عصره ،

حفظ القرآن وجوده ، وحبب إليه طلب العلم ، فجاء إلى الأزهر ، وحضر دروس أكابر العلماء ، فسمع من الشيوخ : محمد الدفري ، وأحمد الصباغ ، والملوي ، والجوهري ، ومن الشيخ شمس الدين محمد الحفني ، الذي تولى مشيخة الأزهر من سنة ١١٧١ هـ إلى وفاته في سنة ١١٨١ هـ . وتفقه على العالم العلامة ، أوحد وقته ، وشيخ

شيوخ الإسلام : الشيخ على الصعيدى ، ولازمه فى جل دروسه . وعلى الشيخين : الحفنى والصعيدى كان جل اعتماده وانتسابه ، حتى أنجب ، وتفوق فيهما وعلما ، وأبدع نثرا ونظما ، ودرس فأفاد ، وألف فأجاد ، وتتلمذ عليه زملاؤه لفضله وتقواه ، وأربى فى حياة شيوخه الجهابذة الأعلام .

ولما توفى الشيخ على الصعيدى فى سنة ١١٨٩ هـ خلفه فى مكانته ، وتقلد كل وظائفه فعين شيخاً على المالكية ، ومفتيا ، وناظراً على وقف الصعايدة ، وشيخاً على طائفة الرواق ، بل شيخا على أهل مصر بأسرها فى وقته ، حسا ومعنى ، فإنه كان يتصدر للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويصدع بالحق ، ويجاهد فى سبيله ، ولا يأخذه فى الله لومة لائم ، كما كان له فى كل مجالات الخير يد بيضاء .

ثم جذبته العناية الإلهية إلى طريق الخلوتية التى كانت لاستقامتها على الكتاب والسنة ، وسلامتها مما يعيب ، سبيل كثير من أفاضل العلماء إلى الله ، فتلقن الذكر من شيخه فى الطريق ، أبى الأنوار الشيخ الحفنى شيخ الأزهر ، إمام العارفين ، وقدوة المريدين ، ومربى السالكين ، فسار فى الطريق أحسن سير ، وسلك أقوم سلوك ، وجاهد فى الله بجد وإخلاص ، حتى ظهرت فى أفق الوجود شمسه ، وصار خليفة شيخه ، يأخذ العهود ، ويلقن المريدين ، وقد منحه الله من خزائن فضله ، وأفاض عليه من أنوار قدسه ، ونفع به فى العلم والعمل ، فانتشرت الطريقة ببركته فى سائر البلاد ، وكان وجوده فى الناس رحمة ، وبقيت آثاره من بعده نعمة وبركة ، وتناقل الناس من كراماته الكثير .

قال الجبرتى المؤرخ الكبير ، وكان من معاصريه : « إنه عاش فى كمال الصيانة ، والزهد ، والعفة ، والديانة ، وكان سليم الباطن ، مهذب النفس ، كريم الأخلاق » ثم أورد هذه القصة ، التى تدل بوضوح ، على ما كان عليه الشيخ الدردير ، من علو الهمة ، وكمال المروءة وطهارة النفس ، فقال كان لسلطان المغرب صلات يرسلها لعلماء الأزهر ، فى بعض السنين ، فأرسل على عادته فى سنة ١١٨٩ هـ مبلغا ، للشيخ منه قدر معين ، وكان السلطان وله تخلف بعد الحج ، وأقام بمصر مدة ، حتى نفد ما عنده من النفقة ، فلما وصلت تلك الصلة ، أراد ابن السلطان أخذها ممن كانت فى يده ، فامتنع عليه ، وشاع خبر ذلك فى الناس ، وذهبوا إلى الشيخ بحصته ، فسأل عن قصة ابن السلطان فأخبروه عنها وعن قصده ، وأنه لم يتمكن من ذلك ، فقال : « والله هذا لا يجوز ،

وكيف نتفكه في مال الرجل ونحن أجانب وولده يتلظى من العدم ، هو أولى منى وأحق أعطوه قسمى . ولما رجع الرسول إلى السلطان أخبره بما فعل الشيخ الدردير ، فشكره على فعله ، وأثنى عليه ، واعتقد صلاحه . وأرسل له في العام التالي عشرة أمثال الصلة المتقدمة ، مجازاة للحسنة ، فقبلها الشيخ ، وحج منها . ولما رجع من الحج ، بنى بما بقي مسجده ، الذي أنشأه في القاهرة بجهة الغورية ، في شارع الكعكيين ، بجوار المسجد الذي فيه ضريح سيدى يحيى بن عقب رحمه الله .

ولم يصرف الدردير ، رضى الله عنه ، عن التأليف ، ثقل أعبائه ، وتشعب أعماله : في الدرس ، والفتيا ، وشئون الطريق ، وغيرها فقد ترك لنا مؤلفات متنوعة : في اللغة ، والفقه ، والتوحيد ، وآداب التصوف ، وأوراد الطريق ، كان لها النفع المتصل المبارك ، لأهل العلم ورجال التصوف على السواء ، فمن هذه المؤلفات :

١ — رسالة في علم البيان .

٢ — رسالة في الاستعارات الثلاث .

٣ — شرح على آداب البحث .

٤ — نظم الخريدة السنية في التوحيد وشرحها .

٥ — شرح مختصر خليل بن اسحق .

٦ — متن في فقه المالكية أسماه : أقرب المسالك لمذهب مالك .

٧ — الشرح الصغير للمتن المذكور .

٨ — رسالة في متشابه القرآن .

٩ — رسالة في المولد النبوى الشريف .

١٠ — تحفة الإخوان في آدب أهل العرفان في التصوف

١١ — رسالة في صلوات شريفة أسماها : «المورد البارق في الصلاة على أفضل الخلائق» جمع فيها مادة الكمالات الباطنة والظاهرة ، وجعلها قسمين : الأول : يشمل مختاراته من صلوات أكابر الصوفية : حجة الإسلام الإمام الغزالى ، والسادة : أحمد البدوى ، وعبد السلام بن مشيش ، وإبراهيم الدسوقى ومحمد البكرى ، وأبى الحسن الشاذلى ، وغيرهم ، رضى الله عنهم ، والثانى من وضعه على ترتيب حروف المعجم ، على مذهب المغاربة . وقد قام بشرح هذه الصلوات بقسميها ، العارف بالله : الشيخ أحمد محمد الصاوى ، أحد خلفائه ، كما شرحها كذلك الشيخ أحمد بن أحمد الشهير بعفرق الجنيدى الميمونى الشافعى الخلوتى ، وهو من أتباع سيدى عبد العليم السنهورى ، تلميذ الدردير .

١٢ — التوجه الأسنى بنظم الأسماء الحسنى الذى اشتهر بمنظومة الدردير . وقد قام بشرحها العلامة الصاوى . وهى آخر العلوم الإلهية ، التى ظهرت على لسانه ، وقد ألقيت عليه - كما أخبر - فى ليلة واحدة ، فقام من فراشه وكتبها . وقد بدأها بقوله :

تباركت يا الله ربى لك الثنا
حمدا لمولانا وشكرا لربنا
بأسمائك الحسنى وأسرارها التى
أقمت بها الأكوان من حضرة الغنى
فندعوك يا الله يا مبدع الورى
يقينا يقينا الهم والكرب والعنا
ويارب يا رحمن هبنا معارفا
ولطفا وإحسانا ونورا يعمنا

وهذه الصلوات والمنظومة محتسبة من أوراد الطريق الملتزمة ، التى تتلى يوميا ، فى مجالس الذكر ، الفردية والجماعية ، فى المساجد والبيوت .

وبذلك يكون أبو البركات قد ترك من العلم الذى يتمتع به ، فى العلوم العربية ، والشرعية والمعـــارف الصوفية النقية ، ما تزداد به حسناته فى كتاب أعماله ، بصفة دائمة ، إلى يوم الحساب ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وقد ورثنا هذا مؤلفاته المتنوعة ، مكتبته الخاصة ، العامرة بالمطبوعات والمخطوطات . من أمهات الكتب . وهى لا تزال — مع الأسف — محبوسة فى مسجده .

وقد ربى مجموعة كبيرة من خلفائه ، الذين قاموا من بعده على رعاية الطريق ، فى طول البلاد وعرضها ، فأحسنوا القيام ، ونفعوا المريدين ، وكثروا جماعة السالكين . وملأوا الدنيا علما ، وصلاحا ، وبركة .

ومن هؤلاء الأكابر : الشيخ أحمد الصاوى والشيخ صالح السباعى ، والشيخ أحمد ابن أحمد السكرى الطهطاوى ، والشيخ عبد العليم الصهبورى .

وفى عهد الشيخ الدردير ، أواخر حكم العثمانيين لمصر ، وقبيل الحملة الفرنسية ، كانت منزلة علماء الأزهر قد عظمت ، وصاروا أهم عنصر يمثل البلاد ، ويتكلم باسمها ، ويذود عن حقوق أهلها . وكانت السلطة الفعلية فى الإدارة المحلية للأمراء المماليك ، حتى صار مقام الوالى التركى فى مصر تحت رحمتهم ، يقضى أيامه شبه سجين فى القلعة ، لا يملك من الأمر شيئا ، فكان أولئك المماليك مطلق اليد ، لا رادع لهم ، ولا رقيب عليهم ، يتحكمون فى الشعب ويعاملونه بقسوة وطغيان ، ويعيثون فى الأرض مفسدين :

يقتحمون الدور ، وينهبون ما فيها من أموال وأثاث ، وحلى ، ويزجون من يقف فى طريق أهوائهم ، على أية صورة ، فى غياهب السجون .

وأصبح الشيخ الدردير بحكم وضعه ، بعد وفاة شيخيه الحفنى ثم الصعيدى ، الملجأ الذى يهرع الناس إليه ، كلما وقعت عليهم مظالم المماليك ، ورأى نفسه مسئولا عن مصالح الشعب ، وصيانة حقوقه ، فكان يشتد على الحكام وأتباعهم ، ويواجههم بقوة ، ويكتب إليهم أحيانا يطالبهم بعدم التعرض لأهل العلم ، والخضوع لأمر الشرع . وكان إذا لزم الأمر ، يتصدر بنفسه لدفع الظلم ، ويوجه الثائرين بصراحة ، إلى استعمال القوة لاسترداد الحقوق من الغاصبين ، بمثل قوله : « أنا معكم ، وننهب بيوتهم ، كما ينهبون بيوتنا ، ونموت شهداء ، أو ينصرنا الله عليهم » . وكان الحكام الجبابرة ، إذا ما بلغهم موقف الشيخ فزعوا ، وخافوا ثورة الشعب لما كان له فى النفوس من مكانة ، وكلمة مسموعة ، واضطروا فى أكثر الأحايين ، إلى رد المظالم خاضعين معتذرين .

ولقد شهد التاريخ بأن الشيخ الدردير ، شيخ المالكية ، وإمام الصوفية ، قد أدى رسالته فى الحياة عالما عاملا بحق ، وعابدا مخلصا بصدق ، وقدوة حسنة فى التواضع ، والأدب العالى ، ونظافة السلوك ، وقائدا جريئا ، نصح لقومه ، وكان على قدم الاستعداد للبذل والتضحية ، فى أوقات حرجة ، وظروف مضطربة ، بقوة وشجاعة وإيمان .

ولما دنا وقت رحيله عن الدنيا ، تعلل أياما ، ولزم الفراش مدة ، حتى وافاه الأجل فى السادس من شهر ربيع الأول من سنة ١٢٠١ هـ ، وصلى عليه بالأزهر الشريف بمشهد عظيم حافل ، ودفن بمسجده الذى أنشأه . وقد قيل فى تأريخه :

ضريح أمامنا الدردير أضحى
تلوح بشائر البركات عنه
وكيف وحين وفاه تبدى
له التاريخ رضى الله عنه

١٢٠١ هـ ١٠١٠ ٦٦ ١٢٥

ومن وقت وفاته إلى اليوم ، والناس ـ عرفانا لفضله ـ يحتفلون بذكراه الطيبة ، يوم الإثنين الأخير ، من شهر ربيع الثانى ، من كل عام .

رضى الله عنه وأرضاه ، ورفع درجته فى عليين ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ؟

أحمد منفى نصار القوصى

الجامع الأنور

للأستاذ ابراهيم محمد الفحام

من أشهر مساجد الإسكندرية ، ذلك المسجد الذى أنشأه الشيخ إبراهيم بن عبدالله باشا المالكى الإسكندرى ، وافتتحه للصلاة والدراسة ، فى أوائل شهر المحرم سنة ١٢٤٠هـ (أى أواخر شهر أغسطس سنة ١٨٢٤ م) وأطلق عليه (الجامع الأنور) ثم اشتهر بعد ذلك باسم (جامع الشيخ) .

وكان اسم (الجامع الأنور) قد أطلق من قبل على المسجد الذى بدأ إقامته بالقاهرة الخليفة الفاطمى العزيز بالله فى سنة ٣٨٠هـ . وأتمه الحاكم بأمر الله فى سنة ٤٠٣هـ .

وكان الشيخ إبراهيم باشا يلقى بعض الدروس فى مسجد الشوربجى ، الذى أنشأه عبد الباقى ابن على جوربجى فى سنة ١١٧١هـ (١٧٥٨م) فى الحى نفسه ، ثم حدث بينه و بين القائمين عليه شىء أثار غضبه ، فأخذ فى بناء مسجده هذا ، على هيئة مسجد الشوربجى ، ولكن على مساحة أكبر .

وقد حدثت للشيخ إبراهيم باشا - عندما كان يلقى دروسه فى مسجد الشوربجى - واقعة ذكرها الجبرتى ضمن حوادث شهر المحرم سنة ١٢٣٦ (بين ٩ أكتوبر و ٦ نوفبر سنة ١٨٢٠) وذلك أنه قرر فى درس الفقه « أن ذبيحة أهل الكتاب فى حكم الميتة ، لا يجوز أكلها ، وأن ما ورد من إطلاق الآية (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) ، فإنه قبل أن يغيروا ويبدلوا فى كتبهم » .

فلما سمع فقهاء الثغر ذلك أنكروه وعارضوه فقال لهم « أنا لم أذكر ذلك بفهمى وعلمى ، وإنما تلقيت ذلك عن الشيخ على الميلى المغربى وهو رجل عالم متورع موثوق بعلمه » ثم أرسل كتاباً إلى شيخه هذا بالقاهرة ، فبعث إليه رسالة مطولة عن ذلك الموضوع ، فى نحو ثلاث عشرة كراسة . فلما قرأها الشيخ إبراهيم باشا على أهل الثغر ، كثر اللغط والإنكار .

ولما بلغ الأمر محمد على باشا أمر كتخدا بك - أى وكيله - وكان فى الوقت نفسه بمثابة محافظ العاصمة ، أن يجمع المشايخ لتحقيق المسألة ، فقال الشيخ محمد أحمد العروسى - شيخ الأزهر فى ذلك الوقت - « إن الشيخ على الميلى رجل من العلماء ، تلقى عن مشايخنا ومشايخهم ، لا ينكر علمه وفضله ، وهو متنزل عن خلطة الناس ، إلا أنه حاد المزاج ، وبعقله بعض خلل ،

والأولى أن نجتمع به ونتذاكر فى غير مجلسكم وننهى بعد ذلك الأمر إليكم » .

فاجتمع العلماء فى اليوم التالى ، ودعوا الشيخ على الميلى لمناظرتهم ، فأرسل مع اثنين من الطلاب المغاربة يخبرهم بأنه لا يقبل مناقشة الموضوع إلا فى مجلس خاص، يتناظر فيه مع الشيخ محمد الأمير ، بحضور الشيخ حسن القويسنى، والشيخ حسن العطار فقط، فتشاتم بعض الحاضرين مع هذين الطالبين، فحبسهما الآغا (وكان بمثابة مدير الأمن) فى بيته ، وتوجه إلى بيت الشيخ على الميلى لإحضاره للمجلس ولو قهراً ، فلم يجده به ، فأخرج زوجته ومن معها منه ، وقام بإغلاقه وتسميره ، ثم حرر أعضاء المجلس محضراً بذلك ، أثبتوا فيه امتناع الشيخ على الميلى عن الحضور لمناظرة العلماء وهروبه ، وأن هذا يؤكد أنه على غير الحق ، وأرسلوا المحضر إلى الباشا ، فأمر بنفى الشيخ إبراهيم باشا إلى بنى غازى .

ولا نعلم ما إذا كان الشيخ إبراهيم باشا قد نفـــذ الحكم بنفيه ، ولا تاريخ عودته إلى الإسكندرية إذا كان قد نفذ فيه ذلك الحكم .

وكان الشيخ إبراهيم باشا قد قدم الإسكندرية فى أوائل القرن الماضى ، وأقام بها ، واشتغل بالتجارة ، فجنى منها ثروة ضخمة ، خصص شطراً كبيراً منها للإنفاق على التعليم . أما موطنه الأصلى فلا يعرف على وجه التحديد، وإنما يقال إنه قدم من إحدى بلاد المغرب، وأن لقبه الذى عرف به وهو (باشا) أو (باشه) أو (الباشا) لم يكن رتبة رسمية ، وإنما كان لقبا عائليا متوارثا ، وهو يطلق فى المغرب على حاكم المدينة .

ومن أهم ما حققه جامع الشيخ فى الإسكندرية تهيئة مجال الدراسة المنتظمة لسكان المدينة ، والمناطق المحيطة بها ، على نحو أعاد إلى الأذهان ذكرى المدارس الكبرى التى ازدهرت فى المدينة من قبل ، وخاصة بين القرنين السادس والثامن الهجريين ، مثل (المدرسة السلفية) التى أنشأها أبو طاهر السلفى و (المدرسة العوفية) التى أبو الطاهر بن عوف و(المدرسة الأبيارية) أنشأها التى أنشأها أبو الحسن الأبيارى .

وكان النشاط العلمى والأدبى قد بلغ ذروته فى تلك المدينة فى القرن الثامن ، لكثرة من نزح إليها من علماء المغرب والأندلس . وقد ذكر ابن حجر العسقلانى فى كتابه (الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة) تراجم ما يزيد عن الثمانين من العلماء ، الذين نبغوا فيها فى ذلك القرن .

ولم تلبث أن فترت الحركة العلمية والأدبية فى المدينة ، عندما غادرها كثير من العلماء ، بعد تعرضها لغزوات القراصنة . ولم تبق بها

- مع الزمن - إلا بعض الحلقات المتواضعة ، التى لا تدوم إلا أشهراً قليلة فى السنة .

ومن العلماء الذين كانوا يعقدون تلك الحلقات الشيخ إبراهيم بن مصطفى بن أحمد الزبيرى المالكى المعروف بالصباغ ، الذى كان قد نزح إلى القاهرة . إلا أنه ظل يتردد على الإسكندرية ، ويقيم بها ثلاثة أشهر - منها شهر رمضان - يلقى خلالها بعض الدروس ، ثم يعود إلى القاهرة . وقد وردت ترجمته فى الجزء الأول من تاريخ الجبرتى ضمن المتوفين فى سنة ١١٦٢ ﻫ .

وقد وصف «على مبارك» حال المدينة قبل إنشاء الجامع الأنور فقال إنها «كانت تجردت عن محاسنها ، وعريت عن العلم وأهله ، فكان لا يرى إلا بعض وعاظ فى شهر رمضان والشهرين قبله ، إلى أن بنى الشيخ إبراهيم باشا جامعه فى سنة ١٢٤٠ ﻫ . فأخذ العلم فى الظهور والانتشار» .

وبلغ من انتظام الدراسة بذلك الجامع ، وكثرة المستفيدين منها أن وصفه صاحب الخطط بقوله «وبه دروس العلم لا تنقطع ، فهو فى الاسكندرية كالأزهر فى مصر» .

وبفضل علماء الجامع الأنور وخريجيه امتد النشاط العلمى إلى بعض المساجد الأخرى بالمدينة ، مثل مسجد أبى العباس المرسى ، ومسجد البوصيرى ، حتى صارت العلوم تدرس فيها طوال السنة .

وكان للموقع الذى أقيم فيه ذلك المسجد أهمية خاصة . فقد كان واقعا فى قلب الحى التجارى للمدينة ، وقرب محط القوافل التى كانت تمدها بأنواع السلع الآتية من داخل البلاد ، ومن الصحراء الغربية . ولذلك كان ذلك المسجد أول مقصد التجار والعلماء القادمين إلى المدينة . ويقال : إنه كان أول مسجد قصده الشيخ عبد القادر بن عبد السلام بن عبد الوهاب محيى الطريقة الشاذلية فى المدينة ، عندما قدم إليها فى سنة ١٢٦٣ ﻫ (سنة ١٨٤٧م) واتخذه مقرا له . وكان قد سبقه إليه أحد مريديه وهو الشيخ صالح الشريف ، وبشر المصلين بقرب قدومه .

وظل الشيخ عبد القادر يقيم مجالس الذكر فى ذلك المسجد ، حتى ازدحم بأتباعه ، وخشى عليه الشيخ سليمان بن إبراهيم باشا من التصدع ، فطلب منه أن يختار مكانا آخر . فتحول عنه إلى جامع القباحى ، ثم إلى بعض الزوايا الأخرى بالمدينة .

وكان الشيخ محمد الحبشى - خليفة الشيخ عبد القادر - يحضر بعض الدروس فى ذلك الجامع ، قبل قدوم شيخه ، وفيه التقى به أول مرة . كما تلقى الشيخ يوسف على خليفة الشيخ الحبشى بعض علومه فى ذلك الجامع أيضا .

يتبع

إبراهيم محمد الفحام

المصطلحات العسكرية في كتاب "المخصص" واستعمالها في الجيش العراقي الحديث

للواء الركن محمود شيت خطاب

مستهل :

١ – المخصص كتاب من كتب اللغة العربية المعتمدة ، يمكن الإفادة منه في استخراج مصطلحات أصيلة لمختلف الآداب والعلوم والفنون (١) .

ألفه الحافظ أبو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيدة المرسي (٢) ، كان إماماً في اللغة والعربية ، حافظاً لهما ، وقد جمع في ذلك جموعاً ، من ذلك كتاب (المحكم) في اللغة ، وهو كتاب كبير جامع مشتمل على أنواع اللغة . وله كتاب (المخصص) في اللغة أيضاً ، وكتاب (الأنيق) في شرح الحماسة في ستة مجلدات وغير ذلك من المصنفات الجامعة (٣) .

(١) تجد أغراض الكتاب مفصلة في مقدمة الكتاب (١/٢–٢٥) .

(٢) نسبة إلى مرسية ، وهي مدينة في شرق الأندلس . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/١٥) .

(٣) وفيات الأعيان (٣/ ١٧) .

وقد ألف (المخصص) قبل المحكم (١) .

وكان ابن سيدة ضريراً وأبوه ضريراً أيضاً ، وكان أبوه قيماً بعلم اللغة وعليه اشتغل ولده في أول أمره ، ثم على أبي العلاء صاعد البغدادي (٢) وغيره . وتوفي في (دانية) (٣) عشية يوم الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وأربعمائة (٤) ، وعمره ستون سنة أو نحوها (٥) .

٢ – ولست بصدد وصف كتاب (المخصص) لأن الكتاب مشهور ، ولا بصدد تفصيل سيرة مؤلفه لأنه معروف ، كما أن وصف الكتاب ومؤلفه ليس من أهداف في هذا البحث .

(١) كشف الظنون (٢/١٦٣٩) .

(٢) انظر سيرته في وفيات الأعيان (٢/١٨١–١٨٢) .

(٣) دانية : مدينة في شرق الأندلس .

(٤) سنة ١٠٦٥ ميلادية .

(٥) أنظر التفاصيل في وفيات الأعيان (٣/١٧ – ١٨) .

وبالإمكان تلخيص أهداف بما يلي :

(١) ذكر المصطلحات العسكرية الواردة في (المخصص) والإشارة إلى ما يستعمل منها في الجيش العراقي .

أما المصطلحات العسكرية الواردة في (المخصص) والتي لم تستعمل في الجيش العراقي حتى اليوم ، فيمكن أن توضع تحت أنظار المعنيين بهذا الحقل لاستعمالها في المستقبل .

وما يقال عن الجيش العراقي ، يقال عن الجيوش العربية من المحيط إلى الخليج ، إذ لا يصح أن تستعمل الجيوش العربية مصطلحات عسكرية متناقضة كل التناقض ، وهي جيوش يجمعها التراث المشترك والمصير الواحد ولغة القرآن الكريم .

(ب) إن اللغة العربية غنية بالمصطلحات العلمية والأدبية والفنية ، وما جاء منها في (المخصص) خير دليل على ذلك .

وقد كانت الفكرة السائدة في الجيش العراقي مثلا قبل أربعين عاما ، أن اللغة العربية عاجزة عن تحمل أعباء المصطلحات العسكرية الحديثة فلا بد من الاستعانة بالمصطلحات العسكرية الأجنبية في التدريب والتعليم والتسليح والتجهيز والقضايا التعبوية والسوقية والأمور الإدارية .

ولكن الواقع أثبت بأن اللغة العربية قادرة على استيعاب المصطلحات العسكرية الأجنبية استيعابا كاملا ، فأصبح للجيش العراقي معجم عسكري يحمل بين دفتيه مختلف المصطلحات العسكرية العربية الأصيلة .

وما يقال عن المصطلحات العسكرية العربية يقال عن المصطلحات العلمية الأخرى وعن المصطلحات الأدبية والفنية ، فليس للعلماء والأدباء ورجال الفن أن يدعوا بأن اللغة العربية عاجزة عن استيعاب مصطلحاتهم الأجنبية وقبل أن يبحثوا في كتب اللغة ومنها (المخصص) .

ولعل هذا البحث يؤدي إلى استثارة هم العلماء والأدباء ورجال الفن واقتفاء آثار العسكريين ، في الاستعانة بمصادر اللغة العربية المعتمدة لاستخراج المصطلحات العربية واستعمالها في مؤلفاتهم وفي المدارس والجامعات أسوة بما فعله العسكريون ، فذلك وحده يؤدي إلى التخلص من آثار الاستعمار الفكري البغيض .

٢ — ومنهاجي في هذا البحث يتلخص فيما يلي :

(أ) إغفال ما جاء في (المخصص) من تكرار ، لأن المستحسن في المصطلحات العسكرية أن يكون لكل مصطلح اسم واحد إذ من المعروف أن اللغة العسكرية هي لغة علمية من سماتها البساطة والوضوح وعدم التكرار .

كما أن من المستحسن فى هذه المصطلحات استعمال الكلمات العربية السهلة البسيطة وعدم استعمال الكلمات الصعبة الحوشية ، لذلك آثرت إغفال المصطلحات الصعبة الحوشية التى لم تستعمل فى المصطلحات العسكرية حتى الآن ولا يحتمل استعمالها فى المستقبل ما دام هناك مصطلح عسكرى سهل بسيط يجزى عنها وهو شائع الاستعمال .

(ب) نقلت المصطلح العسكرى كما جاء فى المخصص فى المادة (١) وأردفت استعمالها فى الجيش العراقى فى الوقت الحاضر فى المادة (٢) والإشارة إلى الاستعمال (المقترح) للمصطلحات العسكرية التى يمكن استعمالها فى المستقبل على هدى ما جاء فى استعمالها فى (المخصص) .

والله أسأل أن ينفع بهذا البحث ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم .

محمود شيت خطاب

(بقية المنشور على ص ١٣٢)

الانفصال ، وينفتح من خلالها الجنوب على العالم .

(جـ) ربط جنوب السودان مع الشمال بشبكة من المواصلات تكون عاملا على زيادة الاختلاط وحلقة اتصال بينهما فى مجال الاقتصاد ، إذ أن ربط الجنوب بالشمال اقتصاديا سينشط التجارة التى كانت من أبرز الوسائل فى نشر الإسلام .

(د) نشر الوعى الإسلامى ، والرد على المفتريات التى يشيعها المناهضون للإسلام فى دراسات مبسطة تناسب المستوى الفطرى لسكان الجنوب ، وإذاعتها بكل وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة .

فى ضوء هذا العرض الموجز للظروف التى يعيشها جنوب السودان والإمكانيات التى يحملها الإسلام بطبيعته ، يمكن القول بأن المستقبل الحضارى لجنوب السودان والاستقرار السياسى للسودان كله شماله وجنوبه يتوقف على ما يبذل من جهد لنشر تعاليم الإسلام فى جنوب السودان . ؟

عبد الستار البدرى

ما يقال عن الإسلام

فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية

للدكتور احمد فؤاد الاهواني

ليس هذا العنوان من وضعنا ، ولا كذلك من وضع المستشرقين اللذين ألفا هذا الكتاب باللغة الفرنسية ، وهما « جارديه » و « الأب قنواتي » . ولذلك يحسن أن نثبت العنوان الأصلي وهو :

Intreduction à La Théelogie Musulmane.

والترجمة الدقيقة له هي : مدخل « إلى علم الكلام الإسلامي » . صدر في باريس سنة ١٩٤٨ في ٥٤٣ صفحة من القطع الكبير. ذلك أن الفكر الديني شيء ، وعلم الكلام شيء آخر ، واللاهوت شيء ثالث .

ثم ترجم الكتاب في بيروت منذ فترة وجيزة في جزأين ، الأول ٣٨٠ ص ، والثاني ٤٤٨ ص . نقله مترجمان - كما ألفه مؤلفان - هما « الشيخ الدكتور صبحي الصالح » والأب فريد جبر .

وأود أن أحدثك عن اثنين من الأربعة ، الأب قنواتي ، فهو مصري من الإسكندرية ، يتكلم العربية ويحسنها ، يعيش في دير الآباء الدومنيكان ، اشتركنا معاً في عدة أعمال فلسفية مثل نشر كتاب الشفاء لابن سينا ، وترجمة كتاب النفس لأرسطو ، وغير ذلك من البحوث .

أما « الشيخ » الدكتور صبحي الصالح ، فقد عرفته ، من كتبه عن القرآن ، والحديث والفقه ، وهي مؤلفات جيدة مطبوعة في لبنان . تعلم بالأزهر . ولذلك حرص على أن يذكر في غلاف الكتاب « الشيخ » ، لأنه شيخ أزهري ، سني ، لبناني . وله تعليقات أثبتها في الهوامش عند ترجمة الكتاب . وبذلك أغنانا عن التقدم بنقد الكتاب في جزئياته ، وهي تعليقات نفيسة .

والبحث في أساسه محاولة لدراسة مقارنة بين علم الكلام عند المسلمين ، وبين علم اللاهوت عند المسيحيين ، في العصر الوسيط . وبهذا الاعتبار يصبح من المفهوم إدراج فصول طويلة عن فرق النصارى من أصحاب الطبيعة الواحدة والقائلين بطبيعتين وفصول عن آباء الكنيسة في أوربا . وكنا نود في مجال هذه الدراسة المقارنة ألا يقف المؤلفان عند

اللاهوت المسيحي في العصر الوسيط ، مادام البحث قد تناول تطور الفكر الكلامي عند المسلمين حتى بلغ الأعناق وعمد عبده . فأين البحث المقارن بين محمد عبده وبين غيره من المفكرين المسيحيين ، عن تأثر بهم الأستاذ الإمام وبخاصة عند ذهابه إلى الغرب وتأثره بآراء سبنسر في أن الله تعالى من قبيل الغيب Unknowable ولذلك لا يستطيع العقل البشرى أن يعرفه ، واعتماد الشيخ محمد عبده على الفطرة السليمة في معرفة الخير والشر ، مما نجده مبسوطا في رسالة التوحيد .

غير أن المشكلة الحقيقية الجديرة بالنظر هي تلك التي طرحها المؤلفان وقررا بشأنها أن علم الكلام الإسلامي متأثر بالجدل المسيحي . فإلى أي حد تصدق هذه القضية ؟

لقد قيل إن علم النحو متأثر بالنحو اليوناني ، على الرغم مما بين اللغتين العربية واليونانية من اختلاف في طبيعة التركيب .

وقيل : إن التصوف الإسلامي متأثر بالتصوف الهندى والفارسي واليوناني ، حتى ذهب بعضهم إلى أن لفظة تصوف مشتقة من « صوفيا » أي الحكمة باليونانية .

أما الفلسفة فكان العرب خلوا منها ، ولما ظهرت الحضارة الإسلامية ترجمت إلى العربية كتب الفلسفة في عصر الترجمة .

وقد بين أستاذنا المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق في كتابه « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » أن العلم الإسلامي المحض ، والذي لم يتأثر بالفلسفة اليونانية ، وفيه فكر خلق ، فهو علم الفقه ممثلا في رسالة الشافعي .

ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة ، وهو الأصل ، أو على الأقل أحد الأصول الذى تفرع عنه علم الكلام ، كان إسلاميا خالصاً لم يتأثر بالفلسفة اليونانية ولا بالجدل المسيحي .

نحن لا ننكر تأثر علم الكلام بالفلسفة ، إلا أن هذا التأثر ظهر في عصور متأخرة وبعد عصر الترجمة ، أي ابتداء من القرن الثالث الهجرى ، وازداد هذا التأثر حتى انتهى الأمر بالهجوم على الفلسفة وإلصاق تهمة الكفر بها ، وحرم في القرن السابع تقريبا الاشتغال بالفلسفة ، فابتلعها علم الكلام في جوفه ، وسمى الكلام توحيداً ، كما سمى بعلم أصول الدين ، وأصول العقائد ، ويكفى أن تقرأ كتاب « المواقف » للإيجي مثلا ليتبين لك أنه كتاب في صميم الفلسفة بشتى فروعها من منطق ، وطبيعيات ،

والصفات ، إلى جانب المباحث الكلامية أما من حيث نشأة علم الكلام فالمسألة فيها نظر .

فيها نظر لأن أكبر مهمتين لهذا العلم هما العدل والتوحيد ، أي البحث في حرية الإنسان ومسئوليته عن أعماله وفي الله وصفاته . وكلا الأمرين موجود في القرآن ، مفصل في آيات الكتاب الكريم ومبين في السنة .

فهناك أدلة قرآنية على وجود الله ، ووحدانيته ، وقد رجع ابن رشد الفيلسوف إلى هذه الأدلة القرآنية ، وأشهرها دليل العناية ودليل الاختراع ، واستشهد بالآيات المذكورة على ذلك ، مؤثراً إياها على أدلة المتكلمين من معتزلة وأشاعرة ، يريد بذلك دليل الحدوث ، وإثبات وجود الله من وجود العالم وحدوثه ، وأن هذا العالم الحادث لا بد له من محدث وهو الله وكذلك القول في قدرة الإنسان بإزاء القدرة الإلهية ، فإن المسلمين في عصر الرسول كانوا يتصرفون بحرية ، ولا يهربون من المسئولية ، ويعلمون أنهم قادرون ومسئولون تبعاً لذلك . أما صلة هذه الحرية بالقدرة الإلهية فلم يخوضوا في أمرها ، وقد سئل النبي عليه السلام عن قوله تعالى : « إنا كل شيء خلقناه بقدر » ، ففيم العمل ؟ فقال الرسول : (اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له) .

فالحوار ، بل الجدل ، حول الله وصفاته وعدله مصور أوسع تصوير في القرآن نفسه مما يدل على أن الأمر لم يظهر فجأة بعد ظهور الإسلام نقلا عن فلسفة اليونان ، أو جدل المسيحيين ، بل كانت هذه الأفكار نفسها شائعة في الجزيرة العربية في القرن السادس بعد الميلاد عند ظهور الإسلام ، وقد انحرف بها أهلها ، ومالوا بها عن حقيقتها ، وظهرت فرق مختلفة متباينة من النصارى تتعارض عقائدها . فأنزل الله في شأنها القول الحق ، لأن الدين واحد وليست اليهودية والنصرانية والإسلام إلا أسماء لدين واحد منزل من عند الله ، والرسل المبلغون بالرسالة صادقون كلفوا بتبليغ الدين كل واحد منهم في زمانه ، وفي قومه ، أو ليبشر الناس كافة .

هذا المنهج الذي يرد الاختلاف في العقائد إلى الطبائع البشرية المتباينة ، وإلى عدم النفاذ إلى أعماق القرآن ، هو الذي انتهجه مؤرخو الفرق وأئمة الدين المسلمين ، من أمثال البغدادي في الفرق بين الفرق ، أو الشهرستاني في الملل والنحل ، وغيرهما . وهم جميعا يجمعون أن التفرق من طبيعة الإنسان ، وأن اختلاف الآراء بين تطرف واعتدال جزء من فطرته . لذلك أجمعت سائر المصادر الإسلامية على أن العرب في أواخر حياة النبي كانوا قد اعتنقوا الإسلام وحفظوا القرآن ، وعقلوا

بما جاء فيه ، ثم حدثت الفرقة بعد موته مباشرة ، ولكن الخلاف نشب على فروع لا تمس الأصول كالاختلاف فى دفنه ، وفى الميراث عنه . ولكن يبدو أن الاختلاف على الخلافة كان أول خلاف خطير ، وهو وإن كان سياسيا إلا أنه يدرج ، وبخاصة عند الشيعة فى جملة العقائد وأصول الدين ، ولذلك أفردت كتب الشيعة من جهة ، والكتب السنية المتوسعة التى ألفت فى القرن الرابع مثلا فصلا عن « الإمامة » من جهة أخرى . وهذه وجهة نظر جديرة بالاعتبار ، تلك التى تجعل محور المباحث الكلامية كلها باب الإمامة أو الخلافة ومنها تتفرع سائر المفاهيم العقائدية الأخرى ، أو بعبارة أخرى أن علم الكلام علم سياسى مغلف بحجج دينية لتأييد المذهب السياسى . وسواء أكان باب الخلافة فرعاً من أصول العقائد ، أم أصلا من أصول الدين ، فنحن لا نرى له أثراً فى كتاب المستشرقين : جارديه وقنواتى ، وكان ينبغى إفراد بضعة صفحات لهذا البحث الهام .

ويبدو أن تأليف الكتاب منذ عشرين عاما ، دون إعادة نظر فى طبعه أو عند ترجمته لإضافة ما ظهر حديثا فى هذا العلم ، مما يصحح كثيراً من معلوماتنا السابقة ، جعلهما يغفلان الشيء الكثير عن « المعتزلة » . والأب قنواتى خير من يؤول هذا الأمر فى موضع الاعتبار لأنه نشر الجزء السادس من كتاب القاضى عبد الجبار المعتزلى ، وهو الخاص بالإرادة . وهو يعلم أن هذه الموسوعة الاعتزالية التى تشمل عشرين جزءاً من الحجم الكبير ، تلقى أضواء ساطعة على فكر المعتزلة منذ نشأتهم حتى القرن الخامس الهجرى . وقد أفرد القاضى الجزء المتمم للعشرين وجعله فى « الإمامة » للرد على الشيعة القائلين بالنص والتعيين ، وقد نشر هذا الجزء « الشيخ » الدكتور عبد الحليم محمود .

إن المقدار المذكور عن المعتزلة لا يتناسب مع ضخامة الكتاب (من صفحة ٧٧ إلى ٨٨ فى الترجمة العربية) ولقد استدركت الترجمة فى الهامش ، فأثبتت الأجزاء التى نشرت من المغنى ، ولكنه ثبت غير كامل إذ أغفل منه الجزء العشرون عن الإمامة ، والرابع فى رؤية البارى ، والخامس فى الفرق غير الإسلامية ، والرابع عشر فى الأصلح ، كما أغفل كتاب آخر فى غاية الأهمية للقاضى وهو المحيط بالتكليف نشر منه الجزء الأول ويقع فى أربعة أجزاء جاهزة للطبع ، ومعنى ذلك أن الجزء الذى ترجم كان يحسن أن يضيف ما أغفله الأصل الفرنسى ، الذى اعتقد أنه إذا قـيض له إعادة طبعه ، أنه سيجعل العشر صفحات سبعين ، بل لعله يغير من وجهة نظره .

وإذا كان المقدار المذكور عن المعتزلة ضئيلا ، وعن مصادر ثانوية ، فإن المقدار المذكور عن الماتريدية يكاد يكون معدوما ، اللهم إلا ثلاث صفحات من الترجمة العربية ، والماتريدي يستحق بحثا أشمل وأعمق ، وبخاصة لأن المؤلفين مدركان أن العقائد النسفية ، التي كانت تدرس ولا تزال في الأزهر من تأليف ماتريدي وليس أشعريا . ولقد ألقيت أضواء جديدة على الماتريدية جديرة بالتسجيل والإضافة وإذا كان الماتريدي والأشعري ظهر كلاهما في وقت واحد تقريبا فقد ظهر كذلك ثالث في ذلك العصر ، وكان معاصراً لهما ، هو الطحاوي صاحب العقيدة الطحاوية ، وعليها شرح طويل طبع مؤخراً ، ولم يذكره المؤلفان إلا في هامش صغير في الفصل الثالث .

قلنا إن الروح السائدة في الكتاب هي الأثر المتبادل بين علم الكلام الإسلامي واللاهوت المسيحي ، ومن أجل ذلك أفردت فصول عن الفلسفة اليونانية والفرق المسيحية التي أثرت في الفكر الإسلامي في بدء ازدهاره ، كما كتب فصول عن ترجمة الفكر العربي إلى اللغة اللاتينية وتأثر المسيحين بها في عصر الترجمة التي صنعت في طليطلة وغيرها من المراكز الأوربية ، ولكن ما أثر ترجمة الفلسفة العربية وبخاصة ابن سينا وابن رشد والغزالي (في تهافت الفلاسفة) في اللاهوت المسيحي . هل ترجمت كتب في علم الكلام الإسلامي أو في الفقه الإسلامي ، وبوجه خاص فقه مالك الذي كان سائداً في المغرب ؟ لم يجب المؤلفان عن ذلك . ولذلك يصعب القول إن اللاهوت المسيحي تأثر بالكلام الإسلامي على وجه اليقين .

مهما يكن من شيء فالكتاب جدير بالتنويه لأنه جديد في مسلكه الذي يتبع مناهج الغربيين في التأليف ، ونحسب أنه أول محاولة من هذا القبيل في علم الكلام المقارن .

أحمد فؤاد الأهواني

من أضابير لجنة الفتوى

التلقيح الصناعى

بين ماء الرجل وبويضة المرأة

تردد فى بعض الصحف أن رجال العلم فى الغرب يحاولون علاج العقم فى الرجال والنساء بعملية تلقيح صناعى لإيجاد النسل العقيم .

وقد تلقت لجنة الفتوى بالأزهر أسئلة كثيرة عن حكم الإسلام فى هذا الصنيع فرجعت اللجنة إلى ما نشر بالصحف خاصا بهذا الشأن وتبين لها ما يأتى :

أولا : أن العلماء - هناك - سيحاولون علاج العقم من طريقين . فإذا كان فى الزوج نقلوا حيوانا منويا إلى زوجته من رجل غيره حتى يحصل لها الحمل ويتاح لها النسل .

ثانيا : وإذا كان العقم فى الزوجة جاءوا ببويضة من غيرها ، ولقحوها بحيوان منوى من الزوج ثم وضعوها فى المختبر على درجة معينة من الحرارة حتى تنمو البويضة ثم تنقل إلى رحم العقيم ويسير الجنين فى تطوره الطبيعى كحمل أصيل حتى يتم نموه ويوضع كما يوضع كل مولود .

هذا موجز ما كتبوه .

وتأكيدا منهم لهذا النبأ نشروا فى الصحف صورة لمعزة كبيرة وقالوا إنها نتاج لعملية تلقيح صناعى .

ولجنة الفتوى قبل تناولها للإجابة عن الأسئلة ترى أن ما يثار من هذه الأبحاث المبتكرة - بغض النظر عن صدقه أو عدم صدقه - يعتبر ظاهرة من ظواهر النشاط العقلى فى مجال البحث وراء المجهولات والنشاط العقلى فى ذاته دليل الحيوية فى الإنسان وأمارة الإحساس بدوافع الفطرة إلى التقدم وإشباع الرغبة الروحية بالتزود من المعرفة لتنمية الحضارة من طريق العلم وليظل الإنسان سيدا فى الأرض ومهيمنا على الطبيعة بما لديه من المواهب التى فضله الله بها على غيره .

ولعل ما يهدف إليه العقل من تحصيل العلم النافع يعتبر استمدادا من قوله تعالى « سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى أنفسهم » كما يعتبر ذلك تجاوبا مع قوله تعالى « ويخلق ما لا تعلمون ، وعلى الله قصد السبيل » .

فلسنا ننكر على العلماء أن يطرقوا أبواب

البحث ليدركوا ما يستطيعون من الغايات فإن هذه دعوة الإسلام الناس كافة إلى كل علم نافع

وهذا هو العلم الحديث يطالعنا كل يوم بالكثير من عجائب المعرفة ، ويكشف لنا عن آفاق رحبة فى عالم الفكر الإنسانى ، وبذلك التجديد يوجهنا العلم إلى دعوة الدين نحو العلم نفسه ، ويزيدنا معرفة بالله ، وبدين الله .

غير أن للبحث العلمى شطحات قد لا تصيب الهدف ... وللعلماء الباحثين اتجاهات قد لا تكون جدية ، ولا يطمئن إليها العقل كثيرا لذلك لم يبرأ العلم من سيئات طغت على بعض حسناته ، ولم يتنزه العلماء الباحثون عن سقطات شانت مجدهم ، وذهبت بشىء من أمجادهم لأنهم ابتدعوا من وسائل الفتك بالإنسانية وتقويض الحضارة ما بنته الأجيال وقرون مضت . وهيأوا العدوان الظالم ما ترتعش من خوفه البشرية فى جوانب الدنيا وهم يفاخرون بذلك ، وليس خيرا وإنما هو إفساد فى الأرض إلى حد كبير .

ولذلك كان الدين - والإسلام بنوع خاص كفيلا بتوجيه الناس فى بحثهم وراء العلم إلى عدم الشطط ، وتحذيرهم من فتنة العلم ، لئلا يكون غرورا بالنفس ، ويكون المرء ضالا على علم بضلاله ، كما ضل قارون من قبل بسبب نعمته ، وأسرف فى غروره فقال : « إنما أوتيته على علم عندى » فخسف الله به الأرض وما كان له فيها من قصور وأموال ، وسلطان وصار عبرة من عبر التاريخ .

وبعد هذا التقديم تأخذ اللجنة فى الإجابة عن الأسئلة عن التلقيح فى صوره المتعددة فتقول :

(١) إذا كان العقم فى الزوج ، ونقل الحيوان المنوى إلى زوجته من رجل غيره وحملت منه كان ذلك توسلا إلى ولد من رجل أجنبى غير الزوج ، فلا يكون ولدا له واقعيا وإن كان من زوجته .

وهذا خلط فى الأنساب وتزييف فى القرابات ونظام الأسر . وذلك يخالف ما جاءت به الشرائع السماوية فى تكوين الجماعة البشرية على نمط يكفل رابطة القرابات ، وتعارف الناس فى شعوبهم وقبائلهم بالأنساب ، وتضامنهم بعاطفة القربى ، وتعاونهم فى نطاق الأبوة ، والبنوة ، والإخاء على مقتضيات الحياة الفردية والجماعية .

ومن تكوين الأسر على نمط النسب الصحيح تكون الأمة مجموعة متكاملة بل تكون الأمم لو تشبعت بهذه الروح متفاهمة فى إطار الأسرة الإنسانية ، وهذا توجيه من توجيهات القرآن فى قوله تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

(ب) أما إذا كان العقم فى الزوجة وعالجوها بما سبق ذكره : من إتيان ببويضة من امرأة أخرى وتلقيح هذه البويضة من ماء الزوج - الذى لا تحمل منه زوجته - ثم وضعوا البويضة فى مخبر ونقلوها بعد فترة معينة إلى رحم المرأة العقيم فعلى فرض نجاح الفكرة يكون هذا الجنين منتسب للزوجة حقيقة ، لأنه غير مخلوق من بويضتها ويكون هذا الصنيع كما سبق فى النوع الأول تزييفا فى النسب إلى الأم وتوهينا لروابط الأمومة بالبنوة ، إذ لا يمكن أن تخلق الحنان الطبيعى ولا تصطنع العاطفة بين هذه الأم وما وضعته فإن العاطفة بينهما نتيجة فطرية تنشأ عن تخلق الجنين من بويضة نابعة من جسمها ، وعن حياة مستمدة من حيويتها .

وعملية كهذه لا تجيز لنا أن نغالط عقولنا ونسمى ذلك نسبا على الرغم من الطبيعة .

والقرآن يشير لنا إلى ذلك بقوله تعالى : « وهو الذى خلق من الماء بشرا ، فجعله نسبا وصهرا ، وكان ربك قديرا » .

فى كلتا الحالتين من التلقيح لا يكون النسب صحيحا . . ولا يجوز الاقرار فيه بل يكون هذا محاولة للتبنى بين إنسان وإنسان أجنبى عنه كما كان يحدث أيام الجاهلية .

ونظرا لما فى التبنى من المفاسد والشذوذ عن صيانة الأنساب حرمه الله تحريما قطعيا فى كتابه بقوله تعالى : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل » .

هذا بالإضافة إلى أن التلقيح أشبه بتناسل الحيوانات بين الأنثى والذكر كيفما كان ، دون إرتباط زوجى ، وعلاقة محددة كما شرع الله بين الرجال والنساء .

وإذا كانوا يستشهدون على نجاح تجربتهم بما حصل من تلقيح الماعز فإن هذا الخبر على فرض صحته لا يعتبر مقياسا فى جواز إنجاب الذرية الآدمية التى تقوم على ضبط الأصول ، والأنساب وصيانتها من الزيف وجعلها مميزة فى قبائلها وشعبها ، والترفع بها عن الحيوان الذى لا يتميز فيه بين أصل وفرع ، وقد يختلط هذا بذاك ويتوالدان بهذه المخالطة الهمجية فى التناسل .

(ج) أما الحالة التى يحصل فيها تلقيح بويضة امرأة بحيوان منوى من أى رجل ثم يوضع بعد ذلك فى مخبر ويترك فيه حتى يتم نموه ويولد ، فإذا كان ذلك من غير زوجين فعلى فرض صحته فهى محاولة لخلق جنين من غير زوجية وهذا ما سبق القول بأنه تلفيق فى الأنساب ونقض لنظام القرابات التى تحميها الشرائع كلها وتحافظ عليها .

وإذا كان هذا التلقيح من زوجين فلا ثبوت للأمومة ، حيث لم ينشأ فى مستقره الطبيعى من بطن أمه ولا ثبوت فيه للأمومة على الوجه الذى

تعارضه عليه الديانات والمجتمعات وهذه محاولات غير وزينة ولا تلائم ماعليه الشعوب اليوم من الشكوى لكثرة النسل ، والاتجاه نحو تخفيف الضغط السكانى والاقتصادى .

(د) وبالإضافة إلى ما سلف ذكرت الصحف عن أولئك العلماء أنهم سيتابعون تطورات الجنين وسيكشفون ما به من أمراض وراثية أو تشويهات خلقية ويعالجونه عما به حتى يولد سليما ، فإن لم ينفع العلاج أتيح لأمه أن تجهضه قبل وضعه .

ويبدو لنا أن هذا اتجاه إلى تحدى الطبيعة وطموح إلى التدخل فى شأن يتعلق بجنين لا يزال فى عالم الغيب .

وقد عهدنا من العلماء سابقا مثل هذا الإسراف فى محاولاتهم ، فقد نشروا يوما أنهم سيحولون الجنين الذكر إلى أنثى وبالعكس وسمعنا يوما أنهم سيعودون بالإنسان العجوز إلى عهد الشباب ، وهكذا مايقـاولون فى نشره ولم يتحقق شىء منه .

والخلاصة : أن التلقيح بكافة صوره بين بويضة امرأة وحيوان منوى من رجل أمر لايتفق مع وجهة الديانات وبخاصة الإسلام فى إنجاب الذرية وقد يكون حراما إذا كان بين امرأة ورجل ليسا زوجين .. فضلا عن كونه غير لائق بكرامة الإنسان الذى كرمه ربه بين خلقه ، وفى هذا الجواب كفاية والله أعلم .

محمد أبو شادى

« موكب الربيع »

حى الربيع وحى عطر نسيمه	والثم جبين الصبح فى آذار
عيد الطبيعة يحتفى وحش الفلا	بحلوله ، والطير فى الأوكار
إنى لترقص فى الربيع مشاعرى	ويدق حسى دقة الأوتار
ويزيد فيه بالجمال تدلهى	وأنا امرؤ حب الجمال شعارى
متع فؤادك بالربيع فإنه	لحن الزمان وبسمة الأقدار
إن الربيع هو الحياة وسحرها	لولاه لم نحرص على الأعمار

من قصيدة ـ بهذا العنوان ـ الشاعر محمود غنيم



نهاية إسرائيل والصهيونية

عرض وتعليق

للأستاذ محيي الدين الألوائي

ما هو الخطر المحدق ببلاد العروبة والإسلام من الخطط التي تبيتها الحركة الصهيونية العالمية ؟

وما هي النيات السيئة التي تضمرها إسرائيل تجاه بلاد العرب والمسلمين ومقدساتهم ، وما هو الخطر الذي يحدق بالأمن والسلام الدوليين من جراء مطامع هؤلاء المخادعين ؟ وما هي مكانة أرض فلسطين في نظر الإسلام وفي قلوب المسلمين ؟ وما هو مصير الصهاينة الذين اعتدوا على بقعة من أشرف بقاع الأرض وأولى قبلتي المسلمين ، فشردوا أهلها الآمنين وانتهكوا حرماتها : فأزالوا المساجد ، وطمسوا المعالم لكي يقيموا دولة عنصرية متعصبة باغية في أرض فلسطين ؟

وهذه الأسئلة هي التي تشغل في هذه الأيام بال كل مسلم ، بل وكل إنسان حر نزيه في مشارق الأرض ومغاربها .

وأمامنا الآن كتاب صغير الحجم كبير الأثر ، في صميم الموضوع الذي تدور حوله الأسئلة المذكورة ، وهو « نهاية إسرائيل والصهيونية » تأليف : الأستاذ عبد الحميد واكد ويقع في ثلثمائة صفحة من القطع الصغير وفي البداية سرد المؤلف نماذج من صور العدوان الإسرائيلي موضحة بصور حية ناطقة بجرائم اليهود الصهاينة في الأراضي العربية وضحاياها ، وانتهاكهم لحرمات المساجد والقيم الدينية والإنسانية وما إلى ذلك .

ويشمل الكتاب بعد المقدمة على سبعة فصول وخاتمة . في الفصل الأول أوضح المؤلف خطورة إسرائيل بقوله : يجب على

كل مسلم وعربى أن ينظر إلى مشكلة إسرائيل وتوابعها على أنها مشكلة ليست محلية تهم الوطن العربى فحسب ، بل لا بد أن يمتد نظره وعمله خارج وداخل الوطن العربى والإسلامى ليمسك بخيوط العمل الإجرامى الذى يقوم به حلفاء الشيطان وأولياؤه ليضيق عليهم الخناق ، ويحصرهم فى نطاق يستطيع أن يضربهم الضربة القاضية .

وأضاف يقول : فاليهود رغم أنهم قلة فى العالم ورغم تشتتهم فى الأرض إلا أنهم يشكلون أكبر خطر بما يبثونه من فتن وفساد فى أنحاء العالم ، ولقد ضرب الله بهم وحدهم الأمثال فى كل فتنة وشر دون سائر أصحاب الكتب السماوية ، لأنهم حلفاء الشيطان ضد الإنسانية كلها لإهلاك البشر وإيقاع الفتنة وتحطيم القيم الانسانية وتعاليم الله .

وبهذا السرد الواقعى ، أجاب المؤلف ـ بشكل أو بآخر ـ على السؤال الأول الذى أوردناه فى صدر العرض ، ثم أخذ المؤلف فى عرض بقية الفصول كما يلى : ٢ ـ زوال ملك إسرائيل ، ٣ ـ والجهاد والصبر والنصر ٤ ـ نحن نؤمن بوعد الله ، ٥ ـ الصهيونية حليفة الشيطان ، ٦ ـ الوسواس والشيطان الخناس ، ٧ ـ المسيح والدجال واليهود .

وعلل المؤلف عوامل النصر فى الفصل الثالث ببحث عميق ومفصل حيث قال : إن النصر بابه الجهاد والصبر وهو ليس بالقلة أو بالكثرة العددية وإنما هو بشدة العزم والإيمان والتمسك بقيم الله بشدة ، والجهاد جهاد بالنفس والمال والفكر يلزمه القدرة التى فى استطاعتك دون شح من نفسك أو تقتير ، ويقول الله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » ، فلا تشح وتقول هذه قدرتى أو ما أستطيع القيام به وإنما يلزم الاخلاص وحسن النية والبذل ووضع الشىء فى مكانه بالعزم القوى .

وهنا أشار المؤلف إلى بعض المبادىء الهامة اللازمة للنصر المبين ، ومنها مراعاة الدقة فى القول والعمل والتصرف ، ومنها مراقبة الله والحذر من التقصير والخطأ وكذلك الصبر مع مجاهدة النفس وترجيح الخير والحق ، والإيثار .

ووجه المؤلف الفاضل نداء إلى كل من يأخذه الفزع من دعايات إسرائيل وحججها الباطلة الخبيثة إذ قال : وتأمل التاريخ الطويل فأين الصليبيون وأين التتار ونابليون وأين قوات انجلترا وقوات فرنسا ، وأين قول اللنبى قائد الحلفاء حين وقف على قبر صلاح الدين فى دمشق قائلا ... اليوم انتهت الحرب الصليبية ، فأين اللنبى وواقع الحال الآن وأين التخاويف والأراجيف والجيوش التى زحفت إليها ... بعون الله اليوم تدور

الدائرة على إسرائيل أو ما لها كما دارت على من سبقوها وهى آخر ذيل فى هذه المراحل السابقة ...

وعلينا أن نؤمن بالمقاييس الواقعية والمنطقية وأن ما حدث فعلا فى شأن إسرائيل والعرب لأمر خارج عن الطبيعة البشرية وأن ما حصلت إسرائيل عليه سريعا بصورة غير مشروعة إنها تفقده بصورة أسرع ولن تخلف لها إلا نتائج أشدها تكون سوءا وخلة . فتحدث المؤلف فى الفصل الرابع عن عوامل وأسباب كثيرة لما أصاب العرب والمسلمين من هزيمة فى أرض فلسطين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ فقال : منها الاستسلام للاحتلال العثمانى والأجنبى ، ثم جاء هذا الاحتلال نتيجة خيانات لم يقض عليها الشعب العربى والإسلامى فى عهدها فكان لا بد أن يدفع ثمن تواكله وتخاذله ، خاصة وقد تشبهنا بأساليب اليهود وغيرهم ، وأعرضنا عن تعاليم الله . واستطرد قائلا : لقد وعد الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ألا تهلك أمته إلا بأيدى المسلمين أنفسهم ، ونحن رأينا كيف ظل الاستعمار يضع ثقله على المنطقة العربية سنوات طوالاً حتى أفقده كثيراً من خصائصه المعنوية ، وذوب بعض قيمه وزلزل فكره ووجدانه ... الخ

وبعد أن ألقى ضوءاً على عوامل وأسباب تلك الهزيمة النكراء . تطرق الكتاب إلى ما يتوجب على العرب والمسلمين للتخلص من هذه الحالة المؤسفة .

ومن أول الواجبات على المسلمين عامة والعرب خاصة أن يلتفتوا إلى ما ركز فيهم الاستعمار والصهيونية من خلاف وحقد قصد به تفرقتهم ، فلينظروا ما هم عليه ، وما كان يجب أن يكونوا عليه ، وأن كل إرادة حرة قوية طاهرة ... الله خلقها ... يدفعها ويباركها ، ولا بد أن تؤتى ثمرتها وييسر لأربابها كل الخير .

وأن التواء الألسنة والأفهام والسلوك والفعل لم يجر على العرب والمسلمين إلا كل شر حتى وصلوا إلى مرحلة يلعب بهم أخس شعب فى الوجود ، هم بنو إسرائيل

وينبغى لهم أيضاً أن يعرفوا كيف يتحررون من الحقد والاستعلاء وشح النفس والسلوك اللاأخــــلاق ، فالمجتمع الإسلامى والعربى متكامل إذا اشتكى أحدهم اشتكت كل الجماهير له . واختتم المؤلف هذا الفصل بعرض سريع عن قرب نهاية إسرائيل والصهيونية ، فى ضوء من إعجاز القرآن والسنة . فدعا المسلمين لأن يجددوا عهدهم مع الله ويلتفتوا كثيراً إلى كتابه وإلى سنة رسوله وأن يضعوا نصب أعينهم الرسالة

المقدسة التي فرضت عليهم ليطهروا الأرض من الصهيونية وبقايا الاستعمار وما ابتدع أعوان إسرائيل من تخاريف وخيالات وبدع تضلل الرأى العام العالمي . وأن نصر المؤمنين لآت لا ريب فيه ، ولكن ذلك يحتاج إلى جهد مرير وعمل متواصل . وذلك فرض على كل مضطهد ، من التضحيات بالمال والنفس والدم حتى يستحق نصر الله الذي وعد به المؤمنين «وما النصر إلا من عند الله» .

وفي الفصل الخامس : بين المؤلف تاريخ بنى إسرائيل المليء بالكفر والعصيان ومحالفة الشيطان ومعاداتهم للأنبياء والرسل والتجنى على الحق حتى عادوا بلعنة من الله ورسله وهم الآن يحاولون تضليل العالم وتحويله عن الطريق القويم بمخططاتهم الفاسدة ومفاهيمهم المزيفة باسم حركة الصهيونية العالمية . وأن أساليب الدمار والشرور والفتن والتخويف هي عادات الصهيونية ، وأن العالم يعرف إن عاجلا أو آجلا أن العرب والمسلمين لا يعادون أى جنس أو ديانة وإنما هم أعداء لأعداء الله . واختتم الفصل بكلمة : فالعالم لن يترك الصهيونية والشيطان ليلعب به وإنما تظل فيه قوة الإيمان والعقيدة الصلبة رغم الشيطان والوسواس والصهيونية .

وتناول المؤلف في الفصل السادس موضوعا يبدو في ظاهره بعيد الربط بعنوان الكتاب ، إذ عنون الفصل : « الوسواس والشيطان الخناس » . ولو أن المؤلف ربط العنوان بمشكلة تتفرع من عنوان الكتاب ، لكان أوضح في مقصده ولكن لا يخفى على من قرأ ما في هذا الفصل من بحث قيم ، والجهود التي بذلها المؤلف في توضيح تحالف اليهود بشياطين الإنس والجن ، بعملهم وتفكيرهم في جميع الفترات الزمنية . وفي الفصل السابع والأخير أفاض المؤلف في البحث المدلل بالحجج النقلية والعقلية عن « المسيح والدجال واليهود » . وفيه دروس وعبر لكل مسيحى مخلص إذ يرى أناسا ممن ينتمون إلى المسيح عيسى بن مريم ، يناصرون ويؤيدون شعبا ظالما صنع الصليب لصلبه ظلما وعدوانا ، ضد شعب يؤمن به إيمانا راسخا . ولا يرضى أى نوع من الاستهتار بنبوته ومكانته وعظمته

وحسب المؤلف الجليل أنه قدم في هذا الكتاب بحوثا قيمة ودراسة وافية في شتى نواحي قضية الساعة للعالم العربي والإسلامي، ووضع أمام كل مسلم له قلب واع وعقل سليم أسباب خطورة إسرائيل والصهيونية ، ثم وسائل التغلب عليها . واختتم خاتمة الكتاب بقوله تعالى : « إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم . أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين » ؟

محي الدين الالوائي

أنباء وآراء

● باشرت « لجنة الحضارة وحقوق الإنسان » بمجمع البحوث الإسلامية أعمالها . وقد عقدت اللجنة جلستين من جلساتها ، وتتكون اللجنة من الأساتذة أعضاء مجمع البحوث :

الدكتور سليمان حزين ، الدكتور محمد البهى ، الأستاذ محمد خلف الله أحمد ، الدكتور مهدى علام .

ويتبع اللجنة فريق من الباحثين الفنيين بالمجمع لتحضير المواد الأولية لأعمالها ؛ من : القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والفقه ومراجع الأدب والتاريخ ، ومواد الموضوع من المؤلفات الفرنسية .

● انتهت لجنة (موسوعة السنة) إحدى لجان مجمع البحوث الإسلامية من إعداد الجزء الأول من كتاب « الجامع الكبير » للإمام السيوطى يبدأ بالأحاديث الشريفة التى تتصدرها الهمزة .. قطعت اللجنة من هذا الجزء مرحلة فى (إذا) .

● انضم إلى لجنة « تقنين الشريعة الإسلامية » بمجمع البحوث الإسلامية : السيد المستشار محمد علام . والأستاذ محمد عطية خميس المحامى . ويؤدى الرجلان عملهما باللجنة تطوعا .

● وافق المجلس الأعلى للفنون والآداب على مذكرة أعدها أحد كبار المهتمين بالبحوث الإسلامية . تتضمن المذكرة ضرورة تعريب كتاب « مدخل إلى القرآن الكريم » والكتاب أحد كتابين وضعهما بالفرنسية المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز ، ونال بهما دكتوراه الدولة من باريس

والكتاب المذكور فى أيدى المترجمين حاليا .

والمرحوم الدكتور دراز أعد هذه الرسالة تمهيدا ومقدمة لمؤلفه العظيم : « الأخلاق فى القرآن » .

● انتقل إلى رحمة الله فضيلة المرحوم الشيخ عبد اللطيف السبكى الذى كان يمد مجلة الأزهر بتفسيره الميسر للقرآن الكريم :

« نفحات القرآن » هذا الباب الذي أوقف فضيلته قلمه عليه ، معتقداً أن كلمة الله « المبدرة » الناس هي طلبتهم .

وبوفاة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ السبكي الحنبلي المذهب — طيب الله ثراه وجزاه عن الإسلام خير الجزاء — أصبح يمثل المذهب الحنبلي بكلية الشريعة ثلاثة علماء هم الأساتذة أصحاب الفضيلة :

الشيخ عبد الحكيم مصطفى
والشيخ عبد العظيم بركة
والشيخ عبد الغنى عكاشة ...

● صدر قرار من مشيخة الأزهر الشريف بضم فضيلة الشيخ « يس سويلم » عضواً بلجنة الفتوى التابعة لمجمع البحوث الإسلامية .

● باسم القانون حرم على المسلم أن يتزوج مسلمة أو كتابية — مسيحية أو يهودية — وعلى المسيحي أن يتزوج مسيحية .

القانون — كما يتوقع القارئ — أصدرته حكومة جنوب أفريقيا في مارس ١٩٦٩ ، وأصبح نافذ المفعول ، وحكومة جنوب أفريقيا عنصرية ، وتحتم أن تتكون المدينة من عدة أحياء . والقانون حرم زواج هذه الأحياء بعضها من بعض . وجدير بالذكر أن الإسلام والمسيحية ينتشران بين أحياء المدينة كلها .

● تسرب إلى لندن تقرير عن « مصلحة الهجرة » الإسرائيلية . التقرير يقول : منذ حرب (حزيران — يونية) هاجر إلى إسرائيل خمسة آلاف يهودي ، بينما بلغ مجموع من غادرها ١٦٥٠٠ يهودي ، وأن الدعاية الإسرائيلية لأرض السلام ، أصبح اليهود أنفسهم غير مقتنعين بها ، وأن نسبة من يهرب من أراضيها يفوق عدد من يغادرها رسمياً .

التقرير يؤكد أن السكان الأصليين (العرب) في البلاد يستمرون في نمو مطرد ، وهذا أمر يعرض حياة إسرائيل للخطر .

وهذا التقرير يفسر لنا أشياء ، فإسرائيل — أخيراً — كانت تمارس ضغطاً على بعض الدول الغربية في محاولة لتهجير اليهود إلى أراضيها عن طريق اتفاقيات ثنائية بينها وبين بعض الأقطار الغربية ، وهذه محاولة سبقتها محاولة اتهام أقطار — بعضها دول كبرى — بإساءة معاملة اليهود ، وهذه الصورة من إظهار عطفها على اليهود لترغيبهم في الهجرة باءت بالفشل ، وحركة الفدائيين عامل مستمر وعلى في كشف الدعاية الصهيونية .

ولعل هذه الحقيقة نفسها تفسر لنا حركة الإبادة للقرى العربية التي قامت بها إسرائيل عدة مرات .

والوقت في صالح العروبة ..

● يتخذ التبشير فى القارة الأوروبية ألوانا من النشاط ذات أقنعة مختلفة . يلمح أخيراً اندفاعا مسلحا فى بعض أقطار إفريقيا أملا فى فصل الدولة الواحدة إلى دولتين .

ويهتم بالحركة ، وعلى رأسها ، أسقف روما الذى يدعوه أتباعه بـ (البابا) وقد أعلن عن عزمه زيارة أقطاراً إفريقية بعينها ومقابلة بعض أقطابها .

● اتخذت حكومة العراق قرارا أذيع صباح يوم ٢٣ من المحرم ١٣٨٩ الموافق ١٠/ ٤ /١٩٦٩ بعــــدم الاستعانة بالخبراء الأجانب إلا فى نطاق الضرورة القصوى .

● يصدر مع هذا العدد من مجلة الأزهر (هدية) خاصة بقضية فلسطين بقلم صاحب الفضيلة الشيخ عبد الحميد السايح عضو مجمع البحوث الإسلامية وأحد أبناء فلسطين .
وفضيلة الأستاذ عبد الحميد السايح كان قاضيا بالقدس قبل عدوان (يونيو - حزيران) .

علي الخطيب

(حاجة الإنسان إلى الوحى الإلهى)

إن الله خلق الإنسان وجعله مستعدا للعلم والانتفاع بما خلق الله فى الكون ليكون خليفة فى الأرض ، يعمرها وينميها ، ويكون بعمله مظهرا لرحمة الله بعباده ، وليتحقق فيه روح المكافحة ، خلقه مستعداً أيضا للتأثر بداعية الخير ، وداعية الشر ، وبين له أن عاقبة التأثر بداعية الخير السعادة المطلقة ، وعاقبة التأثر بداعية الشر الشقاء المطلق ، وبذلك كان (الإنسان فى حاجة إلى الوحى الإلهى) يقيه ويحفظه من دواعى الشر ، وعلى هذا المبدأ أرسل إليه الرسل ، وأنزل الكتب تذكيرا بما يسعده ، وتنفيرا عما يشقيه ، فيجب علينا أن نتعرف أنفسنا بغرائزها ، وأن نحصنها بهداية الله من كيد الشيطان ، وأن نلتزم إرشاد الله وأحكامه حتى نفوز برضاه ، ونحصل على إسعاده .

● جاءنا من إدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية :

البيان التالى :

السيد الدكتور رئيس تحرير

مجلة « العربى »

دولة الكويت

وزارة الإرشاد والأنباء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد :

فقد نشرت « مجلة العربى » فى عدد مارس سنة ١٩٦٩ فى باب « أنت تسأل ... ونحن نجيب » تحت عنوان « المسيح بين التوراة والإنجيل » ص ١٤٧ — ردا على قارىء بعث إلى المجلة يسأل عن معنى كلمة « المسيح وهل هى عربية الأصل » ؟

وقد جاء فى الرد أن المسيحيين « يؤمنون بأن عيسى بن مريم عليه السلام هو المسيح الذى انتظره اليهود ، ولكن اليهود أنكروا ذلك » .

وذكرت المجلة من بين أسباب إنكار اليهود للمسيح « أن عيسى بن مريم حمل رسالة إلى أهل الأرض أجمع فى حين قال اليهود : إن مسيحهم المنتظر إنما يكون يهوديا حميما يجىء ليخلص بنى إسرائيل وحدهم دون سواهم . « فقرة (ج) » ويهمنا أن نوضح لسيادتكم أن القول بأن رسالة المسيح كانت إلى أهل الأرض جميعاً دعوى دون دليل ، إذ أن رسالات الأنبياء التى سبقت رسالة الإسلام ، ومنها رسالة السيد المسيح كانت محدودة بقوم بعينهم ، وزمان بعينه ، والقرآن الكريم والسنة المطهرة ينصان على أن رسالة المسيح عليه السلام كانت محدودة ، وخاصة ببنى إسرائيل وحدهم دون سواهم ، وليست عامة إلى أهل الأرض أجمع كما ذكرت « العربى » .

(أ) فن آيات القرآن الكريم :

١ — يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الصف : « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » (الآية ٦) .

٢ — يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة آل عمران : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل . ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ... الآيتان ٤٨ ، ٤٩ .

(ب) وفى الحديث الشريف : يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : أعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلى . . « ومنها » وكان كل نبى يبعث إلى قومه عاصة ، وبعثت إلى الناس كافة » ؟

مدير البحوث والنشر

(بمجمع البحوث الإسلامية)

of Islam it was easy for them to submit and believe in the two others, ie. belief in the prophets and belief in the sacred books. It came naturally because the prophets are the preachers and teachers of the accepted faiths, and the Qur'an is the book which narrate and describe every thing about Allah with all his Glory and Dignity.

Conclusion

From the examples given about African traditional beliefs, considered, in comparison with some verses of Qur'an, denoting faiths' similar to those Africans original beliefs, I think it became clear that Africans had entered Islam voluntarily and genuinely. They subbmitted to and embraced the faith since they felt by their own sense that it was the true faith which was the only way to save them from the cluster of cults, and to avoid that religious confusion and the spritual voidness from which they had mentally and emotionally suffered for long time.

And so, Islam was not enforeced but it was intellectually accepted, and it was not blindly attached, but they entered the Faith of Allah in troops deliberately and fully intentionally.

(Continued from page 13)

a sense of eecurity and tranquility.

This disparity between attitude and action may be due to the fact that the white man is sometimes cited as a good example for the (Muslims). The (Muslims) are continually reminded that the white man is a hard worker. "Observe the operations of the white man. He is successful. He makes no excuses for his failures. He works hard . . . You should do the same," They are told the white man is smart.

"I am after you, the black man. I am not trying to convert the white man I I'm after converting you. You are the man that is asleep. The white man is wide awake. He is not a dummy, by any means. He has built a world. His knowledge and wisdom is now reaching out through speace."

moon, down the sea or in high mountains or in any-other far and mysterious place. They were then undecided about the soul and they were in a great need of submission to any fact about it. They found it when they learnt from Islam that the soul is a thing concerning God Himself as in the verse :

« ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »
(الإسراء ٨٥)

It means : "They will ask thee concerning the spirit, Say : the spirit is by command on my lord and of knowledge ye have vouchsafed but little." (17, 85)

The third main belief which incited Africans to accept Islam was the belief in Etherical beings that bring wind and make thunder and come with death to persons, all in excution of the orders of God.

These beings were considered sacred in African traditional religions and are looked upon as forces of God such as the sky spirits "Kuth Dwong" in the beliefs of the Dinka tribes of Southern Sudan. They are sacred etherical beings that bring wind. The Dinka also blieve in other kinds of etherical powers called "tiet". These "tiet" are considered as the spritual powers of natural and cosmic Phenomena.

Another example of the etherical beings can be found in the cults of the Khassonke tribes of Mali. They believed, before being Islamicised, that the world is full of spirits or unseen beings, some of them are evil and may guide people or incite them to do wrong.

Africans everywhere believed also that death is caused by some etherical beings spirits, or unseen powers at the command of the Supreme Being or Allah. A belief which can be rather paralell to the Islamic faith in the Angel of death :

«الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون»
(٣٢ النحل)

It means : "Those whome the Angels cause to die in a good state saying Peace be upon you, enter the garden for what you did."

Certainly, it is obvious then that submission to and accepting the blief in Angels came easily after accepting faith in Allah because the etherical beings and unseen powers in African traditional beliefs are very similar to Angels and jinn and those evil spirits are similar to satin.

Consequently, as Africans accepted mentally three of the five Pillars

ISLAM AND AFRICAN THOUGHT - II

By : Mohammad Galal Abbas

General Sectretary of the Society of African Culture, Cairo

In Southern Sudan and northern Uganda most of the Nilotic tribes believe also in a Supreme God, almost called 'Juok.' We quote here the translation of some Shilluk songs and prayers which denote the beliefs concerning the Juok. In a song composed by King Yor they say:

"I pray to Juok, I pray to him alone For he directs the spears", and the spears thrusts are of Juok. compare this belief with the verse of Qur'an :

« ... ... وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى »

It means : " . . . . And thou (Muhammad) threwest not, when thou didst throw, but Allah threw. " (8, 17)

In another prayer the shillok says : "I pray to god (Juok), God is the Giver (Juok a tang), God is protector (Juokagim), I have taken God into me, and became fearful to my enemy, so that they scarcely dare attack me."

Compare this with the verses :

« ... ... ويرزقه من حيث لا يحتسب »

It means : "And (Allah) will provide for him from a (quarter) whence he that no expectations." (65, 3)

« ... فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين »

It means : ". . . Allah is better at guarding and he is the most Merciful of those who show Mercy." (12, 64)

Such a comparative look can easily prove that Africans found in the meanings of these verses and others in the Qur'an the facts about the great reality which they were searching for in their minds, and expressing by their simple nature in those worshiped symbols of God.

Afterlife and Etherical Beings

Besides the belief in a supreme God, all Africans believe that there is a belief in a kind of After-life and that the souls will live again or exist again in another world where they are to be at Judgement ater seperation from human bodies. But their igonorance about the soul and that kind of afterlife made them imagine it in the havens, on the

brought my grandfathers to this country by force and enslaved us. The white man has taken away from us our freedon, our religion, our culture, and, even more, our names. How can I be blamed for hating him who taught me to hate him ?"(1)

It is questionable, however, whether the source of this hatred is the teachings of Elijah Muhammad, or whether it stems from the resentment of which John F. Cuber, a sociologist, speaks when he explains:

"Whites who have tried to be personally friendly with Negroes or who have tried to do generous things for Negro communities have often been met with distrust and suspicion. The Negroes have become so accustomed to being exploited that they have in interpreted even good intentions and good deeds as concealed exploitation. The existence of this oppression psychosis has sometimes made it difficult if not impossible for well-meaning whites to assist colored groups or individual members of colored and other minority groups."(2)

In this light, it seems possible that speaking of the white man as a devil is possibly a defense mechanism designed to relieve the Negroes of the stress they have suffered as a result of racial prejudice. Possibly, also, this contrived stereotype is intended in some measure to "repay" the white man for his conventional stereotype of the Negro as a lazy, shiftless man. A third possibility is that it is a defense mechanism used to justify the break away from the white man's culture, and the establishment of a cultural renewal which can provide its members with glory through a link with their past history and culture.

Even though the (Muslims) refer to the white man as a "devil", this attitude does not really appear to guide their actions. Morroe Berger, Professor of Sociology at Princeton University, points out :

"The movement also provides for many Negroes a means by which they can both release and control their feelings toward a hostile white society. The ritual, the fierce verbal attacks upon whites, and the display of strenght all give a sense of power and adventure, that easily siphons off delinquent tendencies.... yet the movement's obedience of the law and its insistence that Negroes stay among themselves give

(Continued on page 16)

---

(1) Writer's field notes, an informal interview with a worker at Muhammad's Grocery in Chicago, Ill., September 10, 1965.

(2) Jhon F. Cuber, Sociology, Appleton - Century - Crofts, Inc., New York, Third Edition, 1955, p. 346-347.

in classes at various Universities of Islam. Examination of supplementary textbooks such as Muhammads' Children and A Pictorial History of the Negro in America, mimeo materials, and coloring books revealed no evidence that the schools teach race hatred or black superiority, However, this may be due to the fact that some of the (Muslim) schools are accredited shools, and, for that reason, they try to avoid trouble by complying with state requirements.(1)

Conversely, though, the white man is stereotyped as a "devil" in the conversation of pupils and school personnel. This may indicate that the attitude is taught by the family, and fostered by Muhammad Speaks, which quite often uses the "devil" stereotypte when referring to the white man.

The (Muslims) justify the term "devil" in reference to the white man by saying that it is a product of their experience with the white man and what he has done to the Negro. "The world that the Caucasian race built (the present world) is full of evil and bloodshed and one in which there is no peace for the black nation."(2)

When questioned as to whether or not he taught hatred to members of the Nation of Islam, Elijah Muhammad responded that he had never taught hatred of the white man to his followers. To his followers he said, "I am not teaching you to hate them or reject them. I am only teaching you who they are."(3) He further explains :

"The truth of the white race and kind will make all black mankind hate them, regardless of their color — black, brown, yellow or red."(4)

The hatred of which Elijah Muhammad speaks is evident in the words of a (Muslim) in Muhammad's Grocery in Chicago, who said :

"I do not hate the white man, the white man taught all the so-called Negroes to hate him. He

---

(1) The (Muslim) schools are quite often investiagated by the F. B. I. and other agencies ; e.g., the State Senator Arthur R. Cottschalk investigated the University of Islam at Chicago in July, 1962.

(2) Elijah Muhammad, The Supreme Wisdom, 2nd ed., op. cit., p. 2[illegible].

(3) Elijah Muhammad, Muhammad Speaks, Vol. 1, No. 6, April 1962, p. 8.

(4) Elijah Muhammad, The Supreme Wisdom, op. cit., p. 27.

"When we speak of good citizenship, it is a person who has been more or less qualified himself to accept his responsibility to himself, to his family, to his community, to his nation, and to mankind as a whole. This is what he should be striving toward. When I say nation, I mean that nation that he is a citizen of. Now we ourselves also speak of the Nation of Islam. When we refer to the Nation of Islam, we are referring to something of our own, where we determine our future for ourselves, according to our personality . . . . We believe that we are just as entitled as anyone else to determine our future, which is designed to promote our growth as a distinct people. But at the same time, if we are members of another nation, we have an obligation to that nation also, and what we learn under the the guidance of Islam is that which makes us good citizens in our own nation or anybody else's nation. Everything in our beliefs is designed to make a better person in whatever society he becomes a part of".(1)

Another principal in the (Muslim) schools explained :

We are taught by the Honorable Elijah Muhammad to obey those who are in authority over us, whether they be white or black . . . . The Muslims are standing as a symbol of cleanliness, purity, men and women who are responsible people in their communities. This serves as an example of how others can pattern themselves and be as successful as the Muslims of the Honorable Elijah Muhammad are.(2)

Finally, Elijah Muhammad himself speaks of the citizenship of his members :

"My followers, in fact, are the BEST CITIZENS this country has got, because they are believers in Islam, the Religion of Peace, and in Righteousness, not evil, and they can do no wrong to anyone."(3)

The Attitude Toward The White Man

The attitude of the (Muslims) toward the white man is a complex one. During the course of the present study, the writer spent five weeks

---

(1) Tape-recorded interview with a principal in the (Muslim) schools, September 20, 1965.

(2) Tape-recorded interview with a pricipal in the (Muslim) schools, September, 24, 1965.

(3) Elijah Muhammad, The Supreme Wisdom, University of Islam Press, Chicago, Ill., 2nd ed., 1957, p. 78.

The Role of The School in The Nation of Islam In America In Changing Its Students' Attitudes

— I —

By :
Dr. Ibramih M. Shalaby

In addition to the study of the essential values of the Nation of Islam the group's major attitudes were also examined. These attitudes were subdivided into five main categories : (1) toward the American society, (2) toward the white man, (3) toward other Negroes, (4) toward other minority groups, and (5) toward themselves.

The Attitude Toward American Society

In order to study the (Muslim) attitude toward American society, personnel at the schools were asked the following question: "One function of the school is to promote good citizenship. What does good citizenship mean to you and your pupils ?"

All school personnel responded that they taught their pupils to do the following things :

1 — to pay due taxes.

2 — to abide by the country's laws

3 — to keep the country, their property, and themselves clean

4 — not to drink, or throw empty bottles in the street

5 — not to steal.

The school personnel further explained that the American flag was flown next to the flag of the Nation of Islam in the schools. Said one teacher :

"Our school is preparing our children to be good examples of being good, clean students, and to conduct themselves in a polite manner. We also try to keep our property as clean as possible."(1)

A principal in the (Muslim) schools stated :

———

(1) Tape-recorded interview with a teacher at the University of Islam in Detroit, September 21, 19·5.

It means : "If any men among you divorce their wives by Zihar (calling them mothers), they cannot be their mothers : none can be their mothers except those who who gave them birth. And in fact they use words (both) iniquitous and false : but truly God is One that blots out (sins), and forgives (again and again) ." (S. 56 : V. 2)

THE MOTHER

Islam demands that all Muslims honor and respect mothers. Some verses from the Holy Qur,an are sufficient to make this clear. Reading these verses carefully, the reader, I am sure, will need no explanation or comment :

« وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ... » (الإسراء ٢٣ ، ٢٤)

It means : "Thy Lord hath decreed That ye worship none but Him, And that ye be kind To parents. Whether one or both of them attain old age in thy life, say not to them a word of contempt, nor repel them, but address them in terms of honour." "And out of kindness, lower to them the wing of humility, and say : "My Lord ! bestow on them thy Mercy even as they cherished me in childhood." (S. 17 : V. 23, 24)

« ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير ... » (لقمان ١٤ ، ١٥)

It means : "And we have enjoined on man (to be good) to his parents : in travail upon travail did his mother bear him, and in years twain was his weaning : (hear The command), "Show gratitude to Me and to thy parents : to Me is (thy final) Goal." "But if they strive to make thee join in worship with Me things of which thou hast no knowledge, obey them not ; yet bear them company in this life with justice (and consideration), and follow the way of those who turn to Me (in love) : in the End the return of you all is to Me, and I will tell you the truth (and meaning) of all that ye did." (S. 31 : V. 14, 15)

« ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها ... »

(الأحقاف ١٥)

It means : "We have enjoined on man kindness to his parents : in pain did his mother bear him, and in pain did she give him birth. The carrying of the (child) to his weaning is (a period o) thirty months . . ." (S. 46 : V. 15)

It means : "O ye who believe ! when ye marry believing women, and then divorce them before ye have touched them, no period of 'Iddat have ye to count in respect of them : so give them a present, and set them free in a handsome manner." (S. 33 : V. 49)

2— She has no rights at all concerning the residence.

3 - She is entitled to some compensation according to the wealth of the man if her dower was not fixed in the contract. If it was fixed, however, she has the right to a half of whatever they have agreed upon. The Holy Qur'an advises that it is better for the man to give her the dower in full :

« لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين .... »

(البقرة ٢٣٦، ٢٣٧)

"There is no blame on you if ye divorce women before consummation or the fixation of their dower ; but bestow on them (a suitable gift), the wealthy according to his means, and the poor according to his means ; a gift of a reasonable amount is due from those who wish to do the right thing." "And if ye divorce them before consummation, but after the fixation of a dower for them, then the half of the dower (is due to them), unless they remit it or (the man's half) is remitted by him in whose hands is the marriage tie ; and the remission (of the man's half) is the nearest to righteousness. And do not forget liberality betwenn yourselves. For God sees well all that ye do."
(S. 2 : V. 236, 237)

It should be noted that, according to the Holy Qur'an, marriage can be dissolved only by divorce or by death. This has abolished an old form called "Zihar" used by the Arabs before Islam. Under the Zihar, husband would say to his wife "you are to me as the back of my own mother." This would affect a separation between them forever, and the wife was not free to marry anyone for all her life. This evil custom was abolished explicitly in the following verses :

« وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم ... » (الأحزاب ٤)

It means : "God has not made your wives whom ye divorce by Zihar your mothers ; . . . "
(S. 33 : V. 4)

« الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً وإن الله لعفو غفور » (المجادلة ٢)

live according to your means : annoy them not, so as to restrict them. And if they carry (life in their wombs), then spend (your substance) on them until they deliver their burden : and if they suckle your (offspring), give them their recompense : and take mutual counsel together, according to what is just and reasonable. And if ye find yourselves in difficulties, let another woman suckle (the child) on the (father's) behalf." "Let the man of means spend according to his means : and the man whose resources are restricted let him spend according to what God has given him. God puts no burden on any person beyond what He has given him. After a difficulty, God will soon grant relief."

(S. 65 : V. 6, 7)

THE WIDOW

Before remarrying, a widow must wait for four months and ten days if she is not pregnant.* After this period is over, she is free to marry :

« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير »

(البقرة ٢٣٤)

It means : " If any of you die and leave widows behind, they shall wait concerning themselves four months and ten days : When they have fulfilled their term, there is no blame on you if they dispose of themselves in a just and reasonable manner. And God is well acquainted with what ye do."

(S. 2 : V. 234)

The stipulations about the waiting period, maintenance, and residence apply to the consummated marriage. If the divorce occurs after the marriage contract is completed but before the husband touches his wife, the situation should be handled in the following way :

1— There is no waiting period for such a bride. She is free to marry anyone immediately after the divorce :

« يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا »

(الأحزاب ٤٩)

---

* If the widow is pregnant her waiting period ends when she delivers her child as mentioned before:

" . . . For those who carry (life within their wombs), their period is until they deliver their burden..."

(65 : 4)

WOMAN'S POSITION IN ISLAM

By :

Dr. Ahmad I. Mohanna

(Continued from the Previous Issue)

And whatever may be the reason for this unhappy situation (divorce), the husband must provide her with what she needs for a reasonable period of time and according to his ability :

« وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين » (البقرة ٢٤١)

It means : "For divorced women maintenance (should be provided) on a reasonable (scale). This is a duty on the righteous."

(S. 2 : V. 241)

Where children are involved, both husband and wife have to cooperate in performing their respective duties towards the child so the child will grow up with respect for each one of them as his parent :

« والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين . لمن أراد أن يتم الرضاعة . وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف... » (البقرة ٢٣٣)

It means : "The mothers shall give suck to their offspring for to two whole years, if the father desires to complete the term But he shall bear the costs of their food and clothing on equitable terms. No soul shall have a burden laid on it greater than it can bear. No mother shall be treated unfairly on account of her child. Nor father on account of his child, an heir shall be chargeable in the same way. If they both decide on weaning, by mutual consent, and after due consultation, there is no blame on them. If ye decide on a foster-mother for your off-spring, there is no blame on you, provided ye pay (the mother) what ye offered, on equitable terms. But fear God and know that God sees well what ye do." (S. 2 : V. 233)

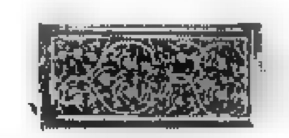
And the Holy Qur'an says :

« أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ... » (الطلاق ٦ ، ٧)

It means : "Let the women live (in'Iddat) in the same style as ye

the body will generate in man feelings of pride and haughtiness while another is suggestive of true humility, and it is only the latter frame of mind that can bring man closer to God. If therefore, humility is of the essence of prayer, naturally a man will unfold his heart before his Cherisher.

Now, as we have seen, one of the great objects of prayer is to level down the social and race differences, and if any other postures than those prescribed by the Qur'an and the Prophet are adopted, there would be a divergence from the Islamic mode of worship, and the uniformity of prayer is destroyed, and its main usefulness is gone. A little consideration will show that a law generally requires a sanction behind it, and behind all Divine laws which relate to the development of man and to his moral betterment, the only sanction is a belief in the great Author of these laws. A man reverts to prayer, to that state in which, disengaging himself from all worldly attractions, he feels the Divine Presence as an actual fact, the greater is his certainty about the existence of God and the greater the restraint upon the tendency to break His Laws.



prayer creats an atmosphere of brotherhood, equality and human love, and differences of rank wealth and colour vanish within the mosque, totally differing from the outside world.

These lessons of fraternity, equality and love, when put into practice in daily life, serve as foundations for the lasting human civilization and unification. In fact the five daily congregational prayers are meant, among other things, to carry into practice the theoretical lessons of equality and fraternity for which Islam stands. However much Islam may have preached in words the equality of man and the fraternity of the community all this would have remained as a dead — letter, unless it had been translated into the every day life of man through the institution of five daily congregational prayers, because no idea can live without a practical institution to keep it alive.

Now let us come to the times of prayer and its pre-requesit conditions. In Islam there is not a single day set apart for worship, but prayer is made a part of the everyday affairs of man. So there is a prayer in the morning before sun rise when a man rises from his bed; another just after mid-day; a third in the afternoon; a fourth just after sunset; and a fifth at night after twilight and before dawn. Thus prayer is the first daily work of a Muslim and it is also his last work of the day, and between these two there are other prayers during hours of business or recreation. Islam thus requires that in all the varying conditions through which man has to pass, his spirit should be in touch with the Divine Spirit. He should feel the Divine Presence under all conditions, so that while he is doing his work, a moral force in the transaction of everyday affairs.

The ablution preceding prayer, facing the direction of Ka'aba, cleanliness of body, dress and place, the reverential attitude in standing, the bowing down, the prostration with the forehead placed on the ground, and the recitation of the "Fathihah" and the "Tashahhud" — all help the mind to concentrate on one object, to realize of the Divine Presence as a fact. This mode of worship helps the worshiper to find his heart's joy in doing honour to his real Lord and Master, not only with his tongue but with his whole body. There is not the least doubt that the spirit of humility in man finds particular expression in the reverential postures which must be adopted in prayer. It cannot be denied that a particular posture of

the natural sequel of the Second, and shows that the certainty of the Divine existence leads to the service of humanity.

Through prayer the man can realize the great truth of the Divine existence within his heart. It works an entire change in his own life and also enables him to rise to moral greatness. Prayer is also the means of levelling all differences of ranks, colours and nationalities, thus the means of bringing about a cohesion and unity among mankind. The establishment of prayer is a living force in the unification of the human race through Divine services.

Prayer in Islam aims at not only making man drink deep at the fountain of Divine morals, purifying his heart and setting him on the right road to the development of human faculties; but it also brings about love, levels, all artificial differences between man and man, and establishes a true union of humanity. The truth is that this object cannot be achieved without a regularly instituted form of prayer, so that the service of prayer is divided into two types. The first one to be performed in private and and the other to be performed in congregation, preferably in mosques.

The private type of prayer is meant simply for the development of the inner self of man, and the public type of prayer has other ends as well in view, that make the Islamic prayer a mighty force in the unification of the human race. While the people living in the same vicinity gather together five times daily in the mosques, this gathering is a help to the establishment of healthy social relations. But the circle becomes wider in the weekly Friday Service which gathers together all Muslim members of a particular locality, and still wider in the two great 'Id' gatherings. Far more important than this social relations and unification of the human race, however, is the place of prayer in the levelling of social differences brought about by means of congregational prayer. For example, once within the doors of the mosque every Muslim feels himself in a atmosphere of equality and love. They all stand shoulder to shoulder, the king along with his poorest subject, the rich with the needly, the white man with the black, and the master with his servant, before their Creator and Lord. Not only this the king or the master standing in a back row will have to lay his head, prostrating himself before God, at the feet of a poor subject or a low class servant standing in the front row. There could be no more levelling influence in the world. Thus

The right development of human faculties, and attaining to moral greatness, depends upon the purification of man's inner self and the supperession of evil tendencies. The Holy Qur'an says :

« قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى »

It means : "He is successful who purifies himself, And remembers the name of his Lord, So prays". (87 : 15)

Prayer is spoken of as a means of purification for the heart. God Says :

« أتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون »

It means : "Recite that which has been revealed to you of the Scripture, and keep up prayer ; surly prayer keeps one away from lewdness and evil, but verily rememberance of God is more important. And God knows what you do". (39 : 45)

The belief in God is the fundamental principle of every religion. The object of religion is not simply to preach the doctrine of the existence of God as a theory ; it goes far beyond that. It seeks to instill the conviection that this belief is a living force in the life of man. The prayer is the means by which it is sought to achieve this great end. The reference to the beginning of the holy Qur'an will show what prayer really aims at. There we are told that a man who would tread the road to self development, must except certain principles and carry out certain duties, as stated in the beginning of the Holy Qur'an :

« الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ،

It means : "Alif. Lâm. Mîm. This is the S.ripture whereof there is no doubt, a guidance to those who ward off evil ; who believe in the unseen, and keep up prayer, and spend out of what we have given them." (2 : 1 - ٤)

The three requisites of a true Muslim are there given, as quoted above, in their natural order. The first is a belief in the Unseen, which means the belief in God, who cannot be percieved by the physical eye of man. His mighty being is beyond limited human comprehension. He is the all knowing, He knows all things both secret and open. The Second, which follows immediately the belief in the Unseen, is the keeping up of prayer. This shows that the belief in God is turned into a realization of the Divine existence by means of prayer. The third requisite, spending out of what God has givin, is

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FÛDA

SAFAR 1389	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	APRIL 1969

IMPORTANCE OF THE PRAYER

By :

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

The Prayer (Salath) is the first worship obligated in Islam. It is a perfect and organised institution through which man is connected with the Lord of the Universe. The prayer in the religion of Islam, is not mere words of appeal or praise of God but it is both action and speech fulfilled by meditation with heart, tongue and whole body. The importance of prayer may be judged from the following facts :

It was the first duty enjoined on the Prophet ; it is the most frequently repeated injunction of the Holy Qur'an ; and the Prophet says : « الصلاة عماد الدين » (The prayer is the pillar of Religion) ; and : « إن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة » (The prayer is the first thing will be questioned about in the Day of Judgement).

There are several reasons why prayer has been given this importance. It is really the first step in the onward progress of man and yet it is also a spiritual force which will help him in his all walks of life, and will be a source of happiness and peace. The prayer keeps man away from evil, and thus enables him to attain to his perfection. It helps him to realize the rememberance of God Who is over-watching everything in the Universe. As He said in His Book : أقم الصلاة لذكري (Keep up prayer for My rememberance). This rememberance not only urges him to do disinterested service for humanity but also makes him attain the highest digree of moral perfection.

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

الجزء الثالث — السنة الحادية والأربعون — ربيع الأول سنة ١٣٨٩ هـ — مايو سنة ١٩٦٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الرسول بين الرسل

للأستاذ عبد الرحيم فوده

١ — منذ وجد الإنسان على الأرض وهو مشوق إلى تعرف ما في الكون المحيط به من سنن وخصائص ، وكلما أمعن في المعرفة ظهرت له عظمة الكون أكثر من ذي قبل ، وظهر له ضعفه وتضاءل غروره ، ونبي الإسلام صلوات الله عليه شبيه بالوجود ، فقد جد العلماء منذ أشرقت الأرض بنوره يتلمسون نواحي العظمة الإنسانية فيه ، ويتلمسون مظاهر أسماء الله جلت قدرته في عقله وخلقه وعلمه ، ومع أنهم استطاعوا الوصول إلى شيء من المعرفة فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة ، وأمامهم جهاد طويل ، وبعد شاسع وطريق لا نهاية له .

والنبوة هبة الله لا تنال بالكسب ، لكن حكمة الله وعلمه قاضيان بأن تمنح لمستعد لها ، والقادر على حملها ، « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، ومحمد ﷺ أعد لأن يحمل الرسالة للعالم أجمعه ، أحمره وأسوده ، إنسه وجنه ، وأعد لأن يحمل أكمل الرسالة وأكمل دين ، ولأن يختم به الأنبياء والرسل ، وليكون شمس الهداية وحده إلى أن تنفطر السماء ، وتتكدر

النجوم ، وتبدل الأرض غير الأرض والسموات .

٢ — هذه كلمة حق وصدق ، صدر بها المرحوم الإمام محمد مصطفى المراغي كتاب « محمد » للمرحوم الدكتور محمد حسين هيكل ، فكانت — فيما أرى — تفسيرا مستنيرا لقسم الله بحياته ﷺ حيث قال : لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ، فإن فيه من الإشارة إلى عظمته ما في القسم بمواقع النجوم ، والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها . والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها . والسماء وما بناها والأرض وما طحاها . ونفس وما سواها بل لقد وصفه الله بما هو أعظم من الكون كله حيث قال : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وحيث قال : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » .

٣ — وقد كان ﷺ — قبل أن يولد — صورة وضيئة مضيئة تتألق في ضمائر الأنبياء قبله ، ويتضوع بها ذكره وعطره فذلك ما يفهم من قول الله سبحانه « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » وقول عيسى عليه السلام فيما يحكيه القرآن عنه « يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » ودعاء إبراهيم وإسماعيل قبل عيسى وموسى : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » فقد استجاب الله دعاءهما ، فجعل منهما أمة مسلمة ، وبعث في هذه الأمة رسولا منها إليها وإلى الناس كافة . وكان عمله فيها كما يفهم من قوله تعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » وبذلك وغيره يفهم جوابه صلى الله عليه وسلم لأبي أمامة رضي الله عنه وقد سأله : ما كان بدء أمرك . . ؟ فقال . دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى بي ، ورأت أمي

أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام .

٤ — وقد وقع ما رأته أمه ﷺ في المنام قبل وضعه ، فكان نوراً كما يفهم من قول الله فيه : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » وقوله فيه « وسراجا منيرا » وكان القرآن الذي أنزل عليه نورا كما يفهم من قوله تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » ، وقد امتد نوره ﷺ فسطع فوق ربوع الشام ، وأشرق في كل أفق ، وتألق في كل اتجاه ، ولا يزال هذا النور — مع ما أصاب المسلمين من ضعف ، يزحف خلف الظلام ليضيء العالم بهديه ، ويعطر الوجود بشذاه ، لأنه نور الله ، « والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

٥ — أما مكانته ﷺ الله عليه وسلم بين الأنبياء قبله ، فيشير إليها قوله تعالى : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » وقوله جل شأنه : وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » وقوله سبحانه « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » وإذا كان تفصيل ذلك يطول ولا يستوفيه استيعاب ، فحسبنا أن نذكر قوله تعالى : « ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » .

إن مكانته ﷺ بين الرسل هي مكانة الشمس بين الكواكب والنجوم :

وكل آى أتى الرسل الكرام بها
فانما اتصلت من نوره بهم

صلى الله عليه ، ونفعنا بهديه ، ووفقنا إلى الاقتداء به . والسير على طريقه ، فانه المثل الأعلى ، والأسوة الحسنة « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

عبد الرحيم فوده

وزيرة صدق

لفضيلة الدكتور
عبد الحليم محمود
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رضى الله عنها : لقد كانت تسمى وزيرة صدق .

وكانت تسمى : الطاهرة .

وكانت تسمى : سيدة نساء قريش .

قال المؤرخ الكبير ابن إسحاق عن السيدة خديجة رضى الله عنها :

وكانت خديجة وزيرة صدق .

ويقول السهيلى صاحب الروض الأنف .

وخديجة بنت خويلد تسمى : الطاهرة فى الجاهلية والإسلام .

وفى سير التيمى : أنها كانت تسمى سيدة نساء قريش .

وقالت عائشة رضى الله عنها :

كان رسول الله ﷺ : إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها واستغفار لها ، فذكرها يوما ، فحملتنى الغيرة فقلت : لقد عوضك الله من كبيرة السن ! قالت : فرأيته غضب غضبا . فأسقط فى يدى وقلت فى نفسى : اللهم إن أذهبت غضب رسولك عنى لم أعد أذكرها بسوء . فلما رأى النبى ﷺ ما لقيت قال : كيف قلت ؟ والله لقد آمنت بى إذ كذبنى الناس وآوتنى إذ رفضنى الناس ، ورزقت منها الولد وحرمته منى . قالت : فغدا وراح على بها شهراً » .

ولسنا هنا بصدد التأريخ لحياة وزيرة الصدق الطاهرة سيدة نساء قريش ، وإنما نريد أن نرسم بعض لوحات من حياتها لنرى منها الدرجة السامية التى كانت عليها روية ، وعقلا ، وفطرة طاهرة ، وذكاء ، وفطنة .

وصلتها بالرسول ﷺ : تبدأ فى صورة وثيقة بعمله لها فى مالها متاجرا به : ولقد عرفته ، بسبب ذلك ، بصورة طبيعية ، عن قرب ، ولاحظت متعمدة وغير متعمدة الكثير من الخلال الجميلة التى تحلى بها ، وحدثها غير واحد عن وكيلها فى التجارة

وحدثها ميسرة حديثا مثيرا يبعث فى النفس العجب والإعجاب .

وبدأت فكرة الزواج بمحمد تتبلور فى نفس الطاهرة شيئا فشيئا ولكنها ما كانت تتعجل الأمور، وها هى ذى تذهب إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وتذكر له ما لاحظته من صفات محمد وأحواله وتذكر له ما قاله ميسرة مما رآه ومما سمعه ، فيقول ورقة :

« لئن كان هذا حقا يا خديجة ، إن محمداً لنبى هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى ينتظر ، هذا زمانه » اهـ .

وعادت خديجة من عند ابن عمها وقد أصبحت فكرة الزواج بمحمد أكثر تبلورا وأكثر جاذبية وما كانت الجاذبية فى أساسها أو فى أهدافها تتمثل فى الجانب الجسمانى ، وإن كان محمد من أحسن الناس خلقا ، وما كانت تتمثل فى جانب الثروة فما كان محمد صاحب ثراء عريض ، وإن كان عنده من الذكاء ما يمكنه ، ولو أراد أن يكون من أصحاب الثروات .

وإنما كان منطلق الجاذبية هذه السمات الخلقية الكريمة ، وهذه الروحانية البادية ، وهذه الإشراقات التى تتلألأ ثم تخفت ثم تعود إلى لألائها . من جديد

وذات يوم بدأت الطاهرة فى الأخذ فى المقدمات .

ولم تكن المقدمات مقدمة واحدة :

أما أولاها فيا نرى فهو ما رواه الفاكهى فى كتاب مكة قال :

عن أنس أن النبى ﷺ : كان عند أبى طالب فاستأذنه أن يتوجه إلى خديجة فأذن له .

وبعث بعده جارية له يقال لها بعة فقال انظرى ما تقوله له خديجة . قالت بعة : فرأيت عجبا ما هو إلا أن سمعت به خديجة فخرجت إلى الباب .

وكان مما قالت : أرجو أن تكون أنت النبى الذى ستبعث فإن تكن هو فاعرف حق ومنزلتى وادع الإله الذى يبعثك لى ، قالت : فقال لها : والله لئن كنت أنا هو قد اصطنعت عندى ما لا أضيعه أبدا وإن يكن غيرى فإن الإله الذى تصنعين هذا لأجله لا يضيعك أبداً وقد روى القصة الفاكهى ورواها الإمام ابن حجر ولم يضعفها وما من شك فى أن هدف الطاهرة هدف نبيل

ولقد لاحظ محمد كل ذلك حين قال لها « فإن الإله الذى تصنعين هذا لأجله » أى أنها لم تصنع هـذا إلا من أجل الإله الحق الذى تعتقد أن محمدا سيكون رسوله .

وأما المقدمة الثانية : فهى ما حدثت به نفيسة بنت منبة قالت : كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير ، وهى يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالا وكل قومها كان حريصا على الزواج منها . لو قدر على ذلك ولقد طلبوها ، وبذلوا لها الأموال ، فأرسلتنى دسيساً إلى محمد بعد أن رجع فى عيرها من الشام .

فقلت : يا محمد ما يمنعك أن تتزوج ؟

فقال : ما بيدى ما أتزوج به ؟

قلت : فإن كفيت ذلك ، ودعيت إلى الجمال والمال ، والشرف ، والكفاءة ألا تجيب ؟

قال فمن هى ؟

قلت خديجة ،

قال : « وكيف لى بذلك »

قالت : قلت على .

قال « فأنا أفعل »

فذهبت فأخبرتها .

وأصبحت المسألة واضحة فى ذهن محمد ﷺ

أما المقدمة الثالثة : فهى المقدمة المباشرة يقول السهيلى : وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به ، بعثت إلى رسول الله ـ ﷺ ، فقالت له ـ فيما يزعمون .

يابن عم ، إنى قد رغبت فيك لقرابتك ، وسطتك فى قومك وأمانتك وحسن خلقك ، وصدق حديثك .

ثم عرضت عليه نفسها ،

وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا ، وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا ، كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقـدر عليه وتم الاتفاق على كل شىء

وجاء آل عبد المطلب : وعلى رأسهم حمزة رضى الله عنه وأبو طالب إلى بيت خديجة وكان فى استقبالهم عم خديجة عمرو ابن أسد ، وابن عمها ورقة بن نوفل .

وقام أبو طالب خطيباً فكان مما قال :

أما بعد : فان محمداً ممن لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح به شرفاً ونبلا وفضلا وعقلا ، وإن كان فى المال قل ، فانما المال ظل زائل ، وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك ، ورضى عمرو وقال : هو الفحل لا يقدع أنفه ، ورضى ورقة .

وتم الزواج .

هذه هى اللوحة الأولى : وهى دليل واضح على الروية والنضج والذكاء وحسن التأنى للأمور وحسن الاختيار .

واللوحة الثانية جميلة حقا ، رائعة حقاً وإنه ليتمثل فيها وضوح ، العبقرية والنضج النادر .

لقد سارت الحياة رخاء فى عش الزوجية :

لقد كان محمد بالنسبة لخديجة الأخ والابن والزوج وكانت بالنسبة له الأخت والابنة والزوجة ، لقد كان بينهما حنان وعطف وحب ، وكان بينها من قبل ذلك ومن بعده تقدير متبادل .

وذات يوم :

« رجع رسول الله ﷺ : يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال :

زملونى زملونى .

فزملوه حتى ذهب عنه الروع (١) »

لم يكن هذا شأن محمد ﷺ : فيما مضى ولقد لاحظت وزيرة الصدق تغيراً محسوساً فى شأن محمد فجلست تنتظر أن يحدثها الحديث ، جلست يسرح بها الخيال ويعلوها الإشفاق ، وانتظرت وكان الانتظار طويلا . . . وفى النهاية : ها هو ذا يتحرك ويأتى نحو خديجة فيحدثها بما يذهلها ويسعدها من خبر الوحى ، والملك ، ومجىء الحق وهو فى غار حراء ، ثم قال لها :

« لقد خشيت على نفسى » .

وتسارع الوزيرة دون فتور ودون تباطؤ أو تلكؤ فتقول على ، فيها ، مقسمة على ما تقول :

« كلا والله ما يخزيك الله أبدا » .

لماذا ؟ لقد عللت ذلك قائلة : إنك لتصل الرحم وتحمل الكل ، وتكسب المعدم ، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق .

وهذا قانون سنه رب العزة وأعلنته

---

(١) البخارى .

الوزيرة ، إنه قانون له مقدماته وله نتائجه .

أما المقدمات فهى كلها تتبلور فى كلمة : « الرحمة » .

أما النتائج فانها تتبلور فى « عـــدم الخزى » .

وكان هـذا أول قانون تعلنه الوزيرة بعـــد الوحى ويؤيده الإسلام ويؤكده ويبينه من زوايا متعددة .

« الراحمون يرحمهم الرحمن » .

« ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .

« لا تنزع الرحمة إلا من قلب شقى » .

إلى غير ذلك من المبادىء الإسلامية التى تتعلق بالرحمة .

ونشطت خديجة نشاطاً عظيما .

لقد دخل فى هذه الحياة الهادئة الوديعة عنصر جديد : مفاجىء ، مذهل ، سعيد ، عذب ، وغمر خديجة شعور قوى بالمسئولية الملقاة على عاتقها وكانت رضوان الله عليها فى المستوى الجدير بهـذه المسئولية وكان أول شىء فى نظرها هو أن تصبح صورة ما حدث واضحة فى ذهنها وفى ذهن زوجها : واضحـة أسبابا ، وواضحـة موضوعا ، وواضحة غاية وهدفا ، وأرادت أن تنطلق لتسعد بالحديث فى هذا مع من يعرفون هذه الأمور فى بصيرة وفى استنارة وقبل أن تنطلق اتجهت إلى زوجها فى حنان وأخذت تمسح عن وجهه وتقول :

أبشر فوالله لقد كنت أعلم أن الله لن يفعل بك إلا خيراً ، وأشهد أنك نبى هذه الأمة الذى تنتظره اليهود ، قد أخبرنى به ناصح غلامى وبحيرى الراهب ، وأمرنى أن أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة . فلم تزل برسـول الله ﷺ حتى طعم وشرب وضحك .

فلما ضحك رســـول الله ﷺ قامت . فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت من مكانها ، فأتت غلاما لعتبة ابن ربيعة ابن عبد شمس ، نصرانيا من أهـل نينوى يقال له عداس فقالت له : يا عداس اذكرك بالله إلا ما أخبرتنى : هـل عندك عـلم من جـبريل ؟ فقال : قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التى أهلها أهل الأوثان .

فقالت أخبرنى بعلمك فيه .

قال : فانه أمين الله بينه وبين النبيين ، وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام ثم ركبت إلى الراهب وكان قريبا من مكة

فلما دنت منه وعرفها ، قال مالك يا سيدة نساء قريش ؟ فقالت: أقبلت إليك لتخبرنى عن جبريل فقال: سبحان الله ربنا القدوس ما بال جبريل يذكر فى هـــذه البلاد التى يعبد أهلها الأوثان ؟ ! جـبريل أمين الله ورسوله إلى أنبيائه ورسله وهو صاحب موسى وعيسى .

فعرفت كرامة الله لمحمد .

وكانت خاتمـــة المطاف أن أتت ورقة ابن نوفل فسألته عن جبريل ،فقال لها مثل ذلك ثم سألها، ما الخبر ؟ فأحلفته أن يكتم ما تقـول له ، فحلف لها فقالت له : إن ابن عبد الله ذكر لى ، وهو صادق أحلف بالله ما كـذب ولا كـذب ، أنه نزل عليه جبريل بحراء وأنه أخبره أنه نبى هذه الأمة وأقرأه آيات أرسل بها .

قال : فذعـر ورقة لذلك ، وقال : لئن كان جبريل قد استقرت قدماه على الأرض لقد نزل على خير أهل الأرض ، وما نزل إلا على نبى، وهو صاحب الأنبياء والرسل يرسله الله إليهم ، وقد أفدتك عنه فارسلى إلى ابن عبد الله أسأله وأسمع من قـوله وأحـدثه ، فإنى أخاف أن يـكون غير جبريل ، فإن بعض الشياطين يتشبه به ليضل به بعض بنى آدم ويفسدهم ، حتى يصير الرجل بعد العقل الرضى مدلها مجنونا .

فقامت من عنـــده وهى واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا خيرا ...

وانطلقت خـديجة بمحمد ﷺ إلى ورقة فقالت له خديجة يا ابن عم اسمـع من ابن أخيك .

فقال له ورقة يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خـبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ياليتنى فيها جذعا ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك .

فقال رسول الله ﷺ أو مخرجى هم .

قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا .

وتنفست خديجـة ملء رئتيها ونظرت إلى محمد نظرة فيها مالا يوصف من المعانى ودخل فى صلتها به عنصر جـديد : إنها زوجة رسول يوحى إليه وكأحملتها السعادة التى يحب السعيد نشرها وإذاعتها والعمل على أن يحظى بمثلها أو بنصيب منها الآخرون على أن تطوف وأن تتحدث إلى هذا وذاك فقد حملتها على أن تجرى التجارب على جبريل

نفسه ، لقد أحبت السيدة الزكية أن تضع جبريل عليه السلام موضع الاختبار والملاحظة وأن تجرى عليه بعض التجارب لتتبين أمره فى وضوح أوضح وفى تأكيد آكد وما كان يتأتى أن يدور ذلك إلا بذهن خديجة: مظهرا لفطنتها ونباهتها

يقول ابن خلدون معتمدا على الأحاديث الصحيحة :

وانظر لما أخبر النبى ﷺ : خديجة رضى الله عنها بحال الوحى أول ما فاجأه وأرادت اختباره .

فقالت : اجعلنى بينك وبين ثوبك .

فلما فعل ذلك ذهب عنه .

فقالت : إنه ملك وليس بشيطان .

ومعناه أنه لا يقرب النساء .

وروى البيهقى هذه القصة فى شىء من التفصيل : وذلك أن خديجة رضى الله عنها قالت لرسول الله ﷺ : فيما بينه مما أكرمه الله به من نبوته : يا ابن عم تستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ فقال : نعم . فقالت إذا جاءك فأخبرنى .

فبينا رسول الله ﷺ عندها إذ جاءه جبريل ، فرآه رسول الله ﷺ فقال : يا خديجة ، هذا جبريل . فقالت أتراه الآن ؟ قال : نعم . قالت فاجلس إلى شق الأيمن . فتحول فجلس ، فقالت أتراه الآن ؟ قال نعم . قالت فتحول فاجلس فى حجرى . فتحول فجلس فى حجرها، فقالت: هل تراه الآن ؟ قال نعم : فحسرت رأسها فشالت خارها ورسول الله ﷺ جالس فى حجرها فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : لا . قالت : ماهذا بشيطان إن هذا: الملك يا ابن عم ، فاثبت وابشر ثم آمنت به وشهدت أن ما جاء به هو الحق ، ولقد آمنت به منذ اللحظة الأولى لحديثه معها عن الوحى . قال ابن إسحاق : فحدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال : قد سمعت أمى فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنى سمعتها تقول: أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل عليه السلام .

قال البيهقى وهذا شىء كان من خديجة تصنعه تستثبت به الأمر احتياطا لدينها وتصديقا .

ويقول ابن خلدون أيضا :

البقية على صفحة (١٨١)

مولد الحرية والرشد والكرامة الإنسانية

للأستاذ يوسف عبد الهادي الشال

أعز الذكريات وأشرفها وأكرمها ذكرى ميلاد رسول الإنسانية . منقذ البشرية وهاديها .

منقذها من أغلال العبودية وإسار الذل وهاديها إلى صراط الحرية وملاذ الكرامة والعزة . إذ كانت دعوته صلوات الله وسلامه عليه نقطة التحول التاريخي الأكبر ، وثبت عليها الإنسانية وثبة الكمال والرشد .

فكانت النقلة هائلة خرجت بالإنسان من الظلمات المطبقة إلى النور الهادى فى جوانب حياته كلها .

جانب الاعتقاد . جانب الحياة السلوكية . جانب الحياة الاجتماعية بمعناها الشامل .

هذه الجوانب التى تشكل حياة الإنسان والتى ظل يعانى من انحرافه بها ألوان الشقاء آمادا طوالا .

ففى جانب الاعتقاد حيثما وليت الوجه قبل المشرق أو المغرب كنت لا تجد بين الناس إلا عابداً لحجر أو مقدسا لأثر أو ساجداً بين يدى بشر ، وما ماثل ذلك فى محتواه وإن اختلف معه فى الصيغة والشكل . وظلت العقول أسيرة هذه الأوهام حبيسة تلك العقائد حتى جاء محمد صلوات الله وسلامه عليه فأطلقها من عقالها ودعاها إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

ولفتها إلى استعمال العقل المتأمل :

إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .

وسبح بها من المنشأ إلى المصير .

«فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر » .

وطوف ببدائع صنع الخالق جل وعلا وجعل الكون الرحيب محرابا للفكر والتدبر والتجوال فى جنباته :

الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

وبمثل هذا الأسلوب دعا صلوات الله وسلامه عليه إلى تتبع مظاهر القدرة الصانعة تتبعا منطقياً يصل بالإنسان إلى النتيجة الحتمية التى ترفع شأنه وتهديه إلى الحقيقة التى تسمو به إلى مستوى الإنسان الرشيد .

وقد استطاع بهدى الله الذى أنزل إليه من لدن رب العزة أن يرد العقل البشرى إلى طبيعته السوية فى تصوره للألوهية واعتقاده فى الله الحق فاطر السموات والأرض الذى ليس كمثله شىء .

ومن ثم كانت العقيدة الإسلامية مصححة لما سبقها من عقائد فى مذاهب الديانات أو مذاهب الفلسفات . حيث جاءت بالدعوة إلى إله منزه عن لوثة الشرك وجهالة الخرافة مبرأ عن التشبيه الذى تسرب من بقايا الوثنية إلى الأديان الكتابية :

« قل : هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .

ومبلغ يقين العلم أن الحركات الإصلاحية العالمية وعلى رأسها حركة الإصلاح الدينى فى أوروبا التى شغلت حيزاً كبيراً من تاريخها كانت هزة من هزات الإسلام الذى تحرك مده إلى الأندلس يوم حل بالخير والبركة على هذه المنطقة من العالم المعمور .

وفى جانب الحياة السلوكية ضبط الإسلام مقاييس الخير والشر بعد أن كانت مضطربة باضطراب الفلسفات والأهواء . . .

والإسلام فى تحديده لهذه المفاهيم عادل بقدر ما هو هادف إلى المصلحة .

وملاك الاعتدال فى ميزان الإسلام أن أساس الجانب السلوكى لديه قائم على المحافظة على النفس والعقل والجسم

والعرض والمال واحترام حق هذا الحاسي للغير . .

فاعتداء الإنسان على نفسه أو عقله أو جسده أو عرضه أو ماله أو اعتداؤه على حقوق غيره حرام وهو الشر ، وما برئ من هذه الآفات حلال وهو الخير . .

وقد ركز الرسول الكريم على ذلك يوم الحج الأكبر فى خطبته الجامعة فقال فيما قال :

أيها الناس : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا » .

وتولت السنة النبوية تفصيل هذا الإجمال وبيان المعالم فى إيضاح .

ومن أجمل ما فى الإسلام أن ضبطه لمعايير الخير والشر لا يحرم الإنسان حقه فى المتعة بالحياة ولا يصادم رغبته المشوقة إلى مباهرها وطيباتها .

وجماع الأمر فى حسابه أنه لا يسمح بأن تجور رغبة على حق أو يتجاوز تطلع نطاقه الآمن .

ونصوص القرآن متضافرة على هذا المبدأ .

قال الله تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك » .

وقال : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

وقال : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .

وقال : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه » .

على أن مصدر ضبط هذه المقاييس هو الله رب العالمين الذى خلق فسوى . والذى قدر فهدى . وأبدع كل شىء وقدره تقديرا ولا مصلحة له فى الخير ولا ضرر يعود عليه من الشر وهو أعلم بما يصلح مخلوقه ثم إنه الغنى عن كل شىء فى الوجود وكل ما فى الوجود محتاج إليه سبحانه وتعالى .

وليس فى هذا الأسلوب انتقاص حق الإنسان فى الحرية . إذ الحرية المطلقة لا وجود لها فى دنيا البشر ولا يمكن أن تستقيم عليها حياة .

وتلك بدهية لا أعتقد أن عاقلا يحترم حق العقل عليه يجادل فيها أو يمارى .

وبتصحيح مفاهيم الخير والشر عدل الإسلام ميزان القيم وسار بالإنسان على نهج تصلح عليه دنياه ويسعد به فى أخراه .

ومن ثم وصف القرآن الكريم أمة الإسلام حين تتجاوب مع هذا المنهج بأنها خير أمة أخرجت للناس فقال القرآن الكريم :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . .

وضمن لهم الأمن والاستقرار والتمكين فى الأرض إذا التزموا هذا الأصل فقال :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » .

وفى جانب الحياة الاجتماعية بمعناها الشامل أقام الإسلام تنظيمه على أرسخ قاعدة وأمجدها .

تلك هى قاعدة الأخوة العامة التى لا تفضل جنساً على جنس ولا لوناً على لون وإنما تضع جماعة البشر جميعها فى مستوى واحد أمام الحقوق الطبيعية .

فالبشر جميعاً سواء فى وحدة النشأة . تحدروا من أصل واحد فهم إخوة على الرغم من تشعبهم قبائل وجماعات :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

وجعل معيار التقويم ثابتاً وأصيلا :

« إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

« إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب . ليس لعربى فضل على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض فضل إلا بالتقوى » .

وكان التطبيق العملى لمبدأ الأخوة الإنسانية فى تشريع الإسلام دون نظر إلى أى اعتبار آخر رائعاً بقدر ما كان حاسماً .

ففى مستهل الدعوة جاء نفر من أشراف مكة فى صلف الغرور وكبريائه يطلبون إلى الرسول الكريم أن ينحى من مجلسه فقراء المؤمنين حتى يستطيعوا أن يجلسوا إليه ويسمعوا منه وإذا بوحى السماء ينزل بكلمة الفصل :

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد

عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هداه وكان أمره فرطا » .

هكذا في إباء وحزم يرفض الإسلام هذا الاستعلاء الذي ينحرف بالأخوة العامة لبني البشر عن سبيلها القديم الذي يؤكد أن الناس جميعا على اختلاف مستوياتهم وتباعد أقطارهم لآدم وآدم من تراب .

وبكلام الله الجلي وتطبيق رسوله العملي دعم الإسلام مبدأ الأخوة العامة فتهاوت الحقوق المقدسة المصنوعة وذابت على حرارة الدعوة نظريات الحق الإلهي المدعاة .

وبسقوط الحقوق المقدسة تحطمت الأغلال التي كانت ترسف فيها الشعوب وتفتحت أعين الناس على حقيقتهم في الوجود وتطلعوا إلى حقوقهم في الحياة الحرة والعيش الكريم .

وغدا المجتمع الإسلامي بحق نموذجا ومثالا للمجتمع الراقي بكل ما تطيق هذه الكلمة من عمق المعاني وشامل الدلالات .

وهكذا كان استهلال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على العالم تحرير الإنسان من قيود مصنوعة عفا عليها حينا وضاق بها أحيانا كثيرة حتى رده الإسلام إلى طبيعته التي برأه الله عليها حرا عزيزا .

فإذا احتفلنا بذكرى ميلاده صلوات الله وسلامه عليه فلنتذكر مضامين الحرية والكرامة والعزة للإنسان .

ولنتذكر مع هذه المضامين الجليلة مظهرها الصحيح الذي لخصته كلمة الرسول الوضيئة المضيئة التي تبلور رسالته في إيجاز معبر :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »

ومكارم الأخلاق في منطق الإسلام لا تعني سوى :

استقامة العقيدة وبراءتها من صور الزيف .

واعتدال السلوك وخلوصه من شوائب الانحراف .

والإحساس بالأخوة العامة وطهرها من رجس الذل والأثرة والطغيان .؟

يوسف عبد الهادي الشال

تحقيقات في المعجزة والكرامة والسحر

للأستاذ مصطفى الطير

تحدثت إليك أيها القارئ الكريم في عددي ذي القعدة وذي الحجة سنة ١٣٨٨ عن حقيقة المعجزة والكرامة، وذكرت لك صورا منها، وبينت لك أن كلا منهما منحة من الله تعالى لا تأتي عن طريق ممارسة علوم أو قواعد أو تعاويذ ثم عرفت السحر وذكرت أنه يحدث باستخدام الجن والشياطين عن طريق تعاويذ ورقى وقواعد يتيسر لكل من يتعاطاها أن يأتي به، وبهذا فارق السحر كلا من المعجزة والكرامة.

وذكرت أنه علم محفوف بالخطر، فإن الجن الذين يستخدمون لتحقيقه قد يكونون كفرة فلا يخضعون للساحر إلا إذا ارتكب الكفر والفسوق والعصيان، وبينت لك أن طائفة من اليهود يزاولونه ويجاهرون بفجورهم، وينبذون التوراة وراءهم ظهريا وأن الشياطين زينوا لهم أن ملك سليمان وتسخيره للطير والريح قاما على استعمال السحر، وأن الله كذبهم فقال « نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » إلى آخر ما ذكرته، فارجع إلى العددين المذكورين ليرتبط ما جاء بهما بما سأذكره لك، ومعذرة إذ تأخر هذا المقال عن أخويه.

هاروت وماروت وسحرهما :

هاروت وماروت ملكان بعثهما الله تعالى على شكل رجلين لتعليم الناس السحر حتى يميزوا بينه وبين المعجزة لئلا يغتروا به فيشكوا في النبوة، أو لإبطال دعوى السحرة أنهم أنبياء، فقد اغتر بعضهم بما استنبط من أبواب السحر العجيبة فادعى النبوة، فبعث الله هذين

الملكين لتمكين الناس من معارضة أولئك الأفاكين الكاذبين ، وقيل كان ذلك فى زمن نبى الله إدريس عليه السلام وقيل إنهما رجلان أطلق عليهما ملكان تشبيها لهما بالملائكة لصلاحهما ، قالوا : ويعضده أنه قرئ الملكين بكسر اللام ، وبابل التى ظهرا بها فى أرض العراق ، وقيل فى أرض الكوفة .

وعلى أى القولين كانت مهمتهما إرشادية للناس بتحذيرهم من الانخداع بسحر السحرة عن طريق تعليمهم هــذا العلم وتحذيرهم من أخطاره على أنفسهم ، ولا شك أن من علم بحقيقة أمره وكان عاقلا رفض أن يؤمن بدعوى السحرة ، وأعظم أمر النبوة واهتدى كما حدث من سحرة فرعون حين التقمت عصا موسى سحرهم العظيم ، فانهم لما تحققوا من مخالفتها لمألوف السحر آمنوا بالله ، ولم يكترثوا بتهديد فرعون لهم بألوان العذاب

وقال بعض العلماء : هاروت وماروت شيطانان ، وكانا لا يعلمان أحدا حتى ينصحاه ويقولا له : إنهما مفتونان باعتقاد جواز تعلمه والعمل به فلا تكن مثلنا فى ذلك فتكفر .

وحكى المهدوى أنهما كانا يقولان ذلك على سبيل الاستهزاء لا على سبيل النصح والإرشاد وإطلاق اسم الملك على كل منهما لأنه قادر على التشكل والاختفاء كما يفعل الملائكة وعلى أى وجه مما سبق فقد قال الله فى شأنهما وشأن الشياطين الذين يعلمون سحرهم وسحر الملكين للناس : « ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم . ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

والمعنى أن الشياطين كانوا يعلمون الناس من اليهود السحر الذى كان معروفا قبل ظهور الملكين ، ويعلمونهم السحر الذى أنزل على الملكين وكان أقوى مما كان يعرفه أولئك الشياطين ، وأن هاروت وماروت ما كانا يعلمان فى زمانهما أحدا من الناس حتى يقولا له إنما نحن فتنة فلا تكفر باستخدامه والعمل به لأن فيه

استخدام الكفرة من الشياطين ، وهم لا يعاونونك إلا إذا كفرت وعصيت مثلهم ، وقيل معناه فلا تكفر باعتقاد جواز العمل به ، وقيل لا تكفر باعتقاد أنه حق وأن أثره أمر واقعى ، وهذا مبنى على رأى المعتزلة القائلين إن السحر تمويه وتخييل لا حقيقة له ، وإن من اعتقد أن له حقيقة فقد كفر ، وللعلماء فى ذلك آراء نجملها فيما يلى :

(آراء العلماء فى حقيقة السحر)

قال الألوسى والجمهور : على أن له حقيقة وأنه قد يبلغ الساحر إلى حيث يطير فى الهواء ويمشى على الماء ، ويقتل النفس ، ويقلب الإنسان حمارا ، والفاعل الحقيقى فى كل ذلك هو الله تعالى ، ولم تجر سنته بتمكين الساحر من فلق البحر وإحياء الموتى وإنطاق العجماء وغير ذلك من آيات الرسل عليهم الصلاة والسلام .

والمعتزلة وأبو إسحاق الإسترابادى من أصحابنا على أنه لا حقيقة له ، وإنما هو تخييل ، وكفر المعتزلة من قال ببلوغ الساحر إلى ما ذكرنا لأن فيه انسداد طريق النبوة .

ومن المحققين من فرق بين السحر والمعجزة باقتران المعجزة بالتحدى ، بخلافه فانه لا يمكن ظهوره إلا على يد مدعى النبوة كاذبا كما جرت به عادة الله . صونا لمنصب النبوة أن يدعيه الكذابون انتهى كلام الألوسى بتصرف .

وإنى أرى صحة ما قاله المعتزلة من أن السحر لا حقيقة له ، بل هو تخييل فقط ، وأن الساحر لا يصل إلى قلب الحقائق بحيث يجعل الإنسان حماراً ، فان ذلك متفق مع نص القرآن الشريف ، فقد قال تعالى فى حق موسى لما شاهد سحر السحرة «يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى» فقد دلت الآية على أن السحر خيال لا حقيقة له ، وهذا هو الفرق بينه وبين المعجزة مع ملاحظة ما قلناه سابقا من أن المعجزة هبة من الله وليس لها وسائل تأتى بها بخلاف السحر فانه له وسائل إذا تعلمها الإنسان تمكن منه.

(مذاهب العلماء فى حكمه)

قال الألوسى فى الاشتغال بالسحر : وقد شاع أن العمل به كفر ، حتى قال التفتازانى لا يروى خلاف فى ذلك ، لكن الشيخ أبا منصور ذهب إلى أن القول بأن السحر كفر على الإطلاق خطأ ، بل يجب

البحث عن حقيقته ، فان كان فيه رد مالزم من شرط الإيمان فهو كفر وإلا فلا »

ثم قال الألوسى : ثم السحر الذى هو كفر يقتل عليه الذكور دون الإناث ، وما ليس بكفر وفيه إهلاك النفس ففيه حكم قطاع الطريق ، ويستوى فيه الذكور والإناث ، وتقبل توبة الساحر إذا تاب، ومن قال لا تقبل توبته فقد غلطه فان سحرة موسى قبلت توبتهم .

ثم قال والمشهور عند أبى حنيفة : أن الساحر يقتل مطلقا إذا علم أنه ساحر ، ولا يقبل قوله : أترك السحر وأتوب عنه فان أقر بأنى كنت أسحر مدة وقد تركته منذ زمان قبل منه ولم يقتل واحتج بما روى أن جارية لحفصة أم المؤمنين رضى الله عنها سحرتها ، فأخذوها فاعترفت ، فأمر عبد الرحمن بن زيد بقتلها ، وإنكار عثمان عليه لأن قتلها كان بغير إذنه، واحتج أيضا بما روى عن عمر أنه قال : أقتلوا كل ساحر وساحرة ،فقتلوا ثلاث سواحر

والشافعية اعترضوا على القتل مطلقا بأنه ﷺ لم يقتل اليهودى الذى سحره ، فالمؤ من مثله لقوله ﷺ « لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين » .

واختلف فى تعليمه وتعلمه ، فقيل كفر لهذه الآية ، وقيل إنهما حرامان ، وبه قطع الجمهور وقيل مكروهان ، وقيل مباحان ، وتعليل كفر الشياطين بتعليمه فى الآية محمول على التعليم للإغواء والإضلال وإليه مال الرازى قائلا ، اتفق المحققون على أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور ، لأن العلم لذاته شريف لعموم قوله تعالى «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» ولو لم يعلم السحر لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة والعلم بكون المعجز معجزا واجب ، وما يتوقف عليه الواجب فهو واجب فهذا يقتضى أن يكون تعلم السحر واجبا لا حراما .

ثم قال الألوسى والحق عندى الحرمة كما قال الجمهور ، إلا لداع شرعى ، وتحريمه لسد الذرائع فان من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ولأن معرفة الفرق بين المعجزة والسحر ممكنة مع عدم العلم بالسحر فان وأكثر العلماء عرفوا الفرق بينهما دون أن يتعلموا السحر إلا النادر منهم، ولو كان واجبا لتعلمه أهل الصدر الأول — انتهى بتصرف .

ملحوظة – من قال بجواز تعلم السحر استدل بقوله تعالى : « وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد » ففيها حصول التعليم من الملائكة للسحر وهم معصومون ، والتعلم مطاوع للتعليم فيكون جائزا مثله ورد ذلك بأن التعليم كان للابتلاء والتمييز بين المعجزة والسحر لمقتض يقتضيه وقتئذ، ثم ذكر القائلون بالتحريم أن السحر إذا فشا وأريد تبيين فساده للناس ليرجعوا إلى الحق فلا يكون حراما ، كتعلم الفلسفة لمن يتصدى للذود عن الدين ورد الشبه عنه وإن كان أغلب أحواله التحريم .

ويلاحظ أن الاستدلال بتعليم الملكين لا يتم إلا إذا فسرناهما على حقيقتهما أما على رأى من قال : إنهما شيطانان فلا يتم له إلا الاستدلال بذلك على جواز تعلم السحر .

(حكمة تحريم تعلم السحر)

علمت مما تقدم أن الجمهور يرى حرمة تعليم السحر وتعلمه سدا للذرائع ، فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، وعلمت أن هذا الرأى هو الحق ، فإن السحر سلاح ذو حدين ، فكما يستعمل للمعرفة والتفريق بينه وبين المعجزة ، فإنه يستعمل لإضرار الناس ، وكما يفيد الإيمان يحمل على الكفر والفسوق والعصيان حين يستخدم صاحبه شياطين كفرة لا يعاونونه إلا إذا كفر أو ارتكب معصية ، وقد بينا ذلك فى المقال الأول .

ومن أضراره أنه يستعمل للتفريق بين الزوج وزوجته بإزالة الألفة والمحبة بينهما وإحلال البغضاء والشحناء محلهما حتى يتفرقا ، « وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله » أى بالتخلية بين ضرر السحر وبين المسحور ، فإنه تعالى جعل الأسباب ورتب عليها مسبباتها فى السحر وغيره، فكما شاء » أن يتأثر الصحيح بجراثيم مرض العليل ، فكذلك رتب مسببات السحر على أسبابها لحكم يعلمها وليس للساحر سوى ممارسة الأسباب ، إذ لا قدرة للبشر على شىء إلا بإذن الله وتمكينه .

ومن أضراره الغش والخداع والحصول على أموال الغير بدون حق ، كما ستنبيه فى الحوادث التى سنذكرها بعد ، ومنها تسليط الأمراض والعلل الروحية التى لا تنفع فيها العقاقير الطبية إلى غير ذلك

أما أضراره بمن يتعلمه فهى ممارسته له بين الناس ليطبق العلم على العمل ، واندفاعه وراء صحة التجربة إلى تطبيقه فى الخير فى الشر واستهانته بكل القيم الإنسانية والدينية ، وغروره بما أحدثه من الأضرار والمنافع حتى يفهم أنه أصبح قادرا على أن يفعل مايشاء ، قال تعالى : « ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » أى بئس ما باعوا به أنفسهم ، فبدلا من أن يزكوها بكتاب الله الذى يحض على البر والتقـــوى والتراحم والتعاطف دنسوها بالسحر الذى يقضى على كل القيم الروحية والإنسانية ، فكأنهم باعوها للشيطان ، وبئست البيعة وبئست الخسارة .

مصطفى الطير

(بقية المنشور على صفحة ١٧٠)

وكذلك سألته عن أحب الثياب إليه أن يأتيه فيها ،

فقال : البياض والخضرة ،

فقالت : إنه ملك ،

يعنى أن البيــاض والخضرة من ألوان الخير والملائـكة ، والسواد من ألوان الشر والشياطين وأمثـــال ذلك .

هــذه هى خديجة سيدة نساء قريش الطاهرة التى يصفها الذهبى فيقول : « وهى ممن كمل من النساء ، كانت عاقلة ، جليلة ، دينة ، مصونة ، كريمة ، من أهل الجنة ، وكان النبى ﷺ يثنى عليها ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين ويبالغ فى تعظيمها »

لقد كانت حقا وزيرة صدق !

هذا وبالله التوفيق .

د . عبد الحليم محمود

حول إعجاز القرآن الكريم :

قوله تعالى "أم يقولون افتراه"

للدكتور محمد أحمد الغمراوي

— ١ —

هذه الكلمات الكريمة الثلاث وردت في الكتاب العزيز أول مرة [١] في آية التحدي بعشر سور مثل القرآن في سورة هود : « أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » .

وكلمة (مفتريات التي لم ترد في القرآن الكريم إلا هذه المرة ، فيها إعجاز في الرد على قولهم (افتراه) ، إذ فيها إقامة الحجة عليهم من نفس قولهم — قالوا افترى محمد القرآن ، فأمر الله رسوله أن يجيب : إن كنت افتريت السور الكثيرة التي بين أيديكم من القرآن فافتروا أنتم عشرا مثلها ، فالممكن لي وحدي على زعمكم ممكن لجمعكم من باب أولى ، بل واستعينوا بمن شئتم من أهل الفصاحة والمعرفة لتعلموا ، إذا عجزتم رغم ذلك عن عشر سور ، أنى من باب أولى أعجز عن إحدى وخمسين [١] .

هذا التحدي لم يوجه إليهم إلا بعد أن كانت دعواهم على النبي قد أقيم الدليل على بطلانها مرتين : مرة في نفس آية التحدي ، بالأمر الجليل (قل) خطابا له صلى الله عليه وسلم ، ومرة في الآية قبلها بضمائر الخطاب المتكررة : (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لو لا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ، إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل) إذ من غير المعقول أن يفترى القرآن من هو مخاطب به على ذلك الوجه من الخطاب في الآيتين الكريمتين

---

(١) حسب ترتيب نزول الوحي بآيات التحدي عند جمهور المفسرين .

(١) عدد السور التي كان الوحي قد نزل بها قبل نزوله بآية التحدي في سورة هود حسب الاتقان للسيوطي وتاريخ القرآن المثبت في ديباجات السور في المصحف الشريف الذي أشرفت على طبعه لجنة الشيخ خلف الحسيني شيخ المقارىء في عهده .

وفيما بين ذلك وقع الاستفهام الإنكارى (أم يقولون افتراه) موقعه فكان فى الواقع أقوى مبطلات دعوى الافتراء ، إذ من الواضح من موقعه فى الآيتين أنه صادر من الحق سبحانه الذى هو على كل شيء وكيل والذى يوجه إلى رسوله الكريم تلك الصور الجليلة من صور الخطاب .

ثم وردت الكلمات الكريمة الثلاث فى ثانية آيات التحدى حسب ترتيب نزولها آية سورة يونس التى وقع فيها التحدى بسورة مثل القرآن والترقى واضح فى التحدى بسورة بعد التحدى بعشرة . فهل يا ترى هناك أيضاً ترق يقابله ويناسبه فى الآيتين قبل آيتى التحدى ؟ هذا ما سنحاول بعون الله أن نتبينه فى هذا البحث ثم نستعرض بمشيئة الله الآيات الأخرى التى بدئت بنفس الكلمات الكريمة الثلاث . وقد مر الكلام باختصار على ثنائية التحدى ــ آية التحدى والتى قبلها ــ فى سورة هود . فلم يبق إلا النظر فى نظيرتها من يونس .

ثنائية التحدى فى سورة يونس :

الآيتان الكريمتان فى سورة يونس هما : « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ، أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » .

وواضح أن موضوع الآية الأولى هو القرآن الكريم الذى سيبلغ التحدى به ذروته فى الآية الثانية ، فانظر كيف مهدت الآية الأولى لبلوغ التحدى تلك الذروة : قرر صدرها امتناع القرآن على الافتراء ، إذ جعله الله غير قابل لأن يفترى : « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله » ، وصار وسطها مستودع سر استحالة أن يفترى « ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب » فهذه صفات ذاتية ميز الله بها القرآن لتحول دون إمكان افترائه ، ثم أكدت خاتمة الآية الكريمة كل ذلك أبلغ توكيد ــ أولا : ينفى الريب عنه نفيا باتا (لا ريب فيه) ، وثانيا بتقرير أنه (من رب العالمين) رب عوالم الغيب وعوالم الشهادة فى الأرض وفى السماء ، حتى لا يستعظم ناظر ما أودع الله فى القرآن من خواص ميزته من بين الكتب المنزلة ،

وحالت بجملتها وتفصيلها دون إمكان افترائه على الله .

فالناظر في قوله تعالى « ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب » . تحديداً لماهية القرآن وذاتيته إذا صح هذا التعبير - ينبغي أن يلتمس وجه المعنى الذي يجعل افتراء شيء من القرآن أمراً مستحيلا على من يحاوله ، كاستحالة خلق نبات أو حيوان من عناصره الأولية في المعمل ، وهي الاستحالة التي أقام الله منها برهانا أنه الإله وحده ، وضرب الله لها مثلا في قوله تعالى مخاطباً للمشركين به : « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » [١] .

كذلك يستحيل على الشاكين في أن القرآن من عند الله أن يخلقوا من عناصر اللغة ومعاني الوجود شيئا يمكن أن يكون له مميزات آية طويلة أو سورة قصيرة من القرآن ، فلننظر الآن فيما قاله أئمة التفسير في قوله تعالى : « ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب » ، هل هو كاف في تعليل ما صدرت به الآية الكريمة من أن القرآن مستحيل افتراؤه وإذا لم يكن ما قالوه كافيا فهل من الممكن من غير خروج عن اللغة وقواعدها أن نتوسع في معنى التصديق والتفصيل بحيث يصبح كلاهما حائلا دون إمكان افتراء شيء من القرآن ؟

إن المفسرين ، جزاهم الله عن كتابه خيرا فهموا من (القرآن) في الآية الكريمة جملة ، فلو لم تدل الكلمة في لغة القرآن إلا على هذا لما انتفى إمكان افتراء القرآن في الآية الكريمة إلا عنه جملة ، لكن كلمة (القرآن) تطلق أيضا على بعض القرآن كما في قوله تعالى : « إن قرآن الفجر كان مشهودا » ، وقوله تعالى : « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا » [١] .

وواضح أنه ﷺ لم يكن يقرأ كل القرآن مرة واحدة لا في الفجر عند صلاة الصبح ولا على الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإنما كان يقرأ بعض القرآن ، وإذن فكلمة

---

(١) الآية ٧٣ من سورة الحج .

(١) الآيتين ٧٨ ، ٤٥ من سورة الإسراء .

(القرآن) فى صدر الآية الكريمة يجوز بل ينبغى أن نحمل على بعض القرآن ، فيكون إمكان الافتراء منتفيا عن أقصر سورة وما فى حكمها من القرآن ، وعن جملته من باب أولى .

وفى تفسير قوله تعالى : « ولكن تصديق الذى بين يديه » ، لم ينص على موقع (لكن) إلا أبو حيان لأنه كان أيضا إماما فى النحو . قال : « وقعت لكن هنا أحسن موقع إذ كانت بين نقيضين وهما الكذب والتصديق المتضمن الصدق » كأن الذى استلفته هو وقوعها بين (أن يفترى من دون الله) وللصدر (تصديق) والأولى أن يقال بين النفى والإثبات — بين جملة (وما كان هذا القرآن أن يفترى) ، وجملة كان التقديرية الناصبة للمصدر خبراً لها ، إذ التقدير (ولكن — كان — تصديق الذى بين يديه) كما فى المغنى [1] عن ابن مالك فى قوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) [2] ، وهذا فى الموضعين من بديع أمثلة الإيجاز بالحذف مع تمام الوضوح فى المعنى ، بل إنه يزيد فى المعنى ، إذ يسمح بأكثر من تقدير ، فمن الممكن مثلا فى الآية الكريمة التى نحن بصددها أن يكون التقدير (ولكن — جعلناه أو أنزلناه أو أنزله الله — تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب) ، ولكل تقدير منها وجاهته ودلالته ، فكما كان الحذف للاقتصاد فى اللفظ والازدياد فى المعنى ، فيكون قد جمع بين الإيجازين ، إيجاز الحذف وإيجاز القصر ، وهو باب من البلاغة القرآنية لطيف عجيب .

والفخر الرازى وحده هو الذى فسر (تصديق الذى بين يديه) على أنه يشمل المستقبل أيضا من ناحية تحقق أخبار القرآن الغيبية المستقبلة ، والعلامة الألوسى لم يرض هذا وإن لم ينسبه إلى الرازى ، وقال إنه ليس بشىء ، مع أن من الممكن توجيهه بتفسير للألوسى نفسه زاده على ماقاله أئمة التفسير فقد جعلوا التصديق من القرآن للكتب المنزلة قبله كالتوراة والإنجيل ، أى جعلوا الإضافة بين المصدر والاسم الموصول من باب الإضافة إلى المفعول وزاد الألوسى على ذلك وجه الإضافة إلى الفاعل فيكون التصديق أيضاً من الكتب المنزلة للقرآن ، فهو كغيره من أئمة التفسير إلا

(١) الآية ٤٠ من سورة الأحزاب .

(٢) مغنى اللبيب لابن هشام جزء أول ص ٢٠٩ الطبعة الأولى .

الرازى فقد قصر معنى (الذى بين يديه) فى الآية الكريمة على الكتب المنزلة ، وأخذ فى تفسيره التصديق بالوجهين جميعاً ، أى على الجمع لا على التخيير ، وهو أول من رأيته فعل ذلك من المفسرين عند تعدد الأوجه كما ينبغى لكتاب الله [١] .

فجعل تصديق الكتب للقرآن « بأن ما فيه من العقائد الحقة مطابق لما فيها ، وهى مسلمة عند أهل الكتاب » وجعل تصديق القرآن للكتب « أنه دال على نزولها من عند الله ، ويشتمل على قصص الأولين كما ذكر فيها » ، وقوله بالمطابقة فى العقائد يحتاج إلى تعديل ، ولا أدرى كيف فاته أن القرآن الكريم ينكر على أهل الكتاب ويصحح لهم عقيدتهم فى عيسى عليه السلام مثلا ، وكذلك قوله فى القصص ، ومثله قول الرازى فى نفس المناسبة إن القرآن أتى « مشتملا على أقاصيص الأولين موافقة لما فى التوراة والإنجيل » كأن الإمامين قالا قولهما من غير رجوع إلى ما بأيدى القوم من التوراة والأناجيل ، وإلا لتبينا أن القرآن يصحح من القصص عندهم كما يصحح من العقائد .

وأعجب من قول الإمامين الرازى والألوسى بإطلاق المطابقة ، قول أبى حيان فى البحر عند الكلام على نفس العبارة من الآية الكريمة « ولا يقوم البرهان على قريش إلا بتصديق القرآن ما فى التوراة والإنجيل » وما كانت قريش تعلم ما التوراة ولا ما الإنجيل ، وما كان الله ليجعل برهانه متوقفا على ما يقول أهل الكتاب صدقوا أم كذبوا ، ومن أحبارهم من سألتهم قريش : أديننا خير أم دين محمد ، فقالوا دينكم - أى وثنيتكم - خير ! فلعنهم الله من أجل ذلك فى كتابه إذا أنزل على رسوله (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) [١] .

والإمام ابن كثير هو الذى راعى جانب رقابة القرآن وهيمنته على الكتب المنزلة قبله إذ يقول فى تفسير قوله تعالى (ولكن تصديق الذى بين يديه) « أى من الكتب المتقدمة ، ومهيمنا عليها ومبينا لما وقع فيها

---

(١) إن لم يمنع من أحد الأوجه مانع صحيح .

[١] تفسير ابن كثير للآيتين ٥١ ، ٥٢ من سورة النساء .

من التحريف والتأويل والتبديل » ومستنده في هذا وإن لم يذكره هو لا شك قوله تعالى في الآية (٤٨) من سورة المائدة : (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) والتعبير عن التصديق باسم الفاعل هنا بدلا من المصدر هناك يدل على أن إضافة المصدر إلى الاسم الموصول هو من إضافته إلى مفعوله لتكون اليد العليا في التصديق هي للقرآن على الكتب المنزلة ، وبخاصة على التوراة والإنجيل اللذين نزلا مباشرة بين يديه ولا يبقى عمل ما فيها يتعلق بالقرآن والكتب المنزلة ، للوجه الآخر الذي ذكره الألوسي ، وجه الإضافة إلى الفاعل ، لأن مواطن الاتفاق بين القرآن وبين الكتب المنزلة هي هي لا تتغير ، ولكن يتغير اعتبارها . فعند أهل القرآن هي تصديق منه للكتب ومنها التوراة والإنجيل وهي عند أهل الكتاب تصديق من التوراة والإنجيل للقرآن ، أو هكذا ينبغي أن تكون إن صدقوا الله وصدقوا أنفسهم وعندئذ يلزمهم أن يؤمنوا بالقرآن وهو إلزام ألزموه مرات في القرآن العظيم في آيات بعضها أشد من بعض ، وفيها القرآن هو المصدق دائما . فمن أشدها قوله تعالى (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ، وكان أمر الله مفعولا) [١] ومن بينها آية تذكر الوجهين جميعا ، هي قوله تعالى : (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) [٢] فانظر كيف جعلت الآية القرآن هو المصدق على اسم الفاعل ولو جعلت غيره من الكتب مصدقا له لتساوى الطرفان ، والقرآن هو الأصل لا مساوى له في الكتب المنزلة قبله ثم انظر كيف تجنبت الآية وصف غيره بالتصديق في ست كلمات حققت المقصود من التصديق لو عبرت به ، وأظهرت الحجة المنطوية فيه (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) فكان ذلك في الآية من وجوه إعجازها .

إن الوجه ـ وجه إضافة المصدر إلى فاعله ـ

---

[١] الآية ٤٧ من سورة النساء .

[٢] الآية ٨٩ من سورة البقرة .

الذى به إليه العلامة الألوسى وثبت أن فائدته اعتبارية فيما يتعلق بالقرآن الكريم والكتب المنزلة قبله ، هو الوجه الذى لا غنى عنه فى تحقيق ما به إليه الإمام الرازى من أن (الذى بين يديه) فى الآية الكريمة تفيد ما بعد القرآن ، ممتداً فى المستقبل ، كما تفيد ما قبل القرآن ، ممتداً فى الماضى ، والامتداد فى الماضى يذهب إلى ما لا يعلم مداه إلا الله ، من بدء خلق السموات والأرض قبل بدء خلق الإنسان ، والامتداد فى المستقبل لا يقف عند الغيبيات المتعلقة بأمور الدنيا التى أشار إليها الرازى ، ولكن يذهب إلى ما وراء ذلك مما يتعلق بأشراط الساعة ، وأمور القيامة ، ثم بالحياة الآخرة . فهذه كلها اختص القرآن بتوكيدها وتفصيلها حتى صارت ميزة له عظمى على التوراة والإنجيل وما أنزل قبلهما من كتاب ، وستتحقق لا شك فى المستقبل على الوجه الذى ذكر الله فى القرآن عندما يشاء سبحانه ، فيكون ذلك تصديقاً لكتابه العزيز . فانظر ماذا جمع الله لعباده فى تلك الكلمات الجليلة الخمس (ولكن تصديق الذى بين يديه) .

والذى صح لهذه المعانى كلها أن تفهم فى العربية من هذه الكلمات القليلة هو أنها من عند الله ، ثم أمران على الأخص : التعبير بالمصدر (تصديق) بدلا من اسم الفاعل (مصدق) ، ومجىء (الذى بين يديه) مطلقاً غير مقيد ، ليشمل المستقبل كما يشمل الماضى . ولو كان التعبير (ولكن مصدق الذى بين يديه) لما جاز فيه وجه الإضافة إلى الفاعل ليشمل المستقبل ، وبخاصة أخبار الآخرة والقيامة وأشراطها ولذا جاء التعبير باسم الفاعل لما اقتضى المقام تخصيص (ما بين يديه) كما فى قوله تعالى (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه). والمقام كان مقام ذكر الكتب الثلاثة وما خصها الله به من فضل ، وما أوجب على أهليها من حكم بها ، فى الآيات ٤٤ إلى ٤٨ من سورة المائدة . إن فيها تدرجا عجيباً وبخاصة من ناحية تصديق بعضها بعضاً . فليس بين أوصاف التوراة فى الآية ٤٤ : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) الآية أنها مصدقة لشىء من الكتب قبلها. فهى خاصة باليهود مقصورة أحكامها عليهم

كما توضحه الآية ٤٥ : (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس)[1] الآية . لكن الإنجيل وصف بأنه مصدق للتوراة فى الآية ٤٦ : (وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة) الآية . فقصر تصديقه على التوراة لم يتعدها إلى كتاب قبلها . فلما وصف القرآن فى صدر الآية ٤٨ : (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) جمع الله له بين التصديق والهيمنة على التوراة والإنجيل وما سبقهما من كتاب ، ، لأن الألف واللام فى قوله تعالى (من الكتاب) للجنس ، كما هى للعهد فى قوله تعالى (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق) . وكون أداة التعريف للعهد تارة وللجنس أخرى ، من أسرار العربية العجيبة التى أعدها الله فى سابق علمه لتكون لغة كتابه العزيز المعجز من جميع الوجوه ، ومنها هذا الإيجاز الجامع الذى نحاول بسط ما جمع فلا نستطيع إلا بقدر مقدور ؟

محمد أحمد الغمراوي

[1] سريان حكم هذه الآية فى الإسلام راجع إلى ذكرها فى القرآن وحكمه الذى بها . وهذا نوع من تصديق القرآن للتوراة .

يقول الله تعالى :

وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين ، وإنه لفى زبر الأولين ، أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل ، ولو نزلناه على بعض الأعجميين ، فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين .

العمل والعمال في المجتمع الإسلامي

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

— ١ —

يحتل العامل مكانة كبيرة في المجتمع ، فهو دعامة الإنتاج ، وعنصر فعال من عناصر النشاط الاقتصادي في الأمة ، واليد المحركة لمرافق الدولة ، والساعد القوى للأمم في بناء نهضاتها الاقتصادية والاجتماعية .

والعمل — لغة — يشمل كل شيء ، حتى التفكير ، لأنه عمل عقلى ، لفظ صغير ومدلول واسع كبير ، فالموظف عامل ، والوزير عامل ، وهكذا .. وإن كان الاصطلاح العرفى يفسره بأنه العمل اليدوى في جميع مرافق الإنتاج ، وفي هذا المجال تعمل طائفة كبيرة في دواوين الدولة ، وفي شتى المؤسسات والهيئات ، ويعرف بعض الكتاب العامل بأنه « أى إنسان — ذكراً أو أنثى — يعمل لحساب الغير أو تحت سلطته أو إشرافه في أى عمل ، نظير أجر ، ويطلق العمل أيضاً في العرف الخاص على العمل في الصناعة .

وكلمة عمل ومشتقاتها في القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف لها معنيان :

الأول : العمل الذى لا يكتسب منه الناس معاشهم « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » .

الثانى : للمهنة التى يكتسب منها الناس رزقهم ومعاشهم ، « أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر » .

وكلمة « عامل » بهذا المعنى الثانى لا يقتصر استعمالها في الإسلام على الأجراء وأصحاب المهن اليدوية ، كما يتبادر إلى الذهن عند سماع كلمة « عامل » ، بل استعملت أيضاً للدلالة على أصحاب الوظائف المتوسطة كمحصل الزكاة ، والكبيرة كالولاة ، حتى جعلها بعض مفسرى الحديث شاملة لخليفة المسلمين ، فهو عامل ، كما أن الصانع عامل أيضاً ، وبهذا فسر المحدثون كلمة عامل في قوله ﷺ : (ما تركت بعد نفقة عيالى ومؤونة عاملى

صدقة » ، فقال ابن حجر : المراد بالعامل فى هذا الحديث « القيم على الأرض والأجير ونحوهما ، أو الخليفة بعده » . وكذلك قال القسطلانى ، وقال النووى : « هو القائم على الصدقات والناظر فيها » ، وقيل كل عامل للمسلمين خليفة أو غيره لأنه عامل النبى ﷺ ونائبه فى أمته .

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يعمل فى التجارة ، فلما تولى خلافة المسلمين بعد رسول الله صلوات الله عليه أراد أن يستمر فى التجارة مع قيامه بشئون الخلافة حتى يعيش من كسب يده هو وأهله ، كيلا يمس شيئاً من بيت المال يأخذه لنفسه ، فاجتمع عمر والصحابة ، وقالوا له : لا تعمل وليكن عملك هو القيام بخلافة المسلمين وحدها ، وليكن لك مرتب من بيت المال تعيش منه فقبل أبو بكر على مضض ، قبل أن يكون له مرتب يسد به ضروريات الحياة ، وفى هذا المقام يقول رضى الله عنه : (قد علم الناس إن حرفتى لم تكن لتعجز عن مؤونة أهلى ، وقد شغلت بأمر المسلمين ، فيأكل أهل أبى بكر من هذا المال) فقد جمع أبو بكر بين اشتغاله بالتجارة واشتغاله بالخلافة حين جمعها فى دائرة واحدة ، فكلاهما عمل وكلاهما حرفة ، وصاحبهما عامل .

وقد عبر أبو مسلم الخولانى عن هذه الحقيقة عندما دخل على معاوية فى قصر الإمارة بالشام ، فقال : سلام عليك أيها الأجير ، فقالوا : قل السلام عليك أيها الأمير ، فقال : السلام عليك أيها الأجير ، فقالوا : قل أيها الأمير ، فقال معاوية : دعوا أبا مسلم فانه أعلم بما يقول ، فقال أبو مسلم : نعم إنما أنت أجير ، استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها ، فان أنت داويت مرضاها وحبست أولاها على أخراها وفاك سيدها أجرك وإلا عاقبك سيدها .

— ٢ —

والعمل شرف وكرامة ، وفريضة وواجب ، وهو مقدس ، لأنه طبيعة الحياة الحية المبدعة ، فلولا العمل ما كانت زراعة ولا صناعة ولا حياة ، ولولاه ما كانت حضارة ومدنية .

العمل شعيرتنا وشعارنا فى الحياة :

شعيرتنا لأنه فريضة علينا ، فرضها الدين ، فقد أوجبه على القادر عليه ، وجعله خير مكاسب الرجل ففى الحديث

الشريف : (ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده) وسئل رسول الله ﷺ عن أطيب الكسب فقال : عمل الرجل بيده ، وهو كذلك فريضة فرضها العقل أيضا ، لأنه سبب الحياة وقوامها ، وكان سفيان الثورى (المتوفى عام ١٦١ هـ) وهو من كبار الزاهــدين والتابعين يعيب على الذين لا يرون العمل .

العمل وسيلة شريفة من وسائل الحياة ، فى أى مدلول ، وأى اصطلاح ، وهو لغة الحياة ومظهرها ، وهو الذى جدد ويجدد دائما أسباب التقدم والمدنية والعمران ، وهو طريقنا الصاعد إلى بناء أمتنا ووطننا ، وهو السلاح فى يدنا يساعدنا على بلوغ آمالنا المنشودة فى الحرية والعزة والكرامة والمجد ، وهو المفتاح الذهبى أو السحرى الذى يفتح لنا كل مغاليق الحياة أو المستقبل ، والذى يبعث النشاط والحيوية فى شتى ضروب نشاطنا الوطنى ، وهو الذى يقودنا إلى الرخاء والرفاهية والتقدم .

ولقد أعز الإسلام العــامل ورعاه وكرمه ، ورفع من منزلته فى الحياة . .

— ٣ —

ولقد عاش كثير من الأنبياء فى بيئة العمل والعمال ، ثم تدرجوا حتى بلغوا درجة النبوة ، ومن بينهم : داود وموسى ومحمد عليهم السلام . .

— كان داود يصنع الدروع ويبيعها ويأكل من عمل يده .

— وكان موسى يعمل لشعيب عليهما السلام ، وقضى ثمانى حجج عاملا له فى ماله .

— وكان زكريا نجاراً ، وكذلك كان من قبل نوح عليهما السلام .

— وكان لقمان خياطا ، وكذلك كان إدريس ، مع صلاحه وعبادته ، وكان يتصدق من كسبه بما فضل عن قوته .

— وعمل رسول الله ﷺ فى رعى الغنم ، ثم فى التجارة ، فقضى صدر شبابه عاملا لأهل مكة فى أموالهم ، ثم عاملا لخديجة إحدى سيدات قريش فى مالها .

وكذلك عاش فى بيئة العمل كثيرون من العلماء والمفكرين فى الإسلام ، ومن هذه البيئة خرج الكثير من العصاميين والعبقريين والناجحين فى الحياة على مر العصور .

والإسلام ـ فوق أنه قد أعز العامل ورعاه وكرمه ومنحه اهتماما بعيد المدى ، وكان أكثر قادته من بيئة العمل ، ومن صفوف العمال .

وبحسبنا رسولنا الأعظم ﷺ ، فهو العامل الأول فى الإسلام .. وبحسبنا كذلك أئمة الصحابة ، فقد كان أبو بكر وعمر قبل أن يتوليا الخلافة عاملين ، وكان على ابن أبى طالب يعمل ، وكان أصحاب رسول الله يعملون ، وكان خباب بن الأرت حداداً ، وعبد الله بن مسعود راعياً ، وسعد ابن أبى وقاص صانعاً للنبال ، والزبير خياطاً ، وبلال خادما ، وسلمان الفارسى حلاقا [١] .

وكان الرسول ﷺ يحبب العمال فى مهنهم ، روى الغزالى أن عاملا جاء النبى ﷺ فقال : يارسول الله ، ما تقول فى حرفتى ؟ قال : وما حرفتك ؟ قال: حائك قال عليه الصلاة والسلام « حرفتك حرفة أبينا آدم عليه السلام ، وكان أول من نسج ، وكان جبريل يعلمه » وكذلك كان ﷺ يشجع النجارين ويقول لهم : كان زكريا عليه السلام نجارا ، وذكر ﷺ « أن من أفضل الأعمال أن تمين صانعا » (١)

[١] ص ٨ و ١٦ و ١٨ المعارف لابن قتيبة .

والعمل فى الإسلام شرف كبير ، وكانت بعض الشرائع القديمة تنظر إلى عقد العمل على أن معناه الرق والتبعية ، والبعض الآخر تقرنه بالضيم والهوان ، وكانت المسيحية تعتبر العمل عقوبة رمى الله بها البشر جزاء وفاقا على معصية أبيهم آدم فى الجنة ، فطرده الله منها ، وقال له : « ملعونة الأرض بسببك بالتعب تأكل منها ، كل أيام حياتك (٢) » ، بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض (٣) . أما فى الإسلام فالعمل شىء ضرورى للإنسان وللمجتمع وللأمة ، يوجبه الدين ويحث عليه ، ويدعو إليه ، وللعامل بسببه الثواب .

وقد نوه القرآن الكريم ببعض الصناعات

[١] ٢ : ٧٢ و ٧٣ صحيح مسلم — شرح النووى .

[٢] العهد القديم — الإصحاح الثالث — ١٧

[٣] المرجع نفسه — ١٩

التي كانت موجودة في المجتمعات القديمة وفي المجتمع العربي الذي نزلت فيه الرسالة المحمدية .

نوه بصناعة الحديد ، وذكر صناعة التعدين ، وصناعة الكساء ، والمساكن والدروع ، والسفن ، والصيد وصناعاته ، والآيات الواردة في ذلك معروفة .

والصنعة أطيب المكاسب عند الفقهاء ويستدلون على ذلك بقول الرسول ﷺ « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » ، ففي هذا الحديث — كما يذكر صاحب فتح الباري — فضل العمل باليد ، وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره ، والحكمة في تخصيص داود بالذكر أن اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده لم يكن عن الحاجة ، لأنه كان خليفة في الأرض كما قال الله تعالى ، وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل ، ولهذا أورد النبي ﷺ قصته في مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد[1] .

ويروى أن رسول الله ﷺ قبل يدا ورمت من العمل وقال : هذه يد يحبها الله ورسوله وقال ﷺ إن الله يحب العبد المؤمن المحترف[1] .

وقال رسول الله ﷺ : ما بعث نبي قط إلا رعى الغنم ، قيل : وأنت يارسول الله ؟ قال : نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » ، والقيراط نصف عشر الدينار وقيل : إن القيراط موضع ، وقال عمر بن الخطاب : إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول أله حرفة ؟ فان قالوا : لا ، سقط في عيني .

وقد تأصل حب العمل عند المسلمين ، حتى كان قادة الفكر منهم يلجأون للعمل اليدوي ليحتالوا به على سد رمقهم وحاجة عيالهم ، ولا يجدون غضاضة في ذلك ، وكان أحمد بن حنبل وهو أحد أئمة المسلمين يؤجر نفسه للعمل إن لم يجد ما ينفقه ، وكان يعمل أحيانا في نسخ الكتب بأجرة ليعيش من ذلك .

— ٤ —

وحقوق العامل في الإسلام تقابلها واجبات مفروضة عليه .

(١) ٤ : ٢٤٤ فتح الباري .

(١) ٢ : ٢٩٠ فيض القدير للمناوي بشرح الجامع الصغير

وتعنى الشريعة الإسلامية بتفصيل كل ذلك عناية كبيرة . وقد اتجه أئمة التشريع الإسلامى إلى رعاية العامل والتمكين له فى الحياة . وتتجلى عناية الإسلام بالعامل فى كثير من مسائل الفقه ، ومنها ما يلى :

أولا : يقرر الإسلام حق الفرد فى العمل ، فضلا عن نهيه عن البطالة . وكان رسول الله ﷺ يهيىء للمحتاج العمل ويدعوه إليه ، ويتيح الإسلام لمن لا مال له التعاقد مع أرباب الأموال الذين يعجزون عن تثميرها على القيام بهذا التثمير بشرائط خاصة تحقق النفع للطرفين ، ومن هذه العقود : المزارعة والمساقاة ، وعقد الإجارة ، وعقود الشركات ، وهى عقود معروفة فى الفقه الإسلامى ، وإيجاد العمل للعاطلين واجب يتعاون فيه كل فرد مع الدولة ، وهو من التقاليد الإسلامية النبيلة ، وواجب دينى جليل . والعاطل بإرادته عاص فى الإسلام ، يقول رسول الله ﷺ : « أشد الناس عذابا يوم القيامة المكفى الفارغ » ، ومعنى المكفى : الذى يكفيه غيره ضروريات الحياة والعيش ، والفارغ : العاطل الذى يخلد إلى الكسل والبطالة ، ويحذر الإسلام من البطالة وسوء نتائجها ، وفى الحديث الشريف : « إذا قصر العبد فى العمل ابتلاه الله بالهم » [١] ، ويقول رسول الله ﷺ : « أخشى ما خشيت على أمتى كبر البطن ومداومة النوم والكسل » [٢] ، ويدعوا القرآن الكريم إلى العمل : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه [٣] » ، ويقول تعالى أيضا : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله [٤] » .

ثانيا : تحديد الأجرة تحديدا واضحا ، وإلا فسد عقد العمل ، وينهى الإسلام عن استئجار الأجير حتى يبين له أجره [٥] ، وأداء أجر العامل يدخل فى العقود التى أمر القرآن الكريم بالوفاء بها ، وفى الأمانات التى أمر أن تؤدى إلى أهلها ، وفى الحديث الشريف أن ثلاثة الله خصمهم يوم القيامة ، وذكر منهم رجلا استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يوفه أجره » ، وتقدير مجهود العامل تقديراً قائما على الإنصاف والعدل ، والعلى الحدب عليه أمر مرغوب فيه فى الإسلام .

---

[١] ١ : ٤١٧ فيض القدير المناوى .
[٢] ١ : ٢١٥ المرجع نفسه
[٣] آية ١٦ سالملك .
[٤] ٥ ١١ ـ الجمعة.
[٥] ٥ : ٢٩٢ نيل الأوطار للشوكانى [٦] ٥ : ١٩٥ المرجع .

فلا يجوز أن ينتهز أصحاب الأعمال فرصة حاجة العامل إلى العمل فيبخسوه حقه ، أو يغبنوه فى تقدير أجره الذى يستحقه نظير عمله ، ولا بد أن يكون ضامنا لنتيجة مجهوده، ولذلك منع الإسلام كثيرا من المعاملات التى لا يتحقق فيها ضمان العامل لأجره ، ومن بينها إعطاء الأرض له يزرعها على أن يكون أجره مما يخرج منها ، لجواز أن لا تخرج الأرض محصولا ، وإن كان كثير من العلماء قد أجازوا مثل ذلك لما فيه من تبادل المنفعة بين الناس ، وللثقة الغالبة بإعطاء الأرض ثمراتها ومن بينها أيضا أن تكون الأجرة مجهولة القدر ، فذلك عقد عمل فاسد ، إذ لابد أن تكون الأجرة معلومة معينة . وفى الحديث الشريف : « من استأجر أجيرا فليعلمه أجره » .

وتلزم الأجرة بتمام العمل ، أو بشرط العامل دفعها إليه قبل العمل مع التمكن من الحصول على المنفعة أى العمل المقصود ويحث الإسلام على التعجيل بدفع أجرة العامل له ، فنى الحديث النبوى : « اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » ، ويحث الإسلام أصحاب العمل على إنصاف العامل بحيث تؤدى له أجوره كاملة ، فنى ذلك الأجر والثواب الكريم ، وفى الحديث المأثور عن رسول الله ﷺ : « أن ثلاثة آووا إلى غار ، فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل ، فسدت عليهم الغار ، فدعوا الله بصالح أعمالهم ، فانفرجت الصخرة فنجوا جيعا » ، وكان مما دعا به أحدهم أن قال : اللهم إنى استأجرت عمالا فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد منهم ترك الذى له وذهب فاستثمرت له أجره ، حتى صار مالا كثيرا فجاء بعد حين ، فقال : يا عبد الله أد إلى أجرى ، فقلت : كل ما ترى هو من أجرك ، هذه الإبل والبقر والغنم ، فقال : يا عبد الله لا تستهزىء بى وأد إلى أجرى فقلت : لا أستهزىء بك ، فأخذه كله ولم يترك منه شيئا، وهكذا من يؤدى للأجير أجره يصبح مجاب الدعاء من الله سبحانه .

ثالثا : حفظ كرامة العامل ، فالعمل فى الإسلام ليس ذلا أو هوانا للعامل ، بل هو سبيل الشرف والحياة الكريمة لكثير من أبناء الأمة ، لهذا يجب

تقدير منزلة العامل، واحترام معنويته، وفى الإسلام شواهد عديدة على ذلك.

ولقد كان رسول الله ﷺ يأكل مع الأجير ويساعده فى العمل، واشترط بعض العمل على صاحب العمل من العرب فقال: لتكن يدى مع أيديكم فى كل ما تتناولونه، وذكر والذى عليكم محرم، فقبل منه ذلك، وحد له ثمنه وإباؤه، فالعامل وصاحب العمل سواء فى الكرامة والمنزلة أمام الله والقانون والناس، وجعل رسول الله ﷺ الجميع إخوة، وأوجب على رب العمل إذا كان عنده خادم أو رقيق أن يطعمه مما يطعم ويلبسه مما يلبس، وإذا كان هذا شأن الخدم والرقيق فهو من باب أولى شأن العمال الأحرار، وقد نبه على ذلك ابن حجر فقال: يلحق بالرقيق من فى معناه من أجير أو غيره [١].

ويقول الفقهاء: يصح إجارة العامل أو المرضعة بكسوتهما وطعامهما، وعند التنازع فى صفة الطعام والكسوة يكون لهما الحق فى طعام وكسوة مثل طعام الزوج أو الزوجة وكسوتهما، وروى أن عليا رضى الله عنه اشترى ثوبين فأعطى خادمه الرقيق أغلاهما، وأخذ لنفسه الرخيص فقال له الرقيق: أنت يا مولاى أحق بهذا الثوب، فقال له: كلا إنك أولى به منى لأنك شاب، وأما أنا فقد هرمت. ولقد تنوعت أنواع البر التى حبس عليها أغنياء المسلمين غلائل أموالهم. فكان - كما يذكر ابن بطوطة فى رحلته - فى دمشق وقف لمساعدة الخدم فى شراء الأوانى إذا ما كسرت من أحدهم آنية للمخدوم وخاف من وقوع الأذى به [١].

رابعاً: يرى بعض الفقهاء وجوب المساواة فى الربح بين العامل وصاحب المال فكل ربح ناتج من العمل يكون بينهما مناصفة، وهذا أرفع حدود المساواة.

وهناك نصوص فى تقرير حق العامل فى فسخ عقد العمل فى أحوال منصوص عليها، وفى تقرير حق العامل كذلك فى استمراره فى القيام بواجبات عقد العمل وتقرير حقه فى المعاش إذا مرض أو بلغ سن الشيخوخة، وفى عدم إرهاق العامل

---

[١] ٥، ١٣٢ فتح البارى.

[١] ٦٠، ٦١ مهذب رحلة ابن بطوطة.

أو إعناته فى العمل . وفى الحديث الشريف « ولا تكلفوهم ما لا يطيقون ، فإذا كلفتموهم فأعينوهم » ، وقال شعيب لموسى عليهما السلام : « وما أريد أن أشق عليك » ، ولنا فى أنبياء الله ورسله قدوة حسنة ، وكذلك يقرر الفقه الإسلامى حق العامل فى الراحة الأسبوعية ، فلو استأجر رجل مسلم رجلا مسيحيا شهراً كاملا ، كانت أيام الآحاد مستثناة من العمل ، فلو كان العامل مسلما كانت أيام الجمع كذلك مستثناة من عقد العمل .

خامسا : الأجور تتفاوت بتفاوت الأعمال ، والإسلام يحترم الفروق الطبيعية فى الذكاء والجهد والاستعداد ، ويوجب إعطاء كل ذى حق حقه ، وكانت الرواتب فى صدر الإسلام تتفاوت بتفاوت أصحاب رسول الله منزلة وجهاداً فى الدين وسبقا إلى الإسلام وللعامل حق الرعاية الطبية ، وتمتد هذه الرعاية فتشمل أيام النقاهة ، وكان مستشفى قلاوون بالقاهرة يعطى كل مريض عاملا كان أو غيره حين خروجه من من المستشفى مالا يعيش به ريثما يستطيع العمل ، ويعنى الإسلام بنظافة العامل وغيره من كافة الطبقات كما يعنى بصحته ومن إتاحة أسباب النظافة للكافة ، إن حمامات المياه الساخنة كانت منتشرة قديما فى عواصم العالم الإسلامى وبالمجان ، فضلا عن مجانية الصابون ، بينما كانت الحمامات فى فرنسا مثلا من الندرة وغلاء الأجر بحيث لا يتمكن أفراد الشعب من دخولها ، ولم تنشأ الحمامات الرخيصة الأجور فى انجلترا إلا بقانون ٢٦ إبريل عام ١٨٤٦ م ، والنظافة عند المسلمين عبادة وفاتحة عبادات كثيرة ، وهى من قوانين حياتهم اليومية ، كالوضوء والغسل .

وعناية الإسلام بكل ما يكسب الفرد صحة ونشاطا ، عاملا كان أو غير عامل ، معروفة . وكذلك عنايته بنشر العلم والتعليم وإتاحتهما لكافة طبقات الشعب عمالا أو غير عمال .

وهكذا تشمل رعاية الإسلام للعامل شتى مجالات حياته : العقلية والصحية والمالية والنفسية والاجتماعية . وسواها .

هذه مكانة العامل فى المجتمع الإسلامى الذى نستمد من أصول شتى مقومات حياتنا الدينية والاجتماعية والاقتصادية . وهى توضح بجلاء أهمية العمل والعامل وضرورتهما فى تقدم الأمة . وفى انتشار الرفاهية والرخاء بين الناس . وما توفيق إلا بالله ؟

محمد عبد المنعم خفاجى

دعوة نوح كما يصورها القرآن الكريم

للدكتور محمد الطيب النجار

كانت دعوة نوح عليه السلام دعوة الحق والخير . نزلت من السماء إلى هذه الدنيا لإنقاذ الناس مما كانوا يتخبطون فيه من الزيغ والضلال والشر والفساد ، وقد نشأ نوح فى بلاد العراق بين قوم يعكفون على أصنام لهم يتخذونها آلهة ، ويعبدونها من دون الله ، فأوحى الله إليه برسالته ، وأمره أن يبلغها لقومه ليهديهم إلى الحق ، وليدعوهم إلى عبادة الله وحده ، ولينذر المخالفين الذين يتمردون عن تقوى الله وطاعته بعذاب يوم عظيم ، وهو اليوم الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين ، لتعلم كل نفس ما قدمت وأخرت ، ولتجزى كل نفس بما عملت ، فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ، وفى ذلك يقول الله عز وجل فى سورة الأعراف : « لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم » ، ثم يقول فى سورة هود : « ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إنى لكم نذير مبين ، ألا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم » ، ثم يقول فى سورة نوح : « إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ، قال ياقوم إنى لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون » . . .

... ولقد تحدث القرآن الكريم عن الأسلوب الذى اتبعه نوح فى إرشاد قومه وتبصيرهم بطريق الحق والهداية ، وهو أسلوب قوى الأساس ، متين المقدمات ، هادف إلى الغرض . . وحسبكم أن تتأملوا هذه المعانى الكريمة فى قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام : « فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ، ما لكم لا ترجون لله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجا ، والله أنبتكم من الأرض نباتا ،

ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا ، والله جعل لكم الأرض بساطا ، لتسلكوا منها سبلا فجاجا » . . ففى هذه الآيات يتدرج نوح مع قومه فى وسائل الإقناع ، وينتقل بهم من وسيلة إلى وسيلة من أجل الوصول إلى شاطىء النجاة والسلامة ، فهو يناديهم أن يطلبوا المغفرة من ربهم الغفار ، لأنه هو الذى يملك المغفرة دون غيره ، ولن تكون المغفرة إلا بتقوى الله وطاعته ، ثم يبين لهم أن تقوى الله وطاعته أساس الخير والنعمة من مولى النعم الذى يملك خزائن الرحمة ومفاتيح الرزق ، ثم يذكرهم بقدرة الله وآياته الكبرى فى الآفاق ، ويعود بهم بعد ذلك إلى التفكير فى أنفسهم وكيف أخرجهم الله من الأرض كما يخرج النبات ، حتى إذا جاء يوم حصادهم وانتهى أجلهم المحدود فى الدنيا رجعوا إلى الأرض مرة ثانية ، ثم يخرجون منها بعد ذلك إلى حياة ثانية فى الدار الآخرة وهى الدار الباقية ...

* * *

ولكن هذه الدعوة الخالدة المؤمنة لم تجد آذانا واعية ولا قلوبا مؤمنة ، بل صادفت آذانا صما وقلوبا كالحجارة أو أشد قسوة ، ولقد لبث نوح فى قومه أمدا طويلا يدعوهم ليلا ونهارا وإعلانا وإسرارا وتحمل من ألوان الأذى والعنت وبذل من التضحيات أقصى ما فى طاقة الإنسان ما لم ينله نبى قبله ولا بعده[1] ومع ذلك لم يؤمن بدعوته إلا القليل من الضعفاء والمساكين ، فأما الأغلبية الساحقة وأما الملأ وأصحاب النفوذ والسلطان فقد أعرضوا عن دعوته وأصروا واستكبروا ويقص علينا القرآن الكريم فى سورة « المؤمنون » ما وقع من هؤلاء الناس وكيف أنهم حسبوا نوحا من أولئك الذين يتطلعون إلى المجد والشهرة ، وأنه يريد أن ينال فضلا لا يستحقه ، وأنه ليس بنبى وأن الله لو كان يريد أن يبلغهم رسالة لأنزل الملائكة ، لأنهم - كما يزعمون - أولى بالرسالة من البشر ، ثم اتهموا نوحا وهو ذو العقل الراجح والتفكير السديد بالجنون وهى فرية قيلت لجميع الرسل ، وكأنما هى وصية يتوارثها الأبناء والأحفاد عن الآباء والأجداد فيواجهون بها أنبياءهم جيلا بعد جيل ، كما أخبر بذلك الله عز وجل

---

[١] وآية ذلك أنه عمر أكثر من أى نبى وأنه من فرط ما أصابه من قومه دعا الله أن يستأصلهم من الأرض

فى قوله لخاتم أنبيائه ورسله محمد صلى الله عليه وسلم حينما كذبه قومه واتهموه ـ كذلك ـ بالجنون: «كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون» ثم يمعن قوم نوح فى ضلالهم فيقولون لأنفسهم ولمن على طريقهم: تربصوا بنوح أى انتظروا بعض الوقت به حتى يبرأ من جنونه، وحينئذ يلجأ نوح إلى ربه فيطلب النصر على هؤلاء الأعداء حتى يبدله الله من الغم الذى أصابه بتكذيبهم سرورا بنصره عليهم. وذلك حيث يقول «ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال: ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين، إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين، قال رب انصرنى بما كذبون» ثم يقص علينا فى سورة «هود» تلك المحاورة التى دارت بين نوح والملأ الذين كفروا من قومه، وقد سمت هذه المحاورة إلى حد الروعة والجلال من جانب نوح عليه السلام، ولكنها انحدرت إلى حد اللغو والهذيان من جانب قومه الطغاة الظالمين ذلك بأنهم تجاهلوا فضل نوح وفضل الذين اتبعوه واتهموهم بالخسة والصغار وسموهم الأرازل، وطلبوا منه أن يطردهم من صحبته حتى يتسنى لهم أن يفكروا فى الاستجابة له، إذ لا يليق بهم وهم الأشراف الكبراء أن يجلسوا صفا واحدا إلى جوار الفقراء «الأخساء».

وقد رد نوح عليهم بما منحه الله من الحكمة وسداد الرأى. فبين لهم أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده وأنهم إذا كانوا قد كرهوا هذا الدين وهو رحمة من الله بهم فلأنهم قد عموا عن الحق فلم يروه ولم يتذوقوا جماله، ـ وهو لذلك لا يلزمهم باتباعه ماداموا له كارهين... ثم يبين لهم القيمة الحقيقية لهؤلاء الذين اتبعوه من الضعفاء او الذين كانوا يسمون بالأراذل فسماهم المؤمنين وهى تسمية تعلى قدرهم وترفع درجتهم وذكرهم، ورفض أن يطردهم من صحبته تقديرا لإيمانهم وخوفا من غضب الله عليه إن طردهم، ثم كشف لهم عن حقيقته فبين أنه لا يملك المال الذى يتخذونه إلها ويتعالون به على الناس، ولا يعلم الغيب حتى يطلعهم على

ما سيكون من أمرهم وأحوالهم، ولا يدعى أنه ملك حتى يكتسب رضاهم ويوافق زعمهم فى أن الملائكة أولى بالنبوة من سائر البشر.

وهو بهذا يواجههم بالواقع حتى لا يكثروا من المحاورة والمداورة والجدال على غير أساس ، وحتى يهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ، وإلى ذلك يشير الله سبحانه بقوله : «فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا، وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ، قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ، ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون ، ويا قوم من ينصرنى من الله إن طردتهم أفلا تذكرون ؟ ، ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنى ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما فى أنفسهم إنى إذاً لمن الظالمين » .

.. وهكذا تمادوا فى الغى والعناد ، وظلوا على كفرهم وضلالهم ، وتواصوا بآلهتهم المزعومة ، «ومكروا مكراً كباراً وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا » ثم استمر طغيانهم يتضاعف يوما بعد يوم حتى هددوا نوحا بالرجم إذا لم ينته عن دعوته « قالوا لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين » .

* * *

.. وأمام هذا الطغيان الفاجر من قوم نوح كان لابد له أن يلجأ إلى الله القوى العزيز ليجعل له من هذا الضيق فرجا ومخرجا ، ويفتح له طريقا لا يغلق أبداً إلى النجاة : «قال رب إن قومى كذبون، فافتح بينى وبينهم فتحاً ونجنى ومن معى من المؤمنين » .. ولما طال ليل الظلم وظن الناس أن الصبح ليس بقريب ، ولج الكفار فى طغيانهم وغرورهم ، وعميت أبصارهم عن العدالة الإلهية التى تمهل ولا تهمل .. حينئذ خشى نوح على المؤمنين أن يضلوا عن الحق إذا بقى هؤلاء الكفار إلى جوارهم فضاق صدره بهذه الحالة الأليمة ، واتجه إلى الله قائلا : «رب

إنى دعوت قومى ليلا ونهاراً ، فلم يزدهم دعائى إلا فرارا وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا» ثم قال : «رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ، رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا » .

« وقد صعدت هذه الدعوات الصارخة إلى الله لا يصدها حجاب ، ولا تغلق دونها أبواب . فأنزل نقمته على أولئك الذين ضلوا عن الحق وكادوا لنوح ومن اتبعه ، ثم يسر لنوح ولمن آمن معه أمرهم ، وهيأ لهم السبيل إلى الفوز والنجاة . وإذا كانت سنة الله مع المؤمنين المخلصين من عباده أن يجعل لهم من جهادهم وإخلاصهم سفينة تعصمهم من أمواج الفتن . وتنقذهم من طوفان الزيغ والضلال . وتعبر بهم إلى شاطىء الأمن والسلامة . فقد كان لنوح والذين آمنوا معه سفينتان : إحداهما سفينة الحق الذى آمنوا به وأخلصوا فى سبيله . وقد نجوا بها من عذاب الله وغضبه . واستقروا فى ظل أمنه ورضاه. وأما الثانية فهى السفينة التى أوحى الله إلى نوح بأن يصنعها حينما أراد لدولة الباطل أن تدول ولأمة الشرك والوثنية أن تزول . وحينما أراد أن يطهر الأرض من رجسهم . وينشىء عليها قوما آخرين يؤمنون بالله ويعرفون طريق الخير فيتخذونه سبيلا : « وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون . واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون » .

أما قصة السفينة . وما وقع للكفار من قوم نوح بعد الطوفان. فموعدنا بذلك فى العدد التالى إن شاء الله »

د محمد الطيب النجار

جريمة الزنا بين الشريعة والقانون

للأستاذ عبد الخالق النواوى

— ٢ —

تكلمنا فى المقال السابق عن تعريف الزنا فى القانون وفى الشريعة الإسلامية وبينا الفرق الواضح بين مفهوم القانون لهذه الجريمة ومفهوم الشريعة لها ، ثم تناولنا الشروط التى نص عليها القانون الجنائى لإثبات جريمة الزنا بالنسبة لكل من الزوج الزانى والزوجة الزانية وشريكة الزوج الزانى ، وقلنا إنها تخضع للقواعد العامة للإثبات كشهادة الشهود والقرائن والاعتراف وغيرها .

أما بالنسبة لشريك الزوجة الزانية فقد أوجب القانون فى المادة ٢٧٦ أن على القاضى أن يستمد اقتناعه على الإدانة من أدلة معينة أوردها على سبيل الحصر وهى :

(١) القبض عليه حين تلبسه بالفعل .

(٢) اعترافـــه .

(٣) وجود مكاتيب أو أوراق أخرى مكتوبة منه .

(٤) وجوده فى منزل مسلم فى المحل المخصص للحريم .

وقد سبق لنا شرح الشرط الأول من هذه الشروط وهو التلبس بالجريمة والآن نستكمل بحث بقية الشروط .

ثانيا : الاعتراف :

المقصود بالاعتراف بصفة عامة هو إقرار المتهم على نفسه بالتهمة المسندة إليه ويطلق عليه « سيد الأدلة » ومتى اعترف المتهم بارتكاب الفعل المسند إليـه جاز للمحكمة أن تكتفى باعترافه وتحكم عليه بغير سماع شهود .

والاعتراف الذى تحكم المحكمة بمقتضاه بغير سماع شهود ، يشترط فيه الشروط الآتية :

(١) أن يكون الاعتراف من المتهم نفسه ، فاذا كان من متهم على متهم فلا يعتبر اعترافا بل استدلالا لا تزيد أهميته عن أى استدلال آخر والنتيجة المترتبة على ذلك أن اعتراف المتهم على متهم لا يغنى عن سماع الشهود ولكن هذا لا يمنع القاضى من التعويل عليه متى اطمأن اليه .

(٢) أن يكون الاعتراف صريحا لا لبس فيه ولا غموض ، فهروب المتهم أو تغيبه أو تصالحه مع المجنى عليه لا يعتبر اعترافا منه بارتكاب الفعل المسند اليه كما يشترط أن ينصب الاعتراف على الواقعة ذاتها لا على ملابساتها المختلفة ، فمثلا اعتراف المتهم بتواجده فى المكان الذى وقعت فيه الجريمة لا يعتبر اعترافا منه بارتكابها .

(٣) أن يكون الاعتراف صادرا عن متهم متمتع بالتمييز ، فلا قيمة لاعتراف صادر من مجنون حتى ولو كان وقت الجريمة متمتعا بقواه العقلية ، كما أنه لا قيمة لاعتراف صادر تحت تأثير خمر أو مخدر أو تنويم مغناطيسى كما أن الاعتراف الصادر نتيجة إكراه لا يعتد به لأنه باطل وكل ما يترتب عليه فهو باطل .

(٤) أن يصدر الاعتراف من المتهم أمام سلطة قضائية ، أما إذا كان الاعتراف صادرا عن المتهم أمام سلطة غير قضائية أو أمام شهود أو فى محرر صادر من المتهم فان هذا الاعتراف لا يغنى عن سماع الشهود .

الاعتراف فى جريمة الزنا :

المقصود بالاعتراف طبقا لنص المادة ٢٧٦ من قانون العقوبات هو اعتراف شريك الزوجة الزانية على نفسه ولا يغنى ذلك اعتراف الزوجة الزانية على نفسها وعلى شريكها ولا يشترط أن يكون اعتراف الشريك صادراً أمام سلطة قضائية إذ يكفى أن يكون صادرا خارجه .

مدى تقدير الاعتراف :

الاعتراف طبقا للقاعدة الجنائية المعروفة وهو « سيد الأدلة » غير أنه فى حالات كثيرة لا يؤخذ به رغم كونه صادرا من المتهم وأمام سلطة قضائية وذلك إذا ما أراد المتهم دفع جريمة عنه يهمه عدم الكشف عنها أو تخليص الفاعل الحقيقى لارتباطه

به بصلة من الصلات أو سوء دفاع المتهم أو نتيجة خداع من أحد .

وللقاضى سلطة تقدير قيمة الاعتراف من المقارنة بينه وبين الأدلة الأخرى فاذا تبين أن هذه الأدلة لا تؤيد الاعتراف كان له أن يسقط هذا الاعتراف من ميزان حسابه بناء عليه كان للقاضى فى جميع الأحوال أن يأخذ به — أو لا يأخذ .

ثالثا : وجود مكاتيب أو أوراق صادرة من الشريك :

المقصود بهذا الدليل هو أن تصدر من الشريك خطابات أو أوراق مكتوبة بخطه أو موقع عليها منه ولا يشترط أن تتضمن هذه المكاتيب اعترافا صريحا بوقوع جريمة الزنا ، بل يكفى أن تتضمن مايدل على حصولها ، وللقاضى سلطة تقدير هذا الدليل ، فهو الذى يقدر إن كانت الكتابة الصادرة من المتهم تثبت الجريمة أم لا .

أما بخصوص الصور الفوتوغرافية التى تجمع بين المتهم والزوجة الزانية فى أوضاع مريبة ، فقد اختلف فقهاء القانون الجنائى بشأنها كدليل على إثبات جريمة الزنا .

فيرى بعض الفقهاء أن الصور الفوتوغرافية لم ترد ضمن أدلة الإثبات ضد شريك الزوجة الزانية ، والتى نص عليها القانون صراحة وعلى سبيل الحصر ، ... وبالتالى فلا تعتبر دليلا لإثبات جريمة الزنا ضد الشريك .

وهذا ما استقر عليه قضاء محكمة النقض إذ حكمت بأن الصورة الفوتوغرافية التى يظهر فيها المتهم قائما إلى جانب كرسى تجلس عليه المتهمة وكلاهما يلبس الملابس المعتادة وكل ما يلوح عليهما أن بينهما شىء من الود لا أزيد ، على أنه حتى لو كان فى مثل هذه الصورة أى وضع آخر مريب فلا يمكن أن يصلح دليلا على المتهم فى دعوى الزنا لأن القانون تشدد بحق كما تشددت الشريعة فى أدلة الزنا وهى فى هذه الحالة محصورة وليست الصور الفوتوغرافية من بينها حتى ولو كان وضعها مريبا دالا على الفعل الممنوع ، ولا يمكن قياسها على المكاتيب مع دلالتها على الفعل أن تكون كتابية ومحررة من المتهم نفسه .

ولكن البعض الآخر من فقهاء القانون الجنائى يرى أن الصورة المريبة تكفى

فى الاثبات ضد الشريك ويعيبون على حكم محكمة النقض بأن فيه شيئا من المغالاة لأن هـذه الصورة إذا كانت تدل على الفعل الممنوع فانها تعتبر فى الواقع دليلا على التلبس بالجريمة .

وهذا الرأى هـو الذى نؤيده ، إذ أن الصورة التى تجمع بين المتهمين فى أوضاع مريبة تنبئ عن سبق وجود حالة التلبس كما تؤدى بذاتها أيضا إلى إثبات هذ الحالة .

وحالة التلبس بشأن جريمة الزنا يمكن إثباتها بكافة طرق الإثبات .

حكم سرقة الزوج لأوراق الزوجة :

قد تمتد يد الزوج فى حقيبة زوجته أو دولاب ملابسها ويسرق أوراقا تثبت أن زوجته على صلة بشخص آخـر غيره ، وأن هـذا الغير قـد ارتكب معها هذه الجريمة ، فما هو حكم هذه الأوراق ؟

طبقا للقواعد العامة أن من يريد التمسك بأوراق ما يجب أن يكون قد حصل عليها بطريقة مشروعة .

ولـكن محكمة النقض قضت بأن الزوج لا يعتبر من الغير بالنسبة لزوجته وبالتالى بالنسبة للاحتفاظ بالمكاتيب وكتمانها عنه ورأت أن لكل من الزوجين أن يراقب الآخر ويتتبع أخباره ومسيره وسكون كل منهما للآخر وما يفرضه عقد الزواج عليهما من تكاليف لصيانة الأسرة فى كيانها وسمعتها ما يسمح لكل منهما عند الاقتضاء أن يتقصى ما عساه يساوره من ظنون أو شكوك لينفيها فيهدأ باله أو يتثبت منها فيقرر فيها ما يرتئيه وإذن فاذا كانت الزوجة قد حامت حولها شبهات قوية عند زوجها فانه يكون له أن يستولى ولو خلسة على ما يعتقد بوجـوده من رسائل العشق فى حقيبتها الموجودة فى بيته وتحت بصره ثم أن يستشهد بها عليها إذا رأى محاكمتها جنائيا لإخلالها بعقد الزواج .

رابعا : وجود الشريك فى منزل مسلم فى المحل المخصص للحريم :

وهذا هو الدليل الرابع والأخير لإثبات جريمة الزنا على شريك الزوجة الزانية . فوجود المتهم فى المكان المخصص للحريم فى منزل شخص مسلم يعتبر قرينة قانونية

على ارتكاب جريمة الزنا ، ولكن هذه القرينة ليست قاطعة فتقبل إثبات العكس، لذلك فهى تسقط إذا أثبت المتهم أن وجوده كان لغرض آخر .

ويستفاد من ذلك أن دخول المتهم فى منزل شخص غير مسلم لا يكون دخوله هذا قرينة عليه بالزنا فى نظر القانون ، ولكن هذا لا يمنع من أن يعتبر دخوله هذا تلبسا إذا عززته ظروف أخرى .

العقوبات :

يقضى قانون العقوبات بمعاقبة الزوجة التى ثبت زناها بالحبس لمدة لا تزيد عن سنتين ، ولكن للزوج الحق فى أن يعفو عن زوجته الزانية حتى بعد دخولها السجن فيطلق سراحها منه بشرط أن يرتضى معاشرتها مرة أخرى (المادة ٢٧٤ من قانون العقوبات) .

ويعاقب بنفس العقوبة الرجل الزانى بتلك المرأة (المادة ٢٧٥ عقوبات) .

أما بالنسبة للزوج الذى ارتكب جريمة الزنا فى منزل الزوجية فيعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ستة أشهر (المادة ٢٧٧ عقوبات) .

ويلاحظ أن النيابة العامة بصفتها صاحبة الحق فى رفع الدعوى الجنائية ضد أى متهم ، تجدها فى جريمة الزنا ممنوعة من رفع الدعوى ضد الزوجة الزانية إلا بموافقة الزوج ، وكذلك الحال إذا كان الزوج هو المتهم بالزنا فلا ترفع الدعوى الجنائية ضده إلا بموافقة الزوجة (المواد ٢٧٣ ، ٢٧٧ من قانون العقوبات و ٣ من قانون الإجراءات الجنائية) .

هذه هى جريمة الزنا وشروط إثباتها والعقوبات المقررة لها طبقا للقانون الجنائى .

وقد استبان لنا من بحث هذه الجريمة أن الشرع لم يكن له حد يلتزمه أو نطاق يعمل فى دائرته أو رقيب يعمل حسابه ، فوضع الأحكام على هواه حتى أنها اختلفت فى المسألة الواحدة تبعا لما إذا كان المجنى عليه رجلا أو امرأة ، فعقوبة الرجل الزانى تختلف عن عقوبة الزوجة الزانية ، فالزوج يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ستة أشهر ، أما الزوجة فتعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنتين .

فلماذا إذا هذه التفرقة ؟ وعلى أى أساس من القانون أو المنطق استند المشرع إليها ؟.

كما أن المشرع لم يكتف بذلك ، بل أمعن فى التفرقة أيضا بين الرجل والمرأة ، ففى جرائم القتل العمد نجد المشرع قد منح الزوج عذرا قانونيا ، مقتضاه أنه إذا فاجأ الزوج زوجته متلبسة بجريمة الزنا فقتلها هى ومن يزنى بها ، عوقب بالحبس فقط بدلا من العقوبة المقررة لجريمة القتل العمد . أما إذا كانت الزوجة هى التى فاجأت زوجها متلبسا بجريمة الزنا فقتلته هو أو من يزنى بها أو قتلتهما معا ، فلا تستفيد هذه الزوجة من العذر القانونى الممنوح للزوج وتعاقب بالعقوبة المقررة لجريمة القتل العمد .

كما أن القانون لم يعترف بهذا العذر للوالد إذا فاجأ ابنته متلبسة بالزنا ، أو للأخ إذا فاجأ أخته متلبسة بالزنا ، أو الولد إذا فاجأ أمه متلبسة بالزنا .

كما أن المشرع لم يكتف بهذا العذر ، بل أراد أن يتوج نصوصه بنص آخر يساعد على الاباحية ...

فقضى بأن الزوجة التى ضبطها زوجها متلبسة بجريمة الزنا — لا عقاب عليها — إذا أثبتت أن — زوجها ارتكب نفس الفعل (أى المعاملة بالمثل) . المادة ٢٧٣ من قانون العقوبات .

إزاء كل هـذا فانى أرى نفسى ملزما بتوجيه الدعوة لرجال القانون وعلماء الشريعة الإسلامية للعمل الجاد المثمر نحو تعديل النصوص الخاصة بجريمة الزنا فى القانون الجنائى بما يتناسب ومجتمعنا الإسلامى .

والله يوفقنا للخير ويعين عليه متى طلبناه وسلكنا له سبله الصحيحة .

وبهذا نكون قد انتهينا من بحث جريمة الزنا فى القانون الجنائى وفى المقال القادم إن شاء الله سنتكلم عن هذه الجريمة والعقوبة المقررة لها فى الشريعة الإسلامية .

عبد الخالق النواوى

ليسمع المسلمون ...
ماذا يُراد بالإسلام ؟

تعانى القارة الإفريقية اليوم غزواً قوياً وصراعاً عنيفاً لتغيير الوضع الحالى بين المسيحية والشيوعية والإسلام .

إن الفكرة السائدة : أن الإسلام يسير إلى التقدم فى إفريقيا ، هى فى حقيقة ذاتها بعيدة عن الرضى كل البعد ، فليس للمسلمين (هيئة) منظمة لها مخططات تدرس النظر فى الأحوال والأوضاع من النواحى : الاقتصادية والاجتماعية والروحية ، كما تقتضيها الحاجة لتكوين الإنسان المسلم .

بينما البعثات المسيحية تقوم بدور هام، ودهاء عظيم ، ومن ورائها الحكومات ، والهيئات ، والجمعيات المسيحية الأهلية فى العالم تدعمها تقديراً لجهود هذه البعثات ، وتساعدها بكل الطاقات مما جعل للبعثات المسيحية الإمكانيات الكبيرة للقيام بالتبشير المسيحى بكل نشاط .

وكانت النتيجة أن توقف التقدم الإسلامى أمام اكتساح البعثات المسيحية وأعمالها الجبارة الكبيرة .

وتتركز جهود البعثات المسيحية لتحقيق أهدافها على الأمور التالية :

١ — جملة عدد الدعاة المسيحيين فى إفريقيا بلغت : ١٨ر٢٣٨

٢ — بلغ مجموع المنخرطين والمساعدين والمعاونين للدعوة المسيحية ٥ر٥٠٠ر٠٠٠

٣ — بلغ عدد الكنائس ، تحت إشراف المنظمات والبعثات المسيحية غير الكليات والجامعات والمعاهد العالية : ١٦ر٦٧١

٤ — الهيئات والمعاهد التعليمية تحت إشراف البعثات : ٥٠٠

٥ — مدارس التبشير وكلية اللاهوت لإعداد الكهنة ، بلغت ٤٨٩

٦ — أقامت البعثات المسيحية مدارس رياض الأطفال بهدف سلب أبناء المسلمين من أولياء أمورهم ، وتلقينهم الازدراء والكراهية للإسلام ١ر١١٣

٧ — بلغ عدد المعلمين والأساتذة المسيحيين والمتعاقدين مع المبشرين لمحاربة الإسلام ٥ر١٩٠ر٦٠٠

وتعطى هذه الأمور صورة واضحة للنشاط المسيحى ، ومن المهم جداً ذكر المستشفيات المسيحية وأهدافها ، والتى لم تكن لمجرد معالجة المرضى ، وتوزيع الأدوية مجاناً ، ولكن بجانب ذلك المستشفيات تقوم بتوزيع الشارات المسيحية، والصليب والأناجيل والكتب الثقافية التى تحمل الروح المسيحى ومصبوغة بالصبغة المسيحية ، وبلغ عدد هذه المستشفيات ١٥٢٤

٨ — قدم البابا مساعدة خاصة بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار أمريكى للدعوة للديانة المسيحية فى البلدان الإسلامية .

٩ — ساعدت أمريكا وكندا البعثات المسيحية للدعوة للديانة المسيحية فى أفريقيا وحدها بمقدار ٣ مليون دولار ، وساعدت انجلترا وإيرلندا للغاية نفسها بمبلغ مليونين ومائة ألف دولار ، ومن الجمعيات البروتستانتية من الدول الآسيوية والهند مبلغ مليون دولار .

من هذه المبالغ العظيمة التى تنفقها وتقدمها الحكومات المسيحية الكبرى مثل أمريكا وانجلترا وكندا وفرنسا وإيطاليا وغيرها ، تقوم البعثات المسيحية بتأدية رسالتها بتوزيع الأناجيل ، ونشر التعاليم المسيحية بأعمال تكاد تكون خيالية .

ومع ذلك فان هذه الصور والأشكال والإحصائيات ، لا يمكن أن تعطى الحقائق الصحيحة للحركات والنشاطات المسيحية بصفة عامة ، وما تقوم به البعثات من نشاط بالغ بشكل استعمارى ، وبصورة تهدد وضع المسلمين .

ولم تكن مسألة جنوب السودان ، والحروب الأهلية فى بيجيريا والحكومة الانفصالية غير الشرعية (بيافرا) ورفض ومقاومة إعطاء الشعب المسلم فى أريتريا حقوقه واستقلاله ، ثم خداع المسيحية ، وفرضها الأحكام التعسفية كما تشاء على كثير من بلدان أفريقيا كالحبشة وتانزانيا وتشاد وتاوون وجمهورية أفريقيا الوسطى وتوجو وعبر الفولتا وداهومى وساحل العاج وغانا وليبريا وسيراليون والسنغال وغيرها ، كلها أدوات فعالة قوية للبعثات المسيحية .

ولا يمكن أن ينسى الأفارقة المسلمون أو أن يحسبوا أن هذه هى المشكلة فقط .

بل إن أمامهم مشاكل وأزمات كثيرة لا يزالون يعانونها إلى اليوم .

ففجر الاستقلال لم يجلب لهم بعد أى عون جوهرى ، فى الوقت الذى يتكبد الأفارقة ويعانون المشاكل الكثيرة منذ أن كان الاستعمار البريطانى والبلجيكى والإفرنسى والإيطالى جاثما يتحكم فى القارة الإفريقية .

ولكن الآن بعد الاستقلال استطاعت البعثات المسيحية أن تخطو خطوات واسعة وأن تجعل أفريقيا تحت سيطرتها مباشرة ، فجعلت المسلمين أصحاب البلاد كأجانب فى أوطانهم يمثلون الطبقة الثالثة ، وقد كانوا قلبا وعقلا إسلامياً ، لأنهم الأكثرية من مجموع عدد السكان .

وإذا أردنا الآن أن نسترد ما فات من هذه المسافات ، وهذه القوى والحقوق المسلوبة وإعادتها لأصحابها وأربابها ، فعلى كل مسلم منا أن يأخذ بأيدى المسلمين الأفارقة وإنقاذهم مما هم عليه اليوم من حالة مؤلمة وتأخر .

ولا يمكن أن يتم ذلك بدون بناء المدارس التى هم فى أمس الحاجة إليها ،

وإقامة معاهد ومصحات ، ومراكز للاهتمام بالشئون الاجتماعية ومساعدة المعوزين وإرسال أساتذة أكفاء ومبشرين ووعاظ وعلماء وأطباء وتقديم المنح الدراسية ، حتى يتمكن الطلاب من مواصلة تعليمهم فى المعاهد العليا فى باكستان والبلدان الإسلامية الأخرى .

وإذا أردنا إنقاذهم من حالتهم التى هم عليها الآن ، ورفعهم إلى مكان مستوى أحسن ، كما يجب ، فعلى الدول الإسلامية والمنظمات الإسلامية أن تأخذ قسطها من الواجب ، وهو أمر ضرورى لمساعدة إخواننا الأفارقة المسلمين لئلا يفقدوا مستقبلهم الزاهر ؟

ترجمها عن الإنجليزية

محمد أسعد شهاب

(مجلة إسلامك ليترابور)

لاهور — باكستان

نقلا عن مجلة (الحج) مكة المكرمة العدد ٦ السنة ٢٣

من طرائف الفصحى :

أَحَدٌ وَوَاحِدٌ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِمَا

للأستاذ عباس أبو السعود

يتفق أحد[1] وواحد فى ثلاثة أمور :

أحدها : أن كلا منهما يوصف به لفظ الجلالة ، فيقال : هو الله الأحد ، كما يقال : هو الله الواحد ، قال تعالى : « قل هو الله أحد » وقال « وبرزوا لله الواحد القهار » .

والثانى : أن كلا منهما تعطف عليه ألفاظ العقود ، ما عدا العشرة ، تقول : هؤلاء أحد وثلاثون ، أو واحد وثلاثون ، ولا يجوز أن تقول : أحد وعشرة ، ولا واحد وعشرة .

والثالث : أن كلا منهما يدل على الإفراد ، إذا استعمل فى الإثبات مضافا إلى جمع ، أو إلى مثنى ، أو كان معه مجرور بمن .

فما أضيف إلى جمع مثل قولك : زارنى أحد الأصدقاء ، قال تعالى « فخذ أحدنا مكانه » وقال : « فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة » ، ومثل قولك : فلان واحد قومه ، قال حاتم :

أماوى إنى رب واحد قومه
أجرت فلا من عليه ولا أسر

ومما أضيف إلى مثنى مثل قولك : قابلت أحد الوزيرين ، قال تعالى : « أما أحدكما فيسقى ربه خمراً » ولدلالته على الإفراد قال بعد ذلك « وأما الآخر فيصلب » ومثل قولك : سلمت على واحد الرجلين .

ومما كان معه مجرور بمن مثل قولك : فاز أحد منكم فى السباق ، قال تعالى : « أو جاء أحد منكم من الغائط » ومثل قولك : يجب على واحد منكم أن يؤم للمصلين .

وكذا تتفق إحدى التى هى مؤنث أحد مع واحدة التى هى مؤنث واحد فى الدلالة على الإفراد كما فى قوله تعالى « وآتيتم إحداهن قنطاراً » أى واحدة منهن ، وقوله « إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين » أى واحدة منهما ، وقوله « فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

---

(١) أحد أصله وحد ، تقول : وحد يحد حدة من باب وعد ، أى انفرد بنفسه فهو وحد فقلبت الواو همزة .

ويختلفان فى موضعين :

أحدهما : أن الواحد لا يدل إلا على الإفراد ، سواء أكان فى الإثبات كما تقدم أم كان فى النفى ، فاذا قلت : ما زارنى واحد من القوم كان النفى غير شامل واحتمل كلامك أن يكون قد زارك أكثر من واحد .

أما أحد فاذا استعمل فى النفى كان لاستغراق الجنس ، أى يستوى فيه المفرد والمثنى ، والجمع ، مذكر ومؤنثا ، يقال : ما فى الدار أحد ، ويكون المعنى ليس فيها واحد ، ولا اثنان ، ولا أكثر ، ويقال : ماجاء من أحد ، ولا يقال جاء من أحد ، لأن استغراق الجنس محال فى الموجب ، إذ أنه لا يتصور مجىء الناس جميعا فى الموجب ولكنه يتصور عدم مجيئهم فى النفى

وأحد فى حالة النفى يكون مضافا ، ويكون غير مضاف ، وهو فى كلتا الحالين عام شامل. فمن المضاف مثل قولك : ما توقف أحد الكواكب عن الدوران ، قال تعالى « فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا » ومن غير المضاف مثل قوله تعالى « فما منكم من أحد عنه حاجزين » فكلمة حاجزين صفة لأحد بمعنى دافعين .

ولك أن تقول : ما قصرت أحد الفتيات ، وما قصرت أحد من الفتيات ، لأن أحدا فى هذين التركيبين دال على العموم والشمول كما فى قوله تعالى « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء » .

وقول السيدة عائشة رضى الله عنها « لم تكن أحد من نساء النبى ﷺ تساميني [١] حسن منزلة عنده إلا زينب بنت جحش » .

وأحد إذا استعمل فى الإثبات دل على الإفراد ، كما إذا كان مكملا للمضاف ، أى مضافا إليه ، كقولك : يوم الأحد ، أو كان مضافا إلى جمع ، أو إلى مثنى ، أو معه مجرور بمن كما تقدم .

وكذا إذا ضم إلى العشرات ، كقولك : معى أحد عشر درهما ، أو أحد وعشرون ، أو أحد وتسعون .

أو كان نعتا ، ولا ينعت به غير لفظ الجلالة ، لخلوص هذا الإسم الشريف له ، فيقال : الله الأحد ، ولا يقال : العالم الأحد ولا الفرم الأحد .

أو كان بدلا ، كما فى قوله تعالى « قل هو الله أحد » وإنما جاز إبدال أحد وهو

(١) تساميني : تفاخرني وتباريني

نكرة، من لفظ الجلالة وهو أعرف للمعارف، لأن كلمة أحد دلت على مجامع صفات الجلال، كما دل الله على جميع صفات الكمال.

هذا ويجوز إبدال النكرة من المعرفة إذا أفادت هذه النكرة، كأن تكون موصوفة، كما في قوله تعالى «كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية، ناصية كاذبة خاطئة» فناصية بدل من الناصية، لأنها وصفت بالكذب والخطأ.

والموضع الآخر للاختلاف بين أحد وواحد، هو أن أحد ومؤنثه يركبان مع العشرة، تقول: أقرني أحد عشر رجلا، وإحدى عشرة امرأة، قال تعالى «إني رأيت أحد عشر كوكبا».

أما واحد ومؤنثه فلا يركبان معها البتة[1]، فلا يجوز أن يقال: واحدعشر، ولا واحدةعشرة ويؤنث واحد على واحدة كما في قوله تعالى «ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة» ويجمع على وحدان، وأحدان بالضم فيهما، كراع ورعيان، وباغ وبغيان قال الشاعر:

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه[1] لهم
طاروا إليه زرافات[2] ووحدانا

وأما أحد فمؤنثه إحدى، بيد أن هذا المؤنث لا يستعمل إلا مع غيره، تقول: إحدى عشرة وإحدى وتسعون، وإحدى البنتين، وإحدى البنات، قال تعالى «وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين»، وقال «لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم».

ولا يجوز أن تفرد، فلا يقال: فازت من البنات إحدى، وإنما يقال: فازت واحدة.

ويجمع أحد على آحاد، كأمل وآمال، وقال ثعلب: وليس للأحد جمع. وأما الآحاد فيحتمل أن تكون جمعاً لواحد. كشاهد وأشهاد.

ولأحد أخوات عدة، تؤدي معناها وتدل مثلها على العموم والشمول منها: صافر، وديار بفتح الدال وتشديد الياء، وأنيس، ونافخ نار، وداري بتشديد الياء ووابر بكسر الباء. ودبيج بكسر كل

---

[1] البتة: كلمة تقال في كل أمر لا رجعة فيه، ومثلها بتة.

[1] الناجذ: الضرس الذي ينبت بعد كمال العقل وفي هذا كناية عن المبالغة في التعصب.

[2] زرافات: جمع زرافة وهي الجماعة.

من الدال والياء المشددة وعريب بفتح العين ، ودمـوى ودبى ودوى ودورى وطورى بضم الأول وتشـديد الياء فى الخمس الأخيرة .

تقول : لم أر فى الدار صافرا ولا ديارا ولا أنيسا ولا نافخ نار أى أحدا قال تعالى «رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا» أى أحدا .

وتقول . ما بالحديقة دارى . وما بها دورى . وكلتاهما مأخوذة من الدار كديار وما بها وابر أى مقيم من وبر يبر من باب وعد إذا أقام .

وكذا تقول ما بالدار عين ، أى إنسان ، لأن من معانى العين الإنسان وما بها دبيج على وزن سكين . مأخوذ من الدبج وهو النقش والتزيين ، وما بها عريب بالفتح أى معرب قال الشاعر :

بسابس[1] لم يصبح ولم يمس ثاويا[2]
بها بعد[3] بين الحى منك عريب

وتقول أيضا ما بالدار دعوى أى من يدعو ، وما بها دبى أى من يدب وما بها دوى . وهذا مأخوذ من الدوية . بفتح فوا ومكسورة مشددة ، وياء مفتوحة مشددة ، وهى الفلاة لا ماء بها ولا نبات قال الشاعر :

دوية ليس بها دوى
للجن فى حافاتها دوى[1]

وتقول :

ما بالدار طورى أى وحشى ومثله طورانى بضم الطاء وكل ما ذكرنا من الألفاظ معناه أحـد ولا يستعمل إلا مع الجحـد

تنبيهان ١ ــ قال العلماء ليس للواحد تثنية ، ولا للاثنين واحد من لفظه ولكنه يجمع كما تقدم على وحدان وأحدان ويجمع أيضا كالجمع السالم ، فيقال حى واحدون ، كما يقال حى واحد

٢ ــ إذا قلت فلان أحد الأحدين ، أو واحد الآحاد كان المراد أنه لا مثل له وهو أبلغ المدح وإذا قلت : نزلت بفلان إحدى الإحد بكسر ففتح كان المعنى أنه نزلت به إحدى الدواهى ، قال رجل من غطفان

إنكم لن تنتهوا عن الحسد
حتى يدليكم[2] إلى إحدى الإحد

عباس أبو السعود

(١) البسابس : الأماكن المقفرة ، واحدهما بسبس بفتحتين بينهما سكون .
(٢) ثاويا : مقيما . ٣ البين : الفراق .

(١) الدوى : الصوت مصدر دوى يدوى .
(٢) يدليكم : يوقعكم .

الشيخ محمد الحفنى

للأستاذ أحمد حنفى نصار

من عباد الله من خصهم بمناقب العرفان ، وحلى جيدهم بحلية الكمال ، وجذبهم اليه فصرفهم عن شهود سواه ، وقربهم من حضرة قدسه ، وأقامهم - مع ذلك - على سبيل الهداية وجعل لهم الصدارة فى دولة الإسلام .

ومن هؤلاء المخلصين ، الذين عرفوا الله حق معرفته ، الشيخ الإمام العلامة ، أوحد زمانه علما وعملا ، المشهود له بالتحقق والكمال ، والمجمع على تقدمه فى كل مجال أبو الأنوار شمس الدين محمد الحفنى بن السيد سالم بن على الحفناوى ، الأزهرى ، الشافعى الخلوتى ، الذى ينتسب إلى الإمام الحسين بن على رضى الله عنهما ، وهو الثامن من الأئمة الكبار ، الذين تولوا مشيخة الأزهر الشريف .

ولد رضى الله عنه على رأس سنة ١١٠٠ هـ بقرية حفنا التابعة لمركز بلبيس بمحافظة الشرقية ، ونسب إليها ، حتى صارت هذه النسبة علماً عليه بالغلبة ، وصار لا يذكر إلا بها.

نشأ بقريته ، وحفظ بها من القرآن الكريم إلى سورة الشعراء ، وكان أبوه وكيلا لأحد الأمراء ، ويقطن بالقاهرة مقر عمله ، فأبقاه لديه . ولما أكمل حفظ القرآن الكريم ، اشتغل بحفظ المتون : كألفية ابن مالك ، والسلم ، والجوهرة ، وغيرها ، ثم جاور بالأزهر الشريف . وأخذ عن شيوخه العلم - وكلهم أئمة بنورهم ينجلى الظلام ، وأقطاب ببركتهم يدرك المرام - منهم : محيى السنة الشيخ أحمد الخليفى ، والشيخ أحمد الملوى ، والشيخ محمد الديربى ، والشيخ عبد الرءوف البشبيشى ، والشيخ محمد السجاعى ، والشيخ يوسف الملوى ، والشيخ عبده الديوى ، والشيخ محمد الصغير .

ومن أجل شيوخه ، الذين سمع منهم : شيخ المحدثين الشيخ محمد البديرى الدمياطى الشهير بابن الميت . أخذ عنه التفسير والحديث والإحياء للإمام الغزالى ، وصحيح

البخاري ومسلم وسنن أبي داود ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجه والموطأ والمعجم الكبير والأوسط والصغير للطبراني ، وصحيح ابن حبان ، والحلية للحافظ أبي نعيم ، وغير ذلك .

واجتهد ولازم ، حتى شهد له شيوخه جميعا بالتفوق ، وأثنوا على دقة فهمه ، ورجحان عقله ، وسعة معرفته وأجازوه بالإفتاء والتدريس ، وهو لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره المبارك ، فكان أمره عجبا يلفت النظر ، لقصر هذه المدة ، التي حفظ فيها القرآن ، وأتم طلب العلم فصار أهلا للإفتاء والجلوس للتدريس ، ولكن ابن العناية ملحوظ فأقرأ الكتب الدقيقة في حياة شيوخه ، وشهد له معاصروه بالبراعة ، والإجادة في الإفادة ولازم درسه أكثر طلبة العلم .

وكان إذ ذاك في ضيق من العيش ، وفي ذلك يقول :

إني أقول لنفسي وهي ضيقة
وقد أناخ عليها الدهر بالتعب
صبرا على شدة الأيام ، إن لها
وقتا وما الصبر إلا عند ذي الحسب

ولكن هذا الحال ، لم يخرجه عن القناعة والرضا ، ولم يبد منه أن للدنيا عنده قدرا فقد أنشد :

خبز وماء وظل
هو النعيم الأجل
جحدت نعمة ربي
إن قلت إني مقل

ثم أخذ بالأسباب لزيادة دخله ، فاشتغل بنسخ الكتب بالأجر وإن كان ذلك قد شق عليه ، خوفا من أن يشغله النسخ عن متابعة إقراء العلم ، ولكنه لم يستمر طويلا حتى أذن الله فجاءه الفرج وأقبلت الدنيا عليه ، وصار رزقه فيضا إلهيا ، فاتجه بكليته إلى العلم وعقد الدروس ، وقرأ جمع الجوامع للعلامة السبكي ، والأشموني على الألفية ومختصر السعد ، وحاشية حفيده عليه . وابن عبد الحق على البسملة ، وغيرها .

واشتغل بعلم العروض ، حتى برع فيه وأجاد نظما ونثرا ، حتى عرف بالفصاحة ، وجودة البيان ، وكثيرا ما كان يرتجل الشعر ، فمن ذلك قوله :

أتطلبون رضائي الآن عن نفر
قلوبهم بنفاق لم تزل مرضى

تجاهروا بقبيح الفسق ، لا رجعوا
إن كنت أرضى ، فإن الله لا يرضى

ومن نثره : من رسالة لبعض تلاميذه فى الطريق ، وقد جمعت بين قوة الأسلوب وعذوبة اللفظ ، وضمت إلى حسن التوجيه ، نهجا عاليا فى التربية والتهذيب ، قال فيها :

« . . ومن زاد عليك إقباله ، وتوجهت إليك بالصدق آماله ، فاصرف قلبك إليه ، وعول فى التربية عليه ، ومن عنك بهواه صد ، بعد أخذك عليه وثيق العهد ، فدعه ولا تشغل به البال ، وأنشده قول أستاذنا (أى السيد مصطفى البكرى) لمن عن طريقنا قد مال :

ألم تدر أنا من قلانا سفاهة
تركناه غب الوصل يعمى بصده
ومن صد عنا حسبه الصد والجفا
وإن الردى أصماه من بعد بعده
ومن فاتنا يكفيه أنا نفوته
وأنا نكافيه على ترك حمده
وإنا نحمدنا لما نعد محبنا
واتباعنا لسنا نهم بصده

ومن أردت زجره للتربية وإرشاده ، فليكن ذلك على انفراد ، إذ هو أرجى لإسعاده ، ولا تزجر بضرب ولا نهر بين الناس ، فإن ذلك ربما أوقع المريد فى اليأس ، ولا تلتفت لمن أعرض ، ولا لمن يصحبك لغرض ، وعليك بالرفق للإخوان ، سيما أخوك فلان ، فالخير لمن صاحب بإحسان ، والأدب واللطف محمودان ، والغلظة والحقد موبقان ، فاصرح القال والقيل ، واصفح الصفح الجميل ، ولك ولكل من أخذ عنك أو حبك ، منا ومن أهل سلسلة طريقتنا ما سرك ، فابشر إن عملت بما أشرنا بكل خير ، ومزيد الفتح ، والمسير فى السير » .

وقد تخرج عليه غالب أهل عصره وطبقته ، ومن دونهم : كأخيه الشيخ يوسف الحفناوى ، والشيخ إسماعيل الغنيمى صاحب التآليف البديعة ، والتحريرات الرفيعة ، وشيخ الشيوخ على الصعيدى العدوى ، والشيخ محمد الغيلانى ، والشيخ محمد الزهار ، وغيرهم ، وكانت على مجالسه هيبة ووقار قلما يسأله أحد لجلالته .

ومن مؤلفاته المشهورة التى أتحف بها المكتبة العربية ، فى كل علم وفن :

١ — الثمرة البهية فى أسماء الصحابة البدرية : فى التاريخ .

٢ — حاشية على شرح الأشمونى على الألفية : فى النحو .

٣ — حاشيته على شرح الهمزية لابن حجر الهيثمى : فى الأدب .

٤ — رسالة فى التسبيح والتحميد : فى الفضائل والآداب .

٥ — رسالة فى التقليد فى الفروع : فى أصول الفقه .

٦ — رسالة فى الأحاديث المتعلقة برؤية النبى ، ﷺ .

٧ — حاشية على الجامع الصغير للسيوطى فى جزأين : فى الحديث .

٨ — حاشية على شرح الشنشورى على الرحبية : فى المواريث .

٩ — حاشية على مختصر الشيخ التفتازانى :

١٠ — حاشية على شرح الحفيد على مختصر جده التفتازانى : فى البلاغة .

وكان الشيخ الحفنى ، حسن السمت ، مهيب الطلعة ، معتدل القامة ، لا بالطويل البائن ولا بالقصير ، عظيم الهامة ، كث اللحية أبيضها ، مقوس الحاجبين ، رحب الراحتين ، سواء الظهر والبطن ، أبيض اللون مشرب بحمرة ، كأن على وجهه قنديلا من النور .

وكان كريم الطبع ، جميل ، السجايا لم ينضبط عليه مكروه ، على جانب عظيم من الحلم ، ما جهل عليه أحد إلا قابل السيئة بالحسنة . يعظم كل الناس ، ويتمثل قائما لكل قادم ، ويخاطب كل إنسان على قدر عقله ، ويصغى لكلام كل متكلم ولو كان تافها ، ولا يضجر إن أطال عليه ، بل يظهر له المحبة ، حتى يظن أنه أعز الناس عليه ، وأقربهم إلى قلبه . وكان لا يعلق نفسه بشىء من الدنيا فلو سأله إنسان أعز حاجة عليه أعطاها له ، كائنة ما كانت ويجد لذلك أنسا وانشراحا وإذا دعى أجاب ، إلا أنه كان يعتذر من عدم حضور الولائم ، لأنه يرى أنها غير مضبوطة بالأمور الشرعية .

وله صدقات وصلات خفية ، وكان يتولى الصرف على بيوت كثير من أتباعه المنتسبين إليه ولا ينقطع ورود الواردين عليه ليلا ونهارا ، وقد قيل إن راتب بيته من الخبز كل يوم نحو الأردب ، ويجتمع على مائدته ما لا يقل عن الأربعين .

ولما بلغ الثلاثين من عمره ، كثر انقطاعه للعبادة . وتهيأ للسلوك والاندماج فى الطريق فأخذ عن الشيخ أحمد الشاذلى المعروف بالمقرى وتلقى منه بعض الأحزاب والأوراد

وكان يتردد على زاوية سيدى شاهين الخلوتى بسفح المقطم ويمكث فيها الليالى متحنثا . وقد ذكر الشيخ حسن شمه : أنه كثيرا ما كان ينشد فى الدياجى :

خل الغرام لصب دمعه دمه
حيران توجده الذكرى وتعدمه
واسمح له بعلاقات علقن به
لو اطلعت عليها كنت ترحمه

وقال : سمعته مرة ينشد من شعره :

لو فتشوا قلبى لا لفوا به
سطرين قد خطا بلا كاتب
العلم والتوحيد فى جانب
وحب آل البيت فى جانب

ولما قدم السيد مصطفى البكرى عمدة أهل الطريقة الخلوتية من الشام سنة ١١٣٣ هـ اجتمع عليه وحصل بينهما الارتباط القلبى حال المشاهدة ، فأخذ عليه العهد فى أول لقاء ، ثم اشتغل بالذكر والمجاهدة ولما علم السيد صدق حاله ، وحسن فعاله ، قدمه على خلفائه ، وأولاده حسن ولائه ، ودعاه بالأخ الصادق .

وفى سنة ١١٤٩ هـ حن إلى زيارة شيخه البكرى ، فسافر إلى القدس الشريف ، وأقام عنده أربعة أشهر ، عاد بعدها إلى القاهرة ، وأدار مجالس الأذكار ، بالليل والنهار ، وأحيا طريق الخلوتية ، المؤيدة بالشريعة الغراء ، فى الديار المصرية ولم يزل أمره فى ازدياد وانتشار حتى شاع ذكره وأقبل عليه الوافدون من كل فج ، وصار الكبار والصغار ، والرجال والنساء ، يذكرون الله بطريقته ، وأصبح قطب الوقت بحق ، ولم يبق ولى من أهل عصره إلا أذعن له .

وكان من تلاميذه فى الطريقة : شيخ القراء المحدثين ، وصدر الفقهاء المتكلمين العابد الزاهد الشيخ محمد السمنودى المعروف بالمنير ، وعلامة وقته الشيخ حسن الشبينى ، والشيخ محمد السنهورى والشيخ محمد الزعبرى ، والشيخ خضر رسلان ، والشيخ محمود الكردى ، والشيخ عبد الله الشرقاوى الذى تولى مشيخة الأزهر ، والإمام الأوحد الشيخ محمد بدير ، والشيخ محمد الهلباوى الشهير بالدمهورى ، والشيخ محمد السقا ، والشيخ محمد الفشنى ، والشيخ عبد الكريم المسيرى الشهير بالزيات ، وأبو البركات الشيخ أحمد محمد الدردير العدوى ، والشيخ حسن بن على المكى المعروف بشمة .

قوم إذا جن الظلام عليهم
قاموا هنالك سجدا وقياما

وللشيخ الحفنى رضى الله عنه ، كرامات وبشارات وخوارق وعادات يطول شرحها ذكر بعضها تلميذه الشيخ حسن شمه ، الناظم الناثر فى كتابه الذى ألفه فى نسبه ومناقبه وقد ضمنه مقامة فى مدحه ، أسماها : فيض المغنى فى مدح الحفنى . جمع فيها سائر فنون الشعر . ولتلميذه العلامة الشيخ محمد الحلباوى الدمنهورى كذلك مؤلف فى مناقبه ومن قصيدة له فى مدحه :

سبحانك الله ما الحفنى ذا بشر
لكنه ملك قد جاء للبشر

محجب عن عيون الواصلين فما
بال الخليين من سر ومن خبر

هذا الفريد الذى نادى الرفاق به
فسار كل أسير نحو مقتدر

جلت محاسنه عن كل ما وصفوا
فليس يحصرها لب من الفِكَر

وهو الذى ورثته الأنبيا رتبا
فضلا من الله لا بالجد والسهر

علما وحلما وتوفيقا ومكرمة
وحسن حال مع التسليم للقدر

وقد تولى مشيخة الأزهر فى سنة ١١٧١ هـ ومكث فيها حتى وافاه داعى السماء ، بعد أن ملأ الدنيا نورا وبركة ، قبل ظهر يوم السبت ٢٧ ربيع الأول سنة ١١٨١ هـ ، وصلى عليه فى الأزهر يوم الأحد ، فى مشهد عظيم جدا ودفن بقرافة المجاورين القديمة مع أخيه العلامة الشيخ يوسف الحفناوى المتوفى سنة ١١٧٨ هـ .

رضى الله عنه ، ونفعنا بعلمه ، وأحاطنا ببركته ، وأسلكنا بتوفيقه مسلكه وجمعنا وإياه تحت لواء الرسول الأعظم ، ﷺ ، فى موكب النور ، مع المؤمنين الصادقين .

أحمد حنفى نصار القوصى

المصطلحات العسكرية في كتاب «المخصص» واستعمالها في الجيش العراقي الحديث

للواء الركن محمود شيت خطاب

كتاب السلاح

السيوف

أسماء السيوف

السيف :

١ — (ا) السيف : مشتق من قولهم ساف ماله — أي هلك ، فلما كان السيف سبباً للهلاك سمي سيفاً . (ج) : أسياف وسيوف .

(ب) رجل سياف وسائف : معه سيف .

(ج) المسيف : المتقلد للسيف ، فاذا ضرب به فهو سائف ، وقد سفته سيفاً .

(د) استاف القوم وتسايفوا : تضاربوا بالسيوف .

٢ — (ا) السيف : السلاح الرئيسي للفرسان في صنف الخيالة .

(ب) رجل سياف : المسلح بالسيف .

(ج) المسيف : غير مستعملة في الجيش العراق ، ومن المناسب استعمالها للعسكري المتقلد للسيف .

(د) تسايف الجند تضاربوا بالسيوف .

أسماء السيوف :

١ — (ا) المنصل والمنصل النصل . (ج) أنصل ونصال .

(ب) النصل : حديدة السيف ما لم يكن لها مقبض .

(ج) الضريبة : السيف . قال الشاعر :

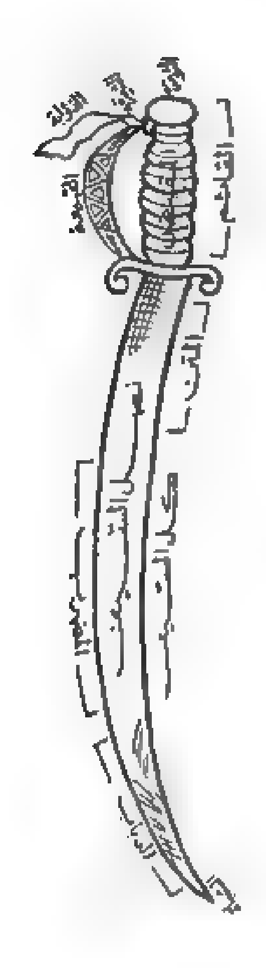
وخشيت وقع ضريبة
قد جربت كل التجارب

(د) الوشاح : السيف .

٢ — (ا) النصل : حديدة السيف .

(ب) الوشاح : النطاف يرتديه الفرسان على صدورهم .

أسماء ما فى السيوف[١]





١- (ا) مقبض السيف ومقبضه .

(ب) قائم السيف : مقبضه والسفن .

(حـ) السفن الجلدة المحببة التى تلبسها القوائم وتلبس بها السياط . وقيل السفن : حجارة ينحت بها ، وسمى بذلك لخشونته .

(د) الكلبان : المسماران المعترضان فى القائم الأعلى منهما ذؤابة السيف .

(هـ) الشعيرة : رأس الكلب ، وهى من فضة أو حديد .

(و) الشاربان : وهما الحديدة المعترضة فى أسفل القائم على فم الجفن ينظران من عن يمين أو شمال .

(ز) القبيعة : الحديدة العريضة التى تلبس أعلاه ، وتسمى القـــلة .

(ح) قرطا السيف : أذناه والتومة .

(ط) رئاس السيف : قائمه .

(ى) النصل :الحديدة ، (ج) : نصال .

(ك) العجوز : النصل .

(ل) الكلب: المسمار فى قائم السيف الذى فيه الذؤابة .

(م) أولا : وفى النصل السيلان ، وهــو سنخه الذى يدخل فى القائم .

---

[١] أسماء ما فى السيف ، ويطلق عليها فى الجيش العراقى : أقسام السيف .

ثانيا : وفى النصل المضرب ،وهو الموضع الذى يضرب به . يقال: مضرب ومضرب .

ثالثا : وفى النصل شفرتاه ، وهما حداه .

رابعا : وفى النصل ظبته ، وهى حده ، وظبة كل شىء : حده . (ج) : ظبات وظباً وظبون وظبون .

(ذ) رونق السيف: ماؤه وفرنده ،الوشى الذى يكون فى متنه :

(س) ذباب السيف : حده ، وذباب كل شىء : حده

(ع) كل السيف : قفاه الذى ليس بحاد .

٢ — (ا) مقبض السيف : الموضع الذى تلتف حوله راحة اليد من السيف لاستعماله فى التدريب أو فى القتال أو لأغراض أخرى .

(ب) السفن : الجلدة الخشنة التى تكون حول مقبض السيف .

(ج) الكلبان : المسماران المعترضان فى القائم الأعلى .

(د) ذؤابة السيف قطعة من الجلد تلتف حول يد الفارس لكى تجعل السيف أكثر ثباتا فى يده ، ويطلق عليها أيضاً : عقدة السيف[1] :

(هـ) الشعيرة : رأس الكلب ، وهى من فضة أو حديد ، ويطلق عليها أيضاً : حلقة عقدة السيف .

(و) الشاربان : الحديدة المعترضة فى أسفل القائم على فم الجفن :

(ز) القبيعة : الحديدة العريضة التى تحمى يد من يستعمل السيف ، وتسمى أيضاً : القبـــلة .

(ح) التومة . قمة القائم من السيف :

(ط) نصل السيف : حديدته التى تستعمل فى القتال .

(ى) المضرب : الموضع الذى يضرب به من السيف .

(ك) الشفرتان : حدا السيف .

(ل) ذباب السيف : حده .

(م) كل السيف : قفاه الذى ليس بحاد .

(ن) وفى كتب تدريب الخيالة[1] ، ورد ما يلى عن أقسام السيف المختلفة .

أولا : النصل وهو ثلاثة أقسام :

المتن : القسم الأقرب إلى القائم .

(١) تدريب الخيالة (١ ١٢٥) .

(١) كتاب تدريب الخيالة (١ ـ ١٢١ـ ١٢٢) .

الذباب : القسم الأقرب إلى الشبات[1] .

المضرب : مابين المتن والذباب .

ثانياً : القائم ، وهو ثلاثة أقسام أيضاً :

القبيعة أو القلة ، لوقاية اليد والمساعدة على درء الصدمات .

المقبض ويشمل السفن .

الثومة :

(س) انظر المخطط للاطلاع على تفاصيل أقسام السيف .

نعوت السيوف من قبل قطعها ومضائها[2] :

١ ـ (ا) الصمصامة من السيوف : الذى لا ينثنى . وصمصم السيف وصمم : مضى فى الضريبة ، وبه سمى السيف صمصاماً . وأول من سمى السيف صمصامة عمرو بن معد يكرب حيث وهب سيفه ثم قال :

خليلى لم أخنه ولم يخنى
على الصمصامة السيف السلام

(ب) الجراز : الماضى النافذ . يقال : سيف جراز ، ومدية جراز .

(ج) الصارم : الذى لا ينثنى .

(د) الحسام : سمى حساما لأنه يحسم الدم ، أى يسبقه فكأنه قد كواه . وسمى حساماً لأنه يحسم العدو أى يقطعه عنك . وأصل الحسم القطع .

(هـ) الحذام : القاطع . قال سيبويه . سيف حذام ومدية حذام . والحذم : القطع .

(و) الباتر : القاطع .

(ز) سيف قرضاب : قطاع .

(ح) سيف باتك وبتوك : قطاع .

٢ ـ سيف باتر : قاطع .

نعوتها من قبل نبوها وكلتها .

١ ـ (ا) النابى من السيوف . الذى لا يقطع .

(ب) الكل والكليل : السيف لا حد له .

(ج) الكهام : الكليل الذى لا يمضى .

(د) برد السيف : نبا .

٢ ـ (ا) النابى من السيوف : الذى لا يقطع .

(ب) الكل والكليل : السيف لا حد له .

والسيف الذى لا يفيد الفارس فى القتال .

نعوتها من قبل لمعانها ومائها واهتزازها .

١ ـ (ا) سيف رقراق : كثير الماء .

(ب) سيف إبريق : كثير الماء .

(ج) سيف هزهز وهزهاز : مهتز .

(د) زها السيف : لمع .

(هـ) خفق السيف : اضطرب .

(و) البارقة : السيوف للمعانها

---

(١) شباة الشىء : حد طرفه . يقال : شباة السيف .

(٢) يطلق على ذلك تعبير : خواص السيوف فى الجيش العراقى .

٢ ـ سيف رقراق : لماع . يقال : أصبح السيف رقراقا : نظيفاً مما علق به من غبار ونحوه .

نعوتها من قبل ثلمها وطبعها ونحوها .

١ ـ (أ) القضم : الذى طال عليه الدهر فتكسر حده .

(ب) الفل : الثلم يكون فى السيف (ج) فلول . وسيف فل : مفلول .

(ج) سيف معلوب : مثلم .

(د) صدئ السيف صدأ أو صدأة : ذرى .

(و) النقبة : الصدأ الذى يعلو السيف والنصال .

٢ ـ (أ) الفل : الثلم يكون فى السيف .

(ب) الثلم . الفل .

(ج) صدئ السيف . أصابه الصدأ ؛ والصدأ من عيوب السيوف التى يتحتم تنظيفها منه ، ويراقب ذلك الآمرون فى تفتيش السلاح الأسبوعى أو فى أثناء التدريب أو عندما تكون فى المشاجب

نعوتها من قبل صقلها وطبعها [1] .

١ ـ (أ) صقات السيف أصقله صقلا فهو صقيل ومصقول وصانعه الصيقل [2] و (ج) صياقله .

« تتبع »

---

(١) تستعمل هذه المصطلحات فى معامل الجيش الحربى لصنع السيوف .

(٢) من أرباب الحرف فى معامل الجيش وفى كتائب الخيالة .

من نوادر المخطوطات :

كتاب السماع لابن القيسرانى

للأستاذ أبو الوفا المراغى

هـذا الكتاب من نوادر المخطوطات فى المكتبة الأزهرية ، وهـو أيضاً من نوادر المخطوطات العربيـة الإسلامية فى العالم فقد خلت فهارس المتقدمين والمتأخرين من الإشارة إليه . فلم يذكره صاحب كشف الظنون ولا بروكلمان ، وقد ذكره صاحب هدية العارفين ضمن ما ذكره له من الكتب . ويغلب على الظن أنه أخذ اسمه من سياق ترجمتـه حيث ذكر فى بعضها أنه ألف كتاب السماع ولم يطلع عليه ، ولم نعثر له إلى الآن على مخطوطة أخرى فى مكتبات القاهرة ولا فى غيرها .

وقبل أن نتكلم عن موضوع الكتاب ومنهاجه يحسن بنا أن نوجز التعريف بالمؤلف مما تفرق فى كتب التراجم لنعرف مكان المؤلف من العلماء ومنزلة الكتاب من الكتب . والمؤلف من رجال القرن الخامس حيث ولد سنة ٤٤٨ هـ ، وتوفى سنة ٥٠٧ هـ .

وهو الحافظ الإمام أبو الفضل محمد بن طاهر بن على المقدسى المعروف : بابن القيسرانى . أولع بعلم الحديث فسافر فى طلبه إلى أكثر من أربعين بلدا من بلاد العالم الإسلامى كما ذكر العلامة ابن حجر فى لسان الميزان ، وسمع من شيوخها . وكان له معرفة بهذه الصناعة « صناعة الحديث » كما يقول العلامة ابن كثير . وصنف كتبا كثيرة أغلبها فى علوم الحديث وذكر له صاحب هدية العارفين نحو واحد وسبعين كتابا لم يطبع منها إلا القليل : منها ما هو فى عشرة أجزاء ومنها ما هو فى أكثر من ذلك .

وقد وضعه العلامة ابن حجر فى ميزانه

(لسان الميزان) فتقلت كفته تارة بتوثيق بعض الموثقين له ، وشالت مرة أخرى بتجريح بعض المعدلين له . ويغلب على الظن أن الذى أثار الثائرة عليه هو تأليف هذا الكتاب فما ذكر تجريحه إلا مقرونا بتأليفه وليس هنا مجال الحديث الوافى عن شخصيته ولهذا الغرض حديث خاص .

وحديثنا هنا عن هذا الكتاب النادر فى تراثنا العربى وهو كتاب السماع .

وموضوع السماع كان من قديم مثار مناقشات الفقهاء والصوفية ، والصوفية بوجه خاص . وقد احتل من كتب الصوفية مكانا فسيحا نظراً لأن الغناء من رسومهم ولأثره فى تثقيف القلوب والأرواح حتى أنهم تفردوا فى الأخلاق والأدب بالتجديد فى الغناء والموسيقى . وقد عرض له باستفاضة أبو طالب المكى فى قوت القلوب والغزالى فى الأحياء ، والسهروردى فى عوارف المعارف وذهبت الأنظار فيه مذاهب مختلفة بل متناقضة فمنهم من أجازه بالإطلاق ، ومنهم من منعه بالإطلاق ومنهم من أجاز بعضا وحظر بعضا . ولسنا هنا بصدد بيان حكمه ولكننا بصدد التعريف بكتاب على صاحبه مسئولية ما فيه من إفراط أو تفريط بعد أن أشرنا إلى منزلته العلميـة .

والغرض من كتاب السماع هو بيان حكم السماع بأنواعه سواء كان سماع الأغانى أو سماع الآلات الموسيقية وسواء كانت أغانى الرجال أم النساء .

وقد كان ذلك الغرض الباعث على تأليف الكتاب كما قال المؤلف فى مقدمة الكتاب أما بعد فان سائلا سألنى عن السماع بسائر أنواعه وأحب أن أبين ذلك مفصلا مرتبا بذكر الأدلة وإقامة الشواهد : والجواب الخ وقدم للجواب بمقدمة خلاصتها : أن الرسول ﷺ كلف بتبليغ الرسالة فبلغها كاملة بين فيها الحرام والحلال وليس لأحد بعده وبعد الخلفاء الراشدين الذين أمر رسول الله بالاقتداء بهم والاتباع لسنتهم أن يحرم ما أحل الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم إلا بدليل ناطق وآية محكمة ، وسنة قاضية صحيحة وإجماع من الأمة على مقالته .

والظاهر أن قصده من هذه المقدمة أن يرد ابتداء على مقالة من حرم السماع لأنهم

إنما استندوا فى التحريم على أحاديث الكذبة والمجرحين حيث يقول : فأما الاستدلال بالموضوعات والغرائب والأفراد من رواية الكذب والمجرحين الذين لا يقوم برواياتهم حجة وبأقاويل من فسر القرآن على حسب مراده ورأيه فحاشا وكلا أن يرجع إلى قولهم ويسلك طريقهم .

وانتقل من المقدمة إلى مقصود الكتاب وعقده على فصلين ، الأول [يشتمل على جواز استماعه [الغناء] بالأدلة الصحيحة الواضحة] والثانى [يشتمل على ما احتجوا به على تحريمه وبيان بطلانه] وابتدأ الفصل الأول بقوله :

« القول فى الغناء على الإطلاق » وأخذ يسرد فى جواز الغناء ما ورد من الأحاديث فى البخارى ومسلم وغيرهما ثم حكى ما وقع لبعض الصحابة والتابعين من سماع الغناء ثم ذكر أقوال الأئمة فى جوازه منها ما قاله الإمام مالك وما قاله الإمام الشافعى وصالح بن أحمد بن حنبل . ونقل أن طائفة من شيوخ المالكية والشافعية وأصحاب الحديث وشيوخ الوعظ والزهادة حضروا مجلساً للمناسبة ٢٧٠ هـ وغص بهم حتى لو وقع السقف عليهم لما بقى بالعراق من يفتى فى حادثة يشبه واحداً منهم .

وقال فى ختام هذا الفصل : وهذا القدر فى الباب كاف إن شاء الله . فأما أوردنا الصحيح عن رسول الله ﷺ : واتبعناه بما يليق به من القريب وما فعله الصحابة والتابعون وأئمة المسلمين . وهذا الإجماع المنعقد من غير خلاف وقع فى هذه الفرق وهم أهل العقد والحل ثم انتقل إلى الحديث فى ضرب الدف واستماعه فقال :

وأما ضرب الدف والاستماع إليه فنقول : إنه سنة سمعه رسول ﷺ وأمر بضربه لا ينكره إلا جاهل مخالف للسنة وقد قال رسول الله ﷺ : (من رغب عن سنتى فليس منى) ، ثم هاجم من حرم الدف وجعل من حرمه محرما للحلال ومن حرم الحلال كان كمن استحل الحرام كما قال ﷺ : (المحرم حلال الله كالمستحل حرام الله) ، وذكر مضمون ذلك الحديث بروايات مختلفة ، وأورد هنا قصة لها دلالتها الدقيقة فى هذا الموضوع خلاصتها : أن كراهية بعض الناس للدف لا يكون دليلا على تحريمه . فقد روى عن زهير عن أبى إسحق قال : كنت عند عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود فجاء ابن له فقال : — أصبت اليوم من حاجتك شيئاً ؟ فقال بعض القوم : —

وما حاجته ؟ قال : ما رأيت غلاما آكل للعشب منه . فقال بعض القــوم : أوليس بحرام ؟ قال : ومن حرمه ؟ قال : أو لم يكن رسول الله ﷺ يكرهه ؟ قال : أوليس الرجل يكره الشيء وليس بحرام ؟ ثم ذكر بعض الأحاديث الواردة فى ضرب الدف فى النكاح وأنه فصل ما بين الحلال والحرام وكذلك الأحاديث الواردة فى ضرب الدف فى الأعياد ، ثم قال فى ختامه : وهذا القدر فى ضرب الدف وجواز استماعه كاف إن شاء الله ، ثم انتقل إلى القول فى سماع شبابة الراعى أو اليراع (القضيب الذى يزمر به).

وعنى هنا بإبطال الاحتجاج بحـديث عبد الله بن عمر على التحريم وقال : إن هذا الحديث لا يصح الاحتجاج به لعلة فى سنده فهو منكر ثم لأن فى متنه ما يمنع الاحتجاج به . والحديث هو ما رواه موسى بن سليمان عن نافع قال : سمـع ابن عمر مزمارا قال : فوضع أصبعيه على أذنيه ونأى عن الطريق وقال لى يا نافع هل تسمع شيئا ؟ فقلت لا قال : فرفع أصبعيه عن أذنيه وقال : كنت مع رســـول الله ﷺ فسمع مثل هذا وصنع مثل هـذا . ثم استطرد إلى القول فى استماع القضيب والأوتار فقال : وأما القول فى استماع القضيب والأوتار ، ويقال له الطقطقة أيضا فلا فرق بينه وبين الأوتار إذ لم نجد فى إباحته أو تحريمه أثرا لا صحيحا ولا سقيما . وإنما استباح المتقدمون استماعه لأنه مما لم يرد الشرع بتحريمه وكان أصله الإباحة وأما الأوتار فالقول فيها كالقـول فى القضيب لم يرد بتحليلها ولا بتحريمها نص وكل ما أورده فى التحريم فغير ثابت عن الرسـول ونحن نجيب عنه فى الفصل الثانى وتبين حال رواته .

ثم تحدث عن مذهب أهل المدينة فى الغناء وذكـر بعض من كان يسمع الغناء من المحدثين ولا يرون به بأسا ولم يمنع ذلك أن يأخذ عنهم البخارى ومسلم فى صحيحيهما وله فى هذا المقام كلام يشير به إلى أطوار الحـــكم فى سماع الغناء بين المتقدمين والمتأخـرين حيث قال : وإنما تركه من تركه من المتقدمين تورعا كما تركوا لبس اللين وأكل الطيب وشرب البارد . ومعلوم أن هذا كله حـلال لفاعله ثم جاء قـوم بعد هذا الصدر فغلظوا القول فيه مخافة أن يشتغل الناس به عما هو أولى منه ثم جاء قـوم بعد هؤلاء فحرموه جهلا وتقربا إلى العامة بالزهد والصلاح ولم يفقوا

على حقية علمه وبدو أمره . ثم انتقل إلى القول فى المزامير والملاهى فقال: وأما القول فى المزامير والملاهى فقد وردت الأحاديث الصحيحة بجواز استماعها وبين وجه دلالة هذه الأحاديث على الحكم .

وأما الفصل الثانى فإنه يشتمل على الأحاديث التى احتج بها من ينكر ماتقدم ذكرنا له وبيان عللها . وتناول فيه الأدلة واحدا فواحدا وبين وجه بطلانها . ومضى فى ذلك إلى آخر الكتاب والكتاب ذو منهج علمى دقيق قام على قواعد البحث والمناظرة المقررة لدى العلماء فاثبات الرأى لا يكون إلا بالدليل ونقض رأى للمعارض لا يكون إلا بالدليل أيضا فلا مهاترة ولا إثارة ، وإنما هو نقد بانصاف ومدافعة بغير اعتساف مع عفة فى الأسلوب وقوة فى المنطق ووضوح فى العبارة أما النسخة فهى سليمة جدا جيدة الخط والضبط ولم يقع لى على كثرة ما تصفحت من مخطوطات أدق منها ولا أجود ، وهى موصولة السند إلى مؤلفها على صفحة العنوان ولم يذكر تاريخ كتابتها ويغلب على الظن من حال الخط والورق أنها من مخطوطات القرن السابع فاهمال كثير من نقط الحروف وإغفال شرطة الكاف من خصائص خط ذلك القرن وما قبله ، وهى فى ٤٥ ورقة وفى الصفحة ١٣ سطرا وفى السطر نحو ١١ كلمة وكلها بخط واحد خالت من المقابلات والتعليقات والتصحيحات فليست فى حاجة إلى شىء من ذلك ومن الغريب فيها أن الناسخ استعمل فى معظمها طريقة الترقيم بين الفقرات بالمداد الأحمر كما استعمل ذلك المداد فى العناوين العامة .

هذا هو الكتاب وهذه نسخته والمنوه عليه كتب التراث العربى ونشره كتب آخر وعسى أن يوفقنا الله إلى ما اعتزمناه بشأنه .

أبو الوفا مصطفى المراغى

من أضابير لجنة الفتوى

العقد شريعة المتعاقدين

يقدمه : الأستاذ محمد أبو شادى

ورد إلى لجنة الفتوى بالأزهر استفتاء من السيد / سيد محمد رزق المسلم المقيم بالمانيا الغربية يتضمن ما يأتى :

(١) أنه تعاقد كتابيا مع سيدة المانية مسيحية برضاها على أنه بعد التزوج بينهما يكون التحاكم بينهما للقانون العربى المعمول به فى بلد الزوج وأن هذا القانون العربى يعنى الإسلامى — هو الأساس لتنظيم العلاقة الزوجية بينهما .

(٢) تم بينهما التزوج ، وأنجب منها ولدين ، ثم تجدد بينهما شقاق ، وخلاف على استحقاق الحضانة والولاية : فالرجل يطلب الحكم له باعتباره الأب ، والولى الشرعى على ولديه القاصرين وعملا ، بالتعاقد الكتابى الذى رضيته الزوجة ، ووقعت عليه وتزوجت بمقتضاه .

(٣) تقدم الزوج « سيد محمد رزق » إلى محكمة الوصاية فى مدينة جورسهايم بالمانيا الغربية يطلب إثبات حقه فى الحضانة والولاية على ولديه القاصرين .

(٤) كانت وجهة المحكمة هناك أن طلبت من البروفسور « فرد » رئيس معهد القانون بمعهد ميونخ إصدار فتوى بخصوص هذه القضية .

(٥) أن البروفسور « فرد » أصدر فتواه متضمنة أمرين — أحدهما أن القوانين فى الشرق الأوسط والقائمة على أسس دينية إسلامية لا تراعى فى تنظيمها لمسئلة الوصاية والحضانة صالح الأطفال القصر ، لذلك فان مثل هذه القوانين المبنية على نظام قانونية دينية لا يجوز تطبيقها فى المانيا عملا بالمادة ٣٠ من القانون هناك .

وفى نهاية الاستفتاء سأل السيد / سيد محمد رزق هل يرغم أبناء الشرق من المسلمين على تنظيم حياتهم فيما يختص بأحوالهم الشخصية وتنظيم العلاقة بينهم وبين أبنائهم المسلمين على أساس النظم القانونية لدولة أوربية غير إسلامية . ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بما يأتى :

الأول : أن هذا التعاقد الكتابى الذى صدر بين سيد محمد رزق والسيدة الألمانية باختيارها يعتبر فى نظر الإسلام وفى نظر العقل وفى نظر القانون الوضعى الصحيح تعاقدا سليما من شوائب الإكراه أو التدليس أو الجهالة بما يترتب عليه من آثار ملزمة لكل من المتعاقدين ، فيكون ساريا عليهما إذا تحقق الزواج بينهما ـ وقد تحقق فعلا ، وأنجب الزوج من هذه الزوجة طفلين فيكون لهذا التعاقد بقية آثاره كحق التقاضى للزوج أمام القوانين المعمول بها فى بلاده الإسلامية .

وإن لم يكن هذا التعاقد محترما وملزما فلا قيمة لأى عقد يرتضيه شخصان مكلفان مع أن النظرية العامة فى التشريع الوضعى أن العقد شريعة المتعاقدين ، وهذه نظرية تتفق تماما مع وجهة الإسلام فى كل شىء لا يكون مخالفا لأحكامه كهذا الاتفاق المذكور .

الثانى — أن المحكمة هناك لم تلتفت مطلقا إلى هذا التعاقد وركنت إلى رأى البروفسور (فرد) من علماء القانون هناك ، وقد أفتى البروفسور برأيه الشخصى ، أن القوانين فى الشرق الأوسط تقوم على أسس دينية إسلامية وإنها لا تراعى فى تنظيمها لمسئلة الوصاية والحضانة صالح الأطفال القصر ، وتراعى نفوذ الرجل وأنه وحده له حق الوصاية على أولاده ولا تراعى ما تتطلبه الإنسانية التى تراعيها القوانين الألمانية وأن القوانين المبنية على مثل هذه الأسس الدينية تتعارض مع النظام الألمانى ولا يجوز ولا يمكن تطبيقها فى ألمانيا عملا بالمادة ٣٠ من القانون هناك .

والناظر فى فتوى البروفسور (فورد) يراها حملة عدائية على الإسلام فيما وصفه به من عدم رعايته لصالح الطفل ، وعدم رعايته لما تتطلبه الإنسانية .

والبروفسور (فرد) رجل لا يدين بالإسلام ولم يدرسه دراسة علمية تقف به على تعاليمه الصحيحة وكان الإنصاف العلمى يقتضيه أن يتحاشى المساس بدين لا يعرفه وكل ما عنده من هذا القبيل ، هو أفكار وأقوال يستمدها من كتب غير إسلامية ، وفيها ما فيها من

مفتريات فان الإسلام دين سماوي ولا يعقل فى تشريعه أن يكون قاصرا فى رعاية الطفل وما تتطلبه الإنسانية من تشريع وضعى من عمل الناس لأن وضع القوانين يكون فى بيئة محلية ولا يكون عاما كالإسلام .

وقد راعى الإسلام صالح الطفل ومقتضيات الإنسانية فى ضوء الحكمة الإلهية التى تتسامى عن تشريع البشر ولا تكون مؤقتة بوقتها كما هو شأن القوانين الوضعية ، وذلك أن الإسلام يتعهد الطفل من أول وجوده حملا فى بطن أمه بحفظ حقه فى الميراث وجعل الولاية عليه بعد وضعه مسئولية الأب أو من يقوم مقامه إذا كان الأب متوفياً ، فعلى الولى أن يتولى شئون الطفل من حيث النفقة ، والتربية والمحافظة عليه من المفاسد ، وتهيئته لأن يكون فى مجتمعه على مسلك إنسانى محمود يسد فراغه فى مجال الأعمال النافعة له ، ولأمته والذى يقدر على هذه الولاية هو الأب أولا — إذ الأب هو الأقدر على الكفاح وتحمل الأعباء واختيار الأصلح للطفل ، والوصول به إلى الحياة العملية ، لذلك كانت هذه الولاية من خصوصيات الآباء حتى لا يتخلف الطفل عن طريق الرشاد .

كما راعى الإسلام صالح الطفل فى مدة طفولته ، فجعل الحضانة حقاً للأم ، والحضانة هى الخدمات والرعاية الشخصية للطفل بعد وضعه ، فالأم ترضعه أو تشرف على إرضاعه وتمهد فراشه وتتعهده فى نومه وفى يقظته ، وفى نظافته وإبعاده عن التعرض لما يضره من تحركات ، وهكذا مما يحتاجه الطفل فى صغره حتى يبلغ سنا معينة تنتهى حضانة الأم لعدم حاجة الطفل إليها منذ يبلغ تلك السن .

وشرط استحقاق الأم لحق الحضانة ألا يخشى من ناحيتها ضرر على الطفل فى جسمه أو فى تربيته الخلقية ، أو إعداده للحياة بالتعليم النافع له فان كانت الأم مع غير أبيه أو كانت غير كفء لهذه الرعاية أو يخشى من جانبها أى ضرر على الطفل فالحضانة تنتقل من الأم إلى غيرها كالأب خاصة فى الحادثة المسئول عنها من السيد/سيد محمد رزق .

ومن هذا البيان يظهر فى وضوح أن الإسلام يراعى مصلحة الطفل ويراعى فى

شخصه ما تتطلبه الإنسانية أكثر من أى قانون وضعى .

ولعل ما ركن إليه البروفسور (فرد) فى تجريحه للإسلام عن جهالة به وبأحكامه وفى إنكاره لأهمية التعاقد للشروط بين الطرفين لعل هذا يكون واضحا فى نزعته العدوانية للاسلام والإسلام واضح وضوح الشمس فى كبد السماء ، ولا ينكر الشمس الواضحة إلا من كان فاقد البصر وبذلك يكون الحق الذى ترضاه الضمائر الإنسانية هو فى جانب السيد / سيد محمد رزق المسلم ، هذا وأما إقامة المسلم فى بلد غير إسلامى فلا تجيز للمسلم أن يخالف أحكام دينه فى قليل ولا كثير مهما يكن خضوعه للقانون فى غير الشئون الدينية قبل الواجب شرعا على المسلم أن يلزم دينه فى كل وطن يقوم فيه فإذ ضويق فى دينه أو أحس بتوجيهات تلزمه مخالفة دينه فعليه شرعا أن يلتمس بلدا آخر يهاجر إليه بعيداً عن التأثيرات التى يلاقيها « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة » ، ووجوب الهجرة على المسلم بدينه إلى بلد آمن يستفاد من نصوص كثيرة فى القرآن نحو قوله تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض » يعنى كنا عاجزين عن متابعة الدين قالوا - يعنى الملائكة - « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

وبهذا علم الجواب عن جميع ما ورد فى الاستفتاء والله تعالى أعلم ؟

أنباء وآراء

● سلسلة البحوث الإسلامية :

يصدر مجمع البحوث الإسلامية سلسلة كتب إسلامية تباعا فى صورة دورية ، وسيراعى فيها أن تمد القارىء بحاجته إلى الإلمام بالثقافة الإسلامية التى جعلها الله خير زاد للناس أجمعين .

وتيمنا بمولد الرسول ﷺ ، وفتحا للسلسلة ، يصدر الكتاب الأول بعنوان « الرسول صلى الله عليه وسلم » لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

● صدر قرار جمهورى بتعيين حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر — عضواً بمجمع البحوث الإسلامية .

● يصدر مجمع البحوث الإسلامية : « تفسيراً وسيطا » للقرآن الكريم ، شكلت لجنة — لهذا الغرض — ضمت من أعضاء المجمع الأساتذة : الشيخ محمد أبو زهرة ، الدكتور مهدى علام ، الشيخ محمد على السايس .

وتضم اللجنة الأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوى . وسيشرف سيادته على النظر فى تفسير الآيات الكونية ، وعقدت اللجنة عدة اجتماعات مع أعضائها الفنيين الذين سيتولون التفسير بقصد توزيع العمل للبدء فوراً فى التفسير .

وقد صرح فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود بأن هذا التفسير سيخرج فى أحسن طبقة بلاغية ، وفى نفس الوقت سيكون فيه اليسر والسهولة التى تمكن مطالعه من تذوق كتاب الله الكريم وفقه أسراره .

وستكون الحقائق العلمية لا النظريات والفروض محل تقدير لجنة التفسير .

وسيمتى هـذا التفسير . بتقديم تفسير للقـراءات بحيث يجـد التالى لأية قراءة تفسيرا لما يقرأ به .

يصدر التفسير مماثلا لأربعة أمثال حجم القـرآن الـكريم :

● باشر صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد العظيم بركة ، الأستاذ بكلية الشريعة والقانون ، عمله عضوا للمذهب الحنبلى بلجنة الفتوى التابعة لمجمع البحوث الإسلامية خلفا للأستاذ الراحل عبد اللطيف السبكى عليه رحمة الله .

استكملت اللجنة بالأستاذ بركة أعضاء المذاهب الأربعة .

ستوالى مجلة الأزهر اهتماما خاصا بقضية « الترتيب النزولى للقرآن الـكريم » بقصد الـكشف عن الجهات التى تقوم بهذا العمل بطريقة مباشرة وسيطالع القارىء فى الأعداد القادمة مقالات بهذا الصدد فى باب « ما يقال عن الإسلام » وسيدرك القارىء فى هذه المقالات طرفا ذا صلة وثيقة بفتنة « باقر » التى بدأها فى الصيف الماضى ثم أدعى أمام القضاء اللبنانى أن نسخته من الترتيب النزولى لدى أخيه بإيران

● صرح للمستشرق الفرنسى المعروف « بلاشير » أخيرا أنه رجع عن حماسه لفـكرة « ترتيب القرآن حسب النزول » وأنه عاد إلى دراسة القرآن الـكريم كما هو موجود برسم المصحف الإمام .

صرح المستشرق بذلك أخيرا لأحد محررى مجلة الأزهر ، وليس بمنى تراجع « بلاشير » عن فـكرته هذه تراجع أمثاله عنها ، أو الاقتناع بعدم جدواها لدى الجهات التى يهمها الـكيد للاسلام والمسلمين .

ولعل فى اهتمام مجلة الأزهر بالقضية بتقديم أسانيدها ووثائقها ، وفى خـبر المستشرق « بلاشير » ما يعطى القارىء بوضوح لون العمل والأيدى الساعية فيه .

● بدأ كثير من أهـــالى المناطق الإنفصالية بنيجريا يهاجر إلى نيجريا الاتحادية صرح أحد قادة نيجيريا الاتحادية بأن القضاء على الحركة الانفصالية سيتم فى أقرب وقت .

يعتبر هـذا التصريح ضربة موجعة للجهات التبشيرية التى سمت جهـدها لفصل نيجيريا إلى دولتين ، والقضاء على الزعامة الإسلامية بوسط إفريقيا هـذه الزعامة التى أضحت تقض مضاجع الاستعمار الغربى ، وبدأوا يحذرونها .

نعلى لسان أحد أساتذة الجامعات الغربية وكتبت مجلة الأزهر ذلك فى حينه من العام الماضى - أرسل تحذير لساسة الغربيين من قيام زعامة إسلامية فى أى بلد من البلاد الإسلامية ، وقال الأستاذ الغربى : إنه ينصح بنى قومه على حد تعبيره .

وقد تكشفت جهود المبشرين المتلونة فى كل من إفريقيا وآسيا . ولا يعنى نجاحهم فى بعض الأقطار الإفريقية الذى أدى إلى غلق الجمعيات الإسلامية فى مناطق من إفريقيا الجنوبية ، أو نجاحهم فى التغرير بأبناء العائلات التى فقدت عائلها فى ظروف عصيبة ، ولا انخداعهم - فى بعض المناطق من آسيا وإفرقيا أسماء إسلامية - لا يعنى ذلك كله أن المسلمين لم يكتشفوا مؤامراتهم وأنهم لها بالمرصاد .

● « فى حديث تليفزيونى شائق ، وبرنامج شريط تسجيل على وجه التخصيص تمنا الدكتور « لويس عوض » يعاتب الدكتورة لطيفة الزيات ، فيأخذ عليها عدم اهتمامها بقضايا المرأة ، وأهمها فى الوقت الحاضر قضية قوانين الأحوال الشخصية » .

هذا ما صدرت به رئيسة تحرير مجلة نسائية افتتاحيتها ، ونسأل الدكتور لويس عوض :

ما الذى لا يعجبه من قوانين الأحوال الشخصية ، وهو يعلم مصدر هذه القوانين ومشرعها الأول ؟

وهل يتفضل علينا ، فيبين لنا ما أدت إليه هذه القوانين من قصور فى نظره ؟

ثم ما هو الطريق الذى يود سيادته أن تأخذ منه تشريعا أحسن من قوانين الشريعة الإسلامية فى الأحوال الشخصية ؟

هلا كان الدكتور لويس أقرب إلى الجادة ، والوطن العزيز يتمتع بوحدته الرائعة الخاصة الدائمة وقت السلم والحرب جميعاً ، ويقف فى أيامه هذه فى وجه عدو حريص على مهاجمة وتحطيم كل مقدساتنا هلا كان دكتور لويس أقرب إلى الجادة ، فيذهب بحديثه إلى ما ينفع ويفيد ، ويبقى حديث الأحوال الشخصية هذا إلى وقت آخر وأناس آخرين ، ويكون هو آخر من يتكلم فيه .

● تعتبر قوانين الأحوال الشخصية للشريعة الإسلامية مصدراً هاما للتقنين للأحوال الشخصية بألمانيا الغربية .

طلبت ألمانيا الغربية إمدادها بهذه القوانين ، وقد قام المؤتمر الإسلامى بالقاهرة فى ذلك الحين بامدادها بها .

كانت ألمانيا تعانى من نقص الذكور بين شعبها عقب خروجها من الحرب الأخيرة . نشرت الخبر فى حينه مجلة « صوت الشرق » الهندية التى تصدر بالقاهرة .

● صدر قرار بندب العاملين الفنيين بمراقبة رعاية الشباب بالأزهر إلى وزارة الشباب حتى أول يوليو ١٩٦٩ .

يتم بعد ذلك ضمهم إلى وزارة الشباب.

● اعترف المعقب البريطانى (بيتر مانفيلد) بأن أجهزة الإعلام فى بريطانيا لا تزال مضادة للتبصير بحركة الفدائيين العرب وحقهم المشروع فى استعادة أرض فلسطين كما اعترف فى الوقت نفسه بأن أجهزة الإعلام هـذه لا تعكس شعور المجتمع البريطانى نفسه نحو الفدائيين .

هذا الشعور الذى يتزايد يوما بعد يوم مما يسبب أزمة لأجهزة الدعاية الصهيونية .

سبق أن اعتذر متحدث رسمى أمريكى لورود كلمة (إرهابيين) بدل (فدائيين) فى أحد البيانات .

● تستعد إسرائيل فى هذه الأيام لخوض حملة تشهير ضد دول أوربا الشرقية .

الغرض من الحملة إقناع الغرب بأن هذه الدول تضطهد رعاياها اليهود وأحلام إسرائيل من ذلك ـ أن تحظى بتهجير أكبر عدد من هؤلاء اليهود رأسا إليها .

بدأت الحملة بخبر لسائح صهيونى أدلى به لإحدى اللجان الدولية بسويسرا ادعى فيه أن دولة أوربية شرقية تعذب الرعايا اليهود .

علي الخطيب

The attitude of the (Muslim) toward the non-Muslim Negro seemed to be one of sympathy and unity, and this feeling is reciprocated by many of the Christian Negroes.

The Attitude Toward Other Minority Groups.

Although (Muslim) students are taught to separate themselves from the white man and to make no friendships among the whites, they are also taught through religious instruction and in their history classes that they are brothers to the brown, red, and yellow peoples of the earth. This attitude is fostered by Elijah Muhammad's teachings.

"The maker of the universe is Allah (God) the Father of the black nation which includes the brown, yellow, and red people."(10)

Muhammad goes on to explain that :

"The black man produces these four colours : brown, red, yellow and white. The original people, whom the white race found here (red people), were the brothers of the black man ; they are referred to as the Red Indians. The Indian part of the name must refer to the name of the country from which they came, India."(11)

This attitude seems to aid (Muslim) students in removing the sense of being a minority by teaching them that they are a part of the majority group-the black, brown red, and yellow man-which inhabits Asia and Africa. A principal in the (Muslim) schools stated :

"The Honorable Elijah Muhammad teaches us that we are Asiatic black people, and being such, we see ourselves as part of a vast majority of mankind and not of the tiny minority."(12)

---

(10) Elijah Muhammad, *Message to the Blackman in America*, op. cit. p 290.

(11) Ibid., pp. 106-107.

(12) Tape recorded interview with a principal in the Muslims schools, September 24, 1965.

Once during the field study at the University of Islam in Atlanta, a Negro Catholic priest attired in his cassock was encountered in the kitchen attached to the Mosque. When asked why he was there, he explained, "I am just investigating, and I like the Muslim food." Personnel in the kitchen later added that the priest was very much over-wheight and hoped to lose weight by following the Muslim diet ! Moreover, this incident my illustrate the bond which exists between (Muslim) and non-Muslim black men.

The Christian Negro's sense of a bond of some sort is fostered by the Nation of Islam itself. A young Chicago school teacher wrote the following after hearing Elijah Muhammad speak :

"I could not accept as absolute truth some of the things stated by Mr. Muhammad, and still find a few of these things hard to believe.. In short, I had made one initial reidentification with myself and my people. I could stand up in public and proclaim it."(1)

A Congregational minister wrote in Muhammad Speaks :

"I think the time is past when the white man can tell the Negro what to do . . . . I do not have any confidence in the white man at all — liberal, radical, or conservative "(2)

Another non-Muslim Negro, Dr. James L. Buckner, Chairman of the Dental Division of Chicago Urban League also worte an article in Muhammad Speaks which praised Elijah Muhammad's educational program and his cause of uniting Negroes."(3)

A Christian Negro journalist for Muhammad Speaks commented on the education system of the (Muslims).

" I think this is the finest educational system for a black person in the country, because it puts special emphasis on our history, which has been thorougly distorted by the white educational system . . . the University of Islam puts special emphasis on the achievements of the black people . . . and this gives a man pride and dignity in his culture, and his life, and his identity". (4)

(1) Ethel Minor, Muhammad Speaks, Vol. 2, No. 8, January 15, 1963, p. 16.

(2) Rev. Albert B. Cleage, Jr., Muhammad Speaks, Vol. 2, No. 17, May 13, 1963, p. 21.

(3) Dr. James L. Buckner, Muhammad Speaks, Vol. 2 No. 17, May 13, 1963, p. 6.

(4) Tape-recorded interview with a Christian Negro working for Muhammad Speaks, September 13, 1965.

warm feelings and a sense of intimate relationships with the non-Muslim Negrœs, and this sense of brotherhood is compounded by the fact that all Christian Negrœs who work for the Nation of Islam are entitled to the (Muslim) titles of "Brother" and "Sister."

This sympathetic bond is reciprocated by many Christian Negrœs, particularly those who work within the Nation of Islam, even though doing so involves accepting a considerably lower salary and adherence to the strict (Muslim) code of ethics. A barber working in a (Muslim) shop in Chicago, when questioned about his attitude toward the (Muslims), commented :

"Although I am not a Muslim, I am completely convinced that it is worthwhile to investigate Mr. Muhammad's teachings. It seems to me that his program is the only solution for Negro problems in America. Man . . . consider all these alcoholics after they became Muslims. They have thrown away their bottles ; they have given up their drugs ; they have changed completely, and they have become nice, clean people."[1]

When asked why he did not join the Nation of Islam himself, he answered :

"I do not accept all that the Muslims teach, and it is also hard to impose this change upon my wife and children. We have been Christians all our lives."[2]

The feeling of sympathy with which non-Muslim Negrœs approach the (Muslims) is apparent in their respect for the (Muslims).

"But if Negrœs are not rushing to join the Muslims, they do seem to respect them ; those Negrœs who do not join the Muslims do not join criticism of them."[3]

The sympathy is even obvious in the way non-Muslims by Muhammad Speaks from the (Muslims).

"I think that even the people who weren't interested in or were indifferent to the Muslim movemen sort of sympathized with them. If the Muslims were trying to sell papers, people would buy papers, just to give some money to the cause."[4]

(1 Informal interview with a a barber in Chicago, the wirter's file notes, September 10, 1965.

(2) Ibid.

(3) Morrœ Berger, "The Black Muslims," Horizon, Vol. 1, No. 3. Winter, 1964. p. 59.

(4) Claude Brown, Manchild in the Promised Land, the Macmillan Co. New York, 1965, p. 336.

The Role of The School in The Nation of Islam In America In Changing Its Students' Attitudes

— II —

BY:

DR. IBRAMIH M. SHALABY

The Attitude Toward Other Negrœs

The (Muslim) attitude toward other Negrœs is one of sympathetic unity. However, (The Muslim) takes offense at the term "Negro." In the schools, through religious instruction and history courses, (the Muslims) teach their pupils that the proper term for "Negro" is the "black man," and when the term "Negro" is used, it is usually preceeded by the words "so-called".

The school also teaches its pupils that the black man is by nature a good man and very religiously inclined.

"The black people are by nature the righteous. They have love and mercy in their hearts even after trying to live the life of the devils. This is still recognized in them. When they are fully in the knowledge of self, they will do righteousness and live in peace among themselves. One can't judge them now, for they are not their own selves."(1)

The school further teaches (Muslim) children that the black man in America is mentally dead, and that it is the mission of Elijah Muhammad to resurrect him by convincing him to affiliate himself with the Nation of Islam. The students are taught that the black man is (Muslim) by nature, but that white Christianity has been imposed upon him.

As indicated before, almost 50 percent of all schools personnel at the Uuiversities of Islam are Christian Negrœs, and four Christian Negrœs work on the Nation of Islam's paper Muhammad Speaks. It seems that the students are instilled with

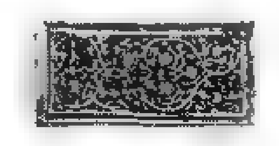
---

(1) Elijah Muhammd, Message to the Blackman in America, Chicago Ill. Muhammad's Mosque No. 2, 1965, p. 108.

to the male, a portion equal to that of two females : . . ."
(S. 4 : V. 11)

". . . if there are brothers and sisters, (they share), the male having twice the share of the female. . . " (S. 4 : V. 176)

But studying the matter carefully would prove that discrimination has no place at all in our teachings. The fact is that the responsibility put on the man's shoulders is recognized and he is thus given a large share to enable him to carry out his duties. The reader should remember that the man must pay his wife's dower and must support and maintain her along with his children, even if his wife is richer than him. Sometimes he has to take care of a person or some of his relatives who are poor and needy. On the order hand, the women has no such responsibility. If she is married, she will be taken care of by her husband, and she will receive her dower, which becomes her own property, and retain any other kind of wealth she might have. She is much better off financially than her brother. In case she is not married and has some financial means, there is no obligation on her part towards anyone but herself. If she is poor she will be supported by a male member of her family, like her father or her brother. At any rate she is more independent than her brother from a financial point of view.



If this is a condition in the first marriage, it applies equally to following marriages if they occur. It is clear here that Islam is concerned with the happiness of the Muslim community and realizes the importance of the economic aspect of Muslim life.

Another limiting condition regarding the practice of polygyny is that the husband must deal with his wives justly and equally to the best of his ability. Since it is so difficult for any man to be so just and equal in dealing with more than one wife, the Holy Qur'an says :

« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيما » (النساء ١٢٩)

It means : "Ye are never able to be fair and just as between women, even if it is your ardent desire : but turn not away (from a woman) altogether, so as to leave her (as it were) hanging (in the air). If ye come to a friendly understanding, and practice selfrestraint, God is Oft - giving, Most Merciful." (S. 4 : V. 129)

In ordinary life, then, Islam does not sanction polygyny. But if the Muslim community faces a situation in which women outnumber men, such as during or after a war, polygyny provides a means which can fulfill the natural needs of the fair sex, and maintain the morality and dignity of the community as a whole.

There are also some individual cases in which a couple finds it difficult to live happily together for some reasons beyond their control. In some of these cases, the problem can be solved if the husband is allowed to add another wife to his family, while maintaining respect and protection for the first wife.

We have to keep in mind that Islam claims to be a universal religion ; with its world - wide mission, then, it has to look to the requirements of all ages, countries, and civilizations.

MAN AND WOMAN IN INHERITANCE

Some people would say that Islam has not treated man and woman equally regarding inheritance because the man has been given twice as much as the women. This general rule is clear in the following verses ; which mean :

"God (thus) directs you as regards your children's (inheritance:

Furthermore, the number of wives allowed by Judaism has no limit. To prove this we may refer to the prophet Solomon. The number of his wives was at least seventy and, at most, a thousand.

c) It is another fact that Christianity has no law for itself, but follows the Jewish law. Jesus Christ himself said that he had not come to change the law, but to follow it.

This means that polygyny is allowed in Christianity as well To quote Encyclopedia Britanica on the word polygyny : "As an institution polygyny exists in all parts of the world . . . Monogamy as the unique and exclusive form of marriage in the sense that bigamy is regarded as a grave criminal offense and a sin as well as a sacrilege, is very rare indeed. Such an exclusive ideal and such a rigid legal view of marriage is perhaps not to be found outside the modern, relatively recent development of Western culture. It is not implied in Christian doctrine even . . . . polygyny was legally practiced and accepted by the church in the middle ages, and it occurs sporadically as a legal institution accepted by church and state as recently as the middle of the 17th century."*

It is true that polygyny is now prohibited in the West, but this has been done by a civil law enforced, no doubt, by some social and economic factors. To conclude our discussion we may say :

1— When Islam came polygyny was already legally pracaticed and accepted by both Judaism and Christianity. This was also true as far as Arabia was concerned. Islam agrees on the legality of the institution as such.

2— The number of wives one could have before the coming of Islam was not limited. Islam established a limit at four wives.

3 Prior to Islam, polygyny was under no conditions whatsoever. Islam imposed conditions, the observance of which reduce the practice to a minimum. The most important of those conditions is that it is the duty of every Muslim not to marry unless he is financially able to support his wife. The Holy Qur'an says :

« وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا

حتى يغنيهم الله من فضله ... » (النور ٣٣)

It means : "Let those who find not the wherewithal for marriage keep themselves chaste, until God gives them means out of his grace. . . . ." (S. 24 : V. 33)

---

*v 14 (Chicago, 1962), pp. 949-950

WOMAN'S POSITION IN ISLAM – VII

By :

Dr. Ahmad I. Mohanna

POLYGYNY

Although polygyny is allowed in Islam, it is necessary to explain this practice in some detail because it is always misunderstood. People in the West believe :

1 – That polygyny is an Islamic phenomenon; in other words, they believe that the institution of polygyny originated with Islam.

2— And that any Muslim can have more than one wife (up to four) at any time and under no condition at all.

It is interesting to note that not only the common people of the West hold these ideas, but also many educated people and many scholars as well.

Many Muslims, however, have tried to correct this situation in defending their religion. These Muslims can be classified, roughly, into two different groups :

1 — Those who hold the idea that polygyny is not allowed by Islam and is against the teachings of the Holy Qur'an. *In my opinion this view is not correct.

2— The second group consists of the majority of Muslims, those who have done a very marvelous job in explaining why polygyny is allowed in Islam. But most of them give the impression that they accept the idea that no other religion, besides Islam, allows polygyny, and that polygyny is a merit of our religion. In my view, they have missed the point because :

a) It is a known fact that the prophet Abraham had two wives at the same time. This means polygyny was allowed in his religion.

b) It is also a fact that many Jewish prophets practiced polygyny. Again, this means that polygyny was allowed in the religion of the prophet Moses, i. e. Judaism.

---

*For an example of this see Muslim an organ of Muslim Students Association, University of Mich., No. 2 (Ann Arbor, 1961 - 1962), pp. 3 - 6.

of colour and race, and the basis of the unity of the human race was laid upon the grand principle that the whole human race was one, and that all men, wherever they may be found, were a single nation.

Such unity of human race could not be accomplished unless the finality of prophethood was established, for if prophets continued to appear after the world-prophet, they would undoubtedly demand the allegiance of this or that section and shatter the very foundations of the unity at which Islam aimed by giving a single prophet to the whole world. It may be further added that by bringing prophethood to a close, Islam has not deprived the world of a blessing which was available to previous generations. The object of sending a prophet to a people was to make known the Divine will and point out the waye by walking in which men could hold the elevation and happiness of the two worlds. That object was also brought to perfection through the great World-Prophet, whose message was so perfect that it met the requirements not only of all contemporary nations but all future generations as well. This is plainly stated in the Holy Qur'an :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الإســــلام دينا »

(المائدة ٣)

It means : "This day I have perfected for you your religion and completed on you My blessing and chosen for you as religion Islam".
(5 : 3)

The perfection of religion and the completion of the blessing of Prophethood thus go hand in hand. This blessing is made complete in the person of Prophet Muhammad (pease be on him).

of a people The doctrine of the finality of prophethood in Muhammad, therefore, rests on the clear words of the Holy Qur'an. It also stated that his message is general to all nations till the end of this world :

«قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً» (الأعراف ١٥٨)

It means : "Say : O mankind ! Surely, I am the messenger of God to you all . . ." (7 : 158).

There is another point to be explained at length ; That is the idea of unification of human race based on finality of prophethood. The idea that Prophethood came to a close in the person of prophet Muhammad (peace be on him) is not a stray idea. On the other hand, it is the natural conclusion of the universalization of the theory of revelation which is the basic principle of the religion of Islam. Revelation, according to the Holy Qur'an, is not the solitary experience of this or that nation but the spiritual experience of the whole of the human race.

Starting from that broad basis, the Holy Qur'an develops the theory that prophets were sent to every nation :

«وإن من أمة إلا خلا فيها نذير» (فاطر ٢٤)

It means : "There is not a people but a warner has gone among them." (35 : 24)

At the same time it is stated that the advent of the Holy Prophet Muhammad universalized the institution of prophethood in a real sense. The day of the national prophet was over, and one prophet was raised for the whole world, for all nations and for all ages. The Holy Qur'an declares :

«تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا» (الفرقان ١)

It means : "Blessed is He Who Sent down the 'Furquan' upon His servant that he may be a warner to all the nations" (25 : 1). And

«وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون» (سبأ ٢٨)

It means : "We have not sent thee but to all the men as a bearer of good news and as a warner, but most men do not know" (34 : 28)

The World - Prophet, therefore took the place of the national prophets, and the grand idea of unifying the whole human races, and gathering it together under one banner, was thus brought to perfection. All geographical limitations were swept away as were all bars

Man was commanded to live in a spiritual and moral progress, but since he was unable to withstand the temptations of the devil, the Divine revelation came to his aid; and a rule for all time was laid down for the guidance of all men. The Divine revelation says :

« فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

(البقرة ٣٨)

It means : 'There will come to you a guidance from Me, then whoever follows My guidance, no fear shall come upon them, nor shall they grieve" (2 : 38). Every Prophet brings the message of the Existence of God and His Oneness, and the significance underlying this message has already been shown to be the all round advancement of man, physical as well as spiritual and moral. And every prophet is called. « مبشر » "mubashshir" (giver of good new) and : « منذر » "mundhir" (warner); the goodnews relating to his advancement and elevation, the warning to the retarding of or interference with his progress.

The Holy Qur'an refers to the four works of the Prophet in the following verse :

« كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ... » (البقرة ١٥١)

It means : "We have sent an Apostle to you from among you who recites to you Our communications and purifies you and teaches you the Book and the wisdom" (2 : 151). All these references to the Holy Book show that the object of sending prophets was no other than the upliftment of man, to enable him to subjugate his animal passions, to inspire him with nobler and higher sentiments, and to imbue him with Divine morals.

Another important point which requires to be explained in this connection is the finality of prophethood. In the Holy Qur'an, Prophet Muhammad is spoken of as the last of all prophets :

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (الأحزاب ٤٠)

It means : "Muhammad is not the father of any of your men, but he is the Apostle of Allah and the Last of the Prophets" (33 : 40). The words "khatam al-nabiyyin" or "khatim al-nabiyyien" mean the last of the prophets ; for both the words "khatam" and "khatim" mean the last portion of anything. The best arabic lexicologists are agreed that "khatam al-qaum" means the last

prophets of God - a belief in Abraham; in Ismael, in Isaac, in Jacob, in Moses, in Jesus, and finally and comprehensively in the prophets, — which occurs several times in the Holy Qur'an, is repeated here again, and followed by the plain statement that Islam, or 'belief in all the prophets of God', is the only religion with God, and whoseover desires a religion other than Islam — a belief only in one prophet while rejecting all others—, it shall not be accepted from him, because belief in one prophet is after all only acceptance of partial truth, and tantamount to the rejection of the whole truth, to wit, that there have been prophets in every nation".

"Muhammad (peace be on him), therefore, does not only claim to have been sent to the whole world, to be a warner to all people and a mercy to all nations, but lays the foundations of a world-religion, by making a belief in the prophet of every nation the basic principle of his faith. It is the only principle on which the whole of humanity can agree, the only basis of equal treatment for all nations. The idea of a world — prophet is not a stray idea met with in the Qur'an; it is not based simply on one or two passages, stating that he had been raised up for the regeneration of all nations; but the idea is here developed at length, and all the principles which can form the basis of a world – religion are fully enunciated. The whole of humanity is declared to be one nation (2:213). God is said to be the Rabb (the Nourisher unto perfection) of all nations (1 : 1); prophets are declared to have been raised up in all the nations for their upliftment (35 : 24); all prejudices of colour, race and language are demolished (30 : 22; 49 : 13); and a vast brotherhood, extending over all the world, has been established, every member of which is bound to accept the Prophets of all nations, and to treat all nations equally. Thus not only is the Prophet Muhammad a world - Prophet who takes the place of the national Prophets, but he has also established a world — religion wherein the idea of nationality is superseded by the consciousness of the unity of the human races."

The Prophets are all one community, and they were all raised up for one purpose. They were essentially all truthful, all were pure, all of them guarded against evil, all were honourable, and none of them was insolent or disobedient to God. The prophets are raised up for the upliftment of humanity and for freeing man from the bondage of sin.

people, and the addition of Kaffa is meant to emphasize further that not a single nation was excluded from the heavenly ministration of the Prophet Muhammad. On another occasion, also, the universality of the Prophet's mission is thus stressed : "Say, O people ! I am the Apostle of Allah to you all, of Him Whose is the Kingdom of the heavens and the earth" (7 : 158). One thing is sure that no other prophet is spoken of either in the Holy Qur'an or in any other scripture as having been sent to the whole of humanity or to all people or all nations, nor is the Holy Prophet Muhammad ever spoken of in the Holy Qur'an as having been sent to his people only. It is, no doubt, true that he is commanded to warn "a people whose fathers were not warned" (36 : 1), but that does not mean that he was not to warn others than Arabs, for in 25 : 1, he is expressly described as being "a warner to all the nations." Nay, the Holy Qur'an itself is repeatedly termed "a reminder for the nations" (68 : 52 ; 81 : 27 ; 12 : 104). And he is not only a warner to all the Nations, but a mercy to all of them as well: "And We have not sent thee but as a mercy to all the nations" (21 : 107).

". . . That a world - prophet is spoken of here is evident from the fact that his acceptance — "you must believe in him and you must aid him" — is made obligatory on the followers of all the prophets that had passed away before him. As prophets had been sent, according to the plain teachings of the Holy Qur'an, to every nation, the conclusion is obvious that the followers of every prophet are required to believe in this, the final, Prophet. The distinguishing feature of the world - prophet, as mentioned here, is that he will "Verily that which is with you" ; in other words, that he will bear testimony to the truth of all the prophets of the world. You may turn the pages of all the sacred blooks and search the sacred history of every nation, and you will find that there is but One Prophet who verified the scriptures of all religions and bore testimony to the truth of the prophets of every nation.

In fact no one could aspire to the dignity of world — prophet who did not treat the whole humanity as one ; and Muhammad is the only man who did so by declaring that prophets of God had appeared in every nation and that everyone who believed in him must also believe in all the prophets of the world. Hence it is that the verse requiring a belief in all the

were raised up for the regeneration of the world, as disclosed in the Holy Qur'an, may be briefly summed up as follows. Prophet were raised up in every nation, but their message was limited to that particular nation and in some cases to one or a few generations. All these prophets were, so to say, national prophets, and their work was limited to the moral upliftment and spiritual regeneration of one nation only. But while national growth was a necessity of the first condition of the human race, when each nation lived almost an exclusive life and the means of communication between different races were wanting, the grand aim which the Divine scheme had in view was the upliftment and unification of the whole human race. Humanity could not remain for ever divided into water-tight compartments of nationality, formed on the basis of blood or geographical limitations. In fact there divisions had through jealousy, become the means of discord and hatred between different nations, each looking up itself as the only chosen nation, and despising the rest".

"Such views tended to extinguish utterly any faint glimmerings of aspirations for the unity of the human race. The final step, therefore, in the institution of prophethood was the raising up of one prophet for all the nations, so that the consciousness of being one whole might be brought to the human race. The day of the national prophet was ended; it had served the purpose for which it was meant, and the day of the world — prophet dawned upon humanity in the person of the Holy Prophet Muhammad, to lead it on to the grand idea of the oneness of the human race."

"The idea of the world-prophet is not based on a solitary passage occuring in the Holy Qur'an, as to the extent of the mission of this or that prophet; but is a fully developed Divine Scheme. When mentioning the earlier prophets, the Qur'an says that Noah was sent "to his people" (7 : 59. 71 : 1), and so Hud (7 65), and Salih (7 : 73), and Shu'aib (7 : 85) — everyone of them was sent to his people. It speaks of Moses as being commanded to "bring forth thy people from darkness into light" (14 : 5); it speaks of Jesus as "an apostle to the children of Isreal" (3 : 48); but in speaking of the Holy Prophet Muhammad, it says in unequivocal words that "We have not sent thee but to all men as a bearer of good news and as a warner" (34 : 28). The Arabic words for all men are Kaffat-an li-l-nas, where even al-nas carries the idea of all

Generally. He belongs to a different class of beings and cannot serve as a model for men. The reformation of man is thus entrusted to man :

« قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا »
(الإسراء ٩٥)

It means : "Had there been in the earth angels walking about as settlers, We would have sent down to them an angel from the heaven as an apostle". 17 : 95 ; "And We did not send before thee any but men to whom We sent revelation. . And We did not give them bodies not eating food" (21 : 7 - 8). If, then, even an angel cannot serve as a model for men much less would God Himself serve that purpose, even if it were possible that He should come in the flesh. The doctrine of incarnation is, therefore, rejected, because God incarnate would serve no purpose in the reformation of man ; seeing that man has to face temptations at every step, but there is no temptation for God.

According to the Holy Qur'an, there is not one nation in the world in which a prophet has not been raised up :

« وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » (فاطر ٢٤)

It means : "There is not a people but a warner has gone among them" (35 : 24). And again : ولكل أمة رسول

It means : "Every nation had an apost e" (10 : 47) . We are further told that there have been prophets besides those mentioned in the Holy Qur'an :

« ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك » (النساء ١٦٤)

It means : "And We sent apostles We have mentioned to thee before and messengers We have not mentioned unto thee" (4 : 164).

A belief in all the prophets of the world is thus an essential principle of the religion of Islam, and though the faith of Islam is summed up in two brief sentences, "there is no god but Allah and Muhammad is His apostle". Yet the man who confess belief in Muhammad, in so doing accepts all the prophets of the world, whether their names are mentioned in the Holy Qur'an or not. Islam claims a universality to which no other religion can aspire, and lays the foundation of a brotherhood as vast as humanity itself.

In order to study the institution of the prophethood, it is worthwhile to quote the great Muslim Writer Moulana Muhammad Ali. . . . "The Divine scheme whereby prophets

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FÛDA

Rabi'Awwal 1389	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	MAY 1969

THE WORLD – PROPHET

By :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

According to the Holy Qur'an, the prophethood is a free gift of God, not the result of anything done on the part of man. That is to say, that no man can rise to the dignity of prophethood by his own efforts; it is God Who raises someone to that dignity when He intends to reform men, The Holy Qur'an declares that : الله أعلم حيث يجعل رسالته (God knows best where He places His message — 6 : 124).

Just as He has granted His gifts of physical sustenance to all men alike, so His spiritual gift of prophethood, through which a spiritual life is awakened in man, is also a free gift to all the nations of the world. The faith in Divine revelation is one of the essentials of Islam, and since revelation must be communicated through a man, faith in the messenger is a natural sequence. The Prophet is not only the bearer of the Divine message, but he also shows how that message is to be interpreted in practical life; and therefore he is the model or exemplar to be followed.

It is the Prophet's example that inspires a living faith in the hearts of his followers and brings about a real transformation in their lives. This is why the Holy Qur'an lays special stress on the fact that the Prophet must be a man, The reformation or transformation of man can only be accomplished through a man-Prophet. The angel's function is restricted simply to the delivery of the Divine message to the perfect man, the Prophet. Hence an angel is sent as a messenger to the Prophet and not as a messenger to men



تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
والمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٤٧٣
٩٠٥٥٠٦

الجزء الرابع — السنة الحادية والأربعون — ربيع الآخر سنة ١٣٨٩ هـ — يونية سنة ١٩٦٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الصراع بين الحق والباطل

للأستاذ عبد الرحيم فوده

معنى الحق هو الثابت اللازم النافع المفيد ، فالثبات والدوام والخير والمصلحة من المعاني التي تدخل في مفهومه ، وعلى العكس من ذلك معنى الباطل ، فإنه مالا ثبات له ولا خير فيه ، فالفناء والعفاء والشر والمضرة من المعاني التي تدخل كذلك في مفهومه ، وإذا كانت القاعدة العامة بين قواعد الاجتماع ، أن « البقاء للأصلح » فأحق من ذلك وأدق أن يقال : إن البقاء للحق ، لأن ذلك هو ما ينطق به القرآن حيث يقول الله فيه : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » ، وحيث يقول : « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن » ، ثم لأن معنى الحق لا يقع عليه ما يقع على معنى الأصلح من خلاف ، فقد يفسر الأصلح لفرد أو جماعة بما يوافق الهوى ولا يلتقى مع الحق ، فيكون نافعاً لقوم ضاراً بآخرين ، أما معنى الحق فلا يقبل التفسير إلا بما هو حق ، لا يشوبه الشر في أى تقدير أو تفسير ، ومن ثم كانت رسالة الأنبياء جميعاً كما يقول الله : « لقد جاءت رسل ربنا بالحق » ، وكان قانون

الوجود كله كما يقول الله سبحانه: «وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق»، وكان اسما من أسماء الله الحسنى كما يقول الله: «فتعالى الله الملك الحق»، وكما يقول: «ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل» وكان ميزان القرآن كما يقول الله: «وبالحق أنزلناه وبالحق نزل».

ولا شك أن الصراع بين الحق والباطل قديم قدم الإنسان على هذه الأرض، بل هو موجود منذ وجد الإنسان واصطرعت في نفسه نوازع الخير والشر، فإنه يجد في نفسه دائما قوى تدفعه إلى الخير وقوى تمنعه عنه، كما يجد هذا الصراع نفسه فيما يدفعه إلى الشر، وفيما يمنعه عنه، وهذا المعنى يمكن أن نلمحه فيما يفهم من قول النبي ﷺ: «أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك»، وقول الله تبارك وتعالى: «إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي»، ومن ثم كان على الإنسان أن يجاهد نفسه وهواها كما يقول ﷺ: «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم»، وكما يقول عليه السلام: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني»، ذلك لأن اتباع الهوى يضل صاحبه عن طريق الحق، كما يقول الله: «ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله»، ثم لأن جهاد النفس ورياضتها على التزام الحق والإيمان به والعمل بمقتضاه هو السبيل إلى تقويتها على مواجهة أعدائها وأعداء دينها، ومن ثم كان جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، كما ورد عن النبي ﷺ.

ونحن في موقفنا مع الصهيونية والاستعمار نمثل موقف الحق والخير في صراعه مع الباطل والشر، لأننا ندافع عن شرف، ونذود عن حرمات، ونقف على أرض روينا بالعرق والدماء، وعمرناها بالغرس والبناء، واختلط رفاتنا بترابها، ونبتت منها أجسادنا وأجساد آبائنا وأجدادنا، فالدفاع عنها حق، والجهاد لتحريرها واجب، والتضحية في سبيل ذلك بالأنفس والأموال طريق الأحرار الأخيار في كل عصر وجيل، وقد مثل الله الحق بالسائل من الماء ومن المعادن النفيسة، ومثل الباطل بالزبد الذي يطفو فوق هذا السائل، فكما أن الماء والمعدن المنصهر يبقى وينفع الناس، والزبد يتلاشى جفاء في خواء الهواء، فكذلك يبقى الحق وينفع الناس، ويذهب الباطل في الفضاء،

وقد بين الله ذلك حيث يقول وقوله الحق : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ، ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال » .

هذا هو مصير الحق ، وذلك هو مصير الباطل ، ولكن مصير الحق رهن بمن يؤمنون به ، ويحرصون عليه ، ويدافعون عنه ، ويجاهدون فى سبيله ، وذلك مايجب أن نؤمن به ونعمل له ، ليكون الله معنا بعونه ونصره ، فقد قال وقوله الحق : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » ، وقال جل شأنه : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » ؟

عبد الرحيم فوده

مجمع البحوث الاسلامية

يسر الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية أن تدعو المهتمين بالشئون الإسلامية فى مختلف بلاد العالم إلى الكتابة فى موضوع :

(التخطيط لسير الدعوة الاسلامية فى العالم)

وستمنح البحوث المختارة جوائز مالية على نطاق واسع .

وستعمل الأمانة على نشرها فى (مجلة الأزهر) وفى رسائل خاصة .

ويرجى من المتقدم أن يوضح اسمه وعنوانه كاملين .

وآخر موعد لتقديم البحوث أول رمضان سنة ١٣٨٩ هـ .

والله الموفق والهادى إلى أقوم سبيل ؟

الخلاف بين اليهودية والمسيحية

للدكتور إسحق موسى الحسيني

— ١ —

لقد آزرت المسيحية الغربية ، ولاسيا طوائف البروتستانت والفرق المسيحية المتهودة كالسبتيين وشهود يهوا ، إسرائيل مؤازرة المستميت فى الدفاع عن عقيدته . وذهبت فى مؤازرتها إلى حد خذلان إخوانها فى الدين ، مسيحيى فلسطين ، الذين عاشوا فى فلسطين مئات السنين حماة للتراث المسيحى بعقيدته وآثاره ومؤسساته.

ويعجب المرء لم وقفت المسيحية الغربية هذا الموقف ؟ أهو جهلها بالخلاف الجذرى العميق مع اليهودية، أم هو بغضها للمسلمين، ذلك البغض الدفين منذ الحروب البيزنطية والصليبية والأندلسية ، أم هو انقلاب الكثير من رجال الدين إلى مرتزقة تحترف الدين احترافاً لا تقرباً إلى الله ، أم هو احتراف الدين بالسياسة ؟

وأيا كان السبب فقد جنت المسيحية على نفسها أيما جناية ، وعرضت البلاد المقدسة لأسوأ مصير ينتظرها فى المدى القريب والبعيد على السواء .

وجرت جنايتهما الهلاك والدمار على العرب المسلمين الذين صانوا المقدسات المسيحية صيانتهم لمقدساتهم ، ووقفوا حماة للديار أربعة عشر قرناً ، لم تحرق خلالها كنيسة ولم يدرس أثر ، ولم تقع مذابح ، كما حدث فى عدد من القرون قبل الفتح الإسلامى .

وكان جزاء المسيحية الغربية لمن عدوهم أقرب الناس مودة إليهم أبشع جزاء عرفه التاريخ ، بلا مسوغ ولا عذر .

— ٢ —

وأين الرباط الذى يربط المسيحية باليهودية؟ إن الباحث المنصف يرى من وجوه الخلاف والتناقض بينهما ما يجعل كلا منهما يقف مناقضاً للآخر مناقضة تامة ، لا سبيل معها إلى أية تسوية أو توفيق .

وقد بدا ذلك واضحاً فى خلال السنوات

التى نكبت فيها فلسطين بالصهيونية ، فدمرت قرى مسيحية عربية تدميراً تاماً ، وأزيلت كنائس مسيحية من الوجود ، وشرد الكثير من رجال الدين وطرد آلاف من المسيحيين من ديارهم وصودرت أموالهم ، فى وقت كانت فيه الصهيونية أحوج ما يكون إلى حماية المسيحية الغربية وسلاحها وأموالها . فماذا يمكن أن يحدث حين تستقل عن حماية المسيحية الغربية وتراجع ذلك التاريخ الدامى الذى لا يزال حيا فى الأذهان ، ابتداء من الاضطهاد البيزنطى ، إلى استغلال الصليبيين ، إلى مذابح أوربا الشرقية ، إلى محاكم التفتيش إلى الاضطهاد النازى ؟

وهل يغرب عن بال الموسويين القوانين التى سنتها بعض الدول المسيحية الغربية لحرمانهم من حق المواطنة ، وحق امتلاك الأرض ، وحق التنقل ، وحق احتراف بعض الصناعات وما إلى ذلك من قوانين مدونة ومعروفة ؟

إن يوم الحساب قريب . وحينذاك سيعض قوم أصابعهم ندماً ، وسيقولون : ليتنا كنا ترابا ! وليتنا لم نخذل من ناصرنا ، وحمى حمانا ، وأشاع الأمن فى مقدساتنا !

— ٣ —

وبعد فأين مواطن الخلاف بين الديانتين ؟

أولا : إن الهوة السحيقة التى يستحيل معها التوفيق بين الديانتين هى نظر كل منهما إلى الإلوهية . فاليهودية تعد الله فكرة مجردة ، وقوة خارقة مخوفة ، حتى إنها لا تجيز ذكر اسم « يهوا » حين يرد فى النص ، رهبة ورعبا ، وتنطقه باسم آخر هو « أدوناى » ، فى حين تقول المسيحية : بأن الله تجسد فى السيد المسيح ، وأن الله نزل إلى الأرض بصورة إنسان . فهو محسوس وملموس .

ثانياً : إن اليهود عدوا السيد المسيح دعيا كاذبا مجدفا بحق الله ، وهذا أهون القول . فهذا رئيس الكهنة اليهود يسأل السيد المسيح عندما أحضر أمامه بجمع من الكتبة والشيوخ :

— بالله الحى أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله ؟

ورد السيد : أنت قلت . وأيضاً أقول لكم : من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء .

وحينئذ مزق رئيس الكهنة ثيابه

قائلا قد جدل : ماحاجتنا بعد إلى شهود ؟ قد سمعتم تجديفه . ماذا ترون . فأجاب الكتبة والشيوخ : إنه مستوجب الموت . وحينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه . وآخرون لطموه قائلين : تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك ؟ (انجيل متى ٢٦/ ٥٧)

وحين وقف السيد المسيح أمام بيلاطس للمحاكمة بطلب من اليهود ، وأراد بيلاطس أن يخيرهم بين إطلاقه وإطلاق أسير اسمه باراباس ، جرياً على عادة الوالى أن يطلق أسيراً واحداً فى العيد ، أصر اليهود على إطلاق باراباس . وحينئذ قال : بيلاطس : إنى برىء من دم هذا البار . فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا . حينئذ أطلق باراباس . وأما يسوع فجلدوه وأسلمه ليصلب . (متى ٢٧/ ١٥ـ٢٥)

ويضيف مرقس إلى ذلك أن اليهود ألبسوا السيد المسيح إرجواناً وضفروا إكليلا من شوك ووضعوه عليه ، وابتدأوا يسلمون عليه قائلين : السلام يا ملك اليهود ! وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه . (انجيل مرقس ١٥/ ١٧ـ١٩)

وقال بولس : « كانهم أيضا من اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن . وهم غير مرضين لله وأضداد لجميع الناس » .

(من رسالته لأهل تسالونيكى ٢/ ١٤ـ١٥)

وإذن فاليهود رفضوا رسالة السيد المسيح ـ عليه السلام ـ رفضا تاماً وآذوه وتحملوا هم وأولادهم دمه .

(للبحث صلة)

سعدى موسى الحسينى

قال تعالى :

« وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » . (البقرة ١١٣)

حول إعجاز القرآن الكريم :

قوله تعالى " أم يقولون افتراه "

للدكتور محمد أحمد الغمراوي

— ٢ —

هذه الكلمات الكريمة نزلت في صدر خمس آيات من كتاب الله . منها آيتا التحدي في سورتي هود ويونس . وفي مقال العدد الماضي تأملنا آية التحدي بعشر سور والآية التي قبلها ، وسميناها ثنائية التحدي في سورة هود ، لأن أولاها تمهد لثانيتهما ، وأخذنا نتأمل ثنائية التحدي بسورة ، في سورة يونس ، متسائلين : هل هناك ترق في آيتي التمهيد يناظر ويناسب الترقي في آيتي التحدي ؟ والتمسنا الجواب في الآية الأولى من الثنائية وهي قوله تعالى : (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) فإذا بصدرها يقرر أن افتراء القرآن كله أو بعضه أمر جعله الله مستحيلا ، لصفات ذاتية ميز الله بها كتابه العزيز ، وأودع سرها وسط الآية بدلالة حرف الاستدراك ، وجعل آخرها توكيداً لذلك كله ما عليه من مزيد . ثم التمسنا تلك الصفات الجامعة للمانعة المودعة في قوله تعالى : (ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب) مستعرضين أقوال مشاهير المفسرين فلم يتسع المقال إلا لتأمل للمعاني المودعة في الوصف الجامع المانع (ولكن تصديق الذي بين يديه) .

ومن هذا الإيجاز الجامع الرائع قوله تعالى (وتفصيل الكتاب) والمفسرون على أن معناه تفصيل أحكام الشرع في الإسلام ، كأن قوله تعالى (ولكن تصديق الذي بين يديه) أغنى عندهم عن أن يكون (الكتاب) في الوصف الكريم شاملا أيضاً ما عدا القرآن من الكتب المنزلة ، وبخاصة التوراة والإنجيل المنسوب إليهما أهل الكتاب المخاطبون في كثير من آيات القرآن العظيم الحكيم . لكن تصديق

القرآن الذى بين يديه من الكتاب يدل أول ما يدل على جانب الإقرار والموافقة ، ويبقى جانب التصحيح والهيمنة وهو لا يقل أهمية عن جانب التصديق وإلا أوهم إطلاق التصديق ألا تصحيح ولا هيمنة هناك ، مع أن الهيمنة منصوص عليها فى الآية (٤٨) من سورة المائدة المدنية التى يقول الله فى الآية (١٣) منها عن بنى إسرائيل خاصة (فبما نقضهم ميثاقهم لعنام وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه) ويخاطب فى الآية (١٥) أهل الكتاب عامة (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) فكان لا بدفى آية يونس المكية من استيفاء صفة القرآن الذاتية التى تحول دون إمكان افترائه بأن يذكر أيضا أنه تفصيل الكتاب .

وكلمة (الكتاب) فى الآية الكريمة لها شقان : أداة التعريف للعهد أو للجنس ولفظ (كتاب) يكون اسما وهو الشائع أو مصدرا كما فى (كتاب الله عليكم) فى الآية (٢٤) من سورة النساء وهو المعنى الذى اختاره المفسرون يتقدمهم الزمخشرى لينطبق على القرآن من حيث هو تشريع واغفلوا المعانى التى يدل عليها اللفظ من حيث هو اسم معرف بالأداة للجنس فيشمل التوراة والإنجيل وتفصيلها ، أو معرف بالأداة للعهد فيدل أيضا على تفصيل التوراة والإنجيل للمعهودين لأهل الكتاب المخاطبين بالآية القرآنية الكريمة ككل الناس ، ومن تفصيل التصديق آيات سورة المائدة المذكورة بأرقامها وأوائلها فى المقال السابق ، ومن تفصيل التصحيح والهيمنة الآيات الكثيرة التى تزجر أهل الكتاب عن عقيدتهم فى عيسى وأمه عليهما السلام والآيات الكثيرة التى تشرح من قصص الأنبياء ما أجمل الكتابان كما هما فى أيدى الناس ، وتصحح مما فصلا من القصص أمورا فاتت للمفسرين الذين قالوا بالتطابق بين قصص التوراة والإنجيل وقصص القرآن ، فقصة يوسف مثلا فى سفر التكوين يصححها القرآن فى عدة مواضع منها أن يوسف أخبر إخوته برؤياه ومنها أن أباه هو الذى أرسله إلى إخوته وهم فى المرعى ، ومنها أنه أنسلت من قميصه بيد امرأة مولاه فلم يقد لا من قبل ولا من

دبر ، وقده من دبر هو الذى برأ يوسف عند مولاه .

فالتصديق والتفصيل اللذان وصف بهما القرآن فى الآية الكريمة على ذلك الوجه البليغ العجيب — وجــه وصفه بالمصدر فى الحالين لا بمشتق منه — هما وصفان متتامان يوضح أحدهما من معنى الآخـر ما لعله يفوت الناظر ، ويحولان معاً ، وقد أضيفا إلى ما أضيفا إليه فى الآية الكريمة دون إمكان أن يفترى من دون الله شيء من القرآن .

لـكن من بين معانى لفظ (الكتاب) كما ورد فى مواطنه المتعـددة فى القـرآن الـكريم معنى آخر يميز القرآن من جميـع الـكتب المنزلة التى بين أيدينا ، فهو إذن أساسى فى تمام إظهار ذاتية القـرآن التى تجعل افتراء شيء منه مستحيلا على العباد ذلك هو الـكتاب بمعنى ما عـرف فى لغة الشرع باللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه كل ما كان وكل ما سيكون .

وقد ورد المعنى على التعريف فى مثل قوله تعالى : (فمن أظلم ممن افترى على الله كـذبا أو كـذب بآياته ، أولئك ينالهم نصيبهم من الـكتاب)[١] .

وقوله عز وجل (وإنه فى أم الـكتاب لدينا لعلى حكيم) . والضمير فى (إنه) راجع إلى القرآن المذكور فى الآيتين قبلها فى سورة الزخرف .

وورد اللفظ على التنكير فى مثل قوله تعالى (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين)[١] . والآيات القرآنية المتعلقة بالـكتاب بهذا المعنى كثيرة جداً ، بل هى أكثر من آيات الأحكام فى التشريع التى قصر المفسرون عليها معنى (الـكتاب) فى الآية الكريمة إلا الأستاذ صاحب تفسير المنار — رحمه الله فقد أشار إلى — الـكتاب بمعنى كتاب الفطرة حين ضمن تفسير قوله تعالى (وتفصيل الـكتاب) « شئون الاجتماع وسنن الله فى خلقه » .

والواقع أن القرآن الـكريم محيط بالفطرة فى الـكون إحاطته بالدين من حيث الأحكام . فـكما ترك الحق سبحانه تفصيل كثير من الأحكام للرسول ﷺ تحت إشراف الوحى ، ونص على ذلك فى مثل قوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل

---

[١] الآية ٣٧ : الأعراف .

(١) الآية ٦ : هود .

إليهم)[1] وقوله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا[2]) كذلك ترك سبحانه تفصيل ما أجمل وشرح ما فصل في كتابه من آياته في الفطرة لعلماء الفطرة ونص على ذلك في مثل قوله تعالى (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين)[3] بكسر اللام في قراءة حفص. فالتفصيل بهذا المعنى من أعظم سمات القرآن التي تميزه من سائر الكتب وينبغي إذن أن تكون داخلة في معنى قوله تعالى: (وتفصيل الكتاب) تلخيصا للشطر الثاني من شمائل القرآن التي تجعل افتراء شيء منه غير جائز ولا ممكن.

فشمائل القرآن وسماته المأخوذة من قوله تعالى (ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب) على تعدد للمعاني مجتمعة لا على التخيير، هي:

(١) أنه يصدق الأديان السماوية التي سبقت: يقر كتبها كما أنزلت، ويوجب الإيمان برسلها.

وليس في الأديان غير الإسلام، ولا في كتبها غير القرآن، ما له سمة العموم والشمول هذه، فكلها كانت خاصة بمن نزلت فيهم. والقرآن بهذه السمة هو الدين العام وحده.

٢ — أنه وحده، بين الكتب المنزلة المعروفة، الذي عنى بشرح رسالات الرسل قبل موسى وعيسى عليهما السلام. وهذا من أنباء الغيب فيه المتعلقة بماضي الإنسان.

٣ — أنه الوحيد بين الكتب المنزلة الذي عنى بشرح الحياة الأخرى وأحوال القيامة وأشراط الساعة، وهذا من أنباء الغيب فيه المتعلقة بالمستقبل اللانهائي في الدار الآخرة، ولابد أن يتحقق ذلك تصديقاً للقرآن كما تحقق كثير من أنبائه الغيبية المتعلقة بالحياة الدنيا.

هذه السمات الثلاث دل عليها قوله تعالى: «ولكن تصديق الذي بين يديه».

٤ — أنه يقر كثيرا من تفاصيل التوراة والإنجيل، ويصحح كثيرا مما حرف منهما أو بدل، ويظهر كثيرا مما كتم وأخفى.

٥ — أنه الوحيد بين الكتب المنزلة الذي عنى بالفطرة التي فطر الله عليها الناس، فبينها وبين أن الإسلام جاء موافقا

---

[1] الآية ٤٤: النحل.
[2] الآية ٧: الحشر.
[3] الآية ٢٢: الروم.

ومطابقا لها فى أحكامه وتشريعه (فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

٦ — أنه الوحيد بين الكتب المنزلة الذى عنى بالفطرة التى فطر الله عليها الكون ، وحث على دراستها ، وذكر من آيات الله فيها وسننه ما أقام منه الدليل اليقينى بعد الدليل على وجوده سبحانه ووحدانيته وصفاته التى لا نهاية لجلالها وكمالها ، ثم على البعث بالأجساد .

وهذه السمات الثلاث دل عليها قوله تعالى (وتفصيل الكتاب) على تجسد معنى (الكتاب) فى القرآن الكريم .

فهذه سمات القرآن الذاتية وخصائصه بقدر ما وفقنا الله إليه ، لخصها الله لعباده فى سبع كلمات ، فهل فى الإيجاز البلاغى أبلغ فى الإعجاز من هذا ؟ وكل من هذه السمات والصفات ليس فى كتب الأديان ولا فى فلسفات الإنسان ما يضارعه أو يمكن أن يرق إليه ، فكيف بمجموعها ؟ وليس شىء من القرآن بخارج عن تلك السمات الست الأساسية ، إن لم يكن هناك غيرها لم نحط به من حيث المعنى . . فكيف إذا أضيف إليه النظم المعجز الذى شغل النظار إلى اليوم فلم يدركوا مداه على كثرة ما كتبوا فيه ، فهل لا يكفى هذا لبيان كيف أن القرآن كله وبعضه لا يمكن قط أن يفترى على الله ؟

إن العقل المدرك يقف أمام هذا الجلال والكمال القرآنى مبهورا فى حاجة إلى تثبيت يجعله لا يستكثر شيئا من ذلك على القرآن ، فأكده الله له ذلك فى بقية الآية الكريمة مرتين أبلغ توكيد : مرة بقوله تعالى (لا ريب فيه) ومرة بذلك الخاتم الإلهى العجيب الذى ختمت به الآية — خاتم قوله تعالى (من رب العالمين) ، وفى كل من هذين مثل آخر من إعجاز القرآن فى جزء من آية .

(لا ريب فيه) : فقوله تعالى (لا ريب فيه) ينفى جنس الريب عن كل ما يمكن أن يرجع الضمير إليه فى الآية الكريمة كلها ، حسب قواعد العربية . فمن الممكن أن يرجع إلى القرآن الذى هو موضوع الآية ، وهذا هو المتبادر ، وهذا أيضاً يقرر وصفا ذاتيا للقرآن ليس كمثله فى الجلال وصف :

أنه كله حق لا يعلق به الباطل من قريب ولا من بعيد . وهى صفة أهملها النظار فى إعجاز القرآن فى القديم والحديث ، مع أن الله سبحانه قررها لكتابه فى آيات كثيرة مثل قوله تعالى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) فى أواخر سورة الإسراء ، وقوله (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين) فى أوائل سورة الزمر ، وقوله (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه) فى أوائل آل عمران ، ثم قوله عز وجل (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد) فى أواخر سورة فصلت . وكان من شأن هذا التوكيد من الله عز وجل لهذه الصفة العليا فى القرآن ألا يغفلها النظار فى إعجازه بل يجعلوها إلى جانب إعجاز النظم أكبر وجوه الإعجاز على الإطلاق .

ومن الممكن أن يرجع الضمير إلى أقرب مذكور وهو (تفصيل الكتاب) ، ومنه إلى ما عطف التفصيل عليه أى إلى المصدر فى (ولكن تصديق الذى بين يديه) فيكون المعنى لا ريب فيه فى التفصيل ولا ريب فى التصديق . وهذا أحد معنيين فهمهما الزمخشرى على التخيير . وما يفهم على التخيير فى القرآن الكريم من مثل الزمخشرى فى العربية حقه الجمع ، لأن الله سبحانه لو كان يريد معنى واحداً لأنزل العبارة تفيد ذلك المعنى وحده ثم من الممكن أن يكون الضمير ضمير شأن فيرجع إلى كل ما سبق ذكره فى الآية الكريمة من استحالة افتراء القرآن على العباد ، كله أو جزئه ، لأن الله جعله (تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب) فراجع الضمير هذه إذن منفى عنها الريب كلها .

ثم قوله تعالى (من رب العالمين) يزيل كل أثر من شك يمكن أن ينشأ عن استكثار تلك المعانى ، كلها أو بعضها ، على الآية أو بعض الآية . فالقرآن (من رب العالمين) جعله سبحانه (تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب) على كل وجه تفيده الكلمة والعبارة القرآنية فذلك كله فوق الريب لأنه من رب العالمين وقد جمع العالم ليشمل عوالم البشرية فى قرون ما قبل القرآن وما أرسل فيها من رسول وما أنزل إليها من كتاب . فلا ريب قطعياً صدق القرآن وما صحح من أخبارها ،

ولا فيما أخبر عن عوالم البشرية فى قرون ما بعد نزول القرآن إلى يوم القيامة وبعد يوم القيامة ، لأن ذلك كله جاء من رب العالمين .

وكذلك ما جاء فى القرآن عن الفطرة فطرة الإنسان ومطابقة شرع الله لها ، وفطرة الكون وما فصل القرآن وما أجمل من سننها ، كل ذلك لا ريب فيه لأنه من رب عوالم الفطرة فى السماء وفى الأرض التى تطيعه سبحانه تمام الطاعة عن رغبة وفهم كما دل عليه جمع العوالم جمع للذكر السالم العاقل . وفى قوله تعالى (رب العالمين) إعجاز علمى وأدبى مما نمر به ونتلوه مرات فى اليوم فى أول كل صلاة .

والآن ، ما موقع قوله تعالى (أم يقولون افتراه) وقد جاء عقب كل هذا الذى انطوت عليه الآية الكريمة من حقيقة القرآن وخصائصه ؟ إنه ليس أوضح من سخف من يزعم افتراء شىء من كتاب هذه سماته الذاتية متجلية فى جميع آياته ! لذلك كان جواب هذا السؤال الإنكارى الذى يعجب من سخف هذا الزعم وجهل أهله بحقيقة القرآن أن أمر الله رسوله أن يتحداهم إلى الجىء بسورة مثل القرآن الذى لكل آية من آياته نصيب من تلك السمات يجعل افتراءها مستحيلا وإن كانت الاستحالة لا تتبين للناس فى أقل من أقصر سورة فى القرآن .

هذا هنا فى الآية الممهدة للتحدى بسورة فى سورة يونس . أما حين كانت الحجة فى رد الفرية قائمة على أن الرسول المكلف بالقرآن للأمور فيه بتبليغه الناس لا يجوز عقلا أن يكون هو افتراه ، فقد كان الجواب على نفس السؤال الإنكارى: أن افتروا أنتم عشر سور مثل القرآن ، إذ لم يكن أشير إلى القرآن فى الآية قبلها إلا بأنه وحى ، ولم يكن ذكر من صفاته الذاتية شىء يحول دون إمكان افترائه .

فنرى أن الترقى فى التحدى قد اقترن به ما يناسبه من الترقى فى التمهيد له حتى صار ما سبق آية التحدى فى سورة يونس من بيان لخصائص القرآن يقتضى ألا يكون التحدى إلا بسورة مثل القرآن ، على إطلاقها لتشمل أقصر سورة ، ولو زاد عن السورة مع تلك الخصائص وجلالها لكانت الزيادة إسرافاً ولغواً لا يليق بجلال القرآن ولا بحكمة الله الذى أنزله معجزاً للبشر مهما بلغوا من الأدب والعلم .

أما وقد بلغ التحدي ذروته هكذا فى العهد المكى ، فلم يبق هناك من داع لتكراره أو الذهاب وراء تلك الذروة فى الآيتين المكيتين اللتين نزلتا بعد آية يونس مصدرتين بنفس الكلمات الكريمة الثلاث (أم يقولون افتراه) .

من أجل ذلك كان الاكتفاء فى آية الأحقاف بتفويض الأمر إلى الله يحكم بين الرسول وبينهم : (قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئاً ، هو أعلم بما تفيضون فيه ، كفى به شهيدا بينى وبينكم) . وفى آية السجدة ، أخرى الآيات نزولا ، اكتفى بتقرير حقيقة القرآن وحقيقة الرسول والرسالة معاً : (أم يقولون افتراه ، بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) بعد أن كان مهد ومكن لذلك فى الآية قبلها بقوله تعالى : (تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) .

فالحمد لله الذى أكرم البشرية ورحمها بأن خاطبها بالقرآن (تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) ؟

محمد أحمد الغمراوى

تحقيقات فى المعجزة والكرامة والسحر

للأستاذ مصطفى الطير

— ٤ —

(أنواع السحر)

قال الشيخ أبو السعود فى تفسيره ، واعلم أن السحر أنواع : منها سحر الكلدانيين وهم قوم كانوا يعبدون الكواكب زاعمين تدبيرها لهذا العالم ، ويستخدمون الخوارق بتمزيج القوى السماوية بالقوى الأرضية وقد بعث إبراهيم لإبطال مزاعمهم ، وهم ثلاث فرق : إحداها تقول إن الأفلاك والنجوم واجبة الوجود لذواتها وهم الصابئة والثانية تقول بألوهية الأفلاك وتتخذ لكل واحد منها هيكلا ، ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الأوثان ، والثالثة أثبتوا للأفلاك والكواكب فاعلا مختارا لكنهم قالوا : إنه أعطاها قوة عالية نافذة فى هذا العالم وفوض تدبيره إليها .

ومنها سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية ، فإنهم يزعمون أن الإنسان تبلغ روحه بالتصفية فى القوة والتأثير إلى حيث يقدر على الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة وتغيير البنية والشكل . ومنها سحر من يستعين بالأرواح الأرضية ، وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات الآخذة بالعيون وتسمى الشعوذة .

(رأى الدين فيما تقدم)

قال الشيخ أبو السعود : ولا خلاف بين الأمة فى أن من اعتقد الأول (يعنى سحر الكلدانيين بفرقه الثلاث) ، فقد كفر وكذا من اعتقد الثانى وهو سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية .

وأما من اعتقد أن الإنسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم والرقى إلى حيث يخلق الله سبحانه عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق ، فالمعتزلة اتفقوا على أنه كافر ، لأنه لا يمكنه بهذا الاعتقاد معرفة صدق الأنبياء والرسل بخلاف غيرهم .

قال أبو السعود : ولعل التحقيق أن ذلك

الإنسان إن كان خيراً متشرعاً فى كل ما يأتى ويذر وكان من يستعين به من الأرواح الخيرة ، وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة لأحكام الشريعة الشريفة ، ولم يكن فيما ظهر فى يده من الخوارق ضرر شرعى لأحد فليس ذلك من قبيل السحر . أما إن كان شريراً غير متمسك بالشريعة الشريفة فظاهر أن من يستعين به من الأرواح الخبيثة الشريرة لا محالة . ضرورة امتناع تحقق التعاون بينهما من غير اشتراك فى الخبث والشرارة فيكون كافراً قطعا وأما الشعوذة وما يجرى مجراها من إظهار الأمور العجيبة بواسطة ترتيب الآلات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الأدوية والأحجار فإطلاق السحر عليها بطريق التجوز ، أو لما فيها من الدقة ، لأنه فى أصل اللغة الصرف على ما حكاه الأزهرى عن الفراء ويونس .

فأنت ترى من تحقيق الشيخ أبى السعود أنه أجاز السحر النافع الذى يستعمله الرجل الملازم للشرع لأنه لا يستخدم فيه إلا الأرواح الخيرة ، ولا يستعين بعزائم مخالفة للشريعة بل إنه يمنع وصفه بالسحر أما المستعين بالأرواح الشريرة فإنه كافر لأنه لا تعاونه تلك الأرواح الشريرة إلا إذا كفر مثلها ، فهذا هو الساحر ، وهو الذى نهى القرآن عما يزاوله من السحر ، ومذهبه فى هذا قريب من مذهب الإمام الرازى .

كما أنه يرى أن الشعوذة ليست من السحر وقد مر فى كلامه بيانها ، وحيث لم تكن من السحر فإنها لا يكون منهياً عنها .

(صور عجيبة من السحر)

لما نزل الصليبيون دمياط فى عهد صلاح الدين الأيوبى حاصرهم خمسة وخمسين يوما وانتصر عليهم وولوا مدبرين ، ثم بدا له أن يزور الشام ، فتوجه إليها بحراً ولما نزل بالميدان الكبير بدمشق شاهد عديداً من المصارعين ومختلف اللاعبين ، وكان فيمن جاءه منهم رجل أعجمى عرض عليه أن يريه أعجوبة من الشعوذة ، فأذن له فى ذلك ، فنصب خيمة لطيفة فى الميدان بين يدى السلطان صلاح الدين ، وأخرج من كمه كرة من الخيط ، فربط خيطها فى يده ، ثم أرسل هذه الكرة نحو السماء بقوة ، ثم تعلق بها وصعد حتى غاب عن

الأبصار ثم سقطت بين الناس إحدى رجليه وصارت تزحف حتى دخلت الخيمة ، ثم سقطت إحدى يديه وزحفت حتى دخلت الخيمة ، ثم سقطت اليد الأخرى وفعلت كسابقتها ، ولم تزل أعضاؤه تسقط عضوا بعد عضو حتى سقط الرأس واتجه إلى الخيمة ثم بعد ساعة خرج ذلك الرجل من الخيمة وهو كامل الأعضاء ، واتجه نحو السلطان وقبل الأرض بين يديه ، فبهت الناس لذلك ثم دخل الخيمة ثانيا أمام الناس فقال رجل يرافقه للحاضرين : ادخلوا الخيمة وابحثوا عنه فيها ففعلوا ولم يجدوا فيها أحدا ثم فكوا الخيمة ونصبوها فى مكان آخر فخرج منها ذلك الرجل يمشى على أقدامه فعجب الناس من ذلك .

ولكن الأمير سنقر الأخلاطى اغتاظ من هذا المشعوذ فضرب عنقه بين الناس وقال للملك الناصر مثل هذا لا يؤمن أن يكون جاسوساً من الصليبيين . ثم أراد أن يقتل رفيقه فاستجار بالملك الناصر زاعما أنه لا يعرف شيئا مما فعله رفيقه ، فقال له الناصر : اخرج من دمشق فى هذه الساعة ولا تقم بها فيقتلوك فخرج من ساعته ، ذكر ذلك ابن إياس فى تاريخه .

وذكر ابن إياس أيضا أنه فى عهد الملك الكامل الأيوبى دخل شخص مغربى إلى مصر وكان من علماء فن السيمياء (السحر) فأظهر لشخص من الأعيان بستانا خارج القاهرة كثير الأشجار المثمرة ، وفيه خمس سواق دائرة ، وعدة ثيران واقفة برسم السواقى وعمال هذا البستان واقفون حوله فلما رآه ذلك الرجل أعجبه ، فاشتراه من المغربى بألف دينار ، وأقبضه الثمن ، وأشهد عليه المغربى أمام القاضى بأنه تسلم البستان وبات المشترى فى البستان الذى اشتراه فلما أصبح وجد نفسه بين الكيمان ، ولم ير شيئا من ذلك البستان الذى باعه له المغربى ، فجعل يسأل هل كان هنا بستان قبل اليوم ؟ فيقولون ما سمعنا عن ذلك قط فتعجب الرجل وشاع أمره بين الناس ، فلما بلغ الملك الكامل ذلك طلب المغربى فلم يجده وأخذ ألف الدينار ومضى فى سبيله .

وقال ابن إياس : إن ملوك اليمن أهدوا إلى الملك الكامل شمعدانا من نحاس لطيف الصنع يخرج منه شخص من نحاس عند طلوع الفجر ويخاطب الملك ويقول له صبحك الله بالخير ــ طلع الفجر ، أو صفير

هذا معناه ، وقد بقى هـذا الشمعدان إلى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم فقد .

وحكى الرحالة ابن بطوطة : أنه لما ذهب إلى الصين دعاه أحد أمرائها وأحضر له أحد المشعوذين . وقال : أرنا من عجائبك . فأخذ كرة بها خيوط طويلة فرمى بها فى الهواء حتى غابت عن الأبصار فلما لم يبق من الخيط إلا اليسير أمر تلميذاله فتعلق به ، وصعد فى الهواء إلى أن غاب عن الأبصار ، فدعاه ثلاثا فلم يجبه ، فأخذ سكينا بيده وقد بدا عليه الغيظ ، وتعلق بالخيط إلى أن غاب أيضا ، ثم رمى بيد الصبى إلى الأرض . ثم بيده الأخرى وبسائر جسده ، ثم هبط وهو ينفخ وثيابه ملطخة بالدم ، فقبل الأرض بين يدى الأمير وكلمه باللغة الصينية ، وأمر له الأمير بصلة . ثم إنه أخذ أعضاء الصبى وألصق بعضها ببعض وركله برجله فقام سويا .

وتأثر ابن بطوطة بهذا المنظر ، فقيل له إن شيئا مما رأى لم يحدث وإنما هى مهارة المشعوذين بالصين .

(السحر فى الهند والتبت)

نشرت جريدة (المقطم) فى عددها الصادر فى ٢١ من ديسمبر ١٩٣٣ نبذة مترجمة عن كتاب لطبيب اسمه الدكتور الكسندر الطبيب النفسانى بمستشفى الأمراض النفسية بلندن واسم هذا الكتاب: (العالم غير المنظور) وقد جاء فى هذه النبذة واقعتان عجيبتان من السحر نقلهما العلامة المرحوم الشيخ رشيد رضا فى كتابه (الوحى المحمدى) وعنه ننقل هذه النبـذة :

وقد عنى الدكتور الكسندر فى كتابه بالتحدث عن التنويم المغناطيسى والسحر الأسود وغيرهما من التحدث عن الغيب مما يمارسه سحرة الهند والتبت وأهل الرياضة الروحية فيهما ، ونحن نذكر فيما يلى هاتين الواقعتين :

(١) كان الطبيب المذكور صديق بروفسور يعرف صوفيا هنديا . وقد دعا البروفسور هذا الطبيب لزيارة الصوفى الهندى فلما زاراه وجداه يخاطب شجرة تين قائلا : لقد أحسنت وقاومت عواصف الحياة وسليت ضحى وشقيتها ، وقد

آن وقت رحيلك من عالم الغرور والعدم ، فوتى الآن ولا تعودى إلى الحياة مرة أخرى . فذبلت التينة حالا . وفحصها الطبيب فوجدها قد ماتت .

(٢) دخل على (لاما) التبت (ويلقبونه بأعظم الحكماء) ثمانية رجال يحملون تابوتا فأنزلوه ورفعوا غطاءه ، فرأى فيه الطبيب الإنجليزى المذكور شخصا منظره كالأموات فسمح له (اللاما) بفحصه ، فلم يشعر بنبضه ولا بخفقان قلبه ، وكان باردا كالحجر ، وعيناه عينا رجل انقضى يوم كامل وهو ميت ، ووضع مرآة على فمه وأنفه فلم يظهر عليها أثر تنفسه ، ثم لفظ (اللاما) كلمات فرأينا الميت يفتح عينيه ، ثم جلس فى تابوته فساعده راهبان على الوقوف والمشى فدنا من (اللاما) وانحنى وعاد إلى نعشه وهو لا يرفع بصره عن (اللاما) ، ولم تمض دقائق حتى عاد ولا حياة فيه .

وأنت تعلم أن عيسى أحيا الميت وبقى حيا وقال للتينة موتى فماتت وكان ذلك من غير معاناة قواعد السحر واستخدام الجن أما هؤلاء السحرة فإنهم لا يقدرون على مثل ذلك إلا باستخدام الجن لإتلاف التينة وتصوير الميت حيا بدليل أنه فقد الحياة فورا ولم تمكث فيه الحياة إلا فترة تمثيل إحياء الميت ، ثم لم يقدر (اللاما) على إبقائه حيا كما كان يصنع عيسى عليه السلام وذكر الشيخ رشيد رضا عن رجل معتقد مسلم فى بلده كان يدعى الشيخ محمد العصافيرى نظر إلى شجرة تين وقال لها : مسكينة تموت ، فلم تلبث أن عراها الذبول واليبس وتلك منه كرامة لأنه رجل عادى لا يمارس السحر وإنما يمارس عبادة الله تعالى .

(عجائب الدكتور سالمون)

كان يغشى بلادنا رجل أجنبى أطلق عليه اسم الدكتور سالمون ، وكانت تظهر على يديه بعض عجائب السحر والتنويم المغناطيسى والقوة الروحية التحكمية بسبب مزاولته أنواعا من الرياضة التى يتبعها سحرة الهند والتبت .

ومن ذلك أنه وضع فى يد المرحوم سعد باشا زغلول كوبا من الألومنيوم وظل ينظر إليه فثقل هذا الكوب فى يد سعد باشا حتى أصبح لا يقدر على حمله فألقاه من يديه ومن ذلك أنه دفن نفسه تحت الأرض لمدة ست ساعات فى مدينة الإسكندرية أمام جمع من الأطباء ثم خرج حيا مع أن الإنسان

يموت بعد بضع دقائق إذا فقد التنفس في هواء نقي .

ومن ذلك أنه نوم وسيطا له فأخبر عن شخص غائب منذ عشرين سنة عن أهله ، وذكر أنه يعيش في محل تجارة الحلوى في الوجه القبلي وأنه تزوج ابنة صاحب المحل ، فلما مات أصبح هو المتصرف فيه ، وذكر لأهله رقم تليفونه فخاطبوه فردعليهم وعادت صلته بأهله .

(ساحر في الوجه القبلي)

وكان في أوائل هذا القرن يعيش في الوجه القبلي ساحر ، وكان يطلب من أعيان الناس أن يلقوا بخواتمهم في البحر فإذا فعلوا أعادها إليهم كما كان يأتي بعجائب أكثر من ذلك ، فلما مات أراد ابنه أن يزاول صنعته فنهته أمه فلما سألها عن السبب فتحت (دولابا) وأخرجت منه صنما وقالت له إن أباك كان يسجد لهذا الصنم لكي يساعده الشياطين على إظهار العجائب فلا تكفر كما كفر أبوك .

وفي عهد السلطان الغوري أحضر بين يديه رجل من الصعيد متهم بأنه زنديق وساحر وأنه يتوضأ باللبن ويستنجي به ، ومتهم بغير ذلك مما يخالف الشرع ، وقد ثبت عليه ذلك بالبينة فأرسله إلى قاضي القضاة المالكي فحكم بكفره بعد قيام البينة عليه وضرب عنقه تحت نافذة للمدرسة الصالحية (شباكها) بعد ما أشهروه على جمل وهو عريان .

(العـبرة)

فإذا علمت ذلك أيها المسلم فاحذر أن تمارس أنواع السحر فتبتعد عن الإسلام والمسلمين ، والله الهادي إلى سواء السبيل ؟

مصطفى محمد الحديدي الطير

من صحائف المجد :

الأزهر يقود ثورة سنة ١٩١٩

للدكتور محمد رجب البيومى

تحدثت الصحف اليومية جميعها بإسهاب عن ثورة سنة ١٩١٩ بمناسبة مرور خمسين عاما عليها فوالت الصفحات وراء الصفحات فى سرد أحداثها ووقائعها ، وكان عجيبا أن يغفل دور الأزهر فى هذه الثورة إغفالا لا ندرى الباعث عليه ، إلا ما ندر من أسطر ضئيلة لا تصور الحقيقة الكبيرة مع أن الثورة بدون جهاد الأزهر تفقد الرائع الجليل ، ولا أقول ذلك تزيداً وإدعاء ، بل أرجع إلى ما ذكره الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه الشهير عن زعيم الثورة ، حيث أعلن أن سعد زغلول نفسه فوجىء بالمظاهرة الكبرى التى انبعثت من الأزهر فأحدثت الشرارة الأولى فى الشعب ثم اندلع لهيبها فى سائر المدن والقرى وقد نص العقاد صراحة ص ٢٢٦ وما بعدها على أن الثورة فى بدئها لم يكن لها تنظيم من الوفد ولم يكن على رأسها مدبر مسئول من رجال السياسة الرسميين ! حتى لقد تعجب سعد ـ رحمه الله ـ فى معتقله حين وافته الأنباء بمظاهرات الأزهر ! ! ولكن ما أغفلته الصحافة هذه الأيام قد عرفه الناس جميعا وأشاد به شوقى حين قال فى قصيدته الشهيرة :

المعهد القدسى كان نديه ... قطبا لدائرة البلاد ومحورا

ولدت قضيتها على محرابه ... وحبت به طفلا وشبت معصرا

وتقدمت تزجى الصفوف كأنها ... جاندارك فى يدها اللواء مظفرا

ولم يكن احتضان الأزهر لثورة سنة ١٩١٩ حدثا غريبا على تاريخه أو شيئا بعيداً عن رسالته فى محاربة الطغيان ، إذ أننا نعرف أن الثورة الأولى للشعب المصرى فى عهد الحملة الفرنسية كان زعماؤها الوطنيون جميعا من علماء الأزهر ومن يلوذ بهم من التجار والأعيان ، وكان الشباب الفدائى فيها من طلبة العلم بالأزهر الشريف ! وأنت حين تقرأ تاريخها المنصف

تلمس هذه الحقيقة الكبيرة فى كل سطر تقرؤه فإذا انتقلت إلى الثورة الثانية تجد زعيمها البطل أحمد عرابى ربيب الأزهر وتلميذ حلقاته ، وتجد أكثر أعوانه المخلصين ، وموجهيه الصادقين من رجال الأزهر وقد ظل توفيق مكينا فى كرسيه لدى الشعب حتى لفظه قرار الشيخ الإبنابى بخلعه وفتوى الشيخ عليش بمروقه ، وحين أحبطت الثورة الباسلة كان صفوة المعاقبين سجنا ونفيا وتشريداً من علماء الأزهر وأبطاله .

أما الثورة الثالثة فلا نقول — فقط — إن زعيمها الشعبى سعد زغلول هو ابن الأزهر وتلميذه بل نعلن أن الأزهر كان صاحب الدور الرئيسى فيها بما قام به من أحداث خطيرة تخيفها الكاتبون اليوم دون مبرر معقول ، فرأيت أن أشير إليها فى هذا المقال .

لقد تحدثت الصحافة عن انتهاء الحرب العالمية الأولى وسجلت الوثائق المتبادلة بين وزارة الخارجية فى لندن ودار الحماية فى مصر بشأن ماتقدم به الزعماء من المطالبة بتقرير المصير ثم ما تهددهم به اللورد اللنبى من قمع وانتقام ، ولن نفيض فى شىء من ذلك بل نخلص منه إلى أن إحباط الدسائس البريطانية لم يكن ليتم بدون نشاط الأزهر ووعيه الوطنى ، فقد أراد اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية أن يسعى بالفساد بين عنصرى الأمة فزعم أن الأقباط يؤيدون الاحتلال ويعارضون الثائرين وأن الثورة حركة هوجاء يقوم بها الرعاع والغوغاء من المتطرفين ، فسعى أساتذة الأزهر وعلى رأسهم مصطفى القاياتى ومحمود أبو العيون وعبد ربه مفتاح ومحمد عبد اللطيف دراز وعلى سرور الزنكلونى إلى كنائس الأقباط يجمعون الكلمة ويوحدون الصف ودخل القمص سرجيوس الأزهر بأمر الشيخ القاياتى ثم اعتلى منبره ليتحدث مع المتحدثين ، كما رأى علماء الإسلام من واجبهم أن ينهضوا لتشييع جنائز الضحايا من المسيحيين كما يشيعون جنائز الشهداء من المسلمين دون تفريق؛ وقد أرسل الشيخ ابراهيم سليمان قصائده الوطنية داعيا إلى الاتحاد الأخوى فى أراجيز سهلة قامت مقام الأناشيد الحماسية . وقد اشتهرت على كل لسان .

وبهذه الخطوة الحاسمة من رجال الأزهر سقطت حجة وزير الخارجية البريطانى .

واضطر إلى أن يلفق كلاما آخر يبرر فيه وجود الاحتلال البريطانى ، بعد أن أصبح حديث التعصب الدينى لدى المسلمين مهزلة مفضوحة ينكرها الواقع الصريح !

هذا موقف رائع للأزهر يذكرنا بموقف آخر لا يقل عنه روعة فى العمل على وحدة الصف ، وذلك حين أرجف المعتمد البريطانى بأن الموظفين لا يوافقون جميعا على الثورة المصرية مستندا إلى أن أقلية قليلة من الموظفين لم تضرب مع المضربين إذ واصلت العمل فى أحلك أيام الثورة عن رهبة لا عن رغبة فاستنكر رجال الأزهر أمر هذه القلة ، وقامت مظاهرة كبرى يحمل علمها الشيخ محمد الطنيخى ـ رحمه الله ـ ليتقدم آلاف المتظاهرين من شباب الأزهر وطلاب المدارس ورجال الأمة متجهين إلى أماكن العمل فى كل إدارة كى يجمعوا الموظفين على كلمة سواء وقد تعرضت المظاهرة لرصاص الاحتلال دون أن يستشعر رجالها الخوف فسقط عشرات المصابين . وهوجم حامل العلم ورفقاؤه فلم تزل لهم قدم وواصلوا الثورة هاتفين وما انتهى اليوم حتى تحقق المرجو من المظاهرة فاتفق الموظفون جميعا على الإضراب ، بل لقد هال المحجمين أن يشذوا عن إخوانهم فكفروا عن أنفسهم بالالتجاء إلى الأزهر والانخراط فى سلك الفدائيين وأصبح الصباح فإذا الإضراب سائد عام .

هذان موقفان رائعان للأزهر فى إحباط الكيد الإنجليزى فإذا انتقلنا بعدهما إلى الإلمام ببعض الروائع الدائمة للأزهر فى إلهاب الثورة ، وإذكاء الوطنية فإننا نجد مالا نستطيع الإحاطة به فى مقال موجز يعتمد على التركيز ! وحسبنا أن نختار للقارىء من الأحداث ما يشير إلى النظائر والأشباه .

لقد اعتقل سعد ورفاقه فى ٨ مارس سنة ١٩١٩ ، فلم يكد الأزهريون يتناقلون النبأ حتى سرت فى نفوسهم روح الغضب الناقم ، وتتابع خطباؤهم على منبره العالى يلهبون الحماسة ويدعون إلى العمل الثورى من أجل البلاد ، ثم خرجوا يومى ٩ ، ١٠ مارس فى مظاهرتين ثائرتين كانتا الأوليين فى تاريخ الثورة فأخذوا يطوفون الأحياء هاتفين بسقوط الحماية ، ومن فوقهم رصاص الانجليز يتقاطر دون أن يستطيع إرهابا وتخويفاً للثائرين ، وقد ذكر الأستاذ أمين الخولى وكان من الطلاب حينئذ ـ كما جاء

فى كتاب مواقف حاسمة ص ٤٨٩ ـ أن شباب الأزهر قد صاغوا للثورة شعاراً عفويا هتفوا به جميعاً حين نادوا فى مظاهراتهم الأولى بقولهم : « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » فحددوا مطالبهم فى عبارة موجزة تتسم بالوضوح الصريح ، وقد ريع المعتمد البريطانى لما حدث فأبرق لخارجية لندن بأنباء المظاهرة ، وبان له بوضوح أن ما زعمه للخارجية من قبل بأن حركة سعد طائشة لاتبلغ مبلغ حركة مصطفى كامل قد ثبت بطلانه الصريح بمظاهرة الأزهر ! هاتان المظاهرتان اللتان كانتا بعيدتين كل البعد عن أدنى تأثير للوفد السياسى كما ذكر مؤرخ سعد ، بل إن أحد زعماء الوفد حينئذ قبل الانشقاق وهو عبد العزيز فهمى ثار على المتظاهرين فى غضب ، وأعلن أن المسألة ليست لعب أطفال وصاح بالجموع دعونا نعمل فى هدوء ولا تزيدوا النار اشتعالا ، وقد ذكر ذلك العقاد فى وضوح صريح ! وإذا كان سعد قد عجب لحدوث المظاهرتين اللتين لم يكن يتوقعهما وإذا كان عبد العزيز قد استنكر المظاهرات أشد الاستنكار ، فالأزهر وحده المسئول عنها ، فهو صاحب الفضل الأول فى إيقاظ المصريين للمطالبة بحقوقهم ، وفى الجراءة الساحقة التى ضرب بها المثل للناس حين واجه رصاص الإنجليز فى غير مبالاة ! وقد سجل الأستاذ الرافعى أن أول شهيد للثورة كان نجل أحد علماء الأزهر ممن يشتغلون بالمحاماة الشرعية ثم تتابع بعده الشهداء من شتى الطوائف والطبقات !

وقد حدثت فى المظاهرة الثانية خارقة عجيبة لأحد شباب الأزهر ، غفل عنها الذين يملئون الصحف اليوم بيوميات السياسيين ومذكرات الخارجية البريطانية ، ومقابلات اللنبى وملنر وتأليف وزارات رشدى ووهبة وسعيد وزيور مما لاكته الأسماع واشتهر خبره لدى القريب والبعيد من القراء دون أن يذكروا للوطن بطولاته الرائعة فى مسلسل مطرد يشفعه التحليل المسهب والتشريح المطيل ! وإذا كان التاريخ لعهدنا هذا يسهب فى دور الرسميين ويقتضب روائع الشعبيين فماذا قدمت الصحافة إذن يا قوم من الجديد ! وفيم شغل القراء بوثائق ذائعة يعرفها أكثر الدارسين ؟ هذه الخارقة العجيبة لا يزال يذكرها من عاصروا الثورة وقد كان الأزهريون يتناقلونها فى مجالسهم كإحدى الأساطير

حتى سجل حقيقتها الواضحة عن مشاهدة وعيان الأستاذ محمد على غريب بجريدة الأخبار الصادرة فى ١٩٦٩/٣/١٢ فقال ما نصه :

« أذكر أن الإنجليز نصبوا مدفعاً أمام الأزهر وصوبوه إلى قلوب الآلاف من المتظاهرين وكان يدير المدفع جندى إنجليزى سرعان ما تقدم منه شاب أزهرى بكل جرأة وشجاعة — بل إن الوصف بالجرأة والشجاعة لا يكفى — فإن هذا الشاب الأزهرى قد اندفع إلى الجندى البريطانى وضربه على أم رأسه فأوقعه أرضاً ، ثم استولى على المدفع ولكن ماذا عسى أن يصنع به ، لقد أخذ يديره يميناً وشمالا دون أن يعرف كيف يطلقه إلى أن اخترقت رصاصة من أحد الإنجليز رأسه فسقط شهيداً ، كان هذا فى المظاهرة الثانية كما تناقل الرواة ، تلك التى أصدر القائد العام للقوات البريطانية قراره بمنع المظاهرات عقبها فى ١١ مارس سنة ١٩١٩ مع تهديد كل متظاهر بالمحاكمة على وجه السرعة المستعجلة » !

ولكن المظاهرات تنتشر وتزيد دون اكتراث بمحاكمة أو تهديد ! وقد أنشأت السلطة محاكم عسكرية فى القاهرة والأقاليم وأخذت تصدر الأحكام الجائرة بالإعدام والسجن المؤبد . فكان ذلك الشطط فى التنكيل زيتا يضاف إلى الوقود الملتهب فيتزايد الحريق ويمتد إلى شتى الآفاق ، وإذا كان من الإنصاف أن نذكر أن الوطنيين فى كل مكان بعد أو قرب من القاهرة قد أعلنوا الثورة الصاخبة على العدو فإن من الإنصاف أن نذكر أن كثيراً من طلبة الأزهر قد رجعوا إلى أقاليمهم فى القرى والعواصم يخطبون ويقودون ويشرحون القضية الوطنية فى غيرة وإيمان فقالوا ما لا تستطيع الجرائد أن تقوله فى عهد الحماية، وحققوا قول شوقى الدائم فى تأثيرهم القوى وشوذهم الكبير :

هزوا المدائن كهفها ورقيمها
أنتم لعمر الله أعصاب القرى

وقد ثبت أن المظاهرة الصاخبة الكبرى فى طنطا التى أسفرت عن مجزرة وحشية قام بها رصاص العدو ، قد خرجت بدءاً من المعهد الدينى يتزعمها طلاب الجامع الأحمدى ، كما كانت مظاهرات الإسكندرية وليدة معهده الأزهرى ، وإذا كان المرحوم يوسف الجندى قد استقل بزفتى بعض

الوقت متحديا سلطة الاحتلال بالقاهرة وذكر له المؤرخون ذلك فى إعجاب وإكبار فإن من الواجب أن نذكر أن الأستاذ الشيخ عباس الجمل العالم الأزهرى المعروف قد صنع هذا الصنيع عينه بالمنيا فأعلن استقلاله عن الحماية، ورفع لها علما تحريريا خاصاً ، وجمع زعماء الإقليم تحت لوائه مجاهداً مكافحا ! وتسألنى بعد ذلك لماذا يحرص الكاتبون على تخليد صنيع الأستاذ يوسف الجندى ، ثم يتجاهلون صنيع الشيخ عباس الجمل فلا تجد الجواب المقنع الصريح ، وإذا كان الحق لا يعدم أنصاره فإننا نذكر أن الأستاذ محمد صبيح قد سجل ذلك الفخر لصاحبه فى كتابه مواقف حاسمة مع مواقف أخرى للوطنيين !

وقد هال إنجلترا ما رأته من عنف الإضرابات واشتداد المظاهرات فأصدرت أمرها بالإفراج عن سعد ورفاقه فى ١٧ إبريل وظنت أنها بذلك تسكن العاصفة ، ولكن الأزهر أثبت للناس جميعا أن المسألة ليست مسألة زعماء وأشخاص بل إن الموقف يتلخص فى شعاره الذى هتف به وهو الاستقلال التام ، فما كاد سعد يطلق من عقاله حتى نظم الأزهريون مظاهرة رنانة تحدث عنها الشيخ محمود أبو العيون فى ذكرياته السياسية عن الثورة بمجلة المصور سنة ١٩٦١ فكان مما قال :

« وفى ١٩١٩/٤/١٧ أفرج عن سعد وصحبه فقامت مظاهرة كبرى اشتركت فيها طوائف الأمة من أزهريين،وموظفين وقد بدأت من الأزهر ومضت تخترق شوارع القاهرة وفى مقدمتها الأزهريون حتى وصلت إلى عابدين ، وكنت أنا ومصطفى القاياتى فى مقدمة للمتظاهرين نحمل علما واحداً عولما وصلنا ميدان الأوبرا وامتلأ بنا سمعنا طلقات الرصاص تنبعث من شبابيك سور الأزبكية ، وتوجه نيرانها إلينا على غير انتظار ، وسرعان ما رأينا الدماء تجرى ونظرت فلم أجد من إخوانى إلا الشيخ عبد ربه مفتاح والشيخ القاياتى والرصاص يمر بيننا حتى أصابت العلم رصاصة فأحرقته ، وبينا نحن فى هذا الجو سمعنا من ينادينا يا قاياتى يا أبو العيون ارجعوا أنفسكم ولا تعرضوها للقتل ، ولكننا سرنا وراء المتظاهرين واجتزنا المكان والرصاص يدوى من خلفنا ،

وظهورنا معرضة له ، ثم تشتت المظاهرة وعادت فالتأمت فى شارع عابدين بعد جامع الكخيا » .

ووالى الشيخ أبو العيون حديثه عن ثورة الأزهر وعن اعتقاله مع زملائه من الأزهريين ثلاثة أشهر فى رفح ، ثم عودتهم لاستئناف الجهاد بما لا نستطيع بسطه لكثرته ، وإذا كان الشيخ أبو العيون قد ذهب إلى ربه دون أن يجد من ينصفه من الباحثين فإنى أعد قراء (مجلة الأزهر) بحديث عنه فى القريب ليعرف المتشدقون بالدراسة التاريخية أى رجل يغفلون !

ونحن نعلم محاولة اللورد ملنر وزير المستعمرات الإنجليزية حين قدم مشروعا يراه أساساً للمفاوضة ، وخطة لتحديد العلاقات المصرية الإنجليزية محاولا استمالة بعض السياسيين بما يخدع به الأغرار من هؤلاء ! وقد كاد يوقع الفرقة بين الوطنيين لولا أن أصدر المفتى الأكبر الشيخ محمد بخيت المطيعى فتواه بمقاطعة لجنة ملنر وقد وصمت بالخيانة كل من تحدثه نفسه بمفاوضة الاستعمار ، بعيداً عن زعماء مصر المناضلين ، وهى فتوى مجلجلة طرب لها سعد زغلول فى أوربا وأبرق إلى المفتى الأكبر يقول له فى إعجاب: إن فتواه جديرة بأن تصدر عن أكبر مفت للإسلام فى عصرنا الحديث ! وهكذا رجع اللورد بالخيبة بعد كلمات مسدودة سطرها أزهرى أمين .

لقد اعتقد المحتلون أن الجامع الأزهر مهد الثورة ، ومجمع التقاءات رجالها ، وموضع التدبير والقيادة وزادهم ضيقاً وحنقاً ما شاهدوه من قيام طلبة الأزهر بتوزيع المنشورات الثائرة على جميع السفارات والقنصليات الأجنبية إذ كانوا يحرصون أشد الحرص على كتمان الحقائق الوطنية وإخفائها عن الأجانب ثم رأوا أن المنشورات الثائرة لا تقف عند السفارات المحايدة وحدها، بل تغزو دار الحماية البريطانية مهددة متوعدة وموقعة بإمضاءات رجال الشرطة الوطنية إذ أن الشيخ مصطفى القاياتى - رحمه الله - قد بادر بتأليف بوليس مصرى من طلبة الأزهر وللمدارس العليا ، تكون مهمته المحافظة على النظام أثناء المظاهرات منعا لما قد يحدث من تخريب يتعمده أعوان الاحتلال تشويهاً للحركة الفدائية الثائرة ، بحيث كان كل شرطى وطنى يضع

على ذراعه قطعة حمراء كتب عليها ما يدل على انتمائه لبوليس الأمن الوطنى بالأزهر ، وكان من سلطة هذا النظام أن يتعقب من تسول له نفسه ممالأة الاحتلال ليقوم بأسره وتقديمه إلى هيئة المحاكمة التى يرأسها الشيخ أبو العيون والتى كان مقرها مسجد المؤيد ، وقد بلغ من نفوذ هذه الهيئة أن من يحكم عليه بالخيانة من متهميها كان يسقط سقوطا يلحق العار بأسرته وعارفيه ، وقد ذكر الشيخ أبو العيون فى مذكراته بالمصور أن أحد هؤلاء قد لزم بيته وسعى أهلوه إلى الشيخ بما يثبت براءته من ادعاء كاذب فاستأنف أبو العيون نظر القضية وحكم ببراءته فكان المصريون يهنئونه مغتبطين ويحضنونه مقبلين ! فياله تاريخاً مجيداً فقد المؤرخين !!.

أجل عرف المحتلون سيطرة الأزهر ونفوذه فأغلقوا أبوابه ووضعوا الحراس الشداد من جنودهم أمامه مسلحين ببنادقهم ومدافعهم كى يمنعوا الجمهور من الاحتشاد حول منبره والاجتماع فى رحابه ! ولكن الشمل كان يلتئم رغم أنوفهم إذ اهتدى الأزهريون إلى باب خلفى يصلون إليه من من زقاق ضيق وهو المعروف بباب الجوهرية تجاه الزاوية المشهورة بزاوية العميان ! فأخذوا يتسللون منه فرادى وجماعات حتى إذا التأم الشمل خرجوا يتظاهرون فى صخب ثائر بحيث يفاجأ الحراس بحشودهم المتراصة تندفع إلى الميدان وهم حائرون ، ثم لم يعدموا بعد البحث الجاهد من يدلهم على الباب الخلفى فأوصدوه ، ولكن الحيلة لا تعدم وجها للنفاذ مهما كبدت الأزهريين شتى الصعاب ، ففكروا فى شارع ضيق يسمى الآن بدرب الحلقة وبينه وبين الأزهر بيوت كثيرة ، وأخذوا يستأذنون أصحابها فى دخول المنازل ثم الصعود على سطوحها والتنقل بسلالم خشبية تصل ما بين السقوف حتى تنتهى إلى سطح الأزهر متعرضين إلى أخطار هائلة تكلف الثائر حياته لو فقد انتباهه لحظة فزلت به القدم ! وقد فصل الأستاذ الطنيخى هذا الموقف الرائع فى مقال صادق نشر (بمجلة الأزهر) ربيع الآخر سنة ١٣٧٥ هـ والرجوع إليه مما يفيد ، ولم يهدأ الثائرون بال ، فظلوا فى حركة نشيطة لا يقر لها قرار ، حتى عصف الخلاف بوحدة الزعماء فانشق عن الوفد من يعرفون بالأحرار الدستوريين ، وفرح المحتلون والقصر بهذا الانشقاق ، وظنوا أنهم وجدوا من

يرتكزون عليه فى تفريق الجهود ، وانفضاض الشمل ، ولما كان سعدهو العقبة الأولى أمامهم فقد بادروا باعتقاله ثانية مع رفاق آخرين وأرسلوا كتائبهم فى كل ميدان لقمع من تسول له نفسه أن يتظاهر ويحتشد! ولكن الأزهر ! حيا الله الأزهر! قد أفسد تدبير الظالم إذ ما كاد نبأ الاعتقال يدوى فى الجمهور دوى الرعد ، حتى هرع الألوف إلى صحن الجامع ينظرون ماستقوم به الهيئة التنفيذية للثائرين ! وقد خطب أبو العيون والقاياتى وأبوشادى ودراز ومحجوب ثابت معلنين استئناف المظاهرات ثم بادر الشيخ مصطفى القاياتى بتأليف هيئة جديدة للوفد تقوم مقام المعتقلين كان هو أحد أعضائها البارزين ، ولم يأل المحتلون جهدا فى تعقب المتظاهرين وتسليط قانون الأحكام العرفية الجائر على رقابهم ! فقدموا إلى المحاكمة جماعات ، وقد سبق إلى قسم الأزبكية عشرات الأزهريين ليجدوا أحكاما تعسفية تفرض عليهم غرامات باهظة لا قبل لهم بدفعها . فتألفت فى الحال جماعات مخلصة برئاسة الشيخ القاياتى تجمع التبرعات لإنقاذ المواطنين جميعا من عمال وتجار وأزهريين وقد جلس الشيخ القاياتى ليحصى ما تجمع ثم يوازن بين ما يطلب من غرم وما نقص من مال وكان مشهدا يستدر الإعجاب حين خلع بعض الطلاب لباسه الخارجى ليباع فى مزاد وطنى يسعف المسجونين ! فيا لله كيف تفعل هذه الروائع لتسهب كثيرا فى مفاوضات ملنر وتصريح كيرزون وتملأ الصحف بصور وزراء ومديرين كان بعضهم أصناما تتحرك فى يد الاحتلال !

إن قيادة الأزهر للثورة المصرية يتطلب مؤرخا منصفا يختصها بالتحليل ، ولا أدعى لنفسى أنى أستطيع أن أقوم بمهمة هذا المؤرخ النزيه ولكنى ألفت النظر إلى تدوين هذا التاريخ الشعبى الحافل متأثرا بمقال رائع كتبه أستاذى العالم الجليل محمد الغزالى فى العدد الأخير من (لواء الإسلام) متعجبا لإغفال دور الأزهر وكل دور إسلامى فى حركات التحرير لدى من ينكرون ضوء الشمس من رمد حتى لقد صدق عليهم قول المتنبى :

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا

د . محمد رجب البيومى

تطوير القوانين وفقاً للشريعة الإسلامية

للدكتور عبد الناصر توفيق العطار

من المعروف أن الشريعة الإسلامية كانت هي القانون الواجب التطبيق في جميع البلاد الإسلامية إلى عهد قريب . غير أنه عندما غزا الاستعمار البلاد الإسلامية غزوا ثقافياً وعسكرياً وسياسياً بدأ التحول عن تطبيق الشريعة الإسلامية إلى تطبيق قوانين أخرى استمدت معظم أحكامها من القوانين الأجنبية . وتم هذا التحول في كثير من البلدان الإسلامية بالترهيب أحياناً عن طريق وضع جزاءات جنائية وسياسية لمن يعارض هذا التحول واتهامه بالتخلف والرجعية ، وبالترغيب أحياناً عن طريق حملة دعاية واسعة تسمى حركة انسلاخ المجتمع الإسلامي من معظم أحكام شريعته الخالدة بحركة الإصلاح التشريعي والقضائي !

وعلى طوال السنين التي فرض الاستعمار الفكري فيها على الشعوب الإسلامية نظما قانونية يختلط فيها الحق مع الباطل، والعدل مع الظلم ، والحلال مع الحرام ما فتئت الجماهير تطالب بالتعديل والتغيير ، يعلو صوتها به حيناً ويخفت أحياناً ، ولكنها لا تغفل عنه . وكثيراً ما يسمع المرء أو يقرأ تعليقات تستنكر أحكاما صدرت من القضاء ، وإن صحت هذه الأحكام من الناحية القانونية ، إلا أنها قد لا تتفق مع بساطة مبادىء العدالة التي تعرفها هذه الجماهير من روحها الإسلامية بغير فلسفة ولا تعقيدات نظرية . وما فتىء ضغط الجماهير يؤكد - يوما بعد يوم - حاجتها إلى الشريعة الإسلامية ، تطلب الحق من أحكامها فتجده ، وتلتمس العدل فيها فتناله .

وإذا كنا اليوم بسبيل حركة كبرى لتطوير القوانين ، فإنه يتعين علينا أن نترسم عدة خطوات حتى يحقق التطوير أسمى غاياته .

علينا في البداية أن نرفع بصمات الاستعمار الفكري عن تشريعاتنا الوضعية ، وأن نرى بوضوح ميادين حروبه النفسية

ومدى ما لحق سياستنا التشريعية من غبارها، وذلك كخطوة أولى يتسنى لنا أن نضع أيدينا على مواردنا الفكرية نقية كما عهدناها في جوهرها الأصيل، طاهرة مما عسى أن يكون الاستعمار الفكري قد أصاب منهـــا.

علينا ثانيا: أن نعمل على أن تكون الحلول التشريعية لمشاكل الجماهير نابعة من طبيعة سلوكها الاجتماعي الأصيل تستمد أحكامها من الأوضاع المتطورة لمجتمعنا مستهدفة الوصول بهذا السلوك إلى المثل العليا... وفي سبيل ذلك لا نأبه بنظريات مغلقة ولا بفلسفات قانونية تائهة، ولا نغفل - في نفس الوقت - التجارب الإنسانية الأخرى في البلدان المختلفة، القديمة والحديثة على سواء.

على أننا نرى أنه إذا كانت التجارب الإنسانية تهدى البشرية إلى الحل الأقرب لمشاكلها، فإن الهداية الربانية تهديها إلى الحل الأمثل والأبقى لكيانها... ومهما كان الالتزام السياسي محققا لسيادة القانون ودافعا إلى التقدم، فإنه لن يكون أبلغ أثرا من الوازع الديني فيما يحققه من التزام الإنسان بالحق والعدل وسائر للمثل العليا في السر والعلن، وفي الضيق والسعة، وفي العجز والقوة... وفي الرغبة في الإصلاح بين الناس وإن تضاءل الحافز المادي في الدنيا أو انعدم... وفي الإخلاص في خدمة الآخرين وإذا انتفى النفع الشخصي أو تطلب هذا الإخلاص مزيدا من الإيثار والتضحية... لهذا نرى أنه إذا كانت دراسة أوضاع مجتمعنا المتطور والتعرف على القوانين الوضعية المختلفة في كثير من البلدان أمراً لازماً لتطوير القوانين... فإن دراسة الشريعة الإسلامية وبحث وسائل تطبيقها ألزم لمنح هذا التطوير القدرة على الحركة الدائبة نحو المثل العليا والتطبيق الأمين للمبادىء، والإخلاص الواعي للقيم.

وإذا كانت دراسة الشريعة الإسلامية وبحث وسائل تطبيق أحكامها هدفا قومياً ودينيا، وأملا تسعى الجماهير لتحقيقه، فما عساه أن تكون هذه الوسائل؟

لا شك أن لدينا جامعات وهيئات عليا تقوم على دراسة الشريعة الإسلامية في مقدمتها كلية الشريعة والقانون

بجامعة الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية وأقسام الشريعة الإسلامية بكليات الحقوق بالجامعات ... وقد خطت هـذه الهيئات خطوات واسعة أسفرت عن ظهور دراسات إسلامية بعضها مقارن بالقوانين الوضعية وفيه نصوص مقترحة كتقنين للشريعة الإسلامية . والاستفادة من جهود هذه الهيئات العلمية يقتضى حصر إنتاجها العلمى خصوصا من رسـائل « الدكتوراه » فى الشريعة الإسلامية المقارنة بالقوانين الوضعية وتزويد لجان تطوير القوانين بهذا الإنتاج العلمى ، كما يقتضى دعوة أصحاب هـذه الرسائل وفقهاء الشريعة الإسلامية لحضور جلسات هذه اللجان لتبادل الرأى واستخلاص أفضل حلول الفقه الإسلامى لمشاكل الجماهير المختلفة .

من جهة أخرى نلاحظ أن كلا من جامعة الأزهر ، ومجمع البحوث الإسلامية والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية هيئات رسمية تعمل على إنشاء وتدعيم الأجهزة العلمية والسياسية للدعوة الإسلامية فى سائر البلدان الإسلامية وغير الإسلامية ، وينبغى أن تبذل لهذه الهيئات كل عون مادى وكل تأييد أدبى يمكنها من أداء رسالتها كاملة غير منقوصة .

على أن ثمة أمرا هاما لابد منه إذا أخلصنا فى الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، ألا وهو إنشاء : (دراسات دينية منظمة لطوائف الشعب المختلفة) لا تقتصر على خطب الجمعة ، ودرس العصر فى كل مسجد وإنما تتجاوز ذلك إلى تطبيق صحيح وعملى لقوله تعالى : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، لعلهم يحذرون » والآية الكريمة تنبه المسلمين إلى أن انشغالهم بالجهاد لا ينبغى أن يصرفهم عن الدراسات الدينية الشعبية المنظمة ، وهى تتطلب فى تنظيم هذه الدراسات أموراً منها :

أولا : أن التفقه فى الدين — من حيث أشخاص القائمين به — فرض كفاية على كل فرقة من المسلمين تقوم به طائفة منها ... بمعنى أنه ينبغى أن تبعث كل طائفة من طوائف الشعب بعدد منها يتفقه فى الدين ويتلقى دراسات فيه تتصل بنشاط هذه الطائفة ، كما يجب أن يكون فى كل وحدة فى المجتمع الإسلامى إدارة للتفقه فى الدين والفتوى فيه ، وتتلمس هذه الطائفة وتلك

في تاريخ التصوف الإسلامي

للأستاذ نور الدين شريبه

مقـــدمة :

لعل كلمة التصوف ومشتقاتها من أكثر الكلمات دورانا على الألسنة ، ولكنها مع ذلك مختلفة الدلالة عند من يستعملونها[1] .

فهي عند بعض الناس : زهادة وسلبية في الحياة على اختلاف مناحي النشاط فيها وتنوعها ، وهي عند البعض الآخر : سبحات هذيان لبعض شواذ العقل والفكر ، ثم هي عند الآخرين مرقعات ورسوم وأشكال يستجلب بها الرزق وتصاد بها الدنيا ، وقل من يدرك مدلولها على وجهه الصحيح .

وبرغم غموض مدلول التصوف في أذهان الناس ، إلا أننا نجده عندهم جميعا وإن اختلفت الأزمنة والأمكنة والعقائد ،

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

الوحدة أحكام الدين في مشاكل الهيئة التي تنتمي إليها ، وهي باعتبارها طائفة منها ستكون أقرب إلى الإحساس بمشاكلها وأعرف بما يصلح لها من أمور الدين والدنيا .

ثانيا : أن التفقه من حيث موضوعه ــ إنما يكون في الدين كله ، أو في فرع من فروعه ، لا في مذهب بعينه ، ولا لفقيه دون آخر ، ولا في دراسات القرآن دون دراسات السنة ... الخ .

ثالثا : أن للتفقه في الدين غايته ، وأهم هذه الغايات أن ينذر به الفقهاء قومهم لعلهم يحذرون ... بمعنى أنه ينبغي أن يخرج فقه الدين إلى ميدان الحياة ويبلغ جميع الآذان ، وتصبح قواعده سلوكا للأفراد والأقوام .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » . .

« الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله ، وكفى بالله حسيبا » .

د . عبد الناصر توفيق العطار

[1] أنجه : التصوف المسيحي ص : ف .
Inge : Christian Mysticism P.V.

فالتصوف إذن ظاهرة إنسانية، حظ الفرد منها بمقدار استعداده لها.

وإنما قلنا إنها ظاهرة إنسانية لأنها نابعة من شوق الإنسان إلى اكتناه المجهول[1] والتعرف على أسراره، بل إن هذا الشوق هو الأساس الذي تنشأ عنه المعارف الإنسانية بصورة عامة، والطريق إلى اكتناه المجهول يتخذ صورة عملية سلوكية أو صورة عقلية تجريدية.

وإذا كان من العسير وضع تعريف للتصوف جامع مانع[2] - كما يقول أهل المنطق - فلا أقل من وضع علامات مميزة، نحترز بها من الوقوع في الشذوذ الفكري أو السلبية في السلوك الإنساني حين نعرض لبحثه.

واستقراء أشكال التصوف المختلفة - بصورة عامة - يبرز لنا ناحيتين للتصوف:

(أ) الناحية العملية المتمثلة في السلوك الصوفي بدرجاته المختلفة.

(ب) الناحية العلمية المتمثلة في الآراء والأفكار التي دعا إليها الصوفية.

فالتصوف: إذن عمل وفكر، رياضة وفلسفة.

وإذا كانت هاتان الميزتان - وأخريات غيرها - أموراً عامة تشيع في التصوف، من حيث هو تصوف، فإن لكل نوع من أنواعه ميزاته الخاصة التي تفصله عن غيره، وذلك بسبب ارتباط التصوف بعقيدة صاحبه ومزاجه واستعداده الروحي والعقلي، والجو الذي يعيش فيه، وكلامنا هنا قاصر على التصوف الإسلامي.

أصالة التصوف في الإسلام:

هل التصوف في الإسلام أصيل أم دخيل؟ هذه قضية كثر حولها الجدل من قديم.

(أ) فأهل الحديث — وإن اختلف موقفهم في التشدد — يرون أن التصوف في صورته بعد عصر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، غريب على الإسلام دخيل فيه، وبخاصة التصوف الفلسفي.

---

[١] المصدر السابق ص ٥.

[٢] حاول الأستاذ رينولد أ. نيكولسن أن يعرف التصوف فساق أكثر من سبعين تعريفاً له، عاش قائلوها بين أوائل القرن الثالث ومنتصف القرن الخامس الهجري، وسلم بأن من العسير وضع تعريف دقيق يشمل مختلف أنواع التصوف. أنظر في ذلك «مجلة الجمعية الأسيوية الملكية سنة ١٩٠٦ ص ٣٠٣ - ٣٤٨ JRAS, 1906 p. 303-348» وقد ترجم هذا المقال المرحوم الدكتور أبو العلا عفيفي في كتابه: «في التصوف الإسلامي وتاريخه» ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م.

واتخذوا من موقف بعض كبار المحدثين والفقهاء والمصلحين — أمثال الإمام ابن حنبل والشيخ تقي الدين ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبد الوهاب — طريقا إلى رفض التصوف الإسلامي عامة.

(ب) وبعض المستشرقين يرون أن التصوف ليس إلا رد فعل العقل الآرى تجاه الدين السامي الفاتح، بل لقد غلا بعضهم إلى حد القول: بأن التصوف في الإسلام ليس إلا نتاجا خالصا للفكر الفارسي، أو الهندي[1]، أو الأفلاطونية الحديثة.

(ج) ويرى ابن خلدون — ومن قبله شيوخ الصوفية وعلماؤهم مثل الكلاباذي والسراج والقشيري والسهروردي — أن التصوف الإسلامي أصيل في الإسلام، وأنه من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ... وقد صار علم الشريعة على صنفين:

صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا، وهي الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات.

وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها، والكلام في الأذواق والمواجيد العارضة في طريقها، وكيفية الترقي منها[1].

(د) وأعتقد أن التصوف الإسلامي — من حيث مصادره — ليس غريبا على الإسلام ولا هو مجتلب فيه، فالصوفية قد اتخذوا من القرآن الكريم والسنة النبوية أساساً أصلوا عليه قواعدهم في السلوك والنظر، ثم جاءت عصور امتد فيها الإسلام إلى أمم وممالك ذات حضارات مختلفة، وكل هذه صبت روافدها في محيط حضارة الإسلام فتلون بعناصر قد تخالف عنصره الأول في قليل أو كثير، وقد تتفق معه، وإذن فمن المجازفة أن نرد التصوف إلى عنصر واحد[2]، وإنما نقول آمنين أنه ربي في حجر الإسلام وامتزج في نموه بأفكار وآراء جليبة بعضها مقبول، وبعضها مردود يدرك ذلك من له أدنى إلمام بمؤلفات الصوفية القدامى منهم والمحدثين[3].

والتصوف كذلك ليس غريبا على البيئة

---

[1] «الصوفية في الإسلام»: ١٩.

[1] «ابن خلدون»: المقدمة: ٤٦٧ — ٤٦٩ ط مصطفى محمد، بدون تاريخ.

[2] «الصوفية في الإسلام»: ١٢.

[3] ارجع في ذلك إلى: «اللمع» لأبي نصر السراج الطوسي، «والرسالة القشيرية»، «وإحياء علوم الدين» في قسمه الأخير، للغزالي.

العربية التي ظهر فيها الإسلام ومنها انتشر، بل إني لا أغلو إذا قلت إن البيئة العربية في الجاهلية نفسها كان فيها أفراد وجماعات أخذوا أنفسهم بالتشدد في السلوك ، وهذا واضح في سلوك الحنفاء من أمثال : ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، وأمية ابن أبي الصلت [1] ، وأبي عامر الراهب والد الصحابي الجليل حنظلة غسيل الملائكة [2] .

بل إن قريشا تشددت في دينها حتى سموا بالحمس ، يقول أبو جعفر محمد بن حبيب ابن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي المتوفى سنة ٣٤٥ هـ : «الحمس قريش كلها وخزاعة لنزولها ومجاورتها قريشا ، وكل من ولدت قريش من العرب .. كانت الحمس قد شددوا على أنفسهم في دينهم ، فكانوا إذا نسكوا لم يسلأوا سمنا ، ولم يطبخوا أقطا ، ولم يدخروا لبنا ، ولم يحولوا بين مرضعة ورضيعها حتى يعافه ، ولم يحركوا شعرا ولا وبرا ولاصوفا ولا قطنا ولا يأكلون لحما ، ولا يمسون دهنا ، ولا يلبسون جديدا ، ولا يطوفون بالبيت إلا في حذائهم وثيابهم ولا يمسون المسجد بأقدامهم تعظيما لتبعته ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها ، ولا يخرجون إلى عرفات، يقولون : (نحن أهل الله) » ويلزمون مزدلفة حتى يقضوا نسكهم ويطوفون بالصفا والمروة إذا انصرفوا من مزدلفة ، ويسكنون في ظعنهم الأدم الحمر » [1] :

واستعراض أسماء الزهاد والصوفية في الإسلام يشهد كذلك ببطلان هذه الدعوى ، دعوى أن التصوف رد فعل العقل الآرى تجاه الدين السامي الفاتح ، كما يشهد بأن التصوف ليس غريبا على البيئة العربية أو الفكر العربي ، فقد كان بين أصحاب رسول الله ﷺ كثرة كاثرة نبذت الدنيا وأقبلت على الله وتنسكت، وفي الحديث النبوي مادة خصبة تدور حول هؤلاء الذين كانوا يشددون على أنفسهم، ويسوقونها سوقا عنيفا في طريق الله ، ولكنهم لم يتخذوا اسم التصوف ولا نسبته، وكذلك فعل من بعدهم التابعون وتابعو التابعين

[١] عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفي في الإسلام ٣٢ وما بعدها [الطبعة الثالثة ١٣٨٧–١٩٦٨] .

[٢] أسد الغابة ٢٠ ـ ٥٩ .

[١] ابن حبيب : المحبر : ١٧٨ ـ ١٨٠ (حيدر أباد ١٣٦١هـ ـ ١٩٤٢م في مجلد واحد) ، ولسان العرب : ٧ ـ ٣٥٩ .

لأنه لا شرف فوق شرف الانتماء إلى رسول الله وصحابته [١].

وبذلك نخلص إلى القول: بأن التصوف الإسلامى نشأ فى حجر العقيدة الإسلامية وبين طلائع حملتها الأوائل، صحابة رسول الله ومن أتى بعدهم. ولكنه فى نموه وتطوره تأثر بعوامل داخلية وخارجية شأنه فى ذلك شأن غيره من نواحى الثقافة الإسلامية، وقد أثرت فيه تلك العوامل فقرب أو بعد تبعا لها، من صورته التى نشأ عليها فى أول أمره.

تسمية الصوفية:

متى ظهرت التسمية؟ أول ما ظهرت فى الإسلام؟ — ومن أين أخذت؟.

أقدم من نعرفه ذكر الصوفية هو عبد الواحد بن زيد (المتوفى سنة ١٧٧هـ) وكان ممن يصحب الحسن البصرى (ت سنة ١١٠ هـ) رحمه الله، وكان من جلة أصحابه.

قال أبو نصر السراج: «قيل لعبد الواحد ابن زيد... من الصوفية عندك؟. قال: القائمون بعقولهم على هممهم، والعاكفون عليها بقلوبهم، المعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم هم الصوفية» [١].

وأقدم من نعرفه ذكر التصوف هو معروف الكرخى (المتوفى سنة ٢٠٠ هـ) حيث قال: «التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق» [٢].

وإذا كان هذان التعريفان قد ذكرا الصوفية والتصوف قبل نهاية القرن الثانى الهجرى فإن استعماله لم يدر على الألسنة إلا فى أوائل القرن التالى، أما قبل ذلك فقد كان الصوفية «يسمون بأسماء تختلف من جهة إلى جهة فى بلاد العالم الإسلامى».

وقد ظهر فى الإسكندرية - حوالى سنة ٢٠٠ هـ - طائفة يسمون بالصوفية، يأمرون بالمعروف فيما زعموا، ويعارضون السلطان فى أمره، وترأس عليهم رجل منهم يقال له أبو عبد الرحمن الصوفى [٣].

وكذلك أطلق لفظ الصوفية على جماعة كانت تحيط بعيسى بن المنكدر الذى ولى قضاء مصر على عهد المأمون. وكان هؤلاء القوم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. ولما ولى ابن المنكدر القضاء كانت هذه الطائفة تأتيه وهو فى مجلس

[١] «الرسالة القشيرية»: ٩ (بولاق ١٢٨٤هـ).

[١] «اللمع»: ٢٥ (نشرة نيكولسن).

[٢] «الرسالة القشيرية»: ١٩٥ - ٢٦، ٢٢ عوارف المعارف: ١ - ١١٩.

[٣] الكندى: «الولاة والقضاة»: ١٦٢، المقريزى: الخطط: ١ - ١٧٣.

الحكم فتقول : « أيها القاضي . ذهب الإسلام . عمل كيت وكيت » فيترك المجلس ويمضى معهم [١] .

أما الصوفى - لقبا مفرداً - فقد ورد لأول مرة فى النصف الثانى من القرن الثانى ، نعت به جابر بن حيان [٢] (١٢٠ - ١٩٨ هـ) وهو صاحب كيمياء شيعى من أهل الكوفة ، له مذهب خاص فى الزهد . وكذلك أبو هاشم الصوفى ، وهو كوفى أيضا ، توفى سنة ١٥٠ هـ ، يقول فيه سفيان الثورى (ت ١٦١ هـ) : « لولا أبو هاشم ما عرفت دقيق الرياء [٣] .

بل لقد نقل عن الحسن البصرى أنه قال: رأيت صوفيا فى الطواف ، فأعطيته شيئا، فلم يأخذه ، وقال : « معى أربعة دوانيق ، يكفينى ما معى [٤] » .

وغلت بعض الروايات، فذكرت مايفهم منه أن هذا اللفظ كان معروفا فى النصف الأول من القرن الأول .

[١] آدم متز: الحضارة الإسلامية: ٢ - ١٢، ١٣ نقلا عن الولاة والقضاة : ٤٤٠ .
[٢] «دائرة المعارف الإسلامية»: مادة تصوف.
[٣] «نفحات الأنس»: ترجمة أبى هاشم الصوفى . وكذلك اللمع : ٢١ ، ٢٢ .
[٤] «اللمع»: ٢١ ، ٢٢ عوارف المعارف: ١ - ٢٢٤ على هامش الإحياء .

حدث أبو مخنف عن هشام بن عروة أن عذريا شكا إلى معاوية إكراه واليه ، ابن أم الحكم ، له على طلاق زوجه بالجلهاء ، ورغبة ابن أم الحكم فى البناء بها ، فكتب إليه معاوية فيما كتبه :

قد كنت تشبه صوفيا له كتب
من الفرائض أو آيات قرآن

فى قصة طويلة ذكرها السراج [١] .

ويبدو أن كلمة صوفى قد ظهرت أول أمرها فى الكوفة مقصورة فى إطلاقها على أفراد ينتقون مذهبا من مذاهب الزهد يكاد يكون شيعياً . وكان عبدك الصوفى آخر أئمته ، وهو من القائلين بأن الإمامة بالتعيين ، وكان لا يأكل اللحم، وتوفى ببغداد سنة ٢١٠ هـ .

وقد قدر لهذا الإسم أن يكون له شأن خطير فيما بعد ، فما انقضت خمسون عاما حتى أصبح يطلق على كافة صوفية العراق، فى مقابل للملامتية ، وهم صوفية خراسان ، ثم أخذ هذا الإسم يطلق بعد ذلك بقرنين على كافة الصوفية للمسلمين ؟

نور الدين شريبه

[١] «مصارع العشاق»: ٢٢٣ - ٢٢٥.

جريمة الزنا بين الشريعة والقانون

للأستاذ عبد الخالق النواوي

— ٣ —

ثانياً : فى الشريعة الإسلامية

تعريف الزنا : هو الوطأ الذى يحدث فى غير ملك ، ويسمى بالوطأ المحرم ، وهناك نوع من الوطأ يعتبر محرما ولكنه لا يعتبر زنا ، إذ التحريم فى هذه الحالة هو تحريم عارض ، ينتهى بزوال سببه مثال ذلك : إذا وطأ الرجل زوجته الحائض أو النفساء أو الصائمة ، أو المحرمة ، فالوطأ فى هذه الحالات هو وطء محرم ولكنه لا يعتبر زنا[1] وإنما يعتبر معصية يعاقب عليها بعقوبة تعزيرية .

الحكمة من تحريم الزنا : حرمت الشريعة الإسلامية الزنا لأنه معول هدم لكيان الأسرة التى هى نواة المجتمع ، فإباحة الزنا تؤدى إلى شيوع الفاحشة ، واختلاط الأنساب ، وهذا بدوره يؤدى إلى انحلال الأسرة وفساد المجتمع ، فالشريعة الإسلامية حريصة كل الحرص على تجنب الوصول إلى النتائج المخيفة المترتبة على الزناة ، ولذا نجدها قررت عقوبات رادعة للزناة واعتبرت الزانى المحصن (المتزوج) شخصا غير كفء للانتساب للمجتمع الإسلامى بل غير صالح للبقاء ، لأنه مثل سىء ، وليس للمثل السىء فى الشريعة الإسلامية حق البقاء .

القصد الجنائى : يشترط لقيام جريمة الزنا توافر نية العمد لدى الزانى ، وتعتبر نية العمد متوفرة ، إذا زنى الرجل بامرأة وهو يعلم أنه يطأ امرأة محرمة عليه ، أو إذا رضيت المرأة أن يطأها رجل وهى تعلم أنه محرم عليها .

وإذا ارتكب أحدهما الفعل عن عمد وهو لا يعلم بتحريمه ، فلاعقاب عليه كمن تزوجت وهى لا زالت فى عصمة رجل

[١] [شرح الزرقانى] جـ٨ ص٧٩ — شرح [فتح القدير] جـ٤ ص ١٤ — حاشية ابن عابدين جـ٣ ص١٩٤ .

آخر وأخفت عن زوجها الأخير حقيقة أمرها ، فلا مسئولية على الزوج الأخير ما دام لا يعلم بالزواج الأول ، وإذا طلق الرجل زوجته طلاقا بائنا ، ثم سمحت له مطلقته أن يطأها وهى لا تعلم أنه طلقها .

والقاعدة فى التشريع الإسلامى أنه لا يقبل العذر بالجهل بالأحكام فى دار الإسلام فلا يقبل من أحد الاحتجاج بالجهل بتحريم الزنا ، وبالتالى انعدام القصد الجنائى .

ولكن استثناء من هذه القاعدة يجوز الاحتجاج بالجهل بالأحكام إذا لم تتيسر الظروف للعلم بها مثال ذلك : الشخص الذى أسلم حديثا ولم ينشأ فى دار إسلام ويثبت أن ظروفه لم تيسر له العلم بالأحكام أو المجنون الذى أفاق ثم زنى قبل أن يعلم بتحريم الزنا ، فى هذين المثالين وغيرهما يكون الجهل بالأحكام علة لانعدام القصد الجنائى[1] .

أدلة إثبات الزنا:

إثبات جريمة الزنا فى الشريعة الإسلامية يختلف اختلافا كبيراً عنه فى القانون الجنائى ، إذ القانون ترك القاضى حرية مطلقة فى تكوين عقيدته فى زنا الزوج وزنا الزوجة ، وفى شريكة الزوج ، وقيد هذه الحرية بالنسبة لشريك الزوجة ، أما فى الشريعة الإسلامية فنجدها قد تشددت فى إثبات جريمة الزنا ، فوضعت شروطاً وقيوداً تبدو أهميتها من ناحيتين :

الأولى : أن الستر مندوب إليه شرعاً والدليل على ذلك مستمد من قوله ﷺ : « من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله فإن من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله » . وفى حديث آخر عن الرسول أنه أعرض عن المعترف مرات.

والثانية : أن شدة العقوبة فى الشريعة الإسلامية (رجم المحصن وجلد غير المحصن) تستدعى التشدد فى الإثبات حتى لا يقتل إنسان أو يجلد إلا بعد التيقن الكامل من ارتكاب الجريمة ، أما فى القانون الجنائى فربما يكون أقل حاجة إلى التشدد لضآلة العقوبة المقررة للجريمة وتفاهتها .

والأدلة على جريمة الزنا هى :

الشهادة ، والإقرار ، والقرائن ، وسنتكلم عن هذه الأدلة فى إيجاز على النحو التالى:

---

[1] • شرح الزرقانى • جـ ٨ ص ٧٨ — شرح فتح القدير • جـ ٤ ص ١١٢ — المغنى جـ ١٠ ص ١٥٦ •

أولا : شهادة الشهود :

١ — يشترط لإثبات جريمة الزنا أن يشهد أربعة شهود بقيامها لقوله تعالى : « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم » وإذا قل عدد الشهود عن أربعة لا تقبل شهادتهم ولا يقام حد الزنا على المشهود عليه اتفاقا، وإنما يعاقب هؤلاء الشهود ويقام عليهم حد القذف وقد أوجد الله المخرج للزوج إذا رأى الزانى فى أهله ولم يجد أربعة شهود بقوله : « والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين » .

وقد أوجد الله المخرج للزوجة من الحد فى قوله تعالى : « ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين » .

وإذا كان الزوج هو أحد الشهود الأربعة فالراجح أنه لا تقبل شهادته ذلك أن الزوج إذ يقذف بالزنا قد يكون متهماً فى شهادته — أى له مصلحة شخصية من وراء شهادته .

٢ — يشترط أن يكون الشهود كلهم من الرجال ، فلا تقبل شهادة النساء فى هذه الجريمة .

٣ — يشترط أن يكون الشاهد قد رأى بنفسه الجريمة ، فلا تكفى شهادة شاهد على شاهد ، أما إذا كان الشاهد أعمى فلا تقبل شهادته (عند الحنفية والشافعية) أما المالكية والحنابلة والظاهرية فيرون : قبول شهادة الأعمى .

٤ — يشترط فى الشهود أن يكونوا مسلمين فلا تقبل شهادة غير المسلم لقوله تعالى : «واستشهدوا شهيدين من رجالكم» ولكن العالم الكبير ابن تيمية يرى: قبول شهادة غير المسلم عند الضرورة لأن شهادته فى الوصية قبلت للضرورة فتقبل فى كل ضرورة .

٥ — يشترط فى الشاهد أن يكون عدلا لقوله تعالى : «وأشهدوا ذوى عدل منكم» ولقوله ﷺ : « لا تقبل شهادة خائن ولا خائنة ، ولا زان ولا زانية ولا ذى غمر على أخيه» — أى من غمر أخاه بالظلم .

والمقصود بالعدالة هى تجنب الكبائر

وتوقى الصغائر ، وأداء الأمانة وحسن المعاملة .

٦ — ويشترط فى الشاهد أن يكون : بالغاً عاقلا قادراً على الكلام وعلى حفظ الشهادة فلا تقبل شهادة الصبى ولا المجنون ولا الأبله ولا المغفل ولا الأخرس .

٧ — يشترط ألا يتحقق فى الشاهد أى مانع من موانع قبول الشهادة وهذه الموانع هى : القرابة ، والعداوة ، والتهمة . والمقصود بالتهمة هى أن يكون للشاهد : مصلحة شخصية يسعى إليها عن طريق شهادته كشهادة الشريك لشريكه ، والخادم لمخدومه ، والعامل لرب العمل .

٨ — يشترط لقبول الشهادة ألا يكون حادث الزنا قد تقادم ، هذا ما اشترطه أبو حنيفة أما باقى الأئمة فيرون : قبول الشهادة المتأخرة .

٩ — يشترط أن يتقدم الشهود بشهادتهم فى مجلس قضائى واحد ، فإذا انفض المجلس فلا تقبل شهادة المتأخر منهم .

١٠ — يشترط أن يصف الشهود الزنا عما يفيد تحقيق وقوعه .

وفضلا عن هذه الشروط الواجب توافرها فى الشهود فلابد من اقتناع القاضى بصحة الشهادة ليصدر حكمه بالعقوبة ، فإذا لم يقتنع بصحة شهادة الشهود فإنه يطرحها جانباً ولا يأخذ بها .

ثانياً : الإقرار :

المقصود بالإقرار : هو اعتراف الزانى بارتكاب جريمة الزنا ، ويشترط فى المقر أن يكون : بالغاً عاقلا مختاراً قادراً على الوطء كما يشترط فى الإقرار أن يكون مفصلا مبينا لحقيقة الفعل .

وتسقط العقوبة إذا رجع المقر عن إقراره .

ثالثاً : القرائن :

القرينة المعتبرة فى الزنا : هى ظهور الحمل فى امرأة غير متزوجة ، وقد ذهب الأئمة الثلاثة : أبو حنيفة والشافعى وأحمد إلى أن الزنا لا يثبت وحجتهم فى ذلك احتمال أن يكون الحمل من وطء شبهة ، أو من استكراه لها ، ومن المقرر أن الحدود تدرأ بالشبهات ، أما مالك فيرى أن المرأة غير المتزوجة تحد بظهور الحمل ما لم تدع أنها وطئت بشبهة ، فإن ادعت ذلك وكانت مشهورة بالعفة وحسن الحال فلا تحد .

العقوبات

كانت عقوبة الزنا فى صدر الإسلام هى الحبس فى البيوت والإيذاء بالتعيير والضرب والأصل فى ذلك قوله تعالى: « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا . واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما » .

فعقوبة المرأة الزانية كانت الحبس فى البيوت حتى الموت، أو يجعل الله لها سبيلا بحكم آخر، أما عقوبة الرجل الزانى فكانت الايذاء بالقول أو الضرب .

وهذا النص نسخ بقوله تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله » .

ويقول الرسول ﷺ : « خذوا عنى فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة »[١] .

وقد استقر الحكم بعد ذلك على جلد غير المحصن وتغريبه مع خلاف فى التغريب وعلى رجم المحصن دون جلده مع خلاف فى الجلد .

وعقوبة الرجم مسلم بها من جميع المسلمين ولا ينكرها إلا طائفة من الخوارج فالرجم ثابت عن الرسول قولا وفعلا .

فأما قوله فقد أشرنا من قبل إلى حديث الرسول « خذوا عنى فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة »

وأما فعله فقد أمر رسول الله ﷺ برجم ماعز الأسلمى والغامدية ويهوديين من المدينة لارتكابهم خطيئة الزنا .

وإذا كان التشريع الإسلامى قد فرق فى العقوبة بين المحصن وغير المحصن ، فذلك لأن المحصن إذا زنى بعد أن توفرت لديه موانع الزنا ، كان زناه فى غاية القبح ووجب أن تكون عقوبته فى غاية الشدة .

ونخلص من ذلك أن عقوبة الزنا نوعان :

(١) عقوبة البكر . (٢) عقوبة المحصن .

[١] رواه مسلم وأبو داود والترمذى.

١ — عقاب البكر الزانى : إذا ارتكب البكر خطيئة الزنا سواء كان رجلا أو امرأة عوقب بعقوبتين : أولاهما : الجلد ، والثانية : التغريب ، لقوله ﷺ : « خذوا عنى فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام » .

عقوبة الجلد : إذا زنى البكر عوقب بالجلد مائة جلدة لقوله تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله » ولقول الرسول فى حديثه المشار إليه .

عقوبة التغريب : المقصود بالتغريب هو إبعاد الزانى من البلد الذى ارتكب فيه الزنا إلى بلد آخر لمدة عام ، وقد اختلفت الآراء فى وجوب هذه العقوبة ، هل تعتبر حداً من حدود الله أم هى عقوبة تعزيرية ؟ ولكن الإجماع انعقد على أن عقوبة التغريب من الحدود لقوله ﷺ : « البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام » ، وما روى عن عمر بن الخطاب وعلى ابن أبى طالب رضى الله عنهما أنهما جلدا وغربا ولم ينكر عليهما أحد من الصحابة فصار إجماعا [١] .

كما ثار الخلاف أيضاً بين الأئمة بشأن من توقع عليه هذه العقوبة ، فقال رأى : بأنها توقع على الرجل والمرأة ، وقال رأى آخر : بأنها توقع على الرجل فقط دون المرأة ولكل أسانيده .

وإنى أرى أن الرأى القائل بتوقيع هذه العقوبة على الرجل فقط دون المرأة هو الرأى الراجح لأن فى تغريب المرأة تشجيعاً لها على الفجور ، كما أنه لو فرض وغربت ومعها محرم عملا بحديث الرسول ﷺ حيث قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذى محرم » فإن هذا المحرم سيضار بهذا التغريب دون ذنب جناه .

٢ — عقاب المحصن :

فرقت الشريعة الإسلامية بين المحصن والبكر ، فى عقوبة الزنا فخففت عقوبة البكر وشددت عقوبة المحصن ، وجعلت عقوبة البكر الجلد والتغريب وعقوبة المحصن الجلد والرجم ، ومعنى الرجم القتل رمياً بالحجارة .

[١] (شرح الزرقانى) جـ٨ ص ٨٣ — المهذب جـ ٢ ص ٢٨٤ — المغنى جـ ١٠ ص ١٣٣ .

عقوبة الرجم :

الرجم عقوبة معترف بها من جميع الفقهاء إلا طائفة من الأزارقة من الخوارج ، والأصل فى الرجم هو قول رسول الله ﷺ وفعله .

فالرجم سنة قولية وسنة فعلية فى وقت واحد .

عقوبة الجلد :

والعقوبة الثانية للزانى المحصن هى الجلد، ولقد ثار الخلاف بين الفقهاء على ما إذا كانت عقوبة المحصن هى الرجم وحده ؟ أم هى الرجم والجلد معاً ؟

فقال البعض منهم : بوجوب عقوبتى الجلد والرجم للزانى المحصن لقوله تعالى: «الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» ثم جاءت السنة النبوية المطهرة وقررت رجم المحصن بالحجارة فوجب الجمع بين هاتين العقوبتين ، وقد فعل ذلك على بن أبى طالب حيث جلد « شراحة » يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة ، وقال: «جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ » . كما أن حديث الرسول صريح فى الجمع بين الجلد والرجم .

أما القائلون بوجوب رجم الزانى المحصن دون جلده ، فقد استندوا إلى أن رسول الله ﷺ رجم ماعزا والغامدية ويهوديين من المدينة ، ولم يرد عنه أنه جلد واحداً منهم ، فهؤلاء الفقهاء يعتبرون الجلد منسوخا أو داخلا فى الرجم .

وأصحاب هذا الرأى هم : مالك وأبو حنيفة والشافعى وهو رواية عن أحمد[1] .

ونحن نؤيد هذا الرأى لأنه يتمشى مع سياسة العقاب ، كما أنه طبقاً للقاعدة المعروفة أن العقوبة الكبرى « تجب » العقوبة الصغرى ، أى أن العقوبة الصغرى تنطوى فى العقوبة الكبرى .

مدى سلطة القاضى الشرعى فى تطبيق العقوبة

القاضى الشرعى متى ثبت لديه ارتكاب جريمة الزنا ، عليه أن يقضى بالعقوبة المنصوص عليها لهذه الجريمة كما هى دون نقص أو زيادة .

فهو لا يستطيع أن يخفف من هذه العقوبة أو يشدد لأى ظرف من الظروف سواء ما تعلق بالجريمة وما تعلق بالمجرم ،

[١] بداية المجتهد جـ٢ ص ٣٦٣ — شرح الزرقانى جـ٨ ص٨٢ — المغنى جـ١٠ ص١٢٢ .

تلك الظروف التي كثيراً ما تلعب دوراً كبيراً لدى القضاة في تقديرهم للعقوبة وفقاً لنصوص القانون الجنائي ، ولا يجوز العفو لا عن الجريمة ولا عن العقوبة في هذا المجال ، بخلاف الحال في التشريعات الجنائية الوضعية ، فهذا الحق ثابت لرؤساء الدول والسلطات التشريعية .

ولكن يقابل هذه الشدة أن الشريعة الإسلامية قد وضعت لكل جريمة من الجرائم شروطا تهدف إلى تضييق نطاقها كما تشددت في الإثبات فحصرته في وسائل معينة ، وفضلا عن ذلك فإنها تجعل كل شبهة فيها لمصلحة للمتهم ، فقد قررت مبدأ هاما وهو مبدأ (درء الحدود بالشبهات) .

وبهذا نكون قد انتهينا من بحث جريمة الزنا والعقوبات المقررة لها في القانون الجنائي والشريعة الإسلامية .

ونسأل الله العلي القدير أن يوفقنا إلى طريق العلم والبحث والمعرفة هادفين غير متحازين ، مستجيبين لكلمة الله التي يصلح عليها المجتمع وتسير بها الحياة السير الصحيح .

عبد الخالق النوادي

يقول الله تعالى :

« إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين . الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم » .

(النور الآيات : ٢٣ — ٢٦)

حول إعجاز القرآن :

الإعجاز البياني

للدكتور على العماري

— ٢ —

رأى الباقلانى فى الإعجاز :

رأى الباقلانى هو رأى جمهور علماء النظر أصحابه من الأشاعرة وغيرهم ، وقد ذكروا فى ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز :

أحدها : أن القرآن تضمن من الإخبار عن الغيوب ما لا يقدر البشر على مثله ، ولا سبيل لهم إليه .

ثانيها : حال النبى — صلى الله عليه وسلم — وأنه كان أميا لا يكتب ، ولا يحسن أن يقرأ ، وأنه لم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين ، ومع ذلك أتى بمجمل ما وقع من عظيات الأمور ، من حين خلق آدم — عليه السلام — إلى حين مبعثه — صلى الله عليه وسلم — وهذا مالا سبيل إليه إلا عن تعلم .

ثالثها : أن القرآن بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناه فى البلاغة[1] .

وبعد أن بين الباقلانى هذه الوجوه أخذ فى بيان الوجوه التى يشتمل عليها بديع نظم القرآن ، والمتضمن الإعجاز ، ونذكر منها :

١ — نظم القرآن خارج عن المعهود من نظام جميع كلام العرب ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به .

٢ — ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة ، والتصرف البديع والمعانى اللطيفة ، والفوائد الغزيرة ، والحكم الكثيرة ، والتناسب فى البلاغة ، والتشابه فى البراعة . قال : « وهذا المعنى غير المعنى الأول الذى بدأنا بذكره ، فتأمله تعرف الفصل »[1] .

٣ — عجيب نظمه ، وبديع تأليفه لا يتفاوت ، ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه .

---

(١) « إعجاز القرآن » ص ٤٨ — ٥١ . طبعة دار المعارف بتحقيق الأستاذ سيد أحمد صقر .

(١) المصدر السابق ص ٥٣ .

فى حين أنك متى تأملت شعر الشاعر البليغ رأيت التفاوت فى شعره على حسب الأحوال التى يتصرف فيها ، أما القرآن فهو فى جميع ما يتصرف فيه (على حد واحد فى حسن النظم ، وبديع التأليف والرصف).

٤ ـ الوجوه التى توجد فى كلام العرب من الاستعارة والتصريح ، والتجوز والتحقيق ... وغيرها موجودة فى القرآن ، متجاوزة لحدود كلامهم المعتاد بينهم فى الفصاحة والإبداع والبلاغة :

٥ ـ المعانى التى تضمنها القرآن فى أصل وضع الشريعة والأحكام ، والاحتجاجات فى أصل الدين جاءت بألفاظ بديعة ، متوافقة فى اللطف والبراعة ، وعنده (أن تخير الألفاظ للمعانى المتداولة المألوفة ، والأسباب الدائرة بين الناس أسهل وأقرب من تخير الألفاظ لمعان مبتكرة ، وأسباب مؤسسة مستحدثة ، فإذا برع اللفظ فى المعنى البارع كان ألطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع فى المعنى المتداول المتكرر ، والأمر المتقرر المتصور ... ثم إذا وجدت الألفاظ وفق المعانى ، والمعانى وفقها ، لا يفضل أحدهما على الآخر فالبراعة أظهر ، والفصاحة أتم) [1] .

٦ ـ القرآن خارج عن الوحشى المستكره والغريب المستنكر والصنعة المتكلفة ، قريب إلى الأفهام : يبادر معناه لفظه إلى القلب ويسابق المغزى منه عبارته إلى النفس ، وهو ـ مع ذلك ـ عسير المتناول ، غير مطمع مع قربه فى نفسه ، ولا موهم مع دنوه فى موقعه أن يقدر عليه ، أو يظفر به [2] .

وواضح من كل ما قدمناه أن الباقلانى يرجع إعجاز القرآن إلى انفراده بأسلوب مباين لأساليب كلام العرب وإلى بديع نظمه ، وروائع معانيه ، مع إخباره عن الغيوب ، ومجيئه من نبى أمى ، لا يصدر مثله عن مثله .

وتحدث الباقلانى عن (علم إعجاز القرآن) وظاهر أنه يقصد به (علم البلاغة) فيرى أنه شريف المحل ، عظيم المكان ، قليل الطلاب ، ضعيف الأصحاب ، وهو أدق من السحر ، وأهول من البحر ، وأعجب من الشعر .

ثم يأخذ فى سرد آيات ، وبيان موضع

---

[١] ص ٦٣ .

[٢] ص ٦٩ .

الروعة فيها ، ولكن من المؤسف أنه لم يزد فى أكثرها من الكلام العام ، الذى لا يحدد وجها ، ولا يدل على موضع المزية ، من مثل قوله :

(ثم انظر فى آية آية،وكلمة كلمة،هل تجدها على ما وصفنا : من عجيب النظم ، وبديع الرصف)[1] . وقوله فى التعليق على بعض الآيات : (هذه الكلمات الثلاث . كل واحدة منها كالنجم فى علوه ونوره ، وكالياقوت يتلألأ بين شذوره)[2] وهكذا.

وليس معنى ذلك أنه لم يهتد إلى شىء من مواضع المزية ... لا . فقد اهتدى . ولكن هذه الطريقة فى الاحتجاج لبلاغة الكلام البليغ لا تضيف جديدا إلى مايدركه الإنسان بذوقه من بلاغته .

وهذا الذى يقول عنه (الخطابى) : إنه لا يشفى من داء الجهل به .

والباقلانى ـ كغيره من جهابذة الكلام ـ يرى أن الذوق : هو الأساس فى إدراك روعة الكلام ، فهو يعقد فصلا (فى كيفية الوقوف على إعجاز القرآن) يرى فيه أن الأعجمى والعربى الذى لم يبلغ فى الفصاحة حد التناهى إلى معرفة الكلام . هذان لا يعرفان إعجاز القرآن إلا بالتقليد أما من كان قد تناهى فى معرفة اللسان العربى ، ووقف على طرقها، ومذاهبها فهو الذى لا يخفى عليه إعجاز القرآن[1] .

ويكرر هذا الرأى فى مواضع كثيرة من كتابه .

ولكن لا بد من معرفة تعين على إدراك أسرار الإعجاز وقد رآها الباقلانى فى عرض (النماذج) ، وتصوير كل قبيل من المنظوم والمنثور حتى يقع له الفرق بين أجناس الكلام ، وحتى يعرف حدود البلاغة ، ومواقع البيان والبراعة ، ووجه التقدم فى الفصاحة[2] .

بعد أن يورد نماذج كثيرة من خطب الرسول ﷺ ، وخطب البلغاء من الصحابة وغيرهم ، حتى إذا تأمل الناظر فى نظم القرآن ، وفى هذه الخطب عرف الفصل بين النظمين .

بعد ذلك يعمد إلى قصيدتين من جيد الشعر ، إحداهما من الشعر الجاهلى ، والأخرى من الشعر العباسى ، فينتقدهما

[١] المصدر السابق ص ٢٨٩ .
[٢] ص ٢٩٣ .

[١] ص ١٧١ .
[٢] ص ١٩٢ .

نقدا يبين فيه محاسنهما ، ونقائصهما ، ويستعين فى كل ذلك بما عرفه من البديع ومحاسن الكلام ، وبذوقه الخاص ، ويعتبر هذا الفصل من أجل الفصول خدمة للبلاغة التطبيقية ، وإن أسرف المؤلف فى تنقص القصيدتين وتطلب العيوب لهما ، وقديما قال ابن قتيبة : ومن تطلب عيبا وجده ، أو أراد إعناتا قدر عليه .

وقد كان أكثر ما دار فى هذا النقد ما يتصل باللفظ ، وما يتصل بالمعنى ، وإنما نقد الباقلانى هاتين القصيدتين ليزداد الناظر فى كتابه (بصيرة ، ويستخلص من سر المعرفة سريرة ، ويعلم كيف تكون الموازنة وكيف تقع المشابهة والمقارنة) [١] .

وهو يقول بعد نقد قصيدة البحترى ـ إحدى القصيدتين ـ : (وقد بينا أن مراعاة الفواتح والخواتم والمطالع والمقاطع والفصل والوصل ، بعد صحة الكلام ، ووجوه الفصاحة فيه مما لا بد منه ، وإن الإخلال بذلك يخل بالنظم ، ويذهب رونقه ويحيل بهجته ، ويأخذ ماءه وبهاءه) [٢] .

(البديع والإعجاز)

كان البديع إلى عهد الباقلانى ، وإلى ما بعد عهده بزمن غير يسير يطلق على كل الأنواع البلاغية التى عرفت فى ذلك الوقت ، وقد احتفل الجاحظ بالبديع ، وقال إنه السر فى تفوق لغة العرب على ما عداها من اللغات ، وقد جعل على بن عيسى الرمانى ـ كما مر ـ البلاغة أحد وجوه الإعجاز :

فالبديع أو البلاغة وجه من وجوه الإعجاز ، وهكذا ما يحكيه أبو بكر الباقلانى ، إذ يقول : (قد حكينا أن من الناس من يريد أن يأخذ إعجاز القرآن من وجوه البلاغة التى ذكرنا أنها تسمى البديع فى أول الكتاب ومن الناس من يزعم أنه يأخذ ذلك من هذه الوجوه التى عددناها فى هذا الفصل) [١] . وقد ذكر أكثر وجوه البديع التى كانت معروفة إلى عهده ومنها: الاستعارة والتشبيه والغلو والمبالغة والمقابلة والمطابقة والتجنيس .. وقال بعد أن طال بها وبشرحها ، والإكثار من شواهدها : (ثم رجع بنا الكلام إلى ما قدمناه من أنه لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذى ادعوه فى الشعر ، ووصفوه فيه) [٢] .

[١] ص ٢٢٤ . [٢] ص ٣٦٦ .

[١] ص ٤١٦ . [٢] ص ١٦٨ .

ومعنى هذا أن الفنون البديعية لا تستقل بأن تكون سر الإعجاز فليس فيها ما يخرق العادة ، بل يمكن استدراكها بالتعلم والتصنع لها ، ولكن يمكن أن يقال : إن ذلك البديع باب من أبواب البراعة وجنس من أجناس البلاغة ، وإن القرآن لا ينفك عن فن من فنون بلاغاتهم ، فإذا جاءت هذه الفنون حسنة أخذت بحظها من الحسن والبهجة ولكن الباقلانى لا يجعل (الإعجاز متعلقا بهذه الوجوه الخاصة ، ووقفا عليها)[1] .

ثم يذكر - كما قلت - وجوه البلاغة العشرة التى ذكرها الرمانى ، وإن لم يذكر اسمه ، ولكنه ينقلها بجملتها من رسالته التى أشرنا إليها فيما سبق ، ويقول فى مطلع النقل : (ذكر بعض أهل الأدب والكلام إن البلاغة على عشرة أقسام)[2]

ويذكر بعد نقلها أن صاحب هذه المقالة أضاف الإعجاز إلى موضع التشبيه ، وما قرن به من الوجوه (فأما الآية التى فيها ذكر التشبيه ، فإن ادعى إعجازها لألفاظها ، ونظمها وتأليفها فإنى لا أدفع ذلك وأصححه) ولكنه ينكر أن يقال : إن بعض هذه الوجوه بانفرادها قد حصل فيه الإعجاز من غير أن يقارنه ما يتصل به ، وأن التشبيه معجز ، وأن التجنيس معجز ، وللمطابقة نفسها معجزة .

وهذا كلام صحيح ، لا غبار عليه ولكنه ينقضه بتقسيم هذه الوجوه إلى ما يمكن استدراكه بالتعلم وما لا يمكن ، ويجعل الأول غير داخل فى الإعجاز بوجه من الوجوه ، ومن ذلك - عنده - السجع والتجنيس والمطابقة ، لأن السجع سبيل مورود ، ومتى تدرب الإنسان به ، واعتاده لم يستصعب عليه أن يجعل جميع كلامه منه ، وكذلك التجنيس والتطبيق ، متى أخذ أخذها ، وطلب وجهها استوفى ما شاء . (والاستعارة والبيان فى كل واحد منها ما لا يضبط حده ، ولا يقدر قدره ، ولا يمكن التوسل إلى ساحل بحره بالتعلم)[1] .

ولم يشرح الباقلانى البيان بأكثر من قوله : (ونقيضه العى) ، وكأنه قد ذهب إلى أنه (القدرة على الإبانة ، وقد شرحه الرمانى ، فقال : (وحسن البيان على مراتب ، فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب

[1] ص ١٢٠ . [2] ص ٣٩٠ .

[1] ص ٩٨ .

الحسن في العبارة، من تعديل النظم، حتى يحسن في السمع، ويسهل على اللسان، وتتقبله النفس تقبل البرهان، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة... والقرآن كله في نهاية حسن البيان)[1].

ولكن تفهم الباقلاني أصلا من كلام الرماني، إذ يقول هذا في أول الفصل: (البيان هو الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك). ولكنه يؤكد المعنى الأول بتقسيمه البيان إلى كلام وحال وإشارة وعلامة ـ وهو بذلك يأخذ عن كلام الجاحظ في أول كتابه البيان والتبيين ـ وقوله بعد ذلك: والكلام على وجهين: كلام يظهر به تميز الشيء من غيره، فهو بيان، وكلام لا يظهر به تميز الشيء فليس ببيان.

[1] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٩٨.

وخلاصة كلام الباقلاني أن وجوه البلاغة والبديع على ثلاثة أقسام:

١ — ما يمكن التدرب به كالسجع والجناس والتطبيق، وهذه لا تدخل في الإعجاز بحال.

٢ — ما يمكن التدرب به وتعلمه، ولكن تتفاوت فيه الأقدار كالتشبيه، وأكثر وجوه البلاغة، وهذه يمكن أن يقال إنها تدخل، ولكن مع غيرها في الإعجاز.

٣ — ما لا يقدر قدره كالاستعارة والبيان، وهذان يتعلق بهما الإعجاز ؟

د. علي العماري

ترتيب القرآن توقيفي

للأستاذ محمد الشباعي عامر

الدين الإسلامي وحده هو الذي سلمت أصوله وحفظت إلى يومنا هذا وستبقى بإذن الله كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وما قبله من الأديان تعرض لهزات عاتية ذهبت بالكثير وأدخلت فيه ما ليس منه .

ولقد تعرض الاسلام — من بين ما تعرض له — لحملات مختلفة الألوان والأشكال يأخذ بعضها في ظاهره طابع التجديد أو ما ماثل ذلك من ضروب التعبير وهي في حقيقتها محاولات خبيثة تبتغي الكيد وتنشد إثارة الفتن . ولكن الله غالب على أمره ولن يزيد هذا الدين إلا ثباتا وانتصارا .

وكلامنا اليوم مع أولئك الذين طلعوا على الناس بفتنة ترتيب القرآن على حسب نزوله . ونحن نتتبع الموضوع جدريا فنقول :

كان النبي عليه الصلاة والسلام يقرأ القرآن على الترتيب الذي بأيدينا اليوم ، والذي أجمعت عليه ملايين المسلمين في جميع الأقطار والعصور منذ أزل إلى يومنا هذا وتلقته بالقبول خلفا عن سلف .. كان يقرأ به عليه الصلاة والسلام في صلاته وبه كان يخطب ويتلوه في شئونه كلها قال تعالى : (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا ، إذ تفيضون فيه) كان يفعل ذلك وهو أعلم الناس بتاريخ النزول .

وقد ثبت أنه قرأ في صلاته بسورة البقرة وآل عمران ثم افتتح سورة النساء كل هذا في صلاة واحدة وأصحابه مقتدون به مستمعون لقراءته وصلى المغرب بسورة الأعراف في الركعتين . أخرجه النسائي وصلى المغرب بسورة المرسلات وغالبا كان يصلي المغرب بقصار المفصل ، وجميع هذه القراءة على الترتيب المدون في المصاحف التي بأيدينا اليوم . وإنما تلقى هذا الترتيب عن جبريل عليهما الصلاة والسلام . فقد كان يعرضه عليه كل ليلة من شهر رمضان من كل سنة ، وفي العام الذي قبض فيه عرضه عليه مرتين اثنتين .

وهذا يدل على أن الترتيب الذي يقرأ به ملايين المسلمين الآن توقيفي من عند الله

تعالى . وهو الصورة الصادقة الكاملة لما فى اللوح المحفوظ ، والموافقة لما فى علم الله تعالى الأزلى القديم . فمخالفتها بدعة وإثم كبير . نعم إن الحكمة والأسلوب التربوى فى هداية الخلق اقتضيا أن ينزل مفرقا على حسب الوقائع وحاجات الناس وسؤالهم .. وكان النبى عليه الصلاة والسلام يبلغ أصحابه ما ينزل من القرآن أولا فأولا فيسارعون إلى حفظ المقدار المنزل ويكتبونه بحضرته وأمره لهم مرتباً ويقرءونه مرتباً كذلك على نحو ما سمعوا منه ، وكانوا يلتزمون هذا الترتيب فى مدارستهم وتعبدهم وصلاتهم الجهرية وتهجدهم بالليل غير أن أجزاء القرآن ونجومه لم تكن مرتبة فى العظام وجريد النخل والحجارة وغير ذلك مما كانوا يكتبون عليه على معنى أن هذه القطعة من الجريد أو الحجارة أو نحوها فيها آيات من سورة الأعراف مثلا وفى القطعة التى بجانبها آيات من سورة الكهف مثلا فما فى كل قطعة مرتب أما القطع نفسها فليست مرتبة فجاء أبو بكر رضى الله تعالى عنه فرتب القطع وجمع الكل فى مصحف واحد مرتب الآيات دون السور ثم نسخ منه عثمان رضى الله تعالى عنه المصاحف وبعث بها إلى الأمصار مع ترتيب السور والآيات جميعا كترتيبها الآن ومنها كتب المسلمون مصاحفهم حتى كان فى عهده فى البلاد التى فتحها المسلمون أكثر من مائة ألف مصحف بهذا الترتيب نفسه الذى بأيدينا الآن لم يتغير منه أدنى شىء .

وقبض النبى عليه الصلاة والسلام والقرآن كله مكتوب على النحو الذى بيناه ، ومحفوظ أكثره فى صدور الألوف من أصحابه رضى الله تعالى عنهم فمنهم المقل والمكثر ، وحفظه كله فى حياة رسول الله ﷺ عدد غير قليل من أصحابه كالخلفاء الأربعة وابن مسعود وأبى الدرداء وسالم مولى أبى حذيفة وغيرهم .

وحفظه كله فى عصره من النساء أم ورقة وكان عليه الصلاة والسلام يلقبها بالشهيدة ، فترتيب هذا شأنه كتبه أصحابه بأيديهم وتلوه بألسنتهم وحفظوه فى صدورهم بعد أن تلقوه عن نبيهم الموحى إليه من ربهم ونقله عدول كل خلف إلى أمثالهم من بعدهم إلى اليوم ترتيب كهذا كيف يستبدل به ترتيب يعرضه للتحريف والتبديل اللذين وقعت فيهما الكتب

السماوية السابقة ؟ إن هذا العمل فتنة يجب القضاء عليها بكل وسيلة وتكذيب كل ما يدعى من الأسباب والدوافع لترويجها والانتصار لها .

وإذا كان القرآن كثيراً ما ينزل بحسب الوقائع وسؤال السائلين واستفتائهم مثل : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » الآيات ومثل « أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا » الآيات ومثل « أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين » الآيات ومثل (يسألونك عن الأهلة) ومثل (يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين) الآية ومثل (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) ومثل (يسألونك عن الخمر والميسر) ومثل(ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو).

نقول وإذا كان هذا القرآن كثيرا ما ينزل بحسب الوقائع وسؤال السائلين واستفتائهم وكثيراً ما يؤمر فيه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤال المخالفين واستفتائهم وإقامة الحجة عليهم وكل شيء من هذا واقع فى زمن خاص ، فكيف يتوصل من يريد ترتيب القرآن بحسب النزول إلى أن السؤال عن كذا كان فى وقت كذا بالذات وبعد ذلك الوقت بشهر مثلا أو بأسبوع سئل عن كذا وبعد أيام سئل عن أمر ثالث وهكذا إلى آخر أسئلة السائلين واستفتائهم وإلى آخر ما ورد فى القرآن من كلمة (قل) وما أكثرها حتى إن فى سورة الأنعام وحدها نحواً من أربعين كلمة (قل) . « قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله» « قل أغير الله أتخذ وليا» « قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم » « قل إنى أخاف إن عصيت ربى » « قل أى شيء أكبر شهادة قل الله » « قل لا أشهد » « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم » « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين » « قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شيء » .

وكل شيء من هذا يحتاج إلى ترتيب زمنى دقيق محدد مؤيد بالأدلة القطعية من الأحاديث المتواترة فإن أمرا كهذا لا يقبل فيه حديث الآحاد مهما كان صحيحا فضلا عن الحسن وما دونه من الموقوف والمرسل والمعضل والمنقطع إلى آخره ، وهيهات أن يصل من يريد ترتيب القرآن بحسب النزول إلى هذه الغاية .

والترتيب المزعوم فيه القضاء نهائيا على التناسب بين جمل القرآن وآياته وسوره وربط بعضها ببعض وهو أمر يمس بلاغة القرآن وإعجازه فى الصميم ، ومعلوم أن بلاغته وقوة أسلوبه والتناسب الكامل بين أجزائه وتراكيبه هى الدليل الواضح المشرق على أنه من عند الله تعالى والمعجزة الكبرى لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، تحدى به كل من فى عصره من أعلام الفصاحة فذهاب شيء من هذا يبطل معجزة الرسول الكبرى ويبطل نبوته فتصبح دعوى الرسالة خالية من الحجة والبرهان فقد ذهب التناسب والارتباط الذى يبرز إبداعه وقوة بيانه وأصبح القرآن مفككا ممزقا لا يأخذ بعضه بحجز بعض فقد حجبت عنه المناسبة الكاملة التى يتجلى بها سموه وعظمته والتى ترفعه إلى الذروة العليا التى لا غاية وراءها فى البيان العربى ولا مطمع فى القرب منها لأحد من البشر وهذا الاتجاه الخبيث هو ما يهدف إليه أعداء الإسلام « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » .

ستقرأ فى ترتيبهم للمقترح الآيتين ليس بينها أدنى صلة وسيحال بين النظير والنظير ويقضى على ما فى القرآن من بدائع التراكيب وأسرارها ولطائفها مما له عظيم الأثر فى فهم معانى القرآن والاستنباط منه.

وعسى أن تقرأ فى ترتيبهم المحدث ما يأتى :

« لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون » « ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين » « قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض » ، « ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك » « ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات » « والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس » « إن شجرة الزقوم طعام الأثيم » « متاعا لكم ولأنعامكم » وهكذا.

ومعلوم أن القرآن أنزل منجما فلو فرضنا أن كل نجم منه خمس آيات مثلا فرتب القرآن بحسب النزول مطالب بسبع وأربعين ومائتين وألف حديث صحيح متواتر أى ليس فيها حديث غريب ولا عزيز ولا مشهور ليعطى كل نجم من نجوم القرآن حديثا واحدا على الأقل يثبت أنه أنزل يوم كذا من شهر كذا فى سنة كذا من تاريخ النبوة أو بعد الهجرة حتى يكون هذا الترتيب المقترح قائما على أساس علمى منضبط فلسنا فى فضائل الأعمال

حتى تقبل الحديث الضعيف ولسنا أمام الفروع الفقهية والأحكام العملية حتى تقبل حديث الآحاد وإنما نحن فى باب العقائد ولا يقبل فى شيء منها إلا الحديث المتواتر وبعبارة أوضح القائم بهذا الترتيب مطالب بتحديد نجوم القرآن أولا من غير زيادة ولا نقصان تحديداً قائما على الأدلة المتواترة فيقول أجزم بأن نجوم القرآن عددها كذا ، ثانيا : يثبت بأن كل نجم منها ، أنزل يوم كذا ، فى شهر كذا ، فى سنة كذا ، فيعطينا تاريخ كل نجم على انفراد ويقدم البرهان المتواتر على صحة ما يقول ومن أين لهم هذا العدد من الأحاديث المتواترة ؟ إننا على يقين تام بأن هذا الأمر مستحيل لا طاقة لأحد به على أن القرآن قد تنزل منه آية وحدها وقد ينزل فيه بعض آية فقط مثل « من الفجر » فى آية الصوم من سورة البقرة ومثل « غير أولى الضرر » فى آية الجهاد من سورة النساء .

وقد وضع هذا البعض فى مكانه من آياته بأمر من الله تعالى بواسطة الوحى وتواترت قراءته وثبتت فى العرضات على جبريل عليه السلام ومن الجائز أن يكون إنزال كلمة « من الفجر » مسبوقا بإنزال قرآن بينها وبين ما قبلها من آية الصوم ويكون هذا المتوسط بعيد المناسبة غير مرتبط بما قبله ولا بما بعده وقد تكون المناسبة معدومة لا وجود لها وكذلك القول فى لفظ « غير أولى الضرر » فيصير الكلام مثلا « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود » « بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما » « من الفجر » « ثم أتموا الصيام إلى الليل » ويقال فى الآية الأخرى ، « لا يستوى القاعدون من المؤمنين » « إن شانئك هو الأبتر » « غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » وهذا الاحتمال ممكن ولا شك . وإذا فترتيب القرآن بحسب النزول ينتهى بنا إلى جعله كلاما ساقطا لا وزن له عند أحد ممن له أدنى معرفة بالبلاغة وإذا فما يريدونه من الترتيب بحسب النزول عبث بل مستحيل لا سبيل إليه بحال مهما ادعوا التدقيق والتحرى البالغ .

وترتيبهم هذا شهادة منهم بأن آية كذا أنزلت على رسول الله عليه الصلاة والسلام بعد آية كذا من غير حجة تشهد لهم « وحسبوا ألا تكون فتنة » وهل يريدون بصنيعهم هذا تحقيق رغبة «دغلاوستون» الإنجليزى وأمثاله فقد قال

ما نصه « لا يمكن أن تسيطر على المسلمين إلى الأبد ما لم تقض على هذا القرآن الذى يجمع شملهم ويجعلهم أمة واحدة لا تقهر ».

إن هذا الترتيب الجديد الذى ينشدونه وينادون به مصدر شر كثير لما فيه من المفاسد التى قدمناها ونجملها ونزيد عليها فيما يأتى :

أولا : مخالفة الإجماع من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه ومن بعدهم إلى يومنا هذا قال تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

ثانيا : صرف الناس عن حفظ القرآن وجمعه فى الصدور حتى تنقطع الصلة بينهم وبينه شيئا فشيئا ، وبذلك يقضى عليه وتذهب خاصيته التى تميز بها عن غيره من الكتب السماوية قال تعالى : « بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم » وماذا بعد ذلك من الفساد والخطب الجسيم ؟ سيكون بعد هذا الاستغناء عنه بالترتيب الجديد الذى يقبل عليه الناس ويتعصبون له ويتمسكون به ظانين أنه كل شىء وما هو بشىء ، وكيف يعدل عن الترتيب الأول والقرآن فى علم الله تعالى بهذا الترتيب نفسه وقرأه الرسول عليه الصلاة والسلام مرتبا كما تقرأه الآن من غير فرق وكان يقول لهم ضعوا آية كذا فى موضع كذا كما فى صحيح البخارى ، وكان يقول لأصحابه : ضعوا آية كذا على رأس عشر آيات من سورة كذا ، وفى صحيح البخارى عن البراء ابن عازب رضى الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ فى الصبح بستين إلى مائة آية وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يقرأ فى صبح الجمعة بآلم « السجدة » فى الركعة الأولى وفى الثانية بسورة « هل أتى على الإنسان » وكان يقرأ فى صلاة الجمعة بسورتها « يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض » فى الركعة الأولى ، ويقرأ فى الثانية بسورة « المنافقون » وكان يخطب فى الجمعة بسورة « ق » وكل ذلك وما ماثله بالترتيب الذى بأيدينا اليوم .

وبه اقتدى أصحابه فى قراءته مرتبا حتى توفى ، كما اقتدوا به فى طول القراءة فى صلاة الصبح وفى كل صلاة بالقدر الذى كان يقرؤه فيها ، واستمروا على ذلك بعد وفاته

فقد كان عمر وهشام بن حكيم وغيرهما يقرءون بسورة يوسف (١١١) آية ، أو النحل (١٢٨) آية ، أو الفرقان (٧٧) آية أو نظائرها بهذا الترتيب الذى بأيدينا رضى الله تعالى عنهم جميعا ، وتوفى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والألوف من أصحابه يحفظون الكثير من القرآن بهذا الترتيب نفسه لا بترتيب النزول مع علمهم به ووقوعه بمشهد منهم ، ومعرفتهم بأسباب النزول ، ويكثر فيهم من لو سألته عن آية لأخبرك أين نزلت وفيم أنزلت وما تقدم إنزاله وما تأخر ، ألم يكتبوه عنه بخطهم ؟ ويصغون إليه فى خطبه ، وينصتون إليه فى صلاته وشئونه ؟ ، ثم ألم يسمعه أصحابه بعضهم من بعض فى مدارستهم وتعبدهم وصلاتهم بالنهار ، وتهجدهم بالليل بهذا الترتيب الذى نقرأ به اليوم ؟ ، اللهم نعم فنترك هــذا الترتيب واستبداله بترتيب يعتمد على ما فى كتب الحديث والسيرة وأسباب النزول والتفسير ، وما أكثر اختلافها ، بل وفى بعضها ما هو موضوع ومكذوب قطعا أسرله خطره وإثمه العظيم .

سلمنا جدلا أن هذه الكتب لا اختلاف فى أخبارها ، وليس فيها حديث موضوع وأنها كغيرها من المراجع الصحيحة الموثوق بها ، وأنها خالية من الإسرائيليات وما أشبهها ... فهل كل آية لها سبب نزول حتما ... اللهم لا ...

فكيف نترك الترتيب المتواتر المجمع عليه والذى يفيد اليقين والذى له صفة العموم والشمول فى القرآن كله ونحل محله ترتيبا أساسه النقل المجــرد الخالى من الاستيفاء والاستقصاء فى كل نجم من نجوم القرآن .

ثم أليس الخلاف الموجود فى تلك الكتب التى يرجع إليها لإيجاد ترتيب جديد ينتهى بنا إلى وجود أكثر من ترتيب واحد فى عدد من الأقطار الإسلامية ، فهذا يختار أن آية كذا نزلت بعد آية كذا فى السنة السابعة من الهجرة مثلا على ما اطمأن إليه ورجحه فى كتاب كذا ، وهذا يختار أن تلك الآية نفسها أنزلت بعد آية كذا فى السنة الثامنة من الهجرة على ما حققه فى كتاب آخر ورجع إليه ، وهنا يوجد التناقض وترتفع الثقة عن كل ترتيب محدث وتتاح

الفرصة لطعن المبشرين وأعداء الإسلام واتهام الأمة كلها بأنها على جهل بكتابها العزيز « الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » .

وماذا يصنعون فى اختلاف العلماء فى أول ما نزل من القرآن وفى آخر ما نزل وأمثال ذلك : هذا يقول : أول ما نزل : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » وآخر يقول أول ما نزل : « يأيها المدثر » وهذا يقول : آخر ما نزل « اليوم أكملت لكم دينكم » وآخر يقول : آخر ما نزل : « واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله » وثالث يقول : آخر ما نزل : « إذا جاء نصر الله والفتح » إلى آخر ما هنالك من الأقوال التى تطفح بها الكتب التى بين أيدينا ، ويعانى منها المحققون ما يعانون .

ومن الذى يعطيهم هذا الحق فى التصرف فى ترتيب القرآن الحكيم ، من أين لهم ذلك وهو عمل فردى لا يصح أن يقوم به ويتحكم فيه واحد أو حفنة من الناس يريدون أن يفرضوه على الأمة كلها فى حاضرها ومستقبل أيامها ليصرفوا ألوف الملايين إلى قيام الساعة عن ترتيب القرآن الذى هو النص الكامل لدين الله تعالى ، والوثيقة الإلهية الخالدة لوحيه المنزل وأنى لهم ذلك ؟! .

« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » ؟

محمد الساعى محمد عامر

الشاعر إبراهيم نجا

تنعى مجلة الأزهر شاعرا من شعراء العروبة طالما استمتع القراء بشعره على صفحات المجلة .

توفى رحمه الله ، وهو أكمل ما يكون حيوية ونشاطا وجهاداً فى خدمة العلم والأدب . رحمه الله وأكرم مثواه ؟

الجامع الكبير

تصدير

لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود

تقوم الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بتحقيق كتاب « الجامع الكبير » للإمام السيوطي تمهيدا لنشره ويسر المجلة أن تنشر هنا التصدير الذي كتبه فضيلة الدكتور : عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

الجامع الكبير للإمام السيوطي من الأعمال العلمية الشامخة ، إنه من هذه الذرى والقمم التي يندر أن توجد :

لقد حاول الإمام السيوطي أن يجمع جميع أحاديث الرسول ﷺ مرتبة :

أولا : بحسب الحروف الأبجدية ، ويكفي أن تعرف أول كلمة في الحديث الشريف ليسهل عليك الكشف عليه .

وحينما ييسر لك الكشف على الحديث تتاح لك الفرصة لمعرفة ألفاظه في يقين ،

وتتاح لك الفرصة لمعرفة الكتاب الذي رواه .

وتتاح لك الفرصة لمعرفة درجته من الصحة أو الحسن أو الضعف .

وكل ذلك يتيحه هذا الكتاب الجليل في قسمه الذي رتبه بحسب الحروف الأبجدية

وهذا القسم وحده الذي ضم عشرات الآلاف من أحاديث رسول الله ﷺ يكاد يتضمن جميع أحاديث رسول الله ﷺ .

ومع ذلك فإن الإمام السيوطي رضي الله عنه وجزاه الله خير الجزاء على ما قدم من خير قد جعل القسم الثاني من الكتاب في الأحاديث الشريفة بحسب المسانيد في متناول الباحثين .

وبذلك أصبحت الأحاديث الشريفة في متناول الباحثين مرتبة أبجديا ، ومرتبة مسانيد .

* * *

والإمام السيوطي بهذا العمل الجليل قد أدى خدمة لجميع الباحثين من جميع الألوان والمستويات لا يقدرها قدرها إلا من يعرف المعنى الصادق لهذا العمل الجليل

من حيث تيسير البحث على هؤلاء الذين يسهرون أحيانا ليالى ذوات العدد فى البحث عن حديث واحد فلا يهتدون اليه.

وعلى هؤلاء الذين شكوا فى حديث فلم يعرفوا درجته وبحثوا عن درجته فلم يهتدوا اليها.

وعلى هؤلاء الذين اعجبوا بحديث ثم نسوا بعض ألفاظه ولكنهم يتذكرون الكلمة الأولى منه ويريدون أن يجددوا عهدهم به، وعلى ...

* * *

والإمام السيوطى لم يلتزم، ولم يعلن، ولم يقل، ولم يشر فى هذا الكتاب السامى إلى أنه التزم الصحة أو التزم الحسن، وإنما أعلن أن عمله الذى قام به إنما هو جمع السنة مرتبة أبجديا، ومرتبة مسانيد.

وهو من أجل ذلك قد برىء من كل نقد، وسلم من كل عتب، ويبقى له بعد ذلك الشكر الخالص والثناء الحميد والدعاء أن يجعل الله قبره روضة من رياض الجنة إلى أن يلقى ربه سبحانه فيسعد برضوانه.

وخدمة السنة كما تكون بالتزام الصحة كما فى كتب الصحاح تكون أيضا بمحاولة حصرها وجمعها على اختلاف مستوى الأسانيد.

وكما أن ملتزم الصحة مشكور مأجور مثاب على عمله، فإن ملتزم الحصر والإحاطة مشكور مأجور مثاب على عمله.

* * *

وهذا العمل الذى قام به الإمام السيوطى كنا مضطرين إلى القيام به نحن — بجمع البحوث — وذلك أن المؤتمر الثالث للمجمع أوصى بعمل موسوعة حديثية، وما كان يتأتى لنا أن نبدأ فى عمل الموسوعة إلا إذا بدأنا بجمع الحديث الشريف وترتيبه أبجديا، وكنا سنمكث فى هذا العمل سنوات مع تكاتف الأيدى والعقول وعكوفها على الجمع والترتيب، ومن الجائز جدا أنه لو كان الأمر سار على هذا النسق فربما كانت درجة الإتقان فيه أقل من درجة الإتقان فى الجامع الكبير.

ومن أجل ذلك نعود فندعوا للإمام السيوطى أن ينور الله ضريحه وأن يغمره برحمته فقد هيأ لنا بعمله هذا ثمرة ما كنا نحلم بها فى تيسير عمل للموسوعة الحديثية.

* * *

ولا يفوتنى أن أقول: إن هذا الذى

قدمته كان كله ، إجابة غير مباشرة على اتجاه يرى أنه كان لابد من الاختيار في الأحاديث وهذا اتجاه يرى أصحابه مخلصين، أنه الأجدى والأنفع والأمثل ونريد أن نجابه هذا الاتجاه في صراحة وفي وضوح فنقول :

١ — إننا لو حاولنا الاختيار لما تيسر عمل للموسوعة ، وليس من شروط الموسوعة أن تكون خالية من الضعيف ، بل الأمر بالعكس فإن من شرط الموسوعة أن تكون شاملة للصحيح والحسن والضعيف ما دامت موسوعة .

٢ — ولو التزمنا الاختيار لما تيسر لنا إتمام شيء ، وذلك أن العقول والطبائع والفطر متفاوتة مختلفة فما يروق لفلان لا يروق للآخر . ولو ألفنا لجنة للاختيار، وقامت بالاختيار بالفعل ، ثم عرضنا عملها على لجنة أخرى لنقصت منه وزادت عليه، ولو عرضنا الأمر على لجنة ثالثة لأنقصت من العمل الجديد وزادت عليه وهكذا .

٣ — وأصحاب هذا الاتجاه لا يكتفون بصحة الإسناد وإنما يريدون أن يحتكم إلى الصحة العقلية ، وحينما يحتكم إنسان إلى الصحة العقلية سيجد اضطرابا ويجد فوضى ؛ لأن ما يقره عقل هذا يرفضه عقل الآخر .

٤ — وأن من يطلب صحة الإسناد سيجدها مبينة في كتابنا هذا المبارك ، ومن يطلب الصحة العقلية لا عليه بأن يأخذ بما يراه من بين ثنايا هذا السفر المبارك إن كل إنسان يجد فيه طلبته .

إن الجامع الصغير الآن ـ في مكتبة كل باحث ـ مرجع لا غنى عنه . يعرف ذلك كل من له صلة بعلم الحديث ، وكل من يعالج مسائل الحديث في حياته :

ولكنه مرجع يثير في نفوس الباحثين التمني : أن لو كان أوسع وأعم وأشمل ، أي أنه يثير في نفوس الباحثين التمني والأمل في وجود المرجع الوافي في هذا الباب .

والمرجع الكافي هو الجامع الكبير : أمل كل باحث ، وطلبة كل مستبصر .

وما من شك في أن كثيراً من الناس لا يتسم بصفة الباحث الأصيل ولا يفهم المعنى الصحيح لكيفية البحث أو تيسير البحث ، أو شروط المراجع ، فينتقد عمل الإمام السيوطي في كتاب الجامع الكبير، أو كتاب الجامع الصغير :

لأنه لم يلتزم الصحة في ما روى من أحاديث

وهذا النقد ليس له دلالة إلا ضيق الأفق عند الناقد . فإن الإمام السيوطي أراد سجلا يجمع ما نشر بالفعل، لقد أراد سجلا يجمع شتات الموجود حتى ييسر للباحثين النقد والتمحيص والتحقق والتحقيق والبحث ، إنه لم يخترع شيئا لم يكن موجودا ، وإنما جمع الموجود ، وبين في الأغلب الأعم درجته ، وبين في كل الأحوال مصدره .

ولقد عانت الأمة قديما ، وإنها لتعانى حديثا من ضيق الأفق ، ومن سطحية التفكير التي يعلنها بعض الناس على أنها غيرة على الدين ، ويتحمسون لها ، على أنها تحمس لدين الله وهى لا تعدو أن تكون سطحية ساذجة ، وضيق أفق لم يعرفه أسلافنا رضوان الله عليهم .

لقد اعتمد أسلافنا منهج الرواية أولا ثم بينوا عن طريق هذا المنهج نفسه الصحيح ، والحسن، والضعيف، والموضوع وكتبوا في كل ذلك ، ولقد ساهم الإمام السيوطي رضى الله عنه ، بقسط وافر في هذا المجال وكتابه (اللآلىء المصنوعة) أشهر من أن نتحدث عنه ولم يكتف أسلافنا ببيان للموضوع والضعيف والحسن والصحيح ، وإنما اتخذوا قواعد عامة منها مثلا أن القرآن الكريم ، وعمل الرسول ﷺ ، وعمل الصحابة ، كل ذلك مهيمن كمقياس للصحة والبطلان .

وقواعد الدين العامة، وأصولها الصحيحة ومبادئه ، بل وفروعه .. إن كل ذلك واضح لدى المسلمين منذ :

« اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً »

اعتمد أسلافنا منهج الرواية، والتزموه ونقدوا المنتقد منه ، وأثبتوا ما ثبت ، وزيفوا ما زاف . وسجلوا كل ذلك : فحققوا بهذا ما هو جدير بهم من سعة الأفق ، ومن هذه النهضة العلمية الأصيلة، وأبانوا أنهم أفهم الناس للروح العلمية الأصيلة وآفاق البحث في أدق صوره .

فجزاهم الله عن العلم وأهله خيرا .

« والجامع الكبير» من قبل كل ذلك ومن بعده عمل علمى أكاديمى من الطراز الأول وهو في ما نحن بصدده أساس كان لا بد منه وما كان يتأتى أن تكون موسوعة السنة دون هذا الأساس .

ورحم الله الإمام السيوطى رحمة واسعة وأحاطه برضوانه ؟ .

د. عبد الحليم محمود

مايقال عن الإسلام

تغيير ترتيب المصحف

للدكتور احمد فؤاد الإهوانى

منذ أن أمر الخليفة (عثمان بن عفان) بنسخ أربعة مصاحف توزع على الأمصار، وتكون مرجعاً للمسلمين وضابطاً لقراءتهم منعاً للخلاف، ولا يزال القرآن متلواً بهذا النسق، مكتوباً في المصاحف بهذا الترتيب، لم يطبع مصحف يخالف ذلك الترتيب، ولا يخالف «الرسم العثمانى».

ويرى كاتب هذا المقال، أن ترتيب الآيات داخل السور توقيفى، وكذلك ترتيب السور الذى يبدأ بالبقرة ثم آل عمران، ولو أن المسألة الثانية موضع اختلاف بين فقهاء المسلمين. وليس هذا المجال مخصصاً لتأييد وجهة النظر التى نذهب إليها.

ولكن بعض المستشرقين يحلو لهم، ولعلهم يعمدون عمداً إلى تحريف القرآن، بترجمته أولا، وبتغيير ترتيب السور ثانياً. وتكاد تكون سائر الترجمات للقرآن الكريم متبعة ترتيب مصحف عثمان وهو المتداول بين أيدينا فى الوقت الحاضر، اللهم إلا ترجمة إنجليزية وقعت تحت يدى، وهى ترجمة «رودويل Rodwell»، باللغة الإنجليزية.

صدرت الطبعة الأولى سنة ١٨٦١، والثانية ١٨٧٦، وفى طبعة شعبية بمجموعة «إفريمان» سنة ١٩٠٩، وأعيد طبعها، والنسخة التى أرجع إليها طبعت سنة ١٩٥٣، ومعها مقدمة بقلم للمستشرق المعروف (مرجليوث).

ونود أولا أن نضع جدولا يبين الترتيب التاريخى الذى رأى المترجم وضعه، ومايقابله فى المصحف العثمانى المأثور، ثم تناقش المسألة بعد ذلك.

الترتيب التاريخى	الترتيب المثانى	اسم السورة	الترتيب التاريخى	الترتيب المثانى	اسم السورة	الترتيب التاريخى	الترتيب الثانى	اسم السورة
١	٩٦	العلق	٢٠	١٠٦	قريش	٣٩	٨٩	الفجر
٢	٧٤	المدثر	٢١	٩٧	القدر	٤٠	٧٥	القيامة
٣	٧٣	المزمل	٢٢	٨٦	الطارق	٤١	٨٣	المطففين
٤	٩٣	والضحى	٢٣	٩١	الشمس	٤٢	٦٩	الحاقة
٥	٩٤	الشرح	٢٤	٨٠	عبس	٤٣	٥١	الذاريات
٦	١١٣	الفلق	٢٥	٨٧	الأعلى	٤٤	٥٢	الطور
٧	١١٤	الناس	٢٦	٩٥	التين	٤٥	٥٦	الواقعة
٨	١	الفاتحة	٢٧	١٠٣	العصر	٤٦	٥٣	النجم
٩	١٠٩	الكافرون	٢٨	٨٥	البروج	٤٧	٧٠	المعارج
١٠	١١٢	الإخلاص	٢٩	١٠١	القارعة	٤٨	٥٥	الرحمن
١١	١١١	المسد	٣٠	٩٩	الزلزلة	٤٩	٥٤	القمر
١٢	١٠٨	الكوثر	٣١	٨٢	الانفطار	٥٠	٣٧	الصافات
١٣	١٠٤	الهمزة	٣٢	٨١	التكوير	٥١	٧١	نوح
١٤	١٠٧	الماعون	٣٣	٨٤	الانشقاق	٥٢	٧٦	الإنسان
١٥	١٠٢	التكاثر	٣٤	١٠٠	العاديات	٥٣	٤٤	الدخان
١٦	٩٢	الليل	٣٥	٧٩	النازعات	٥٤	٥٠	ق
١٧	٦٨	القلم	٣٦	٧٧	المرسلات	٥٥	٢٠	طه
١٨	٩٠	البلد	٣٧	٧٨	النبأ	٥٦	٢٦	الشعراء
١٩	١٠٥	الفيل	٣٨	٨٨	الغاشية	٥٧	١٥	الحجر

الترتيب التاريخي	الترتيب العثماني	اسم السورة	الترتيب التاريخي	الترتيب العثماني	اسم السورة	الترتيب التاريخي	الترتيب العثماني	اسم السورة
٥٨	١٩	مريم	٧٧	١٢	يوسف	٩٦	٤٧	محمد
٥٩	٣٨	ص	٧٨	٤٠	غافر	٩٧	٣	آل عمران
٦٠	٣٦	يس	٧٩	٢٨	القصص	٩٨	٦١	الصف
٦١	٤٣	الزخرف	٨٠	٣٩	الزمر	٩٩	٥٧	الحديد
٦٢	٧٢	الجن	٨١	٢٩	العنكبوت	١٠٠	٤	النساء
٦٣	٦٧	الملك	٨٢	٣١	لقمان	١٠١	٦٥	الطلاق
٦٤	٢٣	النور	٨٣	٤٢	اشورى	١٠٢	٥٩	الحشر
٦٥	٢١	الأنبياء	٨٤	١٠	يونس	١٠٣	٣٣	الأحزاب
٦٦	٢٥	الفرقان	٨٥	٣٤	سبأ	١٠٤	٦٣	المنافقون
٦٧	١٧	الإسراء	٨٦	٣٥	فاطر	١٠٥	٢٤	النور
٦٨	٢٧	النمل	٨٧	٧	الأعراف	١٠٦	٥٨	المجادلة
٦٩	١٨	الكهف	٨٨	٤٦	الأحقاف	١٠٧	٢٢	الحج
٧٠	٣٢	السجدة	٨٩	٦	الأنعام	١٠٨	٤٨	الفتح
٧١	٤١	فصلت	٩٠	١٣	الرعد	١٠٩	٦٦	التحريم
٧٢	٤٥	الجاثية	٩١	٢	البقرة	١١٠	٦٠	الممتحنة
٧٣	١٦	النحل	٩٢	٩٨	البينة	١١١	١١٠	النصر
٧٤	٣٠	الروم	٩٣	٦٤	التغابن	١١٢	٤٩	الحجرات
٧٥	١١	هود	٩٤	٦٢	الجمعة	١١٣	٩	التوبة
٧٦	١٤	إبراهيم	٩٥	٨	الأنفال	١١٤	٥	المائدة[1]

(١) هذا الترتيب مأخوذ من المصحف المطبوع بالمطبعة الأميرية سنة ١٣٧١ هجرية

قدم المستشرق مرجليوث بمقدمة جاء فيها أن القرآن يشغل منزلة هامة بين الكتب الدينية العالمية . وهذا أمر مسلم به . ولاشك أن القرآن قد تجاوز حدود الجزيرة العربية وأثر فى عدد كبير من سكان هذا العالم ، على مر التاريخ ، حتى الوقت الحاضر . ولم يكن القرآن فى حياة محمد « كتابا » ، بل صحفاً كتبت على الحجارة وسعف النخيل وحفظت فى الصدور ، ولم ينشر كتابا إلا بعد موت الرسول . والحديث عن القرآن يلزم عنه الحديث عن محمد . وهو فى نظر المسلمين النبى والرسول ، والقرآن فى نظر المسلمين كلام الله . وقد تأرجح كتاب الغرب حول شخصية محمد من النقيض إلى النقيض ، بين مغال فى عدم تصديقه وبين مؤمن مصدق بدعواه ، ولكن النظرة الصحيحة تقع فى أكبر الظن بين هذين الطرفين المتطرفين[1] . وثمة معياران نقيس بهما قيمة أى نظام دينى ، الأول مقدار ما تحتوى عليه من حق التعاليم الأخلاقية التى يأمر باتباعها . والثانى مقدار ما فى هذا الدين من أصالة لا مقدار ما استعاره هذا الدين من الأديان السابقة .

وبالنسبة للمعيار الأول فإن هناك رأيا يسود مؤرخى الأديان بأن محمدا قد يعتبر نبياً أخبر بحقائق معينة ، ولكن دون الإخبار بالحقائق على وجه الإطلاق ، هذا إلى أن الأخلاق الإسلامية لا تضاهى أخلاق الغرب وما فيها من موازين معترف بها ، ولكن يمكن قياسها بالإضافة إلى الأخلاق العربية فى الجاهلية ، فلا شك أنها أرقى .

أما بالنسبة للمعيار الثانى فليس شىء مما هو فى القرآن مستمد من التوراة أو الإنجيل (كذا) بل من الأساطير والخرافات التى كانت ذائعة فى الجزيرة العربية : « إن ما هو موجود فى القرآن مستعار فى الأغلب الأعم من تلك الأساطير ، أما صياغته فترجع إلى محمد نفسه » (ص ٨ من المقدمة) .

هذا إلى أن أسلوب القرآن يختلف عن الأساليب المعروفة لدى الغربيين وفى السور الأولى كان المرء يسمع صوتاً قريباً من أنبياء إسرائيل ، ولكن معظم هذا الأسلوب الأدبى لا يقره الغربيون ، لما فيه من تكرار وغير ذلك ، مما أوضحه الكاتب كارليل ، ومع ذلك فإن المسلمين أنفسهم يعتبرون القرآن أرقى الأساليب

[1] نحن بصدد تلخيص هذه المقدمة ، ونرجىء الرد على ما جاء فيها إلى آخر المقال .

وأروع كتاب ظهر فى العربية ، كما يتفق مزاجهم الشرق مع هذا الأسلوب ، ويعد القرآن فى نظر المسلمين من حيث بلاغته ، معجزة الإسلام .

ولتقدير القرآن حق قدره يجب ترجمته، وهذا ما فعله «رودويل» فى هذه الترجمة التى يزعم مرجليوث أنها قيمة ، من جهة أسلوبها الذى يحافظ بقدر الطاقة على الجو الشرقى ، ومن جهة ترتيب السور ترتيباً تاريخياً .

***

ونقول فى التعقيب على الآراء التى لخصت بأمانة فى هذا الحيز الضيق ، إن هجوم مرجليوث على الإسلام وتعصبه ضد المسلمين معروف ، وسبق لكثير من كتاب المسلمين أن تولوا الرد عليه ، وقد تغيرت آراء المستشرقين فى الوقت الحاضر . ويمكن إجمال آراء مرجليوث بحيث تدور حول محورين أساسيين ، الأول أن محمداً لم يكن نبياً ولا رسولا من عند الله ، والثانى يترتب على هذه المقدمة وهى أن القرآن من عمله وصياغته، وليس كلام الله . وكلا المقدمتين باطلة ، ولا نود الوقوف عندها .

وإنما نود أن نقف عند هذه الترجمة، أهى أمينة بحيث تنقل النص العربى ؟ وهل يحق لأى مترجم أن يغير ترتيب السور فى المصحف ، ويضعها بحسب اجتهاده ؟

والجواب عن هذين السؤالين بالنفى . ورأى كاتب هذا المقال معروف وهو أن القرآن لا يمكن ترجمته ولا ينبغى ، لأنه أنزل بلسان عربى ، ومهما ترتفع شأن الترجمة فسيفقد القرآن طلاوته ، وسحره ، وتأثيره ، وقداسته .

أما بالنسبة للسؤال الثانى ، فلنا عليه رد طويل نرجئه فيما بعد ؟

أحمد فؤاد الأهوانى

من مدرسة النبي :

سعد بن معاذ

للأستاذ : صلاح عزام

فى مدرسة الرسول العظيم .. تخرج أعلام .. وقادة تهتز لذكرهم الدنيا .. حتى تقوم الساعة ـ لا لشيء إلا لأنهم كانوا صادقين مع أنفسهم .. ومخلصين فى اتباع تعاليم نبيهم ، وحفاظاً حافظين لكل ما يقوله ، وكل ما يأمر به عليه الصلاة والسلام .

ومن أجل ذلك .. صنع لنا الرسول العظيم .. الرجال .. الواحد منهم .. نجما يهتدى .. وقدوة محمدية تحتذى .

وما أحوجنا فى هذه الأيام إلى معرفة هؤلاء الرجال .. رضى الله عنهم .. لنعمل مثلهم .. ولنكون أتباعا مخلصين لمدرسة سيد المرسلين ﷺ .

ولنتابع معاً .. المسير بعون الله .. ومع واحد منهم .. سعد بن معاذ :

(سعد بن معاذ)

كان سعد بن معاذ فى إسلامه مدرسة كاملة يتعلم منها كل أصحاب العقائد كيف تكون الرجولة ، وكيف يكون الإيمان وكيف ترسم البطولة المجاهدة الصادقة بصماتها على صفحات الوجود وتاريخ الدنيا .

وحتى فى دخوله الإسلام كان أسطورة يتحدث عنها كل سكان المدينة ومن يتصلون بهم ، فقد جاء مع مسلمى بيعة العقبة مصعب بن عمير واحد من أصحاب النبي ﷺ ليعلم المسلمين من أهل المدينة أمور دينهم ، وليكون داعية إسلام لسكان المدينة ، ومع الأيام أصبح حديث مجلس مصعب فوق كل أخبار المجتمع المدنى وثار الكثير من سكان المدينة على وجوده بينهم ، وأشعل نيران غضبهم

أحلافهم من اليهود ، وأجمعوا على ضرورة إبعاد مصعب إن لم يسهل قتله ، فالناس ينجذبون له ولحديثه ويسارعون فى الدخول إلى الإسلام الأمر الذى يهدد مجتمعهم .

وتطلعت الأنظار تبحث عن المنقذ من هذا الموقف المتأزم وتجمعت كلها حول سعد بن معاذ ابن الواحد والثلاثين عاما ، الذى انطلق إلى دار ابن خالته سعد بن زراره حيث مصعب بن عمير معلما ورسولا للنبى ، وتحدث مشادة عنيفة بين أسعد وسعد يفصل فيها مصعب باقتراح يعرضه على ابن معاذ بأن يستمع إليه فيما جاء به ويشاهدا إذا لم يكن فيما يقوله مصعب ما يرضى العقل والقلب فإنه سيرحل لا محالة وبشرط أن يفتح سعد قلبه وعقله ويحكم رجولته فيما يقال :

وجلس سعد . .

واستمع إلى كلام الله . .

وانتصرت رجولته . .

وإذا بقلبه كما يصف بعد ذلك يخف ويرف حتى ليحس بهيبة وجلال وخشوع ولاينتهى حديث مصعب إلا ويد سعد تمتد إليه يشهده بدخوله الإسلام .

ويعود سيد الأوس إلى قومه وقد تجمعوا انتظارا لعودته .. فإذا بهم يرونه بوجه غير الذى تركهم . . ويقبل عليهم متفحصا وجوههم جميعا ثم يلقى عليهم سؤلا :

ما تعدونى فيكم . ؟

فأجابوا جميعا :

سيدنا وابن سيدنا .

فقال سعد :

إنى استمعت إلى كلام مصعب فوجدته خيراً كله وصلاحا لأمرنا فأسلمت لله رب العالمين وشهدت بنبوة محمد بن عبد الله . و ... كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تسلموا . .

وبعدها لم يبق بيت من بيوت بنى عبد الأشهل إلا أجابه ودخل فى الإسلام . .

وبدأ سعد ينشر الإسلام ويساعد مصعب بن عمير . . ولم ينتظر ما قيل له من أن النبى سيأتى إليهم ذات يوم حين يأذن الله . . بل سارع فى الذهاب إلى مكة ليبايع النبى ويتعلم منه ويستمع إليه . . وبارك الرسول إسلامه . ودعا إليه .

وعاد سعد بن معاذ إلى المدينة منتظراً مقدم النبي .. وجاء الرسول مهاجراً ..

ووضع سعد وقومه أرواحهم وكل ما يملكون تحت تصرف النبي ومن هاجر معه من المسلمين .. من غير حدود .. ولا قيود .. وفى حب وإخلاص وإيمان .

وأصبح سعد بن معاذ واحداً من الملازمين للنبي .. وأشدهم إخلاصاً .. وأسرعهم لتنفيذ أوامره ..

حتى جاءت غزوة بدر .

وظهرت أصالة سعد واضحة مشرقة : فقد جمع النبي المسلمين كلهم من حوله وتوجه إلى الأنصار وسألهم :

أشيروا على أيها الناس .

فيسرع سعد بن معاذ واقفا فى رجولة قائلا :

والله لكأنك تريدنا يا رسول الله .

فقال النبي عليه السلام : أجل .

فأجاب سعد : (يارسول الله . لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا . فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك .. والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا .

إنا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء . ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله) .

ويقال إن سعداً قال للرسول ﷺ مرة أخرى :

يا رسول الله والذى أكرمك وأنزل عليك الكتاب لئن سرت حتى تأتى برك الغماد من ذى يمن لنسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، ولعل أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره فانظر الذى أحدث الله إليك فامض فصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت ، وعاد من شئت وسالم من شئت وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت

وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع لأمرك فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك) .

ونشب القتال . .

وكان سعد إلى جوار النبي يذود عنه ، ويفديه بعمره . . وعينه لا تغيب عنه . . حتى نصر الله المسلمين .

وجاءت بعد ذلك المواقع تترى . . ولسعد فيها دور رائع . فني أحد ويوم كان كثير من السابقين الأولين يسير في موكب التراجع . . لم تتزحزح قدما سعد من جوار النبي . . كان يربط مصيره بمصير النبي . . وكان يرفض أن يتحرك إلا عاد النبي دار هجرته سليما معافى أو يموت دون ذلك .

وجاءت غزوة الخندق .

وكان حصار المشركين عنيفا وقاسيا ، حتى أشفق النبي على المسلمين والأنصار منهم بنوع خاص ، وفكر في أن يعطى نوعا من الأمان للأوس والخزرج بالتفاوض مع قائدى غطفان في أن يرجعا بمن معهما ولهما ثلث ثمار المدينة ، ولكن قبل الانتهاء إلى رأى حاسم ونهائى . استدعى النبي بعض صحابته وفيها زعيما الأوس والخزرج ، وحرص على أن يسمع رأيهما أولا وقبل كل الصحابة ، وإذا بهما يسألون النبي سؤالا واحدا :

يا رسول الله أهذا رأى تختاره أم وحى أمرك الله به .

فيقول الرسول : (بل أمر أختاره لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وطالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما) .

وهنا ينتفض سعد إيمانا ورجولة ويقول :

يا رسول الله ،قد كنا نحن وهؤلاء على الشرك وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا من مدينتنا ثمرة إلا قرى — ضيافة أو بيعا أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له ، وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا .

والله ما لنا بهذا من حاجة . والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . »

لئن سرت حتى تأتى برك الغماد من

ذى يمين لنتيرن معك ولا نكونن كالذين قالوا لموسى .

وتأهب الجميع للحرب .

وكان سعد بن معاذ فى الصفوف الأولى المراقبة والمتأهبة للجهاد .. والقتال .. ويمر على جموع المسلمين مشجعا وداعيا .

وفى إحدى هذه الجولات . وكانت عيون المشركين على سعد تريد أن تقتله لتزيح من طريقها قوة وحدها ورجولة لم يشهدها مثيل .. وتمكن منه المشركون خلسة ومن وراء الآكام فأطلقوا عليه سهما أصاب الوريد من زراعه .. فسارع إليه كثير من المسلمين يسعفونه ويحملونه إلى المسجد حتى يكون قرب رسول الله يراه ويطمئن عليه ويشرف على تمريضه

وفى المسجد .. يرفع سعد عينه إلى السماء بدعاء صادق .

اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها ، فأنه لا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه . وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعل ما أصابنى اليوم طريقا للشهادة .. ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة .

وأستجاب الله دعاء سعد .

فقد أبقاه .. ولكن شهرا واحدا ..

حتى يرى نصر الله بعد أن رحلت الأحزاب فرارا .. وحتى يحكم فى بنى قريظة الذين أمر الله نبيه بحصارهم وقتالهم بعد أن فك الحصر عن المدينة وهزم الله الأحزاب . وأراد زعماء اليهود من بنى قريظة أن يفرقوا بين صفوف المسلمين فأرسلوا الأوس يذكرونهم بما كان بينهم من مواثيق وعهود ويبكون على غدرهم وعمالقتهم الأحزاب ويناشدون إصالة الأوس أن تقف إلى جانبهم .. ولكن ما كان هذا ليكون فإن الأوس بإسلامهم أصبحوا قوة مؤمنة . ترى بنور الله ولا يخدعها مكر اليهود . ولذا حكموا فى أمر الشفاعة سعدا زعيمهم بعد أن طلب ذلك رسول الله ﷺ وحمل سعد وهو على فراش المرض ليقضى فى الأمر فقال :

إنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء .

وهكذا استجاب الله دعاء سعد . وكرمه قبل أن يودع الحياة بثلاثة أيام إذ ينزل قرآنا يبارك حكم سعد فيقول تعالى ..

« وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا

(البقية على صفحة ٣٢٠)

من أضابير لجنة الفتوى

يقدمه : الأستاذ محمد أبو شادى

رأى الاسلام فى عملية نقل الدم

السؤال :

من السيد / مصطفى أبو شوشة (بتونس)

ما حكم نقل الدم للمسلم المريض المحتاج له من شخص غير مسلم ؟

الجواب :

إن الله تعالى قال فى كتابه الكريم : (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه) وقال تعالى فى آية أخرى : (فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم) وفى آية أخرى (وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه).

وهذه الآيات الكريمة تفيد أنه إذا توقف شفاء المريض أو الجريح وإنقاذ حياته على نقل الدم إليه من آخر بألا يوجد من المباح ما يقوم مقامه فى شفائه وإنقاذ حياته جاز نقل هذا الدم إليه بلا شبهة ولو من غير المسلم ، وكذلك إذا توقفت سلامة عضو وقيام هذا العضو بما خلقه الله له على ذلك جاز نقل الدم إليه ، أما إذا لم يتوقف أصل الشفاء على ذلك ولكن يتوقف عليه تعجيل الشفاء فنصوص الشافعية تفيد أنه يجوز نقل الدم لتعجيل الشفاء وهو وجه عند الحنفية ، فقد جاء فى الباب الثامن عشر من كتاب الكراهية من الفتاوى الهندية ما نصه (يجوز للعليل شرب الدم والبول وأكل الميتة : بالتداوى إذا أخبره طبيب مسلم أن شفاءه فيه ، ولم يجد من المباح ما يقوم مقامه ، وإن قال الطبيب يتعجل شفاؤك فيه وجهان .

وخلاصة هذا أنه إذا تحقق توقف حياة المريض أو الجريح على نقل الدم جاز بنص القرآن ، أما إذا توقف تعجيل الشفاء فحسب فيجوز على أحد الوجهين عند الحنفية ويجوز على مذهب الشافعية ، وهذا مقيد بلا شبهة بما إذا لم يترتب على ذلك ضرر فاحش بمن ينقل منه الدم .

ويبقى الكلام فيمن يعول ويعتمد على خبره من الأطباء ، أيجوز الاعتماد فى ذلك على طبيب غير مسلم أم لا يجوز .

فظاهر مذهب الحنفية والشافعية والحنابلة أنهم يقيدون الطبيب الذى يعول على خبره فى مثل ذلك بكونه مسلما ، والمالكية يرون الاعتماد على غير المسلم حينئذ إذا لم يوجد طبيب مسلم ، وبعض العلماء لا يرون وجوب كونه مسلما حتى فى حالة وجود الطبيب المسلم وهذا ما تختاره اللجنة وتفتى به لأن المدار على ما يوجب غلبة الظن وهذا يتوافر كثير فى غير المسلم بالتجربة كما يتوافر فى المسلم .

فقد جاء فى صفحة ٢٠٨ من الجزء الثالث من كتاب « بدائع الفوائد » لشيخ الإسلام ابن القيم الحنبلى ما نصه (فى استئجار النبى ﷺ عبدالله بن أريقط الديلى هاديا فى وقت الهجرة وهو كافر دليل على جواز الرجوع إلى الكافر فى الطب والكحل والأدوية والكتابة والحساب والعيوب ونحوها ، ما لم يكن ولاية تتضمن عدالة ، ولا يلزم من مجرد كونه كافرا لا يوثق به فى شىء أصلا فإنه لا شىء أخطر من الدلالة فى الطريق ولا سيما فى مثل طريق الهجرة) .

وقال ابن مفلح الحنبلى فى كتاب الآداب الشرعية صفحة ٤٦٢ من الجزء الثانى نقلا عن شيخ الإسلام ابن تيمية ما نصه : (إذا كان اليهودى أو النصرانى خبيراً بالطب ثقة عند الإنسان جاز له أن يستطب كما يجوز له أن يودعه المال وأن يعامله كما قال تعالى (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك) .

وفى الصحيح أن النبى ﷺ لما هاجر استأجر رجلا مشركا هاديا خريتا (ماهراً) وائتمنه على نفسه وماله ، وكانت خزاعة عيبة لرسول الله ﷺ مسلمهم وكافرهم (العيبة موضع السر) وقد روى أن النبى ﷺ أمر أن يستطب الحارث بن كلدة وكان كافراً ، وإذا أمكنه أن يستطب مسلما فهو كما لو أمكنه أن يودعه (يعامله فلا ينبغى أن يعدل عنه) وأما إذا احتاج إلى ائتمان الكتابى أو استطبابه فله ذلك ولم يكن من ولاية اليهود والنصارى المنهى عنها الخ .

وبهذا علم الجواب عن السؤال وهو جواز نقل الدم من مسلم أو غير مسلم على حسب ما فصلنا ؟

أنباء وآراء

● تعرض الأخوة الفدائيون فى الأرض المحتلة لأخطر معركة نفسية حتى اليوم ، فهم معروفون: « بالفرق الانتحارية » ومن هنا تلاعبت إسرائيل بهذا اللفظ ، لإيهام الفدائى بأنه يموت عاصيا أو كافرا ، لأنه يموت منتحراً .

وأحضرت رسل الفدائيين « استفتاء » بهذا الشأن حرصت (مجلة الأزهر) على صيغته وقدمته للجنة الفتوى التابعة لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف . وسيجد الإخوة الفدائيون الجواب فى هذا الباب.

وأرجو أن يكون الإخوة الفدائيون على ذكر من قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وأبسط ما نفهمه ، مما يجب علينا نحو العدو ، من هذه الآية الكريمة : أن تكون لنا قوة مقابلة لقوة العدو، فإذا أنشأ العدو قوة فدائية لضرب المسلمين يقوم الفرد فيها بعمل معين وهو على علم بأنه يموت فيه ، أفلا يجب علينا أن تكون لنا نفس الفرقة ؟ ! أو نتركهم يتفوقون . لقد أكدت لنا اللجنة الموقرة أن الفدائى إذا قام بعمل وهو معتقد أنه يموت فيه فعمله استشهاد فى سبيل الله طالما كان جهاده لاسترداد وطنه أن تكون كلمة الله هى العليا ، كما ردت اللجنة على ما يلوكه الناس بلا فهم للآية الكريمة : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » .

(ومجلة الأزهر) تود أن تشاركها أجهزة الإعلام المختلفة حتى يصل أمر هذه الفتوى إلى كل أخ فدائى باسل باع نفسه لله .

● يبحث مجلس (مجمع البحوث الإسلامية) الترتيبات اللازمة لإعداد المؤتمر الخامس للمجمع . سيناقش فى هذا المؤتمر البحوث الآتية :

الدين والشباب ، الدين والمعركة ، الأزهر وخدمته للإسلام ، الشباب المسلم اليوم ، الدين وحماية الشباب من الانحراف

الفكرى والسلوكى . الشك الدينى فى دور الشباب وعلاجه .

إعجاز القرآن ، القيم الإسلامية فى أدبنا الحديث .

● قدمت لجنة البيئات والحضارة الإسلامية (بمجمع البحوث الإسلامية) المواد العلمية التى قام بتحضيرها الباحثون الفنيون بالمجمع ، شملت هذه المواد

الموضوعات من : القرآن الكريم والسنة والفقه والتاريخ .

● نفدت الطبعة الأولى من السلسلة الإسلامية (لمجمع البحوث) . كانت كتابا عن « الرسول ﷺ » بقلم الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام للمجمع .

كتاب السلسلة القادم الذى يوزع فى الأسبوع الأول من ربيع الآخر هو : « العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم » للشيخ محمد أبو زهرة عضو المجمع .

● أحيت أسرة الأستاذ أحمد حسن الزيات الذكرى الأولى لوفاته ببلدته كفر دميرة القديم .

جاء فى سؤال الإخوة الفدائيين

ما موقف الإسلام من الأعمال الانتحارية التى يقوم بها الفدائيون ، مع الإحاطة بأن الفدائى قبل قيامه بها متأكد من أنه سيضحى بحياته فى مهمته ، فهل يعتبر شهيداً فى سبيل الله ؟ نرجو بيان حكم الشرع فى ذلك للرد على التساؤل الذى يتردد بين الفدائيين والوارد لمجلة الأزهر .

(الجواب)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فنفيد بأن للإجابة عن هذا السؤال لا بد من بيان الفرق بين المنتحر والفدائى لنعرف حقيقة كل منهما ، فلا يختلط أحدهما بالآخر ولا يشتبه به ، وحتى لا يجد أعداء الوطن منفذاً يصلون منه إلى تثبيط الفدائيين عما يقومون به من أعمالهم البطولية المجيدة ، وإلى الفت فى عضدهم .

فالمنتحر : هو الذى يزهق روحه بيديه تخلصا من حياته لأمر ألم به فيجزع له

قلبه ويهلع ، ويفارقه الصبر الذى أمر الله به في قوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » والذى بشر الله به عباده فى قوله تعالى : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » ولا شك فى أنه يكون آثما ولا جزاء له عند الله سوى غضبه وسخطه .

وأما الفدائى : فكما ينبيء عنه اسمه هو من يفدى دينه ووطنه بنفسه وماله ابتغاء مرضاة الله تعالى ، وطلبا للحصول على ما ضمنه له من فوزه بالجنة ونجاته من العذاب حيث يقول : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

ويقول تعالى : « يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

ولا يتوهمن أحد أن مثل هذا إلقاء بالنفس إلى التهلكة فإن الإلقاء بالنفس إلى التهلكة إنما هو بترك الجهاد والإنفاق فى سبيل الله يقول الله تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » إلى أن قال : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة »

جاء عن أبى عمران قال : كنا بالقسطنطينية فخرج صف عظيم من الروم ، فحمل رجل من المسلمين حتى دخل فيهم فقال الناس : ألقى بيديه إلى التهلكة ، فقام أبو أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ وقال : أيها الناس إنكم تؤولون الآية هذا التأويل وإنما نزلت فينا معشر الأنصار ، إنا لما أعز الله دينه وكثر ناصروه ، قال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله ﷺ : إن أموالنا قد ضاعت وإن الله تعالى قد أعز الإسلام وكثر ناصروه ، فلو أقمنا فى أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله

تعالى على نبيه ﷺ ما يرد علينا ما قلنا «وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» فكانت التهلكة الإقامة فى الأموال، وإصلاحها وترك الغزو والإنفاق فى سبيل الله.

على أن ما يقوم به الفدائيون الآن من من التنكيل بالأعداء وإلحاق الضرر بهم فى أنفسهم وأموالهم ومعداتهم الحربية، ليس إلا جزءا من الواجب المتعين على المسلمين والعرب جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها دفاعا عن الإسلام والمسلمين واستعادة لأرضهم وفيها مقدساتهم.

فمن يقوم بمثل هذه الأعمال البطولية التى يقوم بها الفدائى، ويقتل يكون شهيدا وله أجر الشهداء، الذين قال الله فيهم: «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

والله تعالى أعلم. (على الخطيب)

(بقية المنشور على صفحة ٢١٤)

وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شىء قديرا.

وآن للصحابى الجليل أن يستريح.

وسارع إليه النبى يودعه فى لحظاته الأخيرة.. وأشفق عليه.. وأحس الرسول الرحيم بما يعانى هذا المجاهد الصادق - بعد ست سنوات قضاها مع الإسلام أشرف وأكرم ما يكون صدقا ووفاء وإخلاصا وحبا لله ولرسوله.

وهاهو يودع الحياة ولم يعش فيها غير سبعة وثلاثين عاما هى عمره كله. فيأخذ برأسه ووضعها فى حجرة فدعا النبى ربه.

اللهم أن سعدا قد جاهد فى سبيلك، وصدق رسولك، وقضى الذى عليه، فتقبل روحه بخير ما تقبلت به روحا.

وتناهى إلى روح سعد المحتضرة دعوات النبى الكريم. ففتح عينه ليملأهما من رسول الله. وليكون هو آخر ما يراه فى حياته. وقال مع حشرجة الموت.

السلام عليك يارسول الله. أما إنى لأشهد إنك رسول الله: فربت عليه النبى قائلا:

هنيئا لك يا أباعمرو.

وانتهى آخر عهد سعد بالحياة.

ولحق بالرفيق الأعلى.

وتعانقت الدموع فى إيمان.

ليقول سيدنا رسول الله لمن حوله.

لقد اهتز عرش الرحمن لموت سعد ابن معاذ.

(صلاح عزام)

groups of "country-cousins". This weakness does not allow them to contribute their due share in matters of race-relationship.

The above few lines are not enough even as an introduction to the subject. There are so many aspects of this problem that to deal with them even briefly would need a series of articles. The cultural and social problems, some of which have been mentioned briefly above, are bound to reflect on the character-formation of our future generations in that country. Religion as such also poses certain questions as well as propositions. In this present age it is no longer possible, even in our own Islamic countries, for the various Schools of Thought (Mazahib) in Islam to remain exclusive. We find therefore in Great Britain Muslims belonging to various Schools of Thought much closer than in their respective countries. It is a very healthy sign and every effort should be made to make this embryonic pan-Islamism work. The Muslim theologians can help by not only giving their academic guidance to the Muslims in Great Britain but also by giving them down-to-earth practical guidance in their various problems. There are questions, not so much in the matter of religion, but in respect of the socio-religious credos which the Islamic society as a whole has evolved during the past fourteen centuries which are overdue now for re-interpretation and reapraisal. There is no scope for any alteration in the Islamic Law (Sharia), but certainly there is an urgent need for many modulations in our customary laws.

BRITISH MUSLIMS

It is surprising how little is known in the Islamic countries about the British Muslims. It is not possible to assess their number, but 10,000 would not be far from the mark. People in Great Britain are becoming more and more interested in the comparative study of religions and Islam is on the top of their list. The writer, for example, was invited by Christian organizations to about 100 lectures on Islam during the past two years prior to his departure for Egypt. Some of his lectures were tape-recorded for circulation.

The future of Islam and that of the Muslims in Great Britain depends on how our theologians in the East handle this opportunity presented to us for the first time in the history of Islam.

The " Corner Pub " in Great Britain is the hub of the British social life. It is true that an average Briti her knows his or her limits ; but the Islamic society very wisely, does not allow of any distinction between " social drinking " and alcoholism.

Exchange of courtesy-calls and the sharing of each others' victuals are the universally acknowledged media of social relationship. But Muslims in Britain, Justifiably, find themselves at a disadvantage even in this sphere. The indiscriminate use of pork and lard (fat of pigs) in the Christian homes makes it indibitive for them to mix freely at each others' tables.

The prcb ems facing a practicing Muslim in Great Britain in the matters of food, drinks and dress etc. are being solved one way or the other, as have the Jews in that country succeeded in solving them. But there are certain problems which are beyond the scope of a single ind vidual or family. For example, although there are numerous virtues in the British character, there are never heless certain influences of that society from which Muslim parents would like to keep their children free, if possible.

Even the British society today is feeling very strongly the pinch of its laisser-faire policy in respect of their younger generation. It is very obvious now that in this permissive society hooliganism and vandalism are on the increase; love and respect within the family unit is on the decrease and old people are just numerals on the registers of the " Welfare State ". In spite of these trends, the recuperative elements amongst the youth of Britain are very strong. An average teenager in Great Britain is, by nature, responsible, self-reliant, conscientious and very keen to make himself useful to society. He is generally busy at work in his spare time in some voluntary social organization or other. But, for various reasons one of which is the self-imposed segregation, the young people of the immigrant families rarely come in touch with this type of the British youth.

The over-whelming majority of Muslim immigrants in Britain are manual workers-honest, hardwork ng but, in matters of oriental customs, great fundamentalists and punctilious. The educated class among the immigrants are very few, except that there is a large student community who are, however, birds of passage and psychologically do not belong there. Moreover, they tend to form themelvesa in their own

A GLIMPSE INTO ISLAM IN BRITAIN

BY

AL-HAFIZ BASHEER AHMAD

PROFILE :

[Al-Hafiz Basheer Ahmad has lived in England for more than eight years during which period he was an active member of many theological and cultural societies there. These activities brought him in direct contact with the adherents of various religions and ethnic groups and helped him greatly in making an assesment of the problems which our young Muslims are facing today-especially the young people who are coming in contact with the West through education and travel — Editor].

Muslims these days are having greater impact on Great Britain than on any other country in the West. This is the natural consequence of the British rule over the various Islamic countries in the past and the large-scale migration of the Muslims to Britain. There are at present about half a million Muslims domiciled in Great Britain out of which Pakistanis alone are about 100.000 and Turks and Cypriots about 50,000.

Although it is true in a broader sens that Muslims of various races and nationalities all over the world one comity, their cultural and ethological variations become more pronouced in a foreign society such as that of Great Britain, especially in the matter of their respective social behaviour vis-a-vis the British culture. These variations are posing a serious problem to the government and to those voluntary social organizations which are trying to promote harmonious relationship between the immigrants and the indigenous population.

SOME OF THE PROBLEMS

To begin with, there is the colour problem which the Muslims in Great Britain are facing along with the other coloured immigrants. We are concerned here with this problem only to the extent of its cultural and religious implications. Social integration of a minority group into a majority group demands, naturally, greater adaptability on the part of the minority. In this process, however, there are certain religious principles at stake - principles which are for an average Muslim far more valuable and sacred than any material advantages.

The Messenger insists that the Muslim father must also fulfil his role as family provider and protector." Black women, Elijah Muhammad says, must be natural and chaste; they must shun hair straighteners, make-up, and revealing clothes, and must not go to beaches and pools with men. (1)

In the (Muslim) Girls Training (M. G. T.) and in the General Civilization Classes (G. C. C.) (Muslim) girls are thaught How to care for their husbands by showing the proper degree of respect, and by seeing to their husbands' needs as completely as possible

The main (Muslim) attitudes toward the family seem to be (1) protection of the women, (2) separation of women from men in matters such as dining, (3) respect for the husband and the father. All of these attitudes are actively fostered by various classes within the (Muslim) schools.

c) Toward Their Schools

Students who attended public schools before they became (Muslims) were interviewed and asked why they had transferred and how they would compare the public schools with the (Muslim) schools. The answers of most of the students interviewed were typited in the answer of a tenthgrade student. He replied that he had transfered because :

" . . . The public school may be big in size, number of students, or better facilities, but it did not teach me my history. The relationships between students and teachers in the public schools are loose. They lack respect and courtesy."(2)

The school also fosters this attitude of cherishing the school through its textbooks, supplementary reading books, coloring books, and songs about the school.

(to be continued)

---

(1) Morroe Berger, "The Black Muslims," Horizon, Vol. I No. 3 Winter 1964, p 64.

(2) Tape-recorded interview with a 10th grade student at the University of Islam in Chicago, September 8, 1965.

This (Muslim) attitude of protection toward the women is based on a religious doctrine taught by Elijah Muhammad.

"The woman is man's field to produce his nation. If he does not keep the enemy out of his field, he won't produce a good nation. If we love our vegetable crops we will go out and turn up the leaves on that vegetable's stalk and look carefully for worms that are eating and destroying the vegetables. We will kill that worm-right ? Again, we will go out into the cotton field and look for the enemies of our cotton, and try to kill that enemy. We study poisons and chemicals of the earth, and we pour these chemicals on the enemies of our crops to keep the enemies from destroying them. We love a crop that we can produce every year, every season, so well that we kill every enemy that we find seeking to destroy it. We will even kill one another if we find the other one out there trying to steal that crop. Is not your woman more valuable than that crop of corn, that crop of cotton, that crop of cabbage, potatoes, beans, tomatoes ? How much more valuable is your woman than these crops, that you should keep the enemies from destroying the crops. Yet you are not careful about your women. You don't love them." (1)

Husbands are encouraged in the adult school not to let their wives work unless it is absolutely necessary to earn their living. Visitors or guests are not encouraged in (Muslim) homes, and, complying with the attitude of great respect for the husband and father, it is the man who has the right to invite guests for dinner. During various visits to (Muslim) homes, it was also observed that the men were served first, and that the wives and children are later. Even in the home of Elijah Muhammad, where there were serveral maids, the men were served first and separately, while the women were served later, and ate at a seperate table. In his intensive study, Morroe Berger, Professor of Sociology at Princeton University, reports :

" A picture of a Muslim family in an official publication carries the caption : "Father always sits at the head of the table. The Muslim father is greatly respected and obeyed by his wife and children.

---

(1) Elijah Muhammad, Message to the Blackman in America, Chicago, Ill. Muhammad's Mosque No. 2, 1965, p. 58.

This Ode of honor we didicate to
thee,
With heart and mind through years
to be [1]

The (Muslim) attitude toward the Nation of Islam is summed up when Elijah Muhammad explains :

"The flag of Islam which represents the Sun, Moon, and Stars means to teach us that the religion of Islam (entire submission to the will of Allah) is as old and as true as the universe — without any knowledge of its birth nor its end." [2]

In another instance, Elijah Muhammad again speaks of the flag of the Nation of Islam, and equates the meaning of the flag with the attitude of the (Muslims) toward the Nation of Islam.

"The Islamic flag consists of an all red color with a white crescent placed in it. The red represents the Sun which is truthfully a red ball of fire that lights up and warms the planetary worlds in her circle. This is the physical meaning : that we receive freedom of light and warmth from this mighty ball of fire whether Muslim, Christian, Buddhist, or any other disbeliever — even atheists." [3]

b) Toward the Family

The family is the most significant primary institution in shaping children's attitudes toward others and toward themselves. However, the school has assumed an unusually important role in building up attitudes, including attitudes toward the family itself.

The school teaches its men and boys to protect girls and their wives. As a manifestation of this attitude (Muslim) schools provide transportation to all girls from kindergarten through the twelfth grade. They provide transportation for boys only through the sixth grade.

(Muslim) girls are taught to work as nurses, teachers, or housewives, but not to work as waitresses, even in (Muslim) restaurants. (Muslim) boys greet other boys by shaking hands, but may only greet the (Muslim) girls by saying "As - Salaam Alaikum, Sister," and never by shaking hands.

---

(1) Eleanor Hunter, "An Ode to the Nation of Islam," mimeoprint, The University of Islam, Chicago, Ill.

(2) Elijah Muhammad, Muhammad Speaks, Vol. 2, No. 11, February 1963, p. 1.

(3) Muhammad Speaks, Vol. 2, No. 9, January 31, 1963, pp. 1 and 9.

The Role of The School in The Nation of Islam In America In Changing Its Students' Attitudes
– III –

BY :
DR. IBRAMIH M. SHALABY

The Attitude Toward Themselves

a) Toward the Nation of Islam

All students, both children and adults, are taught by the schools, through religious instruction, history classes, and reading material which centers itself around the Nation of Islam, to identify themselves with, and be loyal to the Nation of Islam. The first grade reader, for example, has an entire unit on "Our Nation."(1)

The organization of the (Muslim) group with a leader, national and local officials, and a guarding body with a special uniform seems to provide a very concrete organization with which students can readily identify themselves.

The Nation of Islam has its own flag, which is intended to create both a sense of pride and the feeling of being different. Students receive a mimeographed copy of the song honoring the flag of the Nation of Islam. The singing of this song is intended to increase a feeling of pride and identity. Reading material for regular courses stresses to the students the importance of the Nation of Islam. Pupils are also given various songs and poems in honor of the Nation of Islam. These songs and poems are written by the teachers of the (Muslim) schools and are aimed at fostering a strong sense of loyalty and pride. One such poem reades in part :

"O' Nation of Islam we honor thee
With love and respect in the years
to be,
When we are grown and take our
place
As men and womom with our race.

O' Nation of Islam we shall always
strive
To live forever with Faith and Pride;

---

(1) Christine X. Johnson, Muhammad's Children, First Grade Reader, University of Islam Press, Chicago, Ill., October 1964, pp, 36 - 53.

see how would you feel if somebody gives you, in charity, something that is bad. Listen to the holy Qur'an sayes in this respect :

«يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غنى حميد » (البقرة ٢٦٧)

It means : "You who believe give of the good things which you have (honourably earned) and of the fruits of the earth which we have produced for you, and do not even aim at getting anything which is bad, in order that out of it you may give away somet ing, when you yourselves would not receive it except with closed eyes, and know that God is free of all wants and worthy of all praise," (2 : 267)

Again, if you give charity to one of your brothers, do not follow this with reproach or injury. If you do that, there will be no reward for your action. In regard to this the holy Qur'an says :

« الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى ، لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى . والله غنى حليم ، يا أيها الذين آمنـــوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى . . . » (البقرة ٢٦٢ ـ ٢٦٤)

It means : "Those who spend their wealth in the way of Allah, then follow not up what they have spent with reproach or injury, their reward is with their Lord, and they shall have no fear nor shall they grive. A kind word and covering of the faults are better than charity followed by injury, God is free of all wants, and he is most forbearing. O You who believe cancel not your charity by reprosh and injury. . . "
(2 : 262 - 264)

These are some of the duties of the rich towards the poor, but it is more interesting to know that the poor man has, also, his own duties in keeping his own dignity unhurt; he should respect himself and try his best to earn his living. From the traditions of the prophet (peace be upon him) we have the most excellent examples in this regard.

(to be continued)

ISLAM AND HUMAN DIGNITY

By :
Dr. Ahmad I. Mohanna

It is a very known fact that man's dignity is the most valuable thing in his life. History tells us about many people who sacrificed their wealth to defend and secure their dignity, some others sacrificed their high positions just to keep their dignity unhurt, still many beside these who went farther and lost their lives for the same purpose.

This explains that man's dignity depends not on anything of these three, but it depends on what the man himself is. And what the man is may be explained by the manner in which he behaves, the degree to which he respects himself, and the type of feeling he exchanges with the people of his community. In short, we may say that the dignity of man depends on the mutual relationships between man himself and the community of which he is a member. So to keep one's dignity unhurt we need the co-operation of the individual and the people with whom he has to deal. In other words, it is the duty of every body to co-operate in this respect if they like to reach the human standard in their life; because the more struggle to keep one's dignity unhurt, the higher position in humanity the community will have.

Keeping this in mind, and studying our religion, we should be proud of our principles, which, if we follow sincerely, would lead us to the most dignified position among all nations on this earth.

To explain all means by which Islam protects the dignity of every muslim, would take a long time, but to throw some light on the subject I am going to mention a few as examples.

We all know that no nation is free from people who are needy and poor. According to the Islamic teachings, such people have a right share in the wealth of the others who are rich.

It is interesting to notice that when you give in charity you should be careful not to hurt the feeling of your brother; do not give him but of the good things you have,. Consider your self in his place and

Al-Azhar's Tribute to Dr. Zakir Husain

Al-Azhar University organised a condolence meeting to the momory of the late President of India, Dr. Zakir Husain, on 12 th. May, 1969, at the Sheikh Muhammad Abdu Hall.

Dr. Zakir Husain, the first Muslim President of India, who died on May 2, 1969, was an educationist who had devoted his life to the educational reforms and the building up the educational institutions He born on February 8, 1879 at Hyderabad. Having graduated from the Anglo - Oriental College in Aligarh, he obtained his Doctorate degree from Germany. Among his educational services was the establishment of the Muslim University "Jamia Millia" in Delhi, with the help and cooperation of Mahathma Gandhi, and other national leaders of India. The key to his educational philosophy was to develop a pattern of education rooted in Islamic thought and national culture.

A number of prominent scholars, leaders and diplomats atteneded the meeting including : Dr. Abdul Aziz Kamil, Minister of Al-Azhar Affairs, His Eminence Sheikh Hassan El-Mamoon, Grand Sheikh of Al - Azhar, H. E. Ahmed Hassan El - Baqouri, Rector of Al - Azhar University, Dr. Abdul Haleem Mahmood, Secretary General of Islamic research Accademy, Mr. Muhammad Twefik Oweida, Secretary General of the Supreme Council for Islamic Affairs, H. E. Apa B. Pant, India's Ambassador to U.A.R., Mr Abdul Aziz Sayed and Mr. Sayed Yousuf, former Ministers of education, Govt. of U. A. R.

Sheikh Baqouri said in his tribute to Dr Zakir Husain that : "He and the people of his calibre are not the property of one particular nation nor the heritage of one particular age, but are the property of all nations and of all times." Expressing profound gratitude to the Al - Azhar, the Indian Ambassador said : "Dr. Zakir Husain belonged not only to India but in a sense to all humanity, and all humanity belonged to him".

— M. Alwaye

buried or not. The state of qabr is therefore the same state as that of 'barzakh', the state in which every man is placed after death, and before the Resurrection."

" . . . . it should be noted that while, in the Holy Qur'an, the guilty are spoken of as receiving chastisement in the state of 'barzakh, in the Hadith, this punishment is spoken of as 'adhab al qabr' or the punishment meted out in the grave. In "Bukhari" the chapter on 'adhab al-qabr' begins with quatations from the Holy Qur'an, one of which is the verse relating to the punishment of pharaoh's people in 'barzakh', quoted at the conclusion of the previous paragraph. This shows that Bukari regards these two punishments as one, and thus he establishes the identity of 'qabr and barzakh'." (The Religion of Islam : pp. 267).

About the second question, it is worthwhile to quote the same Author : (1) " . . . . So far as our present experience goes, it is through the body that the spirit receives all its impressions of pleasure and pain, that it gets knowledge, and perception of things, that its impulses and sentiments are diveloped. In fact, according to the present state of our knowledge, we cannot conceive of the soul without a body. But whether the soul in Resurrection will receive back the same body of clay which it left in this world is quite another question. There is nothing in the Holy Qur'an to show that the body which the soul left at death will be restored to it. On the other hand, there are clear statements to show that it will be a new creation altogether."

" . . . The resurrection — body has therefore nothing in common with the present body of clay except the name or the form which preserves the individuality. There is another consideration which shows that the body which the soul receives after death is not the material body of this world. As has already been shown, the departed one has a foretaste of the blessings of Paradise or of the chastisment of fire as the case may be, immediately after death, that is to say, while in the state of 'barzakh'. Now the state of 'barkakh' lasts until the Resurrection, while it is a matter of daily observance that the body either becomes dust in the grave or is burned. It is then absolutely certain that the soul's fore - taste of blessings or of chastisement in 'barzakh' is not through the body of clay which it left behind it at death. And that it must receive a body is also certain, because it is through some body that the spirit can have experience of pleasure or of pain".

(1) pp. 281

Or some other creature of those which are greater in your thoughts (which are too hard to receive life) ! Then they will say who will return us ? Say : He Who created you at the first"

(17 : 49 - 51)

« وقالوا أ إذا كنا عظاما ورفاتا أ إنا لمبعوثون خلقا جديدا ، أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه . . . » (الاسراء ٩٨ـ٩٩)

It means : "What when we shall have become bones and fragments shall we then be indeed raised up as a new creation ? Have they not seen that Allah Who created the heavens and the earth is Able to create the lake of them, and hath appointed for them an end where of there is no doubt ? . . ."

(17 : 98 - 99)

The two important questions connected with the Resurrection and the next life are :

1 — What is the state between death and Resurretion ?

2 — Will it be a Resurrection of the body or a spiritual Resurrection ?

As relating to the first question let us quote the learned Muslim Author Moulana Muhammad Ali :

" . . . . The state between death and Resurrection is called 'barzakh' which literally means a thing that intervenes between two things or an obstacle or a hinderance. The word 'barzakh' has been used in this latter sense in two placesin the Holy Qur'an (25 : 53 and 55 : 20), where a barrier between two seas is spoken of as barzakh. As signifying the state between death and Resurrection, it occurs in the following verses : "Until when death overtakes one of them, he says : Send me back, my Lord, send me back, haply I may do good in what I have left. By no means ! it is a mere word that he speaks, and before them is 'barzakh' until the day when they are raised" (23 : 99 100). This in ervening state is also known by the name of 'q br' which means grave, but has also been used in the wider sense of the state which follows death. Thus the three states, death, the grave and Resurrection, are spoken of, where the grave undoubtedly stands for 'barzakh' : "Then He causes him to die, then assigns to him a grave (aq.bara - hu); then when He pleases, He will raise him to life again" (80 : 21, 22). And the raising to life on the Day of Resurrection is spoken of as the raising of those who are in their graves, as in 100 : 9 and 22 : 7, where all people are meant, whether actually

of the world in terms of this world. The Holy Qur'an refers to the nature of things in the life of the other world :

«فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون »

(السجدة ١٧)

It means : "No soul knoweth what is kept hid for them of joy, as a reward for what they used to do" (32 : 17). A saying of the Prophet referred to it : "Things which no eye has seen, nor has ear heard nor have they entered into the heart of man" (Al - Bukhari).

The Day of Judgment or Resurrection is not a doctrine in which a man is required to believe, for his salvation in another life ; rather is it a workable principle of human life. This principle makes human human life more serious and more useful, while at the same time awakening in him the consciousness of a life that is higher. Thus a belief in the Resurrection is needed in the first place to make this lower life worth living. Because without such a belief life loses not only all its point, leaving man without any real aim, but, in addition, all incentive to do good and avoid evil.

As the idea of Resurrection and a life after death is so strange to the average mind, the Holy Qur'an has again and again answered the Question, how will it be ? The answer given in all cases is quite consistent with present - day scientific knowledge. The one universal idea running through the verses bearing on this subject is that the great creator of all existence who made this vast universe out of nothing could also bring about a new creation.

Among the Qur'anic verses dealt with the question of Resurrection, are :

« أفعيينا بالخلق الأول ، بل هم فى لبس من خلق جديد » (ق ١٥)

It means : "Were We then fatigued with the first creation ? Yet they are in doubt about a new creation" (50 : 15).

« وقالوا أءذا كنا عظاما ورفاتا أءنا لمبعوثون خلقا جديدا ، قل كونوا حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة . . . » (الإسراء ٤٩ ــ ٥١)

It means : And they say, What ! when we shall have become bones and decayed particles, shall we then be raised up to a new creation ? Say : Be you stones or iron,

reward for what he does; his work is for higher and nobler ends relating to the life after death.

The Pivot on which the whole doctrine of Future Life in Islam turns, is that every human being will have to render an account of his actions on earth and that the happiness or misery of individuals will depend upon the manner in which they have performed the commands of their Creator. We must bear in mind that the idea of a future existence — of an existence after the separation of the living principle of our nature from mortal part — has furnished to the moral teachers of the world the most powerful instrument for influencing the conduct of individuals and nations.

A careful study of the Holy Qur'an makes it clear that there is a strong connection between the two lives. The Holy Qur'an not only speaks of a life after death which opens out before man a new world of advancement; it also shows that the basis of that life is laid in this life on earth. But the material limitations of this life do not allow most people to realize that other life, which will become manifest in the Resurrection; because human perception will then be clearer, the viel of material limitations having been removed.

The Holy Qur'an plainly speaks of the connection between the two lives and the nature of the Resurrection Day :

« وجاءت سكرة الموت بالحق ، ذلك ما كنت منه تحيد ، ونفخ في الصور ، ذلك يوم الوعيد ، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ، لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد »
(ق ١٩ ـ ٢٢)

It means : "And the agony of death cometh in truth (and it is said unto him) : This is that which thou wast wont to shun. And the trumpet is blown : This is the Threatened Day. And every soul cometh, along with it a driver and a witness. Certainly thou wast in heedlessness of this. But now We have removed from thee thy viel, so thy sight today is sharp."

(50 : 19 - 22)

To turn to the nature of the Future Life, it must be remembered that the conditions of life in the hereafter are of an intricate nature and different from those of this life. It should be noted that the very ideas of time and space as relating to the next world are different from those here, and therefore we cannot conceive of the real nature

next or the Last Life). Sometimes " Al - Yaum - al - Akhir " (the Last Day) is used.

Death, in the light of the teachings of the Holy Qur'an, and the traditions of the Prophet, is not the end of man's life; but it only opens the door to a higher form of another life. The Holy Qur'an says :

« أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا»

(الإسراء ٢١)

It means : "See how We have made some of them to excel others, and certainly the Hereafter is much superior in respect of degrees, and much superior in respect of excellence" (17 : 21) And :

«أفرأيتم ما تمنون ، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ، نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين، على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون، ولقد علمتم النشأة الأولى فلو لا تذكرون»

(الواقعة ٥٨ ــ ٦٢)

It means : "Have you seen that which you emit (the small life - germ) ? Do you create it ? or Are We the Creator ? We have ordained death among you, and We are not to be outrun, That We may change your attributes and make you what you know not. And verily you know the first creation. Why, then do you not reflect ? " (56 : 58 - 62)

In the Opening Chapter of the Qur'n (Al - Fatiha) God is spoken of as the owner of the Day of Judgment. This chapter is not only considered the essence of the Qur'an, but it is actually the chapter which plays the greatest part in creating a true Muslim mentality; for the Muslim must turn to it, as it is an essential part of his daily prayers. Thus the idea that every deed must be requited is brought before the mind of the Muslim continually. This constant repetition of the idea of accountability of actions in this life, undoubtedly impresses on the mind of man the reality of a future life, when every deed shall find its full reward.

Now a belief in life after death implies that every deed, however secretly it may be done, must bear fruit, and therefore this belief is both the greatest impetus towards good evil or irresponsible, deeds. A deep consciousness of the consequences of a deed, is thus engendered by a belief in a life after death. Not only that, such a belief purifies the motives with which a deed is done. But more than there, it makes a man work with the most selfless of motives for he seeks no worldly

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FÛDA

Rabi'al-thani 1389	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	JUNE 1969

The Belief in the Day of Judgment AND Its Effects in the Life of Man

By :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

The belief in a life after death, and in the Day of Judgment is one of the basic principles of Islam. The belief in Future Life, and in the accountability of his (or her) actions in this world, is the most vital force that incites man to perfection and elevation in his present life, in order to attain the highest grade in the hereafter. The Holy Qur'an states that the state of existence of everyone in his future life, with its rewa d or punishment, abiding in Paradise or Hell, depends upon the course of his life on earth.

The great importance of faith in a life after death, and in the Day of Judgment is clear from the following facts. The faith in the Future Life is used in the Holy Qur'an next only to faith in God. Very often all the doctrines of faith are summed up, as amounting to believe in God and the Future Life. As the Holy Qur'an Says :

« من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم . . . »

(البقرة ٦٢)

It means : ' Wheever believes in Allah and the Last Day and dos good, they shall have their reward from their Lord" (2 : 62)

The word generally used in the Holy Qur'an to indicate the life after death is 'Al - Akhira' and 'Al Dar-al Akhira' (the other, or the

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٤٧٣
٩٠٥٥٠٦

الجزء الخامس — السنة الحادية والأربعون — رجب سنة ١٣٨٩ هـ — سبتمبر سنة ١٩٦٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

لن يموت محمد ولن تهود القدس

للأستاذ عبد الرحيم فوده

---

١ — إذا كان محمد — ﷺ — قد لحق بجوار ربه ، وغادر الدنيا جسداً زكياً ، فإنه بروحه وذكره وعطره ونور سنته حي ماجد خالد ، وهو يعيش ويحيا في قلوب مئات الملايين ، وينطلق اسمه مع اسم الله من المآذن الشامخة في جميع أنحاء العالم ، لتردد آفاق السماء ، وأجواز الفضاء ، وجوانب الأرض ، أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . وسيظل اسمه حبيباً إلى القلوب ، رطيبا على الشفاه ، لأنه عند الله أعظم خلق الله ، وعند المؤمنين كما يقول الله : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) وما أكثر الذين يؤمنون به ، ويصلون عليه ، ويوقنون بقوله : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ، وقوله : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ».

٢ — إنه — ﷺ — حي ماجد خالد يعيش في قلوب سبعمائة مليون مسلم ، ويعلو سمع الوجود وبصره بما قال وما فعل وما قرر وما أنكر ، وقد كان — وما زال — وكان القرآن الذي أنزل عليه — وما زال — كما يقول الله فيهما « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم

من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ».

٣ — فإذا هتف اليهود عند دخولهم المسجد الأقصى « مات محمد » وانفجرت قلوبهم وعقائرهم بهذا النباح المنكر ، فإنهم ينفسون بذلك عن حقد قديم توارثوه جيلا ذليلا عن جيل ذليل ، حتى زحفوا فى حمى الاستعمار والصهيونية إلى هذه الأرض المقدسة ليدنسوها بآثامهم وجرائمهم ، فإنهم كما يقول الله فيهم: «لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

٤ — « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا » فإن محمدا لن يموت مابقى على الأرض مسلم يؤمن بالله ورسوله، وسيعرف هؤلاء أنهم واهمون حالمون يوم تزحف الجموع من أمة محمد لتقوض عليهم أوكارهم وديارهم ، وتدمر فوق جماجمهم مايبنون من حصون حصينة، ومخابئ دفينة، وسيكون حاضرهم كغابرهم حين ظنوا « أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين».

٥ — وقد كان — ﷺ — يستشف حجب الغيب حين قال : « تقاتلكم يهود فتسلطون عليهم حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: ياعبد الله يا مسلم ، ورائى يهودى . تعال فاقتله» فإن الجانب الأول من هذا الحديث قد تحقق باعتدائهم علينا ، وبدأت بشائر النصر تشير إلى تحقق الجانب الثانى، بما تقوم به منظمة « فتح » ومنظمة « سينا » والفدائيون البواسل من الجمهورية العربية ، وجيشها المتربص الذى يكيل لإسرائيل الضربات .

٦ — ذلك كله يبشر بقرب النهاية لهؤلاء الذين يقول الله فيهم: «وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب» ويقول لهم: «فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » فإن معنى ذلك أن القدس لن تهود، وأن محمدا لن يموت ، وأن ذكرى الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ستعود إلى المسلمين مرة أخرى بالأمل والجذل ، «وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون».

عبد الرحيم فوده

الخلاف بين اليهودية والمسيحية

للدكتور أحمد موسى الحسيني

– ٢ –

١ – قلنا إن اليهود رفضوا رسالة السيد المسيح – عليه السلام – رفضاً تاماً ، وأوغلوا فى ذمه والطعن فى رسالته حتى نبذوه بما لم ينبذ به رسول فى تاريخ الديانات قاطبة . وقد ورد فى كتاب : (الكنز المرصود فى قواعد التلمود للدكتور روهلنج الذى نقله إلى العربية الدكتور يوسف نصر الله وطبع فى القاهرة سنة ١٨٩٩) نعت مقام السيد عندنا أجل من أن نذكره ، ولكن المؤلفات التى وضعت ، قديماً وحديثاً ، تؤكد هذا المنحى ، ونذكر على سبيل المثال ما ورد فى مذكرات تيودور هرتسل (ص ٢٨٣ ، ٢٨٥) من أن السيد المسيح لم يأت بجديد سوى زيادة البغض ، وأن اليهود يكرهون السيد فى « طريق الآلام » – فى بيت المقدس – لأنه فى نظرهم بغيض !

ولا يحتمل هذا العصر إثارة البغضاء بين أصحاب الديانات ، ونبش الأحقاد ، وهتك الأسرار ، لا سيما وموقف الإسلام من الديانتين السماويتين السابقتين واضح لا يصح معه الخوض فى خلافات مذهبية قد تؤدى إلى تجريح الأنبياء ، ولو رواية ونقلا .

٢ – والمهم هو أن نسأل هل خالف السيد المسيح تعاليم اليهودية أم اتبعها وأقرها ، وبالتالى هل اليهودية أقرب إلى المسيحية من الإسلام ؟ فإذا كان الجواب إيجابا فهمنا سر انحياز المسيحية الغربية إلى الصهيونية ، وإذا كان سلباً جاز لنا أن نقول إنه أمر منكر لا يرضى الله ولا عباده ، ووجب علينا أن نراجع المغرضين عسى أن يروا طريق الحق ويسيروا فيه .

وقد تبين من دراستنا للعهدين القديم والجديد أن السيد المسيح خالف اليهودية فى أمور جوهرية منها :

أولا : عد اليهود يوم السبت مقدساً ، كما كلم الرب موسى بذلك ، وتوعدوا من دنسه بالقتل : « كل من صنع عملا فى يوم السبت يقتل قتلا » (خروج ٣١/١٢) « فيحفظ بنو إسرائيل السبت ليصنعوا

السبت فى أجيالهم عهداً أبدياً ، هو بينى وبين بنى إسرائيل علامة إلى الأبد » ، (خروج ٣١/١٧) .

أما السيد المسيح فعمل يوم السبت ، كان يعلم فى أحد المجامع فى السبت (لوقا ١٣/١٠ ، ١/١٤) وأمر مريضاً أن يحمل سريره ويمشى يوم السبت (يوحنا ٩/٥) وسمح لتلاميذه أن يقطفوا سنابل القمح ويأكلوها فى يوم السبت ، وحين اعترض عليه الفريسيون ذكرهم بأن داود أحل ما حرم الله حين أكل خبز التقدمة فى بيت الله ثم قال لهم : « إن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً » ، (متى ١/١٢ ـ ٨) .

وجاء فى (سفر يوحنا) : « ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه لأنه عمل هذا ـ شفى مريضا ـ فى سبت » (يوحنا ١٦/٥) .

ثانياً : نفى اليهود ـ الصدقيون ـ يوم القيامة وأثبته السيد المسيح (متى ٢٣/١٢ ومرقس ١٨/١٢ ولوقا ٢٧/٢٠) . وبشر السيد بملكوت السماوات وبالحياة الأبدية (لوقا ٣٠/١٨) ، وأن الناس يوم القيامة يكونون كالملائكة لا يتزوجون : (متى ٣٠/١٢) . ورد بولس الرسول على اليهود الذين ينفون قيام الأموات بأن القيام حق (رسالته إلى كورنثوس ١٢/١٥) .

ثالثاً : وعد السيد المسيح الوصية الأولى والعظمى فى الناموس هى : « تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك » ، والثانية مثلها : « تحب قريبك كنفسك » ، بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله وللأنبياء » (متى ٣٧/٣٢) ولم يرد شىء من هذا فى الناموس اليهودى .

رابعاً : وأباح اليهود الطلاق وحرمه السيد فقال : « وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق ، وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزنى » . وكذلك أباح اليهود زواج المطلقة وحرمه هو : « ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى » (متى ٣١/٥ و ٧/١٩) .

وعد السيد اشتهاء المرأة زنى : « إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى فى قلبه » (متى ٢٧/٥) .

خامساً : وقال اليهود بقتل القاتل ، وقال السيد : « وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون

مستوجب الحكم ، ومن قال يا أحمق يكون مستوجباً نار جهنم » (متى ٥/٢١) .

سادساً : وألغى السيد القسم فقال : « سمعتم أنه قيل لا تحنث بل أوف الرب أقسامك ، وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسماء ، ولا بالأرض ، ولا بأورشليم ولا تحلف برأسك » (متى ٥/٣٣) :

سابعاً : وقال اليهود : العين بالعين والسن بالسن ، حسب شريعة موسى . وقال السيد : « وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له خدك الأيسر ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا ، ومن سخرك ميلا فاذهب معه ميلين ، من سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده » ، (متى ٥ / ٣٨) .

ثامناً : وقال السيد بحب الأعداء « سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم ، أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، وأحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم » (متى ٥ / ٤٤) .

تاسعاً : ونهى السيد عن حب المال — خلاف اليهود — لأنه لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ، الله والمال (متى ٦/٢٤ و ١٠/٩) .

عاشراً : وحرم اليهود أكل بعض الأطعمة ، ونقض السيد هذه القاعدة من أساسها بقوله : « ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان » (متى ١٥ / ٢٠) .

حادي عشر : وجعل السيد بنوة اليهود لإبراهيم روحية لا جسدية وبالعمل الصالح لا بالنسب ، فقال لهم مقرعاً : « ولا تفكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أبا ، لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم » (متى ٣/٩) .

وأكد بولس الرسول ذلك بقوله : « ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون ، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعا أولاد ، بل بإسحق يدعى لك نسل ، أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله ، بل أولاد الموعد يحسبون نسلا » ، (رسالته إلى أهل رومية ٩/٦) .

ثاني عشر : ونفى بولس الرسول نظرية شعب الله المختار قائلا : إن الله ليس لليهود

وحدهم بل لجميع الأمم (رسالته إلى أهل رومية ٣/٢٩)، وذهب إلى أن الناموس ناموس الإيمان لا ناموس الأعمال، وأن الختان أيضاً بالإيمان، وأنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم ونسله أن يكونوا وارثاً للعالم، بل ببر الإيمان، لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة فقط، فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد» (السابق ٤/١٣)

وقال: «ليس يهودى ولا يونانى، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر ولا أنثى، لأنكم جميعاً واحداً فى المسيح يسوع، فإن كنتم المسيح فأنتم إذن نسل إبراهيم، وحسب الموعد ورثة» (رسالته لغلاطيه ٣/٢٨ ـ ٢٩).

والخلاصة: أن اليهود أنكروا المسيح والمسيحية إنكاراً تاماً، وفارقت المسيحية اليهودية فى عدد من القواعد الأساسية، وتحررت ـ كما قال بولس الرسول ـ من الناموس (رسالته إلى أهل رومية ٧/٦).

وإذن فلا لقاء بين الديانتين ولا توفيق.

وهل بعد هذا كله ينتصر أتباع السيد فى الغرب لمخالفيهم وينبذون أقرباءهم، ويفرطون بالأرض التى شرفها السيد برسالته، وأرادها أن تكون أرض المحبة والسلام ؟ ؟

اسحق موسى الحسينى

قال الله تعالى:

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون »

(المائدة : ٨٢)

[تفتتح المجلة هذا الباب الجديد بهذه الكلمة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر]

سورة الإنشراح

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون
شيخ الأزهر

هذه السورة من قصار السور المكية نزلت كما روى عن ابن عباس بعد الضحى وهى شديدة الاتصال والارتباط بها .

والشرح فى أصل اللغة: التوسعة والبسط وسعة الصدر ، وبسط الصدر يستعمله العرب دليلا على القوة ويفخرون به ، وقوله تعالى: «ألم نشرح لك صدرك» كناية عن أن الله تعالى أزال بالوحى ما كان يحيك بصدر الرسول ﷺ من حيرة مما كان عليه قومه المشركون من عبادة أصنام لا تضر ولا تنفع ومن عادات جاهلية لا يقرها العقل السليم ، وأهل الديانات الأخرى الذين كانوا ينسبون إلى الله تعالى مالا يطمئن اليه عقل الرسول وقلبه ، فلما نزل عليه الوحى بشريعة الإسلام ثم استمر وتتابع زال ما كان عليه من الحيرة وانشرح صدره واطمأنت نفسه وامتن الله تعالى عليه بذلك .

ومعنى قوله « ووضعنا عنك وزرك » حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية والوزر: هو الحمل الثقيل والآية معطوفة على مدلول الآية السابقة كأنه قيل : قد شرحنا لك صدرك ووضعنا عنك وزرك .

« الذى انقض ظهرك » أى أثقله وأجهده — ونقيض الظهر ما يسمع من مفاصله من الصوت لثقل الحمل ، والمعنى أننا أذهبنا ما كان بك من حيرة وشرحنا صدرك للرسالة ووضعنا عنك ما كان يثقل عليك حمله من أحوال الجاهلية وأمور المشركين .

« ورفعنا لك ذكرك » أى أن الله سبحانه أعلى شأن سيدنا محمد ﷺ بالنبوة ورفع ذكره فقرن اسمه ﷺ باسمه سبحانه وتعالى فى كلمتى الشهادة ، فقد روى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ

أنه قال: أتانى جبريل فقال: «إن ربى وربك يقول كيف رفعت لك ذكرك» قال: الله أعلم ـ قال: ـ إذا ذكرت ذكرت معى ـ وبين التعبيرين وضعنا عنك وزرك ورفعنا لك ذكرك جمال لا يخفى لمتفه.

«فإن مع العسر يسرا» ثم رتبت السورة على تفضل الله على رسوله بشرح صدره ووضع وزره الذى أنقض ظهره ورفع ذكره إن الشأن تغيير أحوال الناس من عسر إلى يسر — وهذا يقتضيهم أن يلجأوا إلى الله وحده فى إخراجهم من العسر إلى اليسر.

والعسر: هو كل ما يعرض للإنسان من مشاكل الحياة كالفقر والضعف والمرض وقلة الصديق وكثرة العدو وفى هذه الأحوال كلها وأمثالها يتعين على المرء أن يتذكر تأكيد الله فى الآية أن مع العسر يسرا، فإذا قدر الله على الإنسان أن يقع فى عسر بسبب من الأسباب المقدورة له لم ييأس من أن يغير الله حالته فيكون بعد الفقر غنى، وبعد الضعف قوة وبعد قلة الأصدقاء وكثرة الأعداء كثرة من الأصدقاء وقلة من الأعداء. ولأجل أن لا يكون هناك شك فى هذا المعنى عند من يأخذه الضيق ويقع فى كرب وشدة.

تكررت الآية تأكيدا للمعنى وقضاء على ما يداخل بعض النفوس الضعيفة من الشك فى تغير الحال ثم وجهت السورة إلى الرسول ﷺ الأمر بأن يتعب وينصب إذا فرغ من أعماله التى كلفه الله بها والمعنى أنك إذا فرغت من عمل من أعمالك النافعة لأمتك فاشغل ما بقى من وقتك فى عبادة ربك والتوجه إليه بالدعاء والشكر على ما أنعم به عليك والرغبة إلى الله وحده فى أن يتم الله عليك مهام الرسالة ويحقق الله لك ما تأمله من النصر على أعدائه وإعلاء كلمة الله.

والله أعلم

محمد مأمون

الروح واستحضار الأرواح

للأستاذ مصطفى الطير

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

[صدق الله العظيم]

مظهران متضادان حيرا الإنسان منذ نشأ على هذه البسيطة ، أولهما ما يراه في نفسه من الحركة والانطلاق والتفكير والتدبير والانتفاع بخيرات الأرض وكرم السماء ، ورفع المضار إن وقعت وتوقيها قبل وقوعها ، وثانيهما ما يراه من تحوله إلى جسد لا حس فيه ولا حركة ولا نفع ولا ضرر ولا علم ولا معرفة .

وهذان المظهران جملاه يتساءل عن القوة التي تمنحه مزاياه العظيمة إن كانت موجودة في جسده وتحرمه منها إن فارقته ، ولكنه على امتداد الدهور والأحقاب لم يجد من يهديه سواء السبيل إلى حقيقتها وذلك لأنها مما لا يستطيع العقل أن يدركه فهي من أمر خالقه الذي أودعه أسراراً في تكوينه ودقائق في إبداعه تحار العقول فى إدراك عظمتها ودقتها وبعد مداها فتبارك الله أحسن الخالقين .

ولهذا لم يكن عجيباً أن يتوقف الرسول عن بيان حقيقتها للسائلين ، وأن يكلفه الله بإخبارهم أنها من أمر الله الذي اختص به علماً وقدرة ، فإنه لا حاجة للبشر في أن يعرفوها ، ولا قدرة لهم على معرفتها ولهذا سوف يظل سر هذه القوة عند الله الذي يمنحها من يشاء نعمة منه وفضلا ، ويحرمها من يشاء قهراً وعلوا ، وليتمكن الأحياء بهذا الحرمان من أن يعيشوا على رقعة الأرض الضيقة المحدودة الأرزاق ، فإن الموت لو لم يكن قدراً على العباد لأكل بعضهم بعضاً لكثرتهم وتزاحمهم على الرزق المحدود المقسوم لأعداد مناسبة له ، وقد حدث في أعوام المجاعات أن أكل بعض

الناس بعضاً كما يحدثنا به التـــاريخ .

والسائلون للرسول عن الروح هم اليهود ، فقد أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « كنت أمشى مع النبى ﷺ فى حرب المدينة وهو متكىء على عسيب ، فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم لا تسألوه ، فسألوه فقالوا : يا محمد ما الروح ؟ فما زال متوكئاً على العسيب فظننت أنه يوحى إليه ، فلما نزل الوحى قال : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العـــلم إلا قليلا » .

ولم ينفرد القرآن الكريم ببيان اختصاص الله تعالى بعلمها ، بل جاء ذلك فى التوراة أيضاً ومن العلماء من فسر الروح بالقرآن لقوله تعالى قبل هذه الآية « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » الآية ، ولكن الجمهور على الأول مراعاة لسبب النزول المروى فى الصحيح ، وقد جاءت آية الروح معترضة للدلالة على خسار الظالمين وضلالهم باشتغالهم عن تدبر القرآن والانتفاع به بالتعنت بالسؤال عما اقتضت الحكمة سد طريق معرفته .

ولما نزلت هذه الآية وفيها قوله تعالى « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » قالت اليهود : أعنيتنا بذلك أم عنيت قومك ، قال : كلاًّ قد عنيت ، قالوا : فإنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شىء ، فقال ﷺ : هى فى علم الله قليل ، وقد أتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم ، فأنزل الله تعالى : « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » .

وروى أنه لما نزل قوله تعالى : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » قالت اليهود : وأنحن مختصون بهذا الخطاب ؟ فقال ﷺ : « بل نحن وأنتم » فقالوا : ما أعجب شأنك! ساعة تقول : « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » وساعة تقول هذا . فنزل قوله تعالى : « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام » الآية .

والمقصود من هذا الرد بيان أن علم الله تعالى لا نهاية له فلهذا يكون الكلام الذى يترجم عنه لا نهاية له ، لأنه يتعلق

بملكوت السموات والأرض والجنة والنار ، وبعالم الإمكان الذى لا غاية له ينتهى عندها ، وعما ينبغى له تعالى ومالا ينبغى له ، فأين علمهم بالتوراة القاصرة على ما يهمهم من شئون الدين من علم الله الذى لا نهاية له ، نعم هو شىء كثير لمن علم بها بالنسبة إلى من يجهلها ، فالقلة والكثرة من الأمور الإضافية ، فالشىء يكون قليلا بالنسبة إلى ما فوقه ، كثيراً بالنسبة إلى ما تحته .

ولاشك أن من الحكم الإلهية أن يعلم الإنسان من الخير ما تتسع له قوته البشرية مما ينتظم به أمر معاشه ومعاده ، وما وراء ذلك فليس من شأنه ، لأنه ليس من مكلاته ولا من خصائصه ومقدوراته .

والكلام بين النبى ﷺ وبين اليهود على التوراة الأصيلة التى خلت عن التبديل المنزهة لله عن الولد الشاهدة بنبوته ﷺ ، فهى التى من يؤتها فقد أوتى خيراً كثيراً ، لأنها تهديه إلى الحق الذى جاء به نبينا ﷺ فيؤمن به .

أما المبدلة التى حرفوا فيها أماراته ﷺ وطمسوا فيها معالم الحق ، واشتروا بها ثمناً قليلا هو الرياسة فى الدين على بنى قومهم فإنها ليست الحكمة التى من يؤتها فقد أوتى خيراً كثيراً .

هل يمكن تعريف الروح :

ذهب العلماء إلى أن الوقوف على حقيقة الروح غير ممكن ، لأن معرفة حقيقته مما اختص الله بعلمه فإنه من أمر الله وحده ، فلهذا لا يمكن وضع تعريف له يبين ماهيته ، وقد بين الله بخطابه العام السائلين وغيرهم أنهم ما أوتوا من العلم إلا قليلا لا يرقى إلى درجة الكشف عن حقيقة ما هو من أمر الله تعالى ، لكن هذا لم يمنعهم من تعريفه تقريباً للأذهان ، متجهين فى التعريف نحو آثاره وجودا وعدما وأنه لا يقع تحت حاسة البصر ، إذ قالوا إنه جسم لطيف سار فى البدن كماء الورد فى الورد والنار فى الفحم ، أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة ما دام فى الجسد ، فإذا فارقه زالت عنه الحياة ، فالحياة بالنسبة للروح بمنزلة الشعاع للشمس ، فإن الله تعالى كما أجرى العادة بأن يخلق النور والضياء فى الأرض مادامت الشمس طالعة فكذلك يخلق الحياة للبدن ما دام الروح فيه .

قال الإمام القونوى — وإلى هذا القول مال مشايخ الصوفية ، وقال : وهذا الكلام

بطريق الإجمال لا بطريق الحقيقة لأنها غير معلومة للبشر أصلا ، فهي مما استأثر الله بعلمه ، والكلام في تعريفه بطريق الإجمال من العلم القليل الذي أتانا الله بقوله « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

ثم يقول القونوي : إننا نعلم أن الموجود على ضربين قديم وحادث ، فالقديم ذات الله وصفاته والحادث الأجسام والأعراض ، ونعلم أن الروح ليس بقديم لتفرد الله بالوحدانية بالدليل العقلي وإذا استحال أن يكون قديماً فهو إما عرض أو جسم ، وهو لا يصح أن يكون عرضاً لأن العرض لا ينتقل ولا يقبض والروح منقول ومقبوض ، فلذا لابد أن يكون جسماً ، وقولنا إنه جسم لا يدل على أنا عرفنا حقيقته ، لأن الأجسام لها خصائص وصفات لا يعرفها إلا الله اللطيف الخبير — انتهى باختصار ، وقد استدل عبد الله ابن بريدة بالآية «قل الروح من أمر ربي» على أن الله تعالى لم يطلع على الروح ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلا .

ويرى الإمام الغزالي أن للإنسان روحين أحدهما بخار لطيف يعتدل باعتدال المزاج وهو الحامل لقوى الحس والحركة ويفنى بالموت ويتلاشى ، فصناعة الطب عليه تدور في تعديله وإصلاحه ، والثاني لطيفة ربانية مضافة إلى الله تعالى في قوله « ونفخت فيه من روحي » ويدعى أنها جوهر بسيط غير منقسم ولا متحيز، وهو حامل الأمانة التي هي المعرفة والتكليف ، وهو القلب في لسان الصوفية ، ويبقى بعد الموت لقوله تعالى « بل أحياء عند ربهم يرزقون » ويرى الإمام القونوي أن القول الأول هو الأحق بالقبول .

حدوث الأرواح :

أجمع المسلمون على حدوث الروح كسائر أجزاء العالم الذي قام الدليل العقلي على حدوثه ، لكنهم اختلفوا هل هو حادث قبل البدن أو بعده؟ ، فذهبت طائفة إلى حدوثه قبل البدن منهم محمد المروزي وابن حزم ، وقد ادعى الإجماع عليه ، وهو غير صحيح لما سيأتي من القول بخلافه .

واستدل لحدوثه قبل البدن بقوله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الصحيحين «الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها

ائتلف وما تناكر منها اختلف » قال الخطابي : معناه الإخبار بكون الأرواح مخلوقة قبل الأجساد ، ومن العجيب أن الحديث لا يفيد ذلك ، بل يفيد التعارف بين مؤتلفات الأرواح ، والتناكر بين مختلفاتها وليس للأجساد ذكر في الحديث .

وذهب آخرون إلى حدوث الروح بعد البدن ، ومن أدلتهم كما قال ابن القيم الحديث الصحيح « إن خلق ابن آدم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح أي يحدثه فيه عن طريق النفخ ، ولو كان موجودا قبله لقال : ثم يرسل إليه الملك بالروح فيدخله فيه .

والحق أنه خلق مع خلق الجنين من أول تلاقي الحيوان المنوي المذكر مع بويضة الأنثى في الرحم ، فإن الجنين يشتمل منذ هذه اللحظة على روح الحياة ، وإلا لما تطور ونما وأصبح بشرا سويا ، ومعنى أن الملك ينفخ فيه الروح بعد تلك الأطوار أنه يطلقه ليؤدي وظيفته على الوجه الأتم بعد أن عاقه عنها عدم تمام تكوين الجسم ، ولهذا يتحرك الجنين بعد أن كان لا يتحرك ، ولا مبرر للقول بخلق أحدهما قبل الآخر .

وقد ثبت بالمجهر أن النطفة مليئة بالحيوانات المنوية إذ تبلغ في الدفعة الواحدة ٢٠٠ مليون حيوان كما رواه (فريزر) عن (زيغل) وأن طول الحيوان ٥٢/١٠٠٠ من المليمتر وأنه كائن حي سريع الحركة إذ تبلغ سرعته نصف مليمتر في الثانية وهو شيء كثير بالنسبة لحجمه ، فإذا التقى بالبويضة في قناة فالوب الواصلة إلى الرحم من المبيض لقحها بشرط أن تكون فيها حياة وقابلية ، فإذا تم التلقيح اجتمعت الحياتان في حياة واحدة بها يتطور الجنين كما تقدم ، وربما أفردنا لذلك بحثا مستقلا بصورة وافية إن شاء الله تعالى .

الروح والنفس :

حكى ابن زيد عن أكثر العلماء أنهما شيء واحد ، فقد صح في الأخبار إطلاق كل منهما على الآخر ، ومن شواهده ما أخرجه البزار بسند صحيح عن أبي هريرة

يرفعه «إن المؤمن من ينزل به الموت ويعاين ما يعاين يود لو خرجت نفسه ، والله تعالى يحب لقاءه ، وإن المؤمن تصعد روحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفه من أهل الدنيا» الحديث. وفيه إطلاق النفس على الروح وقال ابن حبيب هما شيئان ، فالروح هو النفس المتردد فى الإنسان ، والنفس أمر غير ذلك لها يدان ورجلان ورأس وعينان ، وهى تلتذ وتتألم وتفرح وتحزن ، وهى التى تتوفى عند النوم وتخرج وتسرح وترى الرؤيا ويبقى الجسد دونها بالروح فقط ، لا يلتذ ولا يفرح حتى تعود.

واحتج بقوله تعالى «الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى» الآية.

وذكر ابن منده أن أهل الأثر على المغايرة ، وأن قوام النفس بالروح والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها ، ولا عدو أعدى لابن آدم من نفسه لا تريد سوى الدنيا والروح تدعو إلى الآخرة وتؤثرها.

وقال الصوفية إن النفس هى الأصل فى الإنسان ، فإذا صقلت بالرياضة وأنواع الذكر والفكر صارت روحا ، ثم قد تترقى إلى أن تصير سرا من أسرار الله تعالى.

ومعنى ذلك أنهم قائلون بالوحدة الذاتية بين النفس والروح ، غير أن النفس هى الأساس عندهم فإذا صقلت تحولت إلى روح ثم إلى سر من أسرار الله تعالى وحكى قولهم بالوحدة غير واحد والقول بالوحدة الذاتية بينهما هو الذى عليه الأكثرون واعتمده ابن القيم ، وهى على وحدتها قابلة لمعالى الأمور وسفسافها كما قال تعالى: «فألهمها فجورها وتقواها».

مصطفى الطير

تطوير القوانين على ضوء أحكام الشريعة الإسلامية

للأستاذ عبد الناصر توفيق العطار

من المعروف أن الفقه الإسلامي تعرض لبيان حكم الله تعالى في معظم العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين الناس . وقد استنبط علماء المسلمين أحكام الشريعة الإسلامية من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على نحو يقيم العدل والأمن والنظام ويحقق مصالح العباد في المعاش والمعاد . ومن هذه الأحكام تلك التي تنظم معاملات الناس المالية ، وهي تلك التي نعبر عنها اليوم بالقانون المدني والقانون التجاري .

ولقد كانت معاملاتنا المالية محكومة بالشريعة الإسلامية حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، ثم بدا لأولى الأمر في مصر أن يستعيروا أحكام القانون الفرنسي لحكم هذه المعاملات تحت عديد من الظروف ، فصدر القانون المدني المختلط ثم القانون المدني الأهلي ثم ألغى كل من هذين القانونين وحل محلهما القانون المدني الحالي رقم ١٣١ لسنة ١٩٤٨ م الذي عمل به اعتبارا من ١٥ أكتوبر ١٩٤٩ م غير أن المشرع المصري لم يستطع أن يغفل ضغط الجماهير ورغبتها في استمرار العمل بأحكام الشريعة الإسلامية ، فضلا عن أنه وجد في مبادىء هذه الشريعة عدلا أوفى ونظاما أدق ، فحاول التقريب بين اتجاه الأخذ بالقانون الفرنسي واتجاه العمل بأحكام الشريعة بأن ضمن القانون المدني بعض الأحكام التي تشير إلى أنه اتخذ في سبيل هذا التقريب مسلكين أحدهما أنه قنن بعض أحكام الشريعة الإسلامية وجعلها « مواداً » في القانون المدني ، والآخر أنه جعل الشريعة الإسلامية مصدراً احتياطيا للقانون المدني .

فالمشرع المصري قام بتقنين كثير من مبادىء الشريعة الإسلامية وجعلها مواداً في القانون المدني واجبة التطبيق في المحاكم ، من ذلك أحكام أهلية القاصر والمجنون والسفيه وذي الغفلة وأحكام نظرية التعسف في استعمال الحق ومبدأ

الحوادث الطارئة وحوالة الدين والإبراء منه وأحكام مجلس العقد وخيار الرؤية فى البيع والغبن فى بيع القاصر وبيع المريض مرض الموت وتبعة الهلاك فى المبيع والهبة وغرس الأشجار فى الأرض المؤجرة وإيجار الأراضى الزراعية وإيجار الوقف والحكر وفسخ الإجارة بالعذر والقسمة وأحكام العلو والسفل والحائط المشترك ومبدأ لا تركة إلا بعد سداد الدين . . . ، وكلها أحكام لها أهميتها البالغة فى الحياة العملية .

من جهة أخرى جعل المشرع المصرى الشريعة الإسلامية مصدراً رسمياً احتياطياً للقانون المدنى يجب على القاضى الرجوع إلى أحكامه وتطبيقها وذلك إذا لم يجد نصاً تشريعياً يحكم النزاع المعروض عليه أو لم يجد عرفا جرى العمل عليه لحل هذا النزاع . وعلى هذا الأساس أصبح كل من الفقيه والقاضى مطالبا بالرجوع إلى أحكام الشريعة الإسلامية لاستكمال أحكام القانون المدنى فيما لم يرد فيه نص تشريعى أو عرف . وقد كانت هذه خطوة نحو العودة إلى أحكام الشريعة الإسلامية وكان يمكن أن تكون بادرة خير للأمة تقتضى إحياء دراسات الشريعة الإسلامية ، ومع ذلك كانت هناك ظروف كثيرة حالت دون تحقيق الآمال التى كان يمكن تحقيقها من هذه الخطوة ، منها أن القاضى أصبح مشغولا بعديد من القضايا التى لا يتمكن معها من تقصى أحكام الشريعة الإسلامية فى كتبها القديمة والاستنباط منها ، خصوصا وأن معظم هذه الكتب غير مفهرس بكفاية ومطبوع طبعا تجاريا ، كما أن القاضى خريج كليات الحقوق على غير إلمام واسع بهذه الكتب وطرق استخراج الأحكام منها . مما يصعب معه عليه معرفة موضع الحكم المنشود فى هذه الكتب فوق استنباط الحكم منها . وكان يمكن تحقيق نوع من التيسير على القاضى والإلمام بأحكام الفقه الإسلامى عن طريق تعديل مناهج كليات الحقوق بإضافة بعض العلوم الإسلامية التى تؤهل للتفقه فى الشريعة الإسلامية أو عن طريق تخريج جيل من خريجى جامعة الأزهر لديه إلمام بأحكام القانون الوضعى إلى جانب درايته بأحكام الفقه الإسلامى ، وقد تحقق هذا الأمر أخيرا بتطوير كلية الشريعة والقانون وإدخال تدريس المواد القانونية بها ، وإن كان عدد خريجيها

لا يبلغ الآن ثلث خريجى كلية واحدة من كليات الحقوق ، وتقتضى المصلحة العامة التوسع فى سياسة القبول بها ، ذلك أنها كلية من رسالتها تخريج عالم الدين المثقف بثقافة قانونية وكذلك تخريج رجل القانون المثقف بالعلوم الدينية .

من جهة أخرى كان يمكن لفقهاء القانون المصرى أن يبذلوا مزيدا من الجهد فى دراسة الفقه الإسلامى ، وأن يولوه من العناية بعض ما يبذلون من جهد فى دراسة القانون الفرنسى مثلا . ومن الحق أن نشير إلى أن بعضهم أخرج دراسات ممتازة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون ، كذلك أسهمت عدة رسائل « دكتوراه » فى إيجاد نوع من هذه الدراسة المقارنة . . ونذكر هنا — على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر — بعض هذه الدراسات ، فنها « مصادر الحق فى الفقه الإسلامى » ستة أجزاء للدكتور عبد الرازق السنهورى ، ومنها مذكرات على الآلة الكاتبة للشيخ على الخفيف لدبلوم الشريعة الإسلامية بكلية حقوق القاهرة عن الرهن والكفالة والدين . . . ومنها البيع للدكتور محمد يوسف موسى ومنها النظرية العامة للالتزامات فى الشريعة الإسلامية للدكتور شفيق شحاته ، ومنها النظرية العامة للموجبات والعقود فى الشريعة الإسلامية للدكتور صبحى محمصانى ومنها الفقه الإسلامى فى ثوبه الجديد للدكتور مصطفى الزرقا ، وكلها كتب مطبوعة فى القاهرة ولبنان وسوريا . . . ومن رسائل الدكتوراه بكلية الشريعة والقانون : الوكالة للأستاذ محمد زكريا البرديسى والشروط فى الفقه للدكتور حسن الشاذلى وكلاهما على الآلة الكاتبة ومن رسائل الدكتوراه المطبوعة والتى نوقشت بكلية الحقوق بجامعة القاهرة « نظرية تحمل التبعة » للدكتور محمد زكى عبد البر و « الحجر على المدين » للدكتور أحمد الخطيب « والمسئولية عن فعل الغير » للدكتور سيد أمين « والأجل فى الالتزام » للدكتور عبد الناصر العطار كاتب هذا المقال و « الغرر » للدكتور صديق الضرير وكلها رسائل تقارن بين الشريعة والقانون وتقترح الكثير لتطوير القانون المدنى على ضوء أحكام الشريعة الإسلامية . . . وغير ذلك كثير وكثير لعلمائنا الأفاضل .

وكلها يهدف إلى أن تكون الشريعة الإسلامية ـ ليست فقط المصدر الرسمى الاحتياطى للقانون ـ بل كذلك المصدر الرسمى الأصلى أو على الأقل يصدر قانون مدنى جديد مقننا لأحكام الشريعة الإسلامية فتكون الشريعة مصدراً تاريخيا لكل أحكامه ومصدراً احتياطيا فيما سكت عنه النص التشريعى . ولقد بذل بعض فقهائنا محاولات لتقنين الفقه الإسلامى أشهرها محاولة « قدرى باشا » فى تقنين المذهب الحنفى، ثم ها هو ذا مجمع البحوث الإسلامية يتبنى هذه المحاولات ويشكل لجانا لتقنين أحكام الشريعة الإسلامية نرجو لها من الله كل توفيق .

على أننا قبل أن نختم هذا المقال نشير إلى أن القانون المدنى الحالى أجاز أمرين يخالفان أحكام الشريعة الإسلامية مخالفة صارخة وينبغى بالتالى تعديل أحكامه فيهما، أولاهما: أن القانون المدنى أجاز تقاضى فوائد ربوية فى الديون المدنية والتجارية بحد أقصى هو سبعة فى المائة والثانى: أنه أجاز بعض أنواع المقامرة . فإذا أردنا أن نسير خطوة فى تطوير القانون المدنى على أساس من الشريعة الإسلامية وجب علينا أن نلغى هذه المواد منه لمجافاتها لمبادىء الإسلام، ولمبادىء العدالة وأصول القواعد القانونية ذلك أن الربا أبشع أنواع استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، وقد اتجهت النظم الحالية إلى إلغائه فى الديون الزراعية وبقى أن تلغيه من نصوص القانون المدنى ، وكذلك الحال بالنسبة لأنواع المقامرة . وليس من العدل أن نفترض الخطأ فى جانب المدين لمجرد تأخيره فى الوفاء بالدين ولا نجيز له إثبات عذر له فى هذا التأخير، كما تقضى نصوص القانون المدنى فى الربا ، كذلك ليس من العدل أن تفترض هذه النصوص أن ضررا أصاب الدائن من تأخير المدين الوفاء بالدين مع أن الدائن قد لا يفوته نفع وقد تلحق به خسارة إذا تأخر المدين فى الوفاء بالدين له . ولا يعدم القانون وسيلة أخرى غير الربا لحمل المدين على الوفاء بدينه ومن المقرر فى الشريعة والقانون أن من أصابه ضرر، ولو كان دائنا الحق فى طلب التعويض عن هذا الضرر طبقا لقواعد المسئولية التقصيرية أو العقدية وبمقدار هذا الضرر ، دون أن يتحدد هذا التعويض مقدما بنسبة ربوية بمقتضى القانون الذى

لا يأبه لوقوع الخطأ والضرر بالفعل بل يفترضهما افتراضا . لقد حرم الله عز وجل الربا بنصوص قاطعة ، كما حرم كل أنواع المقامرة فقال جل شأنه: «الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه ، فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون» وقال عز وجل فى تحريم المقامرة: «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون » !! .

د • عبد الناصر توفيق العطار

تعلن الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية عن قبولها لبحوث علمية فى : القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

يتولى المجمع طبع البحث وتقدير مكافأة لصاحبه ، يمكن أن ترسل البحوث فورا باسم فضيلة الدكتور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، أو تسلم بمكتب الأمانة العامة للمجمع .

وعض ألأذيب

يفترون على الله الكذب

للدكتور محمد رجب البيومي

ماذا يكون شعورك إزاء من يحدثك حديثا يجمع الحق والباطل ويمزج الصدق بالكذب ويخلط الغث بالسمين فتصيخ إليه دون أن تجزم برأي فيه .. ثم لا يكاد ينتقل من مجلسك حتى ينسب إليك كل ما صبه في سمعك من أقاويل ! معلنا أنه تلقفه عنك وسمعه منك ، فأنت مصدره الأول ، وصاحب مبتدئه ومنتهاه ؟ إن هذه الصورة البغيضة التي ينكرها الخلق ويأباها الذوق ، ويمجها العقل تجد شبيهها التام ، في تراثنا الإسلامي الحافل ، حين تجد نفرا من أهل الكتاب ، قد تدسسوا إلى كتاب الله فلثوه بالإسرائيليات الكاذبة وكادوا لا يتركون نبيا من أنبياء الله قص القرآن حديثه حتى أحاطوه بأكاذيب مختلقة فأخذوا يحرفون الكلم عن مواضعه في تأويل آية ، وتخريج نص لينطقوا القرآن بما لا يريد! ثم يمضي الزمان فيجيء أحفادهم من المستشرقين في العصور القريبة لينقلوا هذه الإسرائيليات من شتى التفاسير القرآنية لا على أنها أخاليط أهل الكتاب من المتقدمين بل على أنها رأى الإسلام جاء به القرآن وتناقلته العلماء وامتلأت به كتب التفسير والتاريخ ثم تجدهم يقولون في النهاية .

« هذا ما اتفقت عليه الرواية اليهودية والرواية الإسلامية أو هذا رأى القرآن ورأى التوراة معا » ، ولك أن تقرأ ما يسمى بدائرة المعارف الإسلامية لتجد ما ينحو هذا المنحى فيما يقال عن الأنبياء والمرسلين بل أنه يتعدى ذلك إلى مسائل الكون المختلفة ، وحكاية الخلق الوجودي للسماء والأرض ، والهواء والماء والجبال والإنسان والحيوان ! وتلك إحدى عن العلم المعاصر التي لا انكشاف لها دون مواصلة النقد والتفنيد .

ولو أن هؤلاء المتأخرين من أحفاد أهل الكتاب كانوا يجهلون مصادر هذه

الإسرائيليات فى الكتب الإسلامية ، لكان الجهل مذرم القائم فى تلبيس الحق بالباطل ولكنهم يعلمون حقيقة العلم ما اقترفه أسلافهم من الإفك حين حملوا على القرآن الكريم ما لا تنطق به نصوصه من الأقوال ، بل أنهم ليتباهون فى تشدق حين يعلنون أن أمثال كعب الأحبار ووهب بن منبه وابن سلام قد أشاعوا الثقافة اليهودية فى صدر الإسلام ، حتى ليقول قائلهم فى ذلك .

« ولقد كان إسلام هؤلاء عند الناس فوق التهمة والكذب ، ورفعوا إلى درجة أهل العلم الموثوق بهم ولم تكن التعاليم الكثيرة التى أمكن أن يستقيها ابن عباس والتى اعتبرها من تلك الأمور التى يرجع فيها إلى أهل الدين الآخر مقصورة على المسائل الإنجيلية والإسرائيلية ، فقد كان يسأل كعباً عن التفسير الصحيح لأم القرآن والمرجان مثلا ، وقد رأى الناس فى هؤلاء اليهود أن عندهم أحسن الفهم ـ على العموم ـ فى القرآن وفى كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وما فيهما من المعانى الدينية ورجعوا إليهم سائلين عن هذه المسائل بالرغم من التحذير العديد من كل جهة من سؤالهم »[1]

وهذا الكلام مردود فى أكثر نواحيه ، ونحن لا نستدل به هنا إلا لنؤكد معرفة هؤلاء بحقيقة هذه الإسرائيليات وبمصادرها البعيدة عن نصوص القرآن ، هذه المعرفة التى كانت تمنعهم من إلصاق هذه الأقاويل بالإسلام لو اعتصموا بمنطق البحث النزيه ! وأنى لهم ! ولكن الذى يسر لهم هذا التلفيق هو ما اندفع إليه أمثال السدى والكسائى والثعلبى والخازن والطبرى أحياناً من الإسهاب فى تفصيل هذه التخرصات ومحاولة إلصاقها بنصوص الكتاب الكريم وذلك أمر مهد إليه بعض السابقين فى صدر الإسلام حين أذنوا لأمثال كعب الأحبار أن يلجوا مولجاً يغشونه بالظلمات ، وقد ألمع ابن خلدون إلى تعليل ذلك حين قال فى مقدمته .

« إن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة

---

(١) « المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن » لجولد زيهر الترجمة العربية .

والأمية وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية من أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى ، وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي لا يحتاطون لها مثل بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك ، وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض ، أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل ، وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات »[1]

وسنضرب الآن مثلا واحدا لهذا التلفيق المتعمد حمل على الإسلام فيه ما لم يكن منه ثم مضت للمقالة الصريحة فيما يسمى بدائرة المعارف الإسلامية بأن هذا مما اتفقت عليه العربية واليهودية معا ؟ والقرآن منه برىء برىء .

جاء الإسلام فرفع من شأن المرأة إذ كانت من قبله متاعا يشترى ويباع ، فرد عليها كرامتها وجعلها شقيقة الرجل إذ خلقنا الله من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، فلهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، ولم تكن المرأة أحبولة الشيطان أو العقرب التي لا يسلم منها أحد كما هي عند من يقولون ذلك من الآباء والقديسين ! وحين تعرض القرآن لقصة آدم وحواء لم يفرد حواء بالذنب كما جاء في «التكوين» بل جعل الأمر بينهما مشتركا في أكثر من آية ! ومع وضوح النصوص الصريحة في ذلك فإن الذي كتب مادة حواء في العدد الرابع من المجلد الثامن من دائرة المعارف الإسلامية ص ١٣٩ قد قال ما نصه : «وعلى حواء (سورة الأعراف آية ٢٠) معظم الوزر في الخطيئة فقد أغواها إبليس فأكلت من شجرة الشر » وهذا افتراء صارخ نبه إليه أستاذنا الدكتور محمد

(١) مقدمة بن خلدون ص ٣٦٧

مهدى عـلام حسين كتب تعليقه المفحم بلهجته المهذبة المعروفة عنه فقال : « من البديهى أن الـكاتب يحمل القرآن الـكريم هنا معنى ليس فيه فالآية التى يعتمد عليها فى أن على حـواء معظم الوزر فى الخطيئة الأولى فقد أغواها إبليس فأكلت من شجرة الشر لا تشير إلى شىء من ذلك البتة وهذا نصها ونص ما قبلها وما بعـــدها من الآيات المتصلة بالموضوع » .

« ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فـكلا من حيث شئتما ولا تقربا هـذه الشجرة فتـكونا من الظالمين ، فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوءاتهما ، وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تـكونا ملـكين أو تـكونا من الخالدين ، وقاسمهما إنى لـكما لمن الناصحين ، فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما : ألم أنهكما عن تلـكما الشجرة ، وأقل لـكما إن الشيطان لـكما عدو مبين ، قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنـكونن من الخاسرين » .

وهذه الآيات صريحة فى أن وسوسة الشيطان كانت لهما « معا » وأنهما ذاقا الشجرة وأن الله تعالى ناداهما بقوله :

« ألم أنهـكما عن تلـكما الشجرة وأقل لـكما إن الشيطان لـكما عدو مبين » وقد زاد الدكتور مهدى علام المسألة جلاء ووضوحا حـين قال عقب ذلك وآيات سورة البقرة (٣٥ — ٣٧) تسير على النسق نفسه ، وتحمل كلا من آدم وحواء مسئولية الأكل من الشجرة ، على أن آيات سورة طه صريحة فى عكس ما ذهب إليه كاتب المقالة فإن يكن فيها إفراد أحد بالمسئولية فهو آدم « إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ، فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ، فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى »

قـد يبدو ـ بادى ذى بدء ـ أن إلقاء التبعة على حواء أمر لا يترتب عليه أهمية بالغة ، تدعو إلى استعظامه ، حتى نضرب به المثل لما نريد من سيطرة الإسرائيليات عـلى كثير من الروايات

الإسلامية ، ولكن الذى ينعم النظر فاحصا ما ترتب على ذلك التاريخ الماضى من احتقار شائن للمرأة هبط بها إلى أحط الدركات ، حتى أصبح القول بخطيئة المرأة وفقا لما حكاه سفر التكوين مدعاة لاستنزال اللعنات عليها دون مبرر ، وإن رسائل القديس بولس فى المسيحية لتصم المرأة بكل سوء إذ غدت مفتاح الشر وأحبولة الشيطان وقد صاح صيحته القائلة « إن آدم لم يخدع ولكن المرأة خدعت ووقعت فى المخالفة ثم اقتفى الآباء المسيحيون إثره فى غضبته الهائجة فالأب (ترتليان) يقول من بعده مخاطبا بنات حواء « أما تعلمن أن كل واحدة منكن حواء ، إن حكم الله على جنسكن لا يزال قائما فى هذا العصر : أنتن باب الشيطان ، أنتن الآكلات من الشجرة أنتن أول من خالف الشريعة الإلهية أنتن اللاتى هدمتن صورة الله بمثل هذه السهولة » ثم ترتب على ذلك القول بوراثة الخطيئة ! فكان فى المسيحية مدعاة للقول بالفداء الذى من أجله صلب المسيح فى اعتقاد القوم ! والقول بذهاب أحد الأنبياء تكفيراً عن جناية قد ارتكبها سلفه الأول مما لا تخضع له العقول السليمة ، وقد كان هذا القول العجيب مدعاة إلى الاعتقاد الزائف بأن الطفل يولد مخطئاً ، ويتطلب من يضحى بنفسه فداء هذا الخطأ فجاء المسيح ليقوم وحده بهذا الفداء الشامل لبنى الإنسان ، وقد وقف الإسلام موقف النقيض فى ذلك حين صرح بنقاء البشرية ونادى بأن كل مولود يولد على الفطرة السليمة ، وبذلك حفظ للإنسانية كرامتها واستقبلها بدءا وخاتمة بما يليق .

ولا نجد مناصا من أن ننقل عن الإصحاح الثالث بعض ما ورد عن خطيئة حواء ليرى القارئ كيف كانت نصوص القرآن بمنأى عن هذا الغلو الشائن الذى حاولت دائرة المعارف إلصاقه بالإسلام عن قصد مريب ، وهو فى مهده الأول مما نسب إلى التوراة ثم اعتقده الآباء المسيحيون اعتقادا تكررت به النصائح والإرشادات فى مواعظ الآباء وننقل بجوفا مضحكا عن القديسين بولس وترتليان وتوتى وجيروم وسيبريان وبرنار ، وهو من الإسلام بعيد بعيد !! جاء فى الإصحاح الثالث « وكانت الحية أحيل حيوانات البرية التى عملها الرب فقالت للمرأة أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة فقالت المرأة للحية من ثمر

شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منها لئلا تموتا، فقالت الحية للمرأة لن تموتا، بل الله عالم يوم تأكلان منها تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهيجة اللون، وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأعطت رجلها أيضا معها فأكل فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا من أوراق التين وصنعا لأنفسهما مآزر وسمعا صوت الرب الاله ما شيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب فى وسط شجر الجنة فنادى الرب آدم، وقال له أين أنت فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت قال من أعلمك أنك عريان هل أكلت من الشجرة التى وصيتك ألا تأكل منها؟ فقال آدم للمرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت قال الرب للمرأة ما هـذا الذى فعلت فقالت المرأة: الحية أغوتنى فأكلت» الخ.

هذا نص الاصحاح! وقد تقدم نص القرآن!

فليت شعرى أيجوز بعد قراءة النصين أن تقول ما تسمى بدائرة المعارف الإسلامية (العدد الرابع من المجلد الثامن ص ١٣٦ من الترجمة العربية: (وعلى حواء فى سورة الأعراف معظم الوزر فى الخطيئة الأولى فقد أغواها إبليس فأكلت من شجرة الشر! أم كان الألزم الآكد أن تقول إن إلقاء التبعة على حواء وحدها أمر سجله الإصحاح الثالث وكرره الآباء المسيحيون، ونفاه القرآن نفيا أكيدا، فأوصد بابا للشر أخذ يقذف باللهب المستمر فى وجه المرأة أحقابا طوالا، وصار ــ وفقا لذلك ــ بعض ما حققه الإسلام للمرأة من مكرمات.؟

د. محمد رجب البيومى

في تاريخ التصوف الإسلامي

للأستاذ نور الدين شريبه

— ٢ —

قلنا: إن الصوفية اشتهروا بأسماء أخرى غير هذا الاسم في بقاع مختلفة من العالم الإسلامي.

١ — فكانوا يدعون «قراء» نسبة إلى قراءة القرآن والزهد [1] يقول صاحب تاج العروس «القراء ككتان الحسن القراءة جمعه قراءون ولا يكسر. والقراء كرمان الناسك المتعبد، قال القراء أنشدني أبو صدقة الدبيري — الصحيح أنه قول زيد بن ترك الدبيري:

ولقد عجبت لكاعب مودونة
أطرافها بالحلى والحناء

بيضاء تصطاد الغوى وتستبي
بالحسن قلب المسلم القراء [2]

[١] اللباب: ٢٤٨/٢

[٢] تاج العروس: ١٠١/١ وانظر كذلك استعمالات مختلفة للفظ في تاريخ بغداد: ٤٤٦/٣، طبقات السلمي: ١١، ٥٤٥، الرعاية للمحاسبي ٨، ٩، ١٠ ذيل الأمالي ٤٦.

وكان عون بن عبد الله بن عتبة أبو عبد الله الزاهد الكوفي من عباد الكوفة وزهادهم، توفي سنة بضع عشرة ومائة. وقد قال جرير يمدحه:

يا أيها القارىء المرخى عمامته
هذا زمانك أني قد خلا زمني [1]

٢ — كما استعملوا كذلك لفظ المذكر في الدلالة على الصوفي. والمذكر من يذكر الناس ويعظهم [2] قال عبد الرحمن ابن مهدي، قال لي سفيان الثوري: «أما لكم مذكر؟» قال قلت: «بلى لنا قاص». قال: «قربنا إليه» قال: فذهبت معه ما بين المغرب والعشاء فلما انصرف قال: «ياعبد الرحمن. تقول قاص هذا نذير قوم» يعني صالحا المري المتوفى سنة ١٧٦هـ [3]

[١] تهذيب التهذيب: ١٧١/٨ — ١٧٣

[٢] اللباب: ١١٩/٣

[٣] تهذيب التهذيب ٣٨٧/٤، ٣٨٨

٣ — وكانوا يدعون الغرباء لخروجهم عن أوطانهم [١] .

٤ — ويدعون المطوعة : لأنهم فرغوا أنفسهم للغزو ومرابطة الثغور ، وقصدوا جهاد العدو فى بلادهم ، لا إذا قصد العدو بلاد الإسلام ، وقد اشتهر الصوفية الأوائل بالرباط والمجاهدة [٢]

٥ — وكانوا يسمون كذلك السياحين لكثرة أسفارهم [٣] والمشهور بالسياحة أبو جعفر السائح أحد الزهاد ، روى عنه جعفر بن أبى جعفر الرازى ، وأحمد بن إبراهيم السائح حدث عن يحيى بن عبدالله البابلتى [٤] .

٦ — وكان الواحد منهم إذا تنسك فى ذلك الزمان — القرن الثانى — قيل له دورق . وكان إبراهيم بن كثير بن زيد ابن أفلح العبدى ، والد يعقوب أبى يوسف صاحب أبى حنيفة المتوفى سنة ٢٤٦ هـ ، قد تنسك فقيل له الدورق [٥] ولعل ذلك آت من النسبة إلى القلانس الدورقية [١] .

٧ — وأهل الشام يسمونهم جوعية ، لأنهم إنما ينالون من الطعام قدر ما يقيم الصلب للضرورة [٢] .

٨ — وفى كثير من سياحاتهم يأوون إلى المغارات والكهوف عند الضرورات ، فيسميهم أهل خراسان شكفتيه ، والشكفت بلغتهم الغار والكهف [٣] .

٩ — ولعل من أقدم ما أطلق على الصوفية لفظ القصاص ، وعلى المفرد القاص . وهى نسبة إلى القصص وللمواعظ ومحمد بن قيس القاص ، قاص عمر بن عبد العزيز كان يقص بالمدينة يروى عن أبى هريرة ، روى عنه سليمان التيمى (٤٦ — ١٤٣ هـ) والليث بن سعد . يقول عبدالله بن عمر بن الخطاب : لم يقص على عهد النبى ﷺ ولا أبى بكر ولا عمر ولكنه شىء أحدثوه

---

[١] التعرف : ٦
[٢] اللباب : ٣ ، ١٥١ .
[٣] التعرف : ٦
[٤] اللباب : ١ ، ٥٢٦ .
[٥] اللباب : ١ ، ٤٢٨ .

[١] التعرف : ٦ وانظر الحديث عن القاسم بن عثمان الجوعى المتوفى سنة ٢٤٨ هـ ، اللباب ١/٢٥٢ ، عوارف المعارف : ١/١٣٤ .
[٢] التعرف : ٦ ، عوارف المعارف : ١/١٣٣
[٣] اللباب : ٢/٢٣٦ .

بعد قتل عثمان [١]. وسيأتي مزيد إيضاح لهذه النقطة.

١٠ — وسماهم آخرون النساك، والنسك والنسك العبادة والطاعة وكل ما تقرب به إلى الله تعالى، وسئل ثعلب عن الناسك ما هو؟ فقال: «هو مأخوذ من النسيكة وهي سبيكة الفضة المصفاة كأنه خلص نفسه وصفاها لله عز وجل [٢].

اشتقاق التسمية:

الخلاف قديم في الأصل الذي اشتق منه التصوف والصوفية وهذا الخلاف - وإن لم يكن وراءه - كبير فائدة إلا أنه يعكس لنا مفهوم اللفظ وتطوره خلال القرون الأربعة الأولى.

ذكروا أن اللفظ مشتق من: «صوف»، أو: «ص ف و»، أو «ص ف ف». فنسبوهم إلى الصوف، وإلى الصفاء، وإلى الصف، وإلى الصفة - صفة مسجد الرسول بالمدينة - وإلى رجل اسمه صوفة، وإلى صوفة القفا، وإلى الصوفانة وإلى الكلمة اليونانية «سوفيا [٣]» وإلى كلمة أخرى يونانية هي «ثيوسفيا» [١].

١ — (أ) يرى الكلاباذي أن من نسبهم إلى الصوف فإنه عبر عن ظاهر أحوالهم، وذلك أنهم قد تركوا الدنيا. لم يأخذوا إلا ما لا يجوز تركه من ستر عورة وسد جوعة ومن لبسهم وزيهم سموا صوفية، لأنهم لم يلبسوا الحظوظ النفس ما لان مسه وحسن منظره، وإنما لبسوا لستر العورة، فاجتزءوا بالخشن من الشعر والغليظ من الصوف [٢] وهكذا أن جعل مأخذه من الصوف استقام اللفظ وصحت العبارة من حيث اللغة [٣].

ويرى أبو نصر السراج أن نسبتهم إنما هي إلى ظاهر اللبسة، لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء، وتكثر في ذلك الروايات والأخبار، فلما أضفتهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك اسما مجملا عاما مخبرا عن جميع العلوم والأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة [٤].

والقشيري - وإن اعترض على هذا

---

[١] تاريخ بغداد: ٢، ١٠٩

[٢] لسان العرب ١٢، ٣٩٠

[٣] التصوف ثورة الإسلام الروحية: ٢٩.

[١] ماسينيون: دائرة الإسلامية مادة، تصوف.

[٢] التعرف ٥، ٦.

[٣] المصدر السابق: ٩.

[٤] اللمع: ٢١، ٢٢

الاشتقاق- إلا أنه يرى له وجها فهو يقول: وأما قول من قال إنه من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف، كما يقال: تقمص إذا لبس القميص، فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف [1].

وفى سنة ١٨٩٤م كتب الأستاذ نولدكه The Nöldeke وهو يومئذ أستاذ اللغة العربية فى جامعة استراسبورج - مقالا [2] دلل فيه على أن الكلمة مشتقة من الصوف الذى اتخذه الزهاد ثيابا وساق فى ذلك صورا منها:

ذكروا أن الحجاف بن حكيم بن عاصم ابن قيس القيسى ثار وقومه من قيس ببكر وتغلب فى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة ووقع بينهم من الفظائع والحروب ما وقع [3] فى عهد عبد الملك بن مروان. وهرب الحجاف بعد فعله، وتفرق عنه أصحابه ولحق بالروم، ثم عفا عنه عبد الملك وأمنه، ودخل عليه فى جبة صوف. ثم تأله الحجاف بعد ذلك واستأذنه فى الحج فأذن له فخرج فى المشيخة الذين شهدوا معه وقد لبسوا الصوف وأحرموا وأبروا أنفهم- أى خرموها وجعلوا فيها البرى- ومشوا إلى مكة فلما قدموا المدينة ومكة جعل الناس يخرجون فينظرون إليهم ويعجبون منهم. قال: وسمع ابن عمر الحجاف وقد تعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم اغفر لى وما أراك تفعل. فقال ابن عمر يا هذا لو كنت الحجاف ما زدت على هذا القول. فقال: فأنا الحجاف [1]

ومما يدل على أن التصوف كان علم زهد وعبادة ما رواه صاحب الأغانى قال: «لما تنسك أبو العتاهية ولبس الصوف أمره الرشيد أن يقول شعرا فى الغزل فامتنع فضربه الرشيد ستين عصا [2] ويقول «لبس أبو العتاهية كساء صوف ودراعة صوف وآلى على نفسه ألا يقول شعرا فى الغزل فأمر الرشيد بحبسه والتضييق عليه [3].

(ب) ويقول آخرون أن الصوفى مشتق

---

[1] الرسالة القشيرية ١٦٤

[2] مجلة المستشرقين الألمانية سنة ١٨٩٤ ص ٤٥ وما بعدها.

[3] الأغانى: ١١- ٥٧ - ٦٣

[1] المصدر السابق: ١١ - ٦١

[2] الأغانى: ٣ - ١٤٠

[3] المصدر السابق: ٣ - ١٦٠، ١٦٤

من الصوفة وذلك أنهم لما آثروا الذبول والخمول . كانوا كالصوفة المرمية التى لا يرغب فيها ، فيقال صوفى نسبة إلى الصوفة كما يقال كوفى نسبة إلى الكوفة [١] .

(ج) وقيل : بل هى نسبة إلى صوفة أبى حى من مضر وهو الغوث بن مر ابن أد بن طابخة . . . سمى صوفة لأن أمه جعلت فى رأسه صوفة وجعلته ربيطا للكعبة يخدمها . . . أو هم قوم من أفناد القبائل ، تجمعوا فتشابكوا كتشابك الصوفة [٢] .

وهذه النسبة بعيدة ، فلم يؤثر عن العرب أنهم استعملوا فى الجاهلية أو فى عصر الخلافة الراشدة كلمة صوفى منسوبة هذا النسب .

(د) وقيل بل هى مشتقة من صوفة القفا ، أى جلد الرقبة أو شعرها المتدلى [٣] . وما قيل عن الوجه السابق ينطبق على هذا .

(هـ) ونسبها آخرون إلى الصوفانة — وهى بقلة زغباء قصيرة [٤] . والنسبة إلى الصوفانة صوفانى لا صوفى ، فليس ذلك سائغا فى اللغة .

٢ — وقالت طائفة : إنما اشتق ذلك من الصفاء أو الصفو .

(ا) فأما اشتقاقه من الصفاء فبعيد فى مقتضى اللغة [١] لأن قياس النسبة فيها صفائى .

(ب) وأما أنها من الصفو ، وأن هذا الاسم فى الأصل صفوى ، فاستثقل ذلك وجعل صوفيا [٢] .

سئل أبو الحسن على بن عبد الرحيم القناد عن معنى الصوفى : فقال : « مأخوذ من الصفاء ، وهو القيام لله عزوجل فى كل وقت بشرط الوفاء » [٣] . وهذا وإن كان مقبولا من حيث الدلالة والمعنى إلا أنه من حيث اللغة مردود .

* * *

٣ — وأما اشتقاقه من ص ف ف

(ا) فقال قوم هو منسوب إلى أهل الصفة وذلك لقرب أوصافهم من أوصاف أهل

---

[١] عوارف المعارف : ١ — ١٣٠
[٢] تاج العروس : ٦ — ١٧٠
[٣] القاموس المحيط : ٣ — ١٦٤
[٤] ماسينيون دائرة المعارف الإسلامية مادة تصوف . تاج العروس : ٦ — ١٧٠

[١] الرسالة القشيرية : ١٦٥
[٢] عوارف المعارف ١ — ١٣١
[٣] اللمع : ٢٦

الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] .

ومن قال أنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي [٢] . وهو وإن كان صحيحا من حيث المعنى ـ لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك ـ إلا أنه لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي [٣] .

(ب) وقال آخرون إنما سموا صوفية

[١] التعرف : ٥ ، ٧ اللمع : ٢٧

[٢] الرسالة القشيرية : ١٦٥

[٣] عوارف المعارف : ١ — ١٣١

لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم وإقبالهم بقلوبهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه [١] .

وقول من قال إنه مشتق من الصف ، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى فالمعنى صحيح ، ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف [٢] .

نور الدين شريبة

[١] التعرف : ٥ عوارف المعارف: ١ـ ١٣١

[٢] الرسالة القشيرية: ١٦٥

مجمع البحوث الإسلامية

يسر الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية أن تدعو المهتمين بالشئون الإسلامية في مختلف بلاد العالم إلى الكتابة في موضوع :

« التخطيط لسير الدعوة الإسلامية في العالم »

وستمنح البحوث المختارة جوائز مالية على نطاق واسع . وستعمل الأمانة على نشرها في « مجلة الأزهر » وفي رسائل خاصة . ويرجى من المتقدم أن يوضح اسمه وعنوانه كاملين وآخر موعد لتقديم البحوث أول رمضان سنة ١٣٨٩ هـ .

والله الموفق والهادي إلى أقوم سبيل ؟

دور علماء الأزهر فى المعركة

للواء : حسن البدرى

يسر المجلة أن تنشر هذه الكلمة التى ألقاها ـ باسم السيد وزير الحربية ـ السيد اللواء : حسن البدرى مدير «أكاديمية» ناصر العسكرية العليا فى قاعة ـ حراء ـ بالديوان العام لوزارة الأوقاف فى الاجتماع الذى عقد لدعم القيم الدينية فى نفوس قواتنا المسلحة وأثرها فى إحراز النصر .

إن العمل الطيب والجهود المثمرة لعلماء الدين والوعاظ فى شتى مجالات القوات المسلحة يعود إليه الفضل الأول فى ترسيخ عقيدة القتال والإصرار على إحراز النصر ، وهو السند المتين فى رفع وتقوية الثقة بالسلاح والنفس والقائد والقضية .

وتعلمون سيادتكم أن السيد وزير الحربية بمجرد أن تولى أمر القوات المسلحة فى منتصف يونيو ١٩٦٧ عمل على إعادة تشكيل البناء العسكرى العربى من أساسه ، ومنذ اليوم الأول اختط سيادته سياسة للتوعية الدينية ، إيمانا منه بدورها العظيم فى الحرب ، وفى الصراع ضد الصهيونية الإمبريالية التى تتربص بمصالح العرب ، وكانت توجيهات وزير الحربية فى هذا الشأن شديدة الوضوح ، إذ حدد للتوعية الدينية هدفين أساسيين هما :

١ — إزالة الآثار المعنوية السيئة التى ترتبت على جولة يونيو ١٩٦٧ .

٢ — إعادة بناء معنويات القوات المسلحة على عقيدة راسخة من الإيمان بما يضمن للعرب أقوى سلاح ويزودهم بأنبل الحوافز لإحراز النصر بإذن الله .

وتنفيذاً لهذه السياسة الرشيدة وضعت وزارة الحربية فى المقام الأول ضرورة الوصول بالمقاتل العربى إلى مستوى المناضل ذى العقيدة ، المليء بالإيمان ، المشحون بقوة إيجابية تدفعه إلى استرخاص النفس والنفيس ثمنا لإحراز النصر ، وفى هذا المجال تؤمن القوات المسلحة بدور علماء

الدين والوعاظ ، وتعتمد على جهـودهم الـكبيرة فى تحقيق الهدفين سالفى الذكر .

لقد قدم علماء الدين والسادة الوعاظ أمثلة جديرة بالإعجاب ، ولم يدخروا وسعا فى العمل على إزالة الآثار المعنوية السيئة التى سببتها النكسة ، وإعادة بناء المعنويات بالإيمان والتوعية الدينية الرشيدة ، وكان سبيلهم إلى ذلك هـو الالتحام مع أفراد القوات المسلحة ومشاركتهم الحياة فى السراء والضراء ، وبخاصة فى جبهة الحرب وأثناء احتدام القتال :

وكانت هذه المبادرة من السادة الوعاظ شجاعة وتضحية قدرها لهم رجال القوات المسلحة وأخذوها مثلا يحتذى .

فهذا الواعظ المؤمن المجاهـــد الذى يشاهده الجنـد واقفا تحت النـار ، يعلو صوته فوق صوت المعركة ، وهو يبشر المقاتلين الصابرين بحسن الثواب ويبث فى قلوبهم الطمأنينة والثقة والإصرار على إتقان فنون القتال ، هذا الواعظ إنما يؤدى رسالة لا يستقيم نجاح القتال دونها ، ولا تجدى الكثرة من الأفراد أو الوفرة من آلات الحرب الصماء شيئا بغيرها .

ولهذا كان طبيعياً أن تحفظ القـوات المسلحة للسادة الوعاظ جيلهم وتقـــدر جهودهم ، وأن تنزلهم فى رحابها منزلة الأخ الشقيق ، يشاركون أشقاءهم الجنود فى كل ضروب الحياة العسكرية ، وليس ثمة شك فى أن هذا الالتحام قـد ترك أثرا بارزا على القدرة العسكرية القتالية أينعت ثمارها بما تحرزه قوات العـرب من نجاح ونصر فى معارك التراشق بالنيران وفى مهام عبور القناة والاشتباك مع مواقع العدو ، وفى وصول العمل العسكرى العربى إلى أعماق العدو بل وقلبه .

إن إغراق المدمرة إيلات ، وتحطيم الـكثير من طائرات العدو وتدمير مواقعه الدفاعية واستحكاماته الميدانية وأهدافه السياسية والاقتصادية الأخرى لا يعود نجاحها إلى بأس سلاح المقاتل ووفرة عتاد الحرب بقدر ما يعود إلى قـــوة إيمانه ورسوخ عقيدته .

ويعمل السادة الوعاظ على نشر التوعية الدينية بالقوات المسلحـة معتمدين على ثلاث قواعد هى :

١ — ربط التقاليد العسكرية العربية بالدين الحنيف .

٢ — التزام كافة أعمال التدريب وأنشطة القتال بتعاليم الدين وأحكام السنة ومآثر السلف الصالح .

٣ — علاج النقائص بأوامر ونواهى القرآن الكريم .

هذا وقد نشطت أجهزة التوجيه المعنوى تعمل فى تعاون وثيق مع السادة علماء الدين والوعاظ لتحقيق الأهداف والغايات السامية سالفة الذكر عن طريق الكلمة المسموعة والمقروءة ، فانتشر الوعاظ فى كل مكان من القوات المسلحة ، ووصلت التوجيهات والنصائح والإرشادات إلى كافة الجنود من خلال نشرات التوعية الدينية وجريدة الاشتراكى ، التى توزع عليهم فى خنادقهم ومرابضهم .

وفى الختام أعود فأكرر ما حملنى به السيد وزير الحربية من شكر عميق وتقدير كبير لجهود السيد وزير الأوقاف وشئون الأزهر ورجال الوزارة وعلماء الدين ، وامتنان القوات المسلحة لكافة الجهود الكبيرة والمعونات الوفيرة التى يتفضلون بتقديمها طواعية لرفع الاستعداد القتالى للقوات المسلحة وتهيئة أسباب النصر العزيز للعرب بإذن الله .

وأؤكد لسيادتكم جميعا أن كافة أفراد القوات المسلحة قد جددوا العهد .

فى إصرار كامل على الجهاد حتى النهاية

فى أمل غامر بتحرير الأرض .

فى عزم أكيد على استعادة الحق .

فى إيمان عميق .

بنصر الله الذى وعد به جنده المؤمنين « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

وبعهد الله لجنوده الصابرين « وإن جندنا لهم الغالبون » .

« ويبشرى الله لجنده الصابرين « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا » .

هذا وعد وعهد وبشرى الله بالنصر المؤزر لجند العرب المؤمنين الغالبين الصابرين بإذن الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

لـــواء

حسن البدرى

مدير أكاديمية ناصر العسكرية العليا

دور الإسلام في مشكلة التربية والثقافة
بين استقرار المبادئ وتطور العلم

للدكتور محمد غلاب

لقد صار من الأمور المألوفة التي ترددها الأصوات في كل صباح ومساء أن العصر الذي نعيش فيه الآن هو عصر جديد يختلف عما سبقه من العصور اختلافاً كلياً باختراعاته التي تبهر الأبصار، وابتكاراته التي يصم دويها الأسماع. وذلك بسبب الحظ المعجز الذي ظفرت به العلوم الطبيعية والكيميائية لا سيما بعد الحرب العالمية الثانية، وبسبب الدور الذي مثلته تلك العلوم في زلزلة الأرض التي كانت البشرية تعيش عليها هادئة ساكنة، والتي كانت إلى ما قبل هذا العصر راسية راسخة، وبسبب تلك الهزات العنيفة التي أحدثتها نتائج البحوث المعاصرة في أمزجة بني الإنسان وأعصابهم وطباعهم ومعاملاتهم المتبادلة فيما بينهم.

حقا إنها حقبة جديدة تعلن بإلحاح عن حقها في تجديد التفكير والإدراك، وفي تطوير التعليم والتثقيف. وهي تحاول أن تطغى فتعرض المعارف التقليدية للخطر بسبب الطوفان الذي لا تنقطع أمواجه العاتية، ولا تقف تيــاراته المتباينة، بل المتضاربة، وما تقذف به إلى عالمنا من مجتلبات تتحدث كلها عن الكشوف العلمية التي أقلها نافع، وأكثرها مدمر، والتي هي — في أكثر الأحايين لسوء حظ الإنسانية — بين أيد شريرة، ومملوكة لنفوس خبيثة.

ومما لا شك فيــه أن هــذه الزلازل الجتاحة، تقتضى من الصفوة المصلحة العناية بالمبادىء السامية أكثر من ذى قبل، وتتطلب منهــا دقة مزج تلك المبادىء بالمواد التعليمية على صورة فنية عميقة.

غير أن مشكلة التعليم في الآونة الراهنة في كل مكان، تغلى وتفور وتباغتنا قوتها في الظروف العادية فضــلا عن ظروف المناورات السياسية التي تنسجها الأيدى المغرضة.

من أجل هذا كله كانت مشكلة التجديد عسيرة أو غير ميسورة الحل. فهنا — كما في

كل مكان آخر ـ نشاهد إحدى المعضلات الرئيسية تفرض نفسها بهيئة إجبارية لا يمكن تجنبها ، وفق معضلة التوازن الذي يجب تثبيته بين قوى التقاليد أو معرفة القواعد الأساسية والمبادىء الراسخة التي عليها تعتمد الحياة الجوهرية البشرية من جهة ، والقوى التجديدية التي تتألف من تطورات العلوم ، ومن النظريات الاجتماعية المعاصرة من جهة ثانية .

ومما لا ريب فيه أن هذه القوى تتصادم في صلابة وقسوة . وإذا لم تنجح في أن تتبادل الانسجام وأن تتسق فيما بينها اتساقاً كافياً ، فإنها سوف تتبادل الهدم والتحطيم .

ومن ثم لم يكن بد من اتحاد جميع الجهود ، أي جهود الشباب الحادة السريعة الانفعال والمندفعة إلى العمل الفوري المباشر ، وتضافرها مع جهود إخوتهم الذين أنضجتهم سابقية المعارف وتجارب الحياة لكي تنتهي على خير وفي نجاح تلك المهمة الضرورية التي تشغل ، بل تقلق من بيننا من هم أكثر وفاء للصدارة الثقافية وحسن القيادة التقدمية .

نحن الآن في حقبة من حقب التطور والانتقال . وفي مثيلات هذه الحقبة يحتاج العقلاء دائماً إلى الاسترشاد بأضواء القيادات الحكيمة ، والاستنارة بأنوار القدوة المعصومية حتى لا يهيموا في متاهات التخبط ، ولا يضلوا في صحراوات الاضطراب والارتباك . فهل نستطيع في هذه الحالة أن نستعيد ذكريات العصور الإسلامية الأولى .

وإن كان تطور الأمس يمتاز عن تطور اليوم بأنه لم يكن يسترشد بمختلف الأهواء وتباين النزعات وإنما المعارضة الرجعية هي التي كانت تقف في طريقه خاضعة للملل والأغراض فإذا استعدنا ذكريات تلك الحقب الذهبية ، ألفينا بديا أن الإسلام قد مزج بين المعارف النافعة والموروثات الصالحة وأفاض عليها من أنوار الوحي وأضواء السماء ما جعلها قمينة بخلق أمة عظيمة صالحة للبقاء والسيادة ، ومدنية رفيعة خالدة . وكأنه قد حقن جميع الشعوب التي اعتنقته بحقن حيوية جديدة هي ينبوع عملاق من ينابيع العلم والفن والمعرفة والثقافة ، كما كانت مصدراً للعقيدة الثابتة والإيمان الراسخ ، والقيم الأخلاقية العالية والمبادئ الإنسانية السامية .

لذلك كله لا يستطيع المسلمون اليوم أن يبقوا في معزل عن أية صورة من صور التجديدات العقلية ، أو التطورات الاجتماعية ، فمن المهمات الأساسية للإسلام وهو في الوقت ذاته عقيدة وتشريع أن يستمر دون أدنى توقف في أن يكون يقظا حذرا متأهبا لأن يمنح كلمة القدر معنى جديدا ، وأن يتولى على الدوام قيادة تحديد المصير ، وأن يرأس - دون أي تخل - ذلك التوازن الضروري بين التقاليد المتوارثة ، والمعارف الجديدة ، وذلك لأن الحلول المستوردة التي تقدم الينا لا تلتئم معنا لأن الطوابع المميزة لمجتمعنا تتباين في أكثر اتجاهاتها ومناهجها مع الطوابع الاستعمارية بصورتيها : القديمة والجديدة ، والرأسمالية القائمة على الأنانية البغيضة والجشع المقيت وإذن فطبائع الأشياء من جهة ، وإملاء الحاجة الملحة من جهة أخرى هما اللذان يقتضيان أن تكون مبادئنا الإسلامية هي الأسس الثابتة التي تعتمد عليها الاتجاهات الثقافية والأنظمة السياسية عندنا .

ومعنى هذا في وضوح تام أن من الداخل وحده ينبغي أن تنبثق حلول مشاكلنا التي ننقب عنها ، بل التي تتحرق شوقا إليها ، وهي أقرب إلينا من حبل الوريد .

ولا ريب أن هذا لا يتطلب منا سوى أن نفتح عيون عقولنا على القرآن الكريم حتى نجد فيه - على مستوى أفهام القادة المثقفة - ما يمكن أن يطلق عليه اسم مفاتيح المفاهيم الرئيسية لجميع أبواب المناطق الروحية والثقافية والسياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية . وهو مبدأ الاعتدال أو الوقوف في نقطة التوسط بين استقرار العدالة السماوية الأبدية ، وصيرورة التطورات الإنسانية .

في هذا العصر القلق المعذب يجب أن يبرز دور الإسلام الذي تشمل تعاليمه الناحيتين : الروحية والمادية ، أو الدين والدنيا ، وأن يقوم بمهمته الجوهرية وهي الاحتفاظ بوجهي المدنية اللذين تهددهما بالزوال أزمة الضمير المعاصر على التعاقب وهذان الوجهان هما : الدينامية الروحية والأخلاقية من جهة والعلم من جهة أخرى .

وليس المراد بالعلم هو تيكنولوجيته التي

تنتقل بطريقة آلية فحسب، ولكن المقصود على الأخص هو مناهجه وروحه التى تتنبأ وتصنع الفروض، وخصائصه، وعقيدته فى مقدرته، وامتداد متناولاته ومحتوياته .

فى الواقع أنه ليس من النادر فى عصرنا الراهن أن نسمع أصوات عدد من عظماء الباحثين الحقيقيين تهتف بوجوب كشف النقاب عن الأدعياء الذين يتطفلون على موائد العلم متخذين التهويش والتهريج والتسرع وعدم الجدية والحاجة الملحة إلى الإقناع قبل الشك والبحث والتجربة ديدنا فى كل خطواتهم وتصرفاتهم . ونحن بدورنا هنا نعلن مع أولئك الباحثين للأسف الشديد، أن لدينا الآن كثيرا من أدعياء الثقافة الذين يفعلون بها ما يفعله أمثالهم فى الغرب بإزاء العلم، فبدلا من الاقتراب بقدر المستطاع من الكمال الذى أمر به الإسلام، هم يتمدون عنه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا غير مبالين بنتائج تصرفاتهم البغيضة .

ولما كان استيفاء التفكير فى هذا الموضوع الحيوى الهام، أو رسم لوحة أمينة للثقافة النافعة والتثقيف المفيد، يحتاج إلى عرض آخر، فقد آثرنا أن نكتفى اليوم بأن نعيد إلى ذاكرات شبابنا عامة، وشباب المدارس والجامعات خاصة حتمية العناية بواجباتهم الضرورية نحو أنفسهم قبل كل شىء، فكل ما عدا هذه الواجبات يتعلق بها، لأن الشخصيات إذا كانت مصابة بالرذيلة، أو ضعيفة، أو فقيرة الينابيع، فإن كل ما تزاوله أو تمسه من قريب أو من بعيد، وبالتالى كل تصرفاتها تكون مدموغة بطابع هذه الخطايا المتأصلة، أو بالوهن المتغلغل فى الأعماق .

ولما كنا قد أشرنا آنفا إلى الواجبات الضرورية، فإنه ينبغى لنا أن نجمل هذه الواجبات هنا فى فضيلتين هامتين وهما : الشجاعة والأمانة المثالية أو الوفاء للمبدأ، وهما أساسيتان فى تكوين العقليات، وفى محيط الرياضة البدنية الجماعية التى تعد الجسم لأن يكون وعاء صالحا لجميع الإنتاجات المعنوية، ومن ثم كانت هاتان المهمتان متلازمتين تلازما كاملا .

ومعنى توافر الشجاعة والأمانة فى العقليات هو الوصول إلى جعلها مرنة إلى حد المقدرة القصوى على فهم العالم والقوى التى تعمره

وإدراك الفكر والوقائع التي يكتظ بها ، وأحداث الماضي والحاضر ، وجميع تجارب العلوم الحية ، وهي تتناول كذلك عدم التقهقر أمام عقبات العقل ومتاعب الفكر عند ما يتعلق الأمر بالبحث عن الحقيقة ، ومن ثم ينعت القرآن من يأتي بالحق ويؤمن به بأنه في مقدمة الأتقياء الفضلاء : « والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون » (آية ٣٣ من سورة الزمر) .

ومما يدخل في محيط هاتين الفضيلتين البعد عن كل ما يعرض الإنسان للمواقف المشتملة على أنصاف الحلول ، أو أنصاف الرذائل الشائنة إذا صح هذا التعبير ، أو المتشابهات القائمة بين المباح والمحظور : «ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه» .

ويجمل هذا كله أن يكون المرء بريئا نظيفا في كل ما يفعل أو يقول : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (آية ١١٩ من سورة التوبة) أي أن يتطابق القول والعمل أتم التطابق وأكمله دون أدنى لف أو دوران .

وأخيرا تتناول الشجاعة والأمانة جرأة الشباب على أن يريدوا وأن يعرفوا ، وأن يفهموا فهما ذاتيا ، وأن لا يتصرفوا البتة في تناقض مع أقوالهم «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » ، (آيتي ٢ و ٣ من سورة الصف) .

وهنا يتحتم علينا أن نتذكر أن الطلاب يظفرون بميزة خاصة لا تتيسر لغيرهم ، وهي مهمة التعلم الذي يسلحون به عقولهم مدى الحياة بفضل الوسائل التي يملكونها ، والهدوء الذي يمكنهم من تأدية رسالتهم العلمية ، والتي لا يملكها الآخرون ، وإذن فعدم الاستفادة من هذه المهمة ، أو استغلالها في أهداف نفعية خالصة كلاهما شؤم على الصالح العام ، ومتنافر مع روح الإسلام الذي يأمر بالاعتدال والأخذ بطرف كل من الروحية والمادية « ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين » ، (آية ٧٧ من سورة القصص) .

ومن هذا يتبين في وضوح أن جانبا هاما من مصير الوطن يتعلق بالتكوين العقلي والخلقي والجسمي للشباب ولهذا يجب على الناضجين أن يبذلوا جهوداً جبارة ، بل أن يفرغوا كل ما في وسعهم من قوة للعناية بهذه الناحية من نواحي الحياة .

د . محمد غلاب

أمير المؤمنين في الحديث

لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

[لقد من الله على أهل الإسلام بسفيان الثورى]
للمعافى بن عمران

— ١ —

إنه سفيان بن سعيد الثورى ، ولد سنة خمس وتسعين ، أو سبع وتسعين من الهجرة بالكوفة ، كان أبوه من ثقات المحدثين ، ولقد ذكره المؤرخون فى أئمة المحدثين الذين أخذ عنهم سفيان ، وكان من غير شك أول من لقن سفيان العلم ؛ فنشأ سفيان ـ دون اختيار منه ـ بين كتب الحديث ، وتفتحت عيناه على جو من العلم يتسم بعبير النبوة ، ويسوده جوامع الكلم ، واتجه آليا فى دراسته وجهة أبيه ، وفى ذلك يقول هو : طلبت العلم فلم تكن لى نية ، ثم رزقنى الله النية .

أى أنه طلب العلم أولا بحكم العادة البحتة ، ثم وفقه الله سبحانه لأن يقصد به وجه الله.

ولكن مما يجدر ملاحظته أن المحدثين إذ ذاك ما كانوا يأخذون على الحديث أجراً ، لقد كانوا يتمثلون قوله تعالى :

« قل لا أسألكم عليه أجراً ، إن هو إلا ذكرى للعالمين » [1] .

ويبدو أن والد سفيان لم يكن من ذوى الثراء العريض ، وأن سفيان وإن كان قد نشأ فى جو على فيه النور والإشراق والصفاء ، وفيه باستمرار ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ، والصلاة عليه أكثر من مرة فى كل يوم ، فإنه نشأ مع ذلك فى جو من التقشف ، بيد أن جو الأسرة كان جواً كريماً ، فقد كانت أم سفيان من النساء الحصيفات التقيات : لقد كانت ذات عقل وذات تقوى انظر إلى عقلها وتقواها فى نصيحتها لسفيان : عن وكيع ، العالم المعروف ، أن والدة سفيان قالت له : « يا بنى اطلب العلم وأنا أعولك بمغزلى . وإذا كتبت عشرة أحرف ، فانظر

(١) الأنعام آية : ٩٠

هل ترى فى نفسك زيادة فى الخير، فإن لم تردك فلا تتعبن نفسك» ويكفينا هذه الكلمة لنأخذ منها:

١ — أن الجو الذى كان يعيش فيه سفيان كان جو تقشف.

٢ — أن هذا الجو كان يتسم بالتقوى والصلاح.

ونشأ سفيان بين أب «من ثقات المحدثين» وأم تريد أن تعوله بمغزلها ليطلب العلم من أجل زيادة النور فى قلبه.

لم تكن الأم تفكر لابنها — من وراء تعليمه — فى الجاه أو الثراء، وإنما كانت تفكر فى أن يزداد الخير فى نفسه.

ونظرة الأم إلى هدف العلم، إنما هى النظرة التى كانت تسود البيئة إذ ذاك لقد ترتب عليها البيئة الإسلامية منذ:

«إنما يخشى الله من عباده العلماء».

ومنذ: «شهد الله أن لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم».

ولقد كانت البيئة حينئذ تتمثل قول رسول الله، ﷺ، فيما رواه أبو داود والترمذى «من سلك طريقاً يبتغى فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

* * *

وبدأ سفيان يتعلم اتباعا لأبيه واستجابة لرغبة أمه، ولكن سفيان بمجرد أن دخل فى دور الشباب بدأ يفكر جديا فى أمر معيشته، وليس من الطبيعى أن يغتبط سفيان — وهو صاحب الفطرة الصافية، بأن تعوله أمه بمغزلها، أو أن تستمر أمه فى إعالته بمغزلها.

يقول سفيان فيما رواه يحيى بن يمان: لما هممت بطلب الحديث، ورأيت العلم يدرس قلت: أى رب إنه لا بد لى من معيشة، فاكفنى أمر الرزق وفرغنى لطلبه، فتشاغلت بالطلب، فلم أر إلا خيراً. بيد أن سفيان تنبه بسرعة، إلى أن المال ضرورى للإنسان على أى وضع كان الإنسان: إنه ضرورى له، لو أراد أن يسير فى حياته على أن يكون متعبداً، وضرورى له لو

أراد أن يسير في حياته على أن يكون عالماً ! والعابد لا يأخذ على عبادته أجراً ، والعالم لا يأخذ على علمه أجراً ، لا بد إذن من التكسب ومعه المال ، يقول سفيان هذه الكلمة المدوية : عليك بعمل الأبطال : الكسب من الحلال ، والإنفاق على العيال ولما سئل عن الحلال ما هو قال : تجارة بر ، أو عطاء من إمام عادل ، أو صلة من أخ مؤمن ، أو ميراث لم يخالطه شيء : ويقول هذه الكلمة المدوية أيضاً : « لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها ، أحب إلى من أن أحتاج إلى الناس» ويقول لهؤلاء الذين يريدون أن يلتزموا المساجد أو الخلوات للعبادة ، يقول لكل منهم :

« إذا أردت أن تتعبد فأحرز الحنطة » أى ليكن قوتك موفوراً عندك من كسبك ويعزز سفيان قوله بأخبار العباد بأنه مكتوب فى التوراة : إذا كان فى البيت بر فتعبد ، وإذا لم يكن فالتمس ولقد كان سفيان معنيا بالعباد ، يريد دائما أن يكونوا أعزة بالله، إنه يخاطبهم كلما صادفهم قائلا : يا عباد ، ارفعوا رءوسكم ، فقد وضح الطريق ، ولا تكونوا عالة على الناس

ويقول يحيى بن يمان ، قلت لسفيان الثورى : يا أبا عبدالله ، أين أطيب العبادة ؟ قال : حيث جوالق من خبز بدرهم حتى لا يمد أحد عينه إلى أحد » اهـ .

والمال لا بد منه للمؤمن لمجرد وصف الإيمان ، وذلك أن الإيمان يتضمن أن لا يهين الإنسان نفسه بالمسألة ، وأن لا يريق ماء وجهه بسبب الحاجة .

يقول سفيان : « كان المال فيما مضى يكره ، فأما اليوم فهو ترس المؤمن » ، ومن أجل ذلك طلب سفيان المال عن طريق التجارة ، وسافر متاجراً ، ولم يعبأ بالبعض عند ما عابوا عليه السفر للتجارة ، يروى عبد الرزاق أن سفيان سافر إلى اليمن متاجراً ، فلما حضر من اليمن ذهب إليه ابن عيينة ، فسلم عليه ، ورد وهو متكئ على عصاه ، فقال ابن عيينة : يا أبا عبدالله عاب الناس عليك خروجك إلى اليمن فقال: « عابوا غير معيب ، طلب الحلال شديد خرجت أريده » .

لم يعبأ بمن عابوا عليه السفر للتجارة ، ولقد أخذ مرة من رجل أربعة آلاف درهم مضاربة فاشترى بها متاعا مما يباع باليمن فأخذه معه فرجع فيه نفقته ،

لقد خرج إلى اليمن يلتمس الحلال بالتجارة ، ولقد فعل أكثر من ذلك ، لقد كان يعطى لبعض الناس مالا يتجرون فيه لحسابه : يقول ابن سعد : قال الواقدى: كان سفيان يأتى اليمن يتجر ، ويفرق ما عنده على قوم يتجرون له ويلقاهم فى الموسم يحاسبهم ويأخذ الربح ، وقال مبارك بن سعيد : كانت له معى بضاعة ويوصى سفيان من عنده قدر من المال أن يصلحه أى يثمره : « من كان فى يده من هذه شىء - كما يقول - فليصلحه ، فإنه زمان من احتاج كان أول ما يبذل دينه »

ولقد كان سفيان يمقت هؤلاء الذين يقفون بباب السلطان طلباً للمال ، أو الذين يبيعون دينهم بدنيا السلطان ، أو الذين يداهنون ، ويتملقون الأمراء والملوك ، ويقول عن هؤلاء وأولئك : إن عامة من داخل هؤلاء (أى الأمراء) إنما دفعهم إلى ذلك العيال والحاجة ويقول لأحدهم : « ياشيخ ولى فلان فكتبت له (أى كنت سكرتيراً له) ، ثم عزل وولى فلان فكتبت له ثم عزل وولى فلان فكتبت له ، وأنت يوم القيامة أسوؤهم حالا : يدعى بالأول فيسأل ، ويدعى بك فتسأل معه عما جرى على يدك له ، ثم يذهب وتوقف أنت حتى يدعى بالآخر فيسأل وتسأل أنت عما جرى على يدك له ، ثم يذهب وتوقف أنت حتى يدعى بالآخر : فأنت يوم القيامة أسوؤهم حالا ، فقال الشيخ : فكيف أصنع يا أبا عبد الله بعيالى ؟ فقال سفيان : اسمعوا هذا يقول : إذا عصى الله رزق عياله ، وإذا أطاع الله ضيع عياله ؟ » اهـ .

لقد كان لسفيان تجارة ، وكانت له بضاعة ، يقول يوسف بن أسباط : كانت له بضاعة مع بعض إخوانه ، وكان يقول : ما كانت العدة - أى المال المعد - فى زمان أصلح منها فى هذا الزمان ؟ وما من شك فى أن المال السائل الذى كان يتصرف فيه سفيان لم يكن كثيراً ، فقد روى أحمد العجلى أن بضاعة سفيان كانت ألفى درهم ، وهو مبلغ معقول بالنسبة لرجل لم يكن همه فى قليل ولا كثير التجارة ، للغنى وإنما ليمسك لرمق ، وكان سفيان يسخر المال للحاجة ، يقول عبد الله بن محمد الباهلى :

« جاء رجل إلى الثورى ، فقال : يا أبا عبد الله تمسك هذه الدنانير ؟ وكان فى يد سفيان خمسون ديناراً ، فقال : اسكت لولا هذه الدنانير لتمندل بنا

هـؤلاء الملوك . أى لجعلونا فى أيديهم كالمناديل يتمسحون بها ، ويقفون بها مآربهم . وقال أبو نعيم ، قال سفيان : لولا بضاعتنا لتلاعب بنا هؤلاء (يعنى الحكام والأمراء) .

ومع كل ذلك لما كان سفيان صاحب ثراء عريض ، بل ، وما كان يتمنى أن يكون صاحب ثراء عريض ، كلا ، لقد وهب نفسه للعلم ، ووهبها للعلم لوجه الله سبحانه وتعالى ، وما كان هدفه من المال إلا حفظ ماء وجهه ، ولم تكن رسالته جمع المال ، وإنما كانت رسالته إذاعة التراث النبوى ، تراث محمد ﷺ ، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ، وإنما ورثوا علماً ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر .

لقد اقتصر سفيان من المال على الحد الذى لابد منه لحياة لا تتطلب ترفاً ولا متعة ، فما كان ترفه إلا فى العلم والعبادة ، ولما مات رضى الله عنه خلف ـ كما يقول يوسف بن أسباط ـ مائتى دينار كانت عند رجل يتبضع له بها ، وهـذا المبلغ هو كل ما خلفه سفيان .

والذى نريد أن نقوله بعد كل ذلك : هو أن سفيان كان يسير على النسق الإسلامى المستقيم فيما يتعلق بالعلماء : خلفاء رسول الله ﷺ ، وهذا النسق هو أن لا يسيروا فى ركاب الملوك والأمراء من أجل الرزق ، وإنما يكتسبون رزقهم ويحفظون ماء وجوههم ويعتزون بالله ، وينشرون رسالة رسول الله ﷺ .

« الحديث موصول إن شاء الله »

د . عبد الحليم محمود

الشيخ الصاوى

للأستاذ أحمد حنفى نصار

لما انتقل أبو الأنوار الحفنى ، بعد أن ملأ مصر خيراً وبركة ، وأشرق على جميع أنحائها شمسا ساطعة ، واحتواها هدى ونورا ، أصبح أبو البركات الدردير من بعده ، قطب أهل الطريق إلى الله وعمدة التصوف الصفى ، المستمد فى أصـــوله وفروعه ، من شريعة الله .

وقد عنى الدردير بتربية كثرة من المريدين العاملين ، وتهيئتهم للقيادة فى الطريق ، فلقنهم الذكر ، وألف لهم الصلوات ومنظومة الأسماء والصفات ، ووضع آداب السلوك ، ومهد لهم معارج الرقى ، مدركا لحالاتهم ، متمشيا مع قدراتهم على الصعود فى الدرجات إلى المراتب ، كما لاحظهم وهم يقطعون الأشواط ، ويتخطون العقبات ، حتى صاروا على كثرتهم ، بفضل تربيتـه وحسن إرشاده ، خلفاءه فى الطريق على المريدين ، وأئمة السالكين فى جميع الأرجاء .

ومن أخص هؤلاء ، وأقربهم منـه ، وآثرهم عنده : العارف بالله السيد صالح السباعى ، شيخ الشجرة السباعية المباركة ، وأبو الإرشاد الشيخ أحمد محمد الصاوى ، الأزهرى ، المالكى الخلوتى .

وإلى هذين القطبين الكبيرين ، تنتسب الكثرة الملحقة بالسلسلة الخلوتية الدرديرية ، وبعزمها الصادق ، وهمتها العالية ، نشرت أعلام الطريق ، وحدث الدعم لبنيانها ، بتكوين جماعات الذاكرين الله ، فى كل مكان .

ولد الصاوى ، رضى الله عنـه ، سنة ١١٧٥هـ (بصا الحجر) : إحدى بلاد مركز بسيون بمحافظة الغربية ، وهو : أحمد بن محمد بن محمد بن على بن أحمد بن محمد بن محمد الحنفى ، وينتهى نسبه إلى سيدنا محمد بن الحنفية ابن الإمام على ، رضى الله عنه وكرم الله وجهه .

وقد نزح جده محمد الحنفى من موطنه الأصلى : ذى الحليفة ، الميقات المشهور بأرض الحجاز ، الذى يحرم منه بالحج أهل

المدينة المنورة ، ونزل الديار المصرية فى سنة ٨٠٥ هـ ، واستقر ببلدة (صالحجر) ، على شاطىء النيل ، وإليها نسبة الصاوى ، التى أصبحت علما عليه .

وكان أبوه رجلا صالحا ، مواظبا على أداء الصلوات الخمس أول الوقت مع الإمام الراتب ، وكان كثيرا ما يرى فى منامه رسول الله ﷺ وكان حسن الباطن، جميل الظاهر ، بهى الطلعة ، يعيش فى سعة من الحلال الخالص ، حسن الملبس ، جيد المطعم وحجته فى ذلك التى كان يرددها ، قول الله تعالى: «قل من حرم زينة الله ، التى أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق» ! ولما حضرته الوفاة ــ وكان الصاوى لا يزال فى مكتبه لما يتم حفظ القرآن ــ أمره أن يقرأ عليه المكتوب فى لوحة ، وكان من سورة لقمان من قوله تعالى: «ووصينا الإنسان بوالديه» إلى قوله تعالى : «ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن ، فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور» وكلما ختمه أمره بإعادته من العصر إلى الغروب .

وقد نشأ الصاوى فى بلده ، وأرسله أبوه مبكرا إلى المكتب ، ليحفظ القرآن الكريم ، وكان يغدق على معلمه ليعنى به وينصح له ، وقد حصل له من التيسير والفتح ما ميزه من لداته بشكل ملحوظ ، حتى تم له ختم القرآن ، واتقان حفظه فى زمن قصير .

ولما عزم على التوجه إلى الجامع الأزهر لطلب العلم وكان أبوه قد قضى نحبه وهو بالمكتب ، منعه أخوته من ذلك ، لصغر سنه ، فأقام بينهم على كره منه وأخيرا فكر فى الهرب إلى القاهرة ، فمر فى طريقه ببلدة القضابة ، وكان بها بعض أقربائه ، فتلقوه وأكرموه وأخبرهم الخبر ، ومكث عندهم أياما ولما علم إخوته بأمره ، وإصراره على طلب العلم ، أذعنوا لرغبته وأرسلوا له ما يحتاجه ، وتحققت له بذلك أمنيته فى جو من الرضا ، فوصل إلى القاهرة ودخل الأزهر فى سنة ١٢٨٧ هـ ، وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، فاشتغل بالعلم وحضر الدروس ، وسمع من الجهابذة الأعلام ، من أكابر العلماء ، فمنهم : الحبر الفهامة الشيخ شافعى الجنادى ، وكان يحبه كثيرا ويقدمه على أقرانه ، لما توسم فيه من الخير والنجابة ، والعلامة شمس الدين الشيخ

محمد عبادة ، وكان لا يفتتح درسه حتى يحضر الصاوى تقديرا له وحرصا على إفادته والفاضل الجامع بين للمقول والمنقول ، صاحب التآليف المفيدة الشيخ أحمد السباعى والصوفى الورع الزاهد ، إمام الشريعة والحقيقة ، المفسر المحدث ، الشيخ سليمان الجمل ، والقطب الشهير والشهاب المنير ، أبو البركات الشيخ الدردير ، وقدوة المحققين الأستاذ الكبير ، الشيخ محمد الأمير الذى كان يقربه ، ويجله كثيرا ، ويعترف بفضله وسبقه ، ويشهد له بأنه من أهل المقامات والعالم الكامل ، رأس المدققين من أفنى عمره فى البحث والتحصيل ، وعكف على العلم حتى ظفر منه بالحظ الجزيل الشيخ محمد عرفة الدسوقى ، وكان يثق به ويثنى على فهمه وعلمه ، والجهبذ الواصل ذو المآثر الشريفة فى الطريقة والشريعة شيخ الإسلام الشيخ عبد الله الشرقاوى ، شيخ الجامع الأزهر ، — رضى الله عنهم أجمعين — .

ولما تشبع بالعلم ، واتسع أفقه بالمعرفة ، تعلق قلبه بالطريق ، ورغب فى الانتظام فى سلك هذا الفريق ، والاستقاء من ريق ذياك الرحيق ، فتوجه إلى أستاذه وقطب زمانه الدردير ، فأعطاه العهد ، ولقنه الذكر وتلبس بأنواع المجاهدة والرياضات ، وأضحى مريدا صادقا فى إرادته ، فوصل بقلبه إلى حقائق الوصلة ، وأدركته بركات الصدق فيما رامه من الظفر بالبغية ، بعيداً عن القواطع والمعاطب ، ولم يغمط مع ذلك حق العلم ، فقام فى المظهرين على قدم العزم القوى ، والهمة العالية ، ولم يك شيخه فى سيره يحفزه لعمل أبدا ، بل على العكس من ذلك ، كان يطلب منه أن يرفق بنفسه وكان قليل الطعام ، كثير الخلوة ، لا يفوته ورده قط إلا لمرض أو سفر ، وكان صادق الحب لشيخه ، حتى إنه لما لقيه عند رجوعه من الحج ، سقط على الأرض بين يديه ، من تأثره لشدة شوقه ، فقال الشيخ الدردير : لم يفرح بقدومى أحد ، كما فرح ولدى هذا .

وقد غبطه شيوخه على ما حصل بسلوكه فى الطريق ، من الفيوضات الرحمانية ، والتجليات الإحسانية ، مع صغر سنه ، وكان ذلك سببا فى أن الشيخ الجنادى أخذ العهد على الصوفى الكبير الشيخ محمود الكردى ، كما كان سببا فى رجوع العلامة الشيخ محمد عباده ، بعد الجفوة ، إلى صحبة الشيخ الدردير .

وقد تلقى الصاوى كذلك طريقة الشاذلية عن الإمام العارف ، الشيخ عبد الرحمن الغربى ، خليفة سيدى عبد الوهاب العفيفى كما تلقاها عن الصوفى الورع ، الشيخ عبد المتعال الخراشى ، وكل منهما أعطاه الإذن بالتسليك فيها لمن يبتغيها ، كما أخذ الطريقة القادرية عن الحسيب النسيب السيد عرابى البيروتى ، وأجازه بها ، ثم الطريقة الدمرداشية ، ودخل خلوتهم مرارا ، ثم وصل على خاتمة المحققين ، شمس الدين المنير ، الشيخ محمد الأمير .

ولكنه انتهى إلى أن صار خليفة الشيخ الدردير ، واتسعت على يديه دائرة الطريق ، حتى عمت جميع المدن والقرى فى الديار المصرية ، وحتى سطعت شمسها فى بلاد الحجاز ، والسودان ، وتعدد خلفاؤه ، وصار أتباعه كثرة يعدون بالألوف ، فى كل مكان .

ولاشتهار ذكره ، وانجذاب القلوب إليه ، وتعلق الأتباع بأذياله ، لما ظهر لهم من كراماته ، وعلو مكانه .

وأما خلفاؤه فى الطريق ، فأشهرهم الحسيب النسيب ، الشيخ فتح الله ، الذى ينتهى نسبه إلى الإمام الحسن بن على ، رضى الله عنهما ، وقد بارك الله فيه ، وجعل الفتح على يديه ، ومن خلفائه الشيخ الحداد والإمام القدوة ، الشيخ أحمد أبو الليل ، دفين بنى مزار الذى امتدت سلسلته بالشيخ عبد الجواد المنسفيسى ، فالشيخ الدوى ، فالشيخ الرملى ، فالشيخ محمد أحمد الطاهر الحامدى ، أحد علماء الأزهر المعاصرين ، أطال الله بقاءه ، ونفع به المسلمين ، وكل هؤلاء ، وهم أتباع الصاوى ، قد قاموا على إحياء طريق الحق المبين .

ورغم هذا الجهد الكبير ، والعمل الكثير ، الذى اضطلع به شيخنا الصاوى فلم يهمل التأليف ، فله :

١ — شرح تحفة الإخوان فى علم البيان للشيخ الدردير .

٢ — شرح صلوات الدردير ومنظومته للأسماء الحسنى ، وقد قرأ هذا الشرح مرارا ، وحضره جمع من أفاضل العلماء ، فأثنوا عليه ، ومدحه العلامة ، الشيخ أحمد الشنتى ، بقوله :

شرح كساه الله ثوب معارف
وعوارف ومحاسن ولطائف
جمع الشريعة والحقيقة ربه
هو شيخنا هو ذخرنا فى الموقف
لازال إسعاف الآله يمده
فيفيض منه على الذليل المسرف

٣ — وحاشيته على شرح أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك لشيخه الدردير أسماها: «بلغة السالك لشرح أقرب للمسالك» وقد مدحها كذلك العلامة الشيخ الششتى بقصيدة جاء فيها :

جليلة قدر عند من رام فهمها
عزيزة مثل غيثها يذهب الصدا[1]
وحسبك فى مدح لها أن ربها
جليس لخير المرسلين : محمدا[2]
وأعنى به الصاوى أحمد عصره
إمام باذن الله ينجى من الردى
هو القطب فى هذا الزمان بلاخفا
هو المنهل العذب الفرات لدى الصدى[3]

كما مدحها غيره بقصائد أخرى .

٤ — وحاشيته على جوهرة التوحيد لم يسبق مثلها لعذوبة ألفاظها وجزالة معانيها .

٥ — ورسالته فى الجهاد ، جمع فيها كل آيات القرآن المتعلقة به .

٦ — وشرح جليل على دعاء سورة يس الذى أوله :

ياعصمة الخير بخير الملل
ونخبة النور البهى الأجل

٧ — وحاشيته لحاشية الشيخ الجمل على تفسير الإمامين الجلالين ، وقد مدحها العلامة الششتى بقصيدة طويلة ، منها :

تبارك الله من أعطى العلوم له
ففاض منها الندى كالسيل والمطر
شيخ إمام لقد جلت معارفه
عن انحصار وعن قول لمعتبر
فاقصد حماه تر الأنوار ساطعة
من الرحيم وكن ممن سواه برى

٨ — وتقييدات على حاشية الشيخ الجمل ، المسماة بالفيوضات الأحمدية بالمنح المحمدية على متن همزية البوصيرى .

٩ — ورسالته فيما للخلوة من الشروط والآداب .

١٠ — وحاشيته على مختصر البخارى .

١١ — وحاشيته على قصيدة بانت سعاد فى مدح الرسول الأعظم ، ﷺ .

(١) الصدأ (٢) أعنى محمدا (٣) العطش

الجامع الأنور

للأستاذ ابراهيم محمد الفحام

– ٢ –

عنيت « عائلة الشيخ » بتعمير بيوت الله ، ومنها مسجد سيدى على البدوى بحى « كوم الدكة » ، وكان قد جدده ووسعه الحاج طاهر القرولى الذى بنى مسجد سيدى عبد الله المغاورى فى سنة ١٢٧٠ هـ ودفن به . ثم أعاد أولاد الشيخ بناءه فى سنة ١٢٨٩ هـ .

كما قام الشيخ أحمد بن سليمان ببناء مسجده الذى دفن فيه بمحرم بك ، والذى يعرف بالمسجد القديم ، وبنى حفيده الشيخ سليمان بن عبد الحميد بن أحمد مسجداً آخر بالحى نفسه ، يعرف بالمسجد الجديد .

وقد قام أصحاب جامع الشيخ وعلماؤه وخريجوه ، بأداء رسالتهم فى نشر التعليم بالمدينة والمناطق المجاورة لها ، فى زمن تنكر فيه حكام البلاد لواجبهم فى هذا المجال . فالمعروف أن الحكومة أنشأت أول مدرسة فى المدينة فى سنة ١٨٤٥ .

---

١٢ — وحاشيته على شرح شيخه الدردير لمنظومته فى علم التوحيد المسماة بالخريدة البهية .

١٣ — وحاشيته على المولد النبوى الشريف لأستاذه الشيخ الدردير .

هذا ، وقد حج البيت الحرام ، ثلاث مرات ، آخرها فى سنة ١٢٤٠ هـ ، فقد سافر فى أوائل شعبان ، وزار الرسول ﷺ ، وأدرك رمضان بمكة المكرمة ، وتوجه بعده لزيارة قبر ابن عباس ، رضى الله عنهما ، بالطائف ثم حضر موسم الحج ، وأسرع إلى المدينة المنورة ، فحظى بأنوار الروضة الشريفة ، مرة ثانية : ومكث فى جوار الرسول ، ﷺ ، أياما قلائل ، ثم وافاه الأجل ، سابع المحرم ، افتتاح سنة ١٢٤١ هـ ، فلقى ربه راضيا مرضيا ، واستقر جثمانه الطاهر بالبقيع ، مع المكرمين من الصحابة والتابعين ، وتابعيهم من خيار المؤمنين ، رضى الله عنهم أجمعين .

أحمد منفى نصار القوصى

وكانت الدراسة فيها على مرحلتين : ابتدائية وتجهيزية ، ومدتهما معاً ست سنوات ، أى ما يوازى مدة الدراسة فى المرحلة الابتدائية فى زماننا هذا . ومع ذلك لم تستكمل الدراسة فى الفرقة الأخيرة من المرحلة التجهيزية ، حتى أغلقت تلك المدرسة فى سنة ١٨٤٩ . وظل عبء التعليم ملقى على عاتق ذلك الجامع ، وبعض المكاتب الأهلية الصغرى ، حتى أنشئت مدرسة رأس التين الابتدائية فى سنة ١٨٦٣ .

وعلى الرغم من فداحة ذلك العبء ، لم يلق ذلك الجامع عوناً يذكر من القائمين بحكم البلاد فى ذلك الوقت . بينما حظيت المدارس التى أنشأتها الإرساليات الأجنبية ـ وكانت تعد بالعشرات ، ويقدر عدد طلابها بالآلاف كما جاء فى الخطط التوفيقية ـ بالتشجيع المادى والأدبى الذى لا نهاية له من والى مصر محمد سعيد باشا ، ثم من الخديو إسماعيل والخديو توفيق من بعده.

وفى جامع الشيخ ـ الذى بلغ عدد طلابه فى سنة ١٨٧٦ م ٤١٣ طالباً تخرج معظم معلمى المكاتب بالمدينة ، ومعلمى مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية الأولى التى أنشئت فى سنة ١٨٧٨ وجمعية العروة الوثقى التى أنشئت فى سنة ١٨٩١ .

وقد تولى التدريس فى ذلك الجامع نخبة من العلماء الأجلاء ، نذكر منهم على سبيل المثال ، الشيخ خفاجى الكبير ، والشيخ الوردانى .

والشيخ خفاجى الكبير هو خفاجى سيف الله بن إبراهيم بن محمد بن عمر ابن خفاجى ، والد العلماء الأفاضل: الشيخ محمد والشيخ أحمد والشيخ حسن الذين تخرجوا فى ذلك الجامع . وكان قد وفد إلى الإسكندرية ـ بعد أن درس فى الأزهر ـ فلازم الشيخ سليمان باشا وانتفع به ، كما لازم الشيخ عبدالله نوار، والشيخ مصطفى عابدين الشهير بالشامى . وعندما تصدر للتعليم تخرج على يديه كثير من العلماء ، منهم أبناء شيخه سليمان باشا : محمد وحسن وإبراهيم ، ومنهم الشيخ محمود فتح الله البوريني ، والشيخ أحمد المسيرى ، والشيخ أحمد السمراني ، والشيخ عمر بن خليفة ، والشيخ عبد الحليم شريف ، والشيخ عبد الفتاح شريف ، والشيخ حسن السندريسى ، والشيخ سعيد المعداوى . وقد تخرج على أيدى تلامذته المذكورين، عدد كبير من العلماء ، عندما تولوا

التدريس . وقد ظل يؤدى رسالته حتى توفى فى سنة ١٣١٠ هـ .

وكان عبدالله النديم أحدالذين تخرجوا على يديه ، كما أخـذ العلم فى ذلك الجامع أيضاً عن الشيخ محمد جاد شيخ الشافعية بالإسكندرية آنذاك ، والشيخ إبراهيم المرسى ، والشيخ إبراهيم الشافعى ، والشيخ محمد العشرى .

أما الشيخ الورداني فهو السيد بن مصطفى ابن يونس الورداني ، الذى تخرج على يدى الشيخ إبراهيم باشا نفسه ، والشيخ مصطفى عابدين وغيرهما . وعندما تصدر للتعليم تخرج على يديه كثير من علماء ذلك العصر ، منهم الشيخ موسى سعد كله ، والشيخ عمر بن خليفة ، والشيخ حافظ حسب ، والشيخ يوسف أبو السعود الحنفى ، والشيخ عبد السلام اللقانى ، والشيخ محمد سعيد باشا ، والشيخ على أحمـد الطويل وغيرهم . . وقد توفى فى سنة ١٣١٦ هـ .

ومن أشهر العلماء الذين أنجبهم ذلك الجامع : الشيخ حمزة فتح الله ، والشيخ عبـد العزيز جاويش ، والشيخ حسن منصور ، والشيخ أحمد يوسف نجاتى ، والشيخ أحمد السكندرى ، والشيخ أحمد العواجرى ، والشيخ أحمد أبو على .

وقد توقفت الدراسة فى جامع الشيخ ، إبان الثورة العرابية ، وحوادث الاحتلال البريطانى ، كما تعرض للتخريب مع مساكن تلك العائلة ومتاجرها .

وفى عهد الخديو عباس حدثت جفوة بينه وبين أولاد الشيخ سليمان باشـا ، بسبب إنعامه على أحدهم بكسوة التشريف من الدرجة الثانية ، ورفضه إياها ، لأن تلك الدرجة لا تليق بمكانته ، ومكانة أسرته العلمية فزين بعض العلماء للخديو إنشاء معهد حكومى بالإسكندرية ، يتبع الأزهر ، ويخضع لأنظمته ، حتى ينافس جامعهم .

وفى ٢٧ من أبريل سنة ١٩٠٣ صدرت (إرادة سنية) بإلحاق التدريس والامتحان فى مدينة الإسكندرية بالجامع الأزهر . وتردد أولاد الشيخ سليمان باشا فى قبول تطبيق ذلك النظام على جامعهم فى بادىء الأمر ، ثم عادوا فأبدوا موافقتهم على ذلك . فأصدر مجلس إدارة الأزهر قراراً بتعيين الشيخ محمود باشا شيخاً لعلماء الإسكندرية ، وأخيه الشيخ أحمد وكيلا له . إلا أنهما عادا فاشترطا وجوب المحافظة على كيان

أوقاف عائلتهما ، بحيث لا تمس بمحاسبة أو مراقبة من مشيخة الأزهر ، وأن يظل معهدهم مستقلا عنها .

وظل الأمر موضع جدل بينهما وبين المجلس ، حتى رئى أخيراً أن يعين شيخ لعلماء الإسكندرية من غير تلك العائلة . فصدر فى ٢٦ من إبريل سنة ١٩٠٤ أمر عال : بتعيين الشيخ محمد شاكر قاضى قضاة السودان ، لشغل تلك الوظيفة .

ثم أصدر المجلس قراراً بحصر المساجد التى يتبع التدريس فيها مشيخة علماء الإسكندرية فى ثمانية مساجد ، لم يكن من بينها الجامع الأنور . فبدأ النشاط العلمى يفتر فيه ، ولم يستطع أن يصمد طويلا لتلك المنافسة ، وخاصة عند ما اختير التدريس بالمساجد التابعة للمشيخة كبار علماء المدينة فتضاءل إقبال الطلاب على ذلك الجامع بعد أن كان عددهم قد تجاوز الستمائة طالب .

وكان مجلس إدارة الأزهر قد أصدر فى ٢ من ربيع الآخر سنة ١٣٢١ هـ (أى أواخر شهر يونية سنة ١٩٠٣ م) قراراً بحصر علماء الإسكندرية الذين سيعتمدون للتدريس فى المعهد الجديد فى سبعة وأربعين عالما قسموا على ثلاث درجات ، على ألا يدرج فى سلك علماء المدينة بعدهم إلا من ينجح فى امتحان خاص ، وبناء على رغبة أولاد الشيخ سليمان باشا أضيف إليهم ستة آخرون ، وصدر بذلك قرار من مجلس الإدارة فى ٢١ من ذى الحجة سنة ١٣٢١ هـ (٨ مارس سنة ١٩٠٤) .

وقد اختار الشيخ محمد شاكر أربعة من علماء الأزهر لمعاونته فى الدراسة بالمعهد الجديد ، وإدخال العلوم الحديثة التى تدرس بالأزهر فيه ، إلى جانب العلوم الأخرى ، وهؤلاء العلماء هم : الشيخ عبد الله دراز ، والشيخ عبد المجيد الشاذلى ، والشيخ عبد الهادى مخلوف ، والشيخ إبراهيم الجبالى .

وفى اليوم الثامن من ذى القعدة ١٣٢٢ هـ (الموافق ١٤ من يناير سنة ١٩٠٥) أصدر مجلس إدارة الأزهر قراراً بتحديد نظام الدراسة بالمعهد الجديد ، ودرجات علمائه ومرتباتهم ، وخصص فى ميزانية تلك السنة أول مبلغ لتنفيذ ذلك المشروع .

وما إن وافى افتتاح السنة المكتبية الأولى حتى بلغ عدد طلبة المعهد الجديد

البقية على صفحة (٣٧٩)

قصيدة شعر

القاهرة والأزهر
بعد ألف عام

للأستاذ محمود جبر

ألف مضت أعوامها تتصرم ... وتطول قاهرة «المعز» وتعظم

سميت قاهرة لأنك هكذا ... قد حدثت من قبل عنك الأنجم

رام «للمعز» فك السعود بنجمة ... قالوا هى الزهراء فيما يعلم

ويشاء من ملك للمشيئة وحده ... فيكون نجمك قاهراً لا يهزم

ويقول خير الخلق «أنت كنانة ... من رام سوءاً بالكنانة يقصم»

ولكم توالى الظالمون . فأين هم ... قبروا بأرضك أو بسيفك حطموا

حقب مررت بها . وأنت كما نرى ... مصر الفتية . . مصرنا لا تهرم

قاسيت يا أم المدائن فادحاً ... مما يسوء من الطغاة ويؤلم

ولقيت يا بلد «المعز» مظالماً ... من كل مملوك أتى يتحكم

فإذا الجباية للولاة كثيرة ... وإذا التعسف حظ من يتظلم

وإذا أراد الحر يعلن رأيه ... فتحت له كالمجرمين جهنم

ومن المماليك استبدت كثرة ... وبنوك رغم القهر لم يستسلموا

صور أقدمها لعهد قد مضى ... لم يخل ممن للعلاء تسنموا

هذا «صلاح الدين» مفخرة الوغى ... رد الصليبيين حين تقدموا

هذا هو البطل الذى لما تزل ... «حطين» من حال تطل عليكمو

ورأيت نابليون عاد مخيبا ... وتبيعه ذاق الهزيمة منكمو

وفتاكم «الحلبى» وفى نذره ... هو خير من أدى الأمانة عنكمو

وبواخر حملت «لويس» لأرضنا ... فإذا به فى أسرنا يسترحم

ويجيئنا من بعد عهد إنجلترا ... هو ذلك العهد البغيض المظلم

ونظل نرزح تحت أعباء الضنى ... ونروح تدهمنا الخطوب وترحم

وتبيت ترقب مصر معجزة لها — من هول ما أملى القضاء المبرم
وتسوق معجزة السماء « جمالنا » — « وجمال » طب النفوس وبلسم
من ريفنا وصعيدنا ونفوسنا — لخطى الجدود ومجدهم يترسم
هو راية بل غاية بل آية — بيديه سيف البلاد ومنجم
ألف بقاهرتى تمر وبينها — هذا المضىء كما ترى والمظلم
الأزهر المعمور قلعة ديننا — ومفاخر الأجيال فى دنياكمو
من كل أنحاء البلاد تجيئه — زمر تكاد ترى الحجيج فتحرم
من تونس ومراكش وجزائر — من كل قطر أمة تتعلم
من سوريا من ليبيا من مكة — ومن المدينة مقبل وميمم
إن شئتموا فالعز من أشياخكم — ولعلكم أشباله إن شئتموا!!
قد صان أزهرنا التراث ولم يزل — وبه تلاق طالب ومعلم
لولاه لاغتال اليهود تراثنا — بالدس والتحريف فى فتياكمو
يا كم لنا دسوا الحديث وزيفوا — اليوم ما زلنا نعانى منهمو
هذا هو القرآن قد عبثت به — فيما محوتا شره أيديهمو
أنا لو أردت السرد سقت إليكمو — (ألفية) تحكى ابن (مالك) فيكمو
انظر إلى الإسلام بين شعوبه — أرأيت ما يدمى الفؤاد ويكلم
أو لستمو أبناء من ملكوا الدنا — أو ليس نبراس الهدى ماضيكمو
المسجد الأقصى يضيع وقدسنا — بيد اليهود فما لنا لا نقدم!
الصبر لا يجلى العدو وإنما — يجليه عنا المدفع المتكلم!
والصبر عند الذل كفر صارخ — والكفر لا يرضاه حر مسلم!

محمود جبر

ركن الفتوى :

حكمة اعتزال الحائض

السؤال :

قال الله تعالى : « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » فما هى الحكمة فى اعتزالهن وهل الأمر بالاعتزال للوجوب؟

الجواب :

أجاب عن ذلك فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين مخلوف فى كتابه « فتاوى شرعية » بما يلى :

عن أنس رضى عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها فى البيت فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله هذه الآية فقال ﷺ جامعوهن فى البيوت واصنعوا كل شىء إلا النكاح والأمر فى قوله تعالى فاعتزلوا للوجوب فيقتضى وجوب الاعتزال أثناء الحيض فى موضعه المعروف وحرمة الإتيان فيه وقد أكد الله هذا المعنى بقوله ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن . الخ . وقد صرح القرآن بعلة هذا الحكم بقوله هو أذى أى مستقذر تنفر منه الطباع وورد فى الخبر أن الإتيان فى المحيض أى بمعنى المداومة عليه يورث جذام الولد ، ويقول الأطباء وإنه فى وقت المحيض ينفتح عنق الرحم ليخرج دم الحيض وتقل حموضة المهبل وتضعف مقاومة الجهاز التناسلى للميكروبات ولذا يجب اجتناب عمل أى غسل مهبلى أو إدخال الأصبع أو الجماع لما يؤدى إليه من دخول الميكروبات لباطن الرحم ومنها إلى البريتون فيؤدى إلى التهابات حادة ذات عواقب وخيمة ويقولون إن دم الحيض فى حالات الالتهابات المزمنة يحتوى على ميكروبات من إفراز الغدد الرحمية وهذه الميكروبات تكون فى حالة تكون طول الشهر وفى زمن الحيض تنمو وتتكاثر وتختلط

بدمه فيؤدى الجماع فى هذه الفترة إلى إصابة الرجل بالتهابات تناسلية وقد أخرج أحمد والترمذى والنسائى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : من أتى حائضا فقد كفر بما أنزل على محمد والتعبير بالكفر محمول على استحلال إتيانها أو على المبالغة فى الزجر والترهيب فلا يعارض ما أخرجه الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول أصبت امرأتى وهى حائض فأمره رسول الله أن يعتق نسمة ونص الشافعى على أنه كبيرة عظيمة والله أعلم .

كيفية الغسل

السؤال :

هل يؤخر غسل الرجلين فى وضوء الغسل إلى ما بعد إفاضة الماء على جميع البدن أو يكمل الوضوء بغسلهما ثم يفاض الماء على جميع البدن ؟

الجواب

ذهب أكثر الحنفية إلى أن للمغتسل حين يتوضأ يؤخر غسل رجليه ثم يفيض الماء على بدنه ثم يغسلهما أخذا من رواية ميمونة كيفية غسله ﷺ وذهب بعضهم إلى تقديم غسلهما إكمالا للوضوء أخذا من رواية عائشة كيفية غسله عليه السلام ومنهم من فصل بين أن يكون فى مجتمع الماء فيؤخره وإلا يكون فيه فيقدمه وقال : فى المجتبى إنه الأصح اهـ .

وفى الهداية ثم يتوضأ للصلاة إلا رجليه وإنما يؤخر غسلهما لأنهما فى مستنقع الماء المستعمل فلا يفيد غسلهما حتى لو كان على لوح لا يؤخره ، وفى شرح الزيلعى لم يذكر المصنف تأخير غسل الرجل لأنه لا يؤخره إلا إذا كان فى مستنقع الماء اهـ .

وفى البحر إنه لا خلاف فى جواز التقديم والتأخير ، وإنما الخلاف فى الأولوية والأفضلية فقط اهـ . وذهب الشافعية كما فى المجموع وفتح العزيز إلى جواز الأمرين وإنما الخلاف فى الأولى منهما وأن السنة تتأدى بكل منهما ، وقد ثبت الأمران فى الصحيح من فعل الرسول ﷺ فى روايتى عائشة وميمونة إلا أن ما روته عائشة هو الأغلب من أحواله وما روته ميمونة هو القليل للجواز وبذلك كان أظهر القولين عندهم التقديم والله أعلم .

لا تنقض الضفائر فى الغسل

السؤال :

فتاة حديثة الزواج مواظبة على الصلاة تقول : إن فى غسل رأسها بالماء ونقض ضفائرها كلما اغتسلت لإزالة الجنابة مشقة كبيرة حيث يصعب عليها تزيين شعرها وتسويته بعد الغسل كما كان قبله ولابد لها من ذلك وتخشى أن يفضى بها ذلك إلى التهاون فى أداء فريضة الصلاة فماذا تفعل ؟

الجواب :

تعميم بشرة الجسم بالماء فى الغسل من الجنابة واجب بإجماع الأئمة لحديث على رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ترك موضع شعرة من جنابة لم يصبها الماء فعل الله به كذا وكذا من النار» رواه أحمد وأبو داود ومثل غسل الجنابة الغسل من الحيض والنفاس فيجب على المرأة فى الغسل أن تصيب بالماء منابت شعر رأسها لأنها من البشرة مضفوراً كان أو غير مضفور ولا يلزمها نقض ضفائرها متى وصل الماء إلى أصول شعرها عند الحنفية والشافعية منعا للحرج ولحديث أم سلمة قالت: قلت يارسول الله إنى امرأة أشد ضفر رأسى أفأنقضه للغسل من الجنابة؟ وفى رواية للحيض والجنابة فقال النبى ﷺ: «لا إنما يكفيك أن تحثى على رأسك ثلاث حثيات من ماء ثم تفيضى عليك الماء فإذا أنت قد طهرت» رواه الجماعة إلا البخارى ، وكذلك عند الحنابلة فى غسل الجنابة لتكرره، ولهم فى الغسل من الحيض قولان أحدهما: وجوب نقضه والآخر: استحبابه من غير وجوب .

وذهب المالكية كما فى الشرح الكبير وحاشية الدسوقى عليه إلى أن المرأة لا تنقض ضفائرها فى الغسل بل تجمع شعرها وتضمه وتحركه بيدها ليداخله الماء واستثنى جمع من المتأخرين منهم من هذا الحكم ، العروس التى تزين شعرها بالطيب والدهن ونحوه فقالوا : ليس لها غسل رأسها لما فى ذلك من إتلاف المال وإنما تمسح عليه، ذكره ابن بطال عن بعض التابعين وقال الوانوغى: أن ماذكره ابن بطال من الترخيص للعروس لا يبعد كل البعد وفى فروعنا ما يشهد له ونقله ابن غازى

فى التكميل وسلمه والبنانى وغيره ونقله ابن ناجى عن أبى عمران اهـ.

والتعبير بالعروس يدل على أن هذا الاستثناء رخصة للمرأة فقط تتيح لها الاكتفاء فى غسل الجنابة بمسح شعر رأسها دون غسله بالماء فى خصوص المدة التى يطلق عليها فيها فى العرف أنها عروس وهى المدة التى تحرص فيها عادة وبحكم الطبيعة على التزين والتجمل وخاصة فى شعرها فدفعا للحرج عنها وصونا لمالها أبيح لها فى الغسل ما ذكر ويسر لها أمره كما يسر الشارع فى باب العبادات على أرباب الأعذار وعلى لابسى الخفاف ومتخذى العصائب والجبائر دفعا للحرج وقد قال تعالى « ما جعل عليكم فى الدين من حرج » وقال « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ولا خفاء أن هذه الرخصة استثناء للضرورة والضرورة تقدر بقدرها والله أعلم ؟

(بقية المنشور صفحة ٣٧٣)

ثلاثمائة طالب ، كان بعضهم يتلقى علومه بالأزهر ، وآثر الانتقال إليه ، ثم تضاعف عددهم بعدذلك عاماً بعدعام ، وقداستأجر الشيخ لإقامة الطلبة الأغراب قصراً مجاوراً لمسجد الإمام أبى العباس أطلق عليه (المسافرخانة) ولم يلبث أن أقنع ديوان الأوقاف بشرائه ، وضمه لإدارة المعهد .

ولقد اعتاد الشيخ ــ منذ أسندت إليه مشيخة المعهد ــ أن يقدم تقريراً سنوياً مدعماً بالإحصاءات عن أعماله فى السنة السابقة ، وخطته المنتظرة فى السنة التالية كما اعتاد أن يقيم حفلا فى نهاية السنة يوزع فيه الجوائز على المتفوقين ، مع إلقاء خطبة تناسب المقام .

وقد ظل ــ رحمه الله ــ يشغل تلك الوظيفة حتى عين وكيلا للجامع الأزهر فى التاسع من ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ هـ (٢٩ من إبريل سنة ١٩٠٩) ؟

ابراهيم محمد الفحام

ما يقال عن الإسلام

ترتيب جديد للمصحف

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

— ٢ —

ليس هذا الترتيب باللغة العربية ، بل فى ترجمة إنجليزية للقرآن صدرت سنة ١٩٥٨ وفى مجموعة شعبية هى سلسلة « بنجوين » الإنجليزية ، لتكون فى متناول الجمهور العريض ، وتلقى أكبر قدر من الشيوع والانتشار .

وقد عرضنا من قبل لترجمة « رودول Rodwell التى يرتب فيها السور القرآنية ويزعم أنه الترتيب التاريخى أى بترتيب النزول ، ويختلف عن الترتيب المعروف فى المصحف العثمانى ، أى المصحف الإمام الذى أمر الخليفة عثمان بن عفان بنسخ أربعة مصاحف منه وتوزيعها على الأمصار ومنذ ذلك الحين حتى اليوم ، ولا يزال القرآن مكتوبا فى المصاحف باللغة العربية بالرسم العثمانى ، والترتيب العثمانى ، أكثر من أربعة عشر قرنا ، ثم ظهرت منذ أواخر القرن الماضى ، أولا فتنة ترجمة القرآن ، وانتهت إلى نوع من التوفيق بقولهم : « ترجمة معانى القرآن » ولا يؤمن كاتب هذا المقال بترجمة القرآن ، ولا بترجمة معانيه ، وظهرت ثانيا فتنة أخرى هى تغيير ترتيب السور المأثورة فى المصحف المتداول بين أيدينا

وهى فتنة لو شاعت لأدت إلى زعزعة الثقة بالقرآن ، وهو ما بادر الخليفة عثمان بن عفان بتداركه ، وقتل الفتنة فى مهدها . غير أن معظم المستشرقين لا يقرون بهذا التغيير وكان « بلاشير » من أنصاره ولكنه رجع عنه ، وسار فى ترجمته الفرنسية على الترتيب التقليدى .

ونبدأ بذكر خلاصة للمقدمة الموجزة التى مهد بها صاحب الترجمة لترجمته وبهذه المناسبة نقول إن اسمه هو : ن ، ج داود "N. J. Dawood" ، ولم أعثر له على تعريف

ولكن يبدو من اسمه أنه يهودي يعرف العربية معرفة جيدة.

تبدأ المقدمة بأن القرآن أقدم نص عربي نثري بليغ، وهو في نظر المسلمين كلام الله الأزلي، مكتوب في اللوح المحفوظ، أنزله على محمد بواسطة جبريل، ولد محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بمكة في سنة ٥٧٠ ميلادية، وتوفيت أمه آمنة وهو صغير فكفله جده ثم عمه أبو طالب. سافر وهو شاب إلى الشام، وتزوج وهو في الخامسة والعشرين خديجة، واشتهر بأنه الأمين، واطلع على التعاليم اليهودية والنصرانية وتأثر بها.

وليس من الغريب أن يذهب الكاتب الغربي إلى مثل هذا القول الذي لا يحتاج منا إلى رد، فالمغرضون منهم يذهبون إلى أن محمداً استقى تعاليمه من اليهود والنصارى.

وكانت وثنية العرب قبل ظهور محمد قد بدأت تنهار، وظهر «الحنفاء» وهم قوم أخذوا يعبدون الله وحده وينكرون الأوثان، ويتأثرون خطى اليهودية والنصرانية. ويبدو أن محمداً قد تأثر بهم. وفي إحدى ليالي رمضان سنة ٦١٠ ميلادية نزل عليه جبريل بالوحي: «اقرأ، باسم ربك الذي خلق» إلى آخر الآيات الأولى. ويمضي المترجم في مقدمته على هذا النحو الذي يصور فيه محمداً نبي الله ورسوله، ومصدقاً للكتب السماوية السابقة التي حرفها أصحابها، حتى يبلغ القرآن. وأهم تعاليم القرآن: الوحدانية، والرحمة، والمغفرة وأن الله هو القدير، العليم، الرحيم. ثم تتابع الوحي على فترات، كان النبي يحفظها في الذاكرة، ويمليها على كتاب الوحي يدونونها على الأكتاف والسعف والحجارة، وصدر في خلافة عثمان مصحف رسمي هو المتداول بين المسلمين حتى اليوم. ووقعت خلافة عثمان من ٦٤٤ ميلادية إلى ٦٥٦.

يقول المترجم ما نصه:

«ومن المؤسف أن الذين نشروا المصحف وأعدوا السور القرآنية في صورة كتاب لم يتبعوا التسلسل التاريخي، بل رتبت السور بحسب طولها وقصرها، أطولها في أول المصحف وأقصرها في الآخر. وقد حاول نولدكه، وجريم، ورودول، وبل Bell ترتيب السور تاريخياً، غير أن الباحثين من العلماء متفقون على أن الترتيب التاريخي الدقيق أمر مستحيل بغير أن تقطع أوصال

بعض السور فتتناثر آياتها ، نظراً لتداخل آيات مدنية فى سور مكية بدأ نزولها قبل ذلك بزمن طويل .

وعند إعداد هذه الترجمة الجديدة وضعت نصب عينى أن أقدم للقارىء الحديث ترجمة مفهومة للقرآن باللغة الإنجليزية المعاصرة [١] . وفى يقينى أن القرآن ليس من أعظم الكتب الدينية فقط ، ولكنه نص أدبى رائع أيضا . وقد عجزت الترجمات السابقة للقرآن حين تمسكت بحرفية الترجمة أن تنقل معانيه الأصلية وروعة بلاغته . ويجب أن نجعل فى بالنا أن القرآن يحتوى على كثير من العبارات التى تحتمل أكثر من تأويل ، بل قد تبلغ حد الغموض التام . وقد بذلت جهدى فى أن أنقل هذا الغموض حيثما يرد ، ووضعت فى الهامش شروحا توضيحية حتى أتجنب تحول الترجمة إلى تأويل . ورجعت فى هذه الهوامش إلى الزمخشرى ، والبيضاوى ، والجلالين فى تفاسيرهم .

لقد سبق أن وصفت الخطة الميكانيكية [٢] التى بمقتضاها رتبت سور القرآن بعد موت النبى . وفى هذه الترجمة عدلت عن الترتيب المأثور التقليدى لسببين : الأول أنه لا سند سمعى يعززها ، والثانى أنه يفتقد الاتصال والتماسك . أما الترتيب الذى نقدمه على الرغم من أنه لا يتبع السياق التاريخى الدقيق ، إلا أنه يبدأ بأكثر السور خضوعاً للنظم الشعرى ، وينتهى بالسور الطوال .

صفوة القول : هذه الترجمة تتوجه فى المحل الأول إلى القارىء الذى يجهل القرآن ، الذى غالبا ما يبتعد عن القرآن ، حين يجد مثل هذه السور الدنيوية كالبقرة أو النساء مما يبدأ به المصحف العثمانى » .

وليس لنا ما نعلق عليه أكثر من كلام المترجم نفسه ، فإن مقدماته لا تتفق مع النتائج التى انتهى إليها . فهو متفق مع أكثر الباحثين على أن الترتيب التاريخى للسور مستحيل لسبب بسيط وهو امتزاج كثير من السور بآيات مدنية ومكية . فهو إذن يعدل عن الترتيب التاريخى . ولكن على أى أساس يبنى المترجم ترتيبه ؟ لقد نقلنا كلامه ، ومنه يتبين الاضطراب الشديد فى معرفة هذا الأساس . ولعله الهوى ؟ !!

وفيما يلى جدول يوضح الترتيب العثمانى ، وترتيب المترجم ، واسم السورة :

---

[١] يشير المؤلف إلى الترجمات الإنجليزية التى تحذو حذو الكتب المقدسة فى لغتها . [٢] يريد السور الطوال إلى أن ينتهى المصحف بالقصار .

الترتيب العثمانى	ترتيب داود	اسم السورة	الترتيب العثمانى	ترتيب داود	اسم السورة	الترتيب العثمانى	ترتيب داود	اسم السورة
١	١	الفاتحة	٩٨	٢٤	البينة	٢٨	٤٧	القصص
٩٩	٢	الزلزلة	٩١	٢٥	الشمس	٢٧	٤٨	النمل
٨٢	٣	الانفطار	٨٨	٢٦	الغاشية	٦٤	٤٩	التغابن
٨١	٤	التكوير	٩٠	٢٧	البلد	٦٣	٥٠	المنافقون
٧٦	٥	الإنسان	٨٧	٢٨	الأعلى	١٨	٥١	الكهف
٥٥	٦	الرحمن	١٩	٢٩	مريم	١٤	٥٢	إبراهيم
٧١	٧	نوح	٨٦	٣٠	الطارق	٦٢	٥٣	الجمعة
١٠٠	٨	العاديات	١٢	٣١	يوسف	٦١	٥٤	الصف
١١٣	٩	الفلق	٨٥	٣٢	البروج	٥٧	٥٥	الحديد
١١٤	١٠	الناس	٨٤	٣٣	الانشقاق	٥٦	٥٦	الواقعة
٩٥	١١	التين	٨٣	٣٤	المطففين	٥٤	٥٧	القمر
٩٣	١٢	والضحى	٨٠	٣٥	عبس	٥٣	٥٨	النجم
٩٢	١٣	الليل	٧٩	٣٦	النازعات	٥٢	٥٩	الطور
٨٩	١٤	الفجر	٧٨	٣٧	النبأ	٥١	٦٠	الذاريات
٩٤	١٥	الشرح	٧٧	٣٨	المرسلات	٥٠	٦١	قاف
٩٦	١٦	العلق	٧٥	٣٩	القيامة	٤٧	٦٢	محمد
٩٧	١٧	القدر	٧٤	٤٠	المدثر	٤٦	٦٣	الأحقاف
١٠٢	١٨	التكاثر	٧٠	٤١	المعارج	٤٥	٦٤	الجاثية
١٠٣	١٩	العصر	٧٣	٤٢	المزمل	١١	٦٥	هود
١٠٤	٢٠	الهمزة	٦٩	٤٣	الحاقة	١٣	٦٦	الرعد
١٠٧	٢١	الماعون	٦٨	٤٤	القلم	٤٤	٦٧	الدخان
١٠٨	٢٢	الكوثر	١٠	٤٥	يونس	٤٣	٦٨	الزخرف
١٠١	٢٣	القارعة	٦٧	٤٦	الملك	٤٢	٦٩	الشورى

الترتيب العثماني	ترتيب داود	اسم السورة	الترتيب العثماني	ترتيب داود	اسم السورة	الترتيب العثماني	ترتيب داود	اسم السورة
٤١	٧٠	فصلت	١٧	٨٥	الإسراء	٣٣	١٠٠	الأحزاب
٤٠	٧١	غافر	١٥	٨٦	الحجر	٢١	١٠١	الأنبياء
٣٧	٧٢	الصافات	٧	٨٧	الأعراف	١٦	١٠٢	النحل
٣٦	٧٣	يس	١٠٥	٨٨	الفيل	٨	١٠٣	الأنفال
٣٥	٧٤	فاطر	١٠٦	٨٩	قريش	٩	١٠٤	التوبة
٣٤	٧٥	سبأ	١١١	٩٠	المسد	٢	١٠٥	البقرة
٣٢	٧٦	السجدة	١١٢	٩١	الإخلاص	٤	١٠٦	النساء
٣١	٧٧	لقمان	٧٢	٩٢	الجن	٦٥	١٠٧	الطلاق
٣٠	٧٨	الروم	٦٠	٩٣	الممتحنة	٥	١٠٨	المائدة
٢٩	٧٩	العنكبوت	٥٩	٩٤	الحشر	١٠٩	١٠٩	الكافرون
٢٦	٨٠	الشعراء	٥٨	٩٥	المجادلة	١١٠	١١٠	النصر
٢٥	٨١	الفرقان	٤٩	٩٦	الحجرات	٢٢	١١١	الحج
٢٤	٨٢	النور	٤٨	٩٧	الفتح	٣	١١٢	آل عمران
٢٣	٨٣	المؤمنون	٣٩	٩٨	الزمر	٦	١١٣	الأنعام
٢٠	٨٤	طه	٣٨	٩٩	ص	٦٦	١١٤	التحريم

يتبين مما سبق فشل المحاولة التي بذلها المترجم في تغيير الترتيب المأثور في المصحف العثماني. ولم نعرض للترجمة ذاتها لأني كما قلت من قبل، وفي أكثر من مناسبة، أرى أن القرآن لا يمكن ترجمته، من حيث إنه كلام الله، «لا مبدل لكلماته»!

أحمد فؤاد الأهواني

من أمهات الكتب

— ١ —

الجامع الكبير
للإمام السيوطي

للأستاذ علي عبد العظيم

سقطت بغداد أمام ضربات التتار الذين اجتاحوا معظم ربوع آسيا ، فقوضوا صرح الخلافة العباسية ، وقضوا على آثار الحضارة الإسلامية ، وقذفوا بخزائن الكتب في بغداد إلى نهر دجلة ليتسنى لجيوشهم العبور عليها ، وكانت بغداد في هذا الحين من أكبر الحواضر العالمية مدنية وثقافة وازدهارا . . واندفع التتار كالسيل الجارف ليجتاحوا ربوع أوربا وأفريقيا مخربين مدمرين ، ولولا أن الله قيض لمصر أن تصد هذا التيار العنيف لاستطاع التتار القضاء على جميع المدنيات والحضارات ، وما حدث للخلافة العباسية بالشرق حدث للأندلس بالغرب ، لقد سقطت أمام ضربات الأسبانيين ومن والاهم من الصليبيين المتعصبين ، الذين حاولوا القضاء على الحضارة الإسلامية فدمروا آثارها وأحرقوا خزائن الكتب بها بحيث لم ينج منها إلا القليل .

وأمام هاتين النكبتين الفادحتين فر العلماء من الشرق والغرب إلى ربوع النيل حيث وجدوا الأمن والأمان ، وظفروا بالتقدير والإجلال، فعكفوا مع إخوانهم من علماء المصريين على تعويض هاتين النكبتين ، فجمعوا وصنفوا موسوعات ثقافية كبرى ، وتعمق بعضهم في أبحاثه فأخرج لنا مؤلفات علمية ممتازة ، وبهذا استطاعوا أن يحفظوا الحضارة الإسلامية والثقافة العربية من الضياع ، ومن أمثلة هذه الموسوعات العلمية الكبرى :

١ — (نهاية الأرب) للنويري ويعتبر دائرة معارف كبرى استوعبت جميع فنون الثقافة العربية ، ويقع في أربعة وثلاثين جزءاً ، تم طبع ثمانية عشر جزءاً منها ،

والباقى لا يزال مخطوطا يترقبه المثقفون منذ أكثر من عشرين عاما .

٢ — (مسالك الأبصار) للعمرى ويقع فى خمسة وأربعين مجلداً طبع منها مجلد واحد منذ ثلاثين عاما تقريبا ، والباقى لا يزال مخطوطا .

٣ — (تاريخ الإسلام) للذهبى فى خمسين مجلداً ، ثم طبع خمسة أجزاء منها ولم يستطع الناشر أن يتحمل أعباء طبع باقى المجلدات .

٤ — (عقد الجمان) للعينى فى التاريخ الإسلامى ويقع فى ستين مجلداً لم يطبع منها شىء حتى الآن .

٥ — (الجامع الكبير) للإمام السيوطى وهو أوسع كتاب ضم الجمهرة الكبرى من أحاديث الرسول ﷺ ، وهو موضوع حديثنا فى هذا المقال ، ولكننا قبل الكتابة عن هذا المصنف الكبير يجب أن نتكلم عن مؤلفه ومكانته من العلماء .

« الإمام السيوطى »

ترجم الإمام السيوطى لنفسه ، ومن الخير أن ننقل فقرات مميزة من هذه الترجمة[1] .

[١] كتب السيوطى ترجمته لنفسه فى كتاب « حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة » : الجزء الثانى فى صفحة ١٤٠ وما بعدها ـ المطبعة الشرقية .

ثم نعقب عليها بإيجاز :

قال الإمام : « ولدت بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة . . ونشأت يتيما فحفظت القرآن ولى دون ثمانى سنين ، ثم حفظت العمدة ومنهاج الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ ، وأخذت الفرائض عن العلامة فرضىّ زمانه الشيخ شهاب الدين الشارمساحى . . .[1] وأجزت بتدريس العربية سنة ست وستين وثمانمائة ، وقد ألفت فى هذه السنة فكان أول شىء ألفته شرح الاستعاذة والبسملة ، وأوقفت عليه شيخنا علم الدين البلقينى[2] فكتب عليه تقريظاً ولازمته فى الفقه إلى أن مات . . . »

ثم أخذ فى سرد مشايخه وما تلقاه عنهم إلى أن قال فيما يتعلق بعلم الحديث وعلوم العربية : « ولزمت فى الحديث والعربية شيخنا الإمام العلامة تقى الدين الشبلى الحنفى[3] فواظبته أربع سنين وكتب لى

[١] نسبة إلى قرية (شارمساح قرب) دمياط .

[٢] من كبار الفقهاء على مذهب الإمام الشافعى ، وقد ألف السيوطى رسالة جامعة فى ترجمته .

[٣] من العلماء البارزين فى القرن التاسع الهجرى نال شهرة فى جميع العلوم وعرض عليه القضاء فامتنع وتوفى سنة ٨٧٢ هـ

تقريظا على شرح ألفية ابن مالك وعلى جمع الجوامع فى العربية من تأليفى ، وشهد لى غير مرة بالتقدم فى العلوم بلسانه وبنانه ورجع إلى قولى فى حديث ، فإنه أورد فى شرحه على الشفاء حديث ابن أبى الجرجاء فى الإسراء وعزاه إلى تخريج ابن ماجة ، فاحتجت إلى إيراده بسنده فكشفت فى ابن ماجة فلم أجده فاتهمت نظرى فمررت مرة ثانية فلم أجده ووجدته فى معجم الصحابة لابن قانع [١] فجئت إلى الشيخ وأخبرته فبمجرد ما سمع منى ذلك أخذ نسخته وأخذ القلم فضرب على ابن ماجة وألحق ابن قانع فى الحاشية ، فأعظمت ذلك وهبته لعظم منزلة الشيخ فى قلبى ، واحتقارى فى نفسى ، وقلت : ألا تصبرون لعلكم تراجعون ! فقال لا ، وإنما قلدت فى قولى ابن ماجة البرهان الحلبى . ولم أنفك عن الشيخ إلى أن مات » . وتدل هذه الرواية على براعة التلميذ وحبه للبحث كما تدل على أمانة شيخه ورجوعه إلى الحق وإلى ثقته بتلميذه وتقديمه عنده على البرهان الحلبى . وظل السيوطى يسود شيوخه وما تلقاه عنهم ، ثم ذكر رحلاته فى سبيل العلم إلى معظم الأقطار الإسلامية فى الشرق والغرب . « إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور [١] » ومن الطبيعى أنه ظفر بلقاء كثير من علماء هذه الأقطار وأعلام وأخذ عنهم ، ثم يقول : « وعقدت إملاء الحديث من مستهل سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة [٢] ، ورزقت التبحر فى سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبديع . . . والذى اعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة ـ سوى الفقه والنقول التى اطلعت عليها لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخى فضلا عمن دونهم وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه ، بل شيخى فيه ، أوسع نظراً وأطول باعا » ومن هنا نرى إنصافه لشيخه الفقيه ومعرفة منزلته فيما ذكره من العلوم ، والباحث فى مصنفاته فى هذه العلوم يقره على ما ذكره ويتفق

[١] عبد الباقى ابن قانع بن مرزوق من حفاظ الحديث ، وله كتاب معجم الصحابة بالإسناد ، وقد ألف ابن فضرون كتاباً فى نقده .

[١] نيجيريا الشمالية وما جاورها من الأقطار . راجع إنفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور لمحمد بن فودى بتحقيقنا .

[٢] تصدر لتدريس علوم الحديث وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره .

عنه تهمة التفاخر أو التعالم دون وجه حق ؛ والواقع أن السيوطى كان ينصف من نفسه قبل غيره ويؤيد هذا ما ذكره عن ثقافته فى بقية الفنون حيث يقول « ودون هذه السبعة فى المعرفة : أصول الفقه ، والجدل ، والتصريف ؛ ودونها الإنشاء ، والترسل ، والفرائض ، ودونها القراءات ودونها الطب ؛ وأما علم الحساب فهو أعسر شىء على وأبعده عن ذهنى وإذا نظرت فى مسألة تتعلق به فكأنى أحاول جبلا أحمله . . . وقد كملت عندى آلات الاجتهاد بحمد الله أقول ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى لا فخراً .

وقد أزف الرحيل وبدأ الشيب وذهب أطيب العمر ، ولو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفاً لها بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله ، ولا قوة إلا بالله » ومن هذه العبارات نرى الكاتب يقول ماله وما عليه ويتحدث عن ثقافته لا من قبيل المباهاة والفخر وإنما تحدثا بنعم الله عليه ــ وسرد من مؤلفاته عند كتابة ترجمة حياته ثلاثمائة مصنف ؛ وظل يواصل التأليف فيما بعد ، وقد ذكر العلامة (بروكلمان) له أكثر من أربعمائة مصنف ، والعلامة (فلوجل) ٥٠٠ مصنفا والأستاذ (جميل العظم) ٥٦٠ مصنفا وذكر ابن إياس المؤرخ الشهير أن كتبه بلغت ٦٠٠ مؤلف .

ولهذه المنزلة العلمية ابتلى بعداوة كثيرين وفى مقدمتهم (السخاوى) حيث رماه بالسطو على كثير من مؤلفات العلماء السابقين [1] ــ وقديما كان فى الناس الحسد ــ والواقع أن العلماء ينقل بعضهم عن بعض، ويتأثر بعضهم بالبعض ، وكان العصر عصر جمع وتصنيف : والأمانة العلمية تقتضى أن يذكر المؤلف مصادره بأمانة دقيقة . وقد فعل ذلك السيوطى فى مؤلفاته ولم يكن ناقلا فحسب وإنما كان مناقشا ومعقبا ومصححا ومجددا ، وقد ترك لنا من مؤلفاته [2] ثروة ضخمة لا تزال من أمهات المصادر فى الثقافة الإسلامية ، وستظل مرجعا من أهم مراجع الباحثين على الرغم من حقد الحاقدين وحسد الحاسدين . وكانت وفاته فى جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ .

[١] دفع عنه هذه التهمة الإمام الشوكانى حيث قال : ورأيت المصنف الأحد من كتب من سبقه والأفضل أن يعزو القول إلى صاحبه .

[٢] قال الشوكانى : إن مؤلفات السيوطى محررة لا تصحيف فيها .

« الجامع الكبير أو جمع الجوامع »

كل ما صنفه جامعو الأحاديث ليس إلا مختارات انتخبوها مما رووه من الأحاديث النبوية ، فالإمام مالك رضى الله عنه روى مائة ألف حديث اختار منها فى الموطأ عشرة آلاف ثم اختصرها إلى أقل من ألف حديث ، والإمام البخارى يقول ـ فيما رواه العراق ـ « أحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتى ألف غير صحيح » ولكن جملة ما اختاره فى كتابه أقل من ثلاثة آلاف حديث والإمام مسلم حفظ ثلاثمائة ألف حديث روى منها فى صحيحه زهاء أربعة آلاف حديث ، وأبو داود سمعه ابن داسة يقول : « حفظت خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب فقد جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث » ؛ وقال الإمام أحمد ابن حنبل : « جمعت فى المسند أحاديث انتخبتها من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفا » ، ومجموع أحاديث المسند إذا حذفنا المكرر منه يبلغ نحو ثلاثين ألف حديث ، وهكذا نرى جميع كتب الحديث التى بأيدينا إنما هى مختارات ، قال الحاكم فى المدخل : « كان الواحد من الحفاظ يحفظ خمسمائة ألف حديث » وقال ابن الجوزى : « حصر الأحاديث يبعد إمكانه غير أن جماعة بالغوا فى تتبعها وحصرها » ؛ ومن الخير أن نذكر طرفا من محاولات جمع الأحاديث .

١ — جمع ابن الأثير فى كتابه « جامع الأصول لأحاديث الرسول » الكتب الستة : كتاب الموطأ والبخارى ومسلم والنسائى وأبى داود والترمذى ، ويقع فى عشرة أجزاء مخطوطة بدار الكتب بالقاهرة .

٢ — جمع الإمام البغوى فى كتابه « مصابيح السنة » ما سماه بالصحاح والحسان وهذبه محمد بن عبد الله الخطيب فى كتاب سماه « مشكاة المصابيح » وقد شرحه كثيرون منهم الإمام البيضاوى .

٣ — جمع الإمام الحافظ السمرقندى مائة ألف حديث فى كتابه « بحر الأسانيد » وهو مفقود ، يقول فيه صاحب كشف الظنون « إنه لم يقع فى الإسلام مثله » .

٤ — جمع الحافظ الهيثمى ما زاده أحمد والبزار وأبو يعلى والطبرانى على

الكتب الستة ، وهو كتاب قيم تم طبعه بمصر .

٥ — جمع الإمام الحافظ ابن كثير فى كتابه « جامع المسانيد والسنن الهادى لأقوم سنن » الصحيحين وسنن النسائى وأبى داود والترمذى وابن ماجة ومسانيد أحمد والبزار وأبى يعلى والمعجم الكبير للطبرانى .

٦ — جمع السيوطى كل ما وصل إلى علمه من الأحاديث القولية والعملية وهى نحو مائة ألف حديث ورتبها على حسب الحروف الأبجدية ثم على حسب المسانيد ، وذكر فى كتابه المصادر التى استق منها كتابه ، ثم ذكر درجة الحديث من حيث أنه صحيح أو حسن أو ضعيف ، وهو أجمع كتاب فى أحاديث الرسول ﷺ ولهذا سماه « جمع الجوامع » ولكنه اشتهر باسم الجامع الكبير .

ولم يكتف السيوطى فى خدمة الحديث الشريف بتصنيف هذه الموسوعة الضخمة وإنما شفعه بكتاب آخر جمع فيه الأحاديث الموضوعة سماه « اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة » ، وبهذا قدم لعلوم الحديث يداً مشكورة لم يسبقه إليها سابق ولا لحقه فيها لاحق ، ولهذا كان اغتباطنا كبيرا بنهوض مجمع البحوث الإسلامية بطبع هذا السفر الكبير وتقديمه للعالم الإسلامى بعد أن ظل مخطوطا مبعثر الأجزاء فى خزائن الكتب بشتى أنحاء العالم زهاء خمسة قرون .

« أمانة التحقيق »

قامت ضجة كبيرة حول الأحاديث الشريفة ومبلغ صحتها فى الآونة الأخيرة غذاها المستشرقون ونفخ فيها المبشرون والساق وراءهم بعض علماء المسلمين ، فصنفوا كتباً تشكك المسلمين فى رواة الحديث وفى كتب السنة ، وتطاولوا على الصحابة وكبار المحدثين ، ومن الطبيعى أن ينال السيوطى رذاذ كثير من هذا الثناء بحجة أنه ضمن كتابه كثيرا من الأحاديث الضعيفة ، ولقد توهم بعض السطحيين أن أن الحديث الضعيف مكذوب على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفاتهم أن الحديث الضعيف هو ما لم يستكمل شروط الحسن بأن يكون قد سقط منه رواية من الصحابة : كأن يقول الإمام نافع أو الحسن البصرى أو سعيد بن جبير من جلة التابعين

قال ﷺ كذا دون ذكر الصحابي الذي تلقوا عنه الرواية ، لأن الحديث في نظرهم مشهور تلقوه عن عدد من الصحابة لم يروا داعيا لذكرهم ، أو سقط منه راويان أو أن يذكر الراوي أنه رواه عن كعب بن مرة ، والصحيح أنه مرة بن كعب ، لأن التشدد في الرواية حمل رجال الحديث على تحري الدقة المطلقة في سرد الأسانيد ، ولهذا أخذ كثير من الأئمة بالأحاديث الضعيفة لأن علة السند لا تقدح في صحة متن الحديث قال الإمام أحمد بن حنبل : « إن ضعيف الحديث مقدم على رأي الرجال » ، وروى الزركشي عن ابن حزم قوله : « إن الحنفية متفقون على أن مذهب أبي حنيفة تقديم الحديث الضعيف على الرأي » باعتبار أن الضعف في الحديث قد يتقوى من رواية أخرى فيصل إلى مرتبة الحسن أو الصحيح ولهذا لا يكاد كتاب من كتب السنة يخلو من الأحاديث الضعيفة إلا صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وإن كان الدارقطني لاحظ عليهما ملاحظات تتعلق بمائتي حديث وعشرة ، ولكن ابن حجر والنووي ناقشا الدارقطني في ملاحظاته ، وفندا ما ورد في الصحيحين .

فلو منعنا نشر الكتب التي تضم أحاديث ضعيفة أو ما يتوهم فيها الضعف لحكمنا بالإعدام على جميع كتب التفسير والحديث .

على أن الأمانة العلمية تقتضي نشر الكتاب دون حذف حرف منه ، وللناشر أن يعلق بما شاء ، وللمؤلف مسئول عن كتابه ، والناشر المحقق مسئول عن تعليقاته وليس لمحقق الكتاب أن يفرض نفسه وصيا على المصنف بأي حال .

ومن العجيب أن القرآن الكريم التزم هذا المبدأ العلمي منذ أربعة عشر قرنا فقد سرد أقوال المشركين والمنافقين واليهود والمسيحيين في دقة وأمانة ثم ناقش آراءهم بالدليل الحاسم والمنطق المبين .

وإني لأرجو أن تتكون لجنة علمية لمراجعة الكتاب بعد تحقيقه وقبل تقديمه للطبع فإن الكتاب عظيم ، وهو جدير بهذا الجهد العظيم ؟

على عبد العظيم

المصطلحات العسكرية في كتاب "المخصص" واستعمالها في الجيش العراقي الحديث

للواء الركن محمود شيت خطاب

— ٣ —

(ب) المصقلة : ما يصقل به .

(ج) هندت السيف : شحذته .

(د) الأعوس : الصيقل .

(هـ) المحار : الخشبة التي يعمل عليها الصيقل .

(و) سيف مذرب[1] : إذا أنقع في سم ثم شحذ .

(ز) سيف قشيب : حديث الجلاء .

(ح) طبعت السيف أطبعه طبعاً : صنعته وكذلك الدرهم .

(ط) الطباع : الذي يأخذ الحديدة المستطيلة يعرضها ويمدها فيطبع منها سيفاً أو سكيناً أو نحوهما ، وصنعته الطباعة .

(ى) المطيلة : الحديدة تذاب السيوف ثم تحنى وتضرب وتمد وترقع وتطبع بعد المطل فيجعلها صفيحة . والمطال : صانع ذلك ، وحرفته المطالة .

(ك) الخشيب : الذي لم يصقل ولا أحكم عمله .

(ل) الدائر : الذي قدم عهده بالصقال .

الشامل : الذي قدم عهده بالصقال .

(ن) الصلع : العوج في السيف .

٢ — (١) صقل السيف : جعله مصقولاً جاهزاً للاستعمال في القتال .

(ب) المصقلة : الآلة التي تصقل السيف .

(ج) الصيقل : صانع السيف ، وهو من أرباب الحرف في المصانع الحربية وفي كتائب الخيالة . (ج) : صياقلة .

---

(١) ذرب السيف ونحوه ذرباً : أحده . وذرب السيف ـ ذرباً وذرابة : صار حديداً ماضياً وذرب السيف ونحوه : ذربه . وذرب السيف : أنقعه في السم ثم شحذه . والذراب : السم . انظر المعجم الوسيط (١ — ٣٠٩ — ٣١٠) .

(د) طَبَعَ السيفَ : صَنَعَه .

(هـ) المطيلة : الحديدُ الخام الذى يُصنع منه السيف .

(و) المِطَال : الذى يُحمى الحديدَ الخامَ ويجعل منه صفيحة تُعمل سيفاً بعد صقلها والمِطَالة حرفته .

نعوتها من قبل عرضها ولطفها

(ا) الصفيحة : السيف العريض .

(ج) صفائح وصفاح . وضربته بالسيف مصفحاً ومصفوحاً ضربته بعرضه وصفح السيف وصفحته : عرضه وسيف مصفح : عريض .

(ب) الخفق من السيوف العريض

(حـ) وسيفٌ ناحلٌ : رقيق .

(د) القضيب اللطيف (ج) : قضب .

(هـ) المُفقَّر : الذى فيه حزوز مطمئنة عن متنه . ومنه ذو الفقار .

(و) السيفُ الأفقف الذى له حد واحد وقد حزز طرف ظبته[1] .

٢ — (ا) الصفيحة . السيف العريض .

(ب) سيفٌ ناحلٌ : رقيق

(ج) المُفقَّر : الذى فيه حزوز . وهى سيوف الضباط ، وسيوف غيرهم من الجنود وضباط الصف غير محززة .

الممتهن[1] من السيوف والمجرب

١ — (ا) المِهنَد : الذى يُمتهن فى قطع الشجر ونحو ذلك .

(ب) سيف مجرب موثوق به .

(حـ) سيف صنيع قد بُلِى وجُرب

٢ — سيف مجرب موثوق به .

نعوتها من قبل مواضعها وصناعها

١ — (ا) الهندوانى والمهند منسوب إلى حديد بلاد الهند . الهُندُوَني منسوب إلى الهند على غير قياس .

(ب) المشرفى : منسوب إلى المشارف ، وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف

(حـ) الحنيفية : ضرب من السيوف منسوبة

---

[١] الظبة : حد السيف والسنان والخنجر وما أشبهها (ج) : ظباوظبات وظبون : انظر المعجم الوسيط ٥٨١٢

[١] الممتهن : المبتذل . امتهن الشىء : ابتذله . انظر المعجم الوسيط (٢ – ٨٩٢) .

إلى أَحْنَف لأنه هو أوّل من عملها .

٢ – (ا) السَّيف العربي : السَّيف الذي يكون نَصْلُهُ عَرِيضاً .

(ب) السَّيف الأجنبيّ السَّيف الذي يكون نصله دقيقاً .

انتضاء السَّيف وإغماده

١ – (ا) غَمَدْتُ السَّيفَ وأَغْمَدْتُه .

(ب) سَلَلْتُ السَّيف أَسُلُّه سَلاًّ واستللته فانْسَلَّ . وسيف سَلِيلٌ : مَسْلُولٌ .

(ج) نَضَاه نضواً : سَلَّهُ .

(د) اخْتَرَطه . سَلَّهُ .

(ه) سَيفٌ صَلْتٌ وإصليتٌ : مُجَرَّدٌ من غِمْدِهِ .

(و) مَعَطَ سيفَه وامْتَعَطَهُ سَلَّهُ .

(ز) أَلاحَ بسيفه : لَمَعَ به .

(ح) خَطَرَ سيفه يَخْطِرُ خَطَراناً : رفعه مرّةً ووضعه أخرى

(ط) شَامَ سيفَه شَيْماً . أَغْمَدَه وسَلَّهُ وهو من الأضداد .

(ى) شَهَرَ سيفَه يَشْهَرُ سَلَّهُ

٣ – (ا) سَلَّ السيفَ : أخرج النَّصْلَ من غِمْدِه وسِلْ سَيْفَ : إيعازعسكرى لعملية السَّلّ .

(ب) أَغْمَدَ السَّيفَ : أدخل النَّصْل في غِمْدِه . وأَغْمِدْ سَيْف : إيعازٌ عسكرى لعملية إغماد السيف .

الرِّمَاحُ

أسماء الرِّماح وطوائفها

١ – (ا) رُمْحٌ . (ج) : أَرْمَاحٌ ورِمَاحٌ . الرَّامِحُ : الطاعنُ بالرُّمح . يقال : وقد رَمَحْتُه ، وأَرْمَحُهُ رَمْحاً . ويقال لحامل الرُّمح رامِحٌ . والرَّمَّاح : متَّخذ الرِّماح وحرفته الرِّمَاحة . والرَّمَّاح أيضاً . ذو الرُّمح .

(ب) القناة : الرُّمحُ (ج) : قَنَوَاتٌ وقَناً وقُنِيٌّ . ورجـــل قَنَّاء ومُقْنٍ : صاحب قَناً .

(ج) لوَشِيج نَبَاتُ الرِّماح . واحدته وشِيجَة .

(د) المُرّان : الوشيج . واحدته : المُرَّانة وهو من المَرَانة وهو اللّين

(يتبع) محمد شبت خطاب

خفايا في زوايا اللغة والأدب

للأستاذ علي السباعي

— ٤ —

٢١ — بشر : البشر الإنسان للواحد والمثنى والجمع وقد ثنى في القرآن في قوله تعالى في سورة المؤمنون (أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) وجمعته المعاجم قياساً مطرداً على «أبشار» فلا داعي لقولها بعد هذا إنه لا يثنى ولا يجمع .

٢٢ — بش : يبش بشاشة انطلق وجهه وفرح بالمرء وانبسط إليه ورجل هش بش أو هاش باش ولم تذكر المعاجم (بشوش) المستعملة كثيرة في لغة العوام خطأها المجميون ولكنها صحيحة ووردت في شعر عنترة :

ألق صدور الخيل وهي عوابس
وأنا ضحوك نحوها وبشوش

ولا يعترض عليها لأن فعلها لازم لا تقاس منه صيغ المبالغة فإن السماع قد جاء من أفعال مقابلة لبش بفعول كعبوس وقطوب من عبس وقطب .

٢٣ — بصر : بضم الصاد ورد في القرآن لازما (قال بصرت بما لم يبصروا به) طه آية ٩٦ ، (وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون) القصص آية ١١ ، ولم يرد في المعاجم تعدي فعل يفعل بضم العين في الماضي والمضارع سوى رحب فقد جاءت في قول نصر بن سيار : «أرحبكم الدخول في طاعة ابن الكرماني» أي أوسعكم الدخول الخ ، وقد أتى ابن هشام في المغني ج ٢ ص ١٠٦ بشاهد لرحب في التعدي «هذا بشر طلع اليمن بضم اللام في طلع أي بلغها» وقال ولا ثالث لهما ووجههما أنهما ضمنا معنى وسع وبلغ . وقد رجعت إلى اللسان والصحاح وغيرهما فلم أجد أحداً ضم اللام في طلع ، وقال اللسان في المثل الذي أتى به ابن هشام «طلع بشر اليمن» أي قصدها من نجد ولعله يقصد بسر بن أرطاة بضم الباء والسين المهملة لا بشرا

وعلى رواية اللسان وضبطه لام طلع بالفتح لا يكون هناك ثان لرحب فى التعدى بالتضمين كما قرر ابن هشام فى كتابه .

لكنى قرأت فى المخصص جـ ١٥ ص ٦٩ نصف بيت لهذلى وفيه تعدى بصر المضمومة الصاد ورجعت إلى أشعار الهذليين طبع أوربة فوجدت بيتا لأسامة بن الحارث الهذلى ونصه :

وتوحش فى الأرض بعد الكلام[1]

ولا تبصر العين فيها كلابا

ورجعت إلى اللسان (رحب) فوجدته يقول : « وليست أى رحب متعدية عند النحويين إلا أن أبا على الفارسى حكى أن هذيلا تعديها إذا كانت قابلة للتعدى بمعناها كقوله : ولم تبصر العين فيها كلابا .

وقال الصحاح فى (رحب) ولم يجىء فى الصحيح فعل بضم العين متعديا غيره وتفيد تعليقتنا هذه إضافة ثان لرحب فى التعدى هو بصر وعلى المعنيين بالمعاجم أن يضيفوها متعدية إلى (بصر) ، وإبطال ما أتى به ابن هشام فى المغنى ، وفك الحصر الذى قرره الجوهرى فى صحاحه .

٢٤ — بعض : ذكرت فى القرآن مضافة ٩٢ مرة وغير مضافة ٤٦ مرة ومفردة ومقرونة بمثلها مرات ولم تذكر مرة بأل أو مثناة أو مجموعة ، وقال النحويين إنهم استغنوا عن تثنيتها بتثنية ما هو بمعناها (جزء) ولا أرى ما يمنع تثنيتها ما دامت بعض المعاجم جمعتها على (أبعاض) كما جمعت (جزء) بضم الجيم وفتحها على (أجزاء) وإن قرر الراجز بشروط المثنى الممنع فقال — :

ولم يكن كلا ولا بعضا ولا

مستغرقا فى النفى ملت الأملا .

وقد أعجبنى الأستاذ عباس حسن رائد النحو فى هذا العصر فى كتابه (النحو الوافى) إذ تعرض للكلام على كل والمستغرق فى النفى ولم يتعرض لبعض ! .

وقال بعض النحويين لا تدخل عليها أل لإضافتها الملفوظة أو المنوية ولكنها جاءت بأل فى شعر مجنون بنى عامر — :

لا يذكر البعض من دينى فينكره

ولا يحدثنى أن سوف يقضينى

أنظر الأغانى جـ ٢ ص ٤٢ طبع دار الكتب

وقال الأزهرى فى تهذيب اللغة جـ ١

(١) الأرض الثانية .

ص ٤٨٩ (أجاز النحويون الألف واللام فى بعض وكل وإن أباه الأصمعى) وقال اللسان (استعمل الزجاجى (بعضا) بالألف واللام فقال وإنما قلنا البعض والكل مجازا وعلى استعمال الجماعة له مسامحة وهو فى الحقيقة غير جائز) وقال (قال أبو حاتم لا تقول العرب الكل والبعض وقد استعمله الناس حتى سيبويه والأخفش فى كتبهما لقلة علمهما بهذا النحو) وقال ابن المقفع فيما رواه اللسان أيضا (قال أبو حاتم قلت للأصمعى — : رأيت فى كتاب ابن المقفع (العلم كثير ولكن أخذ البعض خير من ترك الكل فأنكره أشد الانكار.

وأرى أن إدخال (أل) على (بعض) سائغ لا يأباه العلم بعد أن قرأنا بيت مجنون بنى عامر السابق، وبعد أن عرفنا رأى الزجاجى والأزهرى، وبعد أن استعمله سيبويه والأخفش فى كتبهما وهما من هما؟ وبعد أن قرأنا اللغويين والنحويين والفقهاء فى مؤلفاتهم (قال البعض ويرى البعض) كما أرى أن استعمال العامة فى إقليم الغربية (بعضشى) حين يطلبون بعض شىء من ملح أو فلفل أو سكر، قريب من قول العرب (إيش) مخففة من أى شى كما رأى ذلك ابن السيد فى شرحه أدب الكتاب ونقله الشهاب الخفاجى فى كتابه (شفاء الغليل) ص١٥ وكأن العامة نحتت بعضشى من قول زمان بن سيار فى البيان ج٣ ص٢٠٥.

بلى شىء يوافق بعض شىء
أحايينا وباطله كثير

أما الكلام على (كل) فسيأتى إن شاء الله فى حرف الكاف.

٢٥ — [بغض] لم يأت هذا الحرف فى القرآن إلا بالبغضاء (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) المائدة آية — ٦٤. (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) الممتحنة آية — ٤. أما بغض بضم الغين بغاضة، وأبغضه الله فهو مبغض بكسر الغين وفتحها، وبغضه الله تبغيضا، وباغضه مباغضة، وتباغض تباغضا، وهو بغيض، ومن أهل البغضة بضم الباء والبغضة بكسر الباء والمبغضة فوضع ذلك كله المعاجم.

وقال الصحاح فى (بغض) ما أبغضه إلى شاذ لا يقاس عليه وإنما جعله شاذا لأن التعجب لا يكون من أفعل.

(يتبع)

علي الصافي

أنباء وآراء

● عقد مجلس مجمع البحوث الإسلامية جلسة طارئة مساء ١٠ من جمادى الآخرة ١٣٨٩ هـ الموافق ٢٣ / ٨ / ١٩٦٩ لدراسة الاعتداء الصهيونى الغادر على المسجد الأقصى ، ويجد القارىء قرارات المجمع ، وبيان المجلس الأعلى بصدد المجلة التى خصصت للمسجد الأقصى .

● نص برقية الإمام الأكبر شيخ الأزهر رئيس مجمع البحوث الإسلامية إلى الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة :

السيد / يوثانت « السكرتير العام » لهيئة الأمم المتحدة :

شيخ الأزهر وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية المجتمعون بالقاهرة يستنكرون جريمة إسرائيل فى إحراق بيت المقدس وإحراق مكتبته وأروقته ويستحثون الضمير الإنسانى العادل فى شخصكم وفى الهيئة الدولية للعمل السريع الصريح والحازم لوقف هذه الاعتداءات . ووضع حد لهذا الاستخفاف بمقدسات الأديان من سلطات إسرائيل ومن يناصرونها من المنظمات الصهيونية والاستعمارية .

● أصدرت لجنة الفتوى بمجمع البحوث الإسلامية البيان التالى :

تستنكر لجنة الفتوى بالأزهر المكونة من علماء المذاهب الأربعة العمل الوحشى الذى قامت به الصهاينة ضد المسجد الأقصى الذى هو أولى القبلتين وثالث المساجد التى تشد إليها الرحال (وموطن الحج عند طوائف المسيحيين) والذى قدسه الله تعالى فى كتبه المنزلة وبارك فيه وفيما حوله وطهره تطهيراً .

وتهيب اللجنة بالضمير العالمى فى مشارق الأرض ومغاربها أن يضعوا حداً لهذه الفظائع التى تتنافى مع جميع الأديان السماوية ومع الخلق الإنسانى الكريم .

● فى مذيعينا — والحمد لله — من هو فى مستوى مسئوليته علما وعملا ، يوجه وينقد ويصحح ، ويحافظ على تراثنا : عقيدة وشريعة وثقافة ، وهذا المذيع دعاية طيبة للجمهورية العربية المتحدة فى وقت تبادلت فيه الدول البرامج الثقافية والدينية العام منها والخاص ، فكان درعا واقيا بعمله ضد الدعايات السامة التى تحاول تشويه كل ما هو طيب من أعمالنا .

هذا الوضع نفسه تظهر فيه بسرعة غلطة تشوهه كنقطة سوداء فى ثوب ناصع البياض ، كما يقول المثل : غلطة الأمير بلقاء ؛ ففى برنامج عام سمعت إحدى مذيعاتنا بتكرار نشيد جاء فى مقاطعه :

وحياة الحق الى انصلب

وشهيد القدس الى انصلب

والذى يخطىء فى عقيدة يمكن أن يخطىء فى أخرى ، ولكنه إذا نشد الكمال يمكن أن يطالع فيعلم ، وبخاصة فى هذه الجوانب الحساسة ، فلا يتسبب فى تشويه شىء وبالتالى لا يضيع جهودا مخلصة تجاوره وتؤدى عملها فى أمانة وإخلاص فى الوقت الذى حرصت فيه الدولة على صيانة عقيدة الشعب وزودت لهذا الغرض جهات مختلفة : الأزهر الشريف ، وجامعته ، ومجمع البحوث الإسلامية بكافة لجانه ، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، والصفحات الدينية فى الصحف اليومية . مجهودات أمينة خالصة لا ينبغى أن يشوهها خطأ مهما كان .

• جاء فى تصريح للرئيس الجزائرى هوارى بو مدين أثناء الاحتفال بتوزيع الجوائز المدرسية قوله : بمناسبة انتهاء العام الدراسى فى الجزائر يسرنى أن أخاطبكم فى هذا اليوم الذى نحتفل فيه بتوزيع الجوائز على الطلبة المتفوقين .

إننا نحتفل بأحسن ما تملكه بلادنا ، ألا وهو شبيبتنا التى ترتكز عليها آمالنا ؛ ذلك أن مستقبل الوطن يتوقف بالدرجة الأولى ، على هذا الجيل الصاعد بما فيه من فتيات سيكن غدا أحسن أمهات ومن شبان سيتحولون كذلك إلى رجال أقوياء على استعداد كامل لتحمل مسئولياتهم تجاه الدولة والوطن .

ثم قال : يجب على البلت الجزائرية ألا تغتر بالمظاهر الخلابة ، كما أنه يجب عليها ألا تقف عند تلك المسائل التى لا قيمة لها بالنسبة للحياة ، وإن الدول التى تعيش الآن فى ظل الحضارة والتقدم لم تدرك كل ذلك إلا بالعلم . وهناك موضوع آخر تجدر الإشارة إليه ألا وهو الأخلاق التى ترتكز عليها قوة وصحة كل مجتمع ، وكما قال الشاعر شوقى :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إننا أفراد مجتمع عربى مسلم له عاداته وتقاليده الخاصة يجب أن نعتز بها ونحافظ عليها . وحتى نتمكن من ذلك يجب نشر التعليم فى بلادنا لا بالنسبة للذكور فقط ، وإنما كذلك بالنسبة للإناث .

فهذه كلمات كان من الواجب على أن أقولها لكم بهذه المناسبة ، وثقتنا تامة كاملة فى الفتاة الجزائرية ، ونحن - على يقين - من أنها ستوفق فى التقدم الحقيقى والرقى الصحيح وأنها ستحافظ على الأخلاق التى هى أساس مجتمعنا العربى المسلم.

● اهتم فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بإعداد مكتبة خاصة بالمجمع ، وقد قامت الأمانة العامة بشراء الكتب اللازمة للمكتبة لتزويد الأعضاء الفنيين بمادة البحث العلمى ، كذلك زودتها الجامعة العربية بكتب أهدتها للمجمع ، وقام صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ (محمود ربيع) فتبرع للمجمع بجزء من مكتبته الخاصة إيمانا منه بالعمل السامى الذى يؤديه المجمع خدمة للإسلام والمسلمين ، شكر الله له جهدا مبرورا وعملا محمودا ، ولمثل ذلك فليعمل العاملون .

● صدر القرار رقم ٧٨٣ فى ٦٩/٨/١٣ بتشكيل لجنة الفتوى (إحدى وحدات مجمع البحوث الإسلامية) على الوجه الآتى :

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد « الحنفى المذهب » رئيسا ، وأصحاب الفضيلة الأساتذة : محمد محمد يوسف البربرى ، وياسين سويلم طه ، ومحمود عبد الغفار (مالكية) وعبد العظيم سعد بركة (حنبلى) ومحمود عبد الدايم (شافعى) أعضاء .

● نشرت صحيفة (واشنطون بوست) الأمريكية مقالا تحدثت فيه عن نشاط الدكتور محمود حب الله الأمين العام السابق لمجمع البحوث الإسلامية ومدير المركز الإسلامى بواشنطن - حاليا - جاء فى المقال: إن هذا العالم الكبير جاء إلى هنا لتفسير الثقافة الإسلامية فى كل أرجاء الولايات المتحدة ، وأن مئات الآلاف من الأمريكيين أصبحوا يحبون الاستماع إلى محاضراته عن التاريخ والثقافة الإسلامية ، وأنه عالم من الطراز الأول .

● قدم الدكتور محمود حب الله إلى مجلس إدارة المركز الإسلامى بواشنطن - ويتكون من سفراء الدول الإسلامية - اقتراحا يقضى بإنشاء عدة مدارس ذات مراحل مختلفة تنتهى بالمرحلة العليا يدرس فيها الطالب علوما إسلامية وعربية بجانب المواد الأخرى حتى يكون أهلا لحمل رسالة الإسلام والدعوة إليها والدفاع عنها. قوبل الاقتراح بالموافقة الإجماعية .

على الخطيب

food of a man for ten thousand days, that is about 30 years (28 years odd days), that is the subsistance of a whole life. From the story of the Hijra we know that a good she-camel cost 400 dirhams, but an average camel cost a hundred dirhams, that is to say, the ransom or blood-money amounted normally to ten thousand dirhams. Historians say that when 'Attaab ibn Asid was nominated governor of Mecca, the Prophet allowed him a salary of thirty dirhams a month. One dirham sufficed for a whole family of average level. If even the governor had to pay a ransom, and relied only on his salary and private means, he would not be able to do that without the help of insurance society.

Miscellaneous

The constitution has provision for legislation, administration of justice, religious tolerance, social insurance and all that was necessary in those days when governmental responsibilities were fewer than in our days. Nevertheless the document shows what a welfare state did in the time of the Prophet, and showed a practical example thereto. Each of these points could be developed, on the basis of historical facts of the time of the Holy Prophet, and one will see therein that he was really a Mercy-unto-the-Worlds, and really the Best-Example-to-imitate for the welfare of the two worlds.

This last point is more than an insignificant detail. In fact the Muhajirun did not hail from the same tribe; there were even the Abyssinian Bilal, the Persian Salmaan, the Greek Suhaib. All these are welded into one single unit, and transformed into a new tribe, which was not based on blood relationship, but on the brotherhood of the faith. This seems to be the first step to abolish nationalities based on the accidents of birth, such as the identity of birth-place, language, race, colour of skin etc., where there is no choice to a man. Islam envisaged a world order, and identity of the ideology was chosen as the basis, where every individual had the possibility of subscribing, in a supra-racial yet internally very solid group, with all the possibility of including the entire humanity, even of men and the jinn.

The social insurance requires some details. Insurance is always intended to lighten the burden of the individual, by transfering it to as big a group as possible. The more heavy burdens of individuals differ according to time and clime, in so far as their recurrence is concerned. In our present days, destruction by fire, medical treatment and the like are the nightmare of individual; the fear of being kidnapped or captured by an enemy, or causing unintentionally the murder do not haunt us so much. Just the contrary was the situation of Madina 1400 years ago: everybody built his own house with his own hands, and had practically nothing to pay even for the material; and the simples prescribed by the medical experts cost next to nothing. But ransom of prisoner and blood-money of the homicide were of far frequent occurance. No wonder that these two charges are the principal object of insurance. The entire population benefited from it. For administrative purposes, groups of population were created, on the basis of sub-tribes, each of a few hundred persons, and the whole organized in a pyramidal structure. If some one was captured by the enemy and had to pay ransom for liberation, his insurance unit paid the whole amount. Similarly if he had to pay blood money for a culpable homicide, not subject to capital punishment, his insurance unit took the amount on its charge.

This was even necessary, for hardly any individual was capable to pay these amounts personally. Ransom and blood money, each amounted to a hundred camels. From the history of the battle of Badr, we know that one camel sufficed to feed a hundred Meccans for one day. Hundred camels mean

When resorted in appeal case to the head of the state, he could give orders; and the head of the state also could take initiative of giving new orders. In all such cases, his decision was declared final for Muslims (§ 25), as well as for Jews (§ 42): "they will be turned to God and to Muhammad", say the two clauses. It was a revolution in Arabia to declare that vendetta and private justice will not be tolerated, and that nobody should binder the administration of justice even against his child (§ 13, 21, 22, 36 b, 47, etc). Justice belonged to the head, be that of the unit or of the city-stat; and these judges were not only bound by the law of the land, but could also execute their decisions-another novelty, since in pagan Arabia, rights were declared by arbitrators, but not executed by them.

War and peace also were "central" topic, and hence indivisible. "The peace of the Believers is one sole" (§ 17), war and peace both of Muslims and Jews are mutually adhered to (§ 36 a, 45 a). There was to be mutual held among Muslims and Jews in case of foreign attack on Yathrib (Madina) (37 d, 44), each group of population having to bear its own expenses in war and defence (§ 24, 37 a, 38, 45 b).

Foreign policy is also partly centralized, and the document precisely lays down that nobody must protect life or property of the pagan Quraish and of their allies (§ 43).

4 — Although there is question of expenses during a war, there is no mention of taxes in peace time. This implies that in fiscality also there was autonomy. We konw that the Jews of an-Nadir had a municipal treasury (kanz as they called it), to which they contributed for eventual needs; Muslims had nothing to do with in, similarly the zakaat was perceived [on Muslims only, Jews being exempt.

Social Insurance :

5 — As many as 10 clauses (3 to 12) are devoted to social insurance. In § 4 —11 it is said that the various Ansar tribes will continue to act according to their former customatry system of ma'aaqil; and § 12 says, if the resources of a unit fall short of the requirements, others will come to help, in a sort of pyramidal organization, (the central government coming to help in the last resort). And § 3 says "the immigrants of Quraishite origin will among themseleves practice the same system". The word "former customary practice" is not employed here.

follows us, will have succour and equathird party)". — This seems to imply that § 24 — 47 are late additions, when the Jews of Madina decided to enter the confederation, may be after the great victory at Badr.

Our historians say that there were three Jewish tribes : Qainuqaa' an-Nadir, and Quraiza. But the document names only the "Jews, clients of 'Awf, Najjaar, Haarith, Saa'ida Jusham, Aws, Tha'kaba and Shu'aiba" (§ 25 — 33). These are all Ansar of Khazraj and Aws. The implication seems to be that the Jews were not the original inhabitants of Madina, much less independent groups ; but that they lived there at sufferance, as guests and clients of the local Arabs.

2 — The text continues, "They constitute one single community in face of all men" (§ 2). — This is the declaration of independence, be that against the pagan Mecca, Byzantine empire, Iran or any other state in the world. As to the limits and frontiers. (§ 39) speaks of the "jawf" (valley) of Yathrib, as a "sanctuary for the people of this document". In his history of Madina (ما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة) al-Matari records that the Prophet sent some persons to construct pillars in different direction of Madina as limits of the city-state. Later this sanctuary became the capital of the expanding state, and new territorial acquisitions did not require modification of the constitution, although the Qu'ran and the Hadith completed the provisions whenever found necessary.

3 — As the city-state had diverse groups of population, who had never known before a State or a King, religious tolerance was a fundamental need. So § 25 says : "to the Jews their religion and to the Muslims their religion, be they clients or patrons. But whoso oppresses or sins, it is his person and the members of his house who would suffer". — This implies a sort of autonomy to units. In fact few were the subjects transferred to the Centre, in all the rest the units or tribes were autonomous.

It will look strange today that naturalization of foreigners was not a central suject, but belonged to every tribe and even every individual member of the tribe. In fact by wila' and jiwar (§ 15, 25, 46 etc). foreigners could become members of the family, and thus inhabitants and citizens of the state.

Legislation and administration of justice were partly central and partly depended on the units.

Prince of Machiavelli, and is as immoral.

The earliest written constitution, promulgated by a sovereign for his own statal conduct, both in internal and foreign affairs is, in so far as I could ascertain, the one produced at Medinah in the year 622 (year 1 of Hijra, several hundred year before the British magna carta). The text has come down to us in toto, thanks to Ibn Is'haq, Abu 'Ubaid, and Ibn Abi Khaithama (which last is quoted in the work of Ibn Sayid an-Nas). Extracts of it have however been quoted by practically all traditionists and historians. It is also translated into all the big languages of the East and West : German, French, Italian, Dutch, English, Turkish, Urdu etc. (The text and references could be consulted in my al-Watha'iq as'Siyasiya, No 1).

According to al-Bukhari, it was in the house of Anas ibn Malik that it was prepared (apparently the Prophet having convened there the consultative meeting of the representatives of the population). According to al-Maqrizi, this document used to hang on the sword of the Holy Prophet (perhaps with the significance that its violation will be punished by sword).

The document could be divided into 55 clauses. But the first European translation (in German, by Wellhausen) has numbered only 47 clauses, amalgamating at times several clauses into a single one; and all later western translations have followed the same numbering. I am obliged to do so, but I shall, at occasions, distinguish by subdivisions a, b, etc.

Analysis :

1. After the basmalah, the Act says : "This is a prescription of the Prophet Muhammad Messenger of God, (to have effect) between the Believers and the Submissive, from among the Quraish, the people of Yathrib (Madina), and those who would follow them by joining them and combatting along with them" (§ 1 . — Along with the Muslims of Mecca and of Madina, the door is left open to others to join the same State, a confederal city-state at that time. The Act speaks (§ 20 b) of Arabs of Madina who had not yet embraced Islam, and (§ 16, 24 - 47) of Jews. There were some Christians also in the city, led by Abu 'Aamir ar-Rahib, but they seem to have refused to collaborate, and even migrated to Mecca to fight against Muslims in the battle of Uhud along with other pagans; hence the silence on thier score. The § 16 says : "Whichever of the Jews

THE EARLIEST WRITTEN-CONSTITUTION OF A STATE IN THE WORLD

a document of the time of the Prophet

By Dr. Muhammad Hamidullah

Background

It is a common place to-day to talk of a written constitution for a state, since every country does that. In olden times it was the whim and fancy of the chief which decided every thing. When we go into the history of a written constitution, we think of the modern France, at the most of the Magna Carta of England.

In the classical antiquity, we do come across certain documents. So there is Solon (640-558 B. C.) of Athenes. He was one of the members of the governing committee in the city-state. At his suggestion, certain modifications were made in the local practice, but there is no question of producing a complete constitution. There is of course a a famous book, Constitution of Athênes by Aristotle (384-322B.C.), recently discovered on papyrus and published. But it is a misnomer, for although Aristotle was the ministre of Alexander the Great, he does not describe the method of the government in his days, but speaks of the history and evolution of administrative practices in the city-state of Athenes in olden times. It is a book of history, not of law.

One also possesses the Shu-king (literally, "the book"), compiled by Confucius (551-479 B. C.), who was also a minister for some time. This work is a kind of counsel or textbook on etiquette, good manners, and a few stray remarks on administration. It is far from describing the constitutional set up of his country, much less a constitutional Act, of China.

A contemporary of Alexander the Great and Aristotle, we have in India the Artha Sastra (or "political economy") of Kautiliya who was a minister of the emperor Chandra Gupta. The book speaks of all kinds of political, administrative and religious matters, but the emperor was not at all bound by these precepts. It resembles The

We shall now have a brief review of present situation in the city of Jerusalem which has been favoured by the Glorious and Spiritual Signs of God, and for which the hearts of the faithful everywhere yearn.

At present the Israeli aggression on Islamic and Arab holy places of Jerusalem has aroused the indignation and anger of faithful people all over the world. Israel's annexation of Jerusalem is an open challenge to both the human rights, and the world opinion manifested in unanimous resolution of United Nations. Israel has carried out its conspiracy for the control of the whole city of Jerusalem through successive measures. This matter is clear from the following facts :

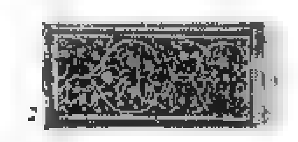
1 — The Israeli authorities actually demolished the walles separating Arab Jerusalem and occupied Jerusalem.

2 — Israeli armoured trucks and cars are used to change the features of Arab Jerusalem and turned it into an Israeli view.

3 — Israel expressed its intention of pulling down the Mosque of the Dom in Jerusalem and erecting instead of it the temple of Solomen.

4 — And now the catastrophe of the burning of Al-Aqsa Mosque in Jerusalem.

The celebration of the 'Night of Ascent' of the Prophet, at this critical period in the history of Jerusalem, the first Qibla of Prophet Muhammad and his followers, should remind the Muslims the Significance of Jerusalem for Islam, and the importance of restoring its sanctity and dignity.



is true. I testify that you are the Messenger of Allah". On that blessed journey, the prayer which is the main pillar of the religion was ordained.

The Al-Aqsa Mosque was the first Qibla of Muslims and remained so far about 16 months after which the Prophet received the revelation of God to turn their faces in prayer (Salath) towards the Kaba. Thus we see that Jerusalem is closely connected with the history, the precepts, the most important events and the sacred things of Islam.

Muslims are deeply attached to this great spiritual and religious monument of Jerusalem for those glorious meanings, and are accustomed to give it due regard and care throughout the ages. The reverence paid to it by Muslims is not intended for worldly or an imperialistic aim. Their purpose is the propagation of the principles connected with this sacred spot as well as the principles of justice, right, freedom, and the establishment of peace and concord under the aegis of the noble principles of the religion of God. Since the Islamic conquest, the Muslisms have been, and are still, keen to liberate and defend this Holy City against all aggressors. The Holy Prophet is quoted by Abu Huraira as saying : "Pilgrims' journeys are to be made only to three mosques : my Mosque, the Sacred Mosque and Al-Aqsa Mosque".

As regards the significance of the prayer in Al-Aqsa Mosque, Anas Bin Malik related that the Prophet said : A man's performance of prayer in his own house counts as one prayer, his prayer in the mosque counts as 25 prayers. If he performs it in a congregational mosque, it counts as 500 prayers. If he performs it in Al-Aqsa Mosque it counts as 5000 prayers, and if he does it in my mosque (at Medina) it counts as 50000 prayers, but if he performs it in Sacred Mosque (at Mecca) it counts as a hundred thousand prayers. The Prophet is quoted by Mymoonah, in reply to her question, if it was ordained for Muslims to travel to Al-Aqsa Mosque ; as saying : "Go to it and pray therein, otherwise send oil with which to light its lamps".

We find in the above mentioned quotations of the Quranic verses and the Traditions of the Prophet that Jerusalem is one of the holiest spots on the earth and dear to the hearts of all Muslims. This Holy City and its shrines remind under the care of the Muslims till Palestine was occupied by the British during the first world war in 1915.

earth, as the Holy Qur'an Says :

«إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين» (آل عمران ٩٦)

It means : "Lo ! The first Sanctuary appointed for mankind was that at Becca (Mecca) a blessed place, a guidance to the people" (3 : 96)

This mosque was rebuilt by Abraham and his son Ismael.

About Al-Aqsa Mosque the Qur'an Says : المسجد الأقصى الذى باركنا حوله It means "... Al-Aqsa Mosque, the precincts of which We have blessed. . ." Al-Aqsa Mosque was built by Jacob, renewed by David, and completed by Solomen. It is reported that Abu Dharr once asked the Prophet : "What is the first Mosque built on earth" ? The Prophet answered : "The Sacred Mosque (of Mecca)". Which came next ? "Al-Aqsa Mosque (of Jerusalem)". How long was there between them" ? "Forty Years". According to Imam Zarkashi, Solomen only renewed Al-Aqsa Mosque. It was Jacob, Isaac's son, who established it after Abraham and Ismael had rebuilt the Ka'ba at Mecca.

We have seen in the above Quranic verse that God has blessed the precincts of Al-Aqsa Mosque. This blessing is manifested by religious and material appearences : Being the place of worship of the Prophets and their Qibla, and being abundant in fertile soils, in rivers and orchards.

On his journey to Al Aqsa Mosque as it quoted in the tradition, the Prophet went past the Mount Sinai, where God spoke with Prophet Moses and offered a prayer. He also went past the Bethlehem, the Birth place of Christ and offered a prayer there. Reaching Jerusalem he found Abraham, Moses and the Christ among a crowed of Prophets, and led them in prayer. Then he Ascended to Heaven where he witnessed some of the great Signs of his Lord.

Having returned to Mecca from these two journeys, the Prophet went to Qureish in the morning and told them the story. Some of them believed, and some disbelieved. When people went to Abu Bakr and told him the news, he said to them: " By God, if he says so, then it is true ". He then headed for the Prophet and said : " O Prophet of Allah, have you told these people that you visited Jerusalem over night ?" The Prophet replied : " Yes ". Then Abu Bakr, who had visited it before, asked the Prophet to describe it to him. Whenever the Prophet described anything, Abu Bakr said: "That

بك غضب علي فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو تحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك . . .

"O Lord ! I make my complaint unto Thee, out of my feebleness, and the vanity of my wishes, I am insignificant in the sight of men. O Thou Most Merciful ! Lord of the weak ; Thou art my Lord ! Leave me not a prey to strangers, nor to mine enemies. If Thou art not offended, I am safe. I seek refuge in the light of Thy countenance, by which all darkness is dispersed, and peace comes Here and Hereafter. Let not Thy anger descend on me ; solve my difficulties as it pleaseth Thee. There is no power, no help, but in Thee".

Such was the crucial condition of that period of the Prophets' mission when the most remarkable event of 'Night Journey and Ascension' took place. This miraculous journey was so arranged by Allah the Almighty for very good reasons : It was intended to steady the Prophet in response to his prayers and supplications, as well as to fortell the beginning of a bright future to his mission. The Holy Qur'an refers to this event :

سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير . (الإسراء ١)

It means : "Glorified be He Who carried His servant by night from the inviolable Mosque (Mecca) to the Farther Mosque (Jerusalem) the precincts of which We have blessed, that we might show him some of Our Signs. Lo ! He, only He, is the Hearer, the Seer".

(S : XVII, V : 1)

This Qur'anic verse refers to the Al - Aqsa Mosque as being closely connected with two very important occasions in Islamic history : The Night Journey of the Prophet from Mecca to Jerusalem, and his Ascent to Heaven. In the Night Journey Al-Aqsa Mosque was the termination and in the Ascension it was the beginning. The two journeys closely related to God's missions to people, to the rise of the bright light of religious guidance and to the struggle of Apostles for worshiping One God the Creator of the Universe.

The Sacred Mosque of Mecca was the first House of worship, in history, built for mankind in the

His reply was, always, full of life and full of faith, saying : "I am neither desirous of riches nor ambitious of dignity nor of domination ; I am sent by God Who as ordained me to announce glad tidings unto you. I give you the Words of my Lord. I admonish you ; if you accept the message I bring you, God will be favourable to you both in this world and the next. If you reject my admonitions I shall be patient and I leave God to judge between you and me".

The bitterness of idolatory was increased by the firmness of the Prophet and the refusal of his uncle Abutalib to stop his protection to Muhammad (peace be on him). As well as by the conversion of Umar, one of their stalwarts. The Qureysh were now decided to ostracize the Prophet's whole clan and protectors. With that purpose they, in the 7th. year of the mission, towards the end of 616 A.D., formed an allience against the descendants of Hashim and Muthalib. They bound themselves by a document which was deposited in the Ka'ba, to the effect that not to enter into any contract of marriage with the Hashimites or to buy and sell with them. Then, for three years the Prophet was shut up with all his kinsfolk in their stronghold in one of the mountain passes which run down to Mecca.

The tenth year of his mission is called in the history of Islam as the "Year of mourning" (Am el Husn عام الحزن), for loss his venerable protector Abutalib, and his cherished wife Khadija. Thus the Prophet lost in Abuthalib the guardian of his youth who had hitherto prectected him against his enemies, as he lost in Khadija his most encouraging Companion.

With a saddened heart, and yet full of trust, he determind to turn to some other field to preach his mission. Accompanied by his faithful servant Zaid, he went to 'Thayef'. He spoke to the people about his mission. They rejected his words and they drove him from the city ; And the rabble and the slaves followed, hooting and pelting him with stones. Wounded and bleeding footsore and weary he sat under the shade of some palm trees.

At this critical time, in the history of Islamic Call, the Prophet prayed :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى ، إلى بعيد يتجهمنى ، أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن

On the Occasion of the "Night of Ascent"

The Significance and the Importance of 'the Night Journey and the Ascent'

By :

A. M. Mohiaddin Alwaye

The Night of 27th Rajab, in the 11th Year of the Prophet's mission was a notable turning point in the history of Islamic Call. In that night the Prophet was carried from the 'Sacred Mosque' of 'Mecca' to the 'Sacred Mosque' of 'Jerusalem', and thence he ascended to heaven. This event, known in the history of Islam as '*Al-Isrâ-wal-Mirâg*' الإسراء والمعراج (the Night Journey and the Ascent), was a great miracle of the Prophet as well as a good-news foretelling a victory of Muslims over their enemies. It also closely connected the 'Al-Aqsa Mosque' of 'Jerusalem' with the 'Sacred Mosque' of 'Mecca'.

It was, therfore, necessary that the celebration of the Night of Ascent should remind the Muslims all over the world the significance of this event in the history of Islamic Call, and their connection with Mecca and Jerusalem, and their obligations to these holy places. For the first three years of his mission, the Prophet preached only to his family and his intimate friends. At the end of the third year he received the Command of God to preach his mission in public.

The Qureysh and the enemies of the Prophet were now alarmed that his preaching took serious revolutionary movement and their power and prestige were at stake. They accordingly decided upon an organised system of persecution. In spite of cruel persecution and threats, the little company of Muslims grew in number. It was then the enemies became actively hostile. At the season of the pilgrimage they posted men on all roads leading to Ka'ba, to warn the tribes against the Prophet who was preaching in their midst.

In order to prevent the Prophet from his duty they tried to bring him to compromise, offering to accept his religion if he would so modify it as to make room for their gods as intercessors with Allah. They also offered to make him their king if he would give up attacking idolotory.

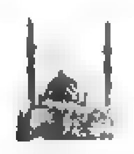


The Dome of 'the Sacred Rock' — Jerusalem

It was from this Rock the Prophet ascended to Heaven during his 'Night Journey' from Mecca to Jerusalem. This Dome is built above the Sacred Rock by the fifth Umayyad Khalif, Abdul Malik, in the years of 69 — 72 A. H.

orphans, old men and widows of the crusaders free without any ransom ; moreover he subsidized them from his own money. As a proof of his noble manners and noble treatments Saladin took symbolic ransom of 10 dinars from the patriarch of Jerusalem, leaving him to quit the city with such gold and silver treasures as he could carry, loading his carts with the previous things inside the church which Saladin refused flatly to confiscate. This noble human treatment is a sharp contrast to what the crusaders had committed when they captured Jerusalem. From then onward great attention was paid to Jerusalem by the Islamic States, and particularly to Al-Aqsa Mosque and to the Sacred Rock.

Now Al-Aqsa Mosque . . . the First Qibla, the Second Most Holy City of Islam, and the Place of the Prophet's Ascension. . . O Muslims! struggles to survive. Only the immediate and concreted action by everyone concerned the world over will save it from demographic and spiritual obliteration by the hands of Zionist Israelites.



remembered that the Hijrah was a clear division of the Prophet's mission, and a greeting to the new future of True Faith. The Muslims were Promised by God to enter Mecca in peace and safety :

لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين

(You shall indeed enter the Sacred Mosque, if Allah Will, in full security). This entry was materialised soon, and the Prophet entered his native city as conqueror without bloodshed and he proclaimed a general amnesty. Thus, the miraculous Ascent of the Prophet, and his migration, were so arranged by Allah, the Almighty, for very good reasons.

The Islamic conquest of Jerusalem, first during the Khaliphate of Umar Ibn - el - Khattab, and then during the reign of Saladin, was aimed to defend the sublime principles and aims of Islam, and spread true guidance, justice, freedom and equality. On his arrival at Jerusalem Umar concluded the following agreement with the people of Jerusalem: "In the name of Allah, the Merciful and the Compassionate. This is the pledge given by Abdullah Umar, the Commander of the Faithful, to the inhabitants of Aelia, a pledge to themselves and their belongings, to their churches and crosses, old and new, and to all the followers of their creed. Their churches are not to be destroyed wholly or in part, and their areas are not to be decreased, neither are their property, and they are not to be forced to abjure their religion ".

Having given them that pledge, he went to Jerusalem and walked till he entered the church of the holy Sepulchre. When it was time for prayer he said to the patriarch : " I want to pray". "Pray where you are" the patriarch answered. Umar refused and prayed alone on the steps at the entrance of the church, and said to the patriarch when he finished his prayer. " Had I prayed inside the church the Muslims coming after me would take it, saying that I had prayed here."

Then Umar said : " Show me a site where I can build a mosque". " On the rock where God Spoke to Jacob", said the patriarch. As that rock was covered with a lot of dust, Umar set out to remove it and all the Muslims followed suit till it was cleared away where upon he gave his orders for erecting the Mosque. Under the aegis of Islam, justice, toleration, peaceful coexistence and security prevailed in Jerusalem.

The toleration, the forgiveness and the good treatment that Saladin showed to his enemies are worthy of gratitude and pride. He set the

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FÛDA

RAJAB 1389	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	SEPTEMBER 1969

AL-AQSA MOSQUE...O MUSLIMS!!

By :

ABDUL RAHIM FUDA

At this moment of time, the Muslims all over the world celebrating the 'Night of Ascent' of the Prophet, it is necessary that this occasion should remind them their connection with Al-Aqsa Mosque, and their obligatory duty towards the city of Jerusalem. It is now occupied and ruled by an enemy determind to irrevocably change its physical appearence and drive out its sons ruthlessly.

Israel which has carried out its conspiracy against the Holy City of Jerusalem, in flagrant challenge of world public opinion is now preparing to implement the second stage of its plot which aims at demolishing Al-Aqsa Mosque, and building a Jewish temple in its place. This Zionist conspiracy is clear from the recent crime committed by the Israelis against Al-Aqsa Mosque.

The Night Journey of the Prophet from the Inviolable Mosque of Mecca to the Al-Aqsa Mosque of Jerusalem was to show him of Alla's Signs and Wonders, and to tell a victory of Prophet's mission. This historical event took place when the Prophet and his followers were facing a cruel persecutions and threats from their opponents.

After a year of the event of the Ascent, the Prophet and his followers migrated to Medina. It should be

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ قرشاً في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
والمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٤٧٣
٩٠٥٥٠٦

الجزء السادس — السنة الحادية والأربعون — شعبان سنة ١٣٨٩ هـ أكتوبر سنة ١٩٦٩ م

هذا الشعب المؤمن الخالد ..!

للأستاذ عبد الرحيم فوده

إنه شعب مصر ، شعب الجمهورية العربية . الشعب الذي امتحن بكثير من المحن والخطوب ، وتعرض بحكم موقعه . وطبيعة موضعه لكثير من الحملات والغزوات ، واحتمل من ألوان الاضطهاد والاستبداد ما لم يحتمله غيره ، ثم كان مع ذلك أقوى من المحن التي قاساها والخطوب التي عاناها ، فبقي وبقيت روحه العالية تشرق كسمائه الصافية وتزهر كواديه الخصيب ، وإذا كان الحديث عن كفاحه طويلا طول تاريخه ، عميقا عمق ماضيه على طوله وعمقه يتألق في حقيقة خالدة تستعلن في كل أطواره وأدواره ومراحل حياته ، تلك هي أنه شعب مؤمن يرتفع به إيمانه إلى أعلى القمم ، ويسمو به أمله وعمله وطول صبره وثقته بقدره إلى الصورة الشامخة التي يرمز إليها بناء الهرم ، وقد تألقت هذه الحقيقة في شعور « الرافعي » – رحمه الله – وفي ضميره وتفكيره حين قال على لسان مصري في نشيده المشهور :

أنا مصرى بنانى من بنا
هرم الدهر الذى أعيا الفنا
وقفة الأهرام فيما بيننا
لصروف الدهر وقفتى أنا

إنه الشعب الذى قهر كل القوميات التى وفدت عليه وصهرها . ثم وجد فى العروبة استجابة لنداء للوحدة فى القربى ، وفى الإسلام تلبية لدعاء الروح ، وفى القرآن تصديقا لما بين يديه من الكتب السماوية وتحقيقا لمعانى الحياة الطيبة ، فدان بالإسلام ، ولان لسانه بلغة القرآن ، ثم وقف بكل مدائنه وقراه ، وكل ما فى وسعه من عزم وتصميم ، يكافح دونهما ، ويدافع عنهما ، ويرد غارات التتار والاستعمار عن حماها ، حتى ارتفع إلى القمة التى لم تصل إليها أمة فى الحفاظ على مقدساته ، والحرص على مقوماته .

وأقرب مثل لذلك ما صار إليه بعد احتلال طال مداه . واستغلال أنهك قواه وفساد فى الحكم أشاع فى ربوعه الفساد والظلم ، ومكن لغاصبيه والطامعين فيه أن يقوضوا بناءه ويستنزفوا دماءه ، ويقيموا على أنقاضه ما أقاموا من شركات تستغل النفوذ وتستحل الحرام ، وتوهن الهمم ، وتفسد الذمم ، وتشترى الضمائر وتشل كل حركة نافعة ، وتمطل كل طاقة دافعة ، فلم يكن يقع فى وهم واهم ، أو حلم حالم ممن لا يعرفون طبيعة هذا الشعب أن تتفجر طاقته من عشية وضحاها فتطيح بالحكم الفاسد ، وتعصف بالعرش الظالم وتقذف بجيش الاحتلال فى البحر ثم تحطم الاقطاع ، وتؤمم الشركات . وتنظم استغلال رأس المال ، ويمتد تأثيرها بحركة التحرير فى الجزائر والسودان واليمن والجنوب العربى وليبيا والعراق فى كل الشعوب العربية ، ذلك أمر له وزنه الكبير وشأنه العظيم سيذكر دون شك فى تاريخ هذا الشعب العظيم الكريم ، مع ماله من مآثر فى الدفاع عن العروبة والإسلام منذ عرف العروبة ودان بالإسلام .

لقد شاء الله لهذا الشعب - منذ سقطت الخلافة الإسلامية فى بغداد - أن ينهض بكل طاقاته ومقدراته لتحمل التبعة ، فكافح فى كل ميدان ، وضحى فى كل محنة ، ودفع من دمائه وأمواله ما لا يعدله إلا شرف الإيمان بالقيم العالية الغالية التى كافح فى سبيلها ونافح عنها ، وهو اليوم - مع ما يغمر به من جراح

ثائرة عميقة ـ يستعذب الألم ، ويستسهل الصعب ، ويتقبل التضحيات ، ويبذل ـ كما كان يبذل ـ كل ما يستطيع ؛ ليرد عن العروبة والإسلام عادية الصهيونية والاستعمار ، وليس أصدق فى التعبير عن ذلك من قول الرئيس جمال عبد الناصر لقائد الجيش وهو يتحدث عن الجنود بعد إحراق المسجد الأقصى .

(إنهم فى معركتهم القادمة ليسوا جند أمتهم فقط ، ولكنهم جند الله ؛ حماة أديانه ؛ وحماة بيوته ؛ وحماة كتبه المقدسة ؛ إن معركتهم القادمة لن تكون معركة التحرير فحسب ، ولكنه أصبح ضروريا أن تكون معركة التطهير أيضا إن أنظارنا تتطلع الآن إلى المسجد الأقصى فى القدس وهو يعانى من قوة الشر والظلام ما يعانى ، ومهما يكن ما نشعر به فى هذه اللحظات ، فإن دعاءنا إلى الله عز وجل مؤمنا وخاشعا هو أن يمنحنا الصبر وللمرفة والشجاعة والمقدرة لكى يزيح الشر والظلام) .

هذا هو موقف شعب مصر الآن .

إنه هو هو الشعب الذى امتحن بكثير من المحن ؛ وتعرض ـ بحكم موقعه وطبيعة موضعه ـ لكثير من الحملات والغزوات ؛ ثم كان مع ذلك أقوى من المحن التى قاساها والخطوب التى عاناها ، فبقى وبقيت روحه العالية تشرق كمياهه الصافية وتزهر كواديه الخصيب .

فليعرف العرب والمسلمون واجبهم إزاءه ؛ فإنه واجب الشرف الذى يعتزون به ، والدين الذى يحرصون عليه ؟

عبد الرحيم فوده

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم » .

قرآن كريم

شيخ الأزهر الجديد

قابل تعيين فضيلة الدكتور محمد الفحام شيخا للأزهر وإماما أكبر ارتياحا عاما في جميع أوساط الأزهر والهيئات الإسلامية لما عرف به فضيلته من سعة الثقافة والبصر بشئون المجتمع والحياة ، والتمسك بالقيم الفاضلة والأخلاق الكريمة .

ولا شك أن دور الأزهر في هذه الظروف العصيبة التي يمر بها العرب والمسلمون يحتاج إلى قيادة حكيمة ، وتوجيه سديد وروح عالية .

وفضيلة الدكتور تلتقي فيه هذه المعاني وتتوافر لديه الخبرة والمقدرة والإخلاص ، وهو إلى ذلك قد ألم بشئون المسلمين في الرحلات المتعددة التي قام بها في الشرق والغرب ، ودرس قضايا العرب والمسلمين دراسة تنير له الطريق إلى العمل والإصلاح .

ولهذا ينتظر أن يتحقق الكثير من الخير على يديه ويستبشر الأزهريون بعهده . ويتطلع المسلمون في كل بلد يعيش فيه مسلم إلى دور الأزهر بقيادته وتوجيهه .

نسأل الله أن يسدد خطاه وأن يحقق أمل العرب والمسلمين فيه إنه ولي التوفيق ؟

(مجلة الأزهر)

الإســراء والمعــراج
بين الدين والعلم

للدكتور محمد أحمد الغمراوي

الدين مقصود به الكتاب والسنة ، والعلم مقصود به علوم الفطرة التي جرى العرف بتسميتها بالعلوم الطبيعية .

والإسراء ثابت بالكتاب بأولى آيات سورة الإسراء : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » الآية . وثابت بالسنة في أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الصحاح .

والمعراج ثابت بالسنة في أحاديث صحيحة متعددة : مع الإسراء في بعض الأحاديث ومفردا بالذكر في بعض . وثابت بالكتاب في سورة النجم في قوله تعالى « ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . مازاغ البصر وما طغى » .

فالضمير المستتر في الفعل رأى راجع إلى النبي ﷺ المقصود بقوله تعالى « ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » في الآيات الفواتح من السورة وضمير المفعول في (رآه) راجع إلى جبريل عليه السلام المقصود بقوله تعالى : « علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى » في الآيات التي تليها وهو وجل وجه الله أن يكون هو المقصود بهذه الآيات فيقول سبحانه عن نفسه إنه « دنا فتدلى » كما فهم منها بعض مفسريها

ففيما يتعلق بالنبي ﷺ لا خلاف بين علماء المسلمين في أنه قد كان إسراء به إلى بيت المقدس ، وأنه قد كان معراج به ﷺ في السموات السبع حيث بلغ من سابعتها ما شاء الله أن يبلغ . إنما الخلاف كان بين قلة ترى أن الإسراء والمعراج كانا بالروح ، وبين كثرة ترى أنهما كانا بالبدن والروح معا كما هو ظاهر آية الإسراء وآيات سورة النجم من غير تأويل ، عملا بالقاعدة البلاغية التي تقرر أن النص على حقيقة لفظه ما لم

يكن فى نفس النص قرينة تحمل اللفظ على المجاز ولا قرينة فى آية الإسراء تدل على أن المراد من قوله تعالى (بعبده) هو روح النبي لا شخصه الكريم ، ولا أن الرؤية فى قوله تعالى «ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى» كانت بالروح مجردة ، ولكن بالروح عن طريق البصر بدليل قوله تعالى «مازاغ البصر وماطغى» لكن القلة قامت بأنفسهم شبهة أو شبهات لم يجدوا مخلصا منها إلا بالقول إن الإسراء فضلا عن المعراج كان بالروح لا بالبدن ، غير آبهين باحتجاج الكثرة عليهم بأن تكذيب المشركين بما حدثهم به ﷺ صبيحة الإسراء إنما كان لاستبعادهم أن يكون قد انتقل ببدنه من مكة إلى بيت المقدس ثم أصبح بينهم فى ليلة وهم يقطعونها ذهابا فى شهر وليس عجيبا أن ينكر أبو جهل ومن إليه حديث الإسراء وهو لا يؤمن بالله ولا برسوله ، لكن العجيب أن يجد مؤمن بالله ورسوله فى نفسه ما يحمله على تأويل ظاهر القرآن وظاهر الحديث من غير قرينة ولا داع .

فالإيمان بالغيب من شروط المؤمن للتقى كما نطقت به الآية الثالثة من سورة البقرة ، وقدرة الله لا يعجزها شيء فى الأرض ولا فى السماء . فمن يؤمن بالمعجزات التى قص الله سبحانه فى كتابه أنه أجراها لأنبيائه ، كتلك التى أجرى لموسى وعيسى ، لا ينبغى أن يحيك فى صدره شيء يحول دون الإيمان بما قص سبحانه من أنه أسرى بنبيه ورسوله وعبده محمد من مكة حيث المسجد الحرام إلى بيت المقدس حيث المسجد الأقصى فى بعض ليلة ، على عظم آية الله فى ذلك مما دل عليه تصدير آية الإسراء بتسبيح ذاته العلية ، أمراً لعباده أن يسبحوه ــ سبحانه ــ من أجل آيته لهم ونعمته عليهم فى الإسراء بالرسول الذى أرسله إليهم ، وإيذانا بأن عظم تلك الآية وجلالها سيهول قوما من غير المسلمين فينكرونها ، ويتعاظم آخرين من المسلمين فيؤولون قول الله فيها .

وآية الله فى المعراج أعظم وأجل من آيته فى الإسراء فهى أقرب أن ينكرها المنكرون ويتأولها المتأولون ، إلا من آمن بالغيب والمتعصم بالنص القرآنى أو النبوى من الشبه الفلسفية أن تجد

سبيلا إلى نفسه ، ومن نزغات الشيطان عدوه المبين أن يعكر عليه صفو إيمانه بالشبهات والاستشكالات يأتيه بها من بين يديه ومن خلفه ، فيما لم يحط به علمه أو يدركه فهمه من آى القرآن من مثل آيات الإسراء والمعراج .

وليس من المعقول أن تحيط العقول بكل ما أودع الله فى كتابه العزيز من أسرار دينه أو أسرار خلقه إلا إذا أحاط علم العلماء ، علماء الفطرة ، بكل ما أودع الله فى فطرة الكون من أسرار ، وهيهات ! إن الكتاب الذى تحيط بأسراره العقول هو كتاب من عند البشر ، فما يأتى به الإنسان يمكن أن يحيط به الإنسان .

أما ما كان من عند الخالق فلا يمكن أن يحيط به المخلوق ، سواء أكان ذلك مما أنزل الله أم مما خلق ، ويكفى فى تقريب هذه القضية للأذهان فيما يتعلق بالخلق أن العلماء لا يزالون غارقين فى أبحاث الذرة ، وكانوا يظنون فى القرن الماضى أنهم أحاطوا بها علما ، وأن العلماء لم يكتشفوا أن فضاء ما بين الأرض والقمر لا يكادون يعرفون عنه شيئا حتى أخذوا يدرسونه دوليا عن طريق القميرات الصناعية والسفن الفضائية ، بل إن الغلاف الهوائى نفسه المحيط بالأرض لم يبدأ علمهم به يتسع إلا فى عهد اللاسلكى والطيران ، ولم يقو رجاؤهم فى التغلب على صعوبات أرصاده إلا فى عهد القميرات .

أما تقريب القضية فيما يتعلق بالكتب التى أنزلها الله دينا للناس فيكفى فيه أمر الوحى ، فسره وكيفيته لا يحيط به أحد وللمعجزات كذلك لا يدرك سر وقوعها أحد إلا أن الله أرادها فكانت ، لكن الغرور يأخذ بعض الناس فيظنون أن ما لا يستطيعون إدراك سره لا يمكن أن يكون حقا ، أو أن ما يبدو لهم خرقا للنواميس الكونية لا بد أن يكون باطلا ، كأن الحق والباطل متوقف على ما يتصورون ويدركون لا على الواقع ، إن الواقع أن قد كانت معجزات للبشر أجراها الله على أيدى أنبيائه ورسله لتكون برهانا محسوسا لدى كل من يعقل أنهم حقا أنبياء الله ورسله وإيمان سحرة فرعون رغم التعذيب والصلب دليل قاطع على أن معجزة العصا لم تكن من السحر فى شىء ، فمن يرد المعجزة وينسبها

إلى السحر وهو لا يدرى ما السحر فإنما يتبع هواه ويقول ما ليس له به علم ، وعلى أى حال فإجماع أهل الأديان على أن قد كانت معجزات يوجب التسليم بوقوعها وإلا لما صح من التاريخ شيء ، وإذن فكل تفكير يؤدى إلى إنكارها تفكير خاطىء وما يترتب على إنكارها فهو باطل ، ووقوعها تاريخيا يؤدى إلى إحدى نتيجتين فيما يتصل بالنواميس الكونية ، إما أن تكون خرقا لبعضها حسب نوع المعجزة أو لا تكون ، فإن كانت فهى أدل على صدق النبى أو الرسول فى دعواه أنه من عند الله ، لأنه لا يقدر على خرق السنة الكونية إلا الله الذى سنها ، وإن لم تكن فهى قد وقعت طبق سنة كونية النبوة أو الرسالة الإلهية شرط فى تحققها ، فإذا تخلف الشرط تخلفت النتيجة ولم تقع المعجزة . وهذا هو السر فى امتناع المعجزات اليوم وإلى يوم القيامة بعد أن ختمت النبوات والرسالات الإلهية بالإسلام ونبوة خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه .

وغير الإسلام من الأديان قائم على ثبوت المعجزات التى لم يشهدها إلا أهل عصرها فلما أنكرها فى الغرب المنكرون خطأ بناء على أنها خرق للنواميس الطبيعية ، تزلزلت تلك الأديان فى نفوس أهلها حتى اضطر كثير من رجال الدين فى الغرب إلى تأويل نصوصها فى كتبهم المقدسة أو إنكار تلك النصوص بناءا على أنها دخيلة فى تلك الكتب .

فكانوا فى إنكارهم كالمستجير من الرمضاء بالنار . ولو كانت كتبهم المقدسة ثابتة بنفسها تاريخيا أنها نفس الكتب التى جاء بها أنبياؤهم ورسلهم لثبتوا على الدفاع عن المعجزات التى نصت عليها تلك الكتب لكن النقد التحليلى لكتبهم المقدسة ألقى الشك على أن تكون هى التى جاء بها أنبياؤهم ورسلهم ورجح أو أثبت أنها كتبت بعدهم . فأقدم الأناجيل مثلا قدروا أنه كتب حوالى عام سبعين بعد الميلاد . ومن هنا تتجلى حكمة الله ونعمته على البشرية فى أن جعل معجزة الإسلام هى نفس كتابه ، وجعل كتابه ثابتا بالتواتر أنه هو بنصه وفصه نفس القرآن الذى أنزله سبحانه على محمد نبيه ورسوله فى غضون سنى رسالته حتى ختمه فى حجة الوداع قبل وفاته ﷺ بنحو ثلاثة أشهر

فكان مما أنزله عليه فيها قوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا».

فالقرآن الكريم ثابت بذاته أنه هو كتاب الله، ومعجزات الأنبياء ثابتة بالقرآن. ومن بينها للنبي عليه الصلاة والسلام معجزة انشقاق القمر ومعجزتا الإسراء والمعراج إذا تجاوزنا فى هاتين عن شرط التحدى الذى يشترطه علماء الكلام. وهو شرط اعتبارى لا يتوقف عليه أن الإسراء والمعراج كانا من عند الله لا يقدر عليهما سواه.

على أن الحق سبحانه قد اقتضت حكمته ورحمته أن ينسخ ما ألقى الشيطان أو يلقى من شبهة فى أمر الإسراء والمعراج بما يسر للإنسان من العلم النظرى والتطبيق فى عصر العلم هذا. فالتقدم العلمى التطبيقى مكن من قطع المسافات بسرعة تذهب بشبهة أن الإسراء لم يكن بالبدن. والتقدم النظرى الذى أيدت التجربة نتائجه ذهب بشبهة أن المعراج لم يكن إلا بالروح.

ويكفى بالذهاب بالشبهة فى أمر الإسراء ما حققه الإنسان من سرعة الانتقال بالنفاثات الأسرع من الصوت، والقميرات الصناعية. فسرعة الصوت كيلو متر فى نحو ثلاث ثوانى. وإذن فالنفاثات الأسرع من الصوت مرتين ـ وليست هى أسرع النفاثات ـ يستطيع الإنسان بها قطع المسافة من مكة إلى بيت المقدس ذهابا وإيابا فيما دون الساعة ولا يجد من ينكر عليه ذلك لو أنه قام بالرحلة ليلا وأصبح مستريحا يحدث بها الناس.

ولو أنه اتخذ فى رحلته تلك مركبا لهسرعة القمير الصناعى فى دورانه حول الأرض ـ تبلغ نحو ثمانية كيلو مترات فى الثانية ـ لقام برحلة الإسراء فى دقائق معدودة دون العشر ولأمكن أن يعود إلى فراشه وفيه دفء كما حدثت به السيدة عائشة أم المؤمنين مما يدل على أن الخبر كان مستفيضا فى آل بيت الرسول، أو لعلها سمعته من الرسول نفسه بعد أن أكرمها الله بأن صارت من أمهات المؤمنين ـ رضوان الله عليهن ـ بعد الهجرة. والإسراء كان قبل الهجرة، فحديثها ـ رضى الله عنها ـ دليل آخر أن الإسراء كان بالبدن، إذ لا معنى للتحدث عن العودة إلى الفراش قبل أن يبرد إن كان ﷺ لم يفارقه فى الإسراء. والخبر يكون أيسر أن يحققه الإنسان لنفسه لو أنه

اتخذ فى رحلته مركبا له سرعة سفينة الفضاء فى رحلتها إلى القمر ، وتبلغ نحو اثنى عشر كيلو مترا فى الثانية . وعندئذ يسمح الزمن بصلاة ركعتين ببيت المقدس قبل العودة إلى مكة كما أخبر الحديث الصحيح أنه ﷺ قد صلاها بالأنبياء .

لكن رحلة الإنسان إلى القمر حتى نزل عليه لا تفسر أمر المعراج بل ولا السير فى الفضاء بسرعة الضوء على عظمها البالغ ثلثمائة ألف كيلو مترا فى الثانية . لكن الذى يعين على تفسيره هو نظرية النسبية التى يتقبلها علماء العصر بعد أن حققت التجارب لها نتائج عدة . فإن من نتائجها الرياضية ، أنه لو وجد كائن له سرعة أكبر من سرعة الضوء لانمحت أمامه المسافات مهما عظمت ، أى لأمكنه قطعها فى غير زمن . فما علينا لتفسير نزول الملك بالوحى من السموات العلا وصعوده إليها فى غير زمن إلا أن نستنبط من ذلك أن سرعته أكبر من سرعة الضوء وعروج النبى إلى السماء فى معراجه لم يكن ذاتيا ولكن بواسطة ملك الوحى جبريل عليه السلام ، ولذا جاء حديث المعراج بصيغة البناء للمفعول أو للمجهول كما تقول اليوم ، فلم يقل ﷺ عرجت إلى السماء ولكن عرج بى . وإذن لا تستغرق رحلة العروج من مثل زمننا إلا بقدر ما يستغرقه حديثه صلوات الله عليه وسلامه مع الأنبياء من دقائق معدودة تسمح فى مجموعها بالعودة والفراش لا يزال فيه دفء . والعلم يجيز أن تكون هناك سرعة أكبر من سرعة الضوء وإن جهلها . والصديق — رضى الله عنه — قد احتج فى الواقع للمعراج بسرعة الملك بأنى يخبر السماء التى احتج بها للإسراء فى رده على اعتراض أبى جهل .

ونحن أهل القرآن نرى أن تفسير النظرية النسبية لأمر الإسراء والمعراج دليل آخر على صدقها إلى الأدلة التجريبية التى حققها العلماء ؟

محمد أحمد الغمراوى

المطامع الصهيونية في الهيكل والدولة العالمية

للأستاذ أنور الجندى

سيظل التاريخ الإسلامى الحديث ذاكراً لا ينسى يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٩ يوم حرق المسجد الأقصى كعلامة مميزة على محاولة الصهيونية العالمية السيطرة على بيت المقدس، هذه المحاولة الدائبة المستمرة منذ عام ١٨٩٧ عندما أعلن اليهود فى مؤتمر « بال » خطط الاستيلاء على فلسطين واستعانوا بنفوذ الاستعمار الغربى لتحقيق هذا الهدف على مراحل متصلة متوالية أبرزها : وعد « بلفور » ١٩١٧ ، بإقامة إسرائيل ١٩٤٧ ، والاستيلاء على القدس ١٩٦٧ .

ولقد كانت « القدس » خلال التاريخ القديم مطمح الغزاة وهدف المغيرين لما اجتمع لها من موقع تاريخى فريد ، التقت فيه الأمم والأديان ، وموقع سياسى وعسكرى هام من حيث قيامها شرق البحر الأبيض المتوسط بين قارتى آسيا وأفريقيا وشرق قناة السويس ، وشمال البحر الأحمر وعلى رأس جسر البحر الأبيض المتوسط بين آسيا وأوربا .

وتكاد المخططات الاستعمارية الحديثة تجدد نفس « المخطط » التى رسمتها الحملات الصليبية التى غزت فلسطين والشاطىء الفلسطينى السورى منذ عام ٤٩٠ هجرية وكانت « القدس » أم أهدافها ، هذه الحملات التى كانت تتذرع بالسيطرة على بيت المقدس ، لتأمين الطريق إلى الحج فى سبيل تحقيق مخطط السيطرة على قلب العالم الإسلامى وعلى أدق مواقع الكيان العربى . فالأطماع الصهيونية اليوم تتخذ من « بيت المقدس » هدفها لبناء الامبراطورية اليهودية كجزء من مخطط الاستعمار العالمى والتعاون معه ، وتعتمد فى دعوى هذه السيطرة على أساطير قديمة ملفقة لا تثبت للتحقيق العلمى ولا يؤيدها السند التاريخى قوامها « إعادة بناء هيكل سليمان » مكان المسجد الأقصى .

وقد كشفت عن هذه المخططات كثير من الوثائق والتصريحات والكتابات التى تواترت منذ وقت طويل معلنة عن مطامع

اليهودية العالمية في إقامة إمبراطورية عالمية تجعل القدس قاعدة لها وقد كانت « الماسونية » هي « الطليعة الأولى » في سبيل إعداد القوى وتهيئة الأذهان لهذا الاتجاه الخطير ، وكان لها دورها الضخم خلال الفترة من ١٧٩١م (وهي أثر الثورة الفرنسية مباشرة) إلى ١٨٩٧م عندما أعلن اليهود مرحلة جديدة من مراحل المخطط الرهيب وهو إعلان قيام « الصهيونية » ليس كبديل للماسونية بل كعامل أكثر قوة وقدرة على العمل الصريح والمواجهة ، حيث ظلت الماسونية بتشكيلاتها السرية تؤدي دورها ، بينما اتخذت الصهيونية سبيلا أكثر جرأة وأسفرت عن وجهها كطليعة ، أكثر تقدما في سبيل تحقيق هدف اليهودية العالمية للسيطرة على البشرية وإقامة حكومة عالمية مقرها القدس .

ولم تتم هذه الخطوات المتصلة لتحقيق هذا الهدف منفصلة عن الواقع ، بل لقد سيطرت الصهيونية على ثلاث قوى ضخمة في أجزاء كثيرة من العالم وفي أوربا وأمريكا بالذات هي : البنوك والموارد المالية ، والسينما والقصة والصحافة ، والأزياء وبيوت « الموضة » ثم امتدت سيطرتها إلى الجامعات ومصادر الدراسات العلمية والتاريخية ودوائر المعارف العالمية . ثم قفزت بالسيطرة على الدراسات القرية .

ولقد كشفت « بروتوكولات صهيون » عن الأساليب والخطط التي أعدت لتنفيذ مشروع السيطرة على العالم فقد ضمت هذه (البروتوكولات) التي يبلغ عددها (٢٤ بروتوكولا) وجهة نظر اليهودية العالمية التي تعد « الصهيونية » طليعتها وقيادتها السياسية - في مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يجري تنفيذها في مختلف دول العالم كأسلوب لهدم هذه الدول وإشاعة روح الذلة والتحلل والفساد ، وتدمير الدين والأخلاق في هذه المجتمعات توطئة لسقوطها بين يدي القوى الصهيونية المسيطرة .

ويرجع تاريخ هذه البروتوكولات إلى تاريخ سابق للمؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في (بال) ١٨٩٧ ويؤكد كثير من المؤرخين بأنها كانت معدة لإقرارها في هذا المؤتمر وأنها كانت ثمرة عمل المحافل الماسونية في تاريخها الطويل وقد ظلت هذه الوثائق في حوزة واحد من الدبلوماسيين الروس حتى نشرتها جريدة (التيمس) في ٨ مايو ١٩٢٠ .

وقد حاولت الصهيونية العالمية طوال الفترة منذ ظهور هذه (البرتوكولات) إلى اليوم التنصل منها والادعاء بأنها مزيفة ومدسوسة، ولكن نظرة واحدة إلى هذه الوثائق التى كتبت قبل أكثر من ثمانين عاما تكشف عن حقيقة واضحة هى أن كثيراً مما كان « خططا » فى هذه الأوراق قد أصبح اليوم «واقعا ملموسا» وأن جانبا كبيرا مما رسمه الحاخامات قد تم تنفيذه فعلا فى كثير من بلاد العالم.

وقد وقعت بين يدى المراقبين والباحثين فى السنوات الأخيرة وثائق كثيرة تكشف المخطط الصهيونى فى السيطرة على العالم والبشرية وفى التطلع إلى « القدس » لإعادة بناء هيكل سليمان توطئة لإقامة دولة يهوذا ومن حق المسلمين والعرب إمعان النظر فى هذه الوثائق والمؤلفات لأنها تكشف فى صراحة وجرأة عن هذه المطامع، وعلى ضوئها يتحتم تحديد موقف المواجهة العربية الإسلامية، وقد كشف كثير من الباحثين النطاه عن حقيقة الحركة الماسونية وأهدافها ومخططها ونشرت مؤلفات كثيرة تفضح مطامعها واتصالها باليهودية العالمية. وما تزال هذه المؤلفات موجودة ولكنها مغمورة، ومن الخير إعادة طبعها ولنشرها على الأجيال الجديدة وكذلك الشأن فى مخططات الصهيونية وقد كتبت فى الكشف عن أهدافها عشرات المؤلفات وفى مقدمتها كتاب الصهيونى العالمى الذى ألفه المليونير الأمريكى (هنرى فورد) ومذكرات « هرتزل » التى ترجمت أخيراً إلى اللغة العربية.

ولقد اتصلت أخطار الماسونية والصهيونية كطلائع لمطامع اليهودية العالمية فى السيطرة على العالم الإسلامى منذ وقت طويل وكانت أبرز معالمها تلك الحملة العاصفة التى شنها خصوم الإسلام والعرب على السلطان عبد الحميد والخطة التى دبرت لإسقاطه وذلك بعد أن حاولت الصهيونية ـ ما وسعتها المحاولة ـ إغراءه للحصول على تصريح لليهود بالهجرة إلى القدس، وقد واجه السلطان عبد الحميد هذه المحاولات والإغراءات بصمود عجيب وإيمان صادق وعجزت العروض المغرية حيث كانت الدولة العثمانية على شفا الإفلاس والاضطراب المادى، عجزت العروض التى تقدم بها (هرتزل) وغيره فى زحزحة السلطان عبد الحميد عن إصراره بمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، فقد قدموا

له خمسين مليونا من الجنيهات الذهبية مع قدر كبير من الخدمات التجارية والمالية، فلما أيسوا منه حلوا عليه تلك الحملات العنيفة ودبروا له مؤامرة إسقاطه وكشفت الوثائق المختلفة من بعد عن تواطؤ حزب الاتحاد والترقى الذى كانت تسيطر عليه المحافل الماسونية على التسليم للصهيونية العالمية، وهو الحزب الذى تولى الحكم بعد إسقاط السلطان عبد الحميد ومهد لا لتسليم القدس وحدها للصهيونية بل لتسليم الأجزاء العربية كلها فى الدولة العثمانية للاستعمار العالمى وللنفوذ الصهيونى وكانت تركيا الكمالية هى أخطر الضحايا للماسونية والصهيونية وقد كشفت كثير من الوثائق وحذرت من خطر الصهيونية وكانت تصريحات الرئيس الأمريكى (بنيامين فرانكلين) عام ١٧٨٩ وكتابات هتلر فى كتابه (كفاحى) تتكلم فى وضوح عن « الخطر » الذى يجتاح البشرية عن طريق تسلط النفوذ الصهيونى على الأمم والشعوب فى محاولة لتنفيذ أخطر مشروع وهو قيام الحكومة العالمية اليهودية وقاعدتها القدس ورمزها ، هيكل سليمان ، ولقد كانت النكسة سبيلا جديدا لإلقاء الأضواء على هذا الخطر فقد أزاحت الستار عن الترابط الوثيق والقطعى والخفى بين الماسونية والصهيونية حين نشر الكتاب الذى وجهه الماسونى الأمريكى (جريدى سى تودى) بتاريخ ٣٠/٥/١٩٦٨ إلى ما أسماه (مجلس مسجد عمر) بمدينة القدس وقد جاء فيه بالنص :

(إننى ورفيق (أودى مورف) عضوان فى المحفل الماسونى الذى يحمل شعار (الماسونيون القدماء) وأنتم تدركون أن هيكل سليمان كان المحفل الماسونى الأصلى وأن الملك سليمان كان رئيس المحفل ، وقد دمر ذلك الهيكل سنة ٧٠ م وإننى أعلم أن مسجدكم هو المماثل الحقيق الشرعى لذلك الهيكل ، وإننى كمسيحى وعضو فى النظام الماسونى أرأس جماعة فى أمريكا تطمح أن ترى هيكل سليمان وقد أعيد بناؤه وفيما يلى اقتراحنا ، إذا سمح مسجد عمر لمنظمتى بالقيام بذلك المشروع فإننا سنقوم بجمع مائة مليون دولار لهذا الغرض الخ) .

وهنا تتبين الحقائق التى كانت خافية على الباحثين والمؤرخين فى حقيقة الماسونية والسر فى إطلاق إسم « البناءون الأحرار »

عليها وارتباط ذلك بصورة هيكل سليمان التي هي رمز للمحافل ، وقد ظهر الآن أن الماسونية كانت تعتبر بيت المقدس هو المحفل الماسوني الأول حين يتحقق لها السيطرة عليه مستهدفة نبوءة زائفة وأسطورة لم تثبت للتاريخ ولا للعلم .

وقد أكد كثير من المهندسين العالميين الذين درسوا التربة التي يقوم عليها المسجد الأقصى وتعمقوا فيها بأنه لا توجد في ذلك المكان أية دلالة أو شبهة لأثر هيكل سليمان التي تدعي الصهيونية أنه مدفون بجوار حائط البراق الغربي للمسجد ، وكل الدراسات تؤكد أن هيكل سليمان لم يكن موجوداً في هذه المنطقة على الإطلاق .

ولكن الصهيونية العالمية وإسرائيل تستهدف من هذا الادعاء محاولة هدم المسجد الأقصى أو تصديع بنائه بما تجريه منذ يونيه ١٩٦٧ من حفريات تحت جدرانه فضلا عن مؤامرة إحراقه المتعمدة ليكون ذلك حجة القول بأنه مصدع وغير صالح للبقاء .

ومن حق الشباب العربي والمسلم في كل مكان أن يجعل فهم الماسونية والصهيونية ومخططات إسرائيل أكبر أهدافه في هذه المرحلة الحرجة الحاسمة من تاريخ الأمة العربية والعالم الإسلامي ، وفي مقدمة هذه المؤلفات كتاب (الصهيونية العالمية) للعقاد وكتاب (خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية) لعبد الله التل ، بالإضافة إلى المقدمة الضافية التي كتبها محمد خليفة التونسي لكتابه عن (بروتوكولات) صهيون وكتاب الدكتورة عائشة عبد الرحمن (أعداء البشر) الذي صدر أخيراً .

وليعلم شبابنا أن هذا التحدي الصهيوني هو أخطر ما يواجه أمتنا خلال هذه المرحلة وإلى وقت طويل وأن هذا التحدي يفرض علينا معرفة كاملة بالتيارات السياسية والفكرية والاجتماعية العالمية التي تحيط بها والخطر الذي يتعرض له المسلمون والعرب إزاء مخططات الصهيونية العالمية التي تتمثل في عبارتهم المعروفة «من النيل إلى الفرات» ولتتذكر كلمة أحد قادتهم بعد عدوان ١٩٦٧ حين قال : « لا إسرائيل بدون القدس ولا قدس بدون الهيكل » ولتعلم أن المسلمين والعرب واجهوا مثل هذا الخطر قبل تسعة قرون وأنهم استطاعوا بالصمود والإيمان والمقاومة وتجنيد كل القوى في سبيل

المعركة القضاء عليه ودحره وتصفيته .

فلنعد إلى مراجعة هذه الصفحات من التاريخ ونتنفع بهذه التجربة فى أعمالنا وكفاحنا ولنعلم أن (نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبى) قد أقاما ذلك الترابط الوثيق بين الإعداد العقائدى والإعداد العسكرى مما حقق لهم النصر، ونحن اليوم على هذا الطريق إن شاء الله .

ولتكن أمامنا هذه الحقائق :

أن اليهود لم يكونوا هم أول من احتل فلسطين ولا آخرهم ، وأنهم فى التاريخ القديم لم يقطنوها وحدهم ولم تدم فترة غزوهم لها ، وأن اليهود لم يجتمعوا قط فى فلسطين فقد كانوا موزعين فى بلدان كثيرة من العالم كما هو اليوم ، وأن اليهودية ليست دما ولا جنسية وأن يهود اليوم ليسوا بالقطع أبناء أولئك الذين سكنوا فلسطين فترة قصيرة من الزمن .

وأن أغلب اليهود المقيمين فى فلسطين لم يكونوا يهودا أصلا، بل هم قوم تهودوا فى فترة من فترات التاريخ الوسيط وهم يعرفون باسم الاشكنازيين .

* * *

ولنذكر دائما أن « الحق » ليس مع دعاوى الصهيونية والماسونية وإسرائيل ولكنه مع العرب والمسلمين وأن العدوان والسيطرة بالادعاء الباطل تتعارض مع «العدل» ومع نواميس الكون التى تقوم على الحق والعدل .

وليكن سلاحنا فى مواجهة الباطل قوتين تعملان معاً : قوة الروح وقوة المادة ولابد للسيف من الساعد ، ولابد من إيمان بالله وثقة فى انتصار الحق وفدائية تستعذب الاستشهاد فى سبيل الله .

إن القدس هى مطمع الصهيونية العالمية فى بناء الهيكل وإقامة الامبراطورية اليهودية ، ولكن قوانين الوجود ترفض قيام بناء على غير الحق والعدل .

وسوف تكون الهزيمة ساحقة والنصر للعرب والمسلمين ما استمسكوا بقيمهم المستمدة من إسلامهم وتراثهم وسوف يكتب لهذا الجيل شرف الاستشهاد والفداء والجهاد ليكتب صفحة جديدة من صفحات الدفاع عن الإنسانية ضد أخطر الأخطار التى تهدد البشرية اليوم، وقد كان لهم شرف القضاء على طائفتى الصليبيين الغزاة والتتر المخربين ؟

أنور الجندى

القدس بين الرهبة العربية وفراغ عصبة الأمم

للأستاذ صلاح عزام

قضية الأرض المباركة والمسجد الأقصى متشعبة ، ومحددة فى الوقت ذاته . . وبين تشعبها وتحديدها تبرز مسئولية المؤرخين والكتاب المسلمين. فعدو الإسلام وخصمهم الدود من اليهود ينزلون إلى المعركة بكل سلاح ، ومن أخطر أسلحتهم تزييف التاريخ والتلاعب بالوقائع عبر الأيام والأحداث .

ومن ذلك ما أثير طوال الأسابيع الماضية من أحاديث تناقلتها الصحف العالميــة ووكالات الأنباء من تصريحات لمسئولين سياسيين وكبار رجال الدين فى الأرض المحتلة وكلها تدور حول أحقية اليهود فى أرض المسجد الأقصى ، وأن هذا حقهم التاريخى وأن هذا حقهم الدينى .

ولم يكتف العمل اليهودى بجمع مندوبى الصحف ، والوكالات ، والإدلاء إليهم بالتصريحات لينقلوها إلى مراكز عملهم ، بل صــدرت التعليمات إلى يهود العالم وأصدقائهم بشن حملة تزييف تاريخية عن للمسجد الأقصى وما حوله ، وعلى المستوى العالمى ، وبين صفوف مسلمى العالم فى الشرق والغرب أى حيث يصــل نفوذ إسرائيل وبالذات فى آسيا وأفريقيا ؛ وتحددت اليهود معالم الحملة المزيفة وكلها تدور حول أحقية اليهود فى جوانب عديدة للمسجد الأقصى وما حــوله باسم التوراة وباسم موسى وباسم أنبياء اليهود ، وأنه قد حق لهم الآن أن يسترجعوا ما سلب منهم إذ أخذ غصباً حتى ولو كان على أيدى بعض حكام المسلمين .

وبدأت هذه الحملات المسعورة فى كل مكان ولا أستبعد أن تخرج المطابع وبلغات العالم وبأقلام كبار كتاب الدنيا ما يؤيد هــذه المزاعم .

ومن هنا تتحدد مسئولية العمل الفكرى عند المؤرخين والكتاب المسلمين . فى أن يظهروا على العالم حقيقة هذا الزيف اليهودى وبالوثائق التــاريخية . والوقائع العلمية

والسياسية . وفى نفس الوقت يجب أن نبرز للمسلمين فى كل مكان ارتباطنا التاريخى بالمسجد الأقصى ومفهومه الدينى من خلال الإسراء ، وما قبل الإسراء وما بعده وأنه كعبتنا الأولى . حيث وجه الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ أول عهدنا بالصلاة وأنه قد آلت إلينا كل هذه البقاع بالحق والعدل إلى يومنا هذا وحتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ولدى الكتاب والمؤرخين حقيقتان بينهما الكثير الذى يجب أن يعرف ويعلن على الناس وبكل اللغات : إحداهما الوثيقة العمرية ، والأخرى قرار عصبة الأمم عام ١٩٣٠

إن أول وثائقنا ما كان من الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يوم جاءته رسل إيلياء ـ بيت المقدس ـ يطلبون السلام فأجابهم إلى مطالبهم وأخذوا منه كتابا بذلك يعتبر من وثائقنا ووثائقهم يقول فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ـ هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شىء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منها فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية . ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله على الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شىء حتى يحصد حصادهم وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية »

ومن أجل ذلك حفظ المسلمون عهدهم وكان أولهم ابن الخطاب نفسه فقد رفض أن يؤدى صلاته حيث رغب بطرك الأقباط عندما زار بيت المقدس لكيلا يستبيح

للمسلمين لأنفسهم حق الصلاة .. ثم بعد ذلك الاستيلاء على بيوت العبادة لغيرهم من أهل الذمة .. وإنما استشاره فى موقع يقيم فيه مسجداً ليس لأحد عليه حق من قبل فأراه موضعاً وقال له : ابن مسجداً على الصخرة التى كلم الله عليها يعقوب .. وقد كان ..

وأصبح هذا حق المسلمين بلا منازع .

رغم كل المؤامرات اليهودية .. ورغم كل الزيف التاريخى بعد ذلك .. إلى أن كان قرار عصبة الأمم عام ١٩٣٠ فى نزاع المسلمين واليهود حول ما يسمونه حائط المبكى .. وقد جاء فى القرار الذى أصبح من بعد ذلك قانونا باسم (قانون حائط المبكى لعام ١٩٣٠) يوم كانت بريطانيا هى صاحبة الأمر فى أرض فلسطين باسم الانتداب .. وقد جاء فى القرار :

إن للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربى ولهم وحدهم الحق العينى فيه لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التى هى من أملاك الوقف .

وللمسلمين أيضا تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامى لجهات البر والخير ..

وأدوات العبادة التى يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط لا يجوز بحال من الأحوال أن تعتبر أو أن يكون من شأنها إنشاء أى حق عينى لليهود فى الحائط أو الرصيف المجاور له ..

وغير هذا كثير يؤكد حق المسلمين فى كل شبر من الأرض المباركة .. يعترف به خصوم الإسلام .. وما أحوجنا نحن اليوم إلى معرفته .. وإلى تعريفه لشعوب الأرض وأممها « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

صلاح عزام

طريق المجاهدين إلى النصر

للأستاذ محمد الأحمدي أبو النور

هذه المعارك الضارية بين أتباع الحق، وأشياع الباطل، والتي واكبت الإنسان منذ أنشأه الله من الأرض واستعمره فيها، والتي لا تهدأ حينا إلا لتثور أحيانا، لن تزال مشتعلة اللهيب، مستمرة الأوار، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها!

قد يطول الطريق بأتباع الحق، وقد تشتد عليهم الخطوب، وتمتد معهم الحروب، ثم قد تكون المعارك بينهم وبين حلفاء الباطل سجالا! بيد أن العاقبة دائما للحق؟ والغلبة في النهاية له؛ فهو أقوم قيلا، وأهدى سبيلا، وأجدى نفعا، وأصلح للحياة؟! «كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال».

وانتصار الحق لا يتأتى إلا بالإيمان به، والثبات عليه، والتضحية في سبيله.

فبقدر عمق الإيمان يكون الثبات على المبدأ! وعلى قدر الثبات تكون التضحية! والإيمان والثبات والتضحية جهاد أي جهاد! والجهاد سبيل النصر «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين».

ولأمر ما قرن المولى سبحانه بين الإيمان والثبات عند مواجهة الفئة الباغية فقال: «يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون».

فأمر المؤمنين بالثبات ووعدهم عليه.

كذلك قال سبحانه: «يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار».

فنهى المؤمنين عن الفرار وتوعدهم عليه حين أعقب النهي بقوله: «ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير».

وذلك لما بين الإيمان والثبات من ترابط وتلازم.

وقد يتعرض أولياء الحق للمساومات،

وقد تعرض عليهم الدنيا بكل ما فيها من مغريات، وقد تعرض لهم وهم يجوزون مفاوز الأزمات والشدائد مخاطر شتى تتخطفهم من كل جانب، وتتواثب عليهم من كل حدب! بيد أنهم فى هذا وذاك لا يتزعزعون فى موقفهم، ولا يتزلزلون فى إيمانهم ولا يتسرب اليأس إلى نفوسهم «إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون».

ولقد ضرب نبينا ﷺ أروع المثل فى الإيمان والثبات، حتى غدا مسلكه الباهر فى هذا ملء سمع الدنيا وبصرها.

لقد عرض عليه المشركون كل ما توهموا أن يثنيه عن دعوته، أو يلفته عن تبليغ رسالته، عرضوا عليه المال، والثراء، والملك، والسيادة على أن يترك هذا الذى يدعوهم إليه.

وكان مطلبهم هذا لديه أبعد من مناط العيوق..!

ولهذا كان يجيبهم:

(ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا، وأنزل على كتابا، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا أو نذيرا، فبلغتكم رسالة ربى، ونصحت لكم، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم).

ولقد كان عمه أبو طالب يتوسل إليه أن يقبل ما يطلب القوم فما يجيب ﷺ إلا بهذا القول الذى سار فى الدنيا مسار المثل الأعلى فى الإيمان بالحق، والأمل فى النصر، والثبات على المبدأ، رغم كل الصوارف والمغريات.

«يا عم لو وضعت الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى، ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبه».

ويروع القول أبا طالب، ويأخذ المشهد بمجامع لبه، فلا يملك إلا أن يجند نفسه ــ وهو الذى لا يزال على شركه ــ للدفاع عن ابن أخيه، ثم لا يلبث أن يقول:

«يا ابن أخى، امض على أمرك، وافعل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشىء أبداً»!

وما شىء ﷺ يصبر عن يقينه فى إنجاز الله وعده، ووثوقه فى العاقبة التى ضمن الله للمجاهدين والمتقين، بل للأنبياء والمرسلين فيقول:

«والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير

الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه ».

أجل ! فلقد كان القرآن يقص عليه من نبأ المرسلين، وجهادهم مع الكافرين، ثم يقول : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ».

ثم كان مسلكه العملى ترجمة صادقة لهذا الذى آمن به، وعبرعنه، وقص عليه وصبر نفسه على تحقيقه . !

ألم تر إلى ثباته يوم حنين وقد تفرق عنه جيشه الكثيف، الذى كان شعور أفراده الإعجاب بالكثرة، وشعارهم : لن نغلب اليوم من قلة ؟!

لم يثبت معه ﷺ أكثر من مائة، بل قيل : إنهم لم يتعدوا أربعة، لكنه صلى الله عليه وسلم لم يفر . ! وأقدم على القتال غير هياب ولا وجل ! ثم دعا ربه، ونادى جنده، يا معشر الأنصار! يا أصحاب بيعة الرضوان ! أنا النبى لا كذب ! ؟ أنا ابن عبد المطلب ! ؟ اللهم نزل نصرك ؛ حتى فاء إليه أصحابه، وعاد إلى جيشه نظامه واختلطت صفوفهم بصفوف أعدائهم، فما لبث أن اخترطت سيوفهم رقابهم ! ورأى الرسول عليه السلام مجتلد القوم فقال : الآن حمى الوطيس ؟! ثم تحول سير المعركة، « ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين » !

وعن النبى ﷺ أخذ صحابته الميامين صدق إيمانه بالله، وعظم ثقته فى النصر، وشدة صلابته فى الحق !

وما أكثرما كانت تومض لهم بوارق الأمل فى حوالك الخطوب، فتدفعهم على الثبات والاحتمال، وحسن ملاقاة الأهوال !

هذا هو سعد بن معاذ يستشيره النبى عليه السلام وقد أحاط الأحزاب بالمدينة فى غزوة الخندق، فى الصلح مع قائدى غطفان على أن يعطيهم المسلمون ثلث ثمار المدينة، ويعودا عن معهما من حيث أتوا !

لقد رأى ﷺ العرب وقد رمت المسلمين عن قوس واحدة، وكالبوهم من كل جانب « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم »! فما له لا يكسر شوكتهم عنهم بهذا السبيل إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا ؟!

ثم ما له لا يختبر بهذه الشورى عزم صحابته، ومدى ثباتهم واحتمالهم ! ؟

بل ماله لا يطلب آراءهم حتى إذا ما

اختاروا أشق الأمرين بأنفسهم كان ذلك أدعى إلى تقبلهم إياه ، واحتمالهم عقباه ، وذلك أمر يطمئن الرسول - ولا ريب - على درجة روحهم المعنوية ! ؟

ولقد جاء رد زعيمهم سعد بن معاذ معبرا أصدق تعبير عن مدى إيمانهم وصلابتهم :

(يارسول الله ! قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله ، وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعا ؟ ! أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ ! ؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم) .

فما لبث ﷺ أن اطمأنت نفسه ، وقرت عينه ، وتعاظم أمله ، وزاد سعدا ثقة واعتدادا حين رد الأمر إلى رأيه وهو يقول له : أنت وذاك ! ؟

وقد سرى هذا الروح العالي في أوصال المسلمين بطاقة احتمال كبرى لما كان في الغزوة من أهوال زاغت لها الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، أجل . . ؟ ودفعتهم هذه الطاقة إلى الاستبسال والإقدام فيما حدث آنئذ من مناوشات ومبارزات حتى جاءهم نصر الله وتأييده ، « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا »

ولم يك هذا الروح العالي بدعا في حياة سعد ، فقد عبر عنه كذلك من ذي قبل ، بغزوة بدر ، بلسان رهطه من الأنصار ، حين أراد ﷺ أن يعرف رأيهم في قتال المشركين ، بعد أن عرف رأي المهاجرين ، وقد خرجوا جميعا دون إعداد للحرب أو تهيؤ لها ، ولكنها غدت أمرا حتميا لصالح الدعوة ، وصالح المؤمنين .

عندئذ نهض سعد وهو يقول :

« والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ! قال : أجل ! فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك ، فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر في الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله »

فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه

ثم قال : (سيروا وأبشروا ، فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم) .

وكان لهذه الروح أثرها فى إحراز النصر من الفئة القليلة المؤمنة ، على الفئة الكثيرة الباغية « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين » ؟ !

ولقد أدى الثبات على الحق دوره أروع أداء حين تتابعت الأحداث الجسام على المسلمين غداة تولى أبو بكر الخلافة بعد أن لحق الرسول بالرفيق الأعلى .

فقد نجم النفاق ، وارتد كثير من العرب ومنع فريق منهم الزكاة ، وتحفز الروم واليهود موتورين من الإسلام والمسلمين ، وزحف فريق آخر إلى المدينة بغية الانقضاض عليها ، والقضاء على الدين الذى اتخذ منها عاصمته ! واضطرب حبل الأمن فى البلاد ، وأطلت الفتنة برءوسها ، واحتوشت الأخطار أقطار المسلمين . !

ولقد أرادها الله مختبرا للصديق أبى بكر ، كيف يثبت أمام هذه المحن التى تلاطمت أحداثها ، وتتابعت أنواؤها « كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض » .

وكان عليه السلام قد جهز قبل وفاته جيشا لتأمين التخوم الرومية والعربية ، وللانتقام للمسلمين بعد ما حدث لهم فى غزوة مؤتة ، وللقضاء على ما بيته اليهود متحالفين مع الروم ضد الإسلام والمسلمين .

وخرج الجيش بقيادة أسامة بن زيد إلى أن وصلوا (الجرف) وما لبثوا أن عادوا إلى المدينة حين وافتهم الأنباء بوفاة الرسول عليه السلام .

ولقد بدا لسواد المسلمين فى المدينة ألا يتم إنفاذه ، للاحتياج إليه فى مواجهة هذه الأخطار التى تلاحقت وأحدقت ، ولقد قيل للصديق فيما قيل :

(إن هؤلاء جل المسلمين ، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك ، وليس ينبغى أن تفرق عنك جماعة المسلمين) ؟

بيد أن عمق إيمانه ، وصدق رسوخه ، تجلى فى جوابه الشجاع ، وعزمه القاطع :

« والذى نفسى بيده لو ظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت جيش أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته » ! ؟

وتم إنفاذ الجيش وأشعر العرب بقوة

للمسلمين ، وانتصر على الروم وعاد ليكون رهن إشارة القيادة ، وليقوم بواجبه مع القوات الأخرى فى المدينة لردع المرتدين ، وقمع الخارجين . !

ولقد تجلى ثبات الصديق ، وصموده الرائع فى قتال المرتدين ، ومانعى الزكاة ، واستمساكه بما رأى أنه الحق ، وثباته عليه ومضاؤه عليه فيما يقتضيه على الرغم من معارضة الصحابة فى القتال ، وميلهم إلى المهادنة ريثما تهدأ الأمور ، وقال فى ذلك قولته المشهورة :

« والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها » .

ثم أتبع قوله العمل ، فشارك بنفسه فيها وكان ينظم التعبئة العامة ، والمقاومة الشعبية فى المدينة ثم يخرج مع الجيش للقضاء على مهاجميها ، ولقد أشفق عليه المسلمون ورجوه أن يبقى قائلين : لو رجعت إلى المدينة وأرسلت رجلا ؟ !

فقال قولته الشجاعة المطوفة : والله لا أفعل ، ولأواسينكم بنفسى ! ؟

وكانت لهذه المواقف الفريدة أثرها الجيد فى قمع الفتن ، وحفظ الدين ، وصون الدولة وحصر المرتدين والخارجين ، وردع المعتدين والناقين ، وغدت كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم !

الأمر الذى حدا بأبى هريرة رضى الله عنه أن يقول :

والله لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله

ودفع عائشة رضى الله عنها إلى أن تقول :

لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة ، وأشربت النفاق ، والله لقد نزل بى ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وصار أصحاب محمد كأنهم معزى مطيرة حسن فى ليلة مطيرة بأرض مسبعة فو الله ما اختلفوا فى نقطة إلا طار أبى بخطلها وعنانها وفصلها .. إلخ

تلك هى مثل عليا ، وصور باهرة ، يتألق فيها الإيمان بالحق ، والثبات على المبدأ والتضحية فى سبيله !

ما أصعب مراسها ، وأبعد طريقها . !

ولكن ما أطيب جناها . !

بل تلك ثمار الإيمان ، وآثار القيم التى أرساها القرآن على مدى أربعة عشر قرنا من الزمن ! وكما كانت فى الأولين ستظل هى هى لمن يعمل بها فى الآخرين : نصر وتمكين ، وذكر وخلود ، وعزة وكرامة ولأجر الآخرة خير ولنعم دار المتقين ؟

محمد أبو عمرى أبو النور

دراسات قرآنية :

الرّوح واستحضار الأرواح

للأستاذ مصطفى الطير

— ٢ —

« ويسألونك عن الروح قل الروح
من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »

حقيقة الإنسان :

اختلف العلماء فى حقيقة الإنسان اختلافا بينا ، والمعول عليه عند المحققين قولان ، أحدهما : أنه جسم نورانى علوى حى متحرك مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، سار فى البدن سريان الماء فى الورد والدهن فى الزيتون والنار فى الفحم ، لا يقبل التحلل والتبدل والتفرق والتمزق مفيد للجسم المحسوس الحياة وتوابعها ما دام صالحا لقبول الفيض الإلهى لعدم حدوث ما يمنع من السريان كالأخلاط الغليظة ومتى حدث ذلك حدث الموت لانقطاع السريان ، والروح عبارة عن ذلك الجسم النورانى ، فالإنسان هو الجسم اللطيف المذكور الذى هو الروح واستحسن هذا الإمام الرازى ، وقال : هو مذهب قوى شديد للمطابقة لما ورد فى الكتب الإلهية من أحوال الحياة والموت ، وقال ابن القيم فى كتابه (الروح) : إنه الصواب ولا يصح غيره ، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة ، وذكر له مائة دليل وخمسة أدلة .

والقول الثانى : أنه ليس بجسم ولا جسمانى وهو الروح ، وليس بداخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ، لأن ذلك من شأن الأجسام وليس هو منها ، وأنه يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف وهو قول أكثر الإلهيين من الفلاسفة ، وذهب إليه جماعة من غيرهم منهم الأصفهانى والغزالى ومن المعتزلة معمر السلمى ، ومن الشيعة الشيخ المفيد ، ومن الكرامية جماعة ومن أهل المكاشفة والرياضة أكثرهم .

أما القول بأنه عبارة عن هذه البنية المجسمة المحسوسة التي يعنيها الإنسان بقوله أنا فقد أبطله الإمام الرازي بسبع عشر حجة نقلية وعقلية ، منها : أن البنية متغيرة زيادة ونقصانا وذبولا ونموا ، فكيف تكون هي الإنسان الذي هو باق من أول العمر إلى آخره ومنها: أنه جاء في الخبر أن الميت إذا حمل على النعش ، رفرف روحه فوق النعش وقال « يا أهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي جمعت المال من حله ومن غير حله ثم تركته لغيري ، فالهناء له والتبعة علي فاحذروا مثل ما حل بي » فالحديث يصرح بأن شيئا غير الجسد المحمول كان يجمع المال من حلال ومن حرام وهو ينادي أهله محذرا من أن تلعب بهم الدنيا كما لعبت به ، فيكون هو الإنسان لا الجسد المحمول .

الروح بعد فراق الجسد :

ذهب بعض العلماء إلى موت الروح بعد فراقه الجسد ، لأن الروح هو النفس والله تعالى يقول « كل نفس ذائقة الموت » ويقول « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » ولأنه إذا كانت الملائكة يموتون فالأرواح البشرية أولى .

وقال بعض آخر منهم: إن الروح لا يموت للأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها حتى يرجعها الله إلى أجسادها ، فلو قلنا بموتها لزم انقطاع النعيم والعذاب عنها .

ومما يدل لذلك مارواه ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله » وأنه ﷺ كان إذا زار الموتى من المؤمنين قال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين » ولا يسلم عليهم إلا إذا كانت أرواحهم باقية ، ولأنه ﷺ بعد انتصاره على المشركين في معركة بدر الكبرى قام على شفا القليب الذي جمع فيه قتلى المشركين وجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ويقول لهم : « أيسركم أنكم كنتم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، فقال عمر ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها ، فقال : والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»

ولأنه تعالى يقول «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

وهذا الرأي هو الصواب ، وأما قوله تعالى « كل نفس ذائقة الموت » فمعناه أن كل ذات ذائقة للموت بمفارقة الروح لها ، والروح مستثنى ممن يصعق عند النفخة الأولى ، على أنه لا يلزم من الصعق الهلاك والموت ، بل يتحقق بخروج الشيء عن حد الانتفاع به .

وأما قوله تعالى « كل من عليها فان » فيجاب عنه بأن الروح ليس على الأرض حتى يلزم فناؤه ، وسيأتي الكلام في مستقره

تمايز الأرواح بعد الموت :

قال ابن القيم : إن كل روح يأخذ من بدنه صورة يتميز بها عن غيره ، وإن تمايز الأرواح أعظم من تمايز الأجسام ، وأقول إنه ليس بضروري أن يكون التمايز بينها بكون كل روح على صورة بدنه ، فقد يكون بطرق أخرى . فقد ذكر الشيخ الكوراني في رسالة له أن الأرواح بعد مفارقتها للأبدان تتعلق بأبدان أخرى مثالية حسبما يليق بها ، وإلى ذلك الإشارة بالطير الخضر في حديث الشهداء ، والشيخ الكوراني يشير بذلك إلى حديث في صحيح مسلم من رواية مسروق عن ابن مسعود ، قال مسروق سألنا عبد الله ـ يعني ابن مسعود عن تفسير هذه الآية « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » فقال أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : « أرواحهم في أجواف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل » وفي جامع الترمذي من حديث كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال « إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة أو من شجر الجنة » وتعلق بضم اللام معناه تتناول بفمها .

والمقصود من ذلك أنها تكون في أبدان على صورة الطير الخضر ويؤيد ذلك رواية ابن ماجة عن ابن مسعود « أرواح الشهداء عند الله تعالى كطير خضر » إلى غير ذلك من النصوص المؤيدة لهذا المعنى ، ولا بد أنها وهي على صورة الطير الخضر أن يكون لكل طير يمثل روحا معينا ما يميزه عن غيره ، وقيل إنها تكون في جوف الطير على نحو كون الجنين في بطن أمه ، ولكل منها ما يميزه عن غيره .

مستقر الأرواح بعد الموت :

يختلف مستقر الأرواح بعد الموت تبعاً لاختلاف أصحابها ، فأرواح الأنبياء فى أعلى عليين ، فقد صح أن آخر كلمة تكلم بها النبى ﷺ «اللهم الرفيق الأعلى» .

وأرواح الشهداء تكون فى أجواف طير خضر فى الجنة تأكل وتنعم وتأوى إلى قناديل تحت العرش ، لما قدمناه من الأحاديث فى تمايز الأرواح .

وأرواح سائر المؤمنين فى الجنة ، نص على ذلك الإمام الشافعى ، وقد أخرج الإمام مالك مرفوعا « إنما نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله تعالى فى جسده حين يبعثه » ورواه الإمام أحمد فى مسنده ، وخرجه النسائى عن طريق مالك وخرجه ابن ماجة ورواه خلق كثير وقال الإمام القونوى : أرواح المطيعين فى الهواء بين السماء والأرض ، وهذا الرأى مخالف للنص الذى ذكرناه .

وأرواح الكفار فى حواصل طير سود تأكل من النار وتشرب من النار وهم يقولون ربنا لاتلحق بنا إخواننا ولاتؤتنا ما وعدتنا ، كما جاء فى حديث أم بشر .

وقيل مستقر أرواح الموتى أفنية قبورهم ، حكى هذا ابن حزم عن عامة أهل الحديث ، واستدل له بعضهم بحديث ابن عمر عن النبى ﷺ : « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى » واستدلوا أيضا بأنه ﷺ حين زار الموتى قال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين » .

ورجح ابن عبدالبر أن أرواح ما عدا الشهداء بأفنية القبور ، لكنه إن أريد أن الأرواح لا تفارق الأفنية فهذا خطأ ترده النصوص ، وإن أريد أنها تكون هناك وقتا من الأوقات فهو حق كما روى عن مجاهد ، الأرواح على القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت .

كذلك لو أريد من هذا القول أن لها إشرافا على قبورها وهى فى مقرها فهو مقبول لكن التعبير عن هذا المعنى أو ذاك بأن مستقرها أفنية القبور لا يصح

وعول بعض المحققين على أن الأرواح حيث كانت لها اتصال بمقار أجسادها

لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى ، وبذلك ترد السلام وتعرفه من يسلم عليها ، ويعرض عليها مقعدها من الجنة أو النار ، وقال بعضهم : لا مانع من انتقالها من مستقرها وعودها إليه فى أسرع وقت بمشيئة الله وإذنه .

والحديث الذى رواه البراء بن عازب فى صفة قبض روح المؤمن وجاء فيه « فإذا انتهى إلى العرش كتب كتابه فى عليين ويقول الرب تعالى شأنه : « ردوا عبدى إلى مضجعه فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى » وفى لفظ « ردوا روح عبدى إلى الأرض فإنى وعدتهم أن أردهم فيها ، ثم قرأ رسول الله ﷺ منها خلقناكم » الآية . هذا الحديث كما قال الحافظ بن رجب لا يعارض الأحاديث الكثيرة المصرحة بأن الأرواح المؤمنة فى الجنة لاسيما الشهداء ، وأما قوله تعالى : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم » الآية ، فباعتبار الأبدان قال الألوسى ، والذى ينبغى التعويل عليه مع ما ذكر أن الأرواح وإن اختلف مستقرها حسب عملها لها جولان فى ملك الله تعالى بإذن ربها ومشيئته ، وهى متفاوتة فى ذلك حسب تفاوتها فى الزلفى منه تعالى ، وإن بعض الأرواح الطاهرة لتظهر فيراها من شاء الله تعالى من الأحياء يقظة ، وإن أرواح الموتى تتلاق وتتذاكر ، وقد تتلاق أرواح الأموات والأحياء مناما ، ولا ينكر ذلك إلا من يجعل الرؤيا خيالات لا أصل لها وذلك لا يلتفت إليه ، لكن لا ينبغى أن يبنى على ذلك حكم شرعى لاحتمال عدم الصحة وإن قامت قرينة عليها .

وما صح من أن ثابت بن قيس بن شماس خرج مع خالد بن الوليد إلى حرب مسيلمة الكذاب فاستشهد ، وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها ، فبينا رجل من الجند نائم إذ أتاه ثابت فى منامه فقال له أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه ، إنى لما قتلت أمس مر بى رجل من المسلمين فأخذ درعى ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن فى طوله [1] . وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل ، فائت خالدا فمره أن يبعث إلى درعى فيأخذها ، وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ فقل له

---

[1] استن الفرس قمص ، والطول الحبل يشد به الفرس ويمسك بطرفه صاحبه وهو يرعى .

علاقة التشريع الإسلامي بالتشريع الوضعي

للأستاذ سيد عبد الله حسين

إن علاقة التشريع الإسلامي بالتشريع الوضعي موضوع كثر فيه الجدل والأخذ والرد بين فقهاء التشريع الإسلامي وفقهاء التشريع الوضعي في جواب السؤال الآتي وما يترتب عليه :

هل بين التشريعين تقارب أو تباين ؟ — وهل أخذ التشريع الإسلامي من القوانين التي سبقت وجوده كالقانون الروماني أو كان تشريعا قائما بنفسه ؟ — وهل أخذت التشريعات الوضعية الحديثة من القانون الروماني وإخوته ولا علاقة لها بالشريعة الإسلامية ؟ — أو أخذت قواعدها من الشريعة الإسلامية ، ولو كان هناك إجماع سكوتي على عدم الاعتراف به ، وتبين ذلك فنقول :

بقية المنشور على الصفحة السابقة

إن علي من الدين كذا وكذا وفلان من رقيق عتيق ، فأتى الرجل خالدا فأخبره ، فبعث إلى الدرع وأتى بها ، وحدث أبا بكر رضي الله عنه برؤياه فأجاز وصيته ، وقد ذكر ذلك ابن عبد البر وغيره ، فيجاب عنه بأن ذلك كان بإجازة الوارث وهو ابنته لغلبة ظن صدق الرؤيا بما قام عليه من القرينة ولو لم تجز ابنته لم يسغ لأبي بكر ذلك بمجرد الرؤيا .

ملحوظتان :

(١) من قال إن للروح اتصالا بالجسد بعد الموت وهو الحق ، يقول إنه عام لكل أجزائه وإن تفرقت في الأرض .

(٢) من قال بتجرد الروح عن المادة لا يقول بأن لها مستقرا بعد الموت ، إذهم يرون أنها ليست داخل العالم ولا خارجه ، والمستقر عندهم يكون للبدن الذي تتعلق به ؟

مصطفى الطير

أولا — إن فقهاء التشريع الوضعى ينفون نفياباتا وجــود أى علاقة بين التشريعين ، ويذكرون دائما ما درسوه فى تاريخ القانون الفرنسى المــدنى : (كود نابليون) من انحصار مآخذه فى القوانين الآتية .

١ — القانون الرومانى الذى كان معمولا به من سنة ٧٥٣ ق . م — ويقول المؤرخون لهذا القانون (إن واضع القانون المدنى قد اعتمد عليه فى قواعــد العقود والالتزامات) وسنرى عدم صحة ذلك .

٢ — القانون الجرمانى الذى كان معمولا به من سنة ٤٧٦ م فى شمال فرنسا وعنه أخذ قانون العرف والعوائد .

٣ — القانون الكنائسى الذى كان معمولا بهمن نهاية القرن الخامس الميلادى وهو خاص بالأحوال الشخصية من زواج وبنوة وأبوة الخ .

٤ — قانون الملكية المطلقة الذى وجد بأوامر لويس الـ ١٤ والـ ١٥ والـ ١٦ .

٥ — قانون الثورة التى قررت حقوق الإنسان (الحرية والإخاء والمساواة) — وللأسف حقوق الإنسان مقررة فى التشريع الإسلامى منذ وجوده سنة ٦١٠ م ولم يكن الإسلام بعيدا عن فرنسا بل كان فيها ومنه تعلمت هى وأوربا .

وإننا نوافق على وجود هذه القوانين فى أوروبا قبل وجود التشريـع الإسلامى وبعده — ولـكن لانوافق على أن القانون المدنى الفرنسى قد أخذ منها فقط بل أخذ من التشريع الإسلامى ثلاثة أرباعه بل يزيد.

ثانياً — التشريـع الإسلامى لا يمن على أحد لأنه نزل من السماء لمصلحة البشرية فهو لـكل الناس — ولـكن مقتضى العدالة والاعتراف بالواقع يجب أن يقول النـاس الحقيقة لذاتها بقطع النظر عن أى اعتبار آخر .

والحقيقة التى لا نزاع فيها أن التشريع الإسلامى وحى السماء وهو القرآن الـكريم نزل على نبى الله ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ فبلغه الناس ولا دخل له فى شىء لا زيادة ولا نقصا — فنزل ونشأ فى الجزيرة العربية وحقق العدالة الاجتماعية فى جميع نواحى الحياة — فلم يأخذ من قوانين الفرس ولا من قوانين الرومان ، وكان رسول الله الـكريم صلوات الله وسلامه عليـه يبين

للناس ما نزل إليهم من قواعد وأحكام «إن هو إلا وحى يوحى، علمه شديد القوى» حتى لحق بالرفيق الأعلى ، وكان أميا لم يجلس لمعلم ولم يتلق إرشاداً فى شريعته إلا من رب العالمين .

فكان بيانه قولا وفعلا وأمراً ونهياً وتقريراً هو السنة المحمدية وهى الأساس الثانى للشريعة الإسلامية ، ثم كان إجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وإجماع من بعدهم ممن يعتد برأيهم شرطا الدعامة الثالثة لهذا التشريع العظيم .

ثم استحدث النـــــاس قضايا لم توجد أحكامها قبل فأعطاها المجتهدون أحكاما من القرآن إن وجدوا ثم من السنة كذلك ثم من الإجماع كذلك ثم استعملوا القياس فقواعد التشريع الإسلامى هى :

١ — القرآن الكريم .

٢ — السنة الصحيحة .

٣ — الإجماع .

٤ — القياس .

ثالثاً — كان الناس يرجعون إلى رسول الله ﷺ فى معرفة الأحكام والتشريع ، ثم بعده أفتى الصحابة بما علموا ثم التابعون ثم تقادم الزمن واتسعت رقعة بلاد الإسلام ومات الصحابة وجاءت المائة الثانية من التاريخ الهجرى ووجد الأئمة المجتهدون ، وهم كثيرون فوفقوا أنفسهم على استنباط القواعد والأحكام الفقهية من أصول التشريع ، وبقى من مذاهبهم القليل أشهرها مذهب مالك ومذهب أبى حنيفة ومذهب الشافعى الخ .

فالإمام مالك ولد بالمدينة المنورة وتعلم بها واجتهد ونقل الناس مذهبه إلى بلاد كثيرة خصوصا فى افريقيا فقد عمها تقريباً ومات ودفن بالمدينة .

والإمام أبو حنيفة عراقى نشأ وتعلم واجتهد ونقل الناس مذهبه شرقاً ومات ودفن ببغداد .

كيف التقى التشريع الإسلامى بالتشريع الوضعى

التقت التشريعات قديمها وحديثها فى بلاد الأندلس بطريقين : نقل مادى، ونقل علمى .

النقل المادى أولا : على الرغم من أن التشريع الرومانى لم يدخل الجزيرة العربية وعلى الرغم من ميلاد التشريع الإسلامى

بالجزيرة العربية بعيدا عن أوربا — وعلى الرغم من أن قواعدها لم يكن للبشرية يد فى إيجادها أو صنعها — وعلى الرغم من أنها هدت الناس إلى العدل والنظام المحكم لأحوال الإنسان الشخصية — وإلى نظام متناسق للجماعة فأعطت كل ذى حقه — على الرغم من كل هذا فقد زحف التشريع الإسلامى إلى أوربا معقل القانون الرومانى وإخوته ودخل بلاده من المغرب إلى أسبانيا سنة ٧١١م سنة ٩٣ هـ وصعد إلى الشمال فدخل فرنسا (ليون وتور ، وبواتيه ، ورفيتيون) فأسس المسلمون الجامعات ونبغ منهم آلاف العلماء فى جميع فروع علوم الحياة ، الأمر الذى جعل دول أوربا ترسل بعثاتهم للتعلم فى هذه البلاد فانتشرت أحكام الإسلام فى حرية الفرد ونظام الجماعة وإذابة الفوارق بين الطبقات التى كانت سائدة فيها . ومكث التشريع الإسلامى علما وعملا محكوما به فى أوربا إلى سنة ١٤٩٢ م تاريخ سقوط غرناطة أى نحو سنة ٧٨٠ هـ .

ثانيا : كان المسلمون فى الأندلس يتمسكون بالقواعد الإسلامية على مذهب الإمام الأوزاعى الذى درسه وأذاعه صعصعة ابن سلام ثم جاء زياد بن عبد الرحمن بقواعد مذهب مالك سنة ١٧١ هـ زمن هشام بن عبد الرحمن فانتشر وصار القضاء والفتيا إليه فلا يقلد القاضى ولا المفتى إلا من المالكية ، وفى سنة ٢٠٠ هـ ساد مذهب الإمام مالك وترك مذهب الإمام الأوزاعى

ولقد اطلعت على مؤلف خطى لقدرى باشا قارن فيه القانون المدنى الفرنسى بمذهب الإمام أبى حنيفة لا يزيد على ١٠٠ ورقة ، بينما قارن الشيخ مخلوف المنياوى قاضى منية ابن خصيب على مذهب الإمام مالك فكان حوالى أربعة أجزاء ضاع أغلبها من دار الكتب المصرية .

النقل العلمى والعقلى :

لقد ثبت النقل الحسى للتشريع الإسلامى إلى محل القانون الرومانى وإخوته بالنقل التاريخى لفتح الأندلس (للدكتور محمد عبد الله عنان) أما النقل العلمى والعقلى فيتلخص فى الآتى :

أولا : كان بالمدن الكبرى بالأندلس مدارس جامعة للتعليم العالى يمكن أن تكون جامعات مثل (قرطبة ، اشبيلية ، مالقة ، غرناطة) يدرس فيها مختلف العلوم

(رياضيات ـ طب ـ علوم ـ فلسفة ـ فقه علوم القرآن ـ علوم الدين الخ) ، فتركت هذه المعاهد آثارا فى فتح أذهان الدارسين الأجانب نقلتهم إلى الانطلاق العقلى فى علوم تتفق مع العقل السليم والتفكير الحر بلا إكراه على العقول بل كان الدليل القطعى العلمى هو الذى يسوق العقل إلى الحقيقة .

ثانيا : هذه الآثار التى نشرتها الحضارة العربية فى أوربا مهدت لتهيئة العقول لقبول الانقلاب العظيم الذى أطلق عليه (عصر النهضة الأوربيـة) ، فتناولوا بحوث علماء الإسلام وآثارهم بالترجمـة إلى لغاتهم ونقلوها إلى بلادهم حيث يجتمع العلم والدين وهكذا بعد أن كان مذهب (القانون الطبيعى) فى خلال ألفى سنة مثلا خلقيا أصبح كما قال (مين) فى كتابه (الشرائع القديمة) صـ ٩٩ ؛ وايرايس صـ ٧١ : قوة ثورية هدمت معاقل الحكم المطلق وأقامت مقامها النظم الديموقراطية عن طريق العرب فالناس كانوا فى أوروبا سادة وخدما وكهنة فألغى الإسلام هـذه التفرقة ناهيا عنها آمرا بالعدل والقسط وحفظ الإنسان نفسه وعرضه وماله (محاضرة الأستاذ زهدى يكن رئيس محكمة الاستئناف المدنية ببيروت) صحيفة بيروت سنة ١٩٥٢ .

كيف نصل للحكم السليم فى علاقة التشريعين ؟

لقد عرفنا كيف التقى التشريعان زمانا ومكانا حسا وعقلا وعلما ـ والآن كيف نصل للحكم السليم فى علاقة التشريعين ؟

ولكى يطمئن الباحث والقارىء إلى حكم صحيح يضع الأمور فى نصابها ويقطع طريق الجدل الزائف يجب البحث عن التشريعات الموجودة قبل التشريع الإسلامى سنة ٦١٠ م وبعد ذلك ، والرجوع إلى نصوصه لمعرفة النقل والأخذ والسرقة والاختلاس .

أولا : التشريعات السابقة على سنة ٦١٠ م ، لم يكن فى جزيرة العرب قانون متداول يعرفه الناس وتلتزم الجماعة أحكامه بل كان الحكم للقوة ، فالقوى قوله مسموع مطاع ولو بغير حق ، وكانت القوانين الرومانية والجرمانية والكنائسية فى أوربا معمولا بها كما بيناه سابقا ، ثم جاء التشريع الإسلامى بعدها .

ثانيا : التشريعات اللاحقة لسنة ٦١٠ م
كان قانون العرف والعوايد وكانت أوامر لويس الـ ١٤ و ١٥ و ١٦ وكانت قوانين الثــورة .

والذى يوافق العقل السليم والنقل الصحيح أن العادة جرت للمشرعين أن يأخذ القانون اللاحق من القانون السابق بعض قواعده ونظرياته ، فإذا أخـذ التشريع الإسلامى من القانون الرومانى كان ممكنا ، لأنه سبقه زمانا ، ولـكن هـذا لم يحصل كما سيتضح من المقارنات الآتية ، وإذا أخذ القانون الفرنسى (كود نابليون) من التشريع الإسلامى كان ذلك ممكنا وقـد تم بالفعل لتلاقيهما فى الزمان والمـكان ، وإذا أخذ قانون العرف والعوائد من التشريع الإسلامى كان ذلك ممكنا لتلاقيهما أيضا زمانا ومكانا .

والنتيجة الحتمية أن القوانين المتأخرة أخذت مبادىء وأحكام القوانين المتقدمة فقوانين العرف والعوايد وكود نابليون قد أخذت من التشريع الإسلامى .

* * *

الأدلة النقليـة :

قد يمكن لقائل أن يقول : ما دام القانون الرومانى والجرمانى والـكنائسى قد سبق كل منها القانون الفرنسى فالقانون الفرنسى قد أخذ منها هى دون غيرها ، وهو ما يدعيه المشرعون الجـدد والقدامى ومن يتعصب رأيهم فلا بد من أدلة أخرى تـكون قاطعة جازمة تثبت الأخذ من التشريع الإسلامى ولا شك أن هـذا القول يجب أن يحل المـكان اللائق به ، ويجب إذن ذكر أمثلة موضوعية توضح ذلك .

على أننا لا نـكتفى بذكر أمثلة فقط بل سنأتى بالقانون المدعى الأخذ منه حتى تتم الحلقات المحكمة التى لا مفر منها من الاعتراف بالحقيقـة الحتمية ، وإليك بعض الأمثلة :

أولا : البيع

(١) البيع فى القانون الرومانى ــ هو عقد يلتزم شخص يسمى البائع بنقل كل الحقوق المتعلقة بشىء إلى شخص آخر يسمى المشترى الذى يتعهد بدفع الثمن نقدا عوضا من هذا الشىء .

وقد علق على هذا التعريف شراح تاريخ القانون الرومانى بالآتى :

١ — أن المشترى ليس ملـزما بنقل ملـكية الشىء المبيع إلى المشترى .

٢ — أن عقد البيـع نفسه لا ينقل

الملكية إلى المشترى ولو كان المبيع ملكا للبائع أو كان منقولا ـ (فالبيع والملكية شيآن مختلفان).

فنقل الملكية لا يحصل إلا بعمل آخر كنقل المبيع نفسه فى المنقولات أو بنقل جزء منه ولو طوبه أو قشة تبن من زرعه أو فرع شجرة منه الخ ـ (تاريخ القانون الرومانى صـ ١٦١ فوانيه).

(ب) فى القانون الجرمانى التعريف واحد — وتحت عنوان (طريقة نقل الملكية بين الأحياء) قال الشراح صـ ٥٨ تاريخ القانون الجرمانى فوانيه مايلى: لافرق فى نقل الملكية فى القانون الجرمانى والقانون الرومانى فمجرد العقد بين المتعاقدين لا يكفى لنقل الملكية بل يلزم عمل أحد أمور.

١ — وضع الشىء المتعاقد عليه تحت يد المشترى (المالك الجديد) بنقله إليه ولو كان منقولا.

٢ — عمل شىء رمزى من المبيع (طوبة من الأرض ـ أوفرع شجرة ـ أو قصلة تبن بالنسبة لغير المنقول).

٣ — حكم القاضى بنقل الملكية فى احتفال على أمام شهود ومراسيم الخ فالبيع والملكية شيئان مختلفان.

هذا عقد البيع فى القانون الرومانى وفى القانون الجرمانى السابقين فى الوجود والعمل على التشريع الإسلامى وهو الذى يدعون فيه أن التشريع الحديث الفرنسى قد أخذ عنه خصوصا فى العقود والالتزامات وسترى أنه قد جانبهم الصواب فى هذه الدعوى، وأن هناك حقا يقف فى حلوقهم لا يقدرون على ابتلاعه وهو أنه قد أخذ عن التشريع الإسلامى.

(ج) فى التشريع الإسلامى:

البيع عقد معاوضة بين متعاقدين على غير منافع يلتزم فيه كلا المتعاقدين بنقل ملكية عوضه للطرف الآخر فهى مبادلة تتم بإرادة الطرفين وبانعقاد البيع صحيحا مستوفيا شروطه يتم نقل الملكية للمشترى لما اشترى فالبيع والتمليك شىء واحد، وليست الكتابة شرطا فى صحته، فيوجد أصل البيع ولا يتوقف على قبض شىء من الثمن أو المثمن، وينعقد بالرضا وبالمعاطاة من الجانبين وبالعبارة والإشارة صـ ٦ ج ٥ خرشى.

وبالنظر إلى هذا التعريف نجد أن التشريع الإسلامى قد أحدث ثورة عظيمة

فى التعامل بين الناس فجعل عقد البيع هو التمليك فهو كاف لنقل ملكية المبيع بدون ضميمة شىء آخر إليه ، فقد خالف القانون الرومانى والقانون الجرمانى وبسط طرق البيع والشراء بما يطابق العقل السليم ومصلحة المتعاقدين ولا يمكن لأحد أن يقول إن التشريع الإسلامى قد أخذ قواعده وأحكامه عن القانون الرومانى أو غيره بدليل هذا المثل الصارخ المبين بعد التشريعين عن بعضهما وحتى عن معناها فى عقد البيع الذى يمارسه كل مخلوق عاقل صباحا ومساء وهذا قليل من كثير سنوضحه إن شاء الله .

(د) فى التشريع الفرنسى الحديث :

البيع أن يتعهد شخص بنقل ملكية شىء محدد إلى شخص آخر نظير مبادلته بدفع ثمن محدد فالأول بائع والثانى مشترى م ١٥٨٢ ق . ف ومعناه :

١ — أنه عقد يتبادل فيه الطرفان الالتزامات (نقل ملكية نظير دفع ثمن)

٢ — أنه عقد يكفى لانعقاده إرادة الطرفين — وليس ما يكتب إلا لحسم الخلاف فى المستقبل من إنكار أو خلاف فى الشروط .

وعلى هذا فالبيع والتمليك شىء واحد والبيع تعهد من البائع بنقل ملكية الشىء المبيع إلى المشترى بنفس العقد لا بانضمام شىء آخر إليه ص ٥٩٢ ج ٢ فوانيه وما بعدها . فالبيع فى القانون الفرنسى سنة ١٨٠٤ م هو نفس البيع فى الشريعة الإسلامية سنة ٦١٠ م فبلاشك نقل المشرعون الوضعيون فكرة البيع فى نقل الملكية به بمجرد صدوره من التشريع الإسلامى وليس عن التشريع الرومانى أو غيره كما يدعون — ولنرجع إلى ما يقوله نفس علماء القانون الوضعى :

ففى ص ٥٩٢ ج ٢ تاريخ القانون الفرنسى (فوانيه) ما يلى :

الفرق بين القانون الفرنسى والرومانى أنه يوجد بينهما شيئان أساسيان هما :

١ — فى القانون الرومانى — البائع ليس ملزما بنقل الملكية إلى المشترى — فقط بنقل إليه كل الحقوق التى تكون له على العين المبيعة — وما فى القانون الفرنسى فبالعكس فالبائع يتعهد بنقل الملكية اليه بنفس عقد البيع .

٢ — فى القانون الرومانى — متى كان البائع مالكا للمبيع ، فالبيع لا ينقل الملكية بنفسه

إلى المشترى ـ فالملكية لا تنقل للمشترى إلا باستعمال أحد أشياء لنقل الملكية فتكون القاعدة أن البيع والملكية شيآن مختلفان وفى القانون الفرنسى بالعكس ـ البيع ونقل الملكية لفظان مترادفان .

فتى وقع البيع على جسم محقق وكان البائع هو المالك الحقيقى يمر الحق إلى المشترى نتيجة الاتفاق بمعنى أن البيع ونقل الملكية متساويان ا هـ .

وهذا « القول من علمائهم صريح بعدم وجود علاقة فى هذا الموضوع بين القانون الرومانى والقانون الجرمانى ، هؤلاء الذين يدعون أن أصل العقود والالتزامات فى « كود نابليون » مأخوذ فى القانون الرومانى . فلم يبق شك فى أن مأخذ هذه النظرية (عقد البيع) مأخوذ من التشريع الإسلامى نصا وروحا وما قيل غير ذلك فهو باطل لا سند له من الحقيقة .

يجب الاعتراف والاعتقاد بأن إهمال ذكر التشريع الإسلامى لم يأت عفوا ولكنه أمر متعمد مجمع عليه لأنه عداء مستحكم تجسم فى عقول رجال القانون الغربيين من وقت انتشار الإسلام إلى يومنا هـذا ـ ولكن الحقيقة تظهر والحق ينتصر مهما طغى عليه الباطل .

وقد قال بعض المشرعين الوضعيين أن الشريعة الرومانية أحـد المصادر للشرائع اللاتينية لا زالت موضع بحث وعناية وموردا لتطور القوانين فى الأمم السابقة بينما الشريعة الإسلامية لم يكن لها نصيب من عناية المؤرخين من علماء الغرب ولم تتناولها أبحاثهم بمثل ماتناولت به الشريعة الرومانية ولو فعلوا ذلك لوجدوا مثلا حيا لا يقل فى سعته ولا فى ميدان نفوذه وتطوره عن القانون الرومانى ـ وقد أخذ فقهاء الإسلام وأهـل الرأى فيهم أبحاثا لاتقل عن أمثالهم من علماء الغرب فى التشريع الإسلامى حتى أصبحت شريعة عالمية سادت العالم الإسلامى ونفذت إلى العالم الأوربى فبثت فيه النهضة الفكرية واقتبس منه للمبادىء والأحكام التى لم تـكن فى القانون الرومانى ففاقت الشريعة الإسلامية التشريع الرومانى لأنها فتحت عصرا اجتماعيا جديدا أو جاءت بدين عقلى جديد ونظام عمرانى ليس له نظير الخ (جريدة بيروت سنة ١٩٥٢ محاضرة فى الجامعة الأميريكية) .

سيد عبد الله حسين

الأخلاق والسلوك الاجتماعي

للأستاذ محمد كمال الدين

تنطبق الصفات العامة التي تتصف بها الظاهرة الاجتماعية ، على الظاهرة الأخلاقية ، باعتبارها ظاهرة اجتماعية لها سمات أية ظاهرة تنبع من المجتمع ، وتحدد له قواعد السلوك الخاصة بها . فالظاهرة الأخلاقية عامة شاملة يسلكها أفراد المجتمع الواحد عا لهم من صفات إنسانية تميزهم ، والظاهرة الأخلاقية إلزامية يلتزم باتباعها هؤلاء الأفراد وتسيطر عليهم بشكل تصبح معه عادة اجتماعية متبعة ، والظاهرة الأخلاقية تاريخية لها جذور تمتد عبر الأجيال السابقة فتحتفظ تبعاً لذلك بجل مقوماتها وأبرز صفاتها ، وقد يطرأ عليها بعض التعديل أو التغيير أو الإبدال بفعل التطور ومتطلبات الإنسان المتجددة دواما .

ويمكن أن نضيف إلى سمات الظاهرة الأخلاقية بعض الصفات الأخرى كالمثالية ، بمعنى أنها تتجه إلى مثل أعلى تتخذ منه رقيبا عليها ومتطلعاً تحاول الوصول إليه ، وكالشمولية بمعنى أن عناصر هذه الظاهرة تعتمد على بعضها بحيث يمكن أن يخلخل من قيمتها غياب بعض هذه العناصر ، ومثال ذلك إذا توافرت صفات كالأمانة والعدالة والصدق وغابت صفة كالرحمة أو العفة تعرضت ، هذه العناصر للتقويض والهدم ، فهنالك تكامل بين عناصر الظاهرة الأخلاقية تجعل منها « كلا » واحدا يعتمد بعضه على بعضه الآخر .

ومن الصحيح أنه لا يمكن - في مجتمع واحد أو في أفراد بيئة واحدة - أن توجد هذه الصفات على مستوى العموم الذي ليس معه شذوذ ولكن من الحقيق أيضا أن توافرها بشكل غالب يجعل لهذه الظاهرة الأخلاقية وجودا فعالا مؤثرا يهدف إلى خير هذا المجتمع أو هذه البيئة .

ولقد عنيت الأديان جميعها ، ثم المذاهب الأخلاقية الوضعية فيما يمس بالظاهرة الأخلاقية ، وكان جماعها في الإسلام مذهبا متكاملا يرقى بالجماعة البشرية إلى مستوى الإنسان الأعلى الذي يحرص على خير نفسه ؟ وخير مجتمعه الصغير ومجتمعه الكبير .

وقد احتوى الإسلام مبادىء أخلاقية تشمل حياة الفرد وحياة الجماعة ، ورسم لها قواعد فى السلوك وللمعاملات تكون فى النهاية حصيلة الدين كله من شرائع وسنن . ويكفى أن الرسول الأعظم وهو خاتم الأنبياء ، وجامع فضائل من سبقه ، وملهم من لحقه من المشرعين ، إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق ؛ ولذلك كانت صفته ومنزلته فى القرآن الكريم « وإنك لعلى خلق عظيم » .[1]

وقد عمل هذا الخلق فيا وضعه الإسلام من تعاليم وقواعد شاملة للسلوك الإنسانى ، ومناهج دقيقة للأخلاق والحقائق الأخلاقية فى مجالى الروح والمادة .

وما فعل علماء الإسلام فيا بعد ، كالغزالى وابن سينا وابن رشد وغيرهم ، غير أنهم قبسوا من هذه المبادىء أسس نظرياتهم ، ويكفى أن نذكر منها ما ذكره الغزالى (٤٥٠ ــ ٥٠٥ هـ) فى كتابه الإحياء (جزء ثان ص ٤٦) من أن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة هى : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، فالحكمة هى حالة للنفس تدرك بها الصواب من الخطأ ، والعدل هو حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة ، والشجاعة هى انقياد قوة الغضب للعقل فى إقدامها وفى إحجامها ، والعفة هى تأدب قوة الشهوة ، بتأديب العقل والشرع ، ومن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها فيحصل منها المرء حسن التدبير والكرم والشهامة والاحتمال والثبات والحياء .. إلخ ونذكر أيضا نظرية الوسطية عند ابن مسكويه (ولد ٤٢١ هـ) وذلك فى كتابه تهذيب الأخلاق (ص ٢٠) وهى نظرية تقول بأن الفضائل أوساط بين أطراف وهذه الأطراف هى الرذائل ، كالكرم وسط بين البخل والإسراف ، فى قوله تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » [1] وإن كان ابن مسكويه قد رجع عنها فيا بعد فأمثال هذا الفكر الإسلامى ، وغيره من فكر لحقه فى الغرب وتذكر فيه نظريات دوركايم ويسلو وليفى بريل وكانت وهوبز وراسل .. إلخ هذا الفكر الأخلاقى كله إنما أخذ مبادئه من مواصفات اجتماعية عامة تعارف عليها المفكرون والعلماء واتخذوا منها سمات عامة تميز الظاهرة الأخلاقية ، وهذه السمات ــ كما ذكرت ــ

[1] القلم ٤ .

[1] الإسراء ٢٩ .

تأخذ كل مقوماتها من مبادىء الدين الإسلامى الحنيف ، وقباحث المصنف أن يرجع إلى هذه المبادىء الإسلامية ليحدقها جماع الفضائل الإنسانية ومن أهمها مبادىء الضمير والالتزام والواجب والمسئولية والمجهود والجزاء .

فلنرجع إلى القرآن والسنة لنجد الدعوة الأخلاقية تحتل فيهما المكان الأسمى ، فقد سئل الرسول الكريم عن أكثر ما يدخل الجنة فقال : (تقوى الله وحسن الخلق) رواه الديلمى فى الفردوس ، وقال فى حديث آخر : (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا) أخرجه الترمذى والحاكم ، وفى حديث ثالث يقول : (إن أقربكم منى مجلسا أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون) كتاب التاج جـ ٥ ص ٦٥ ، وفى حديث رابع يقول : (إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق) رواه أبو هريرة ، ولعل الحديث الآتى للرسول الكريم يجمع أكثر فضائل الأخلاق ، فقد قال جابر بن سليم : ركبت مقودى وطلبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنخت مقودى بباب المسجد ودلونى على الرسول فإذا هو جالس عليه ، برد من صوف فيه طرائق حمر فقلت : السلام عليك يارسول الله فقال : وعليك السلام ، فقلت : إنا معشر أهل البادية قوم فينا الجفاء فعلمنى كلمات ينفعنى الله بها ، قال : ادن (ثلاثا) فدنوت فقال : أعد على فأعدت عليه فقال : (اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا ، وأن تلق أخاك بوجه منبسط ، وأن تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى ، وإن امرؤ سبك بما لم يعلم منك فلا تسبه بما تعلم فيه ، فإن الله جاعل لك أجرا وعليه وزرا ، ولا تستحق شيئا مما خولك الله تعالى) أخرجه أبو بكر البزار فى مسنده وقد سبقت مثل هذه المعانى الشريفة ماجاء فى محكم آيات الله ، ومنها قوله تعالى « خذ العفو ، وامر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين » [١] ، وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » [٢] وقوله تعالى : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » [٣] ، وقوله تعالى « وقولوا للناس حسنا » [٤] :

---

[١] الأعراف : ١٩٩ .
[٢] النور . ٢٧ .
[٣] النساء : ٨٦ .
[٤] البقرة : ٨٣ .

هذه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية تدعو إلى أعظم مبادىء الأخلاق ، ومن أجل هذه المبادىء أيضا إنكار الذات ، والتعاطف ، والتراحم ، والتسامح ، ولين الجانب ، وحسن القول والبعد عن خشه وبسط الوجه ، والتقريب بين القلوب .

إن الإسلام دين عزة لا ذل ، وقدرة لا عجز ، وقوة لا ضعف ، وكرم لا بخل ، وإحسان لا شح ، ورحمة لا قسوة ، وود لا بغضاء ، وصبر لا تهور ، وعدل لا ظلم ، وصدق لا ادعاء ، وعلم لا جهل ، وسلام لا عدوان ومن استوعب هذه المبادىء فقد استوعب مكارم الأخلاق وتحلى بأطيب السلوك واحتل فى المجتمع مكان الصدارة « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ، وما يذكر إلا أولو الألباب »[1]

محمد كمال امين

قال تعالى :

« قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ، دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لاشريك له وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين » .

(صدق الله العظيم)

---

[١] البقرة : ٢٦٩ .

في تاريخ التصوف الإسلامي

للأستاذ نور الدين شريبه

— ٣ —

٤ — ومن أقدم الآراء التي قيلت وأطرفها ، رأى ذكره أبو الريحان البيروني المنجم صاحب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، والمتوفى في حدود سنة ٤٣٠ هـ من « أن هذا اللفظ إنما هو تحريف لكلمة (سوف) اليونانية التي تعني الحكمة .

يقول البيروني : « إن من اليونانيين من كان يرى الوجود الحقيق للعلة الأولى فقط لاستغنائها بذاتها فيه وحاجة غيرها إليها ، وأن ما هو مفتقر في الوجود إلى غيره فوجوده كالخيال غير حق ، والحق هو الواحد الأول فقط ، وهذا رأى السوفية ، وهم الحكماء ، فإن « سوف » باليونانية الحكمة وبها سمى الفيلسوف « فيلاسوفا » أي محب الحكمة . ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سموا باسمهم .

ويرى البيروني أن التصحيف دخل هذا الاسم بعد ذلك فقال مفسراً ومعللا : « ولم يعرف اللقب بعضهم فنسبهم (للتوكل) إلى الصفة وأنهم أصحابها في عصر النبي ﷺ ، ثم صحف بعد ذلك فصير من صوف التيوس » .

ويرى الدكتور عبد الحليم محمود أن رأى البيروني — على طرافته — لا يستقيم لسبب بسيط ، وهو أن التسمية بالصوفية كانت موجودة قبل ترجمة الحكمة اليونانية إلى اللغة العربية فالبيروني يقول : « ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سموا باسمهم » ورأى البيروني إذن لا يستقيم إلا على أن هذا اللفظ نشأ في الإسلام بعد أن عرفت الكلمة اليونانية ، وعرف معناها وتداولتها الألسنة ولاكتها الأفواه، وألفت معناها العقول ، أي حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى على أقل تقدير ، مع أن الكلمة عرفت قبل ذلك بكثير [١] .

---

[١] الدكتور عبد الحليم محمود : المنقذ من الضلال مع أبحاث في التصوف : ١٠١ ، ١٠٢ الطبعة الخامسة سنة ١٣٨٥ .

وقد نادى من بين المستشرقين بهذا الرأي يوسف فون همر J. Von Hammer في كتابه عن الأدب الفارسي[١]. فهو يذكر أن كلمة «صوفي» و«صافي» مشتقتان من الأصل اليوناني لكلمتي «سوفوس» و«سافوس».

ولكن هذا الرأي رده المستشرق تولك Tholuck في كتابه عن الصوفية[٢]، ودافع عنه وصوبه ادلبرت مركس Adelbert M-rx في كتابه عن تاريخ التصوف[٣].

وفي سنة ١٨٩٤ استقر الأمر على بطلان ذلك الرأي؛ فقد دلل الأستاذ نولدكه — في مقاله الذي أشير إليه من قبل — على أن كلمة «سوفوس» لا أصل لها في الآرامية وإذن فليس من السهل أن يظن المرء انتقالها إلى اللغة العربية. ثم إن الآرامية والعربية قد دخلتهما كلتي «سوفيستس»: معلم حكمة و«فيلوسوفس: محب الحكمة» اليونانيتين وفي اللغة العربية قوبل حرفا (سيجما) بالسين كما كان الشأن في جميع الكلمات اليونانية المماثلة التي عربت، ولم يقابل بالصاد، فلو أن كلمة «صوفي» كانت مشتقة من أصل يوناني لكان بدؤها بحرف الصاد — بدلا من السين — شذوذاً عن القاعدة التي جرى عليها العرب في تعريب أمثالها من الكلمات اليونانية.

ثم إن الاشتقاق من الكلمة اليونانية «سوفوس» لا نجد له ما يجعله محتملا في نفسه بينما الاشتقاق من الكلمة العربية «صوف» تؤكده المصادر العربية[١].

٥ — وقد حاول المستشرقون كذلك أن يربطوا بين الكلمة اليونانية «تيوسوفيا Theosophia» وهي كلمة مركبة من جزأين «تيوس: الله» و«سوفيا: حكمة» والمعنى الحكمة الإلهية والقول باشتقاق التصوف من هذه الكلمة مردود وهو واضح مفهوم من الرد على رأي البيروني ورأي همر.

٦ — وعندي أن الكلمة — من حيث الاشتقاق اللغوي — مأخوذة من الصوف وإن رويت أقوال في كراهة لبس الصوف

[١] تاريخ الآداب الفارسية Geschichte der Schonen Persiens, p. 346.

[٢] Sufismus, p. 30.

[٣] Idee und gundlinien iiber algemeinen gestchichte der Mystik, p. 31, f

(١) مجلة المستشرقين الألمانية سنة ١٨٩٤ ص ٤٥ وما بعدها.

فقد قال الثوري لرجل رأى عليه صوفا : « ارم بهذا عنك فإنه بدعة [1] » ، ومعنى ذلك عندي أنه علم محدث على الزهد .

وفي سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (أوصى الله تعالى إلى بعض الأنبياء : قل للذين يتفقهون لغير الدين ، ويتكلمون لغير العمل ، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ويلبسون للناس صوف الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر ، إياي يخادعون ، وبي يستهزئون ، لأتيحن لهم فتنة تدع الحكيم حيرانا) [2] .

وهذا الحديث - إن صح - ينصب على الرياء في اللبسة لا على اللبسة ذاتها .

وقد قيل : إن هذا الزي شائع بين رهبان النصارى ، يقول الجاحظ : « إن النصراني يلبس الصوف حين يتنسك » [3]

وعلى هذا الأساس كرهه بعض التابعين ، فقد ذكر أن حماد بن سلمة البصري (تسنة ١٦٧ هـ) دخل عليه فرقد السبخي (تسنة

[١] تهذيب التهذيب : ٢/٣٤

[٢] حياة الحيوان : ٢/٩٣ .

[٣] الحيوان : ١/١٠٢ .

١٣٠ هـ) وهو أحد تلاميذ الحسن البصري فقال له : « ضع عنك هذه النصرانية » [1] .

فذلك لا يمنع من صحة الاشتقاق ، وقيام الاستعمال ، والمشابهة في الزهادة والنسك بين صوفية الإسلام ورهبان المسيحية .

ومع ذلك فإن هناك نصوصا تدل على تحبيذهم لبس الصوف .

(ا) فقد روى أبو موسى الأشعري ، وهو من أهل الصفة في مرتبة عمر لرسول الله قال : كان النبي ﷺ يلبس الصوف ، ويركب الحمار ، ويأتي مدعاة الضعيف [2] .

(ب) ويقول الحسن البصري : « لقد أدركت سبعين بدريا ما كان لباسهم إلا الصوف [3] » .

(جـ) ووصف أبو هريرة فضالة بن عبيد أهل الصفة فقال : « كانوا يخرون من الجوع حتى تحسبهم الأعراب مجانين ، وكان لباسهم الصوف حتى أن بعضهم كان يعرق في ثوبه فيوجد منه رائحة الضأن إذا أصابه الغيث [4] » .

[١] دائرة المعارف الإسلامية : مادة تصوف .

[٢] التعرف : ٧ ، عوارف المعارف : ١٢٧

[٣] التعرف ٧ ، ٤ : عوارف المعارف ١٢٨ .

[٤] اللمع : ١٢٣ ، تاريخ بغداد : ٥/٣٢٣ ، عوارف المعارف ١/١٢٨ .

فالأظهر إذن ـ إذ قيل بالاشتقاق ـ أنه من الصوف ، وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف[١] .

تعريف التصوف :

أدرك الصوفية منذ حاولوا أن يجعلوا من التصوف علما يقعدون له القواعد ويضعون له الضوابط ، وذلك في مطالع القرن الثالث ، أدركوا أن تعريف التصوف ـ بالحد أو بالرسم ـ أمر عسير ، وقد أجاب عن التصوف ، ما هو ، جماعة بأجوبة مختلفة منهم إبراهيم بن المولد الرقي (ت ٣٤٢ هـ) أجاب عنها بأكثر من مائة جواب[٢] .

ويرى أبو حفص السهروردي (ت ٦٣٢هـ) أن أقوال المشايخ عن ماهية التصوف تزيد ألف قول[٣] .

وقد واجهت هذه المشكلة ، مشكلة وضع تعريف جامع مانع للتصوف ، الأستاذر . ا . نيكولسن في مطلع هذا القرن ـ كما أشرنا إليه من قبل ـ حين حاول أن يخطط لتعريف التصوف ما كتبق بترتيبها ترتيبا تاريخيا يلقي الضوء على تطور التصوف ونموه[١] .

ولعل ذلك مرجعه أن التصوف حال ، أعني أنه تجربة ذاتية يمر بها صاحبها ثم يعبر عن مذاقاته وانفعاله بالتجربة ، بعد أن تنفصل عنه ومن هنا كانت التعاريف متعددة بتعدد الصوفية ، بل هي متعددة بتعدد أحوال كل صوفي .

ويرغم أن التصوف حال وأنه ذاتي لا موضوعي فإن بين هذه التعريفات قدرا مشتركا من المشابهة يهيء لباحث التصوف أن يستخرج منها تعريفا يضبط أنواعها .

يقول أبو حفص السهروردي : (أقوال المشايخ في ماهية التصوف ... نذكر ضابطا يجمع جل معانيها ، فإن الألفاظ ـ وإن اختلفت ـ متقاربة للمعاني ، فنقول : الصوفي : هو الذي يكون دائم التصفية ، لا يزال يصفي الأوقات عن شوب الأكدار ، بتصفية القلب عن شوب النفس ، ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه ، فبدوام الافتقار ينقي من الكدر ، وكلما

[١] مقدمة ابن خلدون : ٤٦٧ ، عوارف المعارف ١/١٣٠ .
[٢] ١ ـ اللمع ٢٧ .
[٣] ٢ عوارف المعارف ١ ١٢٩ .

[١] Jras, 1906, P. 303 .

تحركت النفس، وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته النافذة، وفر منها إلى ربه فبدوام تصفيته جمعيته، وبحركة نفسه تفرقه وكدره، فهو قائم بربه على قلبه، وقائم بقلبه على نفسه (١).

وما ذكره أبو حفص السهروردي أشبه بالشرح منه بالتعريف، ثم إن دوام التصفية وإن شمل المجاهدات إلا أنه يغفل العامل النفسي الذي هو كالسبب والمدخل للتصفية وهو عادة يسبق سلوك الطريق.

وهو لا يحدد الغاية التي يطمح إليها الصوفي، ولا المذاقات التي يصل، والمقامات التي تضفى عليه، والعلوم التي تكشفت له، فهو عندي ليس تعريفاً بالحد ولا بالرسم إنما هو شرح لبعض مراحل التصوف وخصائصه

وقد حاول بعض الباحثين المعاصرين (٢) أن يضع تعريفاً جامعاً مانعاً حين قال: « التصوف تيقظ فطري يوجه النفس الصادقة إلى أن تجاهد حتى تحظى بمذاقات الوصول فالاتصال بالوجود المطلق ».

وهذا التعريف وإن وضح فيه الجهد العملي إلا أنه يصدق بالنسبة للتصوف الإسلامي، على فترة متأخرة فيه هي الفترة التي تبدأ بعد القرن الثاني. ذلك أن الاتصال بالوجود المطلق وما تحته من مدلولات فلسفية مختلفة، لم يعرفه الزهاد والنساك الذين حفل بهم القرنين الأولين بعد الهجرة.

وأنا أسوق تعريفاً آخر للتصوف الإسلامي — بمعناه العملي، ولعلي أن أوفق به إلى الكشف عن ماهية التصوف فأقول:

« التصوف هو انزعاج في القلب يدفع صاحبه إلى سلوك طريق التكمل والتحقق »

فالانزعاج في القلب يمثل المرحلة الأولى في التصوف، مرحلة الاستمداد الفطري أو الدافع الذي يحمل الصوفي على أن ينظر في أمره في الحياة أو يعيد تقدير موقفه كما يقولون، وهو المفتاح الذي يفتح به باب التوبة ثم ما يليها من مراحل الطريق.

وأنا أعني بالقلب مايعنيه منه الصوفية، وهو مزيج من المشاعر والإدراكات لاهذه المضغة الصنوبرية في الصدر.

و« سلوك الطريق » يشمل عصور التصوف كلها، ما كان منها قاصراً على الزهد العملي وما شمل منها الزهد وفلسفة الزهد.

(١) عوارف المعارف ١، ١٢٦.
(٢) ٢ ـ بسيوني، نشأة التصوف الإسلامي ٤٨.

و « التكمل والتحقق » هى الغاية التى هدف إليها الصوفية منذ أخذوا أنفسهم باتباع شريعة الرسول الكريم فى حياته وبعد وفاته .

وهذا الهدف قد تطور وتغير، ولكنه ظل عند أهل كل عصر غاية ، هى الكمال الذى يمكن أن يتحقق به الإنسان .

أما التصوف - بالمعنى العلمى ، فهو : علم شرعى يرسم للسالك طريق التكمل والتحقق .

وقد مر بنا أن التصوف يعتبره الصوفية جميعا وكذلك الباحثون المحايدون كابن خلدون ، من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة الإسلامية ، وأنه إذا كان الفقه علم الأحكام الشرعية الظاهرة ، فإن التصوف علم الأحكام الشرعية الباطنة ، وبمعنى أوضح أن الفقه علم الأحكام الشرعية الخاصة بالجوارح والتصوف : علم الأحكام الشرعية الخاصة بالقلوب .

وطريق التكمل والتحقق الذى يرسمه التصوف للسالك مختلف باختلاف العصور والسالكين فالطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق كما يقولون . ولكن قيد الهدف وهو التكمل والتحقق - يخرج الطرق التى لا تتلاءم معه ولا سندها من الشريعة .

ومع هـذا فإنى سأسوق تعاريف للتصوف تبدأ من أواخر القرن الثانى وتنتهى فى منتصف القرن الخامس الهجرى وهذه التعريفات مفيدة فى ملاحظة التطور التاريخى ، وإدراك العناصر الطارئة على الثقافة الإسلامية .

١ — عبدالواحد بن زيد (ت ١٧٧ هـ) .

قيل لعبد الواحد بن زيد : من الصوفية عندك ؟ ، فقال : « القائمون بعقولهم على همهم ، والعاكفون عليها بقلوبهم المعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم هم الصوفية »[1] .

٢ — معروف الكرخى (ت ٢٠٠ هـ) .

« التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق »[2] .

٣ — سرى السقطى (ت ٢٥٧ هـ) .

« التصوف اسم لثلاث معان ، وهو الذى لا يطفىء نور معرفته ، نور ورعه ولا يتكلم بباطن فى علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب أو السنة ، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله »[3] .

٤ — أبو الحسين النورى أحمد بن محمد (ت ٢٩٥ هـ) .

[١] اللمع ٢٥ .
[٢] الرسالة القشيرية ١٩٥ ، عوارف المعارف ١/١١٩ . [٣] الرسالة القشيرية ١٣ .

(أ) سئل أبو الحسين النوري ما التصوف؟ فقال : « ترك كل حظ للنفس »[١] .

(ب) سئل النوري عن التصوف فقال : « ليس التصوف رسوما ولا علوما ولكنه أخلاق »[٢].

(جـ) قال النوري : « التصوف الحرية والمروءة وترك التكلف والسخاوة »[٣].

(د) وقال : « التصوف كراهية الدنيا ومحبة المولى »[٤] .

(هـ) وقال : « نعت الصوفى السكون عند العدم والإيثار عند الوجود »[٥] .

(و) سئل النوري عن الصوفى فقال : « من سمع السماع وآثر الأسباب[٦] » .

(ز) الصوفية قوم خلصت أرواحهم من كدورة البشرية ، وصفت من آفات النفس ، وتحررت من الهوى ولذلك كانوا فى أول صف وأعلى درجة ، قد تخلوا عن الكل إليه ، فليسوا سادة وليسوا عبيدا[٧] .

(ح) الصوفى من لا يملكه شىء ولا يملك هو شيئا[١] .

٥ — رويم البغدادى (ت٣٠٣هـ) :

(أ) التصوف مبنى على ثلاث خصال : التمسك بالفقر والافتقار ، والتحقق بالبذل والإيثار ، وترك التعرض والاختيار[٢] .

(ب) التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد[٣] .

٦ — أبو بكر الكتانى محمد بن على ابن جعفر (ت٣٢٢هـ) :

(أ) سئل عن الصوفى فقال : « من عزفت نفسه عن الدنيا تظرفا ، وعلت همته عن الآخرة ، وسخت نفسه بالكل طلبا وشوقا إلى من له الكل[٤] » .

(ب) التصوف خلق فمن زاد فى الخلق فقد زاد عليك فى الصفاء[٥] .

٧ — أبو بكر الطمستانى الفارسى (ت بعد ٣٤٠ هـ) :

(١) التعرف ٩ ، طبقات السلمى ١٦٦
(٢) طبقات السلمى ١٦٧
(٣) تذكرة الأولياء .
(٤) تذكرة الأولياء
(٥) الرسالة القشيرية .
(٦) الرسالة القشيرية ١٦٦ .
(٧) تذكرة الأولياء .

(١) تذكرة الأولياء .
(٢) الرسالة القشيرية ١٦٥ ، عوارف المعارف : ١١٩/١ .
(٣) عوارف المعارف ١ | ١٢٤ .
(٤) طبقات السلمى ٣٧٧ .
(٥) الرسالة القشيرية : ١٦٦ .

قال بعضهم ـ أبو بكر الطمستاني ـ التصوف كله اضطراب فإذا وقع السكون فلا تصوف.

قال السهروردي ـ أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله (٥٣٩ — ٦٣٢هـ) تعليقا على ذلك:

السر فيه أن الروح مجذوبة إلى الحضرة الإلهية، يعني أن روح الصوفي متطلعة منجذبة إلى مواطن القرب، وللنفس بوضعها رسوب إلى عالمها وانقلاب على عقبها ولا بد للصوفي من دوام الحركة بدوام الافتقار ودوام الفرار وحسن التفقد لمواقع إصابات النفس[1].

٨ — أبو القاسم النصراباذي إبراهيم ابن محمد بن محمويه (ت ٣٦٣ هـ):

أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق، وحسن صحبة الرفقاء والقيام بخدمتهم واستعمال الأخلاق الجميلة والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات. وما ضل أحد في هذا الطريق إلا بفساد الابتداء فإن فساد الابتداء يؤثر في الانتهاء[1].

٩ — أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري (ت ٣٧١ هـ).

(أ) الصوفي لا يتزعج في انزعاجه، ولا يقر في قراره.[2].

(ب) الصوفي وجده وجود وصفاته حجابه[3].

(جـ) الصوفي إن وصف جحد وإن تجلى كشف[4].

(د) قال أبو نصر السراج قلت للحصري من الصوفي عندك؟ فقال الذي لا تقله الأرض ولا تظله السماء (الرسالة ١٦٦ قال) القشيري إنما أشار إلى حال المحو.

(هـ) الصوفي لا يوجد بعد عدمه ولا يعدم بعد وجوده ـ قال الأستاذ أبو القاسم القشيري وهذا فيه إشكال. ومعنى قوله لا يوجد بعد عدمه أي إذا فنيت آفاته لا تعود تلك الآفات، وقوله: ولا يعدم

(١) عوارف المعارف ١ / ١٢٢

[١] طبقات السلمى ٤٨٨ ـ الرسالة القشيرية ٣٩
[٢] طبقات السلمى ٤٨٩
[٣] طبقات السلمى ٤٩١
[٤] طبقات السلمى ٤٩١

بعد وجوده يعنى إذا اشتغل بالحق لم يسقط بسقوط الخلق ، فالحادثات لا تؤثر فيه.[1]

١٠ — أبو الحسن الخرقانى (ت٤٢٥هـ)

(أ) ليس الصوفى بخرقته وسجادته ، ولا رسومه وعاداته وإنما الصوفى من لا وجود له .

(ب) الصوفى نهار لا حاجة له إلى شمس وليل لا حاجة له إلى قمر، ومعدوم لا حاجة له إلى وجود .[2]

وليس من العسير على من يستعرض كتب التصوف أن يضيف إلى هـــذه التعريفات كثيرا غيرها. وقد أرجع بعضهم السبب فى كثرة هـذه التعريفات إلى أن التصوف حال [1] يعنى بذلك أنه رياضة ذاتية يأخذ بها الشخص نفسه فيكون له بسبب ذلك من المواجيد ما يعبر عنه فى مثل هذه التعريفات .

والتصوف وإن كان تجربة ذاتية عبر الصوفية عن مواجيدهم فيها إلا أن ذلك ليس معناه أنه ليس وراء هذه التجارب حقائق موضوعية وإلا كان كلام الصوفية واقعا على أشياء لا تحقق لها ، وإنما الشأن فى تجارب الصوفية وأحوالهم هو الشأن فى أحوال علم النفس وما يقع لأصحابه ودارسيه وكذلك علم الأخلاق وما يشبههما من العلوم الإنسانية ؟

نور الدين شريبة

[١] الرسالة القشيرية : ١٦٧

[٢] نفحات الأنس : ٢٧٧

[١] أبو العلا عفيفى ، التصوف ثورة الإسلام الروحية ٣٨

أمير المؤمنين في الحديث

لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

— ٢ —

« لقد من الله على أهل الإسلام بسفيان الثورى »
المعافى بن عمران

لقد أهلته المقادير لأن يكون محدثاً من كبار المحدثين ، وفقيها من كبار الفقهاء فاجتمع فيه ما اجتمع فى الإمام مالك رضى الله عنه : الحديث والفقه ، وصاحب الحديث لا بد له من ذاكرة قوية قوة خارقة ، ذاكرة كأنها آلة تسجيل ، وإلا لم يكن مؤهلا لهذا الميدان ، ولقد منح الله سبحانه وتعالى سفيان ذاكرة حافظة يصفها سفيان بقوله : ما استودعت قلبى شيئا قط فخانني ، ويقول ابن مهدى عنه : ما رأيت صاحب حديث أحفظ من سفيان ويصف الأشجعى ذاكرة سفيان فيقول : دخلت مع الثورى على هشام بن عروة ، فجعل يسأل وهشام يحدثه ، فلما فرغ ؛ قال : أعيدها عليك ؛ فأعادها عليه ، وقام ، ثم دخل أصحاب الحديث فطلبوا الإملاء . فقال هشام : احفظوا كما حفظ صاحبكم ، قالوا : لا نقدر .

أما يحيى بن سعيد القطان فإنه يقول : « ما رأيت أحفظ من الثورى » ، لقد كانت ذاكرة سفيان مهيأة بالفطرة لكى تجعل من سفيان إماما من أئمة الحديث .

ومع الذاكرة لابد للمحدث من ذكاء يتوقد، ولقد كان الثورى كما يقول ابن الجوزى « يتوقد ذكاء » حتى لقد أصبح نابهاً وهو فى بواكير شبابه ، ويصف أبو المثنى شيئاً من نباهته ، ورفعة شأنه فى بواكير حياته فيقول : « سمعتهم ، بمرو ، يقولون : قد جاء الثورى ، قد جاء الثورى ، فخرجت أنظر إليه ، فإذا هو غلام قد بقل وجهه » وبقل وجهه يعنى خرجت لحيته . وفى ذلك يقول ابن الجوزى : صار إماماً منظوراً إليه وهو شاب . ويحكى عن الوليد بن مسلم قال : رأيت الثورى بمكة يستفتى ولما يخط وجهه بعد وأبصر أبو إسحاق السبيعى ، سفيان مقبلا فتلا قوله تعالى : « وآتيناه

الحكم صبياً » يشير بذلك إلى أن الله سبحانه وتعالى قد منح سفيان من الحكمة وهو ما يزال فى بواكير شبابه .

عن العلم

ولكن سفيان لم يغتر بشهرته ، وإنما زادته هذه الشهرة محاسبة لنفسه فى علمه ، وفى تقواه .

وكان لابد أن يزداد كل يوم علماً ، ومن أن يكون من التقوى : بحيث تصبح له سلوكا وحالا ، وانغمس سفيان فى العلم .

يقول مسكين بن بكير الحرانى : سمعت سفيان الثورى يقول :

« لا نزال نتعلم ما وجدنا من يعلمنا » .

ويقول سفيان : « الرجل إلى العلم أحوج منه إلى الخبز واللحم » .

وليس عمل بعد الفرائض — فيما يروى الثورى — أفضل من طلب العلم .

ويرسم الثورى الخطوات التى تتبع بالنسبة للعلم : يروى مزاحم بن زفر هذه الخطوات عن الثورى :

« إنما هو طلبه ، ثم حفظه ، ثم العمل به ، ثم نشره » ولما سمع ذلك أبو بكر بن عباس أخذ يقول لمزاحم : أعده على كيف قال ؟

ويحدث المهدى أبو عبد الله فيقول : سمعت سفيان الثورى يقول : كان يقال : أول العلم الصمت ، والثانى الاستماع إليه وحفظه ، والثالث العمل به ، والرابع نشره وتعليمه ، أما هدف العلم : فإن سفيان كان يستفيض فيه كلما وجد إلى ذلك سبيلا ، ويروى فيه ما يحفظ من أحاديث .

فمن سفيان عن محمد بن عمارة المدنى عن عبد الرحمن بن عبد الله عن رجل ذكره عن النبى ﷺ قال : « من تعلم العلم ليمارى به العلماء ، أو يجارى به السفهاء ، أو يتأكل به الناس ، فالنار أولى به » .

ويحدث عبد الله بن داود فيقول : قال سفيان الثورى : « إنما يطلب العلم ليتقى الله به فمن ثم فضل ، فلولا ذلك لكان كسائر الأشياء » .

وعن أحمد بن يونس يقول سمعت سفيان الثورى يقول : « ليس طلب العلم فلان عن فلان ، إنما طلب العلم الخشية لله عز وجل » . ويختصر سفيان أحياناً الهدف من العلم فيقول : « إنما فضل العلم على غيره ليتقى الله به » ، ولقد سئل سفيان الثورى : طلب العلم أحب إليك يا أبا عبد الله أو العمل ؟ فقال : « إنما يراد العلم للعمل ، لا تدع طلب العلم للعمل ولا تدع العمل لطلب العلم » ويتجه سفيان إلى العلماء فيقول لهم : « الأعمال السيئة داء والعلماء دواء ، فإذا فسد

العلماء ، فمن يشفى الداء ؟ » ويقول لهم : «زينوا العلم بأنفسكم ، ولا تزينوا بالعلم» وكان الثورى إذا لقى شيخاً سأله « هل سمعت من العلم شيئاً ؟ فإن قال : لا ، قال : لا جزاك الله عن الإسلام خيراً » ، ويتجه إلى الشباب من العرب فيقول : « اطلبوا العلم ويحكم ، فإنى أخاف أن يخرج منكم ، فيصير فى غيركم ، اطلبوه ويحكم ، فإنه عز وشرف فى الدنيا والآخرة »

وأخذت الأيام تسير بسفيان ، وأخذت شهرته مع الأيام تزداد ، وإذا به يبلغ حداً من النضج ومن العلم يعز على من رامه ويطول ، فيذاع اسمه فى ربوع الإسلام ، ويقدره الناس أينما حل ، يقدرونه لتقواه ، ويقدرونه لعلمه ، ويقدرونه لخلقه الصلب فى الله ، ويقدرونه لزهده ويقدرونه لفضائل أخرى كثيرة .

بل لقد أخذ الناس يعدون مناقبه ، ومن ذلك مثلا ما رواه شعيب بن حرب ، قال : ذكروا سفيان الثورى عند عاصم ابن محمد ، فذكروا مناقبه حتى عدوا خمس عشرة منقبة ، فقال : فرغتم ؟ إنى لأعرف فيه فضيلة أفضل من هذه كلها : سلامة صدره لأصحاب محمد ﷺ ، وهذه الصفة التى ذكرها عاصم بن محمد لها قيمتها الكبرى فى كل زمن ، وخصوصاً عند ما يحاول الضالون المنحرفون أن يحطوا من شأن بعضهم وأن يزلوا بقيمهم وهم الذين قال رسول الله ﷺ فيهم : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ويعد ابن المبارك بعض ما تحلى به سفيان فيقول : تعجبنى مجالسة سفيان الثورى ، كنت إذا شئت رأيته فى الورع ، وإذا شئت رأيته مصلياً ، وإذا شئت رأيته غائصاً فى الفقه ، ويشبه هذا ما ذكره أحمد بن يونس ، قال : ما رأيت أحداً أعلم من سفيان ، ولا أورع من سفيان ، ولا أفقه من سفيان ، ولا أزهد من سفيان .

وعن أيوب بن سويد قال : سمعت المثنى ابن الصباح ، وذكر سفيان الثورى فقال : عالم الأمة وعابدها . وهو وصف دقيق لسفيان ، فى غاية الإيجاز ، وعن علم سفيان يقول أيوب بن سويد : ما سألنا سفيان الثورى عن شىء إلا وجدنا عنده أثراً ماضياً ، أو أثراً من عالم قبله .

ولقد وثق الناس بالثورى فى الحديث وغيره ، يقول أبو أسامة :

سفيان الثورى حجة .

أما سفيان بن عيينة ، وقد كان فى زمن سفيان الثورى ، وكان عالماً ومحدثاً وفقيهاً فإنه يتحدث عن أئمة الناس التابعين إلى عصره ، فيحصرهم فى ثلاثة : أحدهم سفيان ، إنه يقول : أئمة الناس ثلاثة بعد أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

ابن عباس فى زمانه ، والشعبى فى زمانه ، وسفيان الثورى فى زمانه .

وينتهى بشر بن الحارث فيرأيه عن سفيان بقوله : كان سفيان الثورى عندى إمام الناس .

وقال الشيخ أبو نعيم رحمة الله تعالى عليه : « الإمام أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثورى رحمة الله تعالى عليه ، فى غزارة علمه ، ورواياته كالبحر الذى لا ينزف ، والسيل الذى لا يصرف ، عدلنا عن ذكر شيوخه إلى الاقتصار على طرف من رقائق حديثه » .

أما شيوخه فى العلم الذين عدل أبو نعيم عن ذكرهم ، فقد عد منهم المؤرخون كثيراً ، منهم :

عمرو بن مرة ، وسلمة بن كهيل ، وحبيب بن أبى ثابت ، وعمرو بن دينار ، وعبد الله بن دينار ، وسعيد بن مسروق والد سفيان ، والأسود بن قيس ..

« وخلق لا يحصون » كما يقول ابن الجوزى .

ويقول بعض المؤرخين : يقال إنه أخذ العلم عن ستمائة شيخ ، وينتقد الذهبى ابن الجوزى ، ويرميه بالمبالغة ، لأنه ذكر فى مناقب الثورى ، أنه روى عن أكثر من عشرين ألفاً ، ويقول : وهذا مدفوع بل لعله روى عن نحو من ألف .

أما عن تلاميذ الثورى فإن ابن الجوزى وغيره يعدون الكثير منهم بأسمائهم وأحياناً بصفاتهم ، وقد كان الناس يتسابقون إلى مجلسه فى العلم ، ويقفون بباب داره منتظرين خروجه ، وليس من المبالغة إذن أن يقول ابن الجوزى عن تلاميذ الثورى : « وقد حدث عنه خلق لا يحصون » ثم يقول : وآخر ثقة روى عنه هو على بن الجعد .

تقديره

قدر العلماء سفيان الثورى فى حياته ، وبعد مماته تقديراً جيلا كريماً يستأهله الرجل الذى وهب نفسه للعلم ، فأبو نعيم يفتتح الحديث عنه بقوله : ومنهم الإمام المرضى ، والورع التقى ، أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثورى ، رضى الله تعالى عنه .

ولقد رأينا فيما مضى كثيراً من تقدير العلماء له ، وسنرى أيضاً فيما بعد شيئاً من ذلك ، والحديث موصول ؟ عبد الحليم محمود

انتشار الإسلام في قزوين

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

– ١ –

كانت قزوين وقت الفتح الإسلامى لها ، واحدة من المراكز الدفاعية التى أقامتها الدولة الساسانية ، فى وجه المحاولات المعادية التى كان يشنها الديلم من وقت لآخر ضد الدولة الساسانية .

وقزوين تقع بالقرب من الحدود الجنوبية لبلاد الديلم .

كان يتولى شئون قزوين والنواحى المجاورة لها حاكم فارسى يطلق عليه لقب « المرزبان » ، أما من ناحية العقيدة فإن أهل المنطقة — أو الأغلبية الساحقة منهم — كانوا يدينون بالمجوسية ، وكانت بيوت النيران منتشرة هناك بشكل كبير .

وأهمية قزوين فى التاريخ الإسلامى تعود إلى أنها ظلت لفترة طويلة ، حتى أواخر القرن الثالث الهجرى ، ثغرا هاما من ثغور الدولة الإسلامية ، وذلك فى مواجهة الديلم الذين لم يكونوا قد اعتنقوا الدين الإسلامى بعد . هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى ، فإن مدينة قزوين كانت لها أهمية خاصة ترتبط بانتشار الإسلام فى المناطق المجاورة ، فقد كانت مدينة قزوين بمثابة النبع الذى صدر عنه الكثير من الدعاة إلى الدين الإسلامى ، الدعاة الذين وضعوا نشر الدين الإسلامى بين المجوس وغيرهم نصب أعينهم وإلى هؤلاء الدعاة يعود الفضل فى قدر كبير من النجاح الذى أحرزه الإسلام فى منطقة بحر قزوين .

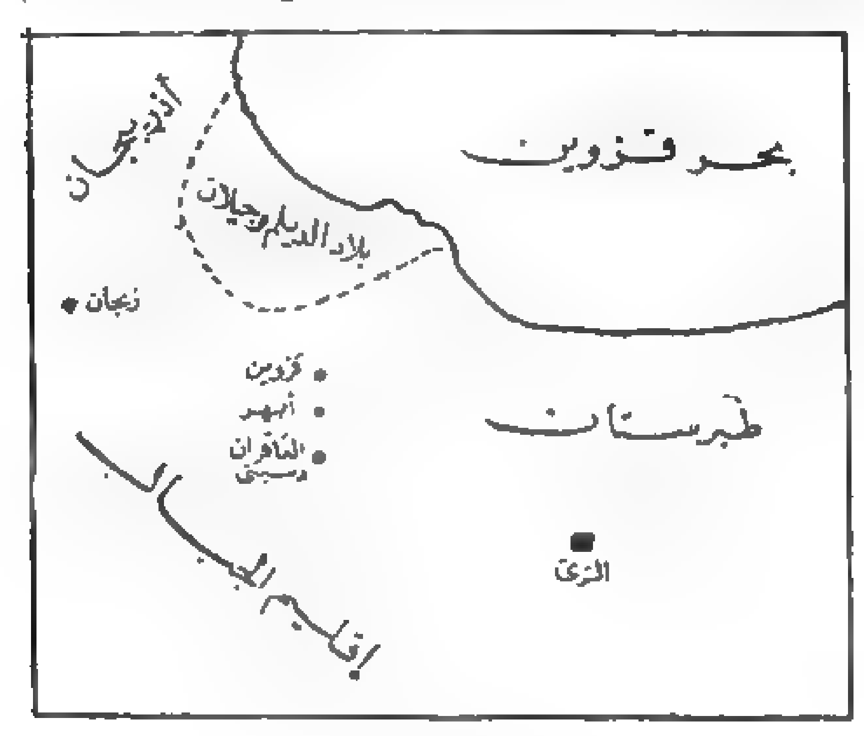
إن المراجع التى بين أيدينا تكاد تجمع على أن اتصال المسلمين بهذه المنطقة قد حدث فى أوائل العقد الثالث من التاريخ الهجرى ، فإنه بعد أن انتصر المسلمون ضد الفرس فى موقعة (نهاوند) سنة ٢١ هـ توجه الصحابى عروة بن زيد الخيل الطائى على رأس قوة إسلامية إلى مدينة الرى وهناك دارت معركة عنيفة أسفرت عن انتصار القوات الإسلامية ، الأمر الذى أرغم الفرخان بن الزينبدى ، ويدعى عارين ، صاحب الرى وتوابعها على طلب الصلح (على أن يكونوا أهل ذمة يؤدون الجزية والخراج . على أن لا يقتل منهم أحدا ولا يسبيه ، ولا يهدم لهم بيت نار) .

هـذا الاتفاق الذى تم بين القرخان وعروة بن زيد الخيل كان يشمل أهل القسم الرازى من دستبى[1] . ومعنى هـذا أن أهالى هذا القسم من دستبى ، تبعا لهذا الاتفاق ، قد فضلوا دفع الجزية والخراج على أن يعتنقوا الدين الإسلامى .

فى السنة التالية فتح الصحابى نعيم بن مقرن همذان وتوابعها التى كان من بينها القسم الثانى من دستبى وهو القسم الهمذانى ، وقد وقف أهل هـذا القسم من الإسلام نفس الموقف الذى وقفه إخوانهم فى القسم الآخر الذى كان تابعا للرى ، أى أنهم آثروا دفع الجزية والخراج على اعتناق الإسلام .

كان التخطيط الإسلامى يحتم على الفاتحين أن يتخذوا مركزا دائما لهم هناك ، وذلك بمثابة موقع عسكرى متقدم ، وقد كانت دستبى هى هذا المركز ، حيث أقام بها نفر من أهل الكوفة ، وفى حديث الطبرى بخصوص فتح همـذان يقول من نعيم بن

(١) كانت ناحية دستبى قسمين : قسم تابع للرى وقسم تابع لهمذان ، وقد ضما فيا بعد إلى قزوين .



الفتوحات الإسلامية فى قزوين

مقرن[1] : (وفرق دستبى بين نفر من أهل الكوفة ، بين عصمة بن عبد الله الضبى ، ومهلهل بن زيد الطائى ، وسماك بن عبيد العبسى ، وسماك بن مخرمة الأسدى ، وسماك ابن خرشة الأنصارى ، فكان هؤلاء أول من ولى مسالح دستبى وقاتل الديلم » .

ومعنى هذا أنه على الرغم من الرفض الذى قوبل به الدين الإسلامى من أهل دستبى فإن هذا الدين قد أخذ يثبت وجوده هناك متمثلا فى هؤلاء الرجال الذين أشار إليهم الطبرى ، ومع أن هؤلاء الرجال كانوا وافدين على الناحية إلا أنهم فى الوقت نفسه يشكلون أول جماعة إسلامية فى دستبى ، وليس من المقبول أن يقال إن مهمة هؤلاء الرجال كانت عسكرية بحتة ، إذ مما لا شك فيه أنهم بجانب ذلك كانوا يعملون أيضا على نشر الدين الإسلامى بين مواطنى دستبى الأصليين .

مهما يكن من أمر ، فإن ناحية دستبى قد أصبحت من ذلك التاريخ مهدا لنواة إسلامية ، وليس من قبيل المبالغة أن نقول : إن هذه النواة قد أخذت تنمو وتزدهر مع مرور الأيام ، ولا شك أن نموها كان بانضمام أفراد من أهل الناحية الأصليين إليها ، ثم إن هذه الناحية قد أصبحت بمرور الأيام إسلامية خالصة ، ولا أدل على النشاط الذى بذله الوافدون إلى الناحية فى سبيل نشر الدين الإسلامى بين أهلها من أن سماك بن مخرمة قد أنشأ هو وأصحابه مسجدا فى دستبى يعرف بمسجد سماك (الطبرى ج ٤ ص١٤٩) :

لم أجد فى المراجع التى بين أيدينا مزيداً من الضوء نستطيع بمساعدته أن نقدم تحديدا دقيقا بخصوص المكان الذى تم فيه إنشاء هذا المسجد ، فالطبرى قد ساق الخبر بطريقة سريعة ودون أى تحديد اللهم إلا ما قد يفهم من أن هذا المسجد قد أنشىء فى القسم الهمذانى ، ولكن المشكلة مع ذلك لا تزال قائمة ، فياقوت يقول عن دستبى همذان : « وهو عدة قرى » ففى أى من هذه القرى ارتفع بناء مسجد سماك الذى يعتبر أول بناء من نوعه فى الناحية ؟ . إذا جرينا مع المألوف من أن كبرى المدن أو القرى فى ناحية ما من النواحى كانت هى التى تجتذب إليها الوافدين ، فمن المرجح أن يكون مسجد سماك قد أنشىء فى كبرى القرى فى الناحية ،

(١) الطبرى : التاريخ ، طبعة ذخائر العرب ، ج ٤ ص ، ١٤٧ ـ ١٤٨ .

ويسعفنا الرافعي القزويني [1] بخصوص التعرف على اسم كبرى القرى هناك إذ أنه يقول عن دستبي همذان : « كان عامل همذان ينفذ خليفة له فيقيم في قرية اسفقيان [2] » .

لم يمدنا الرافعي القزويني بأن من المعلومات عن هذه القرية ، معلومات تساعدنا على تحديد موقعها ، أو التعرف على الجماعات البشرية التي كانت تعيش فيها .

ونفس الصمت وجدته في مختلف المظان التي لجأت إليها بأمل إلقاء المزيد من الضوء على هذه القرية ، الأمر الذي يحمل الدارس على القول بأن الغموض لا يزال يحيط بقرية اسفقيان ، القرية التي من المرجح أن تكون هي التي شاهدت أول إشعاع لنور الإسلام في الناحية .

وإذا كان هذا هو الموقف الذي اتخذه أهل دستبي من الدين الإسلامي فإن الصورة تنتقل إلى الجانب الآخر مع أهالي جبال القاقزان المجاورة لناحية دستبي ، فقد اختار أهالي هذه الجبال اعتناق الدين الإسلامي ، وعن موقف أهل دستبي وأهل القاقزان من الدين الإسلامي يقول الرافعي القزويني (التدوين جـ ١ ص ٩) : « وأقام أهل دستبي على دينهم فصارت تلك الناحية خراجية ، وأسلم أهل القاقزان فصارت ناحيتهم عشرية » ، وهذا الذي ذكره الرافعي القزويني عن موقف أهل القاقزان يتفق وما قاله البلاذري وابن الفقيه ، فقد قالا : « وكان القاقزان عشريا لأن أهله أسلموا عليه وأحيوه بعد الإسلام » .

عامر غنيم أبو سعيد

---

[1] هو أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني ، توفي سنة ٦٢٣ ، ومؤلفه الذي اعتمدنا عليه في هذا البحث هو كتاب « التدوين في أخبار قزوين » ، ولا يزال هذا الكتاب مخطوطا ، وتوجد منه نسختان في دار الكتب المصرية تحت رقمي ٦١٥٤ ح ، ٧١٠٠ ح .

[2] التدوين في أخبار قزوين ، جـ ١ ص ٩ .

من طرائف الفصحى

للأستاذ عباس أبو السعود

من صفات الإنسان الميل إلى المجانسة واستملاح المشاكلة ، واستطابة الطرف التي تشيع في نفسه فيضا من السرور ، فقد خلقه الله في أحسن تقويم ، وجعله موضعا للتكريم .

ولقد كان للعرب من ذلك حظ وافر ، تجلى في لغتهم ، بما تضمنت من انسجام في اللفظ والمعنى ، حتى صارت مستودع فنونهم ، ومظهر ميولهم ، وقد بدا ذلك في أشياء كثيرة منها .

الإتباع :

هو أن تتبع الكلمة كلمة أخرى ، تشبهها وزنا وموسيقى ، قصدا للتوكيد ، وهو ضربان :

أحدهما : أن تكون الكلمة الثانية فيه ذات معنى مرادف لمعنى الكلمة الأولى أو قريب منه ، كقولهم :

(١) هنيء مريء ، وهذا مأخوذ من قولهم : هنأني الطعام ومرأني ، فإذا أفردوا لم يقولوا إلا : أمرأني بالهمز .

(٢) قسيم وسيم ، فكل منهما معناها الحسن الجميل .

(٣) غني ملي ، بياء مشددة في كلتيهما ومعناهما واحد ، لأن الملي أصله المليء بالهمز ، وجمعه ملآء ، وهم الأغنياء المتمولون .

(٤) شحيح نحيح ، فالشحيح : هو البخيل ، والنحيح : مأخوذ من النحاحة وهي البخل أيضا .

(٥) حسن بسن ، فبسن : مأخوذ من أبسن الرجل إذا حسنت سجيته فكأنهم قالوا : حسن كامل الحسن .

(٦) سليخ مليخ ، فالسليخ ما لاطعم له وكذا المليخ ، قال عمر بن حارثة الأسدي :

سليخ مليخ كلحم الحوار
فلا أنت حلو ولا أنت مر

فهو يريد أن يصف المهجو بأنه لا ينفع ولا يضر ، إذ لم يكن كريما ولا شجاعا ، ولذا شبهه بلحم الحوار (بضم الحاء وكسرها)

وهو ولد الناقة ساعة تضعه ، أو إلى أن ينفصل عن أمه ، وكان من عادة العرب أن يحبوا النافع والضار ، كما قال شاعرهم :

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما
يرجى الفتى كيما يضر وينفع

(٧) مائق دائق ، فالمائق : مأخوذ من الموق بالضم ، وهو الحمق فى غباوة يقال: ماق موافة إذا حمق فهو مائق ، والدائق : من داق دوقا بالفتح إذا حمق أيضا فهو دائق.

(٨) عِفريت نِفريت ، بكسر أولهما ، فعفريت فعليت من العفارة بالفتح وهى الخبث ، ونفريت فعليت من النفـور ، كأنهم أرادوا أنه خبيث ، شديد النفور من غيره ، أو شديد التنفير لغيره .

(٩) مليح قزيح بفتحهما ، وهذا يقال فى الطعام ، فالمليح : هو المملوح ، أى فيه الملح بقدر ، والقزيح : هو المقزوح ، أى الذى فيه الأقزاح ، وهى الأبزار ، واحدها قزح بكسر القاف ، والمعنى كامل الحسن لذيذ الطعم .

(١٠) حائر بائر ، فالحائر : هو المتحير ، والبائر : هو الهالك ، والمعنى أنه ضال تائه .

والضرب الآخر : هو ما كانت الكلمة الثانية فيه لا صلة لمعناها بمعنى الكلمة الأولى

وقد لا يكون لها معنى ، أو لها صلة ولكنها بعيدة غير ظاهرة ، وإنما ضمت إلى الأولى لتزيين الكلام لفظا ، وتقويته معنى ، فمن النوع الأول قولهم :

(١) ضيق ليق ، أو ضيق عيق ، فليق لا معنى لها ، أما عيق فمناها المموق المثبط

(٢) سائغ لائغ ، فالسائغ : هو المقبول واللائغ : هو الشراب يديره الإنسان فى فمه ثم يلفظه .

(٣) خاسر دابر ، أو خاسر دامر ، فالدابر : هو الذاهب ، والدامر : مأخوذ من دمر دمورا إذا دخـل بغير إذن ، وهجم هجوم الشر .

(٤) فـدم لدم بفتح فسكون فيهما ، فالفدم : هو العيى العاجز عن الكلام والغليظ الأحمق ، واللدم : هو الضرب بشىء ثقيل يسمع وقعه .

ولو قيل فـدم ندم لـكان من الضرب الأول ، لأن الندم هو العيى عن الـكلام والحجة .

(٥) ذهب دمـه خضرا مضرا بفتح فـكسر فيهما ، أى هدرا ، وخذه خضرا مضرا بـكسر فسكون فيهما أى غضا طريا وأخذه خضرا مضرا أى بغير ثمن هو ، وذلك

خضرا مضرا أى هنيئا مريئا ، فالخضر هو النبات الأخضر الحسن ، والمضر هو اللبن الحامض .

(٦) نادم سادم ، فالسادم : هو المهموم المغيظ ، مأخوذ من السدم بفتحتين وهو الهم ومن النوع الثانى .

(١) خبيث نبيث ، فالنبيث : مأخوذ من النبث ، وهو الغضب ، ومعناه خبيث شرير

(٢) كز لز بفتح الأول وتشديد الثانى فى كل منهما ، فالكز : هو البخيل المنقبض واللز لزوم : الشىء بالشىء ، ومعناه بخيل ملازم للبخل .

(٣) تافه نافه ، فالتافه : هو القليل الحقير ، والنافه : مأخوذ من النفوه بالضم وهو القلة بعد الصعوبة ، ومعناه قليل ذليل حقير .

(٤) هذر مذر ، بفتح فكسر فيهما ، فالهذر كثير الكلام والمذر الفاسد ، مأخوذ من قولهم مذرت البيضة تمذر مذرا من باب تعب إذا فسدت ، ومعناه ثرثار خبيث :

(٥) جائع نائع ، والنائع : مأخوذ من النوع بفتح فسكون ، وهو التمايل ، ومعناه على هذا متمايل جوعا : أنشد أبو بكر (مثاله مثل القضيب النائع)

وإما من النوع بضم النون وهو العطش ومعناه على هذا جائع عطشان كما فى قول دريد بن الصمة :

لعمر بنى شهاب ما أقاموا
صدور الخيل والأسل النياعا

(٦) شكس لكس بفتح فكسر ، فالشكس : من كان سيء الخلق ، واللكس : هو العسير الصعب ، ومعناه سافل عسير الانقياد :

(٧) عريض أريض ، فالأريض : هو الجيد النبات ، مأخوذ من قولهم أرض أريضة ، أى زكية معجبة للعين ، خليقة للخير ، ومعناه واسع نافع

(٨) شيطان ليطان ، بفتح فسكون فيهما . وليطان : مأخوذ من قولهم : لاط حبه بقلبى أى لصق ومعناه شيطان لصوق بالشر ملعون

(٩) عيى شوى بفتح فكسر فياء مشددة فيهما : فالعيى العاجز والشوى مأخوذ من الشوى بفتحتين وهو رذال المال كما فى قول الشاعر :

أكلنا الشوى حتى إذا لم ندع شوى
أشرنا إلى خـيراتها بالأصابع

ومعناه نذل رزل وخسيس دنى .

سمج لمج ، بكسر ميمها ، وسمج لمج بسكونها ، وسميج لميج ، فالكلمة الأولى معناها : القبيح ، والثانية معناها : كثير الأكل ، أى قبيح أكول .

١١ — عطشان نطشان ، والنطشان مأخوذ من قولهم : ما به نطيش أى ما به حركة ، ومعناه : عطشان قلق

والكلمة الثانية فى الإتباع ، إما معربة بإعراب الكلمة الأولى ، كما فى الأمثلة المتقدمة ، وإما مركبة معها تركيب خمسة عشر ، كحيص بيص بفتح فسكون فيهما فالحيص مأخوذ من حاص عنه يحيص ، إذا عدل وحاد ، والمحيص للمدل والحيد ، يقال : لا محيص من ذلك ، أى لا بد منه ولا معدل عنه .

والبيص الشدة والضيق ، يقال : جعلتم الأرض عليه حيص بيص أى ضيقتم عليه حتى صار لا يستطيع التصرف .

وقد يكون الإتباع بأكثر من لفظ واحد ، كقولهم :

(١) عدم ندم لدم ، وقد تقدم بيان المعنى لكل منها .

(٢) مال كثير بثير بجير فالبثير هو الكثير ، مأخوذ من البثر بفتح فسكون وهو الكثرة والبجير : مأخوذ من البجر بفتح فسكون ، وهو امتلاء البطن من الماء واللبن .

(٣) حسن بسن قسن ، وكلمة قسن لا معنى لها

(٤) حار يار جار ، بتشديد الراء فى كل منها فاليار مأخوذ من اليرر بفتحتين ، وهو الشدة والجار هو السيل يخرج الضبع من وجارها[1] ومعناها : حار شديد قوى

وللإتباع أنواع كثيرة منها :

(١) إتباع حركة فاء الكلمة لحركة فاء كلمة أخرى ، لسكونها قرنت معها ، كقولهم : ما سمعت له جرسا بفتح فسكون ، أى صوتا ، وذلك إذا أفردوا ، فإذا أتبعوا قالوا :

ما سمعت له حسا ولا جرسا بكسر الجيم بعد أن كانت مفتوحة فى الإفراد

(٢) سكون عين الكلمة ، لسكون عين كلمة أخرى ، قالوا رجس نجس بكسر فسكون فيهما ، فإذا أفردوا قالوا نجس بفتحتين كما فى قوله تعالى « إنما المشركون نجس » أى قذر .

---

(١) وجار الضبع بكسر الواو : جحرها .

٣ — إتباع كلمة فى إبدال واوها همزة لهمزة فى كلمة أخرى ، كما فى قوله عليه الصلاة والسلام فى نهى النساء عن زيارة القبور : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » فالأصل موزورات من الوزر وهو الإثم ، وإنما همز ليشاكل مأجورات من الأجر .

٤ — إتباع كلمة فى إبدال واوها ياء لياء فى كلمة أخرى ، كما فى قوله ﷺ : « لادريت ولا تليت » والأصل ولاتلوت لأنه من تلا يتلو تلاوة .

٥ — إتباع ضمير المذكر لضمير المؤنث ، كما فى قوله عليه الصلاة والسلام :

« اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن » والأصل وما أضلوا ، لأن الشياطين من مذكر من يعقل ، وإنما أنث إتباعا لأظللن ، وأقللن .

٦ — إتباع كلمة لكلمة أخرى فى تنوينها ، كما فى قوله تعالى : « وجئتك من سبإ بنبإ يقين » وقوله : « إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا » فسبأ علم على مدينة باليمن كانت مقرا لمملكة بلقيس وسلاسل على صيغة منتهى الجموع ، وكان حقهما المنع من الصرف .

٧ — إتباع كلمة لأخرى فى فك ما استحق الإدغام ، لتكون على وزنها ، جاء فى الحديث أن النبى ﷺ قال لنسائه : « ليت شعرى أيتكن صاحبة الجمل الأدبب [١] تخرج فتنبحها كلاب الحوأب » [٢] .

٨ — إتباع كلمة لكلمة أخرى فى تأنيثها كقولهم : « لكل ساقطة لاقطة » بالهاء للازدواج والأصل لكل ساقطة لاقط ، أى لكل كلمة سقطت من فم الناطق من يسمعها ويلتقطها ويذيعها ، وهذا مثل يضرب فى حفظ اللسان ، فإذا أفرد وقيل لكل ضائع قيل لاقط بغير هاء ؟

عباس أبو السعود

---

[١] الأدبب : أصله الأدب بتشديد الباء ، وهو الجمل الكثير الشعر .

[٢] الحوأب : وزان كوكب هو الواسع من الأودية ، وحوأب أيضا موضع بالبصرة .

من أضابير لجنة الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

استطلاع الغيب والتشاؤم

السؤال :

بعض الناس يدعون معرفة الأسرار ، والمغيبات بوسائل شتى ، وبعض الناس يتشاءمون من أماكن ، أو أيام ، أو أشياء معينة، فهل لهؤلاء أو أولئك سند من الدين؟

الجواب :

لفضيلة المغفور له : الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت :

يختلج فى نفوس كثير من الناس أن الله ربط نجاح الإنسان وفشله — فيما يريد من أعمال الخير — بساعات معينة من اليوم ، أو بأيام معينة من الشهر ، وبذلك يحجمون عن مشروعاتهم فى بعض الأيام ويقدمون عليها فى البعض الآخر .

وكذلك يختلج فى نفوسهم أن لاستطلاع الغيب المكنون فى جوف المستقبل وسائل يعرفون بها ما يهمهم أن يعرفوه ، من مسروق أو مفقود .

وقد اتسع لهم مجال ذلك حتى استخدموا الوهم والتخييل ، وانصرفوا بهما عن الحقائق ، ومعرفة السنن التى ربط الله بها بين الأسباب والمسببات .

الإسلام والعلم :

وجاء الإسلام فوجد الناس يتقلبون فى طبقات من الجهل ، فعنى عناية كاملة بالإرشاد إلى الوسائل التى تنق المجتمع الإنسانى من أدران الجهل وعبث الوهم .

ومن هنا حارب الإسلام الجهل ، وتتبعه فى كل وكر من أوكاره ، وفى كل لون من ألوانه، حاربه بالدعوة إلى توحيد الله ، ولفت نظر الإنسان ليؤمن أولا بأن العظمة التى تخضع لها الرقاب والعلم الواسع الذى لا يعزب عنه شىء ، والقدرة النافذة

التى لا يعجزها شىء ، فى الأرض ولا فى السماء ليست لأحد سواه .

انحراف الإنسان :

ولكن الإنسان ـ وقد خلق من عجل ـ تملكه أمران استصحب بهما طريق العلم ، واستبطأ بهما طريق البحث والنظر ، واستعاض عنهما بطريق التخيل والتخمين .
أحدهما : رغبته الملحة فى سرعة اكتشاف الغيب وخاصة فيما يتعلق بمستقبله ومستقبل من يتصل به .

وثانيهما : خوفه الشديد من اعتراض ما يعوقه عن أهدافه التى يتجه إليها ويعزم عليها .

وفى سبيل تلك الرغبة الملحة ، أخذ يتسمع لما يجرى بين الناس من أحاديث الوهم والخيال عن طرق معرفة الغيب ، فى خيره وشره ، واكتشاف المعوقات ذات الشؤم ، والميسرات ذات التفاؤل .

وبذلك تفتحت له طرق الوهم والدجل ؛ فاستطلعوا الغيب ـ على ما يظنون ـ عن طريق الولاية والكهانة والتنجيم ، وعن طريق ضرب الحصى والودع والفول ، وعن طريق خطوط الرمل والفنجان والكف ، وعن طريق المندل ، واستخارة السبحة ، واستخارة القرآن ، وعن طريق التشاؤم بالزمان فى الساعة واليوم والشهر ، والمكان والأشخاص والأشياء والكلمات وأضغاث الأحلام ، وبهذا كله وقع الإنسان أسيرا فى حياته وأعماله وعقائده لشئون لا يعقل وجه اتصالها بما يسعد أو يشقى ، وعطل أعماله ، وأهمل التعويل على سنن الله التى وضعها للسعادة والشقاوة . فكدر صفو الحياة على نفسه بمنظر يراه ، أو كلمة يسمعها ، أو طير يمر به من هنا أو هناك أو خيال يغرسه فى نفسه دجال أو منجم أو كاهن حتى وصل الأمر إلى استخدام المصحف وآياته التى أنزلت لتقوية الإيمان والعزائم وطرد الوساوس والأوهام فى استطلاع الغيب والتشاؤم .

وقد أطمع الناس فى ذلك كله صدق بعض التنبؤات ، أو بعض صور التشاؤم عن طريق المصادفة .

وإذا كان لصدق بعض التنبؤات أثر فى استمرار الناس على التعلق بتلك الوسائل فهناك معبر آخر للنفوس الضعيفة فى استمرارها عليها ، ذلك هو اشتغال بعض

المنتسبين إلى الدين ــ ظلما وزورا ــ بكثير من هذه الوسائل .

ومما يتصل ببحثنا ما تقرؤه فى بعض المجلات والصحف من إعداد إطار خاص يرشد الناس إلى حظ القارىء ونجمه ، والمفروض أن الصحف مصادر التثقيف والتوجيه ، وأن المشرفين عليها أرباب ثقافة أخذوا بها على عاتقهم توجيه الناس إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم .

القرآن ينكر التشاؤم :

وقديما تشاءم قوم موسى بموسى « فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ، وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه » وتشاءم قوم صالح بصالح « قالوا اطيرنا بك وبمن معك » وتشاءم أهل قرية برسلهم « قالوا إنا تطيرنا بكم » .

وكان الرد عليهم جميعا أن الشر ما جاء من قبل الرسل وإنما جاءهم من قبل أنفسهم بكفرهم وعنادهم ، وإهمالهم سنن الله فى الحياة « ألا إنما طائرهم عند الله » ، « طائركم معكم » وقد جاء فيما يتصل بعلم الغيب :

وأنه مما استأثر الله به قوله تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ، إلا من ارتضى من رسول » وقوله « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو » وقوله للرسول عليه السلام « قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » وحسب المؤمن فى ذلك كله هذه الآية الفذة الواضحة « إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير » .

تحريف :

هذا وقد تعلق بعض الناظرين فى القرآن ، المروجين لسنة التشاؤم الفاسدة بقوله تعالى فى وصف العذاب الذى نزل بقوم عاد « إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصراً فى يوم نحس مستمر » ، « فأرسلنا عليهم ريحا صرصراً فى أيام نحسات » « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما » وقالوا إن القرآن يرشد بهذه الآيات إلى أن فى الأيام نحسا وسعوداً وأيدوا بهذه الآيات ما نسبت روايته عن النبى ﷺ لابن عباس رضى الله

عنه « آخر أربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر » .

وقد عرض الألوسى فى تفسيره للروايات التى افتعلت ترويجا للتشاؤم بالأيام والتفاؤل بها ، ويعجبنى قوله فى هذا المقام (ويكفى فى هذا الباب أن حادثة عاد استوعبت أيام الأسبوع كلها ، فقد قال سبحانه « سخرها عليهم سبع ليال ، وثمانية أيام حسوما » فإن كانت نحوسة الأيام لذلك ، فقل لى : أى يوم من الأسبوع خلى منها ؟ والحق كما قال : أن كل الأيام سواء ولا اختصاص ليوم بنحوسة ولا لآخر بسعد .

وأنه ما من ساعة من الساعات إلا وهى سعد على شخص ونحس على آخر ، باعتبار ما يقع فيها من الخير لهذا ومن الشر على ذاك) .

وبعد : فواجب المؤمنين أن يتنبهوا إلى عبث الدجالين بإشاعة فكرة التشاؤم بينهم ووسائل استطلاع الغيب ، هذه الفكرة التى يصير بها الإنسان أسير الوهم بكلمة يسمعها ، أو بيوم يمر عليه ، أو منظر يراه ، وواجبهم أن يطهروا قلوبهم من هذه الأوهام ، وأن يقوموا على أعمالهم وتصرفاتهم ، وقضاء مصالحهم متى اقتنعوا بها ، وعزموا عليها « فإذا عزمت فتوكل على الله » معتمدين فى ذلك على إيمانهم النقى ، وعلى توفيق الله إياهم وبذلك تسلم حياتهم ، وتستقر شئونهم ، وتسير بهم سفينة النجاة إلى شاطىء الأمن والاستقرار .

والله ولى التوفيق والهداية ؟

محمد أبو شادى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر ، وفرّ من المجزوم فرارك من الأسد » .

خفايا فى زوايا اللغة والأدب

للأستاذ على السباعى

— ٥ —

بل – وردت فى القرآن نحو سبع ومائة مرة لم يذكر عقبها واو مطلقا (واو عطف أو استئناف أو قسم) وقالت اللغة إن لامها تقلب نونا عند الباهليين فيقولون (بن) بفتح الباء وسكون النون وقالت النحاة إنها يعطف بها بعد النفى والإثبات ، وإنها تعطف المفرد على المفرد فإذا كانت للابتداء عطفت الجملة على الجملة قال صاحب الرصف فى المغنية (بل – لها موضعان، الأول: أن تكون حرف عطف مشركا ما بعده مع ما قبله فى اللفظ وهو الأسمية فى الأسماء والفعلية فى الأفعال والرفع والنصب والخفض والجزم ولا تشرك فى المعنى لأن الفعل لأحدهما وهو الثانى دون الآخر، والثانى: أن تكون حرف ابتداء وذلك إذا لم يقع تشريك بين ما بعدها وما قبلها وتكون حينئذ أداة إضراب عن الحالة الأولى) انظر ص ٥٨٤ جـ ١ من القصر المبنى على حاشية المغنى .

وقد صرح الأشمونى فى باب العطف فقال. (لابد لكونها عاطفة من إفراد معطوفها فإن تلاها جملة كانت حرف ابتداء لا عاطفة على الصحيح) .

وقال النحويون: إن واو القسم تأتى بعدها إذ يقول العرب : بل والله لا آتيك وقد تأتى بمعنى رب كقول رؤبة : بل مهمه قطعت بعد مهمه ، وبعضهم ينكر ذلك ويقول إن رب مقدرة بعدها وتأتى بمعنى (إن) كما قال الأخفش نقلا عن الفراء فى قوله تعالى « ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق » بل هنا بمعنى (إن) فلذلك صار القسم عليها وربما استعملت العرب (بل) فى قطع كلام واستئناف آخر فيقول الراجز فى رواية اللسان :

بل وبلدة ما الأنس من آهالها
ترى بها العوهق من وئالها

ويروى الجوهرى الرجز من غير بل ويروى اللسان أيضا —

بل . ما هاج أحزانا ، وشجوا قد شجاء

ويقول اللسان نقلا عن الصحاح بعد الرجزين بل ليست من البيت ولا تعد فى وزنه ولكن جعلت علامة لانقطاع ما قبله .

ولم أقف على نثر عربى أو شعر يستشهد

به على ذكر واو العطف بعد بل ولعل ذلك لأن العطف ببل يثبت الحكم لما بعدها وما قبلها منفى أو مسكوت عنه والعطف بالواو يجمع بين المعطوف والمعطوف عليه نفيا وإثباتا غير أنى وجدت نصا فى (سجع الحمام فى حكم الامام) إخراج الأساتذة على الجندى، وأبو الفضل، ومحمد المحجوب ص ١٢٨ حكمة ٤٣٧ يقول (إنما يحزن الحسدة أبدا لأنهم لا يحزنون لما ينزل بهم من الشر فقط بل ولما ينال الناس من الخير) وسألت أول المخرجين عن هذه الواو فقال: ربما زادت من النساخ وأنا كأنت لم أقف عليها فى غير هذا النص فقلت لقد وقفت عليها فى غيره لكنه فى كلام من لا يستشهد بهم فق آخر حاشية الباجورى على شرح بانت سعاد لابن هشام روى بيتين ليسا لسيدنا كعب بن زهير:

أقبله يا خير حاف بل ومنتعل
فالهم مجتمع والقلب مشغول
تكون للآل والأصحاب قد جمعت
فكلهم لى محبوب وموصول

وقال الشيخ (لم يكتب عليهما ما بأيدينا من الشراح لكونهما ليسا من كلام من فاز بالفلاح)

وفى رسالة التوحيد للإمام الجليل المرحوم الشيخ محمد عبده ص ٥٣ ـ:

(ليس هذا موضع تحديد ما هو الجمال وما هو القبيح فى الأشياء؟ ولكن لا يخالفنا أحد فى أن من خواص الإنسان بل وبعض الحيوان التمييز بينهما) وفى ص ١٠٨ وهو يصف الرسول عليه السلام (ماهذا الذى رفع نفسه فوق النفوس؟ ما الذى أعلى رأسه على الرءوس؟ ما الذى سما بهمته على الهمم؟ حتى انتدب لإرشاد الأمم، وكفالته لهم كشف الغمم، بل وإحياء الرمم)؟

وقرأت هذا الأسلوب عينه فى خطب وكتب، وإذاعات لنابهى الخطباء ونابغى الكتاب، ومجودى المذيعين.

وبعد فهل يسوغ المجمع للكتاب وغيرهم استعمال هذا الأسلوب (ذكر الواو العاطفة بعد بل) مع واحدية النص السابق من سيدنا على واحتمال تحريف النساخ إياه وفقد نصوص نثرية أو شعرية يحتج بها.

بول ـ البول بفتح الباء معروف وجمعه أبوال، والبوال بضم الباء داء يكثر منه البول، والمبولة بكسر الميم: كوز يبال فيه، والبال: الشأن والحال والقلب ولم يرد له جمع فى المعاجم ولا مانع من أن يجمع على أبوال كأحوال ويكون التمييز

بينه وبين جمع بول بالقرائن والجديد فى المادة أن كلمة تبوّل لم ترد فى المعاجم التى بأيدينا مطبوعة ومخطوطة مع كثرة ورودها فى كتب الفقه ولم تذكرها المعاجم المختصة بكتب الفقه كالمصباح المنير فى فقه الشافعية والمغرب للمطرزى فى فقه الحنفية.

وقد وقفت على شاهدين لها فى كتب الأدب — :

(١) قال عروة بن الورد — :

أقول له يامال إنك هابل
متى حبست على أفيح تمقّل

بضم اللام وكسرها فى يامال : ترخيم مالك، وسكون التاء فى حبست ، وتشديد القاف فى تمقل .

بديمومة ما إن يكاد يرى بها
من الظما الكوم الجلاد تبوّل

بديمومة : مفازة، الكوم : النياق الضخمة العظيمة ، تبول : بتشديد الواو (انظر أفيح فى معجم البلدان) ويروى ديوانه ضمن خمسة دواوين العرب ص ٢٨ القافية تنوله بضم التاء وبعدها نون ثم واو مشددة لكن الناشر يفسر البيت فى الهامش بما يبطل روايته إذ يقول (هى لاتصيب مرعى ولا تشرب ماء فلا تبول) .

٢ — قال الأحوص :

وإن الذى يجرى لسخطى وريبتى
لك الويل ريح الكلب إن كنت تعقل

كالمستبيل الأسد والموت دون ما
يحاول من أبوالها إذ تبول

الدال فى الأسد تفتح وتجر ، تبول بتشديد الواو (انظر السمط ص ٩٦) .

وفى معنى بيتى الأحوص قال الفرزدق:

وإن الذى يسعى ليفسد زوجتى
كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

وإذا صح ما روى عن عروة العبسى والأحوص كان لنا أن نضيف إلى المعاجم تصريف تبول تبولا بتشديد الواو المضمومة فى المصدر .

بون — البون والبون بضم الباء وفتحها مسافة بين الشيئين وقد روى اللسان بيتا لكثير عزة محرفا وناقصا فقال :

إذا جاوزوا معروفه أسلمتهم
إلى غمرة . . . ينظر القوم بونها

فذكر الضمير فى معروفه وترك لا من الشطر الثانى وحرف فى بونها ورواه ابن قتيبة فى المعانى الكبير ص ٨٣٠ وقبله بيت :

ولكن بلوا فى الجد منك ضريبة
بعيدا تراها مسمهراً وجينها

إذا جاوزوا معروفها أسلمتهم

إلى غمرة لا ينظر القوم نونها

بلوا: خبروا، ضريبة : طبيعة، مسمرا : صلبا ، وجينها : ما غلظ من الأرض وها فى معروفها تعود على ضريبة ، غمرة : لجة من الماء الكثير، نونها : حوتها ويجمع على نينان كحيتان .

فأنت ترى ابن قتيبة حرف فى العوم بدل القوم فقال المحقق بعدها (كذا ولم يتضح لى وجهه) .

وبتصحيح التحريف فى البيتين نطق الديوان جـ ٢ ص ٢٤٦ .

بين — : البين بفتح الباء : الفرقة والوصل والبين اسم وظرف متمكن وقد قرىء فى التنزيل العزيز « لقد تقطع بينكم » الأنعام (٩٤) بضم النون وقراءة حفص بفتح النون .

وقد تتصل بها الألف فيقال بينا وما فيقال بينما وقد تأتى إذ فى جواب بينا كقول الراجز (حميد الأرقط) :

بينا الفتى يخبط فى غيساته

تقلب الحية فى قلاته

إذ أصعد الدهر إلى عفراته

فاجتاحها بشفرتى مبراته

غيساته : فورة شبابه ، قلاته ، حفره ونقره التى يلزمها ، عفراته : قوته ، اجتاح : استأصل ، بشفرتى : بحدى .

وكقول القطامى :

فبينا عمير طامح الطرف يبتغى

عبادة إذ واجهت أصحم ذا ختر

قال ابن برى بعد هذين الشاهدين (وهذا يدل على فساد قول من يقول إن إذ لا تكون إلا فى جواب بينما بزيادة ما وهذه بعد بينا كما ترى ومما يدل على فساد هذا القول أنه قد جاء بينما وليس فى جوابها إذ كقول إبراهيم بن هرمة فى الحماسة جـ ٢ ص ٥٤

بينا نحن بالبلاكث فالقا

ع سراعا والعيس تهوى هويا

خطرت خطرة على القلب من ذكرا

ك وهنا فما استطعت مضيا

البلاكث والقاع : موضعان

وكذلك قول الأعشى :

بينا المرء كالردينى ذى الجبـ

ـة سواه مصلح التثقيف

رده دهره المضلل حتى

عاد من بعد مشيه التدليف

ديوانه ص ٣١٥

الجبة بضم الجيم : حديدة السنان التي يدخل فيها الرمح ، ردة: حوله من حال إلى حال ، الدليف : خطو متقارب قصير وقد تأتى إذا بعدبينا نحو قول حرقة بنت النعمان

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا
إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

تروى التكملة الصاغانى نتنصف بضم النون وهى رواية تدل على أن الملوك الذين أصبحوا سوقة بلغ ظلمهم الغاية فرق الناس لحالهم وطالبوا بإنصافهم وصدق عليهم قول المتنبى :

وحسبك من حادث بامرىء
ترى حاسديه له راحمينا

وتأتى إذ بعد بينما كما فى الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :ـ بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثوب ، شديد سواد الشعر وقد ظن بعض المعاصرين أن تكرار بين بين للظهر غيرفصيح ولكن الشواهد ناطقة بفصاحته منها قوله عليه السلام (إن المؤمن بين مخافتين بين عاجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع به ، وبين آجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه) راجع البيان ج١ ص ٣٠٣ والمواهب الفتحية ج ٢ ص ٢٠٦ ومنها قول امرىء القيس :

قعدت وأصحابى له بين ضارج
وبين العذيب بعد ما متأمل [١]

ويرويه مختار الشعر :ـ

قعدت له وصحبتى بين حامر
وبين إكام بعد ما متأمل [٢]

ضارج والعذيب : ماءان بأرض طىء ، حامر وأكام : موضعان ، والضمير فى له يعود على البرق قبله ومنها قول ذى الرمة :

ألق امرأ لا تنثنى بين ماله
وبين أكف السائلين للعاذر

(د ص ٢٥٦) وبين من الظروف المركبة التى تبنى على الفتح وقد جاءت فى شعر عبيد بن الأبرص :

نحمى حقيقتنا وبعـ
ـض القوم يسقط بين بينا

أى بين الشجاع الجرىء وبين الضعيف لا يعتد به ؛ ولو استعمل الناس بين بين فقالوا : ناولونا كوب ماء بين بين بدل نصف نصف لأحيوا من أساليب اللغة مايزيدها قوة ونصاعة ويكون المعنى بين الحار وبين البارد .

علي السباعى

---

[١] ديوانه ص١٣٦ ـ [٢] مختار الشعر ص٣٣

المصطلحات العسكرية في كتاب المخصص
واستعمالها في الجيش العراقي الحديث

للواء الركن محمود شيت خطاب

— ٤ —

(هـ) أولا : مَتْنُ الرُّمح . وسطه .

ثانياً : سِنَان الرُّمح : حَدُّه وسَنَنْتُ السِّنَان : حددته .

ثالثاً : الخُرْصُ : السِّنان . (ج) : خِرْصَانٌ وقيل الخُرْص : هو الرُّمح نفسه . وقيل : هو رُمْحٌ قَصِير يُتَّخَذُ من خَشَبٍ مَنْحوت . قال الأصمعي : الخُرْص هو السِّنان في الأصل ثم صيّروه للقَناة لما كَثُرَ استعمالهم .

(و) النَّبَارِيس الأسِنَّة واحدها : نِبْرَاس

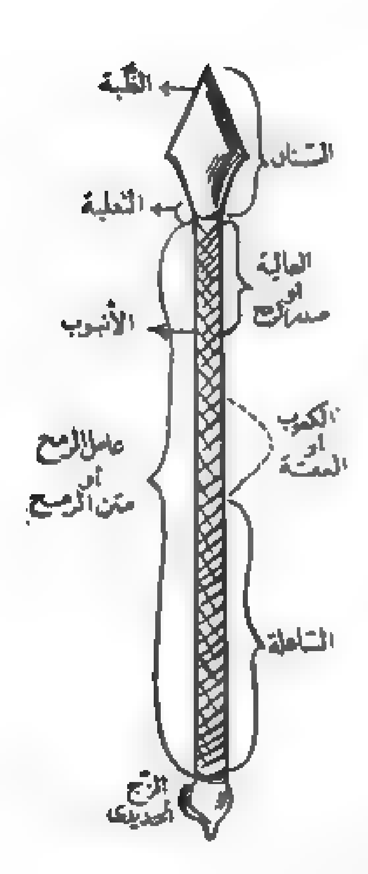
(ز) الصُّبَاحِيَّة الأسنة العراض .

(ح) المِصْبَح . السِّنان العَرِيض .

(ط) القَرْنَحَة . السِّنان العَرِيض أيضاً .

(ى) الجُبَّة : ما دخل فيه الرمح من السِّنان .

(ك) الثَّعْلَبُ : ما دخل من الرُّمح في جُبَّة السِّنَان . والنَّابِلُ : أسْفَل من ذلك . والقاربة من السِّنان : أعلاه :



(ل) صِبن الرمح إبطه :

(م) وعالية الرمح : أعلاه ، وعَالِيَة الرُّمح : نِصفُه الذي يَلِي السِّنَان .

(س) النَّصل . السِّنان . وانصلتُ الرُّمح

إذا نزعت نصله. ونصّلته: ركّبت عليه النصل.

(ع) الزُّجّ: الحديدة فى أسفل الرمح.

(ج) زِجاج. وأزججت الرمح: جعلت فيه الزُّجّ وزججت الرجل: طعنته بالزّج والمِزَجّ: رمح قصير فى أسفله زُجّ. وقد زججت به أزُجّ زجاً: رميت به. زجّ بوجهه وبحله وزرّقه. رمى به رمياً ولم يطعن به طعناً. وربما سمى زج الرمح نصلاً ويقال النصل والزج: نصلان قال أعشى باهلة:

عشنا بذلك دهراً ثم فارقنا
كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر

ويقال أيضاً النصل والزج: زجّان.

(ف) الزُّجل: حلقة تكون فى زج الرمح.

(ص) الجُلز من السنان مأخوذ من جلز السوط: وهو معظمه. وأصل الجلز الطى والّلى. ابن دريد. جلز السنان: المستدير كالحلقة فى أسفله، وكل عقد عقدته حتى يستدير فقد جلزته.

(ق) الظُّنبوب. مسمار يكون فى جبة السنان حيث يركّب فى عالية الرمح.

(ر) رمح معرَّن: مسمّر السنان.

(ش) الكعب من الرمح: طرف الأنبوب الناشز. (ج): كعوب.

(ت) الكريب: الكعب من القناة والقصبة.

(ث) مَقلَم الرمح: كعبه.

(خ) كَعابر القناة. عقودها إذا كانت غلاظاً.

(ذ) قيضة: قشرة القناة والقصبة والقوس وكل شىء له متانة. (ج): قيض.

(ض) نَفيء الرمح: ما فوق المقبض من صدره

(ظ). زاخرة الرمح: نحو الثلث منه وسافلة: نصف الرمح الذى يلى الزج وصدر القناة. أعلاها (ج): صدور. وذراع القناة: صدرها.

(غ) عذبة الرمح الخرقة التى فى رأسه (ج): عذب.

٢ — (ا) الرمح السلاح الرئيس للفرسان

الرّماحة في صنف الخيالة . والحضيرة(١) المُسلّحة بالرّماح يطلق عليها : حضيرة الرّماحة وكذلك الرّعيل(٢) والسّرية(٣) .

(ب) الرّماح : العَسكري المُسلّح بالرُّمح والرّماح : من أرباب الحِرَف في الجيش ، حِرفته الرِّماحة ، ويكونون في مقرات كتائب الخيالة وفي المصانع الحربية .

(ج) القَناة . خَشَبَة الرُّمح

(د) سِنانُ الرُّمح : حدُّه .

(هـ) الشَّباة حدُّ السِّنان الذي يُطعَنُ به

(و) مَرْكَزُ الثِّقل : نقطة للموازنة(٤) وهو المَتْنُ وكلمة المَتن أفضل من مركز الثّقل . لأنها التعبير الأصيل الذي كان يستعمله العرب قديمًا لهذا المعنى .

(ز) أخمَصُ الرُّمح . أسفَل الرُّمح . والأخمص في الأصل معناها : باطِنُ القَدَم الذي يتجافى عن الأرض .

(ح) الزُّج . حديدة النصل .

(ط) لحاة . قطعة من الجلد يُلقيها الرّامح حول يده أثناء التدريب والقتال .

(ي) عَذَبَة الرُّمح . الخرقة في رأسه تُموتُ الرّماح مِنْ قِبَل اضطرابها وليونتها .

(أ) العَسَّرانُ والعَرّاص : الشديد الاضطراب . وقد عَرِتَ وعَرِصَ .

(ب) الرُّمحُ العاتِرُ : المُضطرِب . وقد عَتَرَ يَعتِرُ عترًا وعَتَرانًا .

(ج) رُمح عاسِلٌ وعَسّال وعَسُول : المُضطرب

(د) لَدْنٌ : اللّيِّنُ

(هـ) رُمح مارِنٌ . لَدْنٌ أملَسُ

(و) الرُّمحُ الزّاعِبيُّ . الذي إذا اهتزّ اضطرَبَ من أوّله إلى آخره .؟

(يتبع) محمود شيت خطاب

---

[١] أصغر وحدة عسكرية بقيادة ضابط صف ، مؤلفة من ثمانية رجال إلى عشرة .

[٢] الرعيل : أصغر وحدة عسكرية بقيادة ضابط برتبة ملازم ، الرعيل مؤلف من ثلاث حضائر ومقر رعيل .

[٣] السرية : وحدة عسكرية مؤلفة من ثلاث رعائل ومقر سرية بقيادة ضابط برتبة رائد .

[٤] كتاب تعريب الخيالة (١/ ١٩٠) .

أنباء وآراء

الشيخ عبد الله هرون

شهيد جنوب أفريقيا

لكل أجل كتاب ، وقد بلغ الكتاب أجله فى ١٩ من رجب عام ١٣٨٩ فلحق الشيخ عبدالله هرون بالرفيق الأعلى فى شهر الإسراء ، وخلص الله ـ الرءوف الرحيم ـ روح عبده من بين أنياب مفترسيه من رجال حكومة جنوب إفريقيا العنصريين ، وفى حجرته بالمعتقل رقد جثمانه شهيدا على استشهاده يحمل سمات عذابه فى سبيل الله .

عرفه مسلمو جنوب أفريقيا بالإمام ، وسيعرفه التاريخ بالشهيد ، كما سبق أن عرفته مجامع المسلمين العلمية ، وجهادهم السياسى لتحرير الأرض الإسلامية فى كل دار عامة وفى أرض العروبة خاصة .

وبعـــد :

فليس العمل من أجل الإسلام ، وباسم الإسلام هينا فى بلد يناصب الإسلام العداء ، وكل دراسة عن الإسلام ترفع لحكومته تقرر صراحة أنه ضد العنصرية لا يفرق بين أبيض وأسود ، والخلق فيه « سادة » أمام الحاكم « عبيد » أمام الله وحـــده .

هذه الحكومة التى بلغ بها الطغيان فى أواخر العام الميلادى المنصرم ١٩٦٨ أن تسن قانونا يقسم كل مدينة فى بلادها إلى أربعة أقسام ، وتمنع اختلاط كل قسم بالآخر ، أو زواج أفراد قسم منه بأفراد قسم آخر .

فى هـذه البلاد ، ومن مدينة الكاب ترتفع أصوات للمعارضة باسم الله ينطق بها الشهيد وأتباعـه ، وتسرى دعوة الله من بين لسانه ـ وهو يبشر بالإسلام ـ فيزداد عدد معتنقيه ، فتزداد المعارضة لسياسة الحكومة العنصرية فتعتقله ثم تفرج عنه ثم تعتقله ثم تفرج عنه ، ثم لا تجـد بدا من إحكام مؤامرة حوله فترصد عليه خطاه لقد سافر إلى الجمهورية العربيـة المتحدة أربع مرات ، والتقى خلالها بزعماء المسلمين

وعرف رجاله : المنظمات الفلسطينية ، وذلك كله كاف لاعتقاله ، فما عاد إلى بلاده حتى اعتقلته سلطاتها للمرة الرابعة والأخيرة ووجهت إليه تهمة : مناقضة أوامر الحكومة والتشهير بها .

وجدير بالذكر أن هذا الزعيم الإسلامى هو ثانى زعيم يموت وتحيط به كل الظروف المريبة التى تشير إلى أعدائه ، رحم الله « أحمد بللو » وأثاب الله «عبدالله هرون» .

ولم تمت آثار الشيخ الشهيد عبد الله هرون :

فلا زال مجلس « القضاء العالى » الذى رأسه عدة مرات ، وكان فيه عضوا دائما يتولى شئون المسلمين فى بلاده ، فنى مدينة الكاب مقر هذا المجلس وكل أعضائه من العلماء المسلمين خريجى الأزهر الشريف ، ويلتئم فى عضويته جميع أئمة المساجد فى مديرية الكاب ، ولهذا المجلس عناية خاصة بالأحوال الشخصية للمسلمين فى الزواج والطلاق والميراث . ويلجأ المسلمون إليه فى حل هذه المشكلات ويتناولون أحكامه بالتنفيذ .

ولا تزال صحيفة الشهيد Muslim News التى يرأس تحريرها فى بلدته Cape-Twon وتصدر بالإنجليزية ، تؤدى واجبها فى التعريف بالإسلام ، ونشر أخبار الجماعات الإسلامية داخل البلاد وخارجها ، وتفرد فصولا لتحرير : تفسير كتاب الله العزيز ، وشرح سنة رسوله الكريم ﷺ ، وترد على فتاوى الجماعات الإسلامية .

ثم هو عضو فى « جماعة الصدق » التى تعمل فى بلاده عملا رئيسيا : هو ترجمة معانى القرآن الكريم إلى كافة لغات إفريقيا وانتهت بالفعل من ترجمة معانى القرآن بلغة : « الزولو » و « الأفريكانز » كما أخرجت عدة كتيبات تعليمية لشرح مبادىء الإسلام وتطبيقها فى الصلاة والزكاة والحج وغيرها فضلا عما تقوم به الجماعة من نشاط فى مستوى الحياة العلمية العالية : إذ يؤدى أعضاؤها محاضرات فى الجامعات والمدارس للتعريف بالإسلام والمسلمين ، ولا تنسى المستشفيات والسجون ، فآثارها مبثوث فى هذه الجوانب رحمة بالإنسانية .

رحم الله الشيخ عبد الله هرون ، وجزاه عن دينه خير الجزاء ، وألهم والديه وابنته صبرا من عنده ، فلقد وصل بين المسلمين ما أراد الاستعمار أن يقطعه ، وأعد لأبنائهم فى بلاده كافة التسهيلات التى تؤهلهم

لمزاولة العلوم الإسلامية فى الداخل والخارج وعمل للإسلام بكل ما استطاع رحمه الله رحمة واسعة، وعوض الإسلام فيه خيرا.

مكتبة عالم جليل :

ما انقطع عمل صالح لمسلم مات وله ولد صالح يدعو له، وما انتهى عمل مسلم ترك بعد وفاته علما ينتفع به، أو صدقة جارية:

ولقد تحقق للعالم الجليل المغفور له الشيخ على قراعة هذه الثلاث، فقد تبرع ولده البار الأستاذ محمود على قراعة بجزء من مكتبة والده لمجمع البحوث الإسلامية فأوصل لوالده علما ينتفع به وصدقة جارية تشمله برحمة الله.

ومجلة الأزهر تنوه بهذا العمل العظيم الذى تقبله فضيلة الدكتور الأمين العام لمجمع البحوث خير قبول وكتب للأستاذ محمود على قراعة نجل الفقيد منوها بهذا العمل الجليل :

(فإن الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية إذ تتسلم هديتكم القيمة لتقدم لكم وافر الشكر وتسأل الله تعالى أن يجعل منكم عملا صالحا لوالدكم الجليل رحمة الله تعالى عليه) .

علی الخطيب

تعلن الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية عن قبولها : بحوثا علمية حديثة فى القراءات بأقلام متخصصة، كذلك تعلن عن قبولها البحوث علمية عققة أو مؤلفة فى القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الرسول ﷺ :
كذلك ترحب الأمانة العامة بالدراسات الموضوعية فى :

الوجودية ـ البهائية ـ القاديانية ـ الماسونية ـ المستشرقون والإسلام، وستولى الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية عنايتها بما يصل إليها من مخطوطات ذات قيمة ملحوظة وبحوث ودراسات أصيلة، فتقوم بنشر ذلك وتقدم المكافآت المالية المجزية لأصحابها.

he passed several years in the desert.

All biographers state that the infant prophet sucked only one breast of his fostermother, leaving the other for the sustenance of his foster-brother.

When the child was brought back home, his mother, Aminah, took him to his maternal uncles at Medinah to visit the tomb of Abdullah. During the return journey, he lost his mother who died a sudden death.

(To be Continued)

(Continued from page 7)

is not an arbitrary will, but it is an educating will, as it is clear from the verses in which He promised help and guidance for him who sought the Supreme assistance.

We must, however, notice that, in many of the above mentioned verses of the Quran, the idea of Divine Agency is conditioned upon human will., it is to the seeker for Divine Help that God renders His Help and man is responsible for his actions, and is absolute master of his conduct within the limited sphere of his existence.

(Continued from page 11)

students an acceptance of their identity.

Morroe Berger points out that :

"Elijah Muhammad has told his followers : "The Black people in America have for many years been made to feel that they were something of a Divine CURSE... You must not think that about yourself anymore. We the Black Nation of the Earth are the NUMBER ONE owners of it, the best of all human beings. You are the Most Powerful, the Most Beautiful, and the wisest". Such teachings seem to enable the mempers of the Nation of Islam to accept not only their identity as Negroes but also their place in American society. Since the demonstration of genuine equality through integration in every single respect appears to be impossible, the Muslims reject the whole idea as undesirable".

the pilgrimage to the House of the One God, the Ka'bah an inspiration by their ancestor Abraham, yet the two thousand years that separated them from Abraham had caused to degenerate this pilgrimage into the spectacle of a commercial fair and an occasion of senseless idolatry which far from producing any good, only served to ruin their individual behaviour, both social and spiritual.

SOCIETY :

9 — In spite of the comparative poverty in natural resources, Mecca was the most developed of the three points of the triangle. Of the three, Mecca alone had a city-state, governed by a council of ten hereditary chiefs who enjoyed a clear division of powers. There was a minister of foreign relations, a minister guardian of the temple, a minister of oracles, a minister guardian of offerings to the temple, one to determine the torts and the damages payable, another in charge of the municipal council or parliament to enforce the decisions of the ministries.

There were also ministers in charge of military affairs like custodianship of the cavalry etc.). As well reputed caravan leaders, the Meccans were able to obtain permission from neighbouring empires like Iran, Byzantium and Abyssinia- and to enter into agreements with the tribes that lined the routes traversed by the caravans - to visit their countries and transact import and export business.

They also provided escorts to foreigners when they passed through their country as well as the territory of allied tribes in Arabia (Cf. Ibn Habib, Muhabbar). Although not interested much in the preservation of ideas and records in writing, they passionately cultivated artes and letters like poetory discoureres and folk tales.

Women were generally well treated, they enjoyed the prevelege of possessing property in their own right, they gave their consent to marriage contracts, in which they could even add the condition of condition of reserving their right to divorce their husbands. They could remarry when widowed or diverced Burying girls alive did exist in certain clans, but that was rare.

BIRTH OF THE PROPHET

10— It was in the midst of such conditions and environments, that Muhammad was born in 5o9 after Christ. His father, Abdullah had died some weeks earlier, and it was his grand father who took him in charge. According to the prevailing custum, the child was entrusted to a Bedouin fostermother. When whome

tracel, and men had to proceed beyond the peninsula to Syria, Egypt, Abyssinia, Iraq, Sind, India and other lands.

6 — We do not know much about the Lihyanites of Central Arabia, but Yemen was rightly called Arabia Felix. Having once been the seat of the flourishing civilizations of Sheba and Ma'in even before the foundation of the city of Rome had been laid, and having later snatched from the Byzantians and Persians several provinces, greater Yemen which had passed through the hey-day of its existence, was however at this time broken up into innumerable prencipalities, and even occupied in part by foreign invaders.

The Sassanians of Iran, who had penetrated into Yemen had already obtained possession of Eastern Arabia. There was politico-social chaos at the capital (Mada'in : Ctesiphon), and this found reflection in all her territories. Northern Arabia had succumbed to Byzantine influences, and was faced with its own particular problems. Only Central Arabia remained immune from the demoralising effects of foreign occupation.

7 — In this limited area of central Arabia, the existence of the triangle of Mecca - Ta'if - Madinah seemed something providential. Mecca, desertic, deprived of water and the amenities of agriculture in physical features represented Africa and the burning Sahara. Scarcely fifty miles from there, Ta'if presented a picture of Europe and its frost.

Madinah in the North was not less fertile than even the most temperate of Asiatic countries like Syria. If climate has any influence on human character, this triangle standing in the medcle of the major hemesphere was, more than any other region of the earth ; a miniature reproduction of the world. And here was born a descendant of the Babylonian Abraham and the Egyptian Hagar ; Muhammad the Prophet of Islam, a Meccan by origin and yet with stock related both to Madinah and Ta'if.

RELIGION :

8 From the point of view of religion, Arabia was idolatrous ; only a few individuals had embraced religions like Christianism, Mazdaism, etc. The Meccans did possess the notion of the One God, but they believed also that idols had the power to intercede with Him. Curiously enough, they did not believe in the Resurrection and After-life.

they had preserved the rite of

into a medium of reception of Divine messages (through inspiration or revelation), the purpose in each case was the guidance of the people. It was but natural that the interpritations and explanations of certain systems should have proved more vital and convencing than others.

3 — a) Every system of metaphysical thought develops its own terminology. In the course of time terms acquire a significance hardly contained in the word and translations fall short of their purpose. Yet there is no other method to make people of one group understand the thoughts of another. Non-Muslim readers in particular are requested to bear in mind this aspect which is a real yet unavoidable handicap ?

4 — By the end of the 6 th. century, after the birth of Jesus Christ, men had already made great progress in diverse walks of life. At that time there were som religions which openly proclaimed that they were reserved for definite races and groups of men only, of course they bore no remedy for the ills of humanity at large.

There were also a few which claimed universality, but declared that the salvation of man lay in the renunciation of the world. These were the religions for the elite and catered for an extremely limited number of men. We need not speak of regions where there existed no religion at all, where atheism and materialism reigned supreme, where the thought was solely of occupying one self with one's own pleasures, without any regard or consideration for the rights of others.

ARABIA

5 — A perusal of the map of the major hemisphere (from the point of view of the proportion of land to sea), shows the Arabian Peninsula lying at the confluence of the three great continents of Asia, Africa and Europe. At the time in question, this extensive Arabian subcontinent composed mostly of desert areas was inhabited by people of settled habitations as well as nomads. Often it was found that members of the same tribe were divided into these two groups, and that they preserved a relationship althought following different modes of life.

The means of subsistence in Arabia were meagre. The desert has its handicaps, and trade caravans were features of greater importance than either agriculture or industry. This entailed much

THE PROPHET OF ISLAM
his biography

By Dr. Muhammad Hamidullah

In the annals of men, individuals have not been lacking who conspicuously devoted their lives to the socio-religious reform of their connected peoples. We find them in every epoch and in all lands. In India, there lived those who transmitted to the world the Vedas, and there was also the great Gautama Buddha; China had its Confucius; the Avesta was Produced in Iran. Babylonia gave to the world one of the greatest reformers, the Prophet Abraham (not to speak of such of his ancestors as Enoch and Noah about whom we have very scanty information). The jewish people may rightly be proud of a long series of reformers: Moses, Samuel, David Solomon, and jesus among others.

2 — Two points are to note: Firstly these reformers claimed in general to be the bearers each of a Divine mission, and they left behind them sacred books incorporating codes of life for the guidance of their peoples. Secondly there followed fratricidal wars, and massacres and genocides became the order of the day, causing more or less a complete loss of these Divine messages. As to the books of Abraham, we know them only by the name; and as for the books of Moses, records tell us how they were repeatedly destroyed and only partly restored.

CONCEPT OF GOD

3 — If one should judge from the relics of the past already brought to light of the homo sapience, one finds that man has always been conscious of the existence of Supreme being, the Master and Creator of all. Methods and approaches may have differed, but the people of every epoch have left proofs of their attempts to oby God, communication with the Omnipresent yet invisible. God has also been recognised as possible in connection with a small fraction of men with noble and exalted spirits. Whether this communication assumed the nature of an incarnation of the Divinity or simply resolved itself

"The white race, we must remember, was given superiority or supremacy over us for a limited time in wisdom. The God who grafted them gave them a superior wisdom to qualify them to rule us".

Secondly, in an obvious effort to elevate the morale of the black man and to help him accept his color, the University of Islam in Detroit has hung, on its wall, a picture of Jesus Christ., Its caption includes numerouslines from the Bible which are intended to prove that Christ himself was black, and to Provide a sense of identity for the (Muslim) students. "His head and hairs were like wool" (Revelations 1 : 14). The final lines of the caption read :

"There is nothing noble in being superior to some other man The true nobility is being superior to your previous self".

A father, when asked why he had his child enrolled in a University of Islam rather than in a public school, responded :

"I put my son in the University of Islam because it is my school. My son is taught by my people. They taught us who we are. They do not teach him that he is inferior to anybody else. They teach him to accept his color, and not only to accept his color, but also to be proud that he is black".

One of the pupils said :

"I am not worried any more if someone calls me a Nigger. I am not a Negro. I am black. Black is the original color".

A fifth grade girl, writing an essay on her hopes for the future, wrote : "I would like to be a nurse. I would like to work, I would like to be black".

Aside from religious instruction and history classes, the (Muslim) schools try several other ways of getting their students to accept their color. Heavy stress is put upon cleanliness and neatness of dress, with prescribed modes of dress and daily inspections so that pupils grow to have pride in their appearance because it is neat and clean. Thus, the students begin to respect the color they are.Emphasis is also placed placed upon seeing that students play with black toys as much as possible. All dolls, for example, are black, so that the children, when they dentify with the dolls as real people, will be identifying with black people rather than with white ones.

So through religious instruction, history classes, field trips to museums sanctions of cleanliness and neatness, and the use of black toys the school attempts to instill in its

(*Continued on page 16*)

working on this subject, states flatly: "Africa's first contribution to human progress, then, was the evolution of man himself". When, therefore, Elijah Muhammad says that the black is "original man", it may be not so muco groundless pride as merely religious hyperbole".

Religious instruction, however, is not the only method of teaching the doctrine of the original black man. The same doctrine is also taught to (Muslim) students in their history and social studies classes. Students are taught to identify themselves with the various black leaders throughout history, such as Musa of Mali, a Muslim king who defeated Timbaktu in the fourteenth century, or Al-Mansur, the black leader who expanded Muslim power into Spain in the tenth century. In addition to attending regular classroom lectures on history and social studies, (Muslim) Students make frequent field trips to nearby museums where they see displays of the history and culture of the various African and Asian nations with which they feel a historical bond. Especially during "The Negro history week", a week urged by the Federal Government to spotlight the history of the black man, the (Muslim) students see displays which help to substantiate the historical and cultural ties which the schools attempt to build.

Teaching the doctrine of an original black man has led many people to accuse Elijah Muhammad of teaching racial supremacy.

In answer to this charge, Muhammad replies :

"We say that the black man is the first man under the sun, and then they take this and just change it around - that he is teaching supremacy. And that we are not doing. we already know that we are inferior to you here in America. We cannot say physically or even mentally that we are equal. We can't do it because we aire not. We have undergone such treatment that it has absolutely made us inferior to you, and, therefore we won't be your equal; not, say, your superior, when it comes to actual physical or educational ability".

It seems that the principle of the black man as the original man has been used as a device to elevate the morale of the (Muslims) and relieve the stress which has developed as a result ot the black man's domination by the white. For two reasons, it appears likely that the originality of mankind which the (Muslims) claim implies only seniority, and not supremacy, The first of these reasons is Elijah Muhammad's assertion that :

Elijah Muhammed explains the necessity for the new names in the following way :

"First, you must be given the names of your forefathers, whose names are the most Hily and Righteous Names o Allah. Again, I repeat, that restoring to you your iden'ity is one of the first and most important truths to be established by God, Himself. How can a so-callep Negro say that his name is "Sam Jones" a white man's name with roots in Europe, when "Sam Jones" (Black Man) comes from Africa or Asia ? ".

When one of the students in the adult education program was asked why he had the (X) in his name, he answered :

"X" is given to us by our leader and teacher, the Honorable Elijah Muhammad to do away with our slave master; and we use an X because we do not have our names of our forefathers. "X" is an unknown quality in Arabic and it serves also that we are exlaves. Now we are no longer the property of our slave masters".

When such a man, with the me Thomas X., for example, is recognized for devotion by Elijah Muhammad, he receives a (Muslim) ast name, such as Omar, so that his name becomes Thomas Omar.

One possible explanation for this changing of names is brought to light by the following comment on reactions to race struggles.

"The self-attitude of reflecting the shadow of race varies widely. Some persons compensated through extreme ambition, others through outright aggressiveness and still otheres through reticence and withdrawal. As long as the dominant society continues to have stereotyped attitudes toward people of certain hue, those who are of that hue will continue to rationalize, to shift attention to other matters".

In addition to the changing of names, the (Muslm) schools have been trying, through their religious instruction courses, to teach their students to accept their color. A major approach to this task is the teaching that the black man was the original man on earth".

"The original Man, is none other then the black man... We find that history teaches that the earth was populated by the black nation ever since it was created, but the history of the whi e race doesn't take us beyond 6,000 years".

There is apparently some basis for such a teaching as Morroe Berger states :

"Some prehistorians believe that it was in Africa that human life developed. Professor L. S. B. Leaky, a leading British scholar

The Role of The School In The Nation of Islam in America in Changing its Students' Attitudes

By. Dr. Ibrahim M. Shalaby

(IV)

Toward Themselves :

Through various means, the (Muslim) schools have been trying to instill the attitudes of self-acceptance and pride in their students, both children and adults. One of the foremost instruments used in fostering these attitudes is religious instruction. All regular students gather at the beginning of each day for a forty-minute period of religious instruction, and the program lasts for one hour during the adult education classes.

In these religious instruction sessions, students are taught that to be a member of the Nation of Islam is to be reborn, righteous and free. A pupil in the adult education program explained :

"Mr. Muhammad freed me from my burden. He taught me my own religion and my own history. Now I feel myself. Now I am not ashamed that I am black anymore. Negro is not my name, It is a nickname which was given to me by the white man, I wonder, why am I condemned ? Is it because I am black ? ! I did not put blackness in my skin ; nor did the white man put whiteness in his".

As a means of breaking away from white American culture and developing a new identity, a new identity, the Nation of Islam has adopted a system for changing the names of its members. Students born into the Nation of Islam have been given (Muslim) first names which are common in the Middle East, such as Sultan, Bey, Pasha, Muhammad, Omar, or wali (masculine names), and Fatima, Zaynab, or Samira (feminine). Those adults who had been raised as Christians before joining the Nation of Islam are taught through religious instructuon in the adult education program to give up their last names, and use "X" instead. In cases when many members in one mosque have the same name, the "X" is preceded by a number in order to make the necessary distinction.

أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم . (البقرة ٦ — ٧)

"... As for the disbelievers, whether thou warn them or thou warn them not, they will not believe. God hath sealed up their hearts and thier ears and on their eyes there is a covering. Theirs will be an awful doom" (2 : 6—7).

إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ... (الرعد ١١)

"... Lo ! Allah changeth not the condition of a folk until they (first) change that which is in their hearts..." (13 : 11).

ويهدى إليه من أناب . (الرعد ٢٧)

"... And He guideth unto Himself those who turn (unto Him)" (13 : 27).

The first group of these verses meant by 'the Decree of God'[تقدير] the law of nature. Because it will be noticed that the stars and planets have each their appointed course, so has every other object in creation. Not only that, the movements of the heavenly bodies, the phenomena of nature, life and death, are all governed by that law.

The second group indicates the idea of Divine sovereignty upon human will. But this idea is again explained by the last group of those verses. It is to the seeker for Divine Help that God renders His Help, and it is on the searcher of his own heart, who purifies his soul from impure longings, that God bestows grace.

We can summerise the conception of these verses in the following points :

(i) The Existence of an Almighty Power, the Creator of the Universe, the Ruler of His creatures. He has sovereign control over all things, and He knows the secrets of the heavens and the earth, and He has all things at command.

(ii) The belief in an all — pervading, everconscious power, or the feeling of an assured trust in such a power, has been the motive factor of the world in every age. There is nothing more assuring, nothing that more satisfies the intense longing for a better and purer world, than the consciousness of a power above humanity to set-right wrongs, to fulfil hopes, to help the abandoned.

(iii) The belief in God, the Almighty, the Fashioner of His creatures, springs from the very essence of Divine Ordinances. These Ordinances are as much laws which regulate the movements of the heavenly bodies. The Will of God

(Continued on page 16)

أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى ، بلى إنه على كل شىء قدير ... (الأحقاف ٣٣)

"Do they not see that God, who created the heavens and the earth, and faltered not in creating these, Has power to vivify the deed-nay, He had sovereign control over all things" (46 : 33).

وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شىء قديرا . (الفتح ٢١)

"... and other things which are not at your command, but which are truely within His grasp, inasmuch as God is sovereign disposer of all things" (48 : 21).

وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . (الحجر ٢١)

"There is not a thing but with us are the stores thereof. And We send it not down save in appointed measure" (15 : 21).

ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شىء قدير . (النحل ٧٧)

"And unto Allah belongeth the Unseen of the heavens and the earth and the matter of the Hour (of Doom) is but as a twinkling of the eye, or it is nearer still. Lo ! Allah is Able to do all things. (He has all things at command)" (16 : 77).

لقد أنزلنا آيات مبينات ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . (النور ٤٦)

"Verily We have sent down revelations and explained them. Allah guideth whom He will unto a straight path" (24 : 46).

الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديراً . (الفرقان ٢)

"He unto Whom belongeth the sovereignty of the heavens and the earth, He hath chosen no son nor hath He any partner in the sovereignty. He hath created everything and hath meted out for it a measure" (25 : 2).

إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شىء قدراً . (الطلاق ٣)

"Verily ! Allah accomplishes what He ordains. Allah hath established for everything a fixed decree (He hath set a measure for all things)" (65 : 3).

سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى، والذى قدر فهدى . (الأعلى ١ — ٣)

"Praise the name of thy Lord the Most High. Who created and fashioned to completeness. Who measureth, then guideth accordingly" (87 : 1 3).

إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم

آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ... » (الأعراف ٢٨)

"When they commit a deed of shame they say : We have found that our fathers did so, and God obliges us to do it ; say (thou) : surely God requireth not shameful doing..." (7 : 28).

أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . (التوبة ٧٠)

"Their messengers (from Allah) came unto them with proofs (of Allah's sovereignty). So Allah surely wronged them not, but they did wrong themselves" (9 : 70).

هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق . (يونس ٣٠)

"There will every soul experience that which it did aforetime and they are returned unto Allah, their Rightful Lord..." (10 : 30).

قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ... (يونس ١٠٨)

"Say : O mankind ! now hath the truth from your Lord came unto you. So Who soever is guided, is guided only for (the good of) his soul, and whosoever goes astray, he himself bears the whole responsibility of wandering" (10 : 108).

The people of Arabia, like all other nations of antiquity, had before the promulgation of Islam, absolutely abandoned themeselves to the idea of an irresistible and blind fatality. Man was but a toy in the hands of Fate. This idea bred an utter disregard for human life. The teachings of Islam created a revolution in their mind. The above mentioned verses laid down, in emphatic terms, human responsibility, the freedom of human will and the liberty of human volition.

The following passages of the Holy Quran will clearly define the meaning of the Decree or Ordinance (تقدير) of God, and give expression to the Absolution of the Divine Will, and an assertion to the liberty of human volition :

والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . (يس ٢٨)

It means : "And the sun proceeding to its place of rest — that is an ordinance of the Almighty, the All Wise" (36 : 38).

ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير . (الشورى ٢٩)

"Among His Signs is the creation of the heavens and the earth, and of the animals which He hath distributed therein, which He has sovereign power to gather when He will..." (42 : 29).

The Conception of Human Responsibility in Islam

By :

A. M. Mohiaddin Alwaye

One of the remarkable characteristics of Qur'an is the curious manner in which it combines the existence of a Divine Will, which not only orders all things, but which acts directly upon men, and addresses itself to the springs of thought in them, with the assertion of a free agency in man and of the liberty of intellect.

The conception of human responsibility is so strongly developed in the Qur'an. According the clear verses of it man is responsible for his actions and for the use or misuse of the powers with which he has been endowed. He may fall or rise according to his own inclination.

It seems, at first sight, that man should be judged by his works, a doctrine which forms the foundation of Islamic morality. How can this idea be reconciled with the idea that all his actions are ruled by an All-Powerful Will ? It would be noticed that the Holy Qur'an clearly combines the existence of a Supreme Divine Will governing the Universe with the conception of self dependence and of moral responsibility founded on the liberty of human volition.

To illustrate the human responsibility and the freedom of human will, let us quote the following verses of the Holy Qur'an :

« ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه » (النساء ١١١)

It means : " And whosoever gets to himself a sin, gets it solely on his own responsibility " (4 : 111)

« وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت » (الأنعام ٧٠)

"And let alone those who make a sport and a mockery of their religion, and whom this present world has deluded, and thereby bring to remembrance that any soul perishes for what it has got to itself . . ." (6 : 70)

« وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها

« أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » (هود ١٣)

It means : "Or do they say, He has forged it ? Say, Then bring ten forged chapters like it and call upon whom you can besides Allah, if you are truthful". (11 : 13)

« أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » (يونس ٣٨)

It means : "Or do they say, He has forged it ? Say, Then bring a chapter like this, and invite whom you can besides Allah, if you are truthful". (10 : 38)

So, the Holy Qur'an is the standing miracle of the Prophet — in all times and under all circumstances. Previous miracles generally were manifestations of the Powers of God, but it is difficult to secure such manifestations a reliable evidence for the people under all circumstances. Certain men may have witnessed the performance of such a miracle and their evidence may satisfy their contemporaries, but, with the lapse of time their testimony loses much of its value.

In almsot, a miracle stands in need of being proved before it may be used as evidence of a prophet's claim, and in most cases it is very hard to adduce any proof that the miracle ever actually took place. Another difficulty in the matter of miracles generally is to be found in the fact that however wonderful a performance, it may be explained scientifically, and thus lose all values as a sign of the Divine mission of its worker.

The conception of the miracles, as given by the Holy Qur'an is quite different. The supreme object before the Prophet is to effect a moral and spiritual transformation. The means adopted are an appeal to the reasoning faculty, an appeal to the heart of man to convince him that the Divine message is meant for his own uplifting, and lessons drawn from previous history showing how the acceptance of truth has always benefited man, and its rejection has worked to his own undoing.

The Holy Qur'an, as a eternal miracle of the Prophet, is much more extensive. Another feature of this miracle is that there are great and wonderful prophecies in this Book, extending into the far future; many of which have been fulfilled in our own age and almost every generation sees with its own eyes the fulfilment of one or more of there great Prophecies. And they need not to turn the pages of history to find out what miracles were performed by the prophet in a previous age.

elaborated now and again to show that the source of the great *Message* of Truth is supernatural, Divine. Thus the Holy Qur'an makes it clear that the bringing about of a transformation is the real object for which prophets are raised up. This object is attained by several means, each of which, therefore, has but a secondary value.

It is true that the Holy Qur'an does not represent the Prophet as a wonder - worker or a miracle - maker. Signs were shown, not when the Prophet so desired, or when his opponents demanded, but when it was the Will of God; hence, whenever an extraordinary sign of the Prophet's truth was demanded the reply was that such a sign would come when God Will it, as the Qur'an indicates :

« وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ... » (الرعد ٣٨)

It means : "And it was not (given) to any messenger that he should bring a sign (miracle) save by Allah's permission". (13 : 38)

The Qur'an is a miracle because it brought about the greatest transformation that the world has ever witnessed. This transformation effects the individual, the family, the society, the nation and the country. It was an awakening material as well as moral, intellectual and spiritual. As the Qur'an produced an effect, thousands times greater than that of any other miracle recorded of any Prophet, its claim to be the greatest of all miracles is incontestable. The Holy Book itself claims to be a miracle and has challenged the world to produce its like. If the claim be so great the proof is not less.

Let us cite a few verses from the Qur'an in this context :

« قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (الإسراء ٨٨)

It means "If men and jinn should combine together to produce the like of this Qur'an, they could not produce the like of it, though some of them were aiders of others".

(17 : 88)

« وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » (البقرة ٢٣)

It means : "And if you are in doubt as to that which We have revealed to Our servant, then produce a chapter like it, and call on your witnesses (helpers) besides Allah ; if you are truthful".

(2 : 23)

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

SHA'BAN 1389	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	OCTOBER 1969

THE HOLY QURAN
Eternal Miracle of the Prophet

By :

ABDUL RAHIM FUDA

The greatest miracle of Islam is the Holy Qur'an. The word employed in the Holy Qur'an for miracle is 'Aya', it generally carries one of two significations; an indication, an evidence, or a proof, and a Divine message or communication. In the first sense, it includes the miracle in its meaning and in the second, a verse of the Holy Qur'an.

The adoption of the same word (Aya) to indicate a Divine message and its proof is noteworthy. Because it shows that the Divine message itself is the proof of its own truth. Hence it is that the Holy Qur'an has always been considered as the greatest miracle of the Holy Prophet.

The Holy Qur'an is indeed the greatest miracle ever conceded to a prophet because it stands in need of no other evidence whatever, but is itself a living proof of its own truth for all times. Some writers on Islam are generally of opinion that though the Holy Qur'an records certain miracles of other prophets, it denies that any signs were conceded to Prophet Muhammad except the Holy Qur'an.

The Qur'anic conception of the miracle is quite different from that of the others. The miracle has its own place in the Divine Scheme; something great beyond human power and comprehension is

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ قرشاً في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٤٧٣
٩٠٠٥٠٦

الجزء السابع — السنة الحادية والأربعون — رمضان سنة ١٣٨٩ هـ نوفمبر سنة ١٩٦٩ م

افتتاحية العدد

الصوم جهاد وإعداد للجهاد

للأستاذ عبد الرحيم فوده

١ — الجهاد بمعناه العام يصدق على بذل الجهد والطاقة ، واحتمال التعب والمشقة ، والصبر على المكاره والخطوب ، ويدخل فيه الجهاد بمعناه المعروف المألوف وهو — كما قيل — استفراغ الوسع في مدافعة العدو ، فكل ما يبذل من طاقة ، أو يحتمل من مشقة في سبيل دفع العدو وقمعه وردعه يصدق على الجهاد بأنواعه الثلاثة :

جهاد العدو الظاهر ، وجهاد النفس ، وجهاد الشيطان . فالعدو الظاهر هو كما يفهم من قول الله فيه : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » ، وجهاد الشيطان كما يقول الله فيه : « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » ، أما النفس فكما يقول الله فيها : « إن النفس لأمارة بالسوء » ، وكما يقول النبي ﷺ : (أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك) . ولهذا أمر بجهادها حيث قال : (جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم) .

٢ — ولا شك أن النفس الإنسانية عالم كبير ، يموج بعضه فى بعض ، وتصطرع فيه نوازع الخير والشر ، ثم هى إلى ذلك تحكمها غرائز مختلفة ، كحب الذات ، والخوف والغضب ، واللهو والطرب ، والمحاكاة والتقليد ، وحب التملك والادخار ، وهذه النوازع والغرائز إذا لم تقوّم بالتربية الرشيدة والتوجيه السليم انحرفت عن طريق الحق والخير ، وعصفت فى طريق انحرافها بكل ما يعترضها من الفضائل ومكارم الأخلاق ، ومن ثم كان جهاد النفس هو الجهاد الأكبر ، كما روى عن النبى ﷺ ، لأن جهاد العدو الظاهر ـ مهما تكن شدته وقسوته ـ مؤقت بزمان ، محدد بمكان ، أما جهاد النفس فهو دائم لازم فى كل مكان وزمان ، لأن شهواتها ونزواتها وغرائزها دافعة معها ، لازمة لها ، لا تنفك عنها فى أية مرحلة من مراحل حياتها وإن كان بعضها يختلف عن بعض باختلاف المراحل والأطوار التى تمر بها ، كشهوة اللعب فى الطفولة ، والحب فى الشباب ، والطمع فى الرجولة ، والسلطة فى الكهولة .

فهذه الشهوات والغرائز وما يتصل بها لابد لها من رقابة واعية ، وتقويم سليم ، وتوجيه راشد ، وجهاد متصل ، ثم إن الإنسان يتعرض فى كثير من الأوقات لكثير من المؤثرات والمغريات والمثيرات فإذا لم يكن قوى النفس ، منيع الجانب ، عظيم الخلق ، لم يثبت للأحداث ، ولم يصبر على المكاره ، ولم يصمد لعوامل الإغراء والإغواء .

٣ — لهذا كان الصوم جهادا وإعدادا للجهاد ، إذ يعود المؤمنين الصبر على الجوع والظمأ ، والحرمان من شهوتى البطن والفرج ، ويصلهم بالله صياما فى النهار وقياما بالليل ، ويروضهم على الصبر وقوة الاحتمال ، ومضاء العزيمة ، وسمو الهمة ، والاستبسال فى القتال ، وإيثار حب الله ورسوله على ما سواهما من شهوات النفس ومتع الحياة وعرض الدنيا ، كما يقول الله : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

٤ — والواقع أن الصوم تربية نفسية شاقة تصح بها النفوس المريضة ، وتصلح عليها الأخلاق الفاسدة، وتستقيم بها الغرائز المنحرفة ، وتسمو بها الهمم والعزائم ، وتصفو بها القلوب والضمائر ، وهذا كسب عظيم لا يقاس به كسب آخر عند من يزنون الأمور بمعيار سليم ، وتقدير دقيق ، وبصر بالعواقب والنتائج ، وقد أجمل النبي ﷺ كل هذه الثمرات والنتائج فى قوله عليه السلام : (الصوم جنة) ، فهو وقاية من كل سوء وشر ، وسبيل إلى كل نفع وخير ، كما يفهم من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » ، فإن التقوى كما يقول الله : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » ، وكما يقول : « ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » ، وكما يقول : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » .

٥ — وقد اقترن هذا الشهر بكثير من الخير لا يقع تحت حصر ، ففيه أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وفيه ليلة القدر وهى كما يقول الله : « خير من ألف شهر » وفيه خاض المسلمون معارك النصر فى غزوة بدر وفتح مكة ، ومعركة عين جالوت مع التتار ، ومعركة المنصورة مع الصليبيين ، ولهذا ينبغى أن يتلقاه المسلمون باستبشار ، وأن يعدوا أنفسهم فيه لجهاد أعدائهم وأعداء دينهم ، فإن الكارثة التى حلت بالمسجد الأقصى وهو ثالث المساجد التى تشد إليها رحالهم تتقاضاهم أن ينفروا خفافا وثقالا للجهاد فى سبيل الله وتحقيق معنى الإيمان بالعمل على هداه ، فقد قال تعالى وقوله الحق : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » وقال جل شأنه : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

عبد الرحيم فودة

تأملات في القرآن :

إنا نحن نزلنا الذكر

"قرآن كريم"

للأستاذ عز الدين علي السيد

ما كان لي أن أنسانى إلى الكتابة حول القرآن ، فالكتابة حوله لا تنبغى إلا لضليع بأسراره ، أو مجبو بأنواره ، غير أن أسلوب القرآن طراز يقف النظر دونه مبهوراً لما يختص به من عجائب وهو الذي لا تنقضى عجائبه ، حتى ترى للمعنى يقف عنه اللفظ فتحسبه كل ما فيه أنساً إليه ، وإعجاباً به ، واقتناعاً بإصابته ، ثم يستدير الزمن ويعود النظر فإذا نمط آخر من الفهم يزاحم سابقه حتى يسبقه ، فلا ترى الأول كان نابياً ولا الثانى جاء مجافياً ، للسخاء الوافر فى الدلالة ، والرحابة الرحيبة فى المقصود . ولقد كانت هذه الخصيصة مجال خلاف المفسرين حتى اجتمع لنا فى اللفظ – فضلا عن الآية – عدد من الوجوه ، أكثرها يقره الذوق ، ولا يأباه المقام ، إلا أن منها ما يراه كالمحتوم ، وإن كان الذوق حكماً لا يضمن حكمه دائماً لاختلاف ألوانه ومقوماته ، إلا إذا دعمته بالقيام عليها قواعد اللغة العامة التى تحفظ الأصالة فى حصنها الحصين .

كثيراً ما نقرأ أو نسمع الآية فتمس قلوبنا مساً خفيفاً كالنسيم العابر ، أو تأثرها من جانب يتصل بلحظة التلاوة ، وكم يكون فى النسق الذى ظهر ساذجاً عمق كل العمق وبلاغة كل البلاغة ، يرى فيه المجتلى الوقاف كل حرف يكاشف روحه بسر ، وإن لم يلتمع فى السياق تمثيل رائع ، أو استعارة بارعة ، أو محسن براق ، وهنا نتهم نحن أنفسنا بالسذاجة ونقسرها على أن تجثو مستغفرة أمام قوله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن ؟ » .

كما أنه من هنا نعرف أن القرآن لا يخلق على كثرة الرد ، وأنه بهذا وبمثله كان القرآن قرآناً يكتسب خلوده من أصل وجوده ، لأنه قد احتبك بذاته معجزاً ،

وأنف بعناصره خالدا ، فكانت خصائصه من قوام حفظه .

يكتب الكاتبون عن القرآن ، ويخطب الخطباء حوله ، فيذكرونه — مزكى — ويستشهدون على خلوده — خالداً — بقوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » حتى كادت الآية تستقل نسقا بهذا وينسى الحافظون فضلا عن غيرهم مكانها فى السياق .

وهذا الجانب الإجمالى فى الدلالة مقنع فى الخطابة ومؤثر فى القلوب ، وقد ظللت به راضيا إلى أن تمثلى من الآية عجيب فيها ولمحها من جديد فى حياة عقلى : هو ذكر ضمير الرب الجليل خمس مرات .

عدت إلى الآية أتفحصها ، وإذا بها على صحة القصر تحمل ألواناً من التأكيد القاصر لتصديق فى شكل من التحدى الجازم المجاوز زمن التنزيل إلى كل زمن يليه ، والنظر العاجل إلى الجزء الأول منها : « إنا نحن نزلنا الذكر » يقفنا على أن تنزيل الذكر أسند مرات ثلاثا إلى ضمير العظمة بصيغة الجمع (إنا — نحن — نا) وفى هذا الوجه بديئا ما يلفت العقل للمتكلم المعتز بما نزل ، الواثق بجلاله ، والعالم بما أودع من السرفيه ، فقد أودعه أسراراً هى أكبر من الزمن ، لأنها تؤثر فى الزمن ولا تتأثر به ، والزمن أكبر من الناس فهى أكبر من الناس ؛ لأن الزمن يلد العجائب التى تصدق أسراره وتفسرها فتكون آية من آيات إعجازه وحفظه .

فإذا نحن تأملنا ترتيب الضمائر وجدنا الأوسط فصــلا بين ضمير العظمة الذى يبدو هنا فى الصدر لتمجيل للهابة ، وبين فعل التنزيل الذى أسند إسناداً مباشراً لما بعده وإسناداً جليا لما قبله فى الصدر فماذا يعنى كل هذا ؟

إنه يعنى الاعتداد كل الاعتــداد ، والاعتزاز كل الاعتزاز بفاعل التنزيل . .

إنه يفخم الفعل للفعول إلى أبعد غاية ، ويقصرهما على مصدر لا يعرف الوجود أعلى منه أو أكبر .

ثم الفعل يشير فى وجازة قادرة إلى العلو مرات ، منها ما هو بمادته الدالة على الرفعة وما هو بصيغته مضعفا مبنياً لفاعله ، على الوجه الذى سبق ، ما الحامل على هذا ؟

إنه مقام الخطاب : رسول أمين نزل عليه الذكر من ربه يجد من قومه الساخر والأفاك يؤذيه ما وسعه الأذى بيده ولسانه .

يا لله . ! أليست الآية ردا على هؤلاء المستهزئين بالذكر والرسول ؟

أليست ردا على المنكرين الفاعل والبانين الفعل للمجهول : « يأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون » .

إذاً فليرد الرسول اعتباره وقدره حقه ، وليتقرر الفعل برده الفاعل ، وبإسناده إليه أكثر من مرة ، وليتقرر الفاعل بذكره مرات وبضمير الجمع الجليل حتى تملأ فخامة (نحن) الفاصلة الخصصة ما بين السماء والأرض وليسبق الجملة حرف التأكيد ، ولترد النسبة رسوخا باسمية الجملة ، وليخبر عن الذكر ما نزل منه وما يستقبل بالماضى توثيقا لتحقق الوقوع ، فليس حديثا مفترى وما هو بقول كاهن مفتون ، ولا شاعر أو مجنون .

أتراهم لم تنخلع قلوبهم إلا وقد طمس الله على قلوبهم وأخذ أسماعهم وأبصارهم فلا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم ؟

بقى فى الجملة الأولى كلمة (الذكر) وهى كلمة لها مدلول ينبغى البحث عنه ، ومن معانيها فى اللغة : الكتاب فيه تفصيل الدين ووضع الملل ، وهو أنسب ما يفسر به اللفظ هاهنا ، غير أنه لا يمكن أن يكون مجرداً عن لمح الأصل الذى نراه سر اختياره فى كثير من المواضع والآيات ، فكلام الله يطلق عليه القرآن والفرقان والذكر والكتاب .

وحينما يطلق على أى اسم من أسمائه يقترن صراحة أو لزوما بالغاية التى لها نزل وهى : الذكر ــ الذكرى ــ التذكرة .

ونظرة إلى هذه المادة وإلى هذه الكلمات بذاتها ترشدنا إلى كثرة ما استعملت فى كتاب الله ، لأنها الغاية الأولى منه .

وقد جاء (الذكر) فى الكتاب على أضرب من الافتنان غريبة ، فقد يقترن بالذكر اقتران الصاحب فى قوله تعالى: «ص والقرآن ذى الذكر » وقد يتخذ القرآن أداة له فيجىء الذكر فعلا كقوله تعالى : « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » وقد يكون التذكر غاية فعل الله فى قرآنه كقوله : « ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا » كما يجىء مخبراً به عن ضمير القرآن أو إشارته فى عبارات تدل على التعظيم أو التأكيد كقوله سبحانه : « هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب» وقوله « وما هو إلا ذكر للعالمين » كما تراه فى نمط آخر مجردا من ذكر القرآن وما يكنى به عنه ، معرفة

باللام فى مثل : « إنا نحن نزلنا الذكر » ، « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للنـــاس » ، « إنما تنذر من اتبع الذكر » ...

وحينما يكون هكذا تكون اللام فيه للعهد منادية أن اللفظ يساوى القرآن فى الدلالة الأولية ، ويزيد أنه يحمل مع التسمية النعاية فهو إذ ذاك أوجز تعبير عن الدلالتين معـــا .

كما نراه مرات أخرى قد اقترن بالوصف أو بالإضافة تنكيراً وتعريفا . فمن وصفه نكرة : « وهـذا ذكر مبارك أنزلناه » ولا يفارق تنكيره تعظيمه متبوعا ومجردا . ومن وصفه معرفة « ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم » وهـو كنعت القرآن بالحكمة فى قوله عز وجل : « يس والقرآن الحكيم » .

أما استعمال الذكر مضافا فنه : « لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم » ، « هذا ذكر من معى وذكر من قبلى » والإضافة هنا إلى المنتفع الذى هو فى قوة المفعول ، وتدل على اتحاد الغاية من جميع الرسالات ، فكل ما أنزل من عند الله ذكر ولكنه استصفى وخلص فى الكتاب المجيد ، يدل لذلك قوله تعالى : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » فالذكر هنا التوراة ، أو اسم لكل ما أنزل على الرسل ، أو هو أم الكتاب ، وتفسيره بالتوراة ، ليس بعيدا لقوله تعالى : « ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكراً للمتقـــين » .

ومن إضافة الذكر إلى النافع الذى هو فى قوة الفاعل : « وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون » ومنها : « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا » ولا يخفى ما فى كل من الإضافتين من معنى يساوق الجو الذى نزلت فيه آيته ، فالإضافة إلى الرحمن فى الأول نداء على البلادة والعقوق ومقابلة الرحمة من الرب الغنى بالجحود من العبد الشقى مع تأكيد هذا الجحد بتكرار الضمير واسمية الجملة ، والإضافة فى الثانى إلى ضمير الجلالة فى مقام الإعراض ينذر بخطورة الجزاء وصدق شموله لما دل عليه اسم الشرط (من) وقد تأكد الجزاء بمؤكدات عدة ، أولها حرف التأكيد وثانيها تقديم الظرف (له) مع وجـــود المسوغ بالوصف للمعيشة ، تعجيلا بتعيينه لما يلى من مجازاة ، وأخيرا بتنكير (معيشة)

وتخصيصها بالوصف للكافر ، والنكرة وما خصصها مازالا على جانب من الإبهام يسبح فيه الخيال لا إلى غاية .

ولما كانت الكتب المنزلة وصفوتها القرآن غايتها الذكر ، فقد عبر عنها بصراحة التعليل كما فى قوله سبحانه « ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا .. » وقوله : « فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون » وكرر أربع مرات فى سورة واحدة قوله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » وكقوله : « ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون » إلى كثير من الأشباه .

أما كلمة (الذكرى) ولفظ (التذكرة) فلم يتركهما القرآن فى مجال التعبير عن تلك المعانى فن استعمال الأولى هذه الآيات :

« أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ؟ إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » .

« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » .

« قل : لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين » .

ومن استعمال (التذكرة) :

« طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى .. » .

« فما لهم عن التذكرة معرضين » .

« كلا إنها تذكرة ، فمن شاء ذكره ، فى صحف مكرمة .. » .

« وإنه لتذكرة للمتقين .. » .

عود على بدء :

وبعد هذه الجولة نرى لفظ (الذكر) فى الآية أنسب بالمقام من لفظ يساويه فى عموم الدلالة أولا لمطابقته قول الساخرين على سبيل النقض والرد ، وثانياً لأن تنزيله ذكرا يوحى بغايته ، وحفظه ذكراً يجزم بتحقق الغاية وإن كره المبطلون ، وفى هذا نهاية الردع لأعدائه والنصر لأوليائه ، فإذا عرفنا أن من قواعدهم فى إعادة المعرفة الدلالة على الاتحاد ، عرفنا قوة الرد بتحرير القضية ، التى مدارها بين المنكر والمثبت ، والساخر والساخر منه ما هو إلا (الذكر) وكأنه يقول : إن ما جهلتم قدره فحقرتموه ، هو ما عرفنا قدره فرفعناه . والله أسأل غفران الجرأة على ما قدمت ، هو حسبى ونعم الوكيل ؟

عز الدين على السيد

غزوة بدر الكبرى :

دروس من بدر

للأستاذ بدر المتولي عبد الباسط

حياة الرسول ﷺ كلها دروس وعبر « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

وغزوة بدر الكبرى لها مكانتها في التاريخ الإسلامي بل العالمي للآثار التي تركتها ، والظروف التي أحاطت بها .

فظواهر الأحوال ـ كلها ـ تدل على أن النصر سيكون في الجانب الكثير عدده المتكامل عدته الذي خرج يريد القتال دفاعا عن عيره التي تحمل تجارته التي ـ هي ـ قوام حياته ، وعن كرامته التي انتهكها ـ على زعمهم ـ فئة قليلة خرجت عن مألوف عاداتهم ، وما توارثوه عن آبائهم وأجدادهم .

أما الفئة الأخرى فكانت قليلة العدد ضعيفة العدة خرجت لا تريد قتالا ، فلم تأخذ له أهبته ، بل خرجت تريد العير لتعوض به بعض ما سلبه أهل مكة من أموال المهاجرين .

هذه صورة المعركة ـ قبل وقوعها ـ لا يشك أي خبير بفنون الحرب ـ أول الأمر ـ أن نتيجة المعركة هي انتصار العدد والعدة ، ولكن الأمر جاء على غير ما قدره المقدرون . انتصرت الفئة القليلة ذات العدة الضئيلة ، فما هو السر وراء هذا الانتصار ؟

هناك أسباب كثيرة نأخذ منها دروساً وعبراً لحاضرنا ومستقبلنا منها على سبيل المثال لا الحصر .

أولا : موقف القائد في كلا الجيشين .

جيش المسلمين ، وقائدهم رسول الله المؤيد بالوحي لم يستبد بالرأي ، بل استشار القوم في كل الأمور في الإقدام على الحرب ؛ لأنهم خرجوا يريدون العير لا ملاقاة القوم المدججين بالسلاح فلما اطمأن على قوة عزيمتهم ، لا فرق في ذلك بين المهاجرين منهم والأنصار ، نهض بهم إلى ميدان القتال غير هيابين ولا وجلين .

ولم يستبد برأيه فى اختيار مكان المعركة بل أخذ بالمشورة الحسنة بعد أن استبان له صدق فراسة الحباب بن المنذر أن المنزل الذى نزل به الرسول ﷺ أولا ليس صالحا ، بل نزل على رأيه ونزل بالجيش حيث أشار الحباب .

هذه صورة من معاملة محمد القائد لجنده بينا نجد قائد جيش المشركين — وهم أهل العدد والعدة — أبو جهل يستبد بالرأى على جنده ، وفيهم من هم أشرف منه وأحكم رأيا ، وأكثر دربة وحنكة كعتبة ابن ربيعة الذى أشار على القائد أن يرجع بالناس بعد أن أحرزوا أموالهم فهزأ به وسخر وأثار حميته ، وأثار جيشه إلى حرب أصبحوا لا يؤمنون بجدواها ، بعد أن تحقق لهم ما خرجوا لأجله وهى حماية تجارتهم وأموالهم .

فهناك قائد محبوب من جنده لا يستبد عليهم برأى ، وهنا قائد مستبد يتطاول على أشراف قومه ويسفه آراءهم .

موقف آخر لقائد المسلمين محمد ﷺ أنه فى بدء المعركة — وقت المبارزة — بدأ بأقرب الناس إليه وأحبهم إلى قلبه وهم : عماه الحارث وحمزة ابنا عبد المطلب ، وابن عمه وزوج ابنته على بن أبى طالب فافتتح بهم القتال ، وكان عمه الحارث أول شهيد فى هذه المعركة .

وهذا التصرف له مغزاه فى نفوس جنده ، بينا قائد المشركين لم يراع هذا التصرف ، بل بدء المعركة بمن لا يؤمن بجدوى هذه الحرب وهم عتبة بن ربيعة وابناه .

ثانيا : موقف الجند فى كلتا الطائفتين .

بالرغم من أن جند المشركين خرجوا مستمدين للحرب دفاعا عن أموالهم ، وانتقاما ممن سفه أحلامهم وأحلام آبائهم إلا أن حماسهم للقتال ضعف حينما أحرزوا أموالهم ، ويدل على هذا أن بعض الخارجين معهم رجعوا قبل المعركة وهم بنو زهرة وفى هذا ما فيه من إضعاف العزائم وتوهين القوى ، بينا نجد جند محمد ﷺ — بالرغم من أنهم لم يخرجوا يريدون القتال — يصممون على القتال الذى فرض عليهم ، ويستعذبون كل شىء فى سبيله حتى أن زعيم الأنصار — وهم الكثرة فى جند الإسلام — يقول للرسول الأكرم فيما قال : لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وإنا لصبر عند اللقاء ولعل الله تعالى يريك منا ما تقر به عينك .

فقتال : فئة تقاتل عن مال قد حازته وأمنت عليه ، وعن باطل ورثته عن الآباء والأجداد ، وفئة تقاتل عن إيمان ويقين وترى الموت أحب إليها من الحياة ، لأن الموت في سبيل الله شهادة تتطلع إليها نفوس المؤمنين .

« قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار » .

هذان درسان ينبغي أن يعيهما كل مسئول عن مستقبل هذه الأمة الأول : في علاقة القائد بجنده ، والثاني : في وضوح الهدف أمام الجند ، بحيث يكون هدفا ساميا يثير في نفوسهم الحرص عليه والحماس له .

لقد كانت هذه المعركة بداية الانتصارات الكبرى التي أحرزها المسلمون وارتفعت بها الراية الإسلامية فوق ربوع العالم ، وقد وقع فيها من الأحداث ، ونزل فيها من الآيات ما يجب التأمل فيه ، والوقوف عنده لاستخلاص الدروس النافعة والعظات البالغة .

إنها لم تكن في حقيقتها صراعا بين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا في جانب وقرابة ألف مدججين بالسلاح في جانب آخر وإنما كانت صراعا بين الإيمان واليقين والحق ، وبين الصلف والغرور والباطل ، وقد تحقق فيها وعد الله كما يفهم من قوله : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » .

وسنوالي الحديث في الدروس التي تستفاد من غزوة بدر ؟

بدوى المتولى عبد الباسط

قال الله تعالى :

« ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون . إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين » .

« صدق الله العظيم »

ليلة خير من ألف شهر

للأستاذ يوسف عبد الهادي الشال

إنها ليلة القدر إحدى ليالي شهر رمضان . تحدثت عنها سورتان من سور القرآن الكريم .

في سورة « الدخان » وصفها الله تعالى بأنها مباركة وأنها يفرق فيها كل أمر حكيم فقال سبحانه : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين رحمة من ربك إنه هو السميع العليم » .

وفي سورة « القدر » وصفها الله بما يفوق حدود الإدراك وأنها خير من ألف شهر وأن الملائكة تتنزل فيها وأنها سلام فقال عز وجل : « إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر » .

وقد جاء في سورة « البقرة » ما يشير إلى السبب الذي من أجله كان لهذه الليلة تلك المنزلة التي لا تطاول . قال تعالى : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن ابتداء نزول القرآن كان في رمضان وفي إحدى لياليه في لحظة شدت انتباه التاريخ وسجلها الوجود جذلان مغتبطا بالحديث الفذ في حياة البشرية إذ كانت أول آياته تنبيها للعقل أن يصحو من غفلة طال فيها رقاده . وإشارة بدء للفكر الإنساني أن يأخذ طريقه الصحيح عبر رحلة الحياة . وكان ذلك في كلمات قصيرات وفد بها الروح الأمين إلى خاتم المرسلين مبلغا قول العلي الأعلى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » .

وتتابع اتصال السماء بالأرض على مدى ثلاثة وعشرين عاما هي عمر الدعوة في حياة صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه فكانت فترة حافلة أفاضت من روح الله

على الضمير البشري في أرض الله الرحيبة . وبما تضمنه القرآن الكريم والسنة المطهرة من عقيدة تقوم على منطق العقل ، وشريعة تصلح عليها الدنيا ، وآداب تشيع الخير والسلام بين الناس .

وقد كان لمحظات الاتصال هذه مذاقها عند الذين عاصروها ، أولئك الذين أدركوا فأحسنوا الإدراك .

روى أنس رضى الله عنه قال : « قال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم انطلق بنا إلى أم أيمن رضى الله عنها نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ، فلما أتيا إليها بكت فقالا لها ما يبكيك ؟ أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : بلى ، إنى لأعلم أن ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى أبكى أن الوحى قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان » .

وطبيعى أن يكون للاتصال الأول مذاق خاص ومنزلة فريدة .

ونحن حين ننظر من وراء الأجيال المتطاولة إلى تلك الليلة المجيدة و نتصور ذلك المهرجان الذي شهدته الأرض في هذه الليلة المباركة ونتأمل آثارها الباهرة في واقع الناس المشهود ندرك طرفا من مغزى الإشارة القرآنية إلى تلك الليلة في قوله تعالى : « وما أدراك ما ليلة القدر » .

لقد بدأت بها حياة الإنسان الجديدة بأن يضفى عليها وصف الحياة فكانت خيرا من ألف شهر كما قال تعالى : « ليلة القدر خير من ألف شهر » .

وكيف لا يكون لها هذا الفضل وقد ابتدأ بها تصحيح القيم وتحقيق العدالة ، وإعلان حقوق الإنسان ، فتغير وجه الدنيا وشهد التاريخ عجبا وسجل في صفحاته من محامد لم يتح له تسجيلها من قبل ، فأشرق في صفحاته لفت الإنسان إلى قيمته في قوله تعالى « ولقد كرمنا بنى آدم » ولم يخص بالتكريم لونا دون لون ولا طبقة دون طبقة ، وإنما وضع للقياس السليم للتفاضل في قوله « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وأقام ميزان العدالة وأمر بتحريها مهما كانت الظروف والملابسات إذ قال: « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله » ، وأعلن المساواة بين البشر في قوله الجلى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

ولم يلبث نور الله فى تلك الليلة المباركة أن غمر الدنيا فتفتحت عليه الأعين ، ولم يلبث وحى الله أن جلجل فى جنبات الأرض فأرهف الناس إليه أسماعهم . ومن حرمه الله نعمة الاستجابة إليه لم يحرمه فضل الاستمتاع بما أنشأ من ثقافة وما أقام من حضارة يعترف بقيمتها من لا يدينون بالإسلام ، ولا يصمد أمام منطق واقعها المكابرون .

ويرى المتأمل أثر الشريعة الإسلامية والفكر الإسلامى لدى الأمم والشعوب مشرقا ومغربا ، وتلمسه فى مبادىء المساواة وتزملت الاحترام للمرأة وحقوقها ، وما امتاز به الفقه الإسلامى من قواعد واتجاهات ، ولا تستطيع المدنية المعاصرة أن تدعى أنها الابن الشرعى للإسلام وأفكار المسلمين !! .

كل ذلك لم يكن يستطيع أن يبرز إلى الوجود لو لم تكن هذه الليلة التى باركها الله مبدأ المسيرة الموفقة، وحسبها أن الله تعالى سماها « ليلة القدر » ، وحسبها أنها احتلت من الزمن أسمى منزلا ومن الأحداث أعلى ذروة .

وقد قال الإمام « محمد عبده » فى « القدر » إما أنه بمعنى التقدير ، لأن الله ابتدأ فى هذه الليلة تقدير دينه وتحديد الخطة لنبيه فى دعوة الناس إلى ما ينقذهم مما كانوا فيه ، وإما بمعنى العظمة والشرف لأن الله تعالى قد أعلى فيها منزلة نبيه وشرفه وعظمه بالرسالة ، وقد جاء بما فيه الإشارة بل التصريح بأنها ليلة جليلة بجلال ما وقع فيها من إنزال القرآن فقال « وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر » فكرر ذكرها ثلاث مرات ثم أتى بالاستفهام الدال على أن شرفها ليس مما يسهل إحاطة العلم به .

وقال الإمام « القرطبى » فى تحديد هذه الليلة : إن الذى عليه المعظم أنها ليلة سبع وعشرين .

ولعل مما يقوى هذا الرأى طائفة من الأحاديث الصحيحة التى ترجح أنها فى العشر الأواخر من رمضان .

ففى حديث « معاذ » عن أبى سلمة قال : « سألت أبا سعيد وكان صديقا لى فقال : اعتكفنا مع النبى ﷺ العشر الأوسط من رمضان ، فخرج صبيحة عشرين فخطبنا وقال : إنى أريت ليلة القدر ، ثم أنسيتها

أو نسيتها . فالتمسوها فى العشر الأواخر فى الوتر ، وإنى أريت أنى أسجد فى ماء وطين فمن كان اعتكف مع رسول الله ﷺ فليرجع فرجعنا وما نرى فى السماء قزعة فجاءت سحابة فمطرت حتى سال سقف المسجد وكان من جريد النخل وأقيمت الصلاة ورأيت رسول الله ﷺ يسجد فى الماء والطين حتى رأيت أثر الطين فى جبهته » .

قال الإمام ابن حجر : إن النسيان جائز على النبى ﷺ ولا نقص عليه فى ذلك لا سيما فيما لم يؤذن له فى تبليغه وقد يكون ذلك مصلحــــة تتعلق بالتشريع كما فى السهو فى الصلاة أو بالاجتهاد فى العبادة كما فى هذه القصة لأن ليلة القدر لو حددت فى ليــــلة بعينها حصل الاقتصار عليها ففاتت العبادة فى غــيرها .

وقد روى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » وقد روى مثل هذا الحديث عنها بأسانيد متعددة .

وقال القرطبى فى علاماتها : منها أن الشمس تطلع صبيحتها بيضاء لا شعاع لها وقال الحسن : قال النبى ﷺ : « إن من أماراتها أنها ليلة سمحة بلجة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع » .

وقد ورد فى الصحاح ما يحفز على النشاط لهذه الليلة والجد فى العبادة ، ففى الصحيحين : « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وقال الشعبى : ليلها كيومها ويومها كليلها » وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى المغرب والعشاء الآخرة من ليلة القدر فى جماعة فقد أخذ بحظه من ليلة القدر » .

وكان صلوات الله وسلامه عليه وهــو خير قدوة يولى العشر الأواخر من رمضان عنايته ، ويخصها بالاجتهاد فى العبادة . قالت عائشة رضى الله عنها : « كان النبى ﷺ إذا دخل العشر شــد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله » وشد المئزر كناية عن اعتزال النساء أو التشمير والجد فى الأمر المطلوب .

وعمل الرسول الـكريم ووصاياه كان باعث المسلمين على النشاط فى العبادة

والتسابق فى عمل الخير وبسط اليد بالمساعدات السخية .

ويبدو أن ما تتناقله الألسنة من أحاديث (بغلة المشر) هو حقيقة فى المضمون والمحتوى على الرغم من إضفاء وصف الأسطورة عليها .

فالحقيقة التى لا يحوم حولها شك أن مياسير المسلمين كانوا ينتهزون رمضان فرصة التسابق فى سد الخلات وإغاثة الملهوفين وإعانة للمعوزين استجابة لنداء الإسلام واقتداء برسول الله ﷺ ، فقد كان جوادا ، وكان أجود مايكون فى رمضان ، كما كانوا يطبقون وصايا الرسول الكريم فى الصدقة وإنفاقها بحيث تكون مستورة على نحو مبالغ فيه « حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

وامتداداً لهذا الواقع الإسلامى كان بعض المياسير ينتهز فرصة ليلة القدر التى يضاعف فيها ثواب الأعمال فيحمل على دابته فيما يطلق عليه العامة اسم (الخرج) ما شاء الله له أن يحمل : أكسية وأطعمة ونقوداً ، ويجتهد فى إخفاء شخصيته ويتخير جهد الاستطاعة أسرة فقيرة أو من أخنى عليهم الدهر ، وفى سكون الليل يطرق الباب فيفتح له ، فيفرغ أهل الدار وعاء الطارق دون حديث متبادل ويضعون فى الوعاء شيئا ، أى شىء . . . ! ويرجع « الرجل » ولا يعلم أهل الدار من هو .

والذى لا شك فيه أن ذلك أدب رفيع من آداب الإسلام العالية ، يتصدق المتصدق دون أن تكون ردود فعل نفسية لدى آخذ الصدقة .

ونحن المسلمين ينبغى بل يتحتم علينا ألا ننسى هذه الذكرى وألا نغفلها ، وقد جعل نبينا الكريم الطريق إلى ذلك سهلا لنظل موصولين بها ولتبقى هى موصولة بنا لنفيد مما بعثته من حياة وحركة فى عالم القلب والضمير وعالم السلوك والعلاقات ؟

يوسف عبد الهادى الشال

الروح واستحضار الأرواح

للأستاذ مصطفى الطير

— ٣ —

تنعم الأرواح المؤمنة

جاء فى الإفصاح أن المنعم من الأرواح على جهات مختلفة ، منها ما هو طائر فى شجر الجنة ، ومنها ما هو فى حواصل طير خضر ، ومنها ما يأوى إلى قناديل تحت العرش ، ومنها ما هو فى حواصل طير بيض ، ومنها ما هو فى حواصل طير كالزرازير ، ومنها ما هو فى أشخاص صور من صور الجنة ، ومنها ما هو فى صورة تخلق من ثواب أعمالهم ، ومنها ما تسرح وتتردد إلى جثثها وتزورها ، ومنها ما تتلقى أرواح المقبوضين وممن سوى ذلك ما هو فى كفالة ميكائيل عليه السلام ، ومنها ما هو فى كفالة آدم عليه السلام ، ومنها ما هو فى كفالة إبراهيم عليه السلام — انتهى . قال القرطبى : وهذا قول حسن يجمع الأخبار حتى لا تتدافع وارتضاه الجلال السيوطى .

ولا تنس ما قلناه نقلا عن الألوسى أن الروح جولانا فى ملك الله حسب مشيئته تعالى وبإذنه وإن احتاف مستقرها الذى أعطيته جزاء أعمالها .

هل تتعلق النفس ببدنين ؟

قال بعض الصوفية : لا مانع من تعلق النفس ببدنين فأكثر ، بل هو واقع ، وذكر أن أحد البدنين هو البدن الأصلى والآخر مثالى يظهر تمثالا على وجه خرق العادة ، وقال آخر من الصوفية : إن الشخص الآخر من باب تطور الروح وظهوره بصورة على نحو ظهور جبريل بصورة دحية الكلبى ، وقد نفى الفلاسفة ذلك قائلين : لا يجوز تعلق النفس الواحدة باثنين لأنه يلزم أن يكون معلوم أحدهما معلوم الآخر ومجهوله مجهوله فى حين أن الأمر ليس كذلك فمعلوم الإنسان مجهول لغيره، وأجيب عن ذلك بأن تخالف المعلومات عند كل منهما فى كل لحظة بسبب تغايرهما نفسا وروحا ، فلم لا يجوز وجود إنسانين يتعلق ببدنيهما نفس واحدة ، ويكون كل

ماعلمه أحدهما علمه الآخر وما جهله أحدهما جهله الآخر - نص على ذلك الألوسى .

استحضار الأرواح

قد علمت مما سبق أن الأرواح باقية بعد فراقها للأبدان ، وأن الرسول كان يسلم على أهل القبور من المؤمنين ، وأنه كان يوبخ أرواح المشركين بعد قتلهم فى غزوة بدر قائلا لهم : هل وجدتم ماوعد ربكم حقا ، وأن ابن القيم قال : إن كل روح يأخذ صورة من بدنه ليتميز عما سواه من الأرواح وأن التمايز بينها قد يكون بطرق أخرى كأن تكون فى صور طيور خضر أو بيض أو زرازير أو غير ذلك وأنها قد تكون فى الجنة وقد تكون فى النار ، وقد يكون لها جولان فى ملك الله بإذنه ومشيئته ، وأن لها اتصالا بمقار أجسادها وإن تفرقت فى الأرض وأنها ترد السلام على من يسلم عليها وتعرفه وأنها تتزاور وتلتقى مع أرواح الأحياء مناماً وقد تظهر لبعضهم يقظة إن كانت من الأرواح النظيفة وأنها قد تدل الأحياء مناماً على الخفايا وتوصى بسداد الدين والعتق ، وكل ذلك بعد فراقها للأجساد بالموت ، إلى غير ذلك من الحقائق التى أثبتها الكتاب العزيز والسنة المطهرة كما أثبت بعضه الواقع الذى يجرى بين الناس من أمرها يقظة أو مناما .

وإذا كان أمر الروح بعد الموت ما ذكر فهل يمكن استحضارها بعزائم أو بآيات من كتاب الله تعالى أو بأية وسيلة أخرى ما دامت تجول فى كون الله ولا تلزم مكانا معينا ، والجواب أن استحضارها بشىء مما ذكر لم يرد فى كتاب الله ولا سنة رسوله حتى يجاب عن هذا الإمكان بلسان الشرع الشريف ، والذى ثبت شرعا هو بقاء الأرواح بعد موت الأجساد وأنها تسمع السلام عليها وترده ، وتزور الأحياء مناما أو يقظة من غير استحضار منا لها ، ولم يثبت شرعا أنهـا تخضع للأحياء يحضرونها حيث شاءوا ويسخرونها حيث أرادوا .

لكن هل استحضار الأرواح أصبح منتشراً فى أوروبا وأمريكا وله صحف تنطق باسمه فيهما وأصبح يدرس فى الجامعات ، كما أضحى ينتفع به فى شتى الأغراض ومنها علاج المرضى بأمراض مستعصية ، وقد زحف إلى مختلف القارات وغزا بلادنا

وكان رائده بمصر صديق العلامة المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى ، ثم انتشر بين طبقات مثقفة بيننا ، وأصبحت له جمعيات تمارسه وتدعو إليه وتعالج باسمه مختلف الأمراض وتأتى فى علاجها بنتائج إيجابية فى عديد من الحالات المستعصية أعرف بعضها ومنها أن طبيبا كان صديقا لى تم شفاؤه بالعلاج الروحى المباشر فى حلقة كان رائدها الراحل الفاضل الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير رحمه الله ، فهل لنا أن نعترف به كعماء وقد أصبح من واقع الناس .

لقد سبق إلى الاعتراف به فضيلة العلامة الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق فقد قال فى تقديمه لكتاب (حياة محمد) الذى ألفه المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل ما يلى (وعلم استحضار الأرواح فسر للناس كثيراً مما كانوا فيه يختلفون وأعان على فهم تجرد الروح وإمكان انفصالها وفهم ما تستطيعه من السرعة فى طى الأبعاد ، وقد انتفع الدكتور هيكل بشىء من هذا فى تقريب قصة الإسراء فأتى بشىء طريف) والشيخ المراغى رحمه الله يشير بتجرد الروح إلى رأى بعض الصوفية فى أن المعراج كان بطريق الانسلاخ الروحى الذى بيناه فى مجلة الأزهر فى عدد المعراج السابق .

لكن هناك أمورا تجعلنا نتحفظ فى الاعتراف المطلق باستحضار الأرواح ، منها أن بعض الأرواح التى تستحضر إذا سئلت عن حالها تقول إنها فى الجنة وإنها مستريحة وقد كان أصحابها على غير دين الإسلام ، فكيف يقبل ذلك ، والله تعالى يقول « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » كما أن من الأمور المسلمة أن الاعتراف بوحدة الله وتنزهه عن الصاحبة والولد والاعتراف بنبوة محمد وصدق شريعة من أسس الإسلام وقواعده ، ومن لم يعترف بذلك لم يكن مسلما بل كافراً ، فكيف يكون بعد موته سعيداً مستريحا وكيف يخبر أنه ناعم بالجنة وكيف يكون طليقا فى ملك الله وهو حبيس فى جهنم كما ورد ذلك فى السنة وقد مر بك الحديث عن ذلك ، ومن ذلك أن هذه الأرواح تتحدث بنبوءات كاذبة ، والأرواح المؤمنة الصادقة لا تتجرأ على الرجم بالغيب بعد الوصول إلى مرحلة الحق واليقين بفراق الدنيا ، أما الكافرة فهى

حبيسة كما تقدم ، وفي يدي وقت كتابة هذا المقال عدد من مجلة الروح التي كان يصدرها المرحوم الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير ، وهو عدد مارس سنة ١٩٥٩ وقد جاءت فيه هذه النبوءات التي لم تصدق .

١ — في صفحة ٢٤ تنبؤ لبعض الأرواح عن طريق الوسيط الأمريكي ريتشارد زينور أن إسرائيل في سنة ١٩٥٩ سيحدث فيها تغيير شامل وحرب أهلية .

٢ — في صفحة ٢٥ تنبؤات لروح آخر بأن حربا عالمية ستقوم في سنة ١٩٥٩ ، وسيكون نوع من الاتحاد بين دول أفريقيا الشمالية ، ولم يحدث شيء من ذلك .

وإذا كان غير مقبول في الدين أن تدعى نفوس كافرة أنها في الجنة ، وأن تكون طليقة وهي حبيسة في جهنم وأن ترجم بالغيب وتمارس ما كانت تمارسه من الأخطاء والأكاذيب بعد وصولها إلى مرحلة الحق واليقين ، فلذا يكون مثل هذه الأحاديث صادراً عن قرناء تلك الأرواح من الجن لا من تلك الأرواح نفسها .

أما العلاج الروحي فإنه أمر واقعي ومفيد في كثير من الأحيان للأمراض المستعصية وسواها كما قدمنا ، ولكننا لا نستطيع الجزم بأن تلك الأرواح المعالجة هي أرواح الإنس الذين ماتوا ، فقد تكون أرواح قرنائهم من الجن الأحياء حضرت حين طلب حضور أرواح هؤلاء الإنس ومثلت صورهم وخصائصهم .

ومن الأمور المسلمة أن من الجن من هو ماهر في العلاج وغيره مهارة قد تفوق مهارة الإنسان ، فإن لهم قدرات عجيبة في نواح شتى ، وقد سخرهم نبي الله سليمان فيما لا يقدر عليه البشر وعرض عليه أحدهم أن يأتيه بعرش بلقيس من اليمن إلى الشام قبل أن يقوم من مقامه .

ولسنا من أولئك الذين يصدون الناس عن العلم ويمنعون النفع به ، ولكننا نرجو أن يكون تعلمه وتطبيقه والاعتقاد فيه وفقا لقواعد الدين .

ومع أننا نسلم بفوائد العلاج الروحي نقول إنه قد لا ينجح إذا لم يصادف مشيئة الله تعالى كما هو شأن العلاج الإنسي من الأطباء الأحياء ، فقد جربت العلاج الروحي في حالة أرق أصابتني ولازمتني عدة سنين ، ولكنني لم أوفق للشفاء

عن طريقه مع حضوري جلسات مباشرة وغيابية ، وذلك لم يمنعني من التأكد من فائدته عند غيري ، لأن الشفاء كما قلت مرده إلى مشيئة الله تعالى .

ولقد كتب العلامة الشيخ طنطاوي جوهري فصلا في طرق استحضار الأرواح ذكر فيه طرقا ستا لاستحضارها .

(الأولى) طريق المائدة ذات الأرجل الثلاث ويكون الخطاب فيها بالاصطلاح على عدد الضربات .

(والثانية) طريقة الفنجال توضع الأيدي عليه ويحرك إلى الحروف على محيط الدائرة

(والثالثة) قطعة من الخشب مثلثة الزوايا لها ثلاث قوائم صغيرة يربط بها قلم رصاص وهو يكتب رسائل مطولة في العلوم .

(والرابعة) الكتابة باليد بعد تخديرها بحيث لا يعرف الكاتب ما تخط يده .

(والخامسة) أن يوضع القلم في علبة مختومة ومعه ورقة بيضاء ، ثم تفتح العلبة فتوجد الورقة مكتوبة .

(والسادسة) أن تظهر الأشباح للحاضرين وتجيب عما تسأل عنه .

وقد ذكر الشيخ لكل طريقة أمثلة وحوادث عديدة ، ثم ذكر آدابا لحضور الجلسات الروحية ودرجات الأرواح الثلاث (السفلية والعلوية والنقية) وغير ذلك ، ثم أوغل في الأحاديث الروحية واستدل لما وصل إليه الناس من الاستعانة بالأرواح بما تنبأ به النبي صلى الله عليه وسلم لذلك ، إذ قال ما نصه (ربما أشارت النبوة من طرف خفي إلى بعض حوادث العصر الحاضر ، إذ جاء في السيرة الحلبية الجزء الأول صفحة ٢٠٦ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه بما فعله أهله » وشراك النعل أحد سيورها الذي يكون على وجهها وعذبة سوطه طرفه) إلى آخر ما ذكره في هذا الفصل ، وحسبنا ما ذكرناه توضيحا لآية الروح العظيمة وما بيناه عن استحضار الأرواح ، وأرجو أن يكون الناس من كل ما قدمناه على بصيرة، والله تعالى هو الموفق .

مصطفى محمد الحديدي الطير

اللحظات الأخيرة في الحياة

للدكتور محمد رجب البيومي

يقف الإنسان أمام العالم الأخروي كما يقف تجاه قصر مغلق قد أحكم رتاجه فهو يحاول أن يستشف ما وراء الباب مستعينا بما يصل إلى سمعه عنه من أنباء ، وما الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلا أقوى الدلائل المشيرة إلى مايتمثل فى عالم الغيب من أحداث ، وقد اعتاد كثير من الكتاب أن ينأوا بأقلامهم عن تحليل بعض الظواهر الغريبة التي تلق بعض الضوء على النواحى الخافية المشتبهة المسالك فيما بعد الحياة ، إذ يعدون كل مايقال فى تحليل ذلك رجما بالغيب ، ودعوى لم يقم عليها الدليل ، ولست مع هؤلاء فيما يصرفون عنه الحديث من المجالات المستترة ، إذ لكل كاتب أن يسرد ما يفيض به خاطره ، ولا عليه إذا جانب الصواب فى رأى غيره ، وحسبه أن كان صادقا مخلصا لما يقول .

وقبل أن ألج هذا المأزق الضيق ، أحب أن أشير إلى أن ماسأسطره من حديث غيبي لايعدم نصيرا آما من آيات الله وحديث الرسول ﷺ ، ولكني أدخر ذلك النصير إلى خاتمة المقال ، لنقف أمام الواقع المشاهد وجها لوجه دون أن تسيطر علينا فكرة دينية خاصة تجعل الدليل النقلى وحده صاحب الترجيح .

تواترت الأحاديث تواترا غريبا يدعو إلى الدهشة عن ظاهرة محيرة يلحظها كثيرون ممن يشاهدون بعض الموتى فى اللحظات الأخيرة ساعة الاحتضار ، إذ يسمعون هؤلاء المحتضرين يذكرون أسماء لبعض الموتى السابقين ، وكأنهم يرحبون بهم ويتساءلون عن أنبائهم ، وكثيرا ما يكون هؤلاء المذكورون من أقارب المحتضر أو أصدقائه من الراحلين ، وقد تكرر ذلك تكرارا جعل العامة يعتقدون أن المريض إذا ماه بذلك ، فقد دنت ساعته الأخيرة ولن يرجى شفاؤه إذ دخل فى مرحلة مابعد الحياة ، وما هؤلاء الذين يهتف بأسمائهم إلا أحبة أعزة هرعوا إلى استقباله وهو على عتبات العالم الآخر بعد أن عرفوا ساعة انتقاله !

تلك ظاهرة ملموسة مشاهدة، رآها المسلمون فى الشرق ولمسها الأوربيون فى الغرب، وقد ظهر عنها فى سنة ١٩٢٥ كتاب هام بقلم (وليم باريت) أحد كبار الباحثين الروحيين من الإنجليز وعضو الجمعية الملكية البريطانية، كما زامله فى الحديث عن هذه الظاهرة الغريبة العلامة الإيطالى (أرنست بوزانو) فى كتاب خاص أسماه (الظواهر الروحية فى ساعة الاحتضار) ومن المؤكد أن غير هذين العالمين الكبيرين قد تناول هذا الأمر بالتحليل فى شتى لغات العالم ممن لم أقف على مؤلفاتهم بعد، وكل ذلك يدعونا إلى أن نفكر كثيرا فيما نرى ونسمع! غير أن من الخطأ أن يعتقد بعض كتابنا فى الشرق أن أمثال هذه الخوارق المحيرة لا تقع تحت مجهر البحث، إذ لا يزالون يعدون عالم الغيب مما لا يقبل النقاش فى شتى صوره مهما لاحت ظواهره وتتالت مرائيه، وربما جرؤ كاتب جاد، كالأستاذ محمد فريد وجدى أو الشيخ طنطاوى جوهرى على الوقوف أمام هذه الغرائب موقف التحليل للملل فرمى بالغفلة والسذاجة! وعد حديثه لغطا أسطوريا يجذب العامة ويضحك الخاصة! مع أنه يتحدث عن أشياء ترى وتحس، وتأتى أنباؤها متواترة لاتقبل التشكيك، فهى والحالة إذن مما يدخل فى نطاق العلم وإن اشتبت إلى عالم الروح.

لقد اعتمد الأستاذ (وليم باريت) فى كتابه، على الدليل الاستقرائى، فكان يتصل بأكثر عدد يتاح له ممن يحضرون اللحظات الأخيرة للمحتضرين ثم يدون كل ما يقولونه غثا كان أو ثمينا محددا الزمان والمكان واصفا مسرح كل حالة بأضوائه وأشخاصه ومحتوياته، ومنتهيا إلى تسجيل الملاحظات الشخصية مع المقارنة بين الأقوال المتشابهة والوقائع المتقاربة، ولم يكتف بذلك بل لجأ إلى كبار الأطباء العاملين فى مستشفيات لندن طالبا تمكينه من رؤية من يحتضرون وقد يسر له ذلك أن يقتطف الأقوال من أصحابها، وأن يجد لتجاربه نطاقا أصدق وأوسع.

والتحليل العلمى الذى يتذرع به الباحثون إزاء هذه الظاهرة المحيرة يدور حول اختلال قوى المريض فى ساعاته الأخيرة وتوالى الذكريات القديمة على خاطره منثالة من عقله الباطن عن الموتى السابقين يحلم بها وكأنها أشياء محسوسة، وقد يقرب ذلك

التعليل لدى من يدعون أن المحتضر يعلم وشك نهايته ، وبعض تفكيره لا محالة يدور حول من يعرف من الراحلين ، فإذا هتف ببعض أسمائهم ، فاختلال قواه العقلية مما يجعله لا يميز بين حاضر وغائب ، إذ أن عقله الواعي في احتضاره قد ارتج ارتجاجا لا يوحي بالدقة والتركيز ، ولذلك أخذ يهذي بالأسماء الراحلة يتحدث عن أصحابها كأنهم شهد حضور .

هذا التعليل العلمي المقبول بادىء ذي بدء قد اصطدم بحالات خطيرة لا تجد فيه تفسيرها المعقول ، فقد أثبت الأستاذ (وليم باريت) كما أثبت الأستاذ (بوزانو) ظواهر غريبة ، لا يمكن أن تخضع إلى نظرية العقل الباطن ، كأن يهتف المحتضر باسم شخص ميت ويتعجب لوجوده بين الأموات إذ كان لا يعلم شيئاً عن موته ، ومن أمثلة ذلك ، أن أما كانت مريضة في المستشفى وطال مرضها حتى جاوزت العام وفي أثناء هذه المدة مات أحد أخواتها في حادث مفاجئ فلم يفاجئوها أن يخبروها بذلك كيلا يتضاعف مرضها بتأثير حالتها النفسية الحزينة ثم حانت ساعة احتضارها فكان من العجيب أن تنطق باسم أخيها الراحل وتسأل في دهشة : أأنت هنا ؟ متى رحلت ؟ وقد تكررت هذه الحالة لدى نفر غير قليل من المحتضرين ! بل إن أحدهم أخذ يوجه الكلام ساعة النزع إلى أقاربه عاتبا : لماذا لم تخبروني بأن فلانا قد مات ، وها هو ذا قد جاء ليرافقني ! وذلك يدل على أن المحتضر يفرق بين طائفتين من الناس يجتمعون حوله ، طائفة يعرف أنها من عالم الشهادة ، وطائفة يعرف أنها من عالم الغيب !

لو كانت هذه المحتضرة التي تحدثت عن أخيها دون أن تعلم وفاته ، تمثل حالة فردية لأمكن حملها على المصادفة ، إذ أن كلمة المصادفة هذه تسد لدى بعض الباحثين كثيراً من الثغرات فهي حبل الغريق الذي يحاول أن يتعلق به من داهمه الموج من كل مكان !

وقد تكون المصادفة طريقا منطقيا للتخلص السهل ، ولكن الذين يلجئون في استعمالها فيما يتكرر من الحوادث يفوتهم أنها تعجز عن الجواب الحاسم في الظواهر المتعددة ، وطبيعي أن ترفض رفضا حاسما عند الأستاذ (وليم باريت) وأضرابه ممن وقفوا على عشرات الحالات !

أما العلامة الإيطالي « أرنست بوزانو » فقد بدأ كتابه عن الظواهر الروحية في ساعة الاحتضار بمقدمة هامة أكد فيها شيوع هذه الظاهرة إلى حد أن التجربة العامية قد

استخرجت منها قاعدة عامة من قواعدها الكثيرة وهى أن كل فرد من أفراد الشعب يؤكد لك أن المريض إذا تكلم مع موتاه فلن يبقى أمل ما فى شفائه ثم لجأ إلى التعليل فقال[1] «إذا كان سبب هذه الظواهر هو تحول فكر المحتضر بشدة إلى الأشخاص العزيزين عليه فقد كان الأولى به بدل أن يتحول نحو الموتى حتى الذين كان قد نسيهم أن يتجه إلى رؤية أشباح الأحياء الذين هو مرتبط بهم بأشد روابط المحبة، وهذا لم يحدث قط ! » ثم أفاض الكاتب فى ذكر مشاهدات شخصية وأخرى منقولة عن كبار الأطباء لا تختلف فى نتائجها ومضمونها مع ما ذكره وليم باريت، إلا أنه احتاط فى مقدمته فقال «ويجب الاعتراف بأن لهذه الاعتبارات قيمة استدلالية عالية فى مصلحة التعليل الروحانى لهذه الحوادث ولو أن التدليل التجريبى على صحة هذا التعليل شاق جدا بسبب طبيعة هذه الحوادث نفسها » اهـ

وسنختار حادثة مما سجله « بوزانو » لأنها تضيف بعض الجديد لما ذكره وليم باريت، فقد نقل عن جريدة « اللانسيت » الإنجليزية بتوقيع الدكتور « جردث ماتصه»[1] «كان أحد مرضاى وهو مفتش سابق من مفتشى المالية يحتضر متأثرا بشدة فى الكبد، وكان أخى من أخلص أصدقائه وقد لزم سريره حتى مات ومعه صديق آخر من موظفى المالية، فما كان أشد دهشته حين رجاه المحتضر أن يوجه إليه أسئلة يختبر بها قواه العقلية، فانقاد لطلبه ووجه إليه أسئلة متنوعة فأجاب المحتضر عنها بدقة، وسأله عن صحة إجابته فرد عليه بالإيجاب فأسرع المحتضر يقول: إن السبب فى طلبى إليك أن توجه أسئلة هو أن أقنعك بأنى أملك جميع قواى العقلية وبأنى لست فى حالة هذيان، وإذا تقرر لديك هذا فأنا أصرح لك بأنى أرى فى هذه الحجرة إلى جانب زوجتى وجانبك أشباحا روحانية لا أعرف أصحابها وكأنهم حضروا إلى يستهدفون مقصدا أجهله ولا أعلمه، وأريد أن تعرف بأن العالم الروحانى ليس مجرد افتراض، ولكنه حقيقة. ثم لم يلبث أن أسلم الروح »

والجديد فى هذه الحادثة أن الأشباح الزائرة مجهولة لدى المحتضر وليست ممن يعلم، وأن الرجل فى لحظاته الأخيرة أراد أن يثبت لسامعه أنه يملك قواه العقلية،

---

[1] الترجمة هنا بتصرف يسير عن العلامة الأستاذ محمد فريد وجدى ـ مجلة المقتطف يونيو سنة ١٩٣٣

[1] الترجمة هنا بتصرف يسير عن العلامة الأستاذ محمد فريد وجدى ـ مجلة المقتطف يونيو سنة ١٩٣٣

فيجيب عن الأسئلة بانتباه ويقظة ، فلا يجوز أن يظن به الهذيان .

وفى ذلك رد على من يذهبون إلى أن القوى العقلية تنحط – دائما – بانحطاط القوى الجسمية ، وذلك ما لا نجزم الآن باطراده ، والعامة لدينا يعرفون تماما « ما يسمى عندهم بصحوة الموت » ، وهى لحظات يفيق فيها المريض من غيبوبته ، فيوصى ويتكلم فى هدوء واتزان ، ثم يستسلم إلى نهايته ، فلو كان انحطاط القوى العقلية يطرد دائما مع الضعف الجسمى ما كانت هذه الصحوة ! ومهما قيل عنها فهى ظاهرة أخرى تتطلب التعليل .

وقد تعدى الأستاذ (بوزانو) نطاق هذه الخارقة إلى خوارق أخرى يرى فى بعضها الأحياء الملازمون أطياف الموتى رأى العين ، كما يراهم المحتضر ! وذلك ما لا يندرج فى موضوعنا الآن ، وما لا نحب أن نفيض فيه قبل أن تشبعه البراهين ، ولكننا نلتفت بذلك كله إلى شيء له خطره العلمى وهو أن الظواهر الملموسة تصلح أن تكون دليلا عقليا يساند الأدلة السمعية من النصوص والآثار ، ولنضرب المثل لذلك بما رواه عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، قالت عائشة – أو قال غيرها – وإنا يا رسول الله لنكره للموت ، فقال صلى الله عليه وسلم ليس ذاك ، ولكن المؤمن إذا حضر الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حضر الموت بشر بعذاب الله فليس شيء أكره إليه مما أمامه ، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه » .

وهو حديث رواه البخارى ومسلم والنسائى والترمذى ، ولا يمتنع لدى أن يكون من وسائل البشارة لدى المسلمين نشاط أصدقائهم إلى لقائهم فى الساعات الأخيرة ، وإذا كنا نقرأ قول الله عز وجل « فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم » ، فإننا نفهم منه صراحة ما يلقاه الكافر فى احتضاره من عذاب أخروى يعاجله فى اللحظات الأخيرة من الحياة ، فهو حينئذ يتصل بالعالم الآخر

ولست أريد معاذ الله ، أن أفسر النصوص الدينية الكريمة على معان لا تعطيها إنما أريد أن أقول لمن ينكرون عالم الروح من الماديين أن الطريق أمامكم لا يستبين ؟

د . محمد رجب البيومى

من هدى السنة :

فضل الجهاد فى الإسلام

للدكتور محمد أبو شهبة

[روى الشيخان فى صحيحيهما عن أبى هريرة - واللفظ لمسلم - قال : قال رسول الله ﷺ : « تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا جهاداً فى سبيلى ، وإيماناً بى ، وتصديقاً برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة ، والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم ، لونه لون الدم ، وريحه مسك ، والذى نفس محمد بيده لو لا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبداً ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ، ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى ، والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل »] .

روى البخارى الحديث مفرقاً فى صحيحه فرواه فى كتاب الإيمان ، وفى كتاب الجهاد ، وفى كتاب فرض الخمس ، إلى قوله : « أو غنيمة » وأخرج آخره من رواية أخرى لأبى هريرة (كتاب الجهاد - باب تمنى الشهادة) ورواه مسلم فى صحيحه بهذا السياق التام فى باب فضل الجهاد والخروج فى سبيل الله من كتاب الجهاد والسير .

« الشرح والبيان »

« أبو هريرة » هو الصحابى الجليل عبد الرحمن بن صخر - على الأصح - الدوسى ، أسلم سنة سبع عقب خيبر ، وقد كان أشد الصحابة ملازمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه على ما يقيم صلبه ، ولم يشتغل بزراعة ، ولا بتجارة فمن ثم سمع ما لم يسمع غيره ، وحضر ما لم يحضر غيره ، فلا عجب أن كان من أكثر الصحابة

رواية عن النبي ﷺ ، وقد ساعده على ذلك تفرغه للعلم والرواية وقلة اشتغاله بالإمارة ، وتأخر وفاته مما أتاح له تبليغ أكبر قدر من الأحاديث التي سمعها من رسول الله ، أو ممن سمعها منه ، هذا إلى دعاء رسول الله ﷺ له بالحفظ وعدم النسيان كما ثبت في الصحيح وقد روى عن النبي وعن بعض الصحابة ، وروى عنه : الكثيرون من الصحابة والتابعين ، حتى قال البخاري : روى عنه نحو من ثمانمائة رجل أو أكثر ، وكان ابن عمر يترحم عليه في جنازته ويقول : كان يحفظ على المسلمين حديث النبي رواه ابن سعد وقال الإمام الشافعي : أبو هريرة أحفظ من ذوى الحديث في دهره .

وقد تعرض هذا الصحابي لسهام النقد الطائشة قديما من الزنادقة وأرقاء الدين ، وحديثا من المستشرقين وأبواقهم ، وقد قيض الله سبحانه وتعالى من العلماء العارفين بأقدار الصحابة . من دافع عنه ورد كيد الطاعنين في نحـــرهم ، فرضى الله عنه وأرضاه .

« تضمن الله لمن خـــرج في سبيله » وفي رواية لمسلم أخرى بلفظ « تكفل الله » وفي رواية للبخاري « انتدب الله » وفي رواية أخرى له « توكل » وكلها بمعنى ، أى تكفل بذلك وضمن وقيل : انتدب بمعنى أجاب ، وقيل بمعنى سارع بثوابه وحسن ثوابه ، والمعنى متقارب ، والمراد تحقيق الوعد الذي ذكره الله في قوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ، وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعــدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن .. » وقــد عبر النبي ﷺ عن تفضل الله بالثواب بلفظ الضمان ونحوه على طريقة العرب في الخطاب ، كي يكونوا على درجة من اليقين والاطمئنان « لمن خرج في سبيله » أى لمن خرج مجاهدا فإن سبيل الله إذا أطلق ينصرف إلى الجهاد الذي هو من أعظم فروض الإسلام .

« لا يخرجه إلا جهادا في سبيلى ، وإيمانا بى ، وتصديقا برسلى » .

قد جاءت جميع الروايات في نسخ صحيح مسلم على النصب وخرجه الإمام النووي ــ رحمه الله ــ على أنه منصوب على المفعول لأجله ، وتقديره : لا يخرجه المخرج ويحركه المحرك إلا للجهاد ، والإيمان ، والتصديق ، وفي بعض روايات مسلم قال :

« تكفل الله لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه من بيته إلا جهاد فى سبيله ، وتصديق كلمه .. »

وكذلك جاءت رواية البخارى بالرفع « لا يخرجه إلا إيمان بى ، وتصديق برسلى .. »

وتوجيهها ظاهر فهى فاعل على أن الاستثناء مفرغ ، وفى قوله : « إيمان بى . » التفات من الغيبة إلى الخطاب ، وهو أسلوب من الأساليب العربية تنبه الذهن ، وتوقظ الفكر ، ويجوز أن يكون مقولا لقول محذوف على أنه حال : أى قائلا : لا يخرجه إلا إيمان بى .. ومعنى الفقرات الثلاث أنه لا يحمله على الخروج فى الجهاد إلا إعلاء كلمة الله وكلمة الحق ، والدفاع عن دينه ، وإلا الإيمان بالله وصفاته ، وأن وعده بالجنة حق لا يتخلف ، والتصديق برسل الله ، بما جاءوا به من الوعد على الجهاد ، والاستشهاد فى سبيله ، والوعيد على النكوص والقعود عن الجهاد ، وما ضربوه من مثل عليا فى باب الجهاد والاستشهاد .

« فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة » أرجعه : بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الجيم مضارع رجع ، وهو منصوب عطفا على أدخله ، ورجع يتعدى بنفسه فى اللغة الفصحى ، وعلى هذا جاء أفصح الكلام قال تعالى : « فإن رجعك الله .. » وهذيل تعديه بالألف ، وقد جاء الحديث على اللغة الغالبة الفصحى ، وقد أكد الوعد بالجنة بقوله أيضا : « على » و « ضامن » وضامن بمعنى مضمون كدافق بمعنى مدفوق .

والمجاهد فى سبيل الله لا يخلو حاله من أمور ثلاثة : إما أن يستشهد فى سبيل الله وهذا أعلى الدرجات وأسماها ، وقد تكفل الله للشهيد بالجنة ، وإما ألا يستشهد ، وهو بين أمرين : إما أن يرجع بأجر عظيم من غير غنيمة ، وإما أن يرجع بغنيمة ومعها أجر إلا أنه أقل من أجر من لم يغنم وقد استوفى الحديث الأحوال الثلاثة ، وهى كلها خير وفوز وغنم ، فالمجاهد أيا كان حاله فقد حظى بالحسنى ، ولقد لقن الله سبحانه عباده المجاهدين أن يقولوا للكافرين هذا القول : « قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين » وهما إما الموت والشهادة فى سبيل الله ، وإما النصر والغلب وقد يكون النصر معه غنيمة ، وقد لا يكون « ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله

بعذاب من عنده أو بأيدينا » فالكفار إن انتصروا فى الدنيا فلن يفلتوا من عذاب الله ، وإن انهزموا فقد عذبوا بأيدى المؤمنين المجاهدين عذابا عاجلا ، وادخر لهم العذاب الآجل يوم القيامة فكلا حاليهم غرم وخسر و «أو» فى قوله : « أو غنيمة » للتنويع على ما شرحنا أى مع أجر خالص إن لم يغنم شيئا ، أو مع غنيمة معها أجر ، وكأنه سكت عن الأجر الثانى الذى مع الغنيمة لنقصه بالنسبة إلى الأجر الذى بلا غنيمة ، وقيل : «أو» بمعنى الواو ، والأول هو الأحسن فى فهم الحديث وبما هو مقرر فى الإسلام أن أجر من لم يغنم أعظم بكثير من أجر من غنم ، فقد روى مسلم فى صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال : « ما من غازية تغزو فى سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثى أجرهم من الآخرة : ويبقى لهم الثلث ، فإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم » وهذا يدل على أن الجهاد الغرض منه إعلاء كلمة الله ، ونشر الدين الحق : دين الإسلام .

وبحسبنا هذا الحديث فى الرد على أعداء الإسلام الذين تجنوا على الحقيقة وعلى التاريخ حينما زعموا — فيما كتبوا وألفوا — أن الحامل للمسلمين الأوائل على الفتوحات السلب والنهب ، وإشباع بطونهم الجائعة ، وهذا الحديث يعتبر شجا فى حلوقهم ، وليس هنا مقام الرد على هذا التجنى الأثيم « والذى نفس محمد بيده ما من كلم يُكلَم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم ، اللون لون الدم والريح ريح مسك » .

فى رواية البخارى « والذى نفسى بيده ... » والمعنى واحد والمقسم به الله تبارك وتعالى :

الكلم : بفتح الكاف وسكون اللام الجرح ، ويكلم يعنى يجرح ، وفى بعض الروايات فى البخارى ومسلم زيادة « والله أعلم بمن يكلم فى سبيله » وهى جملة معترضة قصد بها التنبيه على أن الإخلاص لله شرط فى نيل هذا الثواب وقد اشتمل هذا الحديث على فضيلة ومنقبة للشهداء ، حيث يأتون يوم القيامة على هذه السمة المشرفة ، والحكمة فى مجىء الشهيد يوم

القيامة على هـذه الهيئة أن يكون معه شاهد صادق على فضله ، وتضحيته وبذله نفسه فى طاعة الله عز وجل ، وأى شاهد أصدق من الدماء ؟

وفى بعض الروايات : والعرف عرف المسك ، والعرف - بفتح العين وسكون الراء - الريح فالروايتان بمعنى واحد « والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله ... » .

وفى بعض الروايات لولا أن أشق على المسلمين . وخلاف : أى خلف يعنى لم يخرج معهم ، والسرية : القطعة من الجيش ، وقد بين النبى ﷺ المشقة المذكورة بقوله ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة من ظهر ونفقة فيشق عليهم أن يتخلفوا عنى ، وقد دل الحديث على ما كان عليه ﷺ من الشفقة والرحمة بالمسلمين ، والرفق بهم ، حتى لقد كان يترك بعض ما يحب رفقا بهم ، وقد بلغ حب الجهاد فى سبيل الله ، وإعلاء كلمته أن جاء نفر من المسلمين فى غزوة تبوك ليوفر لهم الظهر والنفقة ، وكان الوقت وقت جهد ومشقة فاعتذر لهم النبى ﷺ فما كان منهم إلا أن تولوا وقلوبهم تتفطر أسى ، وعيونهم تفيض من الدمع حزنا على ما فاتهم من شرف الجهاد ، وحب الاستشهاد وقد سجل الله لهم هذا الموقف الكريم فى قوله : « ليس على الضعفاء ، ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت : لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون »[1] .

ثم بين النبى ﷺ منزلة المجاهدين المستشهدين فى سبيل الله فقال : « والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » فانظر - أيها القارئ - كيف أكد ذلك الشىء المحبوب له بالقسم ، ثم بالتكرار ثلاثا ، ثم بتمنى الشهادة لنفسه مع أنه ﷺ كان يعلم أنه معصوم من الناس لقوله سبحانه : « والله يعصمك من الناس[2] » وهذه غاية المبالغة فى بيان فضل الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله ، وتحريض المسلمين عليهما ،

---

(١) التوبة ٩١ ، ٩٢ .

(٢) المائدة ٦٧ .

فن ذا الذى ينكص عن الجهاد بعد هذا البيان ؟ !

« وبعد » فقد أسرف أعداء الله ، وأعداء الإسلام اليهود الصهاينة ، فى سفك الدماء ، وانتهاك الأعراض ، واغتصاب الأموال ، والاستهتار بالقيم الدينية والخلقية ، ودنسوا الأماكن المقدسة بالقدس ، وحرقوا المسجد الأقصى أولى القبلتين ، وثالث المسجدين وبذلك حق الجهاد ، وحق الفداء والتضحية ، وأصبح الجهاد أمراً مشروعاً مفروضاً ، ونحن معاشر المسلمين لا نشكو من قلة فى الرجال ، ولا فى السلاح ولا فى الموارد ، وإنما ينقصنا جمع الكلمة وأن نعزم الأمر ومتى يجىء ذلك اليوم الذى نرى فيه كتائب المسلمين يسيل بها البر والبحر والجو لتعيد الأرض المغتصبة إلى أهلها ، وتعيد بيت المقدس إلى أهله ، إنا لنرجو أن يكون ذلك اليوم قريباً إن شاء الله ؟

د محمد أبو شهبة

عداوة اليهود للمسلمين قديمة

قال الله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » . (المائدة ٨٢)

« قرآن كريم »

أمير المؤمنين في الحديث

لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

— ٣ —

المحدث الفقيه

قال شعبة وابن معين وجماعة : سفيان أمير المؤمنين في الحديث ، ويقول يحيى ابن يمان : ما رأيت مثل سفيان ، ولا رأى سفيان مثله . كان سفيان في الحديث أمير المؤمنين ، ومما يفسر هذه الإمارة أن يحيى بن يمان قال : كتبت عن سفيان عشرين ألفا ، وأخبرني الأشجعي أنه كتب عن سفيان ثلاثين ألفا وسمعت سفيان يقول : ما أحدث من كل عشرة بواحد ، أي أن سفيان كان يحدث بأقل من عشر ما يحفظ .

ويتحدث ابن المبارك فيما يروى عبد الرازق عن استفاضة سفيان في العلم وعن سعة دائرته في فنونه ولاسيما الحديث فيقول : أقعد إلى سفيان فيحدث فأقول ما بقي من علمه شيء إلا وقد سمعته ثم أقعد مجلسا آخر فأقول : ما سمعت من علمه شيئا .

ومن أجل هذه الاستفاضة التي شاهدها ابن المبارك كان يقول : لا أعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان ، ويقول ابن المبارك أيضا : كتبت عن ألف ومائة شيخ ومافيهم أفضل من سفيان .

ولا يكاد ابن المبارك يمل الحديث عن سفيان ، إنه يقول أيضا : ما رأيت مثل سفيان كأنه خلق لهذا الشأن ، وقال أيضا : « كنت إذا أعياني الشيء أتيت سفيان أسأله فكأنما أغترف من بحر » ، وكان سفيان يفتن كل من يتصل به عن مشاهدة أو عن دراسة لتاريخه وسيرته ، كان يبهره بعلمه وكان يبهره بحفظه للحديث وكان يبهره بصلاحه وتقواه وكان يبهره

بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وكان يبهره بصفة نفسه عن كل ما فيه شبهة ؛ يتحدث عنه وكيع فيقول : كان بحرا ، ويتحدث عنه الإمام حماد فيقول : لم يتقدمه فى قلبى أحد ، ويعجب الإمام أحمد بن حنبل من سفيان أنه كان إذا قيل له : إنه رؤى فى المنام قال : أنا أعرف بنفسى من أصحاب المنامات .

ويقول أبو أسامة فيما يروى ابن الجوزى : من أخبرك أنه رأى بعينيه مثل سفيان فلا تصدقه .

وإذا كانت المقادير قد هيأت سفيان للعلم على وجه العموم فإنها هيأته على الخصوص ليكون محدثا ، وذلك بسبب هذه الذاكرة التى كانت من القوة بحيث لا يند عنها شىء ؛ يحدث يحيى بن يمان فيقول : سمعت سفيان الثورى يقول : ما استودعت أذنى شيئا قط إلا حفظته حتى إنى أمر بكذا - كلمة قالها - فأسد أذنى مخافة أن أحفظ ما يقول .

ووثق الناس بسفيان الثورى فى الحديث لصفات تحلى بها ، لقد وثقوا به فى الحديث لأنه لم يكن يريد به إلا وجه الله والدار الآخرة .

لقد حدث محمد بن يوسف الفريابى قال : سمعت الثورى يقول : ما من عمل أفضل من طلب الحديث إذا صحت النية فيه . قال أحمد : قلت للفريابى : وأى شىء النية ؟ قال : تريد به وجه الله والدار الآخرة ، ولقد كان سفيان معنيا عناية فائقة بمسألة النية الخالصة . إنه يقول : لو أنى أعلم أن أحدا يطلب الحديث بنية لأتيته فى منزله حتى أحدثه . وكان بسفيان هيام بالحديث ، لقد كان محبا ، لقد كان عاشقا .

يصف شيئا من ذلك عبد الرحمن بن مهدى فيقول : كنا نكون عند سفيان الثورى فكأنه قد أوقف للحساب فلا نجترئ أن نكلمه فنعرض بذكر الحديث فيذهب ذلك الخشوع فإنما هو : حدثنا ، وحدثنا .

ويقول سفيان : ينبغى للرجل أن يكره ولده على طلب الحديث فإنه مسئول عنه ، وينصح الناس قائلا : أكثروا من الأحاديث فإنها سلاح ، ويتجه إلى الشباب الذى كان دائما ينتظره بالقرب من بيته فيقول لهم :

يا معشر الشباب تعجلوا بركة هـذا العلم فإنكم لا تدرون ، لعلكم لا تبلغون ما تؤملون منـه ليفد بعضكم بعضا .

ويتبين الإنسان مدى حب سفيان للحديث مما حدث به يحيى بن يمان قال : سمعت سفيان يقول : لو لم يأتنى أصحاب الحديث لأتيتهم فى بيوتهم .

وكما كان سفيان معنيا بإذاعة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان معنيا بطلاب الحديث أنفسهم ، فقد كان ينصح طلاب الحديث دائما بأن يبدأوا بتعلم الأدب وأن يتعبدوا حتى إذا استقام بهم الطريق فى الأدب والعبادة أملى عليهم الحـديث .

يحدث أبو عاصم كما يروى صاحب الحلية أنه سمع سفيان الثورى يقول : « كان الرجل إذا أراد أن يكتب الحديث تأدب وتعبد قبل ذلك ، ويتحدث الثورى عن صاحب الحديث من ناحية المعيشة فيقول : يعجبنى أن يكون صاحب الحديث مكتفيا ، فإن الآفات إليهم أسرع وألسنة النـاس عليهم أسرع ؛ ويتحدث عن أصحاب الحـديث من حيث الأمانة فى النقل : روى عبد الله بن عبد الرحمن قال : قال سفيان الثورى : من كذب سقط حديثه . قال وسمعته يقول : قال وكيع : هـذه بضاعة لا يرتفع فيها إلا صادق .

ولما تحلى به سفيان من صفات تتناسب مع حامل الحديث قدره الناس فى صورة كريمة حقا ويعبر عن ذلك ما قاله عبد الله بن داود الخريبى : ما رأيت عدنا أفضل من سفيان الثورى ؛ ويقول أبو بكر بن عياش : إنى لأرى الرجل يحدث عن سفيان فيتبل فى عينى ومن أطرف ما يروى فى ذلك أن يحيى بن سعيد قال : ما كتبت عن سفيان عن الأعمش أحب إلى مما سمعت من الأعمش .

ولقد وازن كثير من الناس بين سفيان وغيره ونقتصر هنا من هذه الموازنات على ما حدث به إسحاق بن راهويه قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدى ذكر سفيان وشعبة ومالكا وابن المبارك فقال : أعلمهم بالعلم سفيان ، وقال إسحق : وقال يحيى بن سعيد كان سفيان أبصر بالرجال من شعبة ؛ ومن طريف الآراء فى الثقة بسفيان عدنا ما يقوله يحيى بن سعيد : ليس أحد أحب إلى من شعبة ولا يعدله أحـد عندى وإذا خالفه سفيان أخذت بقـــول سفيان

وفى يوم من الأيام ذكر شعبة حديثا عن إسحق فقال رجل : إن سفيان خالفك فيه فقال شعبة : دعوه سفيان أحفظ منى ؛ وشعبة يقول فى صراحة الرجل الصادق : إذا خالفنى سفيان فى الحديث فالحديث حديثه ؛ يقول أبو نعيم : للإمام أبى عبدالله سفيان بن سعيد عن مسانيد الحديث ما لا يضبط كثرة سبق إلى جمع بعض حديثه الماضون من أسلافنا وعلمائهم .

هذا ما كان عن سفيان محدثا . أما سفيان الفقيه فإنه اتخذ الخطة المثلى للفقيه وهى أن يكون محدثا قبل أن يكون فقيها ؛ والواقع أن هذا الفصل الذى نلاحظه الآن بين الفقيه والمحدث فصل مصطنع وهو فصل فيه انحراف ؛ فالحديث الشريف هو من الضرورة بحيث يعتبر أساسا لا بد منه للفقيه . وكما أنه لابد للبيت من أساس فإنه لا بد للفقيه من الحديث ؛ لقد كان سفيان الثورى محدثا قبل أن يكون فقيها ومن أجل ذلك فإنه كان فقيها موفقا : ذلك أنه يشيع فى فقهه دائما عبير النبوة ممثلا فى الأحاديث التى تكون أركان فقهه ؛ وعن سفيان الفقيه يقول زائدة : كان سفيان أفقه الناس ؛ ويحدث الفريابى فيقول : سمعت سفيان الثورى يقول : ما سألت أباحنيفة عن شيء قط وربما لقينى فسألنى ؛ ومن آراء الثورى عن صلة الفقه بالآثار قوله :

« تعلموا هذه الآثار فمن قال برأيه فقل رأيى مثل رأيك » . ومن طريف آراء الثورى فى الفقيه ما رواه ابن المبارك . سمعت سفيان الثورى يقول : ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة ؛ ويقول عبد الرحمن بن مهدى عن الفقهاء : أئمة الناس فى زمانهم أربعة : سفيان الثورى بالكوفة ، ومالك بالحجاز ، والأوزاعى بالشام ، وحماد بن زيد بالبصرة ولقد علم سفيان الناس سعة الصدر فى الافتاء؛ فقد كان يقول : إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذى قد اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه ؛ وسفيان فى ذلك حكيم كل الحكمة فإن الذى يحجر واسعا لا يتمشى مع سماحة الإسلام ؟

د . عبد الحليم محمود

دور الإسلام في مشكلة التربية والثقافة
بين استقرار المبادئ وتطور العلم
للدكتور محمد غلاب

— ٣ —

لا ريب أن الحروب الأخيرة وما نشأ عنها أو بسببها من انقلابات رائعة ومريعة في العلوم الطبيعية والكيميائية قد تضافرت على إحداث ثورات عالمية في الأفكار والظواهر والأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لا تزال تتعاقب تحت أبصارنا وأسماعنا في صور مذهلة ، وكان من النتائج المباشرة لتلك الانقلابات أن جعلت المدنية المادية تغير مقرها ، وطمحت نيويورك وموسكو إلى أن تحل محل باريس ولندن ، وأن تنفردا دونهما بالصدارة والامتياز ، وفوق ذلك فإن هناك شعوباً كانت إلى الأمس القريب تغط في نوم عميق ، وتترنح في خمول مرهق غمسها فيهما الاستعمار البغيض ، بدأت تستيقظ في نشاط وحيوية يتناسبان مع طفرات عصر الوثوب والانطلاق ، وهكذا لم تلبث أن شاهدنا تلك الشعوب تنزلق إلى مسرح الحياة العالمية ، وتلعب عليه أدواراً خطيرة في الجوانب المتباينة الصور والألوان كالهند والشعوب العربية التي حطمت نير الاستعمار ، ونفضت عن كواهلها غباره إلى الأبد ، ومن هذا يتبين أن سنن الطبيعة تقتضي أن توجد على هذا الكوكب انقلابات متوالية تنتج في كل موضع منه تحولات أساسية في التفكيرات والتصورات التقليدية ، وأن المدنية الغربية التي كانت إلى عهد جد قريب تشغل الصف الأول من عقول الناس وقلوبهم ، قد أصبحت اليوم تشعل لهيب معارك طاحنة لكي تحتفظ لنفسها بتلك الصدارة العالمية لأنها تشعر الآن بأنها مهددة بالفناء والزوال ، ونحن لكي نجزم بما إذا كانت هذه المدنية الغربية تستحق البقاء أو الفناء ، ينبغي أن نقف عند تاريخها وقفة عاجلة نتبين من خلالها القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تحتويها ، وقد أردنا أن نستأنس هنا في تعريف تلك المدنية بنص الكاتب الفرنسي الكبير «سيجفريد» الذي نشره في مجلة «التبادل»

العالمية فى نوفمبر سنة ١٩٤٥ إذ قال :

« تتألف هذه المدنية من ثلاثة أسس أولها : إدراك المعرفة ، وهو آت عن طريق الإغريق ، وثانيها : إدراك الفرد ، وهو آت كذلك عن الإغريق فى بعض جوانبه . أما بقية تلك الجوانب فنبثقة عن تعاليم الدين ، وثالثها : الاصطلاحات الخاصة الضرورية للإنتاج والنابعة من الثورات العلمية والصناعية التى اندلع لهيبها فى القرن الثامن عشر ، والتى خلقت من الإنسان الغربى إذ ذاك سيداً لكوكب الأرض بلا منازع .. فطالما أن هذه الأسس الثلاثة تظل مجتمعة ، تكون المدنية الغربية موجودة ، بل كاملة ، ولكن عندما يلحقها التشوه ، فإن شمس حياتها تؤذن بالغروب .

مما لا ريب فيه أن هذا التعريف جدير بالعناية لأنه يسمح لنا بأن نضع أيدينا على مواطن التشوه التى خضعت لها المدنية الغربية فى العصر الراهن ، إذ أن الأساسين الأول والثانى يبدوان فى صورة شاحبة تنم عن الاحتضار ، بينما أن الثالث ــ وهو العلوم المادية ــ قد خضع لتطورات عملاقية مفزعة توشك أن تكتم أنفاس السببين السابقين وأن تخلع على المدنية الغربية مظهر العصر الراهن أو المادية المطلقة ، والسر فى ذلك هو أنه يصعب الآن على العلماء الغربيين ــ دون نفاق ــ أن يحتفظوا فى إدراكهم للفرد بالصلة بين تعاليم الأديان والنظريات المادية الحديثة . أما المعرفة العقلية المنحدرة من الفكر الإغريقى فإن كثيراً من النظريات الفلسفية الحديثة تنبذها باحتقار وازدراء ، وهنا نستطيع أن نجزم فى غير مواربة بأن فلاسفة الإسلام هم وحدهم الذين استطاعوا أن يستخلصوا من الإنتاج الإغريقى كل ما اشتمل عليه من منطق قويم سليم وتعقل حصيف فى إدراك الكون العام .

ونحن إذا أردنا أن نتحقق من هول ذلك الانحدار المتواصل ، فليس علينا إلا أن نستمع لتلك الصرخة المفزعة الآتية من لدن المتعقلين الأذكياء من مفكرى الغرب الذين أحسوا بخطر الكارثة قبل غيرهم من المندفعين فى ذلك التيار المادى الأهوج الذى سينتهى إلى الدمار إذا لم يتدارك المهيمنون على شؤون الثقافة هذه الحالة الأسيفة ، متخذين من مبادىء الإسلام الفطرية مصابيح هدايتهم وإرشادهم ، وهاك نموذجا من تلك الصرخات المنذرة بالويل والثبور .

يقول « باستور فاليرى رادو » فى كتابه « أفكار عن المدنية » ما يلى :

« إن مدنية الغرب تتجه اليوم إلى أن تمنح التطبيقات العملية الصدارة على الفكر النقية ، فالآلات الميكانيكية هى صاحبة السلطان ، إذ أنها لا تحول الحياة المادية فحسب ، بل هى تقتاد الحياة العقلية أيضاً ، والباحثون لم يعد لهم مهماز يدفعهم سوى استكشاف آلات جديدة ليستغلوها ، فتغير العلم والصناعة والحياة اليومية » .

وإذا أنعمنا النظر فى نصوص الفيلسوف الفرنسى الروحى « جاك ماريتان » الواردة فى كتابه « درجات للمعرفة » ألفيناها أصرح وأشد قسوة فى الحق ، إذ هو يلاحظ بديا كيف أن العقل الحديث قد استولى عليه ميل خفى إلى المادة التى لا يعمل إلا فيها وحدها والتى يستحوذ عليها بوساطة غزو جزئى هو دائماً مؤقت ، ثم يضيف إلى ما تقدم قوله :

« غير أن هذا العقل الحديث قد ضعف ضعفاً أسيفاً وأصبح أعزل بإزاء الموضوعات التى هى من اختصاصه والتى هو يتخلى عنها وضاعة ، إنه صار غير قادر على فهم قيم عالم اليقينيات العقلية ، يبدو أن زماننا قد وضع من الفلك فى منزلة الفرقة بين الجسم والروح ، ومن الواضح أن مرور البشرية تحت نظام المال والميكانيكية يسجل مادية مطردة للعقل وللعالم » .

وإذن فنمو هذا التقدم المزعج للعلم التجريبى والميكانيكية على حساب الثقافة الرفيعة هو علامة تشويه تلك المدنية فوق أنه إنذار صريح بانهيارها العاجل .

إن عقيدة عصمة العلم التجريبى والإيمان بأنه هو للنبع اليقينى الوحيد للمعرفة البشرية قد نمتا فى القرن الثامن عشر ، وتلألأ فى القرن التاسع عشر ، وكان من النتائج الحتمية لهذا الإزدهار أن نبذ العلماء التجريبيون ، جميع المعارف الدينية والميتافيزيقية ما دام أنها لا تصلح لتغذية تلك المعرفة المادية .

وما أكثر العلماء الذين آمنوا فى ذلك العهد بأن العلم التجريبى سيصل وحده إلى شرح أسرار الكون وعلى الأخص سر تأليف المادة وليس هذا فحسب ، فصاروا — كما يقول المثل الفرنسى — « يبيعون جلد الدب قبل اصطياده » ، أى جعلوا يطالبون بحقوق الانتصار قبل حدوثه إلى درجة أنهم أثروا ردحا من الزمن فى الجماهير

الجاهلة سريعة التصديق وقيدوا آراء السواد الأعظم فى تلك الحقبة بالانحباس فى نطاق ضيق ، مجاله نبذ كل ما ليس متحيزا ولا ماديا ، وبالتالى التخلص من الميتافيزيقا ، وهو يستلزم التخلص من الدين لأن أسمى قمم الميتافيزيقا هى الألوهية العقلية .

ومما لا سبيل إلى الشك فيه أن آمال علماء القرن التاسع عشر المفعمة بالطموح إلى الإغراق فى المادية البغيضة قد جعلت فى العصر الراهن تتطوح شيئاً فشيئاً لاسيما آمال الطبيعيين المنحصرين فى محيط المادة .

وقبل أن نودع تلك العقلية المادية الراحلة ترافقها عقيدتها الزائفة ، وأن نستقبل العقلية الطبيعية الجديدة كما تطلق على نفسها نود أن نقف هنيهة أمام أنصاف المتعلمين من مواطنينا الذين هم — مع الأسف الشديد — مكلفون بتعليم الشباب الساذج يقذفون إلى قلوبهم وعقولهم بآراء لم تعد تستمتع بالحياة إلا بين دهماء الجماهير ، فنهمس فى آذانهم سائلين : كيف شاءت لهم كرامتهم أن يتيهوا عجبا ومباهاة بارتداء المرقعات التى نبذها أصحابها احتقارا لها وترفعا عنها منذ زمن بعيد ؟

والآن نعود إلى آراء بعض العلماء المعاصرين عن علم الطبيعة الجديد الذى لا يطمن على الميتافيزيقا ، بل يتركها تسير فى طريقها حرة إلى حقولها الخاصة التى يعتبرها مباينة لحقوله إلى درجة تجعل تعرضه لها ضربا من المشاكسة المؤسسة على الجهل لاشتمالها على الخلط بين طبائع الأشياء ، وبالتالى بين معايير الموجودات نعود إلى آراء أولئك العلماء المعاصرين الحقيقيين ، فنسجل أن العالم الإنجليزى الشهير «ايدنجتون» يقرر فى كتابه : «طبيعة العالم المادى» الذى ظهر فى سنة ١٩٢٩ ما يلى :

« نحن نفهم اليوم أن العلم ليس لديه ما يقوله عن طبيعة الجوهر الأساسى للذرة أكثر من أنه — ككل شىء فى الطبيعة — عبارة عن سلسلة من أقيسة الكميات ، وأن البحوث العلمية لا تنتهى إلى معرفة جواهر الأشياء وأن العالم الظاهرى الذى هو محيط علم الطبيعة قد صار عالما من الظلال »

وكذلك يقول العالم الطبيعى «ماريسون» فى مقال نشرته له مجلة « الشهر » الصادرة فى يونيو سنة ١٩٣١ تحت عنوان « العالم الطبيعى والكائن الواقعى » ما يلى :

« إن العالم المعاصر لا يستطيع أن يعين جوهر الكائن الواقعى ، بل إن هذا نفسه

هو الذى يميز خطته من خطط سلفه فى القرن التاسع عشر كما يميزها بصورة أوضح من خطة عالم العصور الوسيطة ، إذ أن العالم المعاصر لم يعد يجزم بأنه يستطيع أن يفهم جوهر الكائن الواقعى الذى يبدو له على العكس كأنه محوط بسر عميق » .

من هذه النصوص يتبين تواضع العلماء الحقيقيين ، ومعرفتهم قدر أنفسهم ، واعترافهم بأن العلم التجريبى عاجز كل العجز عن كشف أسرار الكون وخفايا الوجود كما يتبين أن الذين يتباهون عندنا بالطعن على الميتافيزيقا ، هم متأخرون حتى فى جهلهم ، ومضحكون حتى فى تقليدهم ، وإنه يجب على الدولة أن تحمى الشباب من هذه الآراء الزائفة الضالة التى لا تكاد عقولهم الناشئة تتلقاها منهم حتى تتلقفها .

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلبا خاليــا فتمكنا

وينبغى أن يستقر فى أذهان ذلك الشباب البرىء ما توصل إليه أحذق علماء الطبيعة فى عصرنا الراهن ، وهو أن العلم المادى التجريبى غير قادر البتة على إرضاء العقل الذى لا يزال يجذبه الطموح إلى ما هو أرفع من واقعه الذى يعيش فيه ، ولا يزال يغريه بأسئلة أدخل فى باب السمو من الظواهر الخارجية ، وأقدر على جذبه للتواصل إلى عالم المعقولات النقية التى أولى وظائف العقل الأساسية هى إدراكها بوساطة المنطق الذى هو أحد الطرق الطبيعية لفهم المبادىء التى أتت بها الأديان ولا سيما الإسلام ، لأن القرآن قد اشتمل على عدة مناهج متنوعة لفهم أسرار اختص كل فريق من البشرية بمنهج منها يلتئم مع عقليته ورقيه « وكل ميسر لما خلق له » .

فالقرآن يخاطب أكثر الناس سذاجة كما يخاطب أرق الناس فكراً بقوله : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت » آيات ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ من سورة الغاشية .

وبقوله : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد

رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » آيات ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ من سورة ق .

ثم بقوله : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء ، وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ، فبأى حديث بعده يؤمنون » آية ١٨٥ من سورة الأعراف .

ثم بقوله : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » آية ٢١ من سورة الذاريات .

ثم بقوله : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » آية ٥٣ من سورة فصلت .

وتلك هى الوسائل التى لم يتعد دوائرها جميع المفكرين والفلاسفة والنساك كـ « أنا كساغوارس ، وسقراط ، والفارابى ، وابن سينا ، وديكارت » . واختتمها ابن سينا الناسك بقوله : « إن البارى هو برهان القريب والبعيد » « أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » ؟

ومهما يكن من الأمر فإن جميع الذين يسلكون تلك المناهج المختلفة يلتقون عند غاية واحدة مع الفريق الذى أرشده الوحى وحده ، وهذا معناه أن الوسائل متعددة والغاية واحدة ، وقد تنبه فلاسفة الإسلام من قبل إلى هذه الحقيقة الخالدة التى لا مشاحة فيها ولا نزاع ، فرمز إليها الفيلسوف الأندلسى المسلم ابن طفيل فى قصته الفلسفية « حى ابن يقظان » إذ انتهى المؤلف إلى تسجيل أتم وئام بين بطل قصته الذى نشأ فى الجبال دون أن يسمع للدين بخبر ، أو أن يقف منه على أثر ، وصاحبه الذى لم يسترشد إلا بهدى الوحى وحده فانتهيا كلاهما إلى الاستظلال براية القرآن والاهتـــداء بأشعته المتشعبة الجوانب والمنبثقة من المصدر الأحد الذى « هو مانح كل حق وجوده » والمنتهية إلى الغاية العليا .

من هذا يتبين أن منهج القرآن هو أن اختلاف الوسائل لا يحول ألبتة دون الوصول إلى الهدف المرموق وهو منهج الفطرة التى تفرد به ، فرسم لكل درجة من العقليات الوسيلة التى تلائمها ، وأبان للإنسانية جماء مناهج متعددة تهتدى بوساطتها إلى الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذى هو واضح لكل من لم ينحرف عن الصراط السوى . « فطرة الله التى فطر الناس عليها » .

وإذا كان لنا أن نعلق بشيء على كل ما تقدم فإننا لا نتوانى فى أن نعلن أن شبابنا ستقذف به الظروف الراهنة والمقبلة فى تيارات الأحداث العنيفة التى لا تكفى لقهرها أو حتى لمقاومتها العضلات المادية ، بل التى لن تكون الوسائل العقلية غير زائدة على مايلزم لهذا الشباب فى تحقيق الانتصار أو الصمود فى المعركة التى يتحدد فيها مستقبل الوطن العربى كله .

ومن ثم فإننا نعتبر مشكلة التعليم والثقافة أولى المشاكل التى تواجهنا الآن ما دام أن التعليم هو الجانب الذى توكل إليه العناية بتنمية الملكات العقلية ، والإرشاد إلى كشف الوسائل الروحية ، والتغلغل إلى إدراك القيم الرفيعة . وهذا الشعور بأهمية مشكلة التعليم والثقافة يوحى إلينا ببعض الفكر المتواضعة التى سنحاول عرضها هنا عن طريق التشبيه فيما يلى :

اعتاد بعض الكتاب المفكرين أن يشبهوا مناهج التعليم بالعنايات التى يستلزمها نجاح الشجر الجميل المثمر الذى تتكون منه مفخرة القائمين على شئون الحدائق .

وتبدأ مراحل هذه العنايات النباتية بالتطعيم الذى يعطى الشجيرة القدرة على الإثمار أو يحسنه ، ثم تثنى بنقلها إلى الأماكن التى تتفق مع طبيعتها أو الأماكن التى يجب أن تعيش فيها وتكبر وتثمر على خير الوجوه .

وهناك عنايات أخرى ينبغى أن تمنح للأرض التى تغرس فيها الشجيرات أو تنقل إليها حتى تستطيع الجذور الضعيفة أن تستفيد من أغذيتها الصالحة . ومن تلك العنايات أيضا أن تشذب بعض صغار الأغصان أو الزوائد من الأفنان ، وأن تخفف بعض الزهور التى تستنفد عصارة الحياة والتغذية عبثا، وأن يداوم المشرفون على هذه العنايات حتى تبلغ الشجيرة سن القدرة على القيام بدفاعها عن كيانها منفردة.

وهذا هو عين المنهج الذى يجب أن يسلكه المهيمنون على شئون التعليم إبان تكوين الأطفال والشباب فى مراحله الأربع : الابتدائية ، والإعدادية ، والثانوية والعالية . وهذا هو ما سنعنى به مشيرين إلى ماينبغى أن تمنحه كل مرحلة من المعرفة العقلية والدينية ، وما يجب لها من التثقيف العام ، فإلى الملتقى ؟

د . محمد غلاب

الدين حياة الحياة

للأستاذ محمد احمد الغزب

من المشاكل الخطيرة في تاريخ الفكر البشري ، دوران هـذا الفكر في فراغ موحش رهيب ، وضلاله الأعمى في رحلة البحث عن قرار !!

قديماً .. وعلى سفوح اليونان وقممها السامقة ، انطلق هذا الفكر البشري باحثاً عن قراره ، ناشداً الإيمان بشيء يشده إليه فلا تبحر به الريح في مهاوى الضياع .. ولـكن هـذه الرحلة ما أثمرت قراراً ، ولا أيمنت بشيء يهب الأمن والسلام . كل الذي وهبته حشود من المعرفة العقلية الرائدة التي قادت الأجيال في طريق التطور العقلي الصاعد .

ولئن كانت المعرفة العقلية معزولة الـكيان عن المنطقة الروحية في بدائية الناس ، فإنها في الواقع كانت شرارة انبثق منها ضوء الصعود الخالد إلى آفاق الروحانية العالية ، وكانت كذلك حتى في طور ميلادها الأول استشرافاً ذكى الفهم لـكل ما هو وراء المادة . ولـكل ما هو خلف تخوم الحياة .

ذلك كان شأن الفكر اليوناني القديم كان يمتز بنفسه إلى حد الغرور . ولـكنه كان مع ذلك يتطلع دائماً إلى أعلى من طاقاته وقدراته .. ولئن أخطأه التوفيق فإنه مع ذلك كله كان نبضة وعى في تاريخ المعرفة الروحية المؤسسة على عمد عقلية فارعة تهزأ بكل عاصف ، وتسخر من كل ريح !!

وحديثاً .. وعلى ضوء كل ما جد في حياتنا المعاصرة من انتصارات علمية وحضارية شامخة ، مازالت للفكر نزواته واندفاعاته ، وأستطيع أن أقول : إن ضراوة الاغترار والزهو بكل ما هو عقلى ومادى .. وأرضى .. لم تبلغ في أى طور ما بلغته اليوم من ضراوة وقسوة .. إن موجات الإلحاد والشك لتفور في كل منطقة من العالم اليوم ، حتى في أعرق هذه المناطق إيغالا في مراحل الإيمانيات .

ربما لأن الزحف العلمي بكل فتوحاته وانطلاقاته قد أعطى عن نفسه صورة القادر

الذى لا يغلب ، والقائد الذى لا ينهزم فى اللحظة التى يقف الدين فيها محتلا – على الأكثر – مواقعه الأولى ، منحسراً فى مجالات كثيرة عن بعض هذه المواقع نتيجة النضوب الفكرى والإيمانى الذى أصاب بعض أبنائه بالشلل ، فلم يعودوا قادرين على حمله وتبليغه والتحليق به إلى آفاق مضيئة أكثر حياة ، وأشمل اندفاعا .

وفى وهج هذا الدوران الفكرى الراعش المضطرب عاش الإنسان فى الماضى ويعيش اليوم أقسى ما يمكن أن يتصور من حياة ، ، إنه يدور فى فراغ ويحس بأن وجوده عبثى !!. لحظة الميلاد عنده تساوى لحظة الموت ، والمساحات الزمنية القائمة بين البدء والختام ليست سوى مرحلة من العبث القاسى الذى لا جدوى من ورائه !!!

خذ مثلا واحداً من مفكرى هذا العصر : «ألبير كامى» واقرأ بحوثه وقصصه ومسرحياته . إنه ككاتب لامع مفكر سيبهرك من غير شك . بثرائه الفنى الرائع الممتاز ، وبعمقه الساحر الأخاذ . ولكنه فى النهاية سيسلمك إلى إحساس عاصف باليأس . والعبثية .. واللاجدوى !!

فى مسرحيته « سوء تفاهم » تصيح « مارتا » :

« هذه الدنيا ليست سوى مقبرة . سنوضع فيها فى النهاية بالكوم متلاصقين » وفى موضع آخر تخاطب « ماريا » :

« لكن قبل أن أذهب لأموت على أن أخلصك من وهم اعتقادك بأنك على صواب .. وأن الحب ليس عبثا .. إن ما حدث لم يكن إلا نتيجة الفوضى الشاملة وهو منطق معها » !!

إن كل كتابات هذا المفكر الفنان طافحة بهذه القتامة الداجية ، وهذه الحروبية الصفراء . وربما لا تجد لأكثر أبطاله من نهاية سوى الانتحار . كنتيجة طبيعية ومنطقية لإيمانهم بفوضى العدالة وعدالة الفوضى !!!

(ألبير كامى) – هنا – ليس سوى رمز لعشرات ومئات من مفكرى العصر الذين فقدوا الإيمان بشىء معين أعلا من الإنسان وأهدى من المادة ، ففقدوا بذلك صلابة الأرض التى يقفون عليها ، ووضوح الرؤيا اللازم لكل من يشق طريقه فى الحياة ... إن إيمانهم كان بالعقل ، وبالعقل وحده ،

حتى أعموه ! وليس فى استطاعة العقل البشرى – حتى فى قمة نضوجه وإشراقه – أن يقدم الحل ، أو الحلول العاقلة لمعادلة الحياة الصعبة المتشابكة ، لأن العقل نفسه بعض من هذه المعادلة ، ولأنه يرتطم دائما بأسوار محدوديته فيقع على السفح عاجزاً عن التحليق والطيران .

وهنا يبرز الدين حلا ، وحلا إلهيا متكاملا عميقاً ، ليقدم لمعادلة الحياة تفسيرها المنطقى الذى لا يهزم فى حومة الصراع الفكرى ودورانه المفزع .

الدين كحل ، يبدأ من منطلق الإيمان بالأعلى لينتهى إلى الإيمان بكل شىء ، وهذا سر عظمته ، إنه لا يبدأ من مقدمات ساذجة ، مثلا من الإيمان بالثمرة إلى الإيمان بالشجرة ، قائلا لك : إن الأثر يدل على المؤثر كما يقولون ، ولكنه يبدأ من منطلق الإيمان بالشجرة الهائلة ، قائلا لك : لو لم تكن هذه الشجرة موجودة ، أ كانت توجد هذه الثمار ؟ ؟

ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا كانت الصيحة الأولى لنبى الإسلام العظيم محمد هى : « لا إله إلا الله » . إنه يبدأ القضية من أساسها ، ثم يمشى بك فى دروبها دربا ، فدربا ، حتى يقفك فى النهاية أمام بناء إيمانى شامل متكامل بكل أبعاده وأعماقه .

أنت فى قضية الإيمان مطالب بشىء من التجاوز ، تجاوز الذات ، وتجاوز المنطق العقلى ، فالذات القاصرة المكلفة يجب أن تؤمن بأنها دون مستوى الندية للقوة الكبرى الإلهية الخالقة ، فليس – إذن – فى استطاعتها استيعاب حقيقتها ، ومن واجبها أن تذعن لهذه القوة المبدعة ، وأن تسلم لها بالحكمة ، والعظمة ، والإبداع .

التلميذ البادئ دون مستوى الندية لأستاذه ، فليس يليق به أن يشك فى معطيات هذا الأستاذ إلا إذا بلغ شأوه العلمى ، إن من حق التلميذ أن يسأل . . وأن يطلب المزيد من الفهم ، ولكنه يتجاوز حقه إذ قال لأستاذه أصبت هنا ، أو أخطأت هناك ، بلا رصيد من تجربة شمولية تنفه مع أستاذه جنبا إلى جنب ... فإذا كان ذلك كذلك فى إطار العلاقة بين الأستاذ وتلميذه الذى قد يبلغ شأوه العلمى يوما ما ... فإن العلاقة بين الإنسان وخالقه يجب أن تحددها دائما علاقة العجز والقدرة أو علاقة النقص والكمال ، لأنه ليس فى

طاقة الإنسان أن يلحق شأو خالقه ، لأن شأو الخالق ليس مدى طفرة أو طفرات ، وإنما هو اللانهائية بكل ما تنطوى عليه من قدرات وأسرار !!

الإيمان إذن عملية ترسيخ لوضعية الإنسان على هذه الأرض ، بدلا من تركه مذبذباً هكذا فى مهب الرياح ، وليست عملية الترسيخ هذه شداً إلى صخرة بكماء ، وإنما هى إعطاء الإنسان كل مشاعل النور ليبصر على ضوئها الغاية من وجوده ، والهدف من حياته ، ومتى تعلقت آمال الإنسان بغاية ينشدها أو هدف يرنو إليه ، فإن وجوده حينذاك يكتسب خصوبة ومعنى ، ويصبح من غير شك وجوداً هادفا وعميقا ، وليس مجرد عبث أو فوضى أو حياة بلا جدوى !!

وإذا كانت بعض الفلسفات المادية تعطى الإنسان فى حياته غاية أو هدفاً . فإن الدين يسبقها إلى ذلك ، متخطياً تخوم الحياة إلى تخوم الآخرة ، عاقداً بين غاية الإنسان هنا وغايته هناك أوثق الوشائج وأعمق الصلات بينما تظل جهود الفلسفات المادية حبيسة اللحظة المعاشة لا تتخطاها إلى غيرها من حياة !!

وهنا تبرز ضخامة الدور الذى ينهض به الدين معدلا كل منطق هذه الفلسفات . فإن الإنسانية لكى تحقق وجودها الأفضل لا بد أن تتخطى إلى حد ما بعض غاياتها الحياتية ، فإذا آمنت بأن وراء هذه الغايات الحياتية غايات أخرى وراء الحياة ، أقدمت على التضحية بكل ما فى وسعها من إيمان .. أما إذا لم تكن مؤمنة بسوى الغائية الدنيا فإنها قد ترتطم حتى بآمالها فى الدنيا عطمة . وعطمة . وهنا قصور الماديات !!

الدين – حل – يهب الإيمان الواثق المتكامل .

ويعطى الهدف من الوجود الموجود.
ويفض المغاليق لترى أبعد من حدود الرؤيا . .

هو وحده الذى يمكن أن يكون حياة الحياة . ونبض التطلع الإنسانى إلى الأسمى دائما ، والأشمل دائما ، والأخلد دائما . وهذا هو سره الأعظم الذى يمكن أن نقف عنده – وأن نطيل فى ملامحه التأمل والتحديق !!

محمد أحمد الغزب

دور الأزهر في الحركات القومية

للدكتور عباس حلمي إسماعيل

قام الأزهر مسجداً جامعاً ، وشاء الله أن يظل قلعة للحرية والجهاد إلى جانب إشعاعه العلمي والفكري والروحي فأسهم علماؤه وطلابه في معارك المقاومة .

ولن ينس التاريخ خطب العلماء أمثال الشيخ عز الدين بن عبد السلام المعروف بسلطان العلماء في الحث على الجهاد وبعث مدفون القوة في المواطنين ، وكشف نواحي الضعف لدى الأعداء ، وعمق مظالم الحكام الأمر الذي أحيى الوثبات التاريخية القوية التي يفخر بها كل مسلم ، وجعل الصليبيين يقولون عنه :

« لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليه وشربنا مرقتها »[1] .

وبعد أن أصبحت مصر داراً للخلافة العباسية ، غدا الأزهر يموج بالعلماء القادمين من الشام لسقوط مدنها في أيدي الصليبيين ، ومن الأندلس بعد أن تزايد ضغط الأسبان على أهلها ، ومن العراق بعد اضطهاد المغول وإلقاء الكتب العربية في نهر دجلة ، وأخذ الأزهر يزخر بحلقات الدروس ويفيض بالإنتاج العلمي والأدبي .

ثم انتشر التراث العربي من الأزهر إلى أقطار العروبة بعد أن انحسر مد العدوان وانجلت جحافل الظلام .

ولما انتقلت الخلافة إلى الأتراك العثمانيين بقي الأزهر الشريف حصن اللغة العربية والعلوم الإسلامية ، وكان للأتراك فضل التثبت بالسنة ، وضربوا بيد من حديد على الفرق والمذاهب الأخرى ، ولذا زاد تمسك الأمة العربية بالوحدة المذهبية[1] وقد احتفظ الأزهر بقبس الثقافة الإسلامية مضيئاً ، ووقف في وجه عوامل الضعف والتفكك والظلم أيضاً .

من ذلك أن المصريين قد أصابهم سنة ١١١٤ هـ — ١٧٠٢ م — الغبن من وراء تزييف النقود ، فاجتمعوا في الأزهر ، وشكوا أمرهم إلى العلماء ، فقام العلماء

---

[١] السبكي — طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١٠١ .

[١] أبو الفتوح رضوان القومية العربية ١٢٢-١٢٩ .

إلى الديوان فأمر الباشا باجتماع عام يحضره الأمراء والقاضى التركى والأغوات ونقيب الأشراف وكبار العلماء ، ونظر المجتمعون فى الأمر واستقر رأيهم على خطة محددة تحفظ مصلحة الناس وتزيل وجه شكواهم [١] .

ولما آل الحكم إلى إبراهيم ومراد ، لم يجد الشعب مناصا من الكفاح ذوداً عن حقوقه ، كما حدث فى هذه الواقعة : قامت خصومة بين فرد وأمير حول وقف ، وحكم القضاء ضد الأمير ، فأبى واستكبر ورفض أن ينصاع لحكم القضاء .

فهب الشعب وعلى رأسه عالم من علماء الأزهر هو الشيخ الدردير ، وأغلق الناس حوانيتهم لينظروا مآل النضال بين الحق والقوة ، وأوشك الأمر أن يؤدى إلى فوضى شاملة ، لولا أن جزع عقلاء الأمراء من ذلك الاضطراب . فاجتمعوا وتشاوروا ، ثم أرسلوا إلى الأمير المعاند فلاموه على وقفته ، وأمروه بالنزول على ما أراد القانون ، فأذعن وهو كاره . ولم يرض العلماء أن يدعوا الأمر يفلت من أيديهم بغير حق مسجل يكتسبونه للناس ، فطلبوا أن تكتب لهم وثيقة بالحق المكتسب ، وكتب لهم صلح رسمى به شروط على الأمراء ، وتعهد من الحكام بالتزام ما يقضى به القانون ويحتمه العرف [١] .

ومضت السنون ، وجاء وقت تجلى فيه الود بين الأمراء والعلماء ، فحدث أن أجرى الأمير عبد الرحمن كتخدا بعض الإصلاحات فى رواق الصعايدة ، حباً فى شيخه على العدوى ، حتى أنه جعل مدفنه بجوار هذا الرواق ، وكان أكابر الأزهر يتخذون فناء المدفن مجلسا ، يجتمعون فيه للمفاوضة والتشاور فى المهمات ، كما كان الناس يعكفون على الصلاة والدعاء بالأزهر فى أوقات العسرة ، لتنفرج الكروب [٢] .

وتولى الشيخ عبد الله الشرقاوى مشيخة الأزهر سنة (١٢٠٨ هـ ـ ١٧٩٤ م) فأصبح ذا شخصية بارزة ، لها نفوذ دينى وأدبى . ولم يأل جهداً فى أن يوجه ذلك النفوذ إلى خير الشعب ، وحمايته من المظالم القادحة ، التى كانت تصب عليه أيام المماليك البكوات ، الذين عرفوا فيه تلك النزعة الوطنية ، فأكبروه واحترموه . وكان له فى مقاومة

---

[١] الجبرتى ـ عجائب الآثار .

[١] عبد الرحمن الرافعى : الحركة القومية ج ١ .

[٢] على مبارك : الخطط التوفيقية .

مظالمهم مواقف مشهودة ، تنم على حبه الخير لأمته ، وعلى منزلته السامية في نفوس الشعب ، ومن تلك المواقف أن وفد عليه أهل بلبيس ، وذكروا له أن أتباع محمد الألفي ظلموهم وأرهقوهم ، بطلب ما لا قدرة لهم عليه ، فغضب الشيخ لذلك ، وبدأ بمخاطبة مراد وإبراهيم في رفع هذا الظلم ، ولما لم يكترثا ذهب إلى الأزهر ، وجمع العلماء وتشاوروا فيما بينهم ، ثم أغلقوا أبواب الجامع ، وأمروا الناس بإغلاق متاجرهم ، وركبوا في اليوم التالي ، وتبعهم كثير من الناس متظاهرين ، وازدحموا أمام بيت إبراهيم صاخبين ، فأرسل إليهم أيوب الدفتردار مدير الشئون المالية ، الذي سألهم عن مرادهم ، فقالوا : نريد العدل وإبطال الحوادث ، ورفع المكوس التي ابتدعتموها . فقال : إن في إجابة هذه المطالب تضييقا علينا في معاشنا . فقالوا : ليس هذا بعذر عند الله ، وما الباعث على الإكثار من النفقات والمماليك ؟ والأمير يكون أميرا بالإعطاء لا بالأخذ . فأمهلهم حتى يبلغ ذلك ، ورجع العلماء إلى الأزهر ، وشايعهم أهل القاهرة في حركتهم ، فذهبوا إلى الأزهر وباتوا فيه متحفزين للهياج . عندئذ خشي مراد عاقبة الأمر ، ورأى فيه شروعا في ثورة عليهم ، فبعث من يخبرهم بإجابة مطالبهم ، ثم طلب زعماءهم ، فذهب الشرقاوي والسادات والنقيب والبكري والأمير إلى قصره بالجيزة ، حيث لاطفهم وطلب إليهم السعي في الصلح .

وفي اليوم الثالث اجتمع الأمراء والعلماء في بيت إبراهيم ، وتم الصلح على رفع المظالم ماعدا جمرك بولاق ، وأن يكفوا أتباعهم عن مد أيديهم إلى أموال الناس ، ويسيروا فيهم سيرة حسنة ، وكتب القاضي حجة بذلك ، وقع عليها الباشا وختم عليها إبراهيم ومراد ، ففرح الناس وسكن الحال[1] .

ولما جاء بونابارت إلى مصر عرف أهمية علماء الأزهر ، فحاول أن يستميلهم ضد المماليك والعثمانيين ، فقال في منشوره : « إنه جاء لعقاب المماليك ، الذين يفسدون في الإقليم الحسن ، الذي لا يوجد مثله في كرة الأرض كلها . ماذا يميز المماليك عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم ، ويختصوا بكل شيء حسن فيها ، من الجواري الحسان ، والخيل العتاق ،

[1] الجبرتي : عجائب الآثار .

والمساكن للفرحة ؟ ! فإذا كانت الأرض المصرية التزاما للمماليك ، فليروا الحجة التي كتبها الله لهم . ولكن رب العالمين رءوف وعادل وحكيم ، وبعونه تعالى من الآن فصاعدا لا ييأس أحد من أهالي مصر من الدخول في المناصب السامية ، ومن اكتساب المراتب العالية . فالعلماء والفضلاء والعقلاء سوف يدبرون الأمور ، وبذلك يصلح حال الأمة كلها [١] » .

ولقد أنشأ بونابارت ديوان القاهرة من تسعة علماء برئاسة الشرقاوي ، ثم انتخب فضيلته رئيساً للديوان العام ، الذي كان بمثابة مجلس الأمة يشرع لها ، ورئيساً للديوان الخاص ، الذي كان شبيها بمجلس الوزراء ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن بعض المناصب الهامة والتي كان التعيين يصدر فيها من الآستانة ، صار التعيين فيها من مصر . ومثال ذلك منصب قاضي القضاة ، الذي تم انتخابه من قبل علماء مصر لأول مرة . غير أن الشعب المصري لم ينس بلاده ، فثار عدة ثورات ليتخلص من الفرنسيين ، وحدث أن اتجهت جموعه صوب الأزهر ، حيث استمعوا إلى خطب العلماء تحثهم على الجهاد ، فضرب بونابارت حي الأزهر بالمدافع ، وكان إحدى هذه هذه الثورات بقيادة زعيم مصر الأول السيد عمر مكرم الذي نظم القتال في كل مكان ، وتفقد للصانع التي كانت تقوم بعمل القذائف ، فاستحق أن يطلق عليه بطل للمقاومة الشعبية ، ثم وضع الطالب الأزهري سليمان الحلبي حداً لهذا الاستعمار بأن قتل خليفة بونابارت ، انتقاما لإخوانه السوريين والمصريين ، والفلسطينيين من أبطال يافا ، مما يدل على التعاطف الروحي بين المسلمين ، مهما اختلفت أوطانهم المحلية [١] .

ولم يأل الأزهر جهدا في خدمة الأمة بعد خروج الفرنسيين، فعندما أراد الوالي التركي خورشيد فرض ضريبة على سكان القاهرة ، ليستطيع أداء رواتب الجند حتى يجلوا عن المدينة إلى الجيزة ، اجتمع الزعماء وقرروا ألا تفرض ضريبة على المدينة من اليوم ، إلا إذا أقرها العلماء وكبار الأعيان ، وأن تجلو الجنود عن القاهرة ، وتنتقل حامية المدينة إلى الجيزة ، وألا يسمح

[١] عبد الرحمن الرافعي : الحركة القومية ج ٢ .

[١] محمد فريد أبو حديد : زعيم مصر الأول ، السيد عمر مكرم .

بدخول أى جندى إلى المدينة حاملا سلاحه.

ورأى الوالى أن هذه الحركة خطيرة ، تكاد تقتلعه من منصبه ، وصح حدسه ، فقد اجتمع وكلاء الشعب من العلماء فى (١٣ صفر سنة ١٢٢٠ هـ ــ ١٨٠٥ م) بدار المحكمة ، فى المكان المعروف ببيت القاضى، للتشاور فى الموقف ، واحتشدت الجماهير فى فناء المحكمة وحولها يؤيدون وكلاءهم ، وهناك اتفقت كلمتهم على عزل خورشيد ، وتولية محمد على بشروطهم ، التى تتفق وجوهر البيعة فى الشريعة الإسلامية الغراء ولم يكن قبوله لها إلا من قبيل الخدعة . حينما جاءت الحملة الإنجليزية إلى رشيد ، وذهب إليه العلماء وعلى رأسهم السيد عمر مكرم يعرضون الإسهام فى شرف الدفاع عن بلادهم ، أخبرهم فى دهاء أن واجب الجهاد قد سقط عنهم ، بعد أن صارت قوة الدولة كفيلة بالدفاع [1] .

غير أن علماء الأزهر الذين قذف بهم محمد على فى أتون العلم بأوربا ، يصهرهم ويكشف عن المعدن المصرى الأصيل ، استطاعوا بعد عودتهم أن يبثوا الومضات اللامعة ، التى لفتت أنظار العناصر المتطلعة إلى التقدم فى الوطن العربى نحو مصر ، وجعلت منها فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى) منبراً للفكر العربى كله ومسرحا لفنونه ، وملتقى لكل الثوار العرب من وراء الحدود المصطنعة الموهومة . ومن أعلام هذه الحقبة : رفاعة رافع الطهطاوى الذى مهد للحياة الدستورية ، وطالب بتعليم الفتاة .

وفى الأزهر ألقى جمال الدين الأفغانى محاضراته ، لا سيما فيما يتعلق بالاستعمار وآثاره ، ودعا إلى الثورة لتحرير الشعوب الإسلامية ، وليكون القرآن سلطانها ، والدين وجهة وحدتها . وقد بدت ثمار الأفغانى بظهور المدرسة الحديثة التى حمل لواءها الشيخ محمد عبده فى الأزهر وخارجه، فلما كانت الانتفاضة العرابية انضم إليها بروحه وقلمه ، فألهب الشعور دفاعا عن الوطن ، لدرجة أنه كان المستشار الأول لها ، كما كان زميله عبد الله النديم خطيبها . وعقب فشل الانتفاضة قبض على الشيخ محمد عبده ، ثم حكم عليه بالنفى ، فاتجه إلى بيروت ، حتى دعاه أستاذه الأفغانى لموافاته فى باريس ، فلبى الدعوة واشترك معه فى إصدار مجلة العروة الوثقى .

---

[١] الجبرتى : عجائب الآثار .

وانتهز الشيخ محمد عبده الفرصة عندئذ فسافر إلى لندن ، حيث اتصل بأعضاء البرلمان الإنجليزى ، محاولا أن يذكرهم بوعود حكومتهم فى الجلاء من مصر ، وأن الشعب لن يلبث أن يعصف بالمعتدين ولكن دعوته فى انجلترا لم تثمر ، فعاد إلى باريس ، ولم تلبث صياسة الأفغانى ومحمد عبده فى باريس أن أقلقت الاستعمار فلجأت انجلترا إلى مطاردة المجلة حتى احتجبت ، وعندئذ سافر الأفغانى إلى فارس ومحمد عبده إلى بيروت [١] .

وعمل محمد عبده فى بيروت على التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة ، وكان ممن آمن بفكرته القس الإنجليزى إسحاق بتلر ، ونقل الدعوة إلى انجلترا مما أثار أهلها ، فتدخلوا لدى الملكة فيكتوريا للقضاء على الحركة ، وفعلا تدخلت الملكة لدى السلطان لطرده من بيروت . ومؤلفه بعنوان « الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » له دلالته الخاصة فى الرد على دعاة الإلحاد ، ودعوته إلى إحياء اللغة العربية وآدابها واستعمالها فى الدواوين ، جعلت العاملين يستدعون المعلمين ، أو يبادرون إلى المدارس الليلية ، ليتعلموا الكتابة الصحيحة . ثم إن نقده البناء لأجهزة الدولة أسهم فى إصلاحها [١] .

وحمل شباب الأزهر مشعل النور فى طريق القيادة الشعبية ، وأعلنوا حربهم ضد الحكام المستبدين ، فكان إعلان الثورة ضد الشيخ محمد العباسى شيخ الإسلام وللمطالبة بخلعه ، لأنه لم يستطع إصدار فتوى بوجوب الحكم الدستورى فى البلاد خوفا من بطش الخديوى توفيق ، ونادى العلماء الأحرار بوجوب انتخاب شيخ جرىء للمالكية ، فانتخب الشيخ عليش ، الذى أصدر مع الشيخ حسن العدوى فتوى بخلع الخديوى ونصها : « بما أن الخديوى قد حاول أن يبيع البلاد للأجانب وأطاع إشارات قناصل أوربا ، فإنه لم يعد يصلح لأن يكون واليا على المسلمين المصريين ويجب لذلك خلعه » .

وتبنى الأزهر انتفاضة سنة ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) وبعث فى الشعب جذوة الوطنية ، بخطب أمثال الشيخ أحمد يوسف ، ودروس أمثال الشيخ مصطفى القاياتى ،

[١] سعيد عاشور : ثورة شعب ص ٥٢ .

[١] سليمان الطماوى : ثورة ٢٣ يوليو بين ثورات العالم ص ٢١٣ .

وأناشيد سيد درويش ، وتحمل أبناؤه رصاص الإنجليز ، واشتركوا فى اصطيادهم ولم يعترف علماء الأزهر بالحكومة الخاضعة لنفوذ الانجليز ، فألفوا حكومة مستقلة فى قلب القاهرة ، ينفذ قراراتها من مسجد المؤيد ، الشيخ محمود أبو العيون ، الذى عينه العلماء حكداراً للعاصمة [١] .

ولم يقتصر دور الأزهر فى أثناء العدوان الثلاثى على التعبئة الروحية ، بل شارك فى المعركة بكتيبة مدربة ، وذهب السيد الرئيس إلى الأزهر ، ليبعث من منبره نداءه للعالم الإسلامى ، فاستجابت لهذا النداء أمة العرب والإسلام .

وجاء فى تقرير الخبيرين الأمريكيين : لوثر جيوليك ، وجيمس بولوك اللذين استدعتهما الحكومة للنظر فى إصلاح جهازها : « إن الثقافة الإسلامية من أصلح الأسس للحكم الناجح فى العصر الحديث ، وتقدم للشعب المصرى المبادىء التى يمكن أن يقيموا عليها ديمقراطيتهم الجديدة » .

عاش الأزهر آلافا مؤلفة ، مجداً مؤثلا ، فى رعاية الله العلى القدير ، إلى يوم الدين ؟

عباس طه إسماعيل

[١] إبراهيم شبوط : أثر الأزهر فى الحركات القومية .

قال تعالى :

« من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ، ومكر أولئك هو يبور » .

(فاطر : ١٠)

الفتح المبين

للأستاذ علي الخطيب

كان فتح مكة هو الفتح الأعظم الذى تمت به رسالة المصطفى ﷺ ، ولولا هذا الفتح لظلت مكة مركز الوثنية فى الجزيرة العربية ، وبهذا الفتح المبين تخلصت الكعبة المشرفة مما أحاطها من أوثان ، وما ولج داخلها من أصنام ، وظلت « قبلة الصلاة » إلى يوم الدين هى قبلة الوحدانية الخالصة من كل شرك المقيمة على كلمة الله الموفية بعهده .

لم يكن يمنع الرسول الكريم صلوات الله عليه من غزوها إلا احترام العهد وما يجب من تنفيذ شروطه ؛ فإن الإسلام دين ـ قبل كل شيء ـ لا يبتغى مجداً حربياً أو كسباً ماديا ، وعلى لسان رسول الله أوحى الله سبحانه بوجوب الاستمساك بالعهد والالتزام به .

قال تعالى : « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ، أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » آل عمران : ٧٧ .

وقد كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ بينه وبين قريش عهد ينص على أنهما :

« اصطلحا على وضع الحرب بينهما عشر سنين يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض . . . وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه » السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٣٢١ .

وقد دخل فى عقد محمد ﷺ وعهده بنو خزاعة من كعب ، وانضم إلى عهد قريش وعقدهم بنو بكر .

وبقدر ما أوصى الله سبحانه باحترام العهد ، قرر عقوبة رادعة لمن يخونه ، فهو ـ سبحانه ـ لا يحب الخائنين ولا يهدى كيدهم ، فقال تعالى : « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون » التوبة : ١٢ .

وقد حدث أن كان بنو خزاعة على (الوتير) – ماء لهم قريب من مكة – إذ فوجئوا ببنى بكر تحيط بهم وتشن القتل فيهم على غرة، فلجئوا إلى بيت الله الحرام فى قلب مكة، تحت أعين قريش، وظنوا بدخولهم البيت أنهم فى أمان، لكن نوفل بن معاوية من بكر صاح فى قومه: لا إله اليوم يابنى بكر، أصيبوا ثأركم، فلعمرى إنكم لتسرقون فى الحرم، أفلا تصيبون ثأركم. ؟!

فأمعنوا فيهم القتل تحت سمع قريش وبصرهم، وتحت الموقعة ليلا، وغرور قريش يصور لها أن رسول الله ﷺ يمكن مخادعته بتوثيق المعاهدة من جديد ومد أجلها، قبل أن يعلم بنقضها العهد، فأعدت سفارة إلى رسول الله ﷺ من أبى سفيان بن حرب.

إن قريشا لم تقف عن نقض العهد فحسب، بل أمدت بكرا بالسلاح والرجال واشتركت فى قتل الخزاعيين، وكان بديل بن ورقاء الخزاعى أسبق إلى رسول الله ﷺ من أبى سفيان، وألم رسول الله بالأمر قبل أن ينتشر بين أحد من المسلمين، فاستعد رسول الله ﷺ للقتال، وأمر فأخذت البيوت فى إعداد المئونة للجيش، ورأى أبو بكر الصديق رضى الله عنه هذه الحركة، فقال لرسول الله ﷺ: لعلك تريد قريشا؟ قال: نعم، قال: يارسول الله أليس بينك وبينهم مدة؟ قال: ألم يبلغك ما صنعوا ببنى كعب؟

وأذن رسول الله ﷺ فى الناس بالغزو.

موازين القوى

لم يكن أحد يصلح للسفارة إلى رسول الله ﷺ فى تقدير قريش إلا أباسفيان فإنه من القلائل الذين عاصروا صراع مكة مع الرسول ﷺ، بعد أن أتت بدر على كبار المشركين، وهو يعى دقيق الأمور وجليلها خلال هذه السنوات، ثم هو أحد التجار الذين تربطهم صلات كثيرة مع القبائل القاطنة فى البقعة التى تشمل المساحة فى شمال الحجاز من فوق مكة، فضلا عن أن رسول الله ﷺ قد أصهر إليه.

وكان أبو سفيان – فى الواقع – خبيرا بتقدير الأمور، وإنه ليعلم:

أن رسول الله ﷺ له فى المدينة حكومة قوية منظمة .

وله - عليه السلام - بالمدينة مجتمع طبقت فيه هداة الشريعة الإسلامية سنوات فزادته طمأنينة وحبا فى الإسلام .

وله فى المدينة جبهة داخلية متحدة من الأنصار والمهاجرين ، ولم يعد هناك خزرج مناهضين للأوس وله فوق هذا وذاك جيش قوى متأهب لقاء العدو وجاء رضوان الله ورسوله .

فأما مكة فليس لها من هذه الأمور شىء ، وإذا هى دخلت فى حرب مع محمد فستلنوه بضربة قاتلة لا تقوم بعدها أبدا .

وكان السفير الداهية يود أن يحتفظ قومه فيطيل وقت المدة ويوثق أمرها ، وهو إذ فاته وحى الله سبحانه لرسوله وعلم رسوله السريع بالأحداث ، لم تفته معرفة السلوك الإسلامى بين المسلمين وترابطهم ، وإنه ليعلم من قواعدهم أنه « يؤخذ بذمتهم أدناهم » .

وعلى ذلك بنى السفير أمره :

فيمضى الرسول ﷺ لإطالة المدة وتوثيق العقد ما دام لم يعلم بنقض قريش عهدها فإذا وجده قد علم ، فليحاول أن يوجه للمسلمين ضربة تقسم وحدتهم بأخذه أمانا ، ليس من محمد ، بل من أحد أتباعه لقومه قريش ، فلا يملك محمد إلا أن يمضيه .

وأسقط فى يده حين رأى بديل بن ورقاء فى طريقه عائدا إلى قومه ، وأدرك أن الرسول قد أحيط علما بما كان ، فتولى العمل بأخذ الأمان .

أخذ أبو سفيان يطرق أبواب أصحاب رسول الله ﷺ ، واحدا بعد الآخر .

وجدير بالذكر هنا أن الحدث ما كان انتشر بعد ، فكان فى ذلك فرصة سانحة له ، لكن أبا بكر صده وأغلظ عليه عمر ونفر منه عثمان حتى ابنته زوج رسول الله ﷺ عدته مشركا نجسا منزعت عنه فراشا يجلس عليه رسول الله ﷺ ، فلجأ إلى على بن أبى طالب وناشد فاطمة أمامه أن يجيره ولدها الحسن - وكان لا يزال صبيا - قومه ، فقالت : والله ما بلغ بنى ذلك أن يجير بين الناس ، وما يجير أحد على النبى ﷺ ، فلجأ إلى رسول الله ﷺ ، فرفض جواره .

وعاد السفير إلى قومه وقد حبط مسعاه وكان ، وحده ـ يمتاز عن قريش بعلمه بما ينتظرها من نكبة أليمة لو أنها وقفت تواجه المسلمين ، فأما نتيجة سفارته فكانت امرأته خيرمن يقرر أمرها فقد قالت وقت استقبلته : قبحك الله من وافد قوم ! فما جئت بخير .

ثم كان الفتح

ثم كان الفتح ، واتجهت جند رسول الله ﷺ إلى مكة تتقدمها الطلائع ترود الطريق وتحبس العيون ، واستخلف على المدينة أبارهم كلثوم بن حصين بن عتبة ابن خلف الغفارى ، وخرج لعشر مضين من رمضان فى نحو اثنى عشر ألف مقاتل تجمع أقوى قبائل العرب وأعزهم نفرا وكان أبو سفيان الذى يقدر الكارثة حق قدرها قد استنفر نفسه لاستطلاع الأخبار حتى إذا كان قريبا من « مر الظهران » رأى جند الله فهابهم . ثم أحيط به من خيل المسلمين فتقدموا به ، وقد أمنه العباس هذه المرة إلى رسول الله ﷺ فأسلم وسأل الأمان لقومه فأمنه رسول الله على نفسه وكل من دخل بيته أو لجأ إلى البيت الحرام ثم استعرض به العباس المقاتلة من المسلمين بأمر رسول الله ﷺ حتى انتهت إليه كتيبة رسول الله فى الحديد لا ترى منهم إلا عيونهم فقال : سبحان الله يا عباس ! من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما .

قال : قلت يا أبا سفيان إنها النبوة قال فنعم إذن .

قال : قلت : النجاء إلى قومك .

وأحاطت جند الله بمكة ودخلتها من جهاتها الأربع ، قال أنس خادم رسول الله ﷺ : دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح وذقنه على رأسه متخشعا .

نعم ، فلم يرفع رأسه تعظما ، ولم يسق أسرى بين يديه أو يهزأ بهم ، أو يمثل بأشخاصهم ، بل دخل حامدا لله فضله خاشعا له يؤثر العفو على العقوبة ، فطهر الكعبة من الأوثان وعفا عن قريش ، وتم الفتح العظيم الذى استقر به الإسلام إلى يوم الدين ؟

على الخطيب

انتشار الإسلام فى قزوين

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٢ —

خلصنا مما سبق إلى القول بأنه فى أواخر سنة ٢٢ هـ كانت هناك صورتان للإسلام فى المنطقة التى نحن بصددها : فمن ناحية أصبحت توجد فى (دستبى) جالية إسلامية حلت بها بهدف تكوين قوة عسكرية متقدمة مهمتها الأساسية هى الدفاع عن المكاسب السياسية التى حققتها الدولة الإسلامية فيما وراء ذلك ، وبجانب هذه المهمة الأساسية فإن أفراد هذه القوة كانوا يزاولون نشاطهم فى سبيل نشر الإسلام بين مواطنى هذه البقعة . ومن الناحية الثانية ، استجاب أهل القاقزان للدعوة التى وجهت إليهم واعتنقوا الدين الإسلامى ، وستكتمل لنا فيما بعد جوانب الصورة التى أصبحت عليها حالة الإسلام فى تلك النواحى وفى ذلك التاريخ .

ولكن ، وقبل تتبعنا لبقية جوانب الصورة ، يرتمع تساؤل حول سر اختلاف موقف أهل (دستبى) من الإسلام عن الموقف الذى اتخذه أهل القاقزان فى حين أن الناحيتين متجاورتان ، ومواطنوها كانوا من رعايا الدولة الساسانية ، وكانت المجوسية هى العقيدة المشتركة بين الفريقين ؟ ! .

ومن هذا التساؤل نقول إنه من الصعب على الباحث أن يقدم إجابة دقيقة وحاسمة بخصوصه ، وذلك لأن المصادر التى نعتمد عليها قد اغفلت إغفالا تاما أن تشير إلى شىء من هذا القبيل ، وبالتالى فإن الباحث يجد أمامه فرصة طيبة للاجتهاد والاحتكام إلى الظروف .

وعلى هذا الأساس فإن الأصوب أن نقول إن الاختلاف بين موقف أهل دستبى وموقف أهل القاقزان من الإسلام ينحصر فى رد الفعل المباشر الذى قوبل به الدين الإسلامى من الفريقين ، فقد حدث بعد ذلك وبمرور الزمن أن اتفق موقف الفريقين من الإسلام ، حيث أخذ هذا الدين الحنيف ينتشر بين أهالى دستبى

بالتدريج وعلى مراحل حتى أنه لم يعد هناك اختلاف بين موقف الفريقين .

ويبدو أن الاختلاف فى رد الفعل المباشر يرتبط بعوامل سياسية أكثر منه بأى من العوامل الأخرى ، فقد اتضح لنا آنفا أن دستبى كانت مقسمة بين الرى وهمذان ، ولذا فقد ارتبط رد الفعل المباشر من أهلها تجاه الدعوة إلى الإسلام برد الفعل المباشر الذى اتخذه الحاكمان اللذان كانا مسيطرين على الرى وهمذان ، فقد اختار هذان الحاكمان دفع الجزية وأداء الخراج على اعتناق الدين الإسلامى .

وتفسير موقف هذين الحاكمين من الإسلام يرتبط قبل أى شىء آخر باعتبارات سياسية ، إذ أن كلا منهما كان يفهم أن اعتناقه للإسلام وما سيترتب على ذلك من تبعيته للدولة الإسلامية سيجرده من امتيازاته السياسية ، ولذا فإنه رفض الاستجابة لدعوة الإسلام حفاظاً على هذه الامتيازات كما صور له فهمه ، وعلى هذا فإنه من الخطأ أن نقول إن ما قوبل به الدين الإسلامى من رفض فى كل من الرى وهمذان فى ذلك التاريخ يمثل تمثيلا صادقا موقف الجماعات البشرية فى كل من المنطقتين ، وأكبر دليل على ذلك أن غالبية هذه الجماعات البشرية قد أقبلت فيما بعد ، وحينما تغيرت الظروف السياسية التى كانت تعيش فى ظلها ، أقول : أقبلت على اعتناق الدين الإسلامى .

ويؤدى بنا هذا الذى أشرنا إليه الآن من تأثير الظروف السياسية إلى ما نريد أن نقوله بخصوص موقف أهل القاقزان من الإسلام ، فهذه الناحية لم تكن تابعة للرى أو لهمذان ، بل إن طبيعتها الجبلية قد ساعدت الجماعات البشرية هناك - وهى جماعات كانت تحيا حياة البدو الرحل - على عدم الالتزام بتبعية سياسية لحاكم الرى أو حاكم همذان ، وقد هيأ هذا الوضع لأهل القاقزان فرصة الاتصال المباشر بالقادة المسلمين الذين دعوهم إلى اعتناق الدين الإسلامى ، ومن ثم كانت الاستجابة التى قوبل بها الإسلام من هذه الجماعات .

ومما لا شك فيه أن هذه الجماعات قد لمست فى الخصائص التى يمتاز بها الدين الإسلامى ، والتى أبرزت لهم بصورة واضحة من الدعاة المسلمين - أقول إن هذه الجماعات قد لمست فى خصائص الإسلام ما يوفر لها حياة حرة كريمة ، الأمر الذى

دفعها إلى تفضيل هذه الدين الحنيف على المجوسية التى ظلت سائدة هناك لمدة أجيال.

وفى نهاية الحديث عن انتشار الإسلام فى دستبى نستطيع أن نقول: إنه قد اتضح لنا أن طبيعة الظروف السياسية ، كونها متغيرة وملونة باتجاهات من يقبضون على أعنتها ، لا تجعل الباحث يطمئن إلى الاعتماد عليها كلية فى الحكم على موقف الجماعات البشرية من الإسلام ، بل الأسلم أن نستعين بعوامل أخرى منها الاجتماعى ، ومنها العقيدى ، ومنها الاقتصادى ، وذلك حتى تكون استنتاجاتنا أقرب إلى الصواب.

تتبعنا ظروف بداية انتشار الإسلام فى ناحيتين من نواحى قزوين : هما ناحية دستبى وناحية القاقزان ، وقد أبرزنا فيما سبق الخصائص الأساسية التى تميز بداية انتشار الإسلام فى القاقزان عن بداية انتشاره فى دستبى ، موضحين بصفة خاصة أهم العوامل التى تحكمت فى تسهيل أو تعويق ظهور الإسلام فى هاتين الناحيتين ، كما حاولنا أيضاً أن نحدد البقعة التى ارتفع فيها بناء أول مسجد هناك ، وسنواصل الآن الحديث عن انتشار الإسلام فى بقية أنحاء قزوين .

ونقول بهذا الصدد : إن المسلمين لم تقف آمالهم عند حد الاستيلاء على دستبى ، بل إن الجانب العسكرى من تخطيطهم قد حتم عليهم أن يحاولوا الاستيلاء على موقع آخر أكثر صلاحية ، كما أن الجانب الآخر لنشاطهم ، وهو النشاط الذى يهدف إلى نشر نور الإسلام بين ربوع هذه البلاد ، قد دفعهم إلى الاتصال بعناصر بشرية جديدة.

ومما لا شك فيه أن المسلمين كانوا يعرفون أن الساسانيين قد جعلوا من قزوين خط دفاعهم الأول ضد المحاولات الديلمية المعادية ولا يعيب المسلمين إذا اقتضى الأمر أن يقتدوا بالساسانيين فى هذا الجانب ، وربما كان الاستيلاء على قزوين خطوة ممهدة للاستيلاء على بلاد الديلم ونشر نور الإسلام فيها وحينئذ قفز إلى واجهة الأحداث فى المنطقة اسم صحابى آخر هو البراء بن عازب الذى بعثت به مهمة قيادة القوات الإسلامية والاستيلاء على قزوين .

قاد البراء بن عازب جنوده ، وزحف بهم تجاه قزوين . وفى الطريق تصدى أهل أبهر للجنود المسلمين وقاتلوهم ، سرعان ما شعر أهل أبهر أنه لا طاقة لهم بمجابهة الجنود المسلمين فطلبوا من البراء بن عازب الصلح

فاستجاب لهم مع أنهم ظلوا متشبثين بمعتقداتهم الدينية السابقة . يقول البلاذرى عن أهل أبهر وموقفهم : « فقاتلوه (أى البراء بن عازب) ثم طلبوا الأمان ، فآمنهم على مثل ما أمن عليه حذيفة أهل نهاوند ، وصالحهم على ذلك ، وغلب على أراضى أبهر »[1] .

ويحسن بنا أن نتعرف هنا على طبيعة الأمان الذى حصل عليه أهل نهاوند من الصحابى حذيفة بن اليمان . وحول هذا الموضوع نقول : إنه من المعلومات التى أمدتنا بها المصادر التاريخية ندرك أن حذيفة قد صالح أهل نهاوند على أن يؤدوا للدولة الإسلامية الخراج (أى ضريبة الأرض) والجزية (أى ضريبة الرأس) ولهم فى مقابل ذلك الأمان على أموالهم ودمائهم وممتلكاتهم ومعتقداتهم .

ولكن ما هى الظروف التى دعت أهل أبهر إلى عدم اعتناق الدين الإسلامى الذى عرض عليهم ، هل هو مجرد التشبث بعقيدتهم السابقة ، أم هل هناك ظروف أخرى ؟ ؟ من الطبيعى أن مثل هذه الجزئيات الدقيقة قد تجوهلت فى كتابات المؤرخين ، ولكنا نستطيع أن نقول : إنه من المرجح أن الظروف التى دعت أهل أبهر إلى اتخاذ هذا الموقف هى تقريبا نفس الظروف التى تحكمت من قبل فى موقف أهل دستبى .

ونخلص من هذا إلى القول بأن نوعية العلاقة التى ربطت بين أهل أبهر من ناحية والقوات الإسلامية الفاتحة من ناحية أخرى كانت متفقة إلى حد كبير مع تلك التى سبق أن تحدثنا عنها بخصوص أهل دستبى وعلاقتهم بالقوات الإسلامية . والأمر الوحيد الذى يفرق بين الحالتين هو ما سبق أن اتضح لنا من أن المسلمين قد جعلوا من دستبى قاعدة عسكرية لبعض الوقت ، وقد استقر بها نتيجة لذلك عدد من المسلمين الذين كانوا بمثابة النواة الأولى للإسلام هناك ، وأكبر شاهد على هذا الاستنتاج هو المسجد الذى أسسه هناك سماك بن مخرمة .

وقد ترتب على الفرق السابق بالنسبة لموضوع هذه الدراسة أن تأخرت بداية انتشار الإسلام فى أبهر عن بداية انتشاره فى دستبى . وليس من السهل علينا أن نحدد الفرق الزمنى بين البدايتين ، وذلك للصمت التام الذى نجده فى المصادر التى عنيت

[1] فتوح البلدان ص ٤٤٩ .

بالحديث عن انتشار الإسلام فى تلك البلاد ويقول : إن البداية فقط هى التى تأخرت ، إذ أنه قد ترتب على استيطان المسلمين فى كل من قزوين ودستبى فيما بعد أن أخذ الإسلام ينتشر فى أبهر حتى أصبحت هى الأخرى مركزا هاما من مراكز الإسلام هناك ، كما سنشير إلى ذلك فى مناسبة تالية .

مهما يكن من أمر ، فإنه بعد أن تم الاتفاق السابق مع أهل أبهر واصل البراء ابن عازب زحفه إلى قزوين . هناك وجد القائد المسلم أن القوم قد أعدوا عدتهم لقتاله وقتال رجاله ، بل وأكثر من ذلك أرسلوا إلى جيرانهم الديالمة طالبين منهم أن يشتركوا معهم فى التصدى للقوات الإسلامية ولكن الديالمة لسبب ما لم يبدوا استعدادهم للاشتراك فى قتال ضد القوات الإسلامية ، ومن ثم وضع أهل قزوين خطتهم على أساس أن يقاتلوا الجنود المسلمين وهم داخل أسوار مدينتهم . وفعلا دار القتال بين الفريقين ، وندع الرافعى القزوينى يحكى لنا ما دار بين المسلمين وأهل قزوين فهو يقول :

« وكان أهل قزوين يقاتلون محاصرين وإذا عرض عليهم الإسلام أو أداء الأتاوة قالوا وهم على أطراف السور بلغتهم الفارسية :

نه مسلمان بهنيم
ونه كزيت دهيم »

وهذا القول من أهل قزوين يعنى إصرارهم على عدم الاستجابة لما يدعوهم إليه المسلمون ، سواء أكان ذلك بالنسبة لاعتناق الدين الإسلامى أم بالنسبة لدفع الجزية والخراج .

لم يستمر أهل قزوين طويلا على امتناعهم ورفضهم الاستجابة لما عرضه عليهم المسلمون ، إذ أنهم تحت وطأة القوات الإسلامية ضعفوا واستسلموا . وحتى هذه النقطة نجد الاتفاق التام بين الروايات التاريخية ، أما بالنسبة للتطورات التى وقعت بعد ذلك فإن الدارس يواجه باختلاف وتعدد فى جهات النظر .

فمن ناحية يقول البلاذرى عن أهل قزوين - ويتفق فى ذلك معه ابن الفقيه - « فلما رأوا (أى أهل قزوين) ذلك (أى إصرار المسلمين على حربهم) طلبوا الصلح فعرض عليهم مثل ما أعطى أهل أبهر ،

(أو فقروا) من الجزية ، وأظهروا الإسلام[1] » .

ومن ناحية ثانية يقول ابن الأثير : « فلما رأى أهل قزوين ذلك طلبوا الصلح على صلح أبهر[2] » .

ومن ناحية ثالثة يقول الرافعي القزويني : « ثم إنهم بعد القتال الشديد سالموا وأظهروا أنهم قد أسلموا ، فلما انصرف القوم عادوا إلى ما كانوا عليه ، فعاد المسلمون واستولوا عليها قهرا[3] » .

وكما هو واضح من هذه النصوص فإن ما ذكره ابن الأثير من أن أهل قزوين قد طلبوا الصلح على صلح أبهر يناقض مناقضة صريحة ما قرره كل من البلاذري وابن الفقيه من أن أهل قزوين قد رفضوا أن تبرم معهم القوات الإسلامية صلحا مثل ذلك الذي سبق أن أبرموه مع أهل أبهر ، والذي بموجبه التزم الأخيرون بدفع الجزية والخراج للدولة الإسلامية ، وذلك في مقابل الإبقاء على دياناتهم السابقة .

ويبدو أن أهل قزوين حينما تأكدوا من أن نتيجة الاستمرار في القتال لن تكون في صالحهم حاولوا أن يتخذوا موقفا آخر ، وبذا أصبحوا أمام واحد من اثنين :

إما أن يعلنوا اعتناقهم للدين الإسلامي ، وبذلك يصبحون في عداد الجماعة الإسلامية بما عليها من واجبات وما لها من حقوق .

وإما أن يختاروا الإبقاء على دياناتهم السابقة ، وفي هذه الحالة يتحتم عليهم أن يلتزموا بأداء الخراج والجزية للدولة الإسلامية .

واختيار الأمر الثاني تترتب عليه مهانة ليسوا على استعداد لقبولها ، ولكن ليس من السهل عليهم في الوقت نفسه أن يتخلوا عن معتقداتهم الدينية ، حتى مع إغراء الحقوق التي سيكتسبونها نتيجة لهذا التخلي ، إذن فلا مناص من أن يقوموا بمناورة سياسية يكتسبون بها بعض الوقت ، لعلهم بذلك يستطيعون أن يغيروا ميزان القوى لصالحهم .

ومما يرجح التجاء أهل قزوين إلى أسلوب المناورة ما تؤكده المصادر من أنه كان بها

(1) فتوح البلدان ص ٤٤٩ ، وكتاب البلدان ص ٢٨١

(2) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٢٣

(3) التدوين في أخبار قزوين ج ١ ص ٨

عدد كبير من اليهود ، ومن تتبع التاريخ الطويل لتعامل اليهود مع غيرهم يستطيع الدارس أن يجزم بأنهم كانوا يلجأون إلى المناورة والمراوغة والتعامل على مستويين مختلفين فى وقت واحد ، وأكبر شاهد على ذلك يهود المدينة الذين تآمروا ضد الرسول ﷺ وتحالفوا مع أعدائه رغم معاهدة حسن الجوار التى سبق أن أبرموها مع الرسول .

والتجاء أهل قزوين إلى التعامل مع القوات الإسلامية بأسلوب المناورة هو ما يمكن أن يفهم بشكل وضوح من النص الذى ذكره الرافعى القزوينى .. « ثم إنهم بعد القتال الشديد سالموا وأظهروا أنهم قد أسلموا ، فلما انصرف القوم عنهم عادوا إلى ما كانوا عليه » .

هذا ، ولا يستطيع الدارس أن يسلم بما قاله المؤرخ المذكور بعد ذلك . . . « فعاد المسلمون واستولوا عليها قهرا » . إذ أنه من المعروف فى التشريع الإسلامى أنه إذا فتحت بلد ما بالسيف ، أى قهراً ، أو إذا لم يعتنق أهلها الدين الإسلامى ، فإن العلاقة الاقتصادية بينها وبين الدولة الإسلامية فى هذه الحالة تكون دفع الخراج بالنسبة للأرض ، وفى تتبعنا لتاريخ قزوين نجد أن المؤرخين ، بما فيهم الرافعى القزوينى نفسه يجمعون على أن قزوين كانت عشرية ، ومعنى هذا أنها لم تفتح بالسيف ، وإنما فتحت عن طريق الصلح والاتفاق نتيجة اعتناق أهلها الدين الإسلامى

وتمشيا مع هذا الفهم فإنه من الممكن أن يقال : إنه لما اتضح لأهل قزوين — أو للمجوس الذين كانوا يشكلون الأغلبية بها — أن المناورة التى سبق أن لجأوا إليها لم تؤد إلى النتيجة المرجوة أعادوا التفكير فى موقفهم ، ومما لا شك فيه أنهم كانوا يدركون تمام الإدراك أن غالبية أقاليم الإمبراطورية قد استسلمت للدولة الإسلامية وأن كثيرا من إخوانهم المجوس قد اعتنقوا الدين الإسلامى عن طواعية وطيب خاطر ومما لاشك فيه أيضا أنهم كانوا قد سمعوا عن القوة الذاتية التى يمتاز بها دين الفاتحين وأن القوة الذاتية لهذا الدين هى السر الحقيقى وراء الاستجابة الكبيرة التى قوبل بها من مختلف الجماعات .

نتيجة لهذا الاتجاه الجديد فى تفكير أهل قزوين أعلن القوم اعتناقهم للدين

الإسلامى حينما مادت القوات الإسلامية إلى بلادهم بهدف تأديبهم على ما قاموا به . والمراد بالقوم هنا عدد أو جماعات من المجوس ، وقد عمدنا إلى هذا التوضيح حتى لا يظن البعض أن يهود قزوين قد اعتنقوا الإسلام أيضا ، إذ أنه لم ترد أدنى إشارة إلى إسلام أحد من يهود قزوين فى تلك الفترة ، بل إنه على العكس ظل اليهود على عقيدتهم ، وكانوا فى القرنين السادس والسابع من الهجرة يشكلون جالية كبيرة هناك[1] .

وهكذا نجد انقساما واضحا تجاه الإسلام بين أتباع هاتين الديانتين ، فمن ناحية ، أخذ المجوس يقبلون على اعتناق الإسلام والانضواء تحت لوائه ، ومن ناحية أخرى أصم اليهود عقولهم وظلوا متشبثين بعقيدتهم ، حدث هذا فى وقت كان يعيش فيه كل من المجوس واليهود تحت ظروف واحدة ، أو على الأقل متقاربة ، الأمر الذى يجعلنا نكاد نجزم بأن طبيعة اليهود وما جبلوا عليه من صلف وانطواء كانت هى الفيصل الوحيد بين موقفهم وموقف المجوس .

مهما يكن من أمر ، فقد وقعت هذه الأحداث فى الفترة الشاملة لأواخر العام الثانى والعشرين من التاريخ الهجرى وأوائل العام التالى ، ومعنى هذا أنه فى تاريخ متأخر من تلك الفترة بدأ نور الإسلام ينتشر بين المجوس من أهل قزوين أى أن حركة انتشار الإسلام قد أخذت آنذاك تكتسب عناصر جديدة ، وذلك فى البقعة المتاخمة لإقليم جيلان .

هذه هى قصة بداية انتشار الإسلام فى قزوين ، وسنحاول فى المقال التالى أن نناقش وضع مسلمى قزوين فى الدولة الإسلامية ، وأن نتتبع مظاهر نمو الدين الإسلامى فى جميع أنحاء المنطقة ، مع التعرف على الاتجاهات المذهبية التى سادت هناك ، ولن نغفل الالتفات إلى توضيح أهمية قزوين كمركز لنشر الإسلام فى المناطق المجاورة .؟

د. عامر غنيم أبو سعيد

---

[١] أبو زكريا القزوينى (آثار البلاد وأخبار العباد) طبعة بيروت ص ٤٣٦

ما يقال عن الإسلام

مظاهر من الحضارة الإسلامية

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

مضى على الإسلام منذ ظهوره حتى اليوم أربعة عشر قرنا من الزمان . ولما كانت دراسة التاريخ هى دراسة الحضارات فلا عجب أن يؤرخ للإسلام من خلال الحضارات المختلفة التى تقلبت على العالم الإسلامى هذه القرون المتعددة .

وقد نهض للاضطلاع بهذه المهمة مستشرق معروف ، الأستاذ (أربرى) الذى توفى منذ قليل وقد ناهز الثمانين من العمر وكان يجيد العربية والفارسية والتركية .

وفى سنة ١٩٦٤ أصدر كتابا فى أربعمائة صفحة من القطع الكبير ، باللغة الانجليزية ، وأسماه «مظاهر الحضارة الإسلامية» (١) أو إن شئت فقل إنه جولة فى الحضارة الإسلامية منذ ظهورها حتى العصر الحديث ، وجعله أربعة عشر فصلا مبتدئا بالعرب قبل الإسلام ثم بنزول القرآن ، وانتهى بثورة الإسلام فى الوقت الحاضر . وهو يمهد للفصل الذى يعقده بصفحة أو أكثر تصور للمرحلة التى يتحدث عنها ثم يدع الحديث للكبار المفكرين الذين ظهروا فى تلك المرحلة .

وقد جاء الكتاب فى أوانه ، وكأنه يحكى خوالج المسلمين الدائرة بين جوانحهم ، وبخاصة النزعة الإسلامية والعربية ، وما المقصود بالحضارة الإسلامية وماذا يقوم فى الوقت الحاضر فى أساس الوحدة العربية ؟ ، والأمل فى وحدة أكبر من الوحدة العربية وأشمل منها وهى الوحدة الإسلامية . وما موقف الإسلام من الصراع القائم الآن بين شتى العقائد والايديولوجيات ؟

ويجيب عن هذه التساؤلات بأنه يحسن بالمراقب الأجنبى الغربى لسياسة العالمية أن يفحص بعمق أكبر ونظرة تاريخية أنفذ ـ المراحل ـ الطويلة التى خطاها التاريخ ، والقوى الشعبية التى انتهت بالمحنة

---

(١) Aspects of Islamic Civilisation.

الحاضرة . ذلك أنه ثمة مجموعات قوية من الدول يرتبط بعضها ببعض بروابط مشتركة من تقاليد وطريقة فى الحياة واحدة ، على الرغم من فوارق محلية ليست بذى بال وهذه الدول تحرر معظمها حديثا من ربقة الاستعمار ، وكلها متمسكة بحريتها ، تمتد من مراكش غربا إلى أندونيسيا شرقا ومن تركيا شمالا إلى السودان جنوبا ، وتضم فى داخل حدودها عالما إسلاميا يبلغ أربعمائة مليون نسمة . وكلها تفخر بميراث مشترك ، وتتطلع إلى استعادة أمجاد حضارة سيطرت فى عهدها الذهبى على العالم كله .

لم يكن الأستاذ أربرى الوحيد من بين المستشرقين الذين سطروا تاريخ الحضارة الإسلامية، بل سبقه كثيرون من الباحثين غير أنه لا يتبع نفس أسلوب فيليب حتى ، أو بروكلمان ، أوجب ، أو جرونباوم ، أولى بروفنسال وأضرابهم ، إذ يسلك مسلكا آخر هو الاعتماد على النصوص الإسلامية وترجمتها ترجمة دقيقة ما أمكن إلى ذلك سبيلا ، وبخاصة النصوص الأدبية من شعر ونثر وبذلك يجعل الكتاب المسلمين أنفسهم هم الذين يصورون حضارتهم ، أو بمعنى آخر ينظر إلى الحضارة من داخل لا من خارج ، حضارة الحياة والفكر .

عندما حكمت روما العالم العربى ، ظلت جزيرة العرب بعيدة عن مهد الحضارة ، حتى إذا جاء الإسلام وجد روما قد حلت بها الفوضى ، وانقسمت على نفسها ، واستقلت بيزنطة واتجهت فى المسيحية وجهة مختلفة عن الكنيسة الغربية ، ودخلت فى نزاع مع الساسانيين فى إيران التى كانت مهد الزرادشتية . وعرف العرب فى شمال الجزيرة المسيحية القائلة بطبيعة واحدة للمسيح ، ودان بها الغساسنة ، كما عرفوا النساطرة فى الحيرة .

كانت كثرة العرب تدين بالأوثان ، واعتنق منهم قلة النصرانية واليهودية ، وكان الشعراء هم اللسان الناطق بأحوال العرب الاجتماعية والفكرية ، وسجلوا هذا الشعر فى معلقات تعد من أروع ما عرفه فى الأدب العالمى ، وكان منهم أمرؤ القيس والنابغة ، وطرفة ، وزهير بن أبى سلمى وغيرهم ، وكان البيت من الشعر يخرج من فم الشاعر فيردده الرواة فى سائر أرجاء الجزيرة العربية .

فى مثل تلك الظروف ولد محمد عليه السلام سنة ٥٧٠ ميلادية فى مكة ، التى كانت مدينة تجارية انتشر بها الثراء

لاشتغال أهلها بالتجارة بين المحيط الهندى والبحر الأبيض المتوسط . وكان شريف النسب فهو من بنى هاشم أقوى قبائل قريش ، غير أنه نشــأ يتيما فقيرا . ثم كافح فى سبيل الدعوة إلى الحق ، واضطر سنة ٦٢٢ ميلادية إلى الهجرة من مكة إلى يثرب ، التى سميت فيما بعد بالمدينة ، أى مدينة رسول الله . فلما توفى سنة ٦٣٤ ، كان الإسلام ، دين التوحيد والوحدانية قد استقر فى النفوس ، وأصبح بعد موته الدين الذى انتشر سريعا فى عدد كبير من الدول شرقا وغربا .

خضعت الشام وفلسطين للإسلام سنة ٦٤٠ والعراق ٦٤١ ، ومصر ٦٤٢ ، وطرابلس الغرب ٦٤٧ ، وفارس ٦٥٠ ، وأفغانستان ٦٦١ ، وفى ذلك العام انتقل مركز الخلافة من المدينة إلى دمشق . ولم يكد يمضى قرن من الزمان حتى انتشر الإسلام فى شمال إفريقية وعبر أسبانيا ، وأصبحت اللغة العربية هى اللغة السائدة من تخوم الصين شرقا إلى شاطىء الأطلسى غربا يجلجل الأذان من فوق المنابر مناديا لا إله إلا الله ، داعيا الناس إلى الصلاة .

لقد لفت انتشار الإسلام السريع أنظار المؤرخين ، الذين حاولوا أن يرجعوا أسباب هذا الانتشار إلى قوة العرب الحربية ، أو إلى تفكك الدول النصرانية والفارسية .

ولكن اعتناق الملايين للدين الجديد عن طواعية ، طبقا للقاعدة القرآنية : « لا إكراه فى الدين » دليل على أن هذا الدين حق ، وأنه من عند الله ، دين يسر لا تعقيد فيه ، يقوم على أساسين هما .

(١) لا إله إلا الله .

(٢) محمد رسول الله . هذا فضلا عن القرآن ، كتاب الله ، وما يشتمل عليه من ترغيب وترهيب ، ودعوة إلى الخير وحث على مكارم الأخلاق .

توفى الرسول ، لأنه إنسان ، ولكن دعوته حملها أصحابه جيلا بعد جيل ، وظل الإسلام الذى أنزل على محمد باقيا حتى اليوم.

ولم يكن من الغريب أن تنفذ الآراء اليونانية ، والمجادلات المسيحية ، إلى العالم الإسلامى منذ القرن الأول ، حملها أولئك الذين اعتنقوا الإســلام منهم ، واستمروا بعد إسلامهم يجادلون : هل الإنسان مسير أم مخير ؟ حر أم مجبور . وهل القرآن ، كلام الله أزلى أم مخلوق ؟ والأغلب أن هذه الفتنة كانت أخطر فتنة

واجهها الإسلام ، واستمرت زمنا طويلا وامتحن بها الإمام أحمد بن حنبل .

وتفذت الفلسفة اليونانية ، وعلوم اليونان إلى العرب منذ أوائل حكم الأمويين واستمرت حركة التعريب إلى قيام العباسيين وإنشاء بغداد ورعاية هارون الرشيد ثم المأمون ، حركة الترجمة . وقامت مدن تنافس بغداد فى الحركة العلمية ، على رأسها بخارى، التى عرفت الشيخ الرئيس ابن سينا طبيبا وفيلسوفا . ولم يكن للغرب الإسلامى أقل غيرة على التبحر فى الفلسفة اليونانية من علماء للشرق من أمثال الكندى والفارابى وابن سينا ، فنهض ابن باجة وابن طفيل، ثم ابن رشد شارح أرسطو بالمساهمة فى تلك الحركة الفلسفية ، ولم تقتصر الترجمة على العلوم اليونانية بل شملت كذلك حكمة الفرس والهند ، ويعد عبد الله بن المقفع من أكبر الأدباء الذين نقلوا كنوز تلك الحكمة ، بلغة رصينة وعبارة بليغة ، على الرغم من أن أصله فارسى . ويعد كتاب كليلة ودمنة من أروع ما نقل فى الأدب والسياسة من السنسكريتية إلى البهلوية ثم إلى العربية .

وفى منتصف القرن الخامس عشر ، انحسر الإسلام من الأندلس فى الغرب ، ولكنه نهض مع الأتراك العثمانيين فاستولى على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ وامتد حتى شمل شرق وأواسط أوربا ، وانتقلت الخلافة إلى العثمانيين ، وهى التى استمرت حتى سنة ١٩٢٤

وشهد القرن التاسع عشر موجات جديدة من الاستعمار الأوربى ، فى الهند والعراق والشام ، ومصر ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش ، ثم بدأت هذه الدول تتحرر من ربقة الاستعمار ، وتمضى فى طريقها لاستعادة مجدها الغابر .

ولا تزال الحركة مستمرة والأمل معقود على يقظة الدول الإسلامية وتطورها فإن التاريخ يقاس بالأجيال لا بالسنين .

هذه نظرة شاملة ، واقعية ، تصور مظاهر الحضارة الإسلامية منذ ظهورها حتى اليوم ، كما عبر عنها رجال الدين ، والعلماء ، والمتصوفة ، والأدباء والشعراء ونقلها الأستاذ أربرى فى كتابه الضخم ؟

أحمد فؤاد الأهوانى

نزل الوحي بالرسالة فيه

سرحَ الطَّرْفَ في السَّماءِ بعيدا ... إنَّ بين السرى هلالاً جديداً
لاح شهرُ الصيام ، وهو كريمٌ ... يملأ الأرضَ والعوالمَ جودا
كتب الله أن يكون فريداً .. ... ذلك الشَّهرُ في الزمان ، وعيدا
نزلَ الوحيُ بالرسالةِ فيه ... لنبي الهدى ، فكان سعيداً
بثَّ أمرَ الرحمن في الكونِ نوراً ... وأعزَّ الإسلامَ ، والتوحيدا

سرحَ الطرفَ ، كم ترى من وفودِ ... هاتفاتٍ بكل معنىً شرودِ
قد أنابوا لربهم واستجابوا ... للهدى ، بين ركَّعٍ وسجودِ
كلُّ قلبٍ يسبح الحقَّ جلتْ ... قدرةُ الله ، وهو ربُّ الوجودِ
فرضَ الصَّومُ ، وهو طهرةُ نفسٍ ... وبهِ حكمةُ العزيز الحميد
كل عامٍ به تطالعُ بشرى ... وتناديهِ في صلاحٍ ، وجودِ

سرحَ الطرْفَ ، كم ترى مستهاما ... ساهدَ الجفنِ أيقظَ النوّاما
كل دربٍ يدفُ فيه بنجوى ... وهو يلقي على الدروبِ السلاما
أيها الناسُ قد دنا الفجر منَّا ... قربوا الزادَ ، وابتغوه كراما
قد دنا الفجرُ ، وهو يومٌ جديدٌ ... نضر الله صبحهُ البسَّاما
فاذكروا الله ما اتويتم زكاةً ... وصلاةً ، مبرورةً ، وصياما

محمد هارون الحلو

أحكام فى الصيام وصدقة الفطر

تقديم : الاستاذ محمد ابوشادى

الأسئلة الآتية قدمها بعض قرائنا الكرام .

١ — هل تبيت النية فى صيام رمضان لا بد منه وما الدليل ؟

ج : نعم لا بد منه فقد ورد عن السيدة حفصة عن النبي ﷺ أنه قال: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر - أى يعزم - فلا صيام له» ، رواه أحمد وأبو داوود وغيرهما .

٢ — هل القيء يبطل الصيام وما الدليل ؟

ج : القيء إما أن يكون بفعل الصائم نفسه بأن يضع إصبعه فى فمه فيقيء ، وإما أن يكون قهراً عن الصائم بأن غلبه ، فإن كان بفعله فقد أفطر ، وإن بالغلبة فلا يفطر فقد ورد عن أبى هريرة ، أن النبي ﷺ قال : « من استقاء عمداً فليقض ، ومن ذرعه القيء - غلبه - فليس عليه قضاء » .

٣ — هل يجوز للصائم أن ينام بالجنابة حتى الصباح وما الدليل ؟

ج : يجوز له ذلك فقد ورد عن عائشة وأم سلمة أن النبي ﷺ ، كان يصبح جنبا من جماع غير احتلام ، ثم يصوم رمضان ، رواه البخارى ومسلم وأحمد ، وأيضا فإن الله سبحانه وتعالى ، أباح الجماع ليلة الصيام وأباح الأكل والشرب حتى يتبين سواد الليل وبياض النهار ، فقال : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » وقال: « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » ومفهوم هذا أن الرفث إلى النساء مباح ليلة الصيام حتى مطلع الفجر وقد يكون من ضرورة ذلك

أن يدرك الفجر الصائم وهو جنب لم يغتسل ومن هنا كان الصوم صحيحا ولا تأثير للجنابة عليه .

٤ — ما حكم من أكل أو شرب ناسيا فى رمضان ؟

ج : حكمه أن يتم صومه ولا قضاء عليه فقد ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : (من نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

٥ — هل الكحل والقطرة والحقن شرجية وغيرها وما شابهها تفطر الصائم ؟

ج : كل هذه الأشياء لا تفطر الصائم .

فقد ورد عن السيدة عائشة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، اكتحل فى رمضان وهو صائم ، رواه ابن ماجه ، ويسرى هـذا الحكم على ما يستقطر فى العين ، كالقطرة أو فى الأذن ، أو فى الأنف ، وإن وصل ذلك إلى الحلق ، ومثل ذلك غبار الطريق والطحين ولا بأس بالفتيل ليتدخل بالدواء فى جوف المريض الصائم ، ولا بأس كذلك بالحقنة فى الوريد وتحت الجلد ، بل ذهب بعضهم إلى أنه لا بأس بالحقنة الشرجية لأنها للتداوى ويراد بها استخراج غيرها معها من الجوف ، وقد أجاد أبو محمد ابن حزم فى توجيه هذه الأحكام إذ قال : إنما نهانا الله سبحانه وتعالى فى الصوم ، عن الأكل والشرب والجماع وتعمد القىء والمعاصى وما علمنا أكلا ولا شربا يكون على دبر أو إحليل ، أو أذن ، أو عين أو أنف ، أو من جرح فى بطن أو رأس ، وما نهينا قط عن أن نوصل إلى الجوف بغير الأكل والشرب ما لم يحرم علينا إيصاله وأرى أن الأولى ترك الحقن الشرجية لما فيها من خلاف ، إلا إذا تعينت طريقا للشفاء ، إذ لا ضرر ولا ضرار .

٦ — هل الأفضل للمريض والمسافر الصوم أم الفطر حتى ولو كان السفر مريحا ؟

ج : رخص الله للمريض والمسافر فى الفطر فى رمضان ، فيقول ، « فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » والفطر رخصة لكل منهما ، والأخذ بها لا مانع منه ، وإلا فلا جناح على من لم يأخذ بها ، ويستوى فى ذلك المسافر على قدميه أو على

دابة أو طائرة أو سيارة لأن الله لم يعين وسيلة بعينها للسفر، ويستوى فى ذلك من يشكو مرضا فى معدته أو عينه أو قلبه أو إصبعه أو غير ذلك، مما يندرج تحت اسم المرض من الألم والوجع لأن الله لم يعين مرضا بعينه، والأخذ بالرخصة أولى إذا كان الصيام يشق عليه مشقة تضر به، فقد ورد عن جابر أنه قال: كان رسول الله ﷺ فى سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه: فقال ما هذا؟ قالوا صائم، فقال: (ليس من البر الصيام فى السفر). رواه البخارى

٧ — ما حكم من أخطأ بالإفطار قبل الغروب أو السحور بعد الفجر؟

ج: مبدأ الصوم هو طلوع الفجر، وغايته غروب الشمس، فمن أكل أو شرب ظنا منه أن الفجر لم يطلع وهو طالع، أو ظنا منه أن الشمس قد غربت وهى لم تغرب، فيكون قد أكل عمداً فى وقت الصوم، فيفسد صومه، ويجب عليه القضاء فقط ولا كفارة عليه.

٨ — ما هو القدر الذى يجب إخراجه عن الفرد الواحد بالكيل المصرى؟

ج: هو صاع من بر أو شعير أو ذرة أو أرز أو تمر أو زبيب أو فول أو عدس، وقد اختلف الفقهاء فى تقدير الصاع بالكيل المصرى، فجعله الإمام أبو حنيفة، قدحين وثلث القدح، وفرق بين المخرج من البر وبين باقى الأصناف، فإذا كان الإخراج من البر فالواجب عنده نصف صاع وهو قدح وسدس عن كل فرد فالكيلة المصرية تجزىء عن سبعة أفراد إذا زيد عليها سدس قدح، ولعل دليله فى ذلك ما ورد عن أبى سعيد الخدرى قال: كنا نعطيها فى زمن النبى ﷺ صاعا من طعام أو صاعا من شعير أو صاعا من أقط أو صاعا من زبيب، فلما جاء معاوية وجاءت سمراء الشام ـ القمح الشامى ـ قال: أرى مدا من هذه يعدل مدين، قال أبو سعيد: أما أنا فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه على عهد رسول الله ﷺ فمعاوية هو الذى عدل الصاع من غير البر بنصف الصاع من البر، ويجب عند الإمام أبى حنيفة صاع كامل من باقى الأصناف عن كل فرد فالكيلة المصرية منها تجزىء عن ثلاثة ويبقى منها قدح واحد، ويجب أن يلاحظ هذا فى الأرياف لأن غالب قوتهم الذرة.

والإمام الشافعى جعل الصاع قدحين بالكيل المصرى ولم يفرق بين الأصناف وعلى هذا فالكيلة المصرى تجزىء عن أربعة .

والإمام مالك جعل الصاع قدحا وثلثا فالكيلة المصرية تجزىء عن ستة أفراد والإخراج عند الجميع إنما يكون من غالب قوت البلد ويجوز على مذهب الإمام أبى حنيفة أن يخرج المزكى قيمة الزكاة الواجبة نقدا ، وهذا أفضل ولا بأس بتقليد غير الحنفى للحنفى فيه إذ أنه أكثر نفعا للفقراء وأكثر تمشيا مع حاجة الزمن .

وقيمة الزكاة بالعملة المصرية إنما يرجع إلى ثمن الكيلة وهو يختلف فى بعض الأصناف عن البعض الآخر .

٩ — هل يجوز نقل زكاة الفطر من بلد إلى آخر للأقارب المستحقين ؟

ج : لجنة الفتوى تجيب على هذا السؤال . فتقول ، يجوز نقل الزكاة من بلد إلى الأقارب ببلد أخرى لأنها حينئذ صدقة وصلة ؟

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أفطر يوماً من رمضان ، فى غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر كله ، وإن صامه) .

المصطلحات العسكرية في كتاب "المخصص" واستعمالها في الجيش العراقي الحديث

للواء الركن محمود شيت خطاب

— ٥ —

(ز) رُمحٌ رَعّاشٌ : شديد الاضطراب .

(ح) الخَطِلُ : الشديد الاضطراب المُفرِطُهُ .

(ط) رُمحٌ مُثَمَّم : ثُقِّفَ حتى لانَ .

(ى) رُمحٌ خطّار : ذو اهتزاز ، وقد خَطَرَ يَخطِرُ خَطَرَانا .

٣ — لا تُستعمل هذه المُصطلحات في الجيش ، لأن الرِّماح مصنوعة في معمل حربي واحد ، فهي متشابهة تقريباً .

وفي هذا الصَّدَد تُستعمل المُصطلحات التالية :

رُمحٌ لَيِّن ، ورُمحٌ صُلبٌ ، ورُمحٌ غليظٌ ، ورُمحٌ دَقيقٌ ، وهذه المُصطلحات واضحة المعاني .

نُعوتها من قِبَل ذُبُولها ولونها

١ — (أ) الرِّماحُ الذَّوابِلُ : سُمّيت بذلك ليُبسها ولصوق لِيطها بعض قِشرها .

(ب) الزُّجُّ الأظمى : الأسمر ، والمؤنثة ظمياء — بَيِّنة الظَّمى

(ح) رُمحٌ ألمَى : شديد سُمرة اللِّيط ، ومنه شفة لمياء .

٢ — لا تُستعمل في الجيش ، ولكنها تصلح للاستعمال في المُستقبل .

نعوت الرماح من قِبَل اشتدادها وصلابتها واستوائها وضعفها .

١ — (أ) قناة صَمّاء : صُلبة مُستوية الكعوب مُكتنزة .

(ب) قناةٌ صَدْق وصَدَقَة : صُلبة ، والصَّدْق : الصُّلب ، وقيل المُستوى وأنشد :

صِدقٍ حُسامٍ وادِقٍ [1] حَدُّهُ

(ح) قناةٌ صَمّاء المُكتنِزة ، والصَّمَمُ : اكتناز القَناة .

(د) الدَّلاصُ : الصُّمُّ من الرِّماح ،

---

[١] ودق السيف : حد . أنظر المعجم الوسيط (م/١٠٢٢) .

وقيل : هو التي يُدْعَسُ بها ، أي يُطْعَن ، والمِدْعَسُ : الجيّد الطّعْن بالرمح .

(هـ) انْمَارَ الرُّمح . اشتد وصلب .

(و) رُمح حادِرٌ عَبيطٌ .

(ز) المِتَلُّ : الشّديد الغليظ القوىّ .

(ح) رُمح عَرْد : شـــديد صُلْبٌ . والعَرْد . الصُّلب من كل شىء .

(ط) عَتَرَ الرُّمح عَتْراً : اشْتَدّ . والعَتْرُ : الاهتزاز .

(ى) لَحمَّانُ : الضّعيف . وَقَناة لَحّانة .

(ك) ورُمْح رَشٌ : ضَعيفٌ خَوّار . وكذلك رُمْحٌ رَاشٌ .

٢ — قَنَاة صَمّاء : مُكْتَنِزة ، ويستعمل هــــذا المصطلح نادراً فى الجيش ، والذى يستعمل هو . رُمح غَليظٌ .

نعوتها من قِبَل اعْوِجاجها وَقَوامها

١ — (١) ضَلِعَ الرُّمحُ . ضَلَعاً . اعْوَجّ

(ب) قَنَاة ضَمِنَة : عَوْجاء . والضَّمَن : العَوَج .

(ح) رُمحٌ قَويمٌ وقَوَام . مستقيم .

(د) الثّقاف : حَديدَة تكون مع الرِّماح يُقَوَّم بها المُعْوَجّ . (ج) ثُقُفٌ .

٢ — الثِّقَاف : أداة من أدَوات الرِّماحُ يُقَوَّم بها المُعْوَج .

نعوتها من قِبَل طولها وقِصَرها

١ — (١) رُمح مِغْرَح طَويل .

(ب) المِطْرَاد الرمح ليس بالطّويل يُقتل به الوَحْش .

(ج) القَدْبة ـ من الرِّماح . ماطال واهتَزّ .

(ج) غابٌ .

(د) رمح سَلِبٌ : طويل ، وبيت القطامى يروى على وجهين .

قَنَا سَلِباً وأفراساً حِسَاناً

ومن رَوَاهُ : سُلُباً ، فعلى أنها جمع سَلُوب ، أى مُستَلِبَة للنفس .

٣ — المِطْرَاد : رُمح ليس بالطــويل يستعمل فى صَيْد ابن آوى ، يَشْهد حفلات الصَّيْد ضُبّاط الخيّالة كل عام [1] :

نعوتها من قِبَل تَكَسُّرها وتَفْلِيلها

١ — (١) رُمح قَصِيد ومُتَقَصِّد وقِصْدَة : مُكسور وقد قَصِدَ .

[1] المستعمل فى الوقت الحاضر لهذا الرمح هو : الرمح القصير والمصطلح الوارد فى أعلاه مقترح لتسميته الدقيقة لرمح الصيد خاصة وأن الصيد لا يكون إلا بالطراد .

(ب) قَصِفَت القَنَاة ـ قَصَفاً . انكسرت ولم تَبِن ، فإن بَانَتْ قيل : انقصفت .

(جـ) عَلَبْت الرُّمح . شَدَدْتُه بالعِلْباء . والعِلْبُ : العَصَبَة المُمْتَدَّة في العُنق [١] .

٣ - قَصِفَت القَنَاة : انكسرت

نُسُوتُها من قِبَل صُنّاعها ومَوَاضِعها

١ - (١) الرُّدَيْنِيُّ : يُنسَب إلى امرأة يقال لها رُدَيْنَة تبَاع عندها الرِّماح .

(ب) السَّمْهَرِيَة : منسوب إلى سَمْهَر ، وهو رجل .

(جـ) اليَزَنِيَة : منسوبة إلى ذى يَزَن ، لأنّ أوّل من عُمِلت له ذو يَزَن ، وهو من مُلوك حِمْيَر [٢] .

(د) الخطىُّ : منسوب إلى أرض يقال لها : الخطُّ : الواحد خَطِّيٌّ ، والجمع : خَطِّيَّة . والخطُّ : مَرْفَأ السُّفن بالبحرين يُنْسَبُ إليها الرِّماح ، وليست الخطُّ بمَنْبِتٍ لها ، ولكنها مَرْفَأ السُّفن التى تحمل القَنَا من الهند ، كما قالوا : مِسْكُ دارِين ، وليس هناك مِسْكٌ ولكنّه مَرْفَأ السُّفن التى تَحمِل المِسْك من الهند .

٢ - (١) العَرَبِيَّة : الرِّماح المَصْنُوعة فى المَصَانع الحربية العربية .

(ب) الهِنْدِيَّة : الرِّماح المَصْنوعة فى المَصَانِع الحربية الهندية ، وكانت تُسْتَوْرَد من الهند حتى عام ١٩٣٩ م .

(جـ) الأجْنَبِيَّة : الرِّماح المصنوعة فى المصانع الحربية الأجْنَبية : فى بريطانيا وكندا وكانت تُسْتَوْرَد للجيش منذ عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٤٨ م .

نُعُوت الأسِنَّة من قِبَل حِدَّتها وتَلَثُّمها

١ - (١) الوادِق الحديد .

(ب) المِنْجَل الواسع الجرح . وهو من قولهم : نَجَلَه بالرُّمح يَنْجُله نَجْلاً : طعنه . ولذلك قيل : طَعْنة نَجْلاء . أى واسعة . وحقيقة النَّجَل : سَعَة العَيْن .

(جـ) رُمْحٌ خِدَبٌّ : واسع الجرح . ومنه : طَعْنَة خَدْباء . واسِعة .

(د) اللَّهْذَم : القاطع .

محمود شيت خطاب

---

[١] المعجم الوسيط « ٦٢٦/٢ » .

[٢] ملوك اليمن السعيد قبل الإسلام .

أنباء وآراء

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر بمكتبه صباح الثلاثاء ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٦٩ السيد / عبد الستار سيرت عميد كلية الشريعة بأفغانستان ، وتحدثا فى تدعيم العلاقات الثقافية بين البلدين وتدعيم بعثة الأزهر بأفغانستان وتحدث السيد سيرت عن دور أفغانستان لمساندة الشعب العربى ضد الصهيونية ، وهنأ فضيلة الإمام بمنصب مشيخة الأزهر ، كذلك استقبل الإمام الأكبر السيد : ليجيسلاف نوفاك سفير تشيكوسلوفاكيا فى القاهرة وتناول حديثهما تأييد تشيكوسلوفاكيا للجمهورية العربية المتحدة فى نضالها ضد العدوان الإسرائيلى وهنأ فضيلته .

وفى ٢٣ من أكتوبر سنة ١٩٦٩ استقبل فضيلته السيد أحمد يونى موكوجينا سفير أندونيسيا بالقاهرة والسير برنارد بورمنت سفير بريطانيا فى القاهرة اللذين قدما التهنئة .

وفى ٢٥ من أكتوبر ١٩٦٩ استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد دياخاتى سفير السنغال بالقاهرة الذى هنأ فضيلة الإمام وقد أهداه فضيلته كتاب « أخلاق القرآن » باللغة الفرنسية للدكتور محمد عبدالله دراز .

● بدعوة من وزارة الأوقاف الكويتية ولمدة شهر رمضان يسافر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية لإلقاء سلسلة من المحاضرات الدينية فى هذا الشهر المبارك .

كذلك تلقى فضيلته دعوة لزيارة الهند وجهت إليه من « رابطة علماء الهند » بنيودلهى لتفقد أحوال المسلمين بهذا القطر

وفى شهر رمضان يصدر لفضيلته مؤلفه الجديد : « القرآن فى شهر القرآن » .

● اتخذت سيلان خطوة تنظيمية حكيمة فى سياستها التعليمية ، فعلى مدى السنوات الثلاث القادمة سيلغى نظام التعليم المشترك من البلاد . وستخصص للبنات مدارس مستقلة عن البنين بعد أن أوضحت

التقارير أن التعليم المشترك قد أفسد الشباب السيلانى. وأدلى وزير التعليم بهذا التصريح: إنه من الغباء إطـــلاق الحرية لشباب لا يستطيع تقدير قيمتها ، ومن الطبيعى أن تشغل التلميذات الجميلات زملاءهن عن العلم والدراسة ؟

● بدعوة من حـكومة كندا يلقى الدكتور محمود حب الله مدير المركز الإسلامى بواشنطن محاضرات عدة عن الإسلام بجامعاتها .

● أصدر الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية قرارات تنظيمية بالمجمع تقضى بأن يكون :

الأستاذ الشيخ عبد الرحمن عبد الفتاح الزغبى مديرا للمكتب فضيلة الأمين العام.

ويستمر الأستاذ الشيخ متولى يوسف شلبى فى عمله (سكرتيرا) خاصا لفضيلة الأمين العام .

ويوجه الدكتور محمد عبد الغنى شامة لإدارة العلاقات العامة لمجمع البحوث الإسلامية .

ويتولى الأستاذ رشـدى حسن محمد الإشراف الإدارى على مطبعة الأزهر إحـــدى وحـدات مجمع البحـوث الإسلامية .

● تهتم محافظة الدقهلية بالجمهورية العربية المتحدة بإنشاء مـكاتب تحفيظ القرآن الكريم . وقـد أعدت لذلك خطة تشمل جميع قرى المحافظة ، وستنظم مسابقات بين الدارسين يعقبها توزيع جوائز مالية للناجحين .
يشرف الأزهر الشريف على هذه المـكاتب.

● صرح أحد رجال الدين فى مدينة نيويورك بأنه على الرغم مما يدعيه مصممو الأزياء عن رشاقة لابسة « الميني جيب » إلا أن الغرض الرئيسى من ارتداء هـذه الملابس القصيرة ليس إلا إغراء الرجال وإثارة حوافزهم الجنسية بصورة وقحة .

على الخطيب

Talib, the chief of the tribe and uncle of the Prophet died soon after. Another uncle of the Prophet, Abu-Lahab, who was an inveterate enemy of Islam, now succeeded to the headship of the tribe. (cf. Ibn Hisham, Sirah)

THE ASCENSION

25 — It was at this time that the Prophet Muhammad was granted the mi'raj (ascension) ; He was witness of the marvels of the celestial regions. Returning, he brought for his community, as a Divine gift, Islamic worship (Prayer), which consitutes a sort of communion between man and God. It may be recalled that in the last part of Muslim service of worship, the faithful employ as a symbol of their being in the every precence of God, not concrete objects as others do at the time of communion, but the very words of greeting exchanged between the Prophet Muhammad and God on the occasion of the former's mi'raj : " The blessed and pure greetings for God, - Peace be with thee, O Prophet, as well the mercy and blessing of God. Peace be with us and with all the well-behaving servants of God".

The Christian term "Communion" implies participation in the Divinity. Finding it pretentious, Muslims use the term "ascension" towards God and reception in his presence, God remaining God and man remaining man and no confusion between the twain.

26 — The news of this celestial meeting led to an increase in the hostility of the pagans of Mecca ; and the Prophet was obliged to quit his native town in search of an asylum elsewhere. He went to his maternal uncles in Ta'if, but returned immediately to Mecca as the wicked people of that town chased the Prophet out of their city by pelting stones on him and wounding him.

(To be Continued)

(Continued from page 10)

They are the same instructions received from our prophet when he said :

"And like for the people what you like for yourself : and hate for the people what you hate for your-self".

The prophet Muhammad (peace be on him) went deeper than that when he said :

"By Him in whose hands my life stands ! No servant (of God really) believes until he loves for his brothers what he loves for him-self".

governs a just ruler, in whose realm nobody is oppressed" (Ibn Hisham). Dozens of Muslims profited by his advice, though not all. These secret flights led to further persecution of those who remained behind.

23 — The Prophet Muhammad called his religion "Islam" i.e . . . submission to the Will of God. Its distinctive features are two : (1) a harmonious equilibrium between the temporal and the spiritual (the body and the soul), permitting a full enjoyment of all the good that God Has created, (Qur'an 7/32), enjoining at the same time on everybody duties towards God, such as worship, fasting, charity, etc. Islam was to be the religion of the masses and not merely of the elect. (2) A universality of the call - all the believers becoming brothers and equals without any distinction of class or race or tongue. The only superiority which it recognize is a personal one based on the greater fear of God and greater piety (Qur'an 49/13)

SOCIAL BOYCOTT

24 — When a large number of the meccan Muslims migreated to Abyssinia, the leaders of paganism sent an ultimatum to the tribe of the Prophet, demanding that he should be excommunicated and outlawed and delivered to the pagans for being put to death. Every member of the tribe, Muslim and non-Muslim rejected the demand. (cf Ibn Hisham). There upon the city decided on a complete boycott of the tribe : Nobody was to talk to them or have commercial or matrimonial relations with them. The group of Arab tribes, called Ahabish, inhabiting the suburbs, who were allies of the meccans, also joined in the boycott, causing stark misery among the innocent victims consisting of children, men and women, the old and the sick and the feeble. Some of them succumbed, yet nobody would hand over the Prophet to his persecutors. An uncle of the Prophet, Abu Lahab, however left his tribesmen and participated in the boycott along with the pagans. After three dire years, during which the victims were obliged to devore even crushed hides, four or five non-Muslims, more humane than the rest and belonging to different clans, proclaimed publicly their denunciation of the unjust boycott. At the same time, the document promulgating the pact of boycott which had b en hung in the Ka'ba, was found, as Muhammad has predicted, eated by white ants, that spared nothing but the words God and Muhammad. The boycott was lifted, yet owing to the privations that were undergone the wife and Abu-

vision had spread and at the pause the sceptics in the city had begun to mock at him and cut bitter jokes. They went so far as to say that God had forsaken him.

20 — During these three years of waiting, the Prophet had given himself up more and more to prayers and to spiritual practices. The revelations were then resumed, and God Assured him that He had not at all forsaken him ; on the contrary it was He Who had guided him to the right path, therefore he should take care of the orphans and the destitute, and proclaim the bounty of God on him (cf. Q. 93/3-11). This was in reality an order to preach. Another revelation directed him it warn people against evil practices, to exhort them to worship none but the One God, and to abandon everything that would displease God (Q.74/2 7) Yet another revelation commanded him to warn his own near relatives (Q. 26/214) : and : "Proclaim openly that which thou art commanded, and withdraw from the Accociators (idolaters). Lo we defend thee from the scoffers" (15/94-5). According to Ibn Ishaq, the first revelation (S 17) had come to the Prophet during his sleep, evidently to reduce the shock. Later revelations came in full wakefulness.

THE MISSION

21 — The Prophet began by preaching his mission secretly first among his intimate friends, then among the members of his own tribe, and thereafter publicly in the city and suburbs. He insisted on the belief in One Transcendent God, in Resurrection and the Last Judgement. He invited men to charity and beneficence. He took neccessary steps to preserve through writing the revelations he was receiving, and ordered his adherents also to learn them by heart. This continued all through his life, since the Qur'an was not revealed all at once, but in fragments as occasions arose.

22 — The number of his adherents increased gradually : but with the denunciation of paganism, the opposition also grew intenser on the part of those who were firmly attached to their ancestral beliefs. This opposition degenerated in the course of time into physical torture of the Prophet and of those who had embraced his religion. They were stretched on burning sands, cauterized with red hot iron and imprisoned with chains on their feet. Some of them died of the effects of torture, but none would renounce his religion. The Prophet Muhammad advised his companions to quit their native town and take refuge abroad, in Abyssinia "Where

wall of the Ka'bah, dating probably from the time of Abraham himself. There was rivalry among the citizens for obtaining the honour of transposing this Stone in its place. When there was danger of blood being shed, somebody suggested leaving the matter to Providence, and accepting the arbitration of him who should happed to arrive there first. It chanced that Muhammad just then turned up there for work as usual. He was popularly known by the appellation of al-Amin (the honest), and everyone accepted his arbitration without hesitation. Muhammad placed a sheet of cloth on the ground, put the stone on it and asked the chiefs of all the tribes, in the city to lift together the cloth. Then he himself placed the Stone in its proper place, in one of the angles of the building, and everybody was satisfied.

16 — It is from this moment that we find Muhammad becoming more and more absorede in spiritual meditations. Like his grandfrather, he used to retire during the whole month of Ramadan to a cave in Jabal - An - Nur (mountain of light). The cave is called "Ghar-Hira' or the cave of research. There he prayed, meditated, and shared his meagre provisions with the travellers who happend to pass by.

17 – He was forty years old, and it was the fifth consecutive year since his annual retreats, when one night towards the end of the month of Ramadan, an Angel came to visit him, and communicated to the following Divine message; which means :

Read : with the name of thy Lord Who created,

Created man from a clot.

Read : and thy Lord is the Most Bounteous,

Who taught by the pen,

Taught man what he knew not.

(Quran 96/1 - 5)

18 – Deeply affected, he returned home and related to his wife what had happened, expressing his fears that it might have been something diabolic or the action of evil spirits. She consoled him, saying that he had always been a man of charity and generosity, helping the poor, the orphans, the widows and the needy, and assured him that God would protect him against all evil.

19 — Then came a pause in revelation, extending over three years. The Prophet must have felt at first a choke, then a calm, an ardent desire, and after a period of waiting, a growing impatience or nostalgia. The news of the first

There is also mention of a commercial partner of Muhammad at Mecca. This person, Sa'ib by name reports: We relayed each other; if Muhammad led the caravan, he did not enter his house on his return to Mecca without clearing accounts with me; and if I led the caravan, he would on my return enquire about my welfare and speak nothing about his own capital entrusted to me ".

AN ORDER OF CHIVALRY

13 — Foreign traders often brought their goods to Mecca for sale. One day a certain Yemenite (of the tribe of Zubaid) improvised a satirical poem against some Meccans who had refused to pay him the price of what the had sold, and others who had not supported his claim or had failed to come to his help when he was victimised, Zubair uncle and chief of tribe of the Prophet, felt great remorse on hearing this just satire. He called for a meeting of certain chieftains in the city, and organized an order of chivalry, called Hilf al - fudul, with the aim and object of aiding the oppressed in Mecca, irrespective of their being dwellers of the city or aliens. Young Muhammad became an enthusiastic member of the organisation. Later in life he used to say: " I have participated in it, and I am not prepared to give up that privilege even against a herd of camels; if somebody should appeal to me even today, by virtue of that pledge, I shall hurry to his help".

BEGINNING OF RELIGIOUS CONSCIOUSNESS

14 — Not much is known about the religious practices of Muhammad until he was thirty-five years old, except that he had never worshipped idols. This is substantiated by all his biographers. It may be stated that there were a few others in Mecca, who had likewise revolted against the senseless practice of paganism, although conserving their fiedlity to the Ka'bah as the house dedicated to the One God by its builder Abraham.

15 — About the year 605 of the Christian era, the draperies on the outer wall of the Ka'bah took fire. The building was affected and could not bear the brunt of the torrential rains that followed. The reconstruction of the Ka'bah was thereupon undertaken. Each citizen contributed according to his means; and only the gifts of honest gains were accepted. Everybody participated in the work of construction, and Muhammad's shoulders were injured in the course of transporting stones. To identify the place whence the ritual of circumambulation began, there had been set a black stone in the

THE PROPHET OF ISLAM
his biography

By Dr. MUHAMMAD HAMIDULLAH

(II)

(Continued from the previous issue)

At Mecca, another bereavement awaited him, in the death of his affectionate grandfather. Subjected to such privations, he was at the age consigned at last to the care of his uncle, Abu-Talib, a man who was generous of nature but always short of resources and hardly able to provide for his family.

11 — Young Muhammad had therefore to start immediately to earn his livelihood ; he served as a shepherd boy to some neighbours. At the age of ten he accompanied his uncle to Syria when he was leading a caravan there. No other travels of Abu-Talib are mentioned, but there are refrences to his having set up a shop in Mecca. (Ibn, Qutaibah, Ma'arif). It is possible that Muhammad helped him in this enterprise also.

12 — By the time ha was twenty-five Muhammad had become well known in the city for the integrity of his disposition and the honesty of his character. A rich widow, Khadijah, took him in her employ and consigned to him her goods to be taken for sale to Syria. Delighted with the unusual profits she obtained as also by the personal charms of her agent, she offered him her hand. According to divergent reports, she was either 28 or 40 years of age at that time, (medical reasons prefer the age since she gave birht to five more children). The union proved happy. Later, we see him sometimes in the fair of Hubashah (Yemen), ant at least once in the country of the 'Abdal - Qais (Bahrain oman), as mentioned by Ibn Hanbal. There is every reason to believe that this refers to the great fair of Saba (Oman), where, according to Ibn al-Kalbi (cf. Ibn Habib, Muhabbar), the traders of China, of Hind and Sind (India, Pakistan), of Persia, of the East and the West assembled every year, travelling both by land and sea.

to the situation. It is the motive that springs from inside the person. It is the motive one feels when placing himself in the place of those dealing with him. This would be more effective for two reasons :

first) it is strongly connected with one's self-interest, and

second) it is a self - discipline me had, relying upon one's free will.

The aforesaid motive may also be found in the Holy Qur'an; it is used in discussions appertaining to human relationships. For example, in calling upon the believers to help the poor by giving in charity, the Holy Book makes it clear that we must give only that which is good. And for that, it gives the reason by saying that if the giver is to be placed in the taker's position, he would dislike taking that which is bad, and if his wants were to enforce him to take it, he would not be contented or happy. To quote the verse :

« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه» البقرة ٢٦٧.

It means :

"O you who believe, give in charity of the good things you earn, and of what we have brought forth for you out of the earth, and do not aim at giving what is bad in charity, while you would not take it yourselves except with closed eyes..." (2 : 267)

Another example is found in the Holy Qur'an when it teaches us to be kind, and to take care of, the orphans and the poor. Here it appeals to the same method : i. e., the self interest and the self-discipline :

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » النساء ٩ .

It means :

"And let those (who are in charge of the orphans and the poor) have the same fear in their minds about them as they would have for their own if they had left a helpless family behind. So, let them mind their duty to Allah, and speak justly". (2 : 9)

It is a touching argument, addressed to those who are in charge of helpless human beings. How anxious would one be if one's helpless family were left behind ? If one wishes people to be kind and helpful to his family, then one must do the same : help and be kind.

(Continued on page 16)

PSYCHOLOGICAL MOTIVES USED BY THE HOLY QUR'AN

By : Dr. Ahmad I. Mohanna

Religion's most important function is to guide people to the right way and to help them to create a cooperative society in which every member does his utmost for the common good of all members.

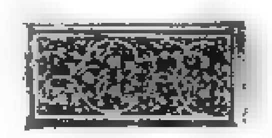
It is not an easy task to guide and help human beings in realizing this goal since people differ widely, not only in their thinking and understanding, but in their motives also. In order to be able to drive a person to do something, an explanation must be rendered as to what it is that must be done, and the results that will be gained from doing so in the right manner. In most cases, a motive must be created so that he may be driven to act. This is also true when one wants to prevent him from doing something; the difference in this case being that the bad results of doing the wrong must be explained and a motive to drive him away from doing it must be created. It is a matter of education in which the psychological factors are used. And since people differ in nature, it is a matter of great importance here to search for the more effective kind of motive. Some people will only be motivated through the offering of material pleasure, while spiritual rewards will be the means of motivation for others and there are still others who need to be threatened by punishment. In all these cases, the motives arise from the outside and all of them may be seen in the Holy Qur'an when it speaks of the Hereafter awaiting the good people and the bad. To be rewarded or to be punished is the decision of the Almighty Allah Who is able to fulfil His wills and to carry out His promises.

In dealing with others, a person always considers the position and power of those with whom he is dealing. If they are stronger than he is, he will think twice before doing this or leaving that. But when dealing with those who can neither benefit, nor threaten him, then the external motive will be thoroughly ineffectual, and there must be another sort of motive with the effectiveness of driving him to act, or not to act, according

in the mosque on terms of perfect equality and thus healthy social relations are established through prayer, but in their homes they live in different environments. The rich sit down on tables laden with rich foods, three, four, even more times daily, while the poor cannot find suffeicient with which to satisfy their huger even twice a day.

A great social barrier thus exists between the two classes in their homes, and this barrier is removed only when the rich are made to feel the pangs of hunger like their poorer brethern and go without food for a day, and this experience has to be gone through not for a day or two, but for a whole month. This course undoubtedly awakens Sympathy for the poor in the hearts of the rich, and it is for this reason the fasting is also considered training ground where man is taught the greatest lesson of equality and brotherhood.

Fasting has a more important physical value. The man who cannot face the hardships of life who is not able to live at times, without his usual comforts cannot said to be even physically fit for life on this earth. But fasting accustoms him to face the hardships of life, being in itself a practical lesson to that end, and increases his powers of resistence. It has yet another physical value, the rest given to the digestive organs for a whole month only gives them additional strength, like fallow ground which, by rest, becomes more productive, as all organs of the body are so made that rest only increases their capacity for work. What has been said about physical and social value relates to the external side of the fast but, as stated in the begining, the ethical side of fasting is its spiritual and moral value.



that it is the Commandment of God that he should not do so. In the inner recesses of his house there is none to see him if he pours down his dry and burning throat a glass of water, yet there has developed in him the sense of the nearness to God to do such an extent that he would not put a drop of it on his tongue. Whenever a new temptation comes before him, he overcomes it, because, just at the critical moment, there is an inner voice, "God sees me" and "God is with me".

Not the deepest devotion can develop that sense of the nearness to God and of His presence every where, which fasting day after day for a whole month does. The Divine presence, which may be a matter of faith to others, becomes a reality for him, and this is made possible by the spiritual discipline underlying fasting.

Fasting has also a greatest moral value. The man who is able to rule his desires, to make them work as he likes, in who willpower is so developed that he can command himself, is the man who has attained to true moral greatness. Fasting is the training ground where man is taught the greatest moral lesson of his life - the lesson that he should be prepared to suffer the highest prevation and undergo the hardest trial rather than indulge in that which is not permitted to him. That lesson is repeated from day to day for a whole month and just as physical exercise strengthens man physically, moral exercise through fasting, the exersice of abstaining from everything that is not allowed, strengthens the moral side of life.

Another aspect of the moral development of man by this means is that he is thus taught to conquer his physical desires. He takes his food at regular intervals and that is no doubt a desirable rule of life, but fasting for a month in the year teaches him the higher lesson that, instead of being the slave of his appetites and desires, he should be their master, being able of change the course of his life if he so wills it. In this way, fasting creats power of will and patience in man. It will help him to keep his duty to his Lord, and to face difficulties of life.

The social value of fasting is realized through its spiritual and moral values. The appearence of the moon of Ramadan is a signal for a mass movement towards a moral discipline and spiritual training throughout the Muslim world. Rich and poor, great and small are brought together five times daily

moral and spiritual value, and the Holy Quran and Hadith have laid special stress on this. In speaking of Ramadan the Holy Quran specially refers to nearness to God, as if its attainment were an aim in fasting and then adds :

« وإذا سألك عبـادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

(البقرة ١٨٦)

It means : "And when My servants question thee concerning Me, then surely I am nigh. I answer the prayer of suppliant when he makes supplication to Me. So let them answer My Call and believe in Me, in order that they may be led aright" (2 : 186).

The Prophet said : "Fasting is a sheild, so let the man who fasts not indulge in any foul speech or do any evil deed, and if anyone fights or quarrels with him or abuses him, he should say, I am fasting. By Him Who holds my soul in His hand, the breath of the faster is pleasanter with Allah than the scent of musk" (Bukhari). In another Hadith, the spiritual value of the fast is shown in the following words : "Whoever fasts during Ramadan, having faith in Me (Allah) and seeking My pleasure .... he refrains from food and drink and other desires to seek My pleasure : Fasting is for Me only" (see Bukhari).

It is not refraining from food or drink that makes the faster near to God; it is refraining from foul speech and evil words and evil deeds of all kinds, so much so that he dœs not even utter an offensive word by way of retaliation. Thus the faster undergœs not only a physical discipline by curbing his carnal desires, the craving for food and drink, and the sex appetite, but he is actually required to undergo a direct moral discipline by avoiding all kinds of evil words and evil deeds. It is a direct training on the spiritual side of man.

A new consciousness of a higher life, a life above that which is maintained by eating and drinking, has been awakend in him, and this is the life spiritual. No temptation is greater than the temptation of satisfying oné's thirst and hunger when drink and food are in oné's possession, yet this temptation is overcome, with a set purpose of drawing closer and closer to his Lord.

He touches neither food nor drink, yet he is parching with hunger and thirst, simply because he thinks

Fasting And Its Values

By :

A. M. Mohiaddin Alwaye

The object of fasting is made clear in the following verse of the Holy Quran :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (البقرة ١٨٣) .

It means : "O you who believe! Fasting is prescribed for you, even as it was prescribed for those before you, that you may ward off (evil)" 2 : 183. The true object of fasting is made plain, which is that you may 'ward off evil' or 'guard', in the concluding words of this verse.

According to Arabic lexicology, the word, إتقاء (ittiqâ) from which تتقون (tattaqûn) is derived, means : the guarding of a thing from what harms or injures it, or the guarding of self against that of which the evil consequences may be feared. But besides this, the word has been used in the Holy Quran in the sens of fulfilment of duties.

Numerous verses of the Holy Quran show clearly that the 'Muttaqi' is the man who has attained to the highest stage of spiritual development :

« إن الله يحب المتقين » (التوبة ٤) .

(Lo ! Allah loves those who keep their duty unto Him (Mutbaqin) 9 : 4.

«والعاقبة للمتقين » (الأعراف ١٢٨) .

(The good end is for the 'Muttaqin.') 7 : 128.

«وإن للمتقين لحسن مآب» (ص ٤٩) .

(For the Muttaqin' is an excellent resort) 38 : 49.

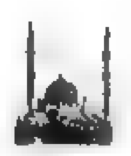
As the object of Fasting is to be a 'Muttaqi', the conclusion is evident that the Holy Quran enjoins fasting with the object of making man able to guard himself against evils physicallay, morally and spiritually.

It is recalled that Quran has dealt fully with three conditions of man, namely the physical, the moral and the spiritual. This three fold condition of man is the three stages of his development. Fasting, as prescribed in Islam, has its values in these three stages, but the essence of the Fast is its

of the Qureish about to be killed and seeing that their opposite numbers were uninjured, the Meccans advanced against the Muslims who engaged them in battle. The battle went at first against the Muslims, but ended in a signal victory for them. The leader of Qureish and several of their great men were killed and many were taken prisoners.

It was indeed a day to be remembered in the history of Islam. By the strong belief in God and His messenger, and the leadership of their Prophet, enabled a little army to face an enemy of more than three times their number and better equipped, with courage and talent, and to defeat them within a few hours. This glorious victory paved the way to unity of the Arabs, the spread of Islam and the dawn of the greatest human civilization in the world.

These events make clear the significance and the importance of the month of Ramadan. There is not the least doubt that the choice of this particular month for fasting is not with out a reason. Let us remember all these things during the month of Ramadan, and emerge from it better and sincere Muslims, equipped with the sincere Faith in God, and the spiritual and moral discipline, which is to be effected hrough Fasting.



it is the 25th. or 27th. or 29th. night of Ramadan. It is for this reason that the injunction to fast is laid down for Muslims in the month of Ramadan, with its advent the whole Muslim world is moved by one current from one end to the other. On the other hand it is considered to be the most suitable month for the spiritual discipline of the Muslim community.

It is also well-known that the 'Battle of Badr' which was the first battle in the history of Islamic faith, occured in the 17th. Ramadan, 2nd. A. H. This battle ended in a glorious victory for Muslims as it was the first step towards the immense prestige for the cause of Islam over all of Arabia. It had also a great effect upon the civilization and humanity.

The Battle of Badr was a most outstanding event in the history of Islam on account of its important results. With an army of only three hundred disciples, the Prophet (peace be on him) left Medina city and occupied positions in the valley of Badr. The Meccans advanced forward of the wells, since as water is a vital weapon in war, they decided to cut all supplies from Muhammad (peace be on him) and his small army.

When the Prophet saw this huge army of the Quriesh, in comparison with the small number of his own, he prayed God that the handful of Faithful might be saved and he said : "O my God ! If this little band were to perish, there would be none to offer unto You pure worship". The Muslims advanced into the valley of Badr and the Prophet ordered them to prepare for defence. When his little army of three hundred and thirteen men, ill-armed and roughly equipped halted near the water of Badr, the army of Quriesh outnumbered the Muslims by more than two to one and was much better mounted and equipped so that their leaders counted on an easy victory.

The Prophet, seeing the army of Qureish streaming down sandhills, prayed ; O my God ! Here are Qureish with all their chivalry and pomp, who oppose Thee and deny Thy messenger. O my God ! Thy help which Thou hast promised me ! O my God ! Make them bow this day ! ". The Battle was started between the army of Qureish and Muslims.

Three of the warriors of the Qureish advanced into the open space which divided the two armies and challenged three warriors from the Muslims to single combat. Hamza, Ali and Ubaidah accepted the challenge. The combat was nearly over with the last remaining warrior

Gabriel made his appearence with the great Divine Message. Ramadan was thus considered to be the most suitable month for fasting.

Another reason why Ramadan is important is because there is the 'Lailath al Qadr' (it is translated as meaning the Night of Power or grandeur or majesty), which is described in the Qura'n as a night 'better than a thousand months'. 'Lailath al Qadr' is mentioned thrice in the following chapter of the Holy Qur'an :

« إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر » (سورة القدر)

It means : "Surely We revealed it on 'Lailath al Qadr'. And what will make thee comprehend what 'Lailath al Qadr' is ? 'Lailath al Qadr' is better than a thousand months. The angels and the Spirit (Gabriel) descend in it by the permission of their Lord for every Commandment (Amr). (That night is) peace until the rising of the dawn". (chapter 97)

It is also mentioned in chapter 44, where it is called 'Lalia Mubaraka' (a blessed night) :

« إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم ، أمراً من عندنا » (الدخان ٣ ـ ٥)

It means : "Lo ! We revealed it on a blessed night — Lo ! We are ever Warning — therein every wise commandment (Amr) is made distinct, a Command (Amr) from Us" (44 : 3-5)

It will be seen that, in both places the Holy Qur'an is spoken of as having been revealed on this night, and elsewhere it is stated that the Holy Qur'an was revealed in the month of Ramadan, which shows that this night occurs in Ramadan. The revelation of the Holy Qur'an on this night means that the first revelation came to the Prophet on this night. It is called 'Lailath al Qadr' because on it was laid the basis of a new revelation to the world, which contains every Commandment full of wisdom and knowledge.

The 'Lailath al Qadr' is, therefore, the anniversary of the revelation of the Holy Qur'an. This night comes during the last ten days of the month of Ramadan. There are various 'Hadith' (Traditions of the Prophet) showing that this night comes as one of the odd nights in the last ten or seven nights of Ramadan. According to some Hadith,

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER ·

ABDUL RAHIM FŪDA

RAMADAN 1389 | ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE | NOVEMBER 1969

WHY RAMADAN IS IMPORTANT ?

By :

ABDUL RAHIM FUDA

There are evident reasons why Ramadan is important. This month witnessed many greatest events in the history of humanity. Referring to the choice of this particular month for fasting, the Holy Qur'an says :

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه . . . »

(البقرة ١٨٥)

It means : "The month of Ramadan is that in which the Qur'an was revealed, a guidance to men and clear proofs of guidance and the distinction ; therefore whoever of you witnesses the coming of this month, he shall fast therein . . ."

(2 : 185)

It will be seen from this Qur'anic verse that the month of Ramadan has been choosen for fasting because it is the month wherein the Holy Qur'an was revealed, which is a guide for all mankind.

It is well-known that the Holy Qur'an was revealed in parts, at different times and occasions, during a period of 23 years ; therefore, by its revelation in the month of Ramadan is meant that its revelation first began in that month. It was, therefore, in Ramadan that the first ray of Divine Light fell on the Prophet's mind, and the Angel

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٤٧٣
٩٠٥٥٠٦

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ ق في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثامن — السنة الحادية والأربعون — شوال سنة ١٣٨٩ هـ ديسمبر سنة ١٩٦٩ م

هو عيد على أي حال

للأستاذ عبد الرحيم فوده

توج الله صيام رمضان بعيد الفطر ، ليكون مع ثمرة الشعور بالنصر على شهوات النفس ، فترة سرور عام يشترك فيه الكبير والصغير والغنى والفقير ، وتتجاوب فيه مشاعر المسلمين في جميع جوانب الأرض بإحساس واحد ومشاعر مشتركة ، وحقيق بمن أمضوا شهر رمضان يصومون نهاره ويقومون ليله ويروضون أنفسهم على الصبر ، وقوة الإرادة ، ومضاء العزيمة ، والتقرب إلى الله أن يستقبلوا العيد بالجذل والأمل ، والتطلع إلى مستقبل أفضل وأطيب ، فإنهم يخرجون منه خلقا آخر قد تحرر من القيود ، وتطهر من الذنوب ، وتسامى بشعوره وضميره وتفكيره إلى مستوى الأبرار الأخيار الأطهار الذين « رضى الله عنهم ورضوا عنه » .

وأعظم ما يثير الشعور بالسرور في عيد الفطر هو عودة الحرية التي تنازل عنها الصائم باختياره امتثالا لأمر ربه ، فأمسك عن الطعام والشراب والشهوة ، من طلوع الفجر

إلى غروب الشمس ثلاثين يوما ، وأخذ نفسه بنظام يخالف ما اعتاده وألفه فى غير هذا الشهر ، ولكن عودة الحرية إلى الصائمين يجب ألا تنسيهم حق الله عليهم ، وألا تنحرف بهم إلى عصيانه ومخالفة أمره . فإن معنى الحرية قد داخله ما أفسده وأفسد حياة الناس معه .

وأعظم ما تكون الحرية حين يشعر المؤمن بأن كرامته فى الإيمان بالله ، والاعتزاز به ، والثقة المطلقة بعدله وفضله ، فلا يعبد غيره لأنه ـ وحده ـ الخليق بأن يعبد ، ولا يعتز بسواه لأن ما سواه سيموت ، ولا ييأس من رحمته ، فإنه « لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

هذا إلى أن زكاة الفطر تهيئ للمعوزين جوا يشيع فيه البشر ، ويسوده الرخاء ، فقد فرضها الله تعميما للفرح بين الأغنياء والفقراء ، كما يفهم من قول النبى ﷺ : (اغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم) وقد قيل فى الزكاة بصفة عامة إنها (بمثابة رابطة بين الإنسان وربه من ناحية وبينها وبين المجتمع من ناحية أخرى ، وكأن الإسلام بفرضها أراد أن يوجه المسلم إلى ضرورة شكر الله على ما أسدى إليه من نعم حتى يؤدى الزكاة ، وإلى أنه عضو فى مجتمع يجب أن يكون متعاونا متساندا « كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

وهذا الذى قيل فى الزكاة بصفة عامة يقال فى زكاة الفطر ، ويقال أكثر منه ؛ فإنها تقع بين موسمين كريمين عظيمين : موسم الصيام وموسم حج بيت الله الحرام ، ثم هى إلى ذلك ثمرة الشعور بالحرمان فى شهر رمضان ، حيث يكون الزهد والصبر والإحساس بما يعانيه الفقراء من بؤس وشقاء مما يثير العطف عليهم والإحسان إليهم والتسرية عنهم وأوجب ما يكون ذلك أو أنسب ما يكون فى عيد الفطر . ليعم به الفرح ويشيع فيه البشر ، ويشعر المؤمنون بأنهم كما يقول الله : « إنما المؤمنون أخوة » ، وكما يقول : « أشداء على الكفار رحماء بينهم » ، وكما يقول : « بعضهم أولياء بعض » .

وإذا كان هذا العيد يشوبه الألم والمرارة بما فعلته وتفعله الصهيونية والاستعمار فى المسجد الأقصى وفى الأرض المحتلة ، وفى فلسطين بصفة عامة ، فإن قوة الإيمان بالله ، والأمل فى عونه ونصره ، والثقة المطلقة

بأن الفرج يعقب الضيق ، واليسر يأتى مع العسر سيحفز قوانا للنضـــال ، ويشحذ عزائمنا للجهاد ، ويقرب خطانا إلى النصر ، وإنه لشرف لا يرق إليه شرف أن تكون أمة محمد ﷺ هى الأمة المختارة لوظيفة الجهاد فى سبيل الله ، كما يفهم من قول الله «وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس » .

والجهاد جهد ومشقة وتعب وتضحية وبذل ، ولكن ذلك كله يهون إذا قيس بشرف الغاية ، وقيمة الكرامة وعظمة الحرية ، وقد شاء الله لمصر أن تكون طليعة الكفاح فى الصراع بين الحـــق والباطل ، والخير والشر ، وأن يكون موقفها فى مواجهة الصهيونية العالمية والاستعمار الغربى كفاء ماضيها الماجد وشرفها الخالد ، وستنجلى بعون الله غاشية الاستعمار والصهيونية – قريباً أو بعيداً ، مهما يكن الثمن ، ومهما تكن التضحية ، ولو خضنا فى سبيل ذلك الحرب فوق أمواج الماء فى الأرض ، وتحت لهب النار فى السماء ، كما قال الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه لمجلس الأمة ، والله غالب على أمره ، وهو القاهر فوق عباده ، وقد تكفل بنصر المؤمنين حيث قال : «وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ، وحيث قال : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

فليحتفل المسلمون بالعيد – على أى حال – كما شرع الله ، ولينطلقوا بعد ذلك إلى جهاد أعدائهم وأعداء دينهم وليكونوا كأولئك « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضـــل عظيم » .

اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا .. وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

عبد الرحيم فودة

دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله

للدكتور محمد أحمد الغمراوي

— ١ —

ليس للحق إلا مصدر واحد هو الله الحق سبحانه . وليس لدى الإنسان اليوم من عند الله إلا هذا الكون وما فطر عليه من سنن ، وإلا هذا القرآن الكريم المجيد المحفوظ بحفظ الله . فالكون خلقه الله بالحق : « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق »[١] . والقرآن العزيز أنزله الله بالحق : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل »[٢] . فلا ينبغي للإنسان أن يطلب الحق إلا في هذين ، فإذا طلبه في القرآن فعليه الاحتياط لصحة النظر احتياطا ليس دون احتياط علماء الفطرة في بحثهم عن أسرارها .

وقد آمن الغرب بأن الكون قد بنى على الحق الثابت الذى لا تغيير لسننه ولا تبديل ، وطلب تلك السنن وأحسن تطبيق ما عرف منها فبلغ ما بلغ من التقدم المادى الذى بهر الشرق اليوم . لكن ساسة الغرب سخروا ثمرات العلوم الكونية لتحقيق مطامعهم من غير دين هاد ، فكادت نعمة الله عليهم في العلم تنقلب بهم نقمة تهدد الغرب والعالم جميعا ، فالعالم كله يعيش اليوم في خوف من أن ينفجر بالقوى التى يسرها العلم ويستعملها الساسة بغير هدى من دين الله .

ولو أن القرآن الكريم كان بأيدى علماء الغرب وحكامه ورأوا التطابق التام بين آياته وسنن الفطرة في الكون وفي الناس لآمنوا به ، وإذن لحال بينهم وبين سوء استعمال ثمرات العلم ، فإن أكبر الظن أن العقول التى تحسن استنطاق الفطرة للكشف عن أسرارها ستحسن الاستمساك بدين الفطرة إذا تبين لها ، وإذن لحلت بركاته عليهم وعلى الناس ، ولساد الأمن بينهم لا الخوف الذى يسود اليوم .

والمسلمون يؤمنون بالقرآن ، ومع ذلك فقد حرموا بركاته أو كادوا ، لأنهم يؤمنون

---

[١] الحجر ٨٥ . [٢] الإسراء ١٠٥ .

به قولا لا عملا. يقرأونه للتبرك ويتطلبون فى الاجتماعيات الحق فى سواه. فى الغرب وما عليه الغرب، ذلك الذى بهرهم بعلومه الطبيعية فظنوا أنه فى اجتماعياته على حق كما هو فى طبيعياته.

إن أمر المسلمين اليوم عجب كله. لقد تخلصوا أو تخلص أكثرهم من احتلال الغرب أراضيهم بجنوده، لكنهم لم يتخلصوا من احتلال الغرب نفوسهم وقلوبهم وعقولهم بثقافاته وآدابه واجتماعياته. هم فى آدابهم يقلدون آداب الغرب وفى تشريعاتهم يتبعون خطواته ولا يخطر لهم أن يزنوا آداب الغرب وتشريعاته واجتماعياته بميزان الحق الذى أنزل الله فى القرآن فكأنهم يؤمنون بالقرآن فى العبادات ولا يؤمنون به — والعياذ بالله — فى الاجتماعيات. وما أنزل الله القرآن الا لإصلاح البشرية فى العبادات والاجتماعيات معا. بل ما أنزل الله القرآن إلا ليجعل حياة البشرية كلها عبادة، حتى فى سعيها للرزق إذا أرادت بسعيها وجه الله.

فالمسلمون اليوم فى أشد الحاجة إلى تجديد إيمانهم بالقرآن تجديدا ينقل متثقفيهم من مجرد الإيمان تقليدا إلى الإيمان اليقينى الذى لا تنال منه الشبهات، والذى يملأ منهم القلب ويملك عليهم النفس فلا يصدرون فى أعمالهم وآدابهم واجتماعياتهم إلا عن تعاليم الإسلام كما ساقها القرآن وبينها وطبقها النبى عليه الصلاة والسلام طاعة لله وقياما بأمره فى قوله سبحانه: «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون»[1].

إن الشبهات تتكاثر على شباب المسلمين وافدة من الغرب فيما يؤلف وفيما يترجم بل وفيما يذاع. وفى دعاة الغرب فى الشرق من يدعو إلى اتباع الغرب جملة فى الطبيعيات والاجتماعيات جميعا، ولا يستثنون من اجتماعيات الغرب وتشريعاته ما هو مخالف للقرآن، وخضوع الشرق طويلا لسلطان الغرب فى الماضى يسهل تصديقهم فيما يدعون إليه طبقا لقانون تقليد المغلوب الغالب الذى كشف عنه ابن خلدون، فضلا عن أثر التقدم العلمى الغربى فى نفوس النشء فى الشرق، فهم لا يكادون يصدقون أن الغرب يخطىء أو يمكن أن يخطىء فى اجتماعياته وهو قد بلغ هذا المبلغ المذهل فى طبيعياته وليس يدفع هذا الخطر

---

(١) النحل ٤٤.

الصدق بإيمان المثقفين من شباب الإسلام إلا أن يثبت لهم من جديد أن القرآن هو حقا كتاب الله ولا يمكن عقلا أن يكون من عند محمد كما يزعم لهم الغرب على لسان مستشرقيه أمثال (جلد تسيهر وردول ومر جليوث) .

وإثبات أن القرآن هو حقا كتاب الله عن طريق الإعجاز البيانى لم يعد يكفى اليوم لإقناع المثقف المتشكك ، وذلك ليس فقط لأن مثقف اليوم لا يدرى من علم العربية وذوقها ما يدرك به هذا الإعجاز ، ولكن أيضا لأن الشيطان أضل بالغرور بعض رجال الأدب فى القديم والحديث فقال مؤمنهم : إن إعجاز القرآن هو بالصرفة ، وقال ملحدهم : بألا إعجاز . ومن البلاء أن يستذل الشيطان بعض كبار علماء الكلام فى القديم ، فيما نقل المرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثرى فى العقيدة النظامية ، فقال بأن الإعجاز بالصرفة أقوى وأدل على نبوة الرسول ﷺ من الإعجاز الذاتى البلاغى الذى اختلف الناس فيه وفى وجوهه ما هى . وفات ذلك الإمام القائل بهذا أن عليه بعد ذلك فى الدعوة إلى الله أن يثبت أن العرب المشركين ، وهم أهل اللغة وفصحاؤها ، لم يأت أحد منهم بما يقوم للقرآن فى أسلوبه اللغوى وبلاغته ، وهو ما لن يستطيع إثباته لغير المسلم إذا دعاه للإسلام بعد أن ألقى ذلك الإمام سلاحه وسلم للخصم دعواه بأن القرآن فى ذاته غير معجز .

والإعجاز العلمى فى القرآن طريق حسن فى هذا العصر العلمى ، ولكن للأسف يوجد فى علماء المسلمين اليوم من يقول بعدم سلوك هذا الطريق خوفا على القرآن أن تفهم آياته على غير وجهها ، فيفسر القرآن بالرأى المنهى عنه فى التفسير ، أو بالنظريات العلمية التى هى عند أهلها لا تزال محل نظر وتمحيص . وهذا الخوف منهم غيرة مشكورة ، ولكنها تتجاوز حقها حين تذهب إلى حد المنع من المطابقة السليمة الصحيحة بين بعض آيات القرآن الكونية وبعض الحقائق اليقينية المتصلة بموضوع تلك الآيات مما أثبته العلم حديثا ولم يكن معروفا للبشرية فى عصر نزول القرآن . إنما حق تلك الغيرة على القرآن أن يستوثق أهلها أولا من أن القضية العلمية موضوع المطابقة هى حقيقة ثابتة عند أهلها من العلماء ، وأن ينظروا ثانيا فى المطابقة

نفسها هل جاءت على وجه صحيح فى اللغة وهل خلت من التكلف والتمحل المنهى عنه فى الدين .

ولنضرب على ذلك مثلا قوله تعالى «وأغطش ليلها»[1] من آيات سورة النازعات المتعلقة بالسماء . إن المفسرين جميعا فسروا الليل بهذا الذى يعرفون فى الأرض ، مع أن الضمير فى (ليلها) راجع إلى السماء المذكورة فى قوله تعالى : « أأنتم أشد خلقا أم السماء ؟ بناها » . الآيات . وجعلوا يلتمسون المبررات لصرف الضمير عن ظاهره حتى جاء العلم الحديث فاستنبط من كون الضوء لا يرى إلا منعكسا عن المرئيات أن السماء إذا جاوزنا جو الأرض هى سوداء حالكة بالنهار والشمس طالعة ، إذ ليس فيها ما يعكس الضوء إلى عين راء لو علا جو الأرض . ثم جاء رواد الفضاء فى السفينة الفضائية أبولو (١١) فشاهدوا السماء حالكة السواد فعلا ، وأرسلوا صورا التقطوها للقمر وهم يطوفون به ، وصورا للأرض مرئية من القمر ، فإذا بالقمر والأرض منيران بأشعة الشمس المنعكسة عنهما ولكن فى سواد حالك عم الصورة ، هو سواد السماء حول القمر وفوق جو الأرض .

فهل يجوز أن تحول الغيرة على القرآن دون إظهار الإعجاز العلمى لتلك الآية الكريمة بالمطابقة التامة بين ظاهر معناها الحرفى وبين ما استنبطه العلم وأثبتته المشاهدة ؟

لكن ليست كل آيات القرآن الكونية بهذا الظهور فيما تدل عليه من الحقائق التى كشف عنها العلم فى عصره الحديث ، فقد تأتى الدلالة عن طريق إشارة واضحة كما فى قوله تعالى فى سورة فصلت « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن »[1] بضمير الجمع المؤنث بدلا من (خلقهما) بضمير المثنى كما تقتضيه اللغة لو كان المعنى مقصورا على شمسنا هذه وقرنا . فأداة التعريف فى الآية الكريمة صادقة الدلالة بوجهيها ـ هى للعهد بدلالة (لا تسجدوا) وهى للجنس بقرينة ضمير الجمع . ومعروف الآن أن النجوم شموس وأن فى السماء أقمارا غير قرنا ، فى المجموعة الشمسية على الأقل ؛ فالإعجاز فى الآية الكريمة مزدوج ، فهو علمى ولغوى معا ، فلن تجد فى كلام الناس تعبيراً عن معان جلية كلها حق بمثل هذا الإيجاز .

---

[١] النازعات ٢٩ .

[١] فصلت ٣٧ .

ومثل آخر للإشارة الواضحة يتضاعف بها الإعجاز العلمي كلمة (يسبحون) في (كل في فلك يسبحون) من قوله تعالى في سورة الأنبياء : « وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر ، كل في فلك يسبحون »[1] ، ففي ضمير الجمع من الدلالة ما في ضمير الجمع في (خلقهن) من آية سورة فصلت ، وفي الفعل يسبح من دلالة الحركة الذاتية ما يصحح نظرية فلاسفة اليونان في أن حركة كل من الشمس والقمر ليست ذاتية ولكن بواسطة فلك مادي كرى شفاف يحمل النير المثبت فيه ويتحرك به من الشرق إلى الغرب ، والدلالة في حركة القمر على ظاهرها ، لكن الإعجاز بالنسبة للشمس هو في الدلالة على حركة ذاتية لها أثبتها العلم إذ أثبت لها انطلاقا في الفضاء قدروه بنحو اثني عشر ميلا في الثانية ، ودل على عظمة قوله تعالى : « والشمس تجري » في آية سورة يس .

لكن القرآن الكريم ليس كله آيات كونية ، فدلالة إعجازها العلمي على أنها من عند الله يجب أن تنضم إلى دلالة تواتر كل آية من آياته على أنه هو نص الكتاب الذي جاء به محمد بن عبد الله ، ليتكون من الدلالتين معاً برهان كامل أن القرآن كله من عند الله ، فما يثبت للبعض من هذا يثبت للكل حتما ، فما دام البعض قد ثبت أنه من عند الله فالكل من عند الله .

لكن هذه كلها براهين تحتاج إلى إعمال فكر ونظر ، والقرآن الكريم أنزله الله سبحانه هدى ورحمة ، وناط السعادة الأبدية بالإيمان به ، والشقاء الأبدي بالكفر به ، فالرحمة الإلهية تقتضي أن يدل القرآن بنفسه على نفسه أنه من عند الله ، في سهولة ويسر لكل من يطلب الحق بالقدر المشترك بين الناس من العقل والإخلاص ، فإعجاز القرآن الأدبي ، وإعجازه العلمي ، وصفاته الذاتية التي دل عليها قوله تعالى : « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين »[1] ، في ثنائية التحدي من سورة يونس التي سبق أن تأملناها قدر الإمكان في مقالين سابقين[2] — هذه كلها براهين ملزمة ، لكن لا يقدرها

[1] الأنبياء ٣٣ .

[1] يونس ٣٧ .

[2] عددى ربيع الأول وربيع الآخر هذا العام .

قدرها إلا الخواص الذين سلموا من دواعي العناد ، أما البشرية عامة التي أنزل القرآن لهدايتها إلى الله ، وكثرتها الكاثرة من غير العرب ، فلا بد لها من أن يكون في القرآن الكريم خصائص ذاتية أخرى تقرب الخصائص الأولى للفهم من ناحية ، وتلزم من ناحية أخرى كل ذي عقل يطلب الحق أن يؤمن بالقرآن .

ولو أن أولئك المستشرقين الذين نظروا في القرآن أو ترجموه كانوا مخلصين في طلب الحق لما زعموا للناس أن القرآن من عند محمد ﷺ إذ لم يكن ليخفى عليهم أن محمداً مخاطب فيه مأمور به . وخطابه ﷺ فيه بجميع صور الخطاب هو أول خصائص القرآن الواضحة التي تنقض ذلك الزعم ، أو على الأقل توجب على زاعميه أن يوفقوا بينه وبين صور الخطاب الموجه إليه ﷺ في القرآن .

لكن أصحاب ذلك الزعم من المستشرقين لم يفعلوا ولم يحاولوا وسكتوا عن تلك الظاهرة الأساسية أو الخاصة القرآنية التي من شأنها أن تلقمهم إلى بطلان زعمهم ذلك لو كانوا من أهل الإخلاص في طلب الحق أو من أهـل الطريقة العلمية في البحث كما يزعمون للناس .

ولو كان خطاب الرسول صلوات الله وسلامه عليه مقصوراً على آية أو آيتين أو سورة أو سورتين لأمكن لزاعم أن يقول إنما وراء ذلك في القرآن هو من عند النبي لكن الخطاب على تنوع صوره وتعدد مقاصده منبث في القرآن كله بضمائر الخطاب وأفعال الأمر والنهي وبالنداء ولم يناد عليه الصلاة والسلام باسمه ولكن بالنبوة أو الرسالة فإن نودي بغير (يا أيها النبي) و (يا أيها الرسول) كما في (يا أيها المزمل) و (يا أيها المدثر) وليس في القرآن غيرهما ـ أتبع النداء بأمر يفيد النبوة أو الرسالة كما في (قم الليل إلا قليلا) (قم فأنذر) . فضمير خطابه صلى الله عليه وسلم في القرآن هو في الواقع ضمير النبوة أو ضمير الرسالة وكذلك ينبغي أن يسمى .

وضمير الغائب يؤيد ضمير المخاطب في دلالته ، فإذا ورد مراداً به النبي ﷺ ولو جاء على لسان الكفار كان معه ما يفيد النبوة أو الرسالة إما بالنص كما في « ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم ، يؤمن بالله

ويؤمن للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا منكم »[1] « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا »[2] وإما بالفحوى كما فى « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا»[3] الآية

وأكثر أفعال الأمر وروداً فى القرآن هو فعل (قل) ـ كلمة من حرفين لكن أثرها فى نفس القارئ وفى نقض زعم المستشرقين عجيب . ويكبر أثرها ويعظم حين تتكرر فى الآية الواحدة أو تتصدر فى آيات متتالية كما تكررت مثلا أربع مرات فى الآية (١٩) من سورة الأنعام : « قل أى شىء أكبر شهادة ؟ قل الله شهيد بينى وبينكم » الآية ، وخمس مرات فى الآية (١٦) من سورة الرعد : « قل من رب السموات والأرض ؟ قل الله ! قل أفتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ! » الآية ، وكما تصدرت مثلا فى خمس آيات متتالية من سورة سبأ أولاها الآية (٤٦) : « قل إنما أعظكم بواحدة ، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ، مابصاحبكم من جنة ! إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد » وخامستها الآية (٥٠) : « قل إن ضللت فإنما أضل على نفسى ، وإن اهتديت فبما يوحى إلىّ ربى ، إنه سميع قريب » .

فاقرأ الآية التى تكررت فيها (قل) والآيات التى تصدرتها كاملة ، وانظر أثرها فى نفسك ، وموقعها من الآية ومن الآيات ، وكيف إنها ضرورية للنظم واحتباكه . فلو حذفت لانفرط النظم ولفقد الأسلوب إعجازه .

ثم تأمل أثرها فى درء الشبهة عن الآية التى تخللتها ، والآيات التى تصدرتها ، وبخاصة تلك التى يرجع ضمير المتكلم فيها إلى النبى ﷺ كما فى آيات سورة سبأ المذكورة آنفا وكما فى المعوذتين والكافرون من السور . فلولا تلك الكلمة ذات الحرفين فى تلك الآيات وهذه السور لجاز لملحد أو مستشرق أن يقول إنها من كلام النبى أدرجت فى القرآن ، لكنها تذكرة إن كان يتذكر أن هذا القول غير جائز .

« البقية على صفحة ٥٧٥ »

[١] التوبة ٦١ [٢] آل عمران ١٤٤
[٣] التوبة ٤٠

دراسات قرآنية :

منطق إبراهيم في الإيمان

للأستاذ مصطفى الطير

« وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى .
قال أو لم تؤمن »

« قال بلى ولكن ليطمئن قلبي »

الآية : ٢٦٠ من سورة البقرة

إبراهيم عليه الصلاة والسلام رسول الله وخليله ، كما أنه أبو الأنبياء والمرسلين ، فولداه إسماعيل وإسحق رسولان ، ومحمد خاتم الأنبياء والمرسلين من ولد إسماعيل ، ويعقوب من ولد إسحاق وهو رسول ، وكما يسمى يعقوب يسمى إسرائيل ، وإليه ينتهي أنبياء بني إسرائيل ورسلهم .

ومع مكانة إبراهيم وعراقته في الرسالة والخلة وأبوته للمرسلين نجده في هذه الآية الكريمة يسأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ، فيقول له ربه أو لم تؤمن ، فيجيبه بقوله بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبي .

وجوابه هذا يشعر بأنه غير مطمئن القلب ، ومن كان كذلك فكيف يكون مؤمنا ، وكيف يجيب ربه بقوله بلى آمنت مع أن أساس الإيمان طمأنينة القلب ، وكيف وصل إلى مرتبة الرسالة والخلة وهو غير مطمئن القلب .

هذه أسئلة تمر بعقل من يقرأ هذه الآية الكريمة ومن يسمعها ، ومن أجل ذلك كان لا بد من الجواب عليها لتنتفي الخواطر التي تعتمل في النفس نحو رسول الله وخليله وأبي الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام .

وإذا تأمل القارئ أو السامع صورة سؤال إبراهيم عليه السلام ربه لم يشك في إيمانه بأن الله تعالى يحيي الموتى وقت توجيهه لهذا السؤال ، فإنه لم يقل أأنت

تحيي الموتى بل قال أرنى كيف تحيي الموتى وهذا يدل على أنه مؤمن بأنه تعالى يحييهم ولكنه يريد أن يعرف طريقة إحيائه لهم وكيفيته،فكأنه يقول عرفنى طريقة إحيائك الموتى ، وهذا كمن يقول لمن اخترع آلة لصنع الخبز وهو يعلم أنه مخترعها أرنى كيف صنعتها ، أى عرفنى الخطوات التى اتبعتها فى صنعها ، فسؤاله هذا ليس فيه شائبة الشك فى أنه صانعها ، بل الغرض منه تعريفه بطريقة صنعها .

فالسؤال بكيف يكون عن كيفية شىء مقرر الوجود عند السائل والمسئول جميعا .

فإن قيل : لو كان إبراهيم مؤمنا بأنه تعالى يحيي الموتى وأنه يريد أن يتعرف طريقته فى إحيائهم لما قال له سبحانه: أو لم تؤمن . فالجواب أن المراد بقوله تعالى : « أو لم تؤمن » أنك آمنت بإحيائى لها وهذا يكفيك ، فإنك تعلم أن من قدر على الإبداع قدر على الإعادة ، فأى داع لطلبك معرفة كيفية إحيائها ، فالاستفهام فى قوله « أو لم تؤمن » إنكارى بمعنى النفى وهو مسلط على النفى بعده ، ونفى النفى إثبات ، أى أنك تؤمن فلماذا تسأل ؟

وقد أجاب إبراهيم ربه بأنه مع كونه آمن بأنه يحيي الموتى له غرض آخر من طلبه منه تعالى أن يريه كيف يحييها وهو أن يطمئن قلبه .

وقد كنى بطمأنينة القلب عن العلم والمعرفة ، فهو من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم ، ولا شك أن العلم بالمجهول يجعل القلب مطمئنا إلى ما علم بعد أن كان قبل علمه تواقا إلى المعرفة طالبا لها غير مطمئن إلى حالة الجهل التى تلف فؤاده وتكتنفه ، فطالب المعرفة ، يدعوه قلبه إلى أن يتعرف ما جهل ، لا شكاً بل تعلماً ، ولا يستقر فؤاده حتى يبلغ ما يريد من المعرفة .

وليس الأمر كما قاله المفسرون من أنه سأل ربه ذلك لينتقل من مرتبة علم اليقين إلى مرتبة عين اليقين ، فإن ذلك يفتح باب الشر ، فإنه إذا كان الأنبياء لا يكتفون باليقين الناشئ عن الدليل العقلى بل يريدونه ثابتاً من المشاهدة فإن غيرهم يكون معذورا إن طلب مثل ما طلبوا ، فإن لم يجابوا فلا حرج عليهم إن ظلوا فى حيرة واضطراب ، وهذا ولاشك يفتح باب الشك والعذر لمن لا يجد المشاهدات التى توصله إلى عين اليقين .

والذى أراه أن إبراهيم طلب أن يعرف ذلك لينتقل عنه إلى الناس عبر الأجيال حتى يكون حجة من الله على خلقه ، إذ لم يكن هو بحاجة إلى معرفته لمكانته عند الله نبوة وخلة ، فإذا كان الأنبياء لا يجوز عقلا أن يختارهم الله إلا من أصحاب اليقين الذى لا غاية وراءه ، فكيف يكون خليل الله وأبو الأنبياء محتاجا إلى عين اليقين ليثبت به فؤاده .

فالحق أن قصة إبراهيم هنا تصويرية وتعليمية للناس ، إذ فرض نفسه فيها غير مطمئن القلب إلى أحياء الموتى وطلب الدليل الحسى الذى يوصل إلى الطمأنينة لغرض هداية الحيارى والمتشككين ، كما كان شأنه مع عباد الكواكب ، فقد فرض نفسه أمامهم جاهلا بالخالق سبحانه وتعالى ثم جعل يتعرف عليه « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى . فلما أفل قال لا أحب الأفلين » ، وهكذا حتى أبطل عبادة الكواكب وقال : « ياقوم إنى برىء مما تشركون ، إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » .

كل ذلك حدث منه وهو عارف بربه عالم بأنه خالق الأرض والسماء ، ولكنه أسلوب تجاهل العارف لغرض هداية من لا يعرف ، وسنفرد لذلك مقالا إن شاء الله تعالى .

ولقد برأ سيدنا محمد ﷺ جده إبراهيم من الشك بما ليس أبلغ منه ، إذ قال على سبيل التواضع « نحن أحق بالشك من إبراهيم » أى ونحن لم نشك فإبراهيم أولى بعدم الشك منا .

وحسبك دليلا على يقين إبراهيم عليه السلام فى شأن إحياء الله للموتى وبعثهم ما نقله الله سبحانه وتعالى عنه فى قوله « ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك ، إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت » الآية ووجوب الإيمان بالبعث قدر مشترك بين جميع الناس فكيف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أما ما قيل مرويا عن الحسن وقتادة وغيرهما من أن إبراهيم رأى جيفة نصفها فى البر تتنازعه السباع ونصفها فى البحر تتنازعه الأسماك ، فلما رأى تفرقها أحب أن يرى انضمامها فسأل ليطمئن قلبه برؤية كيفية الجمع كما رأى كيفية التفريق فلا يعول عليه لأنه لم يرفع إلى الرسول بسند

ضعيف أوقوى ، فضلا عن أنه لا يرفع الاشكال الناشىء من أنه طلب ذلك ليطمئن قلبه .

ثم روى عن محمد بن إسحاق بن يسار أن سبب السؤال منازعة النمروذ إياه فى الإحياء ، فقد قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال نمروذ أنا أحيى وأميت ، وجاء ببعض المسجونين فأبقى بعضهم وسمى هذا الإبقاء إحياء وقتل بعضهم ، فلما قال إبراهيم إن العفو عن السجين لا يكون إحياء ، بل الإحياء هو الذى يكون بعد الموت ، طلب منه نمروذ أن يريه كيف يحيى ربه الموتى وتوعده بالقتل إن لم يفعل ، فدعا ربه حينئذ .

وهذا الذى روى لو صح يكون خير بيان لسبب طلبه من ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ، ويكون معنى قوله «ولكن ليطمئن قلبى» ولكن ليستريح فؤادى بإرغام الله لعدوى النمروذ ونصرى عليه .

كيفية إحياء الطيور الأربعة :

استجاب الله دعاء إبراهيم وعرفه السبيل لتحقيق ما دعا ، وذلك فى قوله تعالى حكاية لأمره له «قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك[1] ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم» .

وكانت هذه الطيور الأربعة من أنواع متعددة ، إذ كانت الديك والطاووس والحمام والغراب كما ذكره ابن اسحاق عن بعض أهل العلم ، وهو المروى عن مجاهد وعطاء بن يسار وابن زيد ، وكذا عن ابن عباس فيما عدا الرابع فإنه الكركى فيما روى عنه .

فأخذ إبراهيم هذه الطيور وذبحها ثم قطعها قطعاً صغيرة وخلط لحومها وريشها وعظامها ودمها . بعضها ببعض ، ثم جعل على كل جبل جزءاً من هذا الخليط ، ووقف على مكان يشرف منه على هذه الأجزاء ، ثم أمسك رءوس الطير فى يده ثم قال : تعالين بإذن الله ، فتطايرت تلك الأجزاء وتجمع لحم كل طائر على جبل إلى لحمه على باقى الجبال ، وكذا عظمه ودمه وريشه حتى التأمت كما كانت أولا وبقيت بلا رءوس ، ثم كرر النداء فجاءته سعيا على أرجلهن ، وكان إبراهيم إذا أشار إلى واحد بغير رأسه تباعد ، وإذا أشار إليه

[1] أى ضمهن إليك لتتأمل مميزاتها ثم تذبحها وتقطعها

برأسه قرب حتى لقى كل طائر رأسه وطارت بإذن الله تبارك وتعالى .

ولم يذكر فى الآية أن إبراهيم نفذ ما أمره به ربه وأنه قد ترتب على التنفيذ آثاره الإيذان بأن امتثال إبراهيم لأمر ربه وترتب الآثار على ذلك ليس بحاجة إلى بيان ، فكل منهما قد حصل فعلا .

سبحانك اللهم . خلقتنا من تراب ثم من نطفة ، وجعلتنا فى أحسن تقويم ، ووعدتنـــا على ألسنة المرسلين بالبعث للحساب والجزاء عدلا وفضلا ، بذلك آمنا وبقلوبنا صدقنا ، فمن قدر على الإبداع فهو قادر على الإعادة ، تعاليت يا ربنا فأنت العزيز الحكيم ؟

مصطفى محمد الحديدى الطير

(بقية المنشور على صفحة ٥٧٠)

فلو كانت تلك الآيات وتلك السور وأمثالها من عند أحد من الناس لأسقطت كلمة (قل) عند التبليغ كما جرى عليه الناس فى أداء الرسائل ، حتى إن الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يذكرها فى كتابيه إلى هرقل[1] والمقوقس لما ضمنهما الآية(٦٤) من سورة آل عمران فقال : (ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) الآية ولم يقل (قل يا أهل الكتاب) .

فالخطاب الموجه إلى الرسول فى القرآن كله والتحدث عنه ﷺ هو أول الخصائص الذاتية التى تثبت لكل ذى عقل أن القرآن ليس من عند الرسول وسنرى إن شاء الله خصائص أخر تثبت بوضوح أنه من عند الله ؟

محمد أحمد الغمراوى

[١] البخارى: أوائل باب كيف بدء الوحى جزء أول

فضل الشهادة والشهداء في سبيل الله

للدكتور محمد أبو شهبة

روى الإمامان البخارى ومسلم فى صحيحيهما بسندهما عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه — واللفظ للبخارى عن النبى ﷺ قال :

« ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا ، وله ما على الأرض من شىء إلا الشهيد ، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة »

ورواه أيضا بلفظ آخر — عن أنس عن النبى ﷺ قال :

« وما من عبد يموت له عند الله خير ، يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها ، إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة ، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى » وهذا لفظ البخارى.

« تخريج الحديث »

روى الأول الإمام البخارى فى كتاب الجهاد ـ باب تمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا

وروى الثانى فى كتاب الجهاد باب الحور العين وصفتهن .

ورواهما مسلم فى كتاب الإمارة ـ باب فضل الشهادة فى سبيل الله :

« الشرح والبيان »

« أنس بن مالك » بن النضر الأنصارى خادم النبى ﷺ ذلك أنه لما قدم المدينة عرضته أمه عليه أن يكون خادما له فقبل وقد خدم النبى ﷺ نحو عشر سنين ، وكان النبى به رفيقا غاية الرفق قال أنس : « خدمت النبى ﷺ عشر سنين فما قال لى لشىء فعلته : « لم فعلته » ؟ ولا لشىء تركته : « لم لم تفعله » ؟ وكان رضى الله عنه ـ نعم الخادم الأمين أرسلته أمه ذات يوم فى حاجة ، وأرسله رسول الله فى حاجة أخرى فأبطأ عنها ، فلما حضر سألته عن سبب إبطائه فقال لها : كنت فى حاجة رسول الله ، فقالت له : ما هى ؟ قال : إنها سر فقالت له

لا تخبر أحـد بسر رسول الله ﷺ ، فكانت نعم الأم العاقلة ، وقد دعا له النبى صلى الله عليه وسلم بالبركة فى العمر ، والمال والولد ، وأن يدخله الجنة ، وقد استجاب الله الدعاء فطالت حياته وكثر ماله ، وانتشر ولده وكان يقول أرجو الرابعة يعنى دخول الجنة ، بعد أن شاهد فى دنياه الاستجابة فى الثلاثة الأولى .

وهو من المكثرين فى الرواية نقل عن النبى ﷺ الكثير من الأحاديث ، وعن غيره من الصحابة ، وروى عنه الكثيرون من التابعين ، ورواياته فى الصحيحين وفى غيرها من كتب الأحاديث والسنن والمسانيد فبحسبه شرفا أن يكون جمع إلى شرف الصحبة ، والخدمة شرف الرواية ، وحفظ حديث رسول ﷺ ، وهى منزلة تتطاول إليها الأعناق ، وتتقطع دونها الأمانى ، فرضى الله عنه وأرضاه « ما أحد يدخل الجنة » ما : نافية بمعنى ليس أى ليس أحد ، وأحد : نكرة فى سياق النفى فتعم كل واحد يدخلها ، وهو يدل على عظم الكرامة ، وجزيل الثواب الذى أعده الله فى الآخرة للشهداء ، والجنة : هى دار النعيم للقيم التى أعدها الله لعباده المؤمنين العاملين الصالحين ، وهو نحو قوله فى الرواية الثانية : « ما من عبد يموت له عند الله خير » والمراد بالخير الثواب الذى يلقاه فى دار الكرامة والمعنى ليس عبد يموت ، له عند الله ثواب وكرامة ، فجملة : يموت ، وجملة : له عند الله خير ، صفتان للفظ عبد .

« يحب أن يرجع إلى الدنيا ، وله ما على الأرض من شىء إلا الشهيد » .

فى الرواية الأخرى المذكورة : وأن له الدنيا وما فيها ، والروايتان بمعنى ، وجملة يحب هى خبر ما ، وكذلك جملة يسره . فى الرواية الأخرى ، وقوله : « وأن له الدنيا وما فيها » روى بفتح الهمزة من « أن » على أنه معطوف على « أن يرجع » أى يسره الرجوع إلى الدنيا ، وكون الدنيا وما فيها مملوكة له ، ويجوز أن تكسر الهمزة على أن تكون جملة حالية .

« إلا الشهيد » يجوز فيه الرفع والنصب الرفع على البدلية من « أحد » والنصب على الاستثناء والراجح الرفع ، والمراد بالشهيد هنا شهيد المعركة الذى قتل وهو يجاهد فى سبيل الله منافحا عن دينه ،

وأهله ، وعرضه ، ووطنه ، وهو أعلى أنواع الشهداء .

وقد اختلف لم سمى الشهيد شهيداً ؟ على أقوال كثيرة منها :

أنه شهد له بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله لأن عليه شهيداً وهو دمه ، وقيل لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة ، وقيل : لأن ملائكة الرحمة يشهدونه فيتلقون روحه ، وقيل لأنه يشاهد عند خروج روحه ما أعده الله له من الكرامة .

« لما يرى من الكرامة » وفى الرواية الأخرى « لما يرى من فضل الشهادة » .

اللام للتعليل فهى بالكسر أى أن ما يراه الشهيد من الكرامة عند الله ، وما أعده الله للشهداء يجعله يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل فى سبيل الله مراراً .

وهذا الحديث أجل ما جاء فى فضل الشهادة فى سبيل الله ، وليس فى أعمال البر ما تبذل فيه النفس التى هى أعز شىء على الإنسان غير الجهاد ، فلا عجب إذا كان الله سبحانه أعظم فيه الثواب .

وقد ورد فى فضل الشهادة آيات كثيرة فمن ذلك قوله سبحانه : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »[1] ، وقال سبحانه : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون »[2] .

وهى حياة برزخية روحية تتمتع فيها الروح ببعض أنواع الملذات الحسية والمعنوية عن طريق حلولها فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة ، وهذه الحياة فوق الحياة الدنيوية ، لأن حياة الدنيا لا تسلم غالباً من الآفات والآلام ، وأنواع البلاء ، ودون الحياة الأخروية التى تحل فيها أرواحهم فى أجسامهم الحقيقية مع كمال تمتعهم باللذائذ الحسية والمعنوية ، وليس حلول أرواح الشهداء فى حواصل هذه الطيور عن طريق تناسخ الأرواح ، كلا ، وإنما هذه الطيور وسيلة لتمتعها بنعيم الجنة من

---

[١] التوبة ١١١ .

[٢] آل عمران ١٦٩ ، ١٧٠

يوم مفارقة أرواحهم لأبدانهم ، وهذه كرامة خص الله بها الشهداء ، كما أن جعلها فى جوف طير خضر حسان ليس سجنا لها كما زعم البعض وإنما هو صيانة لها ، ومبالغة فى إكرامها لتطلع على ما فى الجنة من المحاسن والنعم ، والمناظر التى تسمو عن الوصف .

وقد روى الإمام مسلم فى صحيحه ما يفسر لنا هذه الحياة ، وما يبين كرامة الشهداء عند ربهم ففى الصحيح عن ابن مسعود قال : « وسئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية - « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء . . . » فقال : « أرواحهم فى جوف طيور خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى تلك القناديل ، فاطلع الله عليهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئا ؟ فقالوا : أى شىء نشتهى ، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يارب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا » .

وفى مسند الإمام أحمد نحو حديث مسلم وفى آخره « فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ، ومقيلهم ، قالوا من يبلغ عنا إخواننا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب فقال سبحانه « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » وقد كان نزول هذه الآية بعد ما نزل بالمسلمين من استشهاد الكثيرين فى غزوة أحد ، وفى سرية القراء ، فكان فيها تصبيرا وتسلية للنبى وللمؤمنين وروى بن ماجه فى سننه بسنده عن أبى هريرة قال : ذكر الشهيد عند النبى ﷺ فقال : « لا تجف الأرض من دم الشهيد حتى تبتدره[1] زوجاته من الحور العين وفى يد كل واحدة منها حلة خير من الدنيا وما فيها » وقد ورد فى وصف هؤلاء الحور العين فى الصحيح « ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ، ولملأته ريحا » رواه البخارى وكذلك ورد فى وصفهن : « أنه يرى مخ ساقهن من وراء لحمهن وعظمهن » فهن كالبلور بل أصفى ، إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار .

فلا تعجب وقد حبب الإسلام فى الشهادة

[1] يتسابقن إليه

هذا التحبيب ، ورغب فيها غاية الترغيب أن أحب المسلمون الشهادة فى سبيل الله ، وأن حرصوا على الموت أكثر من حرصهم على الحياة ففى سرية القراء أرسل المسلمون حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر فى الكتاب ، وأوعز إلى رجل ، فأنفذه بالرمح من خلفه ، فقال حرام ، فزت ورب الكعبة ! ! ! وقد عجب قاتله وهو جبار ابن سلمى من مقالته ، فقال : ما معنى قوله فزت ؟ قالوا : يعنى بالجنة ، فقال : صدق وكانت هذه القصة من أسباب إسلام جبار فيما بعد تأثرا بما سمع .

وفى غزوة مؤته لما التقى المسلمون ، وهم ثلاثة آلاف ، بالروم ومن معهم ، وهم مائتا ألف ، قالوا . نكتب لرسول الله نخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضى له ، فقام عبد الله بن رواحة فقال : يا قوم والله إن التى تكرهون التى خرجتم تطلبون يعنى الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا كثرة ولا قوة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فإنما هى إحدى الحسنيين : إما ظهور ، وإما شهادة فتشجع الناس وقالوا : صدق ابن رواحة ، إلى غير ذلك من المواقف المشرفة وبحب الشهادة مكن الله للمسلمين فى الأرض ، وأذل لهم جباه الأكاسرة والقياصرة ، وصاروا سادة الدنيا أحقابا من الزمان .

فهل يعيد التاريخ نفسه ؟ وهل يعيد المسلمون سيرتهم الأولى ، وهى حب الجهاد والاستشهاد ؟ ذلك ما نرجو فى حاضرنا ويومنا وما ذلك على الله بعزيز ؟

د . محمد محمد أبو شهبة

تصـــويب

جاء فى صفحة ٥٣٧ من الجزء السابع فى السطر العشرين : « يؤخذ بدمتهم أدناهم » وصحتها : « يؤخذ بذمة أدناهم » .

اجتهاد الرسول

للدكتور محمد رجب البيومي

لكل عصر أسلوبه ومنحاه، وطريقته العلمية فى معالجة البحوث، وعرض الآراء كما أن لكل موقف وضعه الخاص فى تلوين الحديث واتجاهه الوجهة المناسبة المفيدة، وهذا ما ينبغى أن يراعيه أولو العلم ممن يشافهون الجمهور باحثين دارسين كتاباً كانوا أو مذيعين! وإذا كان الأقدمون من علماء البلاغة يجعلون مطابقة الكلام لمقتضى الحال سر تفوقه وأساس أحكامه، فإن ما نص عليه هؤلاء الأقدمون لا يزال فى معيار النقد الحديث شيئاً هاماً له اعتباره الموزون! ومحاولة تجاهله مما يذهب بكثير من الجهود العلمية إلى الضياع ..

كنت أستمع ذات صباح إلى حديث إذاعى لعالم فاضل من كبار علمائنا المتخصصين يتحدث عن اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمور الناس، فراعنى أن أجد الرجل الكبير يخاطب الجمهور المستمع فى شتى جنبات الأرض بما قال علماء الأصول فى كتبهم القديمة، فهو يعرض الآراء المتقابلة بأدلتها المدونة دون ترجيح أو موازنة ثم يترك السامع غير المتخصص بعد ذلك وقد حار فيما سمع لا يدرى أين يستقر فلكل رأى دليله، ولكل وجهة ما يعضدها، ولكن للمرفأ الذى كان يجب أن تأوى إليه السفينة المضطربة فى مياه المحيط ظل بعد انتهاء الحديث من الراكبين بمكان بعيد! لقد ذكر الأستاذ المذيع ما خلاصته أن الإجماع قد انعقد على جواز الاجتهاد للرسول فيما يتعلق بأمور الدنيا، أما اجتهاده صلى الله عليه وسلم فى أمور الدين فقد اختلف فيه العلماء على ثلاثة مذاهب: ففريق يذهب إلى أنه عليه السلام ليس له الاجتهاد لقدرته على النص بنزول الوحى فقد قال الله تعالى « وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » « النجم آية ٣، ٤ ».

كما أنه ﷺ كان إذا سئل فى بعض الأمر ينتظر الوحى ويقول ما أنزل على فى هذا شىء وذلك يدل على أنه لا يجتهد

أما الفريق الثانى : فقد ذهب إلى جواز الاجتهاد النبوى لأن الله عز وجل يقول : « فاعتبروا يا أولى الأبصار » وإذا لم يكن محمد ﷺ من أولى الأبصار فمن يكون ؟ ولأن الله عز وجل قال : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » النساء آية ٨٣ .

أما المذهب الثالث : فقد ذهب أصحابه إلى التوقف عن الحكم فى هذه المسألة وكأنها من الأمور المبهمة التى تشتبك فيها المسالك ! وهكذا انتهى الحديث دون أن يصل السامع إلى شىء ولكنه فوجىء بأسماء ابن حزم والزركشى والغزالى والباقلانى تلحق ببعض الآراء المتعارضة ، وفى رأيى أن انتهاج هذا السبيل – فى المجال الإذاعى العام – وفى الكتابة الصحفية السريعة لا يفضى إلى نفع ما قليل أو كثير .

نحن نعرف أن تراثنا العلمى محتشد متدافع ، وأكثر مسائله فى ركامها المتزاحم لا تخلو من اختلاف فى الحكم أو التوجيه فإذا كان همنا أن نعرض الأقوال المتعارضة دون ترجيح حى ، فنحن لم نزد على النقل السطحى فى شىء ! وسبيل الباحث فى هذا الركام المتعارض المتزاحم أن يبين حقيقة وضعه العلمى ، فإذا كان أستاذاً جامعياً يدرس للمتخصصين فعليه أن يعنى بأوجه النظر المختلفة للمسألة الواحدة ترجيحاً وتشريحاً ، كما عليه أن يبسط مع كل رأى أدلته النقلية والعقلية مبيناً مواضع القوة والضعف ، ثم عليه بعد ذلك أن يطمئن إلى رأى خاص يبسطه مشفوعاً بما يملك من البرهان حتى يصل بتلاميذه إلى نتيجة واضحة إن لم تصادف موضع الإجماع ، فقد أحسن سبيل النظر العقلى والاستدلال العلمى ، هذا هو الباحث المتخصص مع تلاميذه ، أما المتحدث فى إذاعة أو الكاتب فى مجلة ، فعليه إزاء الأقوال المتعارضة .. أن يختار رأياً واضحاً يميل إليه ويذهب إلى ترجيحه بعيداً عن اضطراب النصوص ، ولجاج الأسماء ! ليخرج القارىء أو السامع ببعض ما يفيد ! .

هذا بعض ما جال بخاطرى حين تأملت ما سمعت من حديث الإذاعى ، وقد سألت نفسى ماذا كنت تقول لو عنّ لك أن تتحدث عن اجتهاد الرسول فى مثل موقف الأستاذ المذيع أو فى مقال محدود تطالع به القارىء غير المتخصص ! وهو

سؤال تتحتم الإجابة عليه ، وإذا كنت بعد قراءة كثيرة فى المراجع الأصيلة لهذا الموضوع قد اطمأننت إلى الرأى القائل باجتهاد الرسول فلن أحاول فى هذا المجال الضيق أن أتعداه إلى غيره ، وسبيلى الآن أن أوضحه قدر ما أستطيع فأقول :

لا نجد نبياً من الأنبياء دوّنت سيرته بإحاطة وشمول كما دوّنت سيرة محمد ﷺ لجميع مواقفه فى أدوار حياته النبوية ذائع مشتهر يتناقله الخلف عن السلف ، وكلها تنطق بقيادته الحازمة ، وآرائه السديدة وأقواله الصائبة فى معترك النوازل والأحداث وقد قال الله عز وجل مخاطبا إياه : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزّل إليهم » النحل آية (٤٤) .

ولا شك أن الذى يتولى تبيين القرآن وتفسيره يصدر عن اجتهاد عقلى فى كشف الغامض وإزالة المبهم ، ولا يقتصر ذلك على الألفاظ القرآنية بمدلولها اللغوى وحده بل لابد من توضيح للفكرة وتوجيه للرأى يرتكزان على النظر الثاقب والعقل البصير ! ومن ورائهما التطبيق الصادق على مسائل الحياة وهـــذا موضع الاجتهاد ومثواه ، وإذا كان الله عز وجل قد دعا عباده المؤمنين إلى النظر العقلى والتأمل الفكرى حين قال : « فاعتبروا يا أولى الأبصار » فإن أولاهم بالاعتبار رسول يحمل لواء الشريعة ويدعو لدين الله راسما منهجه ومجراه ..

وقد كان رسول الله يتجه إلى الوحى فيما يعرض عليه من الأحكام والخصومات فإذا أوحى إليه بشىء حكم به كما يدل على ذلك قول الله : « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض » البقرة آية (٢٢٢) « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » البقرة آية (٢١٩)

« يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به » البقرة آية (٢١٧) « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة » النساء آية (١٧٦)

هذا فيما يوحى به الله من الإجابة ، فإذا لم يأت الوحى بشىء قال الرسول باجتهاده ، فإذا أصاب أقره الله ، وإن أخطأ جاءه الوحى بالصواب ..

كان الرسول يجتهد فى أمور الدنيا وفى أمور الدين ، واجتهاده فى أمــور الدنيا يرجــع إلى رأيه الشخصى وقد يعدل عنه

إذا ظهر النفع فى غيره ، فقد مر على قوم يلقحون النحل بالمدينة فسأل : ما يصنع هؤلاء ؟ فقالوا : يلقحون فقال عليه السلام : ما أظن يغنى ذلك شيئا فأخبروا بذلك فتركوه فخرجت شيصا فذكر ذلك للنبى فقال إن كان ينفعهم فليصنعوه فأنتم أعلم بأمور دنياكم وحين توجه رسول الله إلى بدر نزل بأدنى مياهها فقال له الحباب ابن المنذر أهذا منزل أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال : لا ، بل هو الرأى والحرب والمكيدة فقال الحباب ليس بمنزل ؟ انهض بالناس حتى نأتى أدنى منازل القوم فوافقه الرسول على ذلك .

هذا بعض اجتهاده فى أمور الدنيا ، أما أمثلة اجتهاده فى أمور الدين فكثيرة ، فقد روى البخارى عن ابن عباس «أن امرأة من جهينة جاءت للنبى ﷺ فقالت إن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال نعم حجى عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟

اقضوا حق الله فدين الله أحق بالوفاء» .

وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى وإنما أحلت لى ساعة من نهار لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ، ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف فقال العباس : يارسول الله إلا الأذخر لصاغتنا وقبورنا فقال صلى الله عليه وسلم : إلا الأذخر اجتهاداً دون أن ينتظر الوحى .

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : (علمت أنى أتقاكم وأصدقكم وأبركم ولولا هدى لحللت كما تحلون ، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى) .

وفى الأثر أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة) .

هذه أمثلة أربعة ترددت فى كتب السنة صريحة باجتهاده ﷺ فى أمور الدين حين لا يأتيه الوحى فيما يحكم به .

والمثال الأول : يقيس به الرسول أداء الحج على الدين ، ليفتح باب القياس أمام المشرعين إذا اتحدت العلة وظهر تعلق المناط .

والمثال الثانى : يدل على أن إجابة الرسول للعباس كانت فور اجتهاده الشخصى دون أن يأتى بها الوحى .

أما المثال الثالث والرابع : فيدلان على أن الرسول كان دائم التفكير فيما يصدر من حكم ، وأن قوله لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما سقت الهدى ليدل على المراجعة الدقيقة التي يقوم بها الرسول راصداً أقواله وأفعاله غير متهيب الرجوع عنها إذا ظهر له الحق فى غيرها ، كما أن إشارته بزيارة القبور بعد نهيه عنها تعطى المثال الطيب لهذه الدقة الأمينة فى المراجعة الحريصة على الاطمئنان المستقر إلى موضع الصحة فى الحكم .

وهذا ما يجب أن يقتدى به متصدرو الإفتاء وصدق الله عز وجل حين قال : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا » الأحزاب آية (٢١) لقد قلت فيما سبق إن الرسول الأعظم كان يصيب ويخطىء ، فإذا أصاب أقره الله ، وإذا أخطأ نزل الوحى بالصواب ، وإذا كان فى بعض ما تقدم ما يشير إلى أمثلة صوابه فإننا نعقب ذلك بأمثلة شافية لما تداركه الوحى من أحكامه ، ليعلم الناس أن دين الله حق لا مرية فيه ، وأن رسول الله وهو الصادق الأمين ما كان ليخفى عن المسلمين ما يجهر به الوحى من تخطئته ، ليعطى المثل الصادق فى الرجوع إلى الحق دون عناد .

١ ــ لقد استشار النبى ﷺ أصحابه فى سبعين من أسرى بدر فمنهم من أشار بالعفو المطلق ومنهم من أشار بالقتل ، فرأى النبى صلى الله عليه وسلم أن يجنح إلى أخذ الفدية ليتوسط بين الرأيين ، وقد كان الوحى بعد غير ذلك إذ نزل قول الله عز وجل : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » الأنفال آية (٦٧ ، ٦٨) .

٢ ــ روى البخارى عن ابن عمر أنه قال : لما توفى عبد الله بن أبى بن سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلى عليه ، فقام رسول ﷺ ليصلى عليه فقام عمر فأخذ بثوب النبى صلى الله عليه وسلم وقال تصلى عليه يارسول الله وقد نهاك ربك ، فقال ﷺ إنما خيرنى الله فقال : « استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » التوبة آية (٨٠) وسأزيده على السبعين فقال عمر : إنه منافق ، قال : فصلى عليه

رسول الله فنزل قوله تعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » التوبة آية (٨٤) .

٣ — أذن رسول الله ﷺ لمن اعتذر إليه من المنافقين أن يتخلفوا عن الحرب وقد كانوا كاذبين فيما ساقوه من أعذار زائفة ، إذ أنهم فى صميم نفوسهم يكرهون أن يبذلوا جهدا ما فى نصرة الإسلام فلم يشأ الرسول أن يجبرهم على الذهاب إلى معركة لاتتقدم نفوسهم حماسة إلى ميدانها هذا ما ارتآه رسول الله ولكن الوحى عاتبه فى ذلك إذ نزل قول الله عز وجل : « عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » التوبة آية (٤٣) .

٤ — تعرض عبد الله بن أم مكتوم إلى سؤال رسول الله وهو يناقش العلية من قريش فى أمر الإسلام فأشاح عنه الرسول حتى يفرغ من أمره مع القوم لعل الحق يشرق فى نفوسهم فيلينوا بعد كفران ، ولكن الوحى قد خالف فى ذلك فنزل قول الله : « عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى ، وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى . كلا إنها تذكرة عبس آية (١ ــ ١١) .

تلك أمثلة أربعة لما خالف فيه الوحى اجتهاد الرسول ، وحين نشير إليها فى هذا الموضوع ، نلفت النظر إلى موضع الحكمة من التصحيح الربانى ، إذ أن ما اهتدى إليه عليه السلام من الرأى يظهر للنظرة الأولى صوابا يهدى إليه العقل إذ قدرت بعض مناسباته للعتبرة ولكن الله عز وجل يعلم أن الرسول بشر قد تفوته بعض أوجه النظر الخافية مع سمو العقل بالقياس إلى أبناء جنسه ، فإذا نزل الوحى بتصحيح بعض آرائه فى ذلك يدعو كل مجتهد من رجال التشريع إلى التدقيق البالغ ، والاستقراء التام والاستنباط الناقد قبل أن يصدر الرأى فى حكمه ، لأن الرسول وهو الرسول قد احتاجت بعض أحكامه إلى المراجعة فكيف بتابعيه ! هذا هو موضع الحكمة من التصحيح الربانى ، على أن المجتهد بعد ذلك مكافأ مأجور أخطأ أم أصاب ، إذ بذل الجهد فى استنباط الرأى ولم يدخر وسعا فى البحث والتدقيق ؟

د : محمد رجب البيومى

العيد كما أفهمه

للأستاذ عز الدين على السيد

من الليالى الناعمة والأيام الحالمة ليلة العيد ويوم العيد ، والعيد يوم من الزمن المتكرر العائد ، فى حياة فرد أو حياة أمة أو حياة البشرية ، يفيض عليه وجدان الفرد أو الأمة أو البشرية بالمعانى الكبيرة فى هذا الوجدان ، فلا يسمى يوم الجمعة أو السبت ... وإنما يلقب بالعيد : العيد الذى عاد من بعيد بعيد ... من أعمق الذكريات الراسخة فى حياة القلب ، حياة الآمال والأحلام ، يهبط على الناس كما تهبط الرحمة ، فتنزوى الحياة العابسة كلها فى جانب منها ، لا تراه الأعين منا ، لتنتشر الحياة كلها فى جميع الشعاب بجميل الإهاب ، فتملأ الأعين والقلوب بسحر ساحر وشعر شاعر ، فإذا هى طير طليق من سجنه ، يحلق سعيداً شادياً ، ناسيا فى الصورة العائدة للمأنجبة ، قلق النفس ووخذ الحياة ، واضطراب الفكر زحمة المطالب ، فى وجه المتألق ابتسامة صفح ، وفى كفه الكريمة بسطة بذل ، ولسانه شهلة يشتق بها ، يدور كما يدور قرص النغم ، سجل عليه أغرودة لا عل ، هى لحن العيد ودعاء القلب السعيد : كل عام وأنتم بخير ..! رجاء المؤمن للمؤمن ، ودعاء الحبيب للحبيب . . !

نادى الحواريون من قبل ، المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، ليسأل ربه مائدة السماء ، يأكلون منها وتطمئن قلوبهم ، وتكون معجزة بها يصدقون وعليها يشهدون « قال عيسى بن مريم : اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ، تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك ، وارزقنا وأنت خير الرازقين » .

ودعاء الرسول البرىء يصور المعنى الكبير والسر ، الذى يصحب الاسم الأغر ليسجله على الدهر ، ويجدده مع السنين ، فيكون موعد خير ، وموسم بر ، وعودة سعادة ، لأنه مولد حدث خطير فى تاريخ دعوة وكيان أمة ، كلما عاد من جديد عاد بسر الربيع على الكون ، تدرك فى كل ورقة تخفق ، وفى كل عود يتأود ، وكل زهرة تميس ، وفى كل لون يزهو ، أو نسيم يرق ، أو عبير يفوح ، أو بلبل يشدو ... أن بناته تعمل وتأسو لتبنى ما تهدم من

طاقات الجمال والجلال ، ويكون خلود هذه المعاني بتجديدها للقلوب ، كخلود الجمال في الكون بما يسحر الربيع ويشوق .

والعيد في الإسلام أجل وأتم ، لأن حكمة الله التي جعلت محمداً خاتم الرسل ، اقتضت أن يكون عيد، في أمته خاتم الأعياد فعيد المائدة عيد الذكرى المجردة ، وعيد الفطر أو الأضحى يظل إلى آخر الدهر المؤمن مقترنا بسببه اللازم اقتران النتيجة ، كما يقترن الربيع تماماً بالسامل الفعال ، من استدارة الشمس وتغير الهواء وتفتح المسام في الأرض وما هو منها ، ليجد العنصر المجدد قابلا والعامل الفعال منفعلا .

فعيد الفطر أول ما كان في الإسلام كان فرحة للمسلم بانتصاره على شهوات نفسه وصراع شيطانه ، الذي يجرى منه مجرى الدم ، شهراً كاملا ليله ونهاره ، قياما بالليل وصياما في النهار ، يضيق مجاريه ويسد طرقه بالجوع والعطش ، وهذا هو الجهاد الأكبر ، وكل نصر كبير يحرز يؤخذ يومه عيداً ، يحس فيه القلب بالغبطة ، ويشكر على النعمة ، ويستجم من السلاح ، ويتمتع بالحلال المباح ، يهنىء بالنصر من جاهد في صفه فكان معه كالبنيان المرصوص ، فيتعانق الأرواح وتسعد بالأفراح في ليلة تبدأ بالفطر الخاتم ، ويوم يولد مولده ومعه صلاة لا كالصلوات . صلاة لها طعم ولون وريح، تنفرد بسماتها كانفراد يومها بسماته..!

وشهر الجهاد في الإسلام شهر سعيد مبصر فهو « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » وفيه « ليلة القدر خير من ألف شهر » لأنها أخص لياليه بالمعجزة للمعجزة « إنا أنزلناه في ليلة القدر » فالشهر يعود والليلة تعود . لأنها زمن يتجدد بأسمائه فتعطيه المقيدة ما تحت الأسماء من حقيقة أوما للربيع من تجديد وتشييد، وأما القرآن فهو موجود . في صمود . إلى آخر الوجود . لأنه الحبل الممدود بين العابد والمعبود ...!

أليس يقول الحق جل جلاله : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

أربعة عشر قرنا من الزمان لم تنل حركة حرف أو سكونه ترى كم في عمر الدنيا من أربعة عشر . ؟ وإذا كان أليس البرهان أقوى من الزمان . . ؟

فالمؤمنون بعيد الفطر ليسوا في ذكرى تطوف ، وإنما هم مع القرآن وصيام رمضان كما كان معهما الإمام والصحابة .. جند عامل في الميدان ليحرر الإيمان في الأمان من وثبات الشيطان ، وليس كذلك عيد المائدة . . ؟

ثم هنالك ما هو فوق ذلك : « للصائم فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه » . بدخول الجنة . .

الجنة ما الجنة : دار الأب الهابط والأم الشقية . ! وطن الروح النازح والقريب الحنان . !

أى فرحة نشوى وعيد باسم حين تنادى: « ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ، لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد » .

إعلاء لمعنى العيد وفرحة العيد أن يجعلك سعيداً بالواقع وحالما بالغيب ، فتعيش بين سعادتين من عاجلك وآجلك ، ولذاذة الأحلام أكمل متعة ، لأنها للروح الباقى ، الساكن بيته الفانى .

إنها أحلام بالوعد الحق والجزاء الحق ، فهو عليه السلام « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » .

وهنا نقيد الخطو ونعود إلى التاريخ، ووثائق التاريخ هى السنة ، فلنربط قلوبنا بالسنة ، لنستجلى منها معالم يجب أن تعلم .

عن أنس رضى الله عنه قال : «قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال : ما هذان اليومان.؟ قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية . فقال ﷺ : قد أبدلكم الله خيراً منهما : يوم الأضحى ويوم الفطر».

لنعرف أن مناط التفضيل جنى الثمرة ، والثمرة تجنى من شجرة حية ، فيوما الجاهلية لعب تجرد من الهدف ، وخلا عن السبب ، فلا شجرة ولا ثمرة ، وإنما هو عبث من عبث الفارغين ، أما الميدان للسلطان فعلى شجرتى الجهاد بسقا وبعاجل الجزاء وبشرى الجنة أثمرا ، فهما أكيدا اللصوق بالأصل والثمرة . !

والإبدال إبطال ، يبطل بمفهومه على المسلمين لعب بلا هدف ، وينهض بمفهومه اللعب الهادف إلى تكوين البطولات وشحذ العزائم وتقويم القوى ، لتصبح بانية رافعة ، سابقة غالبة .

ثم الصلاة .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكبر فى الفطر والأضحى فى الأولى سبع تكبيرات وفى الثانية خمس تكبيرات » .

أليس فى هذه التكبيرات الزائدة تكبير الشكر ، وتقرير النصر ، وإنكار الجحد ، وإقرار بالعبودية .

إنها إعلان لفرحة حزب الله الأكبر يظل دويها مسموعا فى نفسه فى جهره وهمسه ، وجلالها مرسوما فى قلبه لأنه تقديس لجلال ربه . وهى تأكيد كل

التأكيد لهتاف الهاتفين من المؤذنين والمصلين ، يذكرهم فى مطلع يومهم ، يوم فرحهم ولهوهم ، أن يجعلوا أمام قلوبهم فى كل مجمع ، وإمام أرواحهم فى كل مذهب : الله أكبر الله أكبر الله أكبر .

نشيد العلم الإلهى الذى يجمع فى إسناد كلمة إلى كلمة ، إسناد إخلاص إلى قلب ، وبضم لفظ إلى لفظ ضم ، عابد إلى معبود . « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء » .

إنها صلاة تستكثر من هذا النشيد ، ويستكثر منه قبلها ، وبعدها فى الخطبتين اللاحقتين بشرح التكافل بين المؤمنين ، فى صدقة الفطر هنا ، وذبح الأضاحى هناك ، بعثا للعيد فى كل بيت وإدخالا للفرحة على كل قلب ، فالمؤمنون كالجسد ، وحدة إدراك وقوة إحساس .

يقول العلماء : ويستحب أن يستفتح الأولى بتسع تترى والثانية بسبع ، قال عبد الله بن مسعود هو السنة . . .

ثم فى الصلاة ذاتها يقول النعمان بن بشير رضى الله عنهما : « كان رسول الله ﷺ يقرأ فى العيدين وفى الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية ، وربما اجتمعا فى يوم واحد فقرأ بهما » كما روى عن أبى واقد الليثى رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الأضحى والفطر بقاف والقرآن المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر .

ونحن نسائل السور الأربع عن السر فنجده التذكير بأجمع المبادئ للدعوة :

١ — مبدأ التوحيد والتقديس للإله الأعلى الذى خلق فسوى .

٢ — مبدأ التوجيه بالامتنان وإظهار النعم الدالة على الاستحقاق لصفات الإله الأعلى، الذى ليس غيره يعلم الجهر وما يخفى.

٣ — انقسام الخلق على الحق فنهم من يخشى لأنه تزكى ، ومنهم الأشقى الذى يؤثر الحياة الدنيا .

٤ — طبيعة القسمين وصفاتهما هنا وجزاؤهما هناك .

٥ — إثبات المعاد الذى يظهر فيه تمام الإيمان بالعدل ، وكمال اليقين بالوعد والآخرة خير وأبقى ، لغير الأشقى الذى يصلى النار الكبرى .

٦ — وحدة مفروض الحق على الخلق من هذه المبادئ فى جميع الرسالات : إن هذا لفى الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى .

٧ — مقام الدعاة من الله أن يقرىء الرسول فلا ينسى وييسره لليسرى ومكان الرسول من الناس يذكر إن نفعت الذكرى وليس عليه أن يعرض الأشقى .

أما سورة الأعلى فتوجز كل الوجازة هذه المبادىء فى سطور عشرة ، تقرع بها السمع فى مقاطع متلاحقة، وفواصل منتهية بفتح لا يوقف عليه لاتصاله بالألف القصيرة، لتشد القلب إلى فوق تسع عشرة مرة .. إلى الرب الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى .. وقلب يشد إلى فوق ذلك الشد السريع المتصل لا يسهل عليه أن يخلد إلى الأرض فيتبع هواه وينخلع من هداه .

والسورة آية فى التظليل والإيحاء، تعطى المفاتيح للعقل ثم تقول له : أدخل على قدر طاقتك وجل على قدر استعدادك . إيحاء وتظليل لا يقدر على مثله إلا مثل الكتاب المعجز وأين . . ؟ لا أين : بين كثير من الحذف وضيق من القصر ، وألطف من ذلك حول الدلالات التى لا يغنى المثل عن استيطان سرها ، فأوجز أن أقول فى نوت المفاتيح : إنها فى ذاتها أبواب يطل منها الواضح القريب من الخير ينادى إلى نفسه «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » .

وأما سورة الغاشية فتزيد ثلاثة أسطر فى سبع فواصل ، وتدور أوضح ما تدور على المعاد، فالأول حديث الغاشية والآخر حديث الإياب والحساب — والأوساط هى المظاهر الحسية والمعنوية للوجوه الخاشعة الناصبة والوجوه الناعمة الراضية وألوان العذاب ، وأصناف الثواب .

أما المبادىء الأخرى فتمر من خلالها بجلى ، فبراهين الإله الأعلى هى ملك هذا الجبروت الممتد فى مظهر الغاشية وأحوال الخلق ، وفى الملك المتفرد لتحديد المصير من الإياب والحساب ذلك هناك ، أما هنا فالامتنان بالنعمة المسداة والدلائل القائمة فى اتساع نماذج الملك من السماء وما أظلت والأرض وما أقلت — وكأنها تنادى المسرف المرتبات : أيتها الذبابة الطائرة بين ما لا مدى لعمر فوقها وما لا مدى له من تحتها ما أعظم ضيعتك بالجهل لمالك هذا الملكوت . تنحلين صفاته حقا لمن كانوا له خلقا . . !

وأما الرسول بين من آمن واستبشر ومن تولى وكفر فوظيفته : ذكر إنما أنت مذكر لست عليه بمسيطر .

وللطلع الخائع القلب : هل أتاك حديث الغاشية ؟ والفواصل المقيدة عند الوقف تمثل القيود لهذه القلوب ، فلا تنطلق بها جريا وإنما تنتقل بها قفزا ، ليكون لها بين السكتات تدبر الخاشع فى مظاهر الغاشية ، وتأمل الناعم فى أحلام الجنة العالية ، وليس هذا مكان البيان .

أما السورتان الأخريان فهما إيضاح ما أجمل من تلك المبادىء ، تتم كلتاهما بالاتساع وتدع بالإقناع ، فدعهما فى فؤادك يحدثاك ، وأصغ إليهما خاشعا تأخذ منهما مالا أحصره ولن ينبئك فيهما مثل قلبك .

هذه قبسة من نور الصلاة إلى أخرى من الخطبة ، تملأ حروف العيد الثلاثة بمعانى الدين والدنيا ، فننصرف بعدها إلى التحلل للخروج من قيود الأمس ، وإلى إعطاء النفس حظ النفس . ولكن فى مد هذا البحر الذى عشنا مع الصلاة ساعة عنده ، نظر الحسن البصرى إلى قوم منصرفين من صلاة الفطر يتداعون ويتضاحكون فقال : الله المستعان . إن كان هؤلاء قد تقرر عندهم أن صومهم قد تقبل فما هذا عمل الشاكرين . وإن علموا أنه لم يتقبل فما هذا عمل الخائفين .

إن المعانى التى تحتلىء بها الدنيا المائجة بالشر ، ويرقب فى وسطها العالم فصل الخطاب فى تاريخ الإسلام الحديث تملى على كل مؤمن يوم ينادى ، أن يستجلى العيد يوم استمداد الشهادة .. ببذل النفس ومادونها ، فى كل مكان يؤويه ، فإذا حرم الوقوف فى الجبهة استعاض منه الدين والوطن وقوتا يضارعه ، فيكون خلفا بأمانة الإسلام فى بيت الغازى ، وأبا بحماية الإيمان لمن أيتمه الجهاد . وبدأ عامله مسعفة فى تدعيم الأمن وحربا للمارقين متبطى الهمم وخالقى الشائعات ، وإلا فقد فرغ العيد من معناه ، وفرغت تحيته من روحها ووحيها . (كل عام وأنتم بخير) من أن يأتى الخير فى عام يعود ومزرعة الخير مجدبة وزارع الخير شحيح ببذره .. ؟

هى إذاً لعبة عزيزة . وكلمة مؤسفة ، لا تصدر عن عقيدة ولا يسندها إيمان !

(كل عام وأنتم بخير) . إذا فقهنا معنا الخير لحرصنا على الخير ، ولا يجنى الخير بأناشيد المنى والهوى ، فالعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى ؟

عز الدين على السيد

خواطر العيد

هلال العيد أبكانى ... ودمع القدس أدمانى
وزاد النار فى قلبى ... دم يجرى بشريانى
يناجى : أحرق الأقصى ... بكف المجرم الجانى
ليبنوا فيه هيكلهم ... قصا أيها البانى
سليمانى كما هتفوا ... ذق السم السليمانى

* * *

أخى فى النيل فى « بردى » ... أخى فى أرض لبنان
أخى فى المغرب الأقصى ... أخى فى المغرب الدانى
وفى بغداد فى بصرى ... وفى أرباض عدنان
وفى الخرطوم فى ليبيا ... أخى فى كل أوطان
وفى الشرق وفى الغرب ... لعدنان وقحطان
كلانا يطلب الحق ... فكن فى الحق معوانى
ليرعى حقنا الله ... ويرعاك ويرعانى

* * *

أخى ما زال فى قلبى ... حديث العاطف الحانى
ففى « يافا » أحبائى ... وفى « نابلس » خلانى
فهيا يا أخى هيا ... لمد « قدسى » لأوطانى
لآل البيت أشعارى ... وأوتارى ووجدانى
لآل البيت أذكارى ... وقيثارى وألحانى
أخى إن شئت عنوانا ... فهذا الحب عنوانى

محمود عبد

مناجاة

النار في جوهر الإحساس تكويني … يا خالق النور في كوني وتكويني

يا ذا الجلال أنا في بحر عاطفتي … أشتاق للقرب والأشواق تدنيني

وأنت أنت الذي أرجوه لا أحد … سواك عند حديث الحب في ديني

يا صاحب الأمر في روحي وفي جسدي … يا مبدع الخلق في أسرار مكنوني

أني عرفت بقلبي رحمة وسعت … كل الوجود بلا ذل ولا هون

جئت أدعوك لا خوفا ولا طمعا … لكن قلبي ارتوى من قولك ادعوني

يا مالك الملك هذا الكون حيرني … وسبحة الروح تغنيني وتحييني

وفي ضميري أمور قد سعدت بها … لو أنني قلتها للناس تشقيني

شابت أماني في الدنيا وما برحت … دنياي يا رب بالآمال تغريني

ما زال قلبي ينادي رب سامحة … ترضيك يارب من قلبي فترضيني

أجوع ألقاك بالنعماء تطعمني … وإن ظمئت فمن نعماك تسقيني

وإن مرضت بداء لا دواء له … وجدت عندك ما أرجو ويشفيني

وحين أحتاج من فقر إلى عرض … أرى القناعة بالموجود تكفيني

وإن سعيت لأمر فيه معصية … وجدت عفوك في رفق يناديني

فإن رجعت بذنبي تائبا خجلا … ألقاك يارب بالغفران تحبوني

ما زلت يا رب تعطيني فترضيني … وعصمة في حمى تقواك تهديني

الكاف والنون سر أنت تملكه … فامنن على بسر الكاف والنون

ألقاك يا رب إحساسا يقربني … إلى مقام بدنيا الحس يطويني

فأستشف الرضا حتى تلامسه … خلال روحي على قرب عيني

وحين ألقاك أغني حيث لا عدم … وحين تغنى بذاتي صورة الطين

ألقاك يارب في سمعي وفي بصري … وفي كياني وفي روحي وفي ديني

المستشار

[illegible]

دور الإسلام في مشكلة التربية والثقافة
بين استقرار المبادئ وتطور العلم
للدكتور محمد غلاب

— ٣ —

أسلفنا فيما سبق ذلك التشابه الذي وضعه المربون بين العناية بالشجيرات المثمرة إبان نشوئها من جهة، وتربية الأطفال والشباب في مراحلهم الابتدائية والإعدادية والثانوية والعالية من جهة أخرى، ووعدنا بتفصيل مناهج التعليم والتثقيف، وما يجب لهذا النشء من عناية تربوية واجتماعية، ودينية وها نحن أولاء نوفي بوعدنا فنقول:

فيما يتعلق بالمرحلة الأولى — وهي تشمل الخطوتين: الابتدائية والإعدادية لا يستلزم الأمر كثيراً من الاختلافات أو المناقشات إلا حول تنظيم المناهج، والسير بها نحو الكمال بقدر المستطاع وجعلها مشتملة على أكبر مقدار ممكن من عناصر المعرفة التي تلتئم مع عقليات النشء في هذه السن المبكرة وقبل هذا كله تجب العناية باختيار المعلمين المخلصين الأوفياء للعلم والوطن، والمعروفين بالجدية والسمو الأخلاق والحزم والمتعمقين في الدراسة النفسية لأن أثر الأساتذة والمربين في هذه المرحلة بقسميها هو الأثر الخالد الذي لا يزول ولا يحول لأنه إذا كانت الأم هي «المدرسة الأولى» كما يقولون، فإن المدرس الابتدائي هو الذي يلي الأم مباشرة في ذلك التأثير الذي لا ينمحي حتى آخر الحياة، وأنا إن أنس لا أنسى ما حييت معلمي الأول الذي كان مثلا في الإيمان والأخلاق والحزم، فكنا نستفيد منه ونحبه ونهابه، ولم يكن أحد منا ولا من أهل القرية بل من أهل المنطقة يأخذ عليه شيئا في دينه أو في خلقه أو في تأدية واجبه «كأنه يرى الله فإن لم يكن يراه فإنه كان موقنا بأن الله يراه».

غير أنه — بعد انتهاء هذه المرحلة بقسميها تبتدىء المرحلة الثانوية، وتبتدىء معها المصاعب والعقبات، لأن هذه الحقبة من حياة الشباب هي أدق حقب حياته وأكثرها خطورة لأن فيها تستيقظ الميول والرغبات، والاتجاهات المتباينة، وهنا

يجب أن يعلم المشرفون على شئون التربية والثقافة أن الاتجاهات وحدها لا تكفى لقيادة الشباب ، بل يجب أن يحذروا منها كل الحذر بوجه عام ، وأن يضعوها تحت الوصاية التربوية أو القوامة التثقيفية ، ولكن هذه القوامة تحمل فى داخلها عناصر الخطر على حياة الشباب إذا انتهت إلى مناقضة قانون النمو الطبيعى با رهاقه والوصول به إلى الذبول .

وحقبة التعليم الثانوى هى حقبة التكوين الصحيح ، وفيها ينبغى ألا يغل للهيمنون على شئون التربية من قيادة تلك العقليات الصاعدة على سلم التكوين ورقابتها وحمايتها من الفوضى الناشئة من الإفراط فى التوسع . ففى هذه الفترة من من حياة الشباب ، يتخذ العقل طريقه ، ويؤلف عاداته سواء أكان ذلك بإزاء حل المشاكل أم بإزاء إعداد التدليل على التعقلات، أم بإزاء محاولات إيجاد الاتساق بين أجزاء القضايا التى يعمل على حلها ، وتذكر أحداثها ووقائعها . وهذه العادات هى التى يحتفظ بها كل حياته . ومن هنا أتت صدارتها .

ويحتم علينا الواجب العلمى أن نقف هنيهة عند دور أستاذ التخصصات أو الدراسات العليا فننبه إلى أن هذا الدور هو الإنارة والتوجيه والقيادة فى رحاب الحرية والاستقلال .

١ — فالإنارة هى كشف المصادر الضرورية ، والمراجع اللازمة لا لتكوين البحث المعد فحسب بل لجعله عميقا ، مسهما فى الخلود بقدر المستطاع ثم تبين الفروق بين المصادر الأصلية ، والمصادر الدخيلة ، ودرجات أو حركات كل منها فى الأصالة والضآلة ، وشرح ما يجب على الطالب الاعتماد عليه بلا ضرورة تلجئه إلى ذلك وما لا ينبغى الاعتماد عليه إلا لضرورة قاهرة .

٢ — والتوجيه هو إرشاده إلى مواطن الضعف فى بحوثه ، ومواضع الكبوات والأخطاء منها ومناقشته فيها ، وتعويده على مزاولة النقد العادل النزيه الذى لا يعرف التحامل ، ولا يألف التحيز أو الميل ، وتمرينه على النظر فى أدلته التى يدعم بها نقده ، وعلى تأييد آرائه ومساندتها فى ظل المنطق، وفى دائرة آداب البحث التقليدية ، وإشعاره بأن لديه أوسع أنواع الحرية ، ونصحه بأن يشذب مناقشاته ويصقلها ويعيدها إلى الاستقامة كلما انحرفت عن

الطريق السوى وأن يؤمنه من غضب الأستاذ حتى يشجعه على مساندة الحقيقة وتعقبها فى مسالكها الشائكة المتعرجة حتى الظفر .

٣ — والقيادة هى محاولة جذبه إلى التنقيب الواعى عن الحقيقة من حيث هى دون أى اتباع لأهوائه الخاصة أو ميوله الشخصية وإذا لم يهتد إلى جميع المسالك الموصلة إلى الحقيقة أو وجد طرق الأقدمين مسدودة أو ملتوية أرشده إلى طرق أخرى لم يستغلها أحد أصلا أو استغلت وأسىء استغلالها ، وأبان له معالمها وأرشده إلى تحسين ما أساء القدماء من استغلالها ثم وضعه على مبدئها ، ورسم له الخطة أو الخطط الضرورية المؤدية إلى النجاح فى الإبداع أو التجديد .

إن هذا التعليم العالى على صورته العامة — وإن كان يحفظ للأمة صدارتها على الأمم الأخرى — لا يكفى لتحقيق الخلود بل إن الذى يحقق ذلك الخلود هو إنتاج الموهوبين والعباقرة والفائقين الذين يشار إليهم فى عصورهم بالبنان ، ويكتب التاريخ أسماءهم فى سجلات الأبدية . وإلا فماذا استفادت (اسبرطا) و (قرطاجنا) من أبهتهما وخضختهما ووفرة الغناء والقوة المادية بين ما دام أن هاتين المدينتين اللتين لا روح فيهما ولا موهبة ولا عبقرية قد عفى عليهما الزمن ، بل كاد التاريخ أن ينسى وجودهما لولا أنه يذكرهما بسبب حروبهما مع غيرهما بل إن أطلالهما هى وحدها الدالة على أماكنهما . بينما أن أثينا والإسكندرية اللتين انتزعتا خلودهما من إنتاج موهوبيهما وعباقرتهما فى الفلسفة والأدب والفن والعلوم ستظلان خالدتين ما عاشت الإنسانية ولو زالت معالمهما المادية من الوجود — لا قدر الله — لأن التاريخ سيذكرهما دائما منحنى الرأس أمام عظمتهما وجلالها .

ذلك لأن إجماع العقلاء منعقد على أن الشعوب لا تبقى إلا بحياة قيمها العقلية والروحية والدينية ، وتجددها المستمر .

دور التثقيف :

بقى علينا الآن أن نعرض لدور التثقيف العام الذى تقوم به على الأخص مرحلة التعليم الثانوى ، والذى يهيىء لأبناء الأمة كثيراً من فرص الإعمار النافع والإنتاج المفيد ويجعلهم قادرين على الإسهام فى السير بها إلى الأمام بخطوط متنوعة ، ويعد للموهوبين منهم البروز والارتقاء إلى درجة الصفوة الممتازة ومن ثم فإن علماء التربية

يجعلونه في مقدمة أدوار التعليم الثانوي إلى جانب دور المناهج التربوية وإن كان يختلف عنها في الأنظمة ذوات الإطارات المحددة باللوائح والقوانين .

ومن دواعي العناية بهذا الدور التثقيفي أنه أكثر شمولا من إطار التعليم العالي الذي كان إلى عهد قريب محتفظا به لقلة محدودة من الشباب ، ولو أن هذه القلة ، ولله الحمد ، قد طفقت ـ بفضل وثبتنا الحاضرة ونهضتنا المتلألئة ـ تزداد باطراد صاعد متواصل ، إلا أنها لا تستطيع أن تستوعب العدد الضخم الذي يحتويه التعليم الثانوي .

وإذن فمن المهم أن يفهم الشباب عند نهاية المرحلة الثانوية كل ماينبغي لهم فهمه وأن يتعلم كل ما يجب عليه أن يحرزه لكي يكون مثقفا بالمعنى الكامل لهذه الكلمة لأن كون الفرد مثقفا ليس معناه كونه عالما متخصصا في أية مادة بعينها ، وإنما الثقافة الحقيقية هي حالة عامة بل هي في أحد معانيها متعارضة مع التخصص .

وذلك يقتضي أن تتخلص المناهج من الكميات التي ظهر بطلانها ، أو شاخت من المعارف وأصبحت لاتنتج إلا مزاحمة المناهج عبثا وبلا فائدة على نحو ما أحدثته ثورة الفكر الأوربي الحديثة بإزاء منتجات « المدرسين » في العصور الوسيطة فأوسعت المجال لغيرها من المعارف المفيدة .

وليس هذا فحسب بل ينبغي السهر على رعاية الشباب في خارج المدارس وفي المنازل ، وحفظه من دوامة الصور المرئية والمسموعات التي تقدمها إليه الأفلام السينمائية والتليفزيون والراديو ، وليس معنى هذا أن منتجات هذه الآلات كلها ضارة يجب تجنبها . لا . بل أن الخليط المركب من كثير من الشر وقليل من الخير ، ودوام مزاولة رؤيته وسماعه أو الإفراط فيها ، هو الذي يوقف عجلة التفكير النافع ، المتأمل ويقضي على جهوده المفيدة ، ويشل حركة الإرادة ، ويجعل الشباب سلبيا ، ويفقده أعز الأوقات وأنفسها .

ومما ينبغي أن ننبه إليه هنا قبل مغادرة هذا البحث هو أن التخصص الذي لم يتثقف بالثقافة العامة كان ينظر إليه فيما مضى كأنه عضو غير متكامل . وأن فناني « النهضة » كانوا أعظم فناني جميع العصور بفضل إرادتهم التي استقرت على « ألا يبقوا أجانب عن أي شيء » على حد ذلك التعبير الجميل

التى سجله الإغريق الأقدمون . وتلك هى عينها فكرة عمومية المعرفة التى هى ينبوع مجد أسلافنا من مفكرى المسلمين كالفارابى وابن سينا ، وأخوان الصفاء ، والغزالى ، ومحيى الدين بن عربى ، ومن آيات ذلك ما نراه فى مؤلفاتهم من بحور العلوم المختلفة وإجادتهم الفائقة فى كل مادة من هذه المواد التى تقصر عن الإحاطة بها جهود البشرية فوق العادية . ومن يرتاب فى هذا فليس عليه إلا أن يلقى نظرة فاحصة فى الشفاء أو النجاة أو رسائل أخوان الصفاء أو فى الفتوحات المكية أو ما كتبه الإمام الغزالى فى المنقذ من الضلال عن سعة اطلاعه وتراى معارفه ، أو ما كتبه الإمام الشعرانى عن معارف محيى الدين بن عربى ، وثقافته الشاملة المحيطة . وليس هذا فحسب بل إذا نظرنا فيما يكتبه عظماء نزهاء المستشرقين عن هؤلاء الأماجد ألفينا فيها العجب العاجب الذى يرضى العقول ، ويسحر القلوب قبل أن يبهر لألاؤه الأبصار . ومن ذلك على سبيل التمثيل ما يعبر به المستشرق الفرنسى الشهير البارون كردى فو فى كتابه « ابن سينا » عن إعجابه بهؤلاء المفكرين الذين كان إيمانهم بالعقل بعيد المدى ، والذين بلغت معارفهم من التنوع والامتداد إلى حد خليق بإثارة إعجاب علماء العصور الحديثة ومتخصصيهم الممتازين .

ولقد استمرت هذه الثقافة العميقة الضليعة التى لا يضايقها التخصص ولا يغلق فى وجهها الأبواب أو استمر ذلك التخصص الواعى الذى لا تشوش عليه وفرة الاطلاع المتراى الأطراف إلى ما بعد القرن العاشر الهجرى ، فكنت ترى منذ نشأة الأزهر إلى القرن الماضى العلوم المتنوعة تدرس فيه ساطعة متلألئة دون أن تمنع وفرتها أولئك الجهابذة من مزاولة التخصصات المتعمقة واتقانها إلى حد إيجاد الأعاجيب والمعجزات

ولكن هذه الحركة الممتازة لم تلبث أن أصيبت بنوع من الشلل أقعدها عن النهوض الثقافى وحصرها فى إطار محدود ولكن الأنظمة التجديدية التى تعاقبت على هذه الجامعة التليدة منذ أوائل هذا القرن قد جعلت تنقذها من ذلك الخمول شيئا فشيئاً حتى توج العهد الراهن تلك الجهود المتواصلة بذلك التطوير العظيم الذى كان وسيكون له عليها أثر ضخم خالد بعون الله الذى لا يتخلى ألبته عن المؤمنين المخلصين .

د . محمد غلاب

علاقة التشريع الإسلامي بالتشريع الوضعي

للأستاذ سيد عبد الله حسين

— ٢ —

بعد أن بينا نظرية عقد البيع فى القوانين الوضعية ـ وفى التشريع الإسلامى ننتقل إلى ما يترتب على عقد البيع من التزامات بين المتعاقدين لنعرف أيضا ما أخذه التشريع الوضعى عن التشريع الإسلامى.

ثانيا :

إرادة الطرفين فى التشريع الإسلامى :

ينعقد البيع بالرضا وبالمعاطاة من الجانبين وبالعبارة والإشارة فإرادة الطرفين تكفى لوجود البيع ـ ولكن بشروط فى البائع والمشترى ـ وفى نفس المبيع والثمن ـ وليس استعمال الصيغة فى العقد شرطا لصحته ويكفى أن يدفع المشترى الثمن ويتسلم السلعة المبيعة كما فى محلات التجارة المكتوب عليها ثمنها لتلاقى إرادة البائع الذى حدد ثمن سلعته عليها معروضة للمكافأة ـ بإرادة المشترى الذى قبل قدر الثمن ونفس السلعة ودفع الثمن واستلمها ـ فأصل وجود العقد لا يتوقف على قبض شىء من الثمن أو المثمن ص ٦ ج ٥ خرشى.

— ووعد البيع فقط من جانب البائع حتى مع تحديد الثمن ليس بيعا.

— ووعد الشراء من جانب المشترى ليس شراء.

— والوعد بالبيع والوعد بالشراء معا ليس بيعا ما لم يتلاقيا ناجزاً (فقول البائع: سأبيعك منزلى هذا بثمن كذا ـ وقول المشترى: سأشترى منزلك هذا بثمن كذا) ليس بيعا ولا شراء — إذ يجب تلاقى الإرادتين بتاً متى أريد بيعا غير مؤجل.

ونتيجة الوعد بالبيع أو الشراء عدم انعقاد البيع وبقاء المبيع على ذمة البائع وفى ملكه فلو تلف فعلى حسابه.

ومتى تلاقت الإرادتان فقد تم البيع ولزم كل واحد من المتعاقدين ما ألزمه عقد البيع فإن تخلى أحدهما عن الوفاء بالتزامه كبائع أو مشتر وترافعا للقضاء فالحكم يكون بإلزام للتخلى بأداء التزاماته

لا بانعقاد البيع لأن حقيقته قد وجدت بمجرد القبول فى المشترى .

والبيع الذى يتم بتلاقى إرادة المتعاقدين لاينتج أثراً فى الماضى بل ينتج التزاماته بعد انعقاده — وإذا هلك المبيع قبل التقاء الإرادتين فعلى حساب البائع — الشرح الكبير ج ٢ ص ٢ و٣ مقارنات ص ١٥١ ج ٣ (متن خليل).

وفى التشريع الفرنسى .

البيع نوع من أنواع العقود فيجب فيه من الشروط ما يجب لكل عقد ولكن للبيع شروط خاصة — والبيع عقد يكفى لانعقاده إرادة الطرفين وليس استعمال الكتابة فيه شرطاً لصحته — بل لحسم خلاف مستقبل فى إنكار أو خلاف فى الشروط ومتى التقت الإرادتان من البائع والمشترى فقد انعقد البيع ووجدت حقيقته ولو لم يتسلم المبيع ولو لم يدفع الثمن (م ١٥٨٢ و ١٥٨٣) ق . ف .

فإذا لم تلتق الإرادتان فلا يوجد بيع وإذا وجدت إرادة واحدة بالبيع فإلى أن يعلن الطرف الآخر إرادته فى الشراء يبقى الواعد بالبيع حافظاً لملكيته الشىء المعروض فلا تنتقل الملكية ولا يوضع المعروض فى أملاك آخر وتلفها على حساب العارض ، وللعارض أن يتصرف فيه بجميع أنواع التصرفات إذا لم يكن للعرض زمن معين وإلا وجب أن يلتزم به ، ومتى أعلن الطرف الآخر إرادته فى الشراء وجب تنفيذ العقد وسلمت السلعة للمشترى ، فإن تلفت فعلى حساب للمشترى .

وفى حالة عدم الوفاء بوعده يتدخل القضاء لإثبات آثار البيع المترتبة عليه لا لإيجاد البيع نفسه فقد وجد وانعقد بالوعد (ص ٥٩٤ ج ٣ شرح قوانيه) .

ولا يرجع البيع للماضى بل يعتبر فقط من تاريخ إعلان المشترى إرادة الشراء ، ووجود وعد بالشراء كوجود وعد بالبيع فى وضعه ونتائجه .

أما وجود وعد بالبيع ووعد بالشراء فهو بيع حقيقى ، لأن الوعد بالبيع بيع م ١٥٨٩ .

هذه النتائج المترتبة على عقد البيع محل اتفاق بين التشريع الإسلامى المنقول عنه والتشريع الفرنسى المنقول إليه إلا فى مسألة واحدة هى :

أنه إذا وجد وعد من البائع ووعد من المشترى فقد انعقد البيع فى التشريع الفرنسى ، لأن الوعد بالبيع بيع م ١٥٨٩ ،

ولا ينعقد فى التشريع الإسلامى لأن الوعد بالبيع ليس بيعا .

وبالرجوع إلى شراح هذه المادة - قيل - إن المراد بالوعد بالبيع هو التعهد بالبيع ، وبالمشترى هو التعهد بالمشترى (أتعهد أن أبيعك بيتى هذا بثمن كذا ، وأتعهد بمشترى بيتك هذا بثمن كذا) وإنه ليس المراد الوعد بذلك مستقبلا .

وعلى هذا يكون التعهد بالبيع عرضا لإرادة البيع والتعهد بالمشترى قبولا لإرادة البيع من المشترى فيتم البيع فوراً بمجرد التقاء الإرادتين ص ٥٩٤ ج ٢ فوانيه .

وعلى هذا لا يكون خلاف بين التشريعين ويكون النقل من التشريع الإسلامى إلى التشريع الفرنسى كاملا وبالنص .

ثالثا : أشكال البيع فى التشريع الإسلامى :

يكون البيع فى عدة أشكال : فيكون بسيطا (بعت واشتريت وسلم المبيع واستلم الثمن) ويكون معلقا على شرط كأن يقول (إن أصلحت أرضك هذه فقد اشتريتها بكذا الفدان الواحد) ، ويكون بتاً ، ويكون لأجل فى الثمن والمثمن ، ويكون على الخيار فى المثمن أو الثمن أو فيهما معا ، ويكون على الخيار فى أحد شيئين أو أكثر (كبعتك أحد هذه الأثواب الثلاثة بكذا) .

وكل هذه البيوع صحيحة وتنعقد متى التقت الإرادتان فى كل منها مع ملاحظة الشرط والخيار والأجل ، وتنتقل ملكية الشىء المبيع إلى المشترى والخسارة والمكسب عليه من وقت تمام البيع من (ص ٢٢ م خليل ج ٥ خرشى ص ٢٨ ج ٢ شرح صغير) .

ويصح البيع على العد وعلى الكيل أو الوزن أو المقياس (كبيع مائة بيضة بمائة قرش صاغ ، أو ١٥ كيلة قمح بسعر كذا ، أو قنطارى قطن بسعر كذا) .

ومتى تم البيع انتقلت ملكية المبيع إلى المشترى بالنسبة للسلعة فلا يجوز للبائع أن يتصرف فيها بأى تصرف لأى شخص آخر لأنه تصرف فى ملك الغير - ولكن ضمان المبيع أو المكسب والخسارة قبل العد أو الكيل أو الوزن أو المقاس تكون على حساب البائع لأن المبيع ما زال تحت يده لم يحدد فى هذه الأنواع .

وإن تم اتفاق الطرفين على بيع المعدود والمكيل والموزون جملة بدون عد فهو جائز وهو المسمى (بيع الجزاف) فى التشريع الاسلامى - ولكن نظرا لخطر

هذا البيع واحتمال الغبن الكثير فيه على البائع أو المشترى فقد اشترط المشرع فى صحته شروطا تقلل من وجود الغرر فيه ما أمكن، وذلك :

١ — أن يرى حال العقد .
٢ — ولم يكثر جدا .
٣ — وأن يجهله البائع والمشترى .
٤ — وأن يحضن وقت العقد .
٥ — وأن تكون أرضه مستوية الخ

ما هو منصوص عليه فى شروط بيع الجزاف ص ١٠ ج ٢ ، الشرح الصغير ومتن خليل .

ومتى اجتمعت شروط بيع الجزاف صح البيع ولزم وانتقل الضمان فى البائع إلى المشترى بمجرد تمام البيع لأنه لا يحتاج إلى توفية من البائع .

ويجوز البيع بشرط تذوق المبيع أو تجربته فينعقد البيع غير لازم لصاحب الشرط حتى يتم التذوق أو التجربة ـ ومتى وجد الشرط لزم البيع وقبل التذوق أو التجربة يكون المبيع على حساب البائع وضمانه منه حتى يوجد الشرط فيكون على حساب المشترى وفى ضمانه ـ وما لا يطلع عليه إلا بتغير كسوس الخشب والجوز ومرقثاء لا يكون عيبا فى المبيع ولا قيمة للمشترى على البائع نظير ذلك إلا أن يشترط الرد به فيعمل بشرطه أو يكون العرف الرد به لأن فى هذا الشرط غرض ومالية ص ١٣٩ ج ٥ خرشى . .

فى القانون الفرنسى :

يكون البيع نماذج وأشكال ـ فيكون بسيطا ـ ويكون معلقا على شرط ـ ويكون على التخيير فى شيئين أو أكثر ـ ويتم البيع فى كل أنواعه المذكورة مع مراعاة الشرط أو التخيير (م ١٥٨٤ كود نابليون).

ويكون البيع بالعد أو الوزن أو المقاس أو الكيل ـ ومادام لم يتم العد أو الوزن أو المقاس فالبيع فى ملكية البائع فيتحمل خسارته ـ وإن بيع ما يوزن أو يكال أو يقاس بالجملة بدون نظر إلى عد أو وزن أو مقاس كمن باع القمح الذى فى مخزنه بثمن معين جملة تم البيع بالتعاقد وأصبح المبيع فى ملك المشترى (م١٥٨٥ و١٥٨٦ ك نابليون)

— البيع بشرط تذوق الطعم أو شرط التجربة لا ينعقد حتى يتم التذوق أو التجربة ـ ومن حق المشترى رفض انعقاد البيع إذا لم توجد هذه الصفات المشروطة م ١٥٨٧ و ١٥٨٨ ق.ف

وبالنظر فى هذه الأحكام الموجودة فى التشريع الفرنسى نجدها حرفيا فى التشريع

الإسلامى الذى سبقه فى الوجود وفى العمل به فى أوربا نفسها .

— ولا أدرى بعد ذلك مايقوله السادة الذين يدعون أن التشريع الإسلامى لم يؤخذ منه شىء فى التشاريع الوضعية وأولها القانون الفرنسى — والذين قالوا : إن لها أصولا معروفة فى التاريخ وقد ذكرناها سابقا وليس فيها أبداً هذه الأحكام — هدانا الله للحق بعد هذه الأدلة القاطعة .

رابعاً — شرط لزوم البيع — وما يصح بيعه فى التشريع الإسلامى :

١ — شروط لزوم البيع — كون الطرفين مكلفين — رشيدين — مختارين — يملكان ما تعاقدا عليه — أو كون البائع وكيلا عن الغير أو المشترى وكيلا فى الشراء — فإذا تخلف شرط من هذه الشروط كان البيع صحيحا ولكنه غير لازم .

٢ — والشىء الذى يجوز بيعه — كل شىء منتفع به مباح مقدور على تسليمه غير منهى عنه — وموجود وقت انعقاد البيع (إلا السلم) وغير مجهول للمتبايعين أو لأحدهما من ثمن أو مثمن ذاتا أو صفة أو تفصيلا (ص ٨ ج ٢ الشرح الصغير) .

فلا يصح البيع من غير مكلف مميز ولا من غير رشيد ولا من مكره — ولا من غير المالك للشىء المبيع — فبيع هؤلاء جميعاً ينعقد ولكنه لا ينفذ لأنه غير لازم — فعقد البيع وجد لكنه غير ملزم للطرفين نتيجة لهذا البيع .

وبيع غير المنتفع به ، وما لا يقدر على تسليمه كالطير فى الهواء والسمك فى البحار غير صحيح .

وبيع حق الاستعمال الشخصى أو حق السكنى لا يجوز لأنه مقصور على ذات المستعمل فلا يورث عنه ولا يؤجر ولا يباع فهو حق انتفاع وليس حق منفعة .

ولا يجوز بيع أجور العمال ولا مرتبات الموظفين قبل استحقاقها ، ولا يجوز بيع الميراث قبل استحقاقه ولا التنازل عنه كذلك ، لأن هذا لم يملك بعد — ص ٤ و ٥ و ٨ ج ٢ شرح صغير وحاشية الصاوى ج ٢ ص ١٨١ و ص ٤٢٠ ج ٢ .

وفى التشريع الفرنسى :

١ — كل شخص لم يمنعه القانون يمكنه أن يكون بائعا وأن يكون مشتريا م ١٥٩٤ ق . ف ، وقد منع القانون الصغار والمجانين والمكرهين والذين لا يملكون السلعة المبيعة ، ومنع البائع والمشترى للغير بدون

توكيل ممن يتعامل باسمه ، فكل بيع أو شراء من هؤلاء يكون غير ملزم للطرف الآخر .

٢ — الشيء الذي يجوز بيعه : القاعدة العامة أنه يجوز بيع كل شيء قابل للملكية الخاصة إلا ما استثناه القانون .

فالحقوق غير القابلة للانقطاع كحق الاستعمال أو السكنى ، وتذكرة الرجوع بالسكة الحديد ، والأجور الصغيرة للعمال وما يعطى لمتعلمي الحرف والصنائع ومرتبات للموظفين فيما زاد عن ١/٤ ، والميراث الذي لم يكن قد استحق ، والحيوانات المصابة بأمراض معدية ، والأرانب الجبلية قبل فتح موسم الصيد م ١٦٠٠ ق . ف وق ٢٧/٧ سنة ١٩٢١ و ق ٢١/٧ سنة ١٨٨٦ م ١٣ .

وبمقارنة هذه الأحكام في التشريعين نجد أنها قد أخذت عن التشريع الإسلامي وإذا لم تكن هي هي فماذا تكون ؟! نترك الحكم للقارئ الكريم .

خامساً : بيع الوكيل والوصي ، وبيع ملك الغير في التشريع الإسلامي :

١ — يمتنع بيع الوكيل لنفسه ما وكل على بيعه سواء أكان وكيلا عاما كقاضي البيوع أو وكيلا خاصا لأي شخص — ويلحق بالوكيل ما اتصل به من عمال وكتبة ومحضرين وموظفين — ويمتنع وكيل الصغير أو قيمه لأنه من قبيل البيع لنفسه — ويمتنع بيع الشريك لشريكه من مال الشركة — ولا يبيع الوصي والحاكم بالقيمة ، بل بأزيد للغير — ولا يصح بيع مال اليتيم إلا بشروط .

— بيع الأب مال ولده لنفسه محمول على غير السداد حتى يثبت خلافه فيفسخ — وبيعه للغير يحمل على السداد والمصلحة حتى يثبت خلافه فيرد إذا كان للبيع قائما ويغرم قيمته إذا فات ص ١٦٣ و ١٦٤ حاشية الصاوي ج متن خليل ؟ الشرح الصغير ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ج ٢ الشرح الصغير (حجر) .

وحكم المخالفة في هذه البيوع البطلان لأنه للمصلحة العامة فيصح لكل إنسان طلب الحكم بالبطلان .

٢ — بيع ملك الغير — لا يجوز بيع ملك الغير ويعزر فاعله احتراما لأملاك الناس وزجرا لأمثاله — فإن وقع البيع لملك الغير وهو المسمى (بيع الفضولي) فيوقف نفاذ البيع على رضا مالكه فالبيع لازم من جهة المشتري ، منحل من جهة المالك فإن أجازه المالك لزم وطولب الفضولي بالثمن فقط لأنه أصبح وكيلا للمالك .

فإن كان المالك حاضرا البيع وسكت، كان البيع لازما من جهته أيضا - وكذا لو بلغه البيع فسكت سنة ولا عذر يجهل في السكوت فإن قام وهو ساكت سقط حقه في الثمن إن كان بحضرته - فإن كان البيع في غيبته سقط حقه بعد مضي مدة الحيازة عشر سنين (م خليل ص ٧ ج ٢).

وهذا البيع موقوف على رضا المالك الحقيقي فهو باطل بطلانا خاصا ينقلب صحيحا متى أجازه المالك وقال أشهب : إن بيع الفضولي يقع باطلا بطلانا عاما في صورة علم المشتري أن البائع فضولي ولا يعود صحيحا ولو أمضاه المالك - وماجرى عليه العمل البطلان الخاص .

وحق إلغاء بيع الفضولي حق للمالك ولكن لا يرفع دعوى بالإلغاء وإنما يستردها من يد المشتري من الفضولي - وإن سكت بعد علمه مدة عام سقط حقه في الإلغاء متى كان المبيع عروضا فإن كان عقارا فلا يسقط حق استرداده إلا بمضي مدة الحيازة وهي عشرة أعوام بشروطها (حاشية الصاوي ص ٧ ج ٢).

وعلم المشتري بأن بائعه فضولي يقتضي عدم تملك المبيع ولو طال الزمن فيعتبر غاصبا ويصح بيع الفضولي متى تملك ما باعه أو صادق المالك على البيع (ص ١٧ و ١٨ ج ٥ الخرشي وحاشية العدوي).

وفي التشريع الفرنسي :

١ — منع القانون مشتري بعض الوكلاء في البيع لنفسه سواء في المزاد العلني أو في غيره وهم :

(ا) الأوصياء والمشرفون في أملاك المشمولين بوصايتهم .

(ب) الوكلاء لبيع الأملاك لا الوكلاء في إدارتها.

(ج) مديرو الأملاك العامة والموظفون العموميون المعهود إليهم ببيع أملاك عامة وحكم هذه البيوع لو وقعت أنها تقع باطلة بطلانا عاما يدعيه كل من له مصلحة م١٥٩٦، ١٥٩٧ ق ف و ص ٦٠٥ فوابيه ج ٢ .

ويمنع القضاة والموظفون العموميون في بيع أشياء تكون محل التقاضي في دائرة محكمتهم التي يعملون بها .

٢ — بيع ملك الغير - بيع ملك الغير كان جائزاً في القانون الروماني لأن البيع فيه ليس نقلا للملكية - ولكن في القانون الفرنسي جعل هذا باطلا لأن البيع فيه بني على أنه تمليك العين للبيعة - وبائع ملك

الغير لا يملكه فلا يمكنه أن يملكه للغير فكان باطلا - وهذه القاعدة تطبق على بيع الشيء المحدد الجسماني - وأما بيع الشيء بجنسه فلا يتم البيع إلا بالعد أو بالوزن أو بالمقاس - وكذا التعهد بشترى ملك الغير وبيعه لشخص للتعاقد معه فهو جائز على هذا النحو .

ومعنى هذا أن البيع الذى لا ينقل للملكية بعد تقابل العرض والطلب يقع باطلا وهو ما نصت عليه م ١٥٩٩ ق . ف ولكن شراح القانون (ص ٦٠٦ إلى ص ٦١٠ ج ٢ قوانيه) فرقوا بين بيع ملك الغير في الذات الحاضرة المحدودة وفي بيع ما فيه توفية من البائع للمشترى كالمعدود والمكيل والموزون ، فإن الأول يقع باطلا والثانى يقع صحيحا موقوفا على العد والكيل والوزن فالمادة المذكورة مطبقة فقط على بيع الذات الحاضرة المحدودة .

إن بيع ملك الغير باطل يمكن إلغاؤه - أو باطل بطلانا عاما مالا ينقلب صحيحا ويطالب به الغير - والراجح الأول .

وإلغاء البيع يختنق بمرور عشرة أعوام من تاريخ علم المشترى بأن الذى باع له لا يملك المبيع .

ومالك الشيء المبيع لا يرفع دعوى بطلان البيع ولكن يرفع في دعوى استرداد ولا يعود عليه أي ضرر من هذا البيع .

وينقلب هذا البيع صحيحا إذا تملك البائع ما باعه قبل تملكه - وكذا إذا صدق المالك الحقيق على صحة بيع الفضولي .

ومعنى هذا أيضاً أن بيع الفضولي صحيح غير ملزم كما جاء في التشريع الإسلامي بدليل أنه ينقلب صحيحا - ولو كان باطلا بطلانا عاما مطلقا لما صح تصحيحه .

ونفس هذا الخلاف (هل هو بطلان خاص أو عام) بين علماء المالكية كما سبق هو الخلاف هنا ؟ وقد رجحوا البطلان الخاص كما سبق أيضاً في التشريع الإسلامي .

فماذا يقول المتحمسون للتشريع الفرنسي هل هو مأخوذ حقا من أصوله الخمسة كما يقولون ؟ أو مأخوذ من نصوص التشريع الإسلامي وهو الحق الذى لا امراء فيه اللهم فاشهد فأنت الحق وأنت أعلم بضمائر عبادك وما تكنه من حق أو باطل ،

سيد عبد الله حسين

قضية بنت الأخ والعمة وبنت العم في الميراث

للأستاذ كمال عون

نظام التوارث في الإسلام أعدل تقسيم عرفته البشرية أو تعرفه ، لأنه تنزيل من حكيم حميد ، والحكمة فيه وفي كل جزئية من جزئياته جلية للمستبصرين .

وبنت الأخ ومثلها العمة وبنت العم لهن في الميراث وضع عجيب .

فبنت الأخ من عمها في قرابتها القريبة وروحها كالبنت ، وعمها محرم لها ، والعم والد كما في الأثر ، وكذلك هو في استعمال القرآن الكريم إذ يقول سبحانه : «أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ، قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا » ، وإسماعيل بالنسبة ليعقوب عمه كما هو معلوم .

* * *

والعمة أخت الأب ، وتنزل عند جمهور من العلماء - كما سيأتي - منزلة الأب ، وبنت العم تلي منزلة الأخت ، وبرغم هذه القرابة القريبة نرى لأولئك الإناث الثلاث ذلك الوضع المشار إليه ، والذي يتلخص في حرمانهن الميراث مع إخوتهن الوارثين بل حرمانهن عند وجود أي ذكر من أقارب الأب مهما كان ذلك الذكر بعيدا .

وجمهور العلماء في أمرهن فريقان :

ففريق أهدر في الميراث قرابتهن ، حتى لو لم يكن للميت إلا إبنة أخ كانت تخدمه وتقوم بشأنه ، أو عمة أو بنت عم كذلك فميراثه لبيت المال ، ولا شيء منه لذوات القربى المذكورات .

وفريق آخر لم يهدر قرابتهن تماما في الميراث ، ولكنه دفعهن عن مكانهن في أسرة الميت ، وقطعهن عن عمود النسب وألحقهن بقرابات الأم ، يرثن بميراث تلك القرابات ، إذا لم يوجد من قرابات الأب أصحاب فرض أو عصبة ذكور .

ولكل من الفريقين أدلة يناقض بعضها بعضا ، وفي بعضها قوة .

ولكنا سنرى بحول الله تعالى وحسن توفيقه أن حق أولئك النسوة الثلاث عما

شرع الله فى كتابه وبين رسوله فى سنته على سنن الحكمة التامة والعدالة المطلقة ليس ثابتا فقط وإن رفضه البعض وليس مدفوعا عن مكانه كما قرره البعض ولكنه حق ثابت على قدم المساواة فى أصل الاستحقاق مع من يساويهن من الذكور فى القرابة إلى المورث ، فنقول وبالله التوفيق.

أسباب الميراث

وأسبابه فى الإسلام ثلاثة :

١ — رحم : وهى القرابة النسبية ـ ويدخل فيها دخولا أوليا قرابة الأبوة والبنوة والأخوة رجالا ونساء . وفى القرآن الكريم : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » وفيه « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » .

٢ — نكاح : وفى القرآن الكريم : « ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد ، فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ، ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين » .

٣ — ولاء : وهو قرابة سببية حاصلة من العتق ، لما روى عنه ﷺ : (الولاء لمن اعتق) ـ (والولاء لحمة كلحمة النسب) .

والتوارث فى الأولين : الرحم والنكاح من الجانبين ـ أما فى الولاء فمن جانب المعتق لفضله على عتيقه ، وقيل من الجانبين كذلك .

الوارثون والوارثات

والمجمع على توريثهم ممن تحقق لهم سبب الإرث من الرجال عشرة ، والمجمع على توريثهن من النساء سبع وهاك البيان :

١ — الابن ومثله فى أصل الاستحقاق لا مقداره البنت

٢ — ابن الابن ومثله فى أصل الاستحقاق لا مقداره بنت الابن .

٣ — الأب ومثله فى أصل الاستحقاق لا مقداره الأم .

٤ — الجد ومثله فى أصل الاستحقاق لا مقداره الجدة .

٥ — الأخ شقيقا أو لأب أو لأم ومثله كذلك الأخت .

٦ — الزوج ومثله كذلك الزوجة .

٧ — المعتق ومثله كذلك المعتقة .

٨ — ابن الأخ شقيقا أو لأب لا مماثله

بنت الأخ ولو كانت مثله قرابة أو أقرب منه

٩ — العم شقيقا أو لأب لا تماثله العمة ولو كانت مثله قرابة أو أقرب منه .

١٠ — ابن العم شقيقا أو لأب لا تماثله بنت العم ولو كانت مثله قرابة أو أقرب منه.

حجة من منعهن الميراث: وتتلخص فيما يلى

أولا : الله تعالى بين فى القرآن الكريم نصيب الوارثين من الأولاد ذكورا وإناثا ويدخل فيهم أولاد الأبناء كذلك — وبين نصيب الأبوين، والجد كالأب عند فقده على تفاوت يسير ، والجدة كالأم كذلك .

كما بين نصيب الزوجين، ونصيب الأخوة والأخوات من جميع الجهات .

وبين الرسول صلى الله عليه وسلم حق المعتق من عتيقه .

ثانيا : ومن عدا المذكورين والمذكورات من الأقارب لم يثبت فى حقهم نص صريح يعتمد عليه حتى يتقرر لهم نصيب فى الميراث عدا ذكور العصبة فهم يرثون المال إن لم يكن صاحب فرض ، أو يرثون بقيته بعد استيفاء ذوى الفروض، فإن استغرقت الفروض المال فلا شىء لهم وذلك أخذا من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ : (ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقى فلأولى رجل ذكر) رواه البخارى ومسلم وكثير غيرهما من الصحاح والمسانيد .

وحيث أن المواريث إنما تثبت نصا ، ولا نص فى هؤلاء النسوة فلا حق لهن فى الميراث ، ومن منعهن فقد منع كذلك جميع قرابات الأم والأب عدا السابقين ، فإذا لم يكن للميت أحد هؤلاء الوارثين المحددين بالنص رد ماله إلى بيت المال .

وهذا المذهب مروى عن زيد بن ثابت وبعض الصحابة رضى الله عنهم ، وبه أخذ الإمامان: مالك والشافعى وما تابعهما فيه .

المذهب المقابل :

يقابل هذا مذهب من يقول بتوريث قرابات الميت غير المنصوص عليهم بخصوصهم إن لم يكن من الأولين أحد ، أو كان ولكنه لم يستغرق التركة فرضا ورداً ، ويعرف هؤلاء الأقارب اصطلاحا بذوى الأرحام .

والقول بتوريث ذوى الأرحام مروى عن جمهور الصحابة ، وبه أخذ الإمامان أبو حنيفة وأحمد ، وكثير من متأخرى الشافعية وبعض المالكية .

وعندهم أن أقارب الميت من غير المذكورين الأولين أولى بالميت من سائر المسلمين فهم قد ساووا غيرهم بالنسبة إلى الميت فى الإسلام ، وزادوا عن سواهم بالقرابة ؛ فكانوا أولى بالمورث حيا وميتا وأولى بماله من بعده .

ومن أدلتهم : قوله تعالى : « ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون » والآيات السابقة : «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » وتشمل جميع قرابات الأب والأم فى اللغة وفى لسان الشرع، وقوله تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا» ، وفى الحديث الشريف: « الخال وارث من لا وارث له - يعقل عنه ويرثه » رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه ، والترمذى والإمام أحمد .

وذكر صاحب المغنى حديثا عن واسع ابن حيان قال : « توفى ثابت بن الدحداحة ولم يدع وارثا ولا عصبة ، فرفع شأنه إلى رسول الله ﷺ فدفع ﷺ ماله إلى ابن اخته أبى لبابة بن المنذر » ، قال : ورواه أبو عبيد فى كتاب الأموال إلا أنه قال : ولم يخلف إلا ابنة أخ فقضى النبى ﷺ بميراثه لابنة أخيه .

وأدلة أخرى فى العمة والخالة وغيرهما سيجىء بعضها فى مكانه .

وكثر القائلون بهذا المذهب، واستفاض أخيرا حتى عده بعض الباحثين إجماعا أخيرا من علماء الأمة عليه - جاء فى كتاب أحكام المواريث على المذاهب الأربعة للشيخ محى الدين (١٩) قوله : « ومما هو جدير بالذكر فى هذا الموضع أن نحدثك أن علماء الشافعية فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، وعلماء المالكية فى أواخر القرن الثالث الهجرى قد رجعوا إلى القول بتوريث ذوى الأرحام ، فصار توريث ذوى الأرحام مجمعا عليه فى الشريعة من أواخر القرن الرابع الهجرى » ثم نص على مراجعه فى كتب المذهبين ، وراجعت بعضها .

والبحث بحول الله تعالى يدور حول موقفين .

الأول : مع من حرم النسوة الثلاث الميراث البتة محتجا بحديث ابن عباس .

الثانى مع من رأى توريثهن ، ولكنه دفعهن عن مكانهن ، وقطعهن عن أصلهن وألحقهن بأقارب الأم ، (الحديث موصول).

كمال عرفه

أمير المؤمنين في الحديث

لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

— ٤ —

سفيان الثورى والقرآن

لقد كان سفيان الثورى معنيا بالقرآن عناية دقيقة . ولا يتأتى أن يكون الأمر على غير ذلك . فالقرآن فى حياة المسلم هو الأساس الأصيل الذى بدونه لا يكون إسلام . يقول الوليد بن عقبة :

كان سفيان الثورى يديم النظر فى المصحف فيوم لا ينظر فيه يأخذه فيضمه على صدره ؛ ويقول أبو خالد : صحبت سفيان فى طريق مكة فكان يقرأ فى المصحف كل يوم ، فإذا لم يقرأ فيه فتحه فنظر فيه وأطبقه ؛ وقال عبد الرازق : « كان الثورى جعل على نفسه لكل ليلة جزءا من القرآن وجزءا من الحديث . قال فيقرأ جزءيه ثم يجلس على الفراش فيقرأ جزءا من الحديث ثم ينام » .

ولقد روى المؤرخون أن سفيان عرض القرآن — فى بواكير حياته — أربع مرات على حمزة الزيات . وكان سفيان يقول عن نفسه : « سلونى عن التفسير والمناسك فإنى بها عليم » .

ومن أجل عناية الثورى بالقرآن يقول الأوزاعى : « لو قيل لى اختر رجلا يقوم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ لاخترت لهما الثورى » .

ومع عناية الثورى بالتفسير فإنه لم يفسر القرآن على الطريقة المعروفة الآن . وهى تتبع القرآن من أول سورة سورة وآية آية حتى ينتهى إلى آخره دون أن يترك آية بدون تفسير .

إن سفيان ما كان يعجبه هذا النمط من التفسير . يقول وكيع : كان سفيان لا يعجبه هؤلاء الذين يفسرون السورة من أولها إلى آخرها مثل الكلبى ؛ ويقول وكيع أيضا : كان سفيان يصحح تفسير ابن أبى نجيح ويعجبه من التفسير ما كان حرفا حرفا .

أما المفسرون الذين كان يعجب بهم سفيان فإنهم : ابن جبير . ومجاهد . وعكرمة . والضحاك . وكان اعتماده على مجاهد أكثر من اعتماده على غيره . بل وصل إعجابه به وثقته بمجاهد أن كان يقول : « إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك ».

كان سفيان إذن يفسر آية من هنا وآية من هناك . فكان يفسر الآية التى تحتاج إلى نوع معين من الشرح والإيضاح الذى يحتاجه بعض الناس لقصورهم فى اللغة أو لقصورهم فى الثقافة . والقرآن فى نفسه واضح وضوح الأسلوب العربى المبين . لقد أنزله الله بلسان عربى مبين .

وقد يعجز بعض الناس عن الوصول فى العربية إلى المستوى الذى يدرك به بعض الآيات أو بعض الكلمات . وهؤلاء الذين يعجزون عن هذا الإدراك تتفاوت أعدادهم ونسبهم من زمن لآخر بسبب انتشار العجمة فى الأمم الإسلامية . أو عدم انتشارها . وعجزهم هذا لا تقع المسئولية فيه على القرآن وإنما تقع عليهم هم . وهم بهذا العجز آثمون إنهم آثمون فى حق أنفسهم لأن روحانية القرآن لا تمد لها روحانية . فهم يحرمون أنفسهم من النعيم بأسمى ما فى الكون من جو روحى .

وهم آثمون فى حق دينهم حيث قصروا عن البلوغ إلى فهم مصدره الأول . وكل محاولة يقصد بها التمكن من اللغة العربية للوصول إلى فهم مصدر الدين الأول إنما هى عبادة وهى وسيلة إلى ثقافة أعلى . ثقافة أسمى ما تكون الثقافة فى اللغة ، فى الأدب فى الأخلاق ، فى العقائد ، فى الدين على وجه العموم .

وإذا فسر الإنسان القرآن كلمة كلمة وآية آية وسورة سورة على هذا النسق الحالى فقد قيد القرآن - فى وهمه وفى وهم من تبعه بفكرته ، بثقافته ، بعقليته ، بهواه إن كان صاحب هوى .

وما من شك فى أن أسلوب القرآن يتحكم فى المفسر . ولكن المفسر مهما حاول أن يستجيب إلى أسلوب القرآن فإنه يجد مجالا للتأويل حتى يصل إلى ما يراه - بحسب مستواه - أنه حق . ومع ذلك ومع كل ما قاله المفسرون من قدماء ومن محدثين ورغم مئات الشروح التى وضعت القرآن . فإن القرآن مازال غضا نضرا جديدا فياضا بالمعانى سيالا بالإلهامات .

ومن أجل هـذه النظرة ، ومن أجل ترك أبواب الإلهامات يوحيها القرآن كل يوم لقارئه ، لم يفسر رسول الله ﷺ القرآن كلمة كلمة وآية آية وسورة سورة ، وإنما هى كلمة من هنا وآية من هناك بحسب الظروف والمقتضيات .

انظر مثلا كتاب التفسير فى صحيح البخارى أو فى صحيح مسلم أو فى غير ذلك من كتب الصحاح تجد أن تفسير رسول الله ﷺ إنما هو على ما ذكرنا ، ولم يحاول كبار الصحابة تفسير القرآن على الوضع المألوف عندنا الآن .

وما كان موقفهم هذا عجز أو قصور عما نعمله الآن ، وإنما كانوا يرون أن القرآن فى انطلاقه الموحى وفى نظرته الملهمة باستمرار وفى تأثيره الروحى والأخـلاق يجب أن لا تحده حدود وأن لا تقيده قيود ذهنية بشرية ، وإنه من الخير أن يتصل الإنسان بالقرآن عن طريق مباشر ، وأن لا تكون صلته به عن طريق فلان أو فلان ، ومن الخير أن يفتح الإنسان صـدره للقرآن يستلهمه الرشد ويستوحيه الهدى وبجوار القرآن شارحا له بصورة عملية وموضحا له فى الأسلوب الواقعى سيرة الرسول ﷺ ، وسيرة كبار الصحابة الذين تابعوا الرسول ﷺ فى سلوكه واستجابوا إليه فى توجيهاته .

لقد كان سلوك الرسول ﷺ وسلوك كبار صحابته ومنهم الذين بشروا فى حياتهم الدنيا بالجنة . بشرهم رسول الله ﷺ بها لما رأى فى سلوكهم من استقامة قرآنية ، ولما رأى ببصيرته فى قلوبهم من إخلاص فى الاستجابة لله ولرسوله ، ولما رأى فى نطقهم من الإدراك العميق لما أحب الله ورسوله . نقول : لقد كان فى سلوكهم تفسير عملى وتطبيق واقعى للقرآن .

والطريقة المستقيمة هى أن لا يفسر القرآن بكلاميات هذا وبنحويات ذاك . وأن لا يكون مسرحا للنزاع العقدى أو النحوى أو غير ذلك من أهواء الناس وانحرافاتهم وإنما يستمر موحيا ، نضرا ، ملهما ، فإذا أردنا له شرحا واضحاً فعلينا بأمرين :

١ — التمكن من اللغة ، لغة القرآن ، اللغة التى قدسها نزول القرآن بها ، اللغـة الوحيدة فى العالم التى تحوى فى العصر الحاضر نصاً دينياً لم يشبه تحريف ، ولم ينله تبديل ، اللغة التى أصبحت دراستها بعد نزول القرآن عبادة .

٢ — دراسة سيرة الرسول ﷺ ، وخير مصدر لدراسة سيرته هى كتب الصحاح أولا أمثال البخارى ومسلم رضى الله عنهما ، ثم كتب السيرة المعتمدة .

أما هذه الأبحاث المستفيضة التى يثيرها المفسرون للقرآن فى النحو أو فى علم الكلام أو فى الفقه فإن لها أماكن أخرى من علم الكلام ، أو من الفقه ، أو من كتب النحو ، ويجب أن يكون تفسير القرآن بمنأى عنها .

ومن أجل بقاء استمرار القرآن فياضا للهداية لا يحجب نبعه الصافى حجاب من مراء أو من جدل التزم سلفنا الصالح الخطة المحكمة ، تفسير كلمة من هنا ، أو آية من هناك بحسب الظروف والأحوال .

وسار سفيان الثورى على نسقهم بل إنه فى الأغلب الأعم من تفسيره التزم أن يعزو كل رأى إلى صاحبه ، وأحب من الذين تحدثوا فى التفسير طائفة معينة ، وآثر من بين هذه الطائفة « مجاهد » .

وهذه نماذج من تفسيره للقرآن الكريم :

١ — يقول الله تعالى : « فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون »[1] ، روى سفيان عن مجاهد : « فلا تجعلوا لله أندادا » قال « عدلاء » ، « وأنتم تعلمون » يا أهل الكتاب : تعلمون أنه واحد فى التوراة والإنجيل .

٢ — ويقول سبحانه : « وأتوا به متشابها »[2] ، قال سفيان : متشابها ، لونه واحد مختلف طعمه .

٣ — وقوله سبحانه : « من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته »[3] ، قال سفيان : « من كسب سيئة » قال الشرك « وأحاطت به خطيئته » قال كل عمل أوجب عليه النار .

٤ — وقوله سبحانه : « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته »[4] روى سفيان بسنده عن أبى رزين قال فى هذه الآية : « ويتبعونه حق اتباعه » .

٥ — وقوله تعالى: « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس »[5] روى سفيان بسنده عن سعيد بن جبير قال :

« يثوبون إليه لا يقضون منه وطرا » .

---

[١] البقرة آية : ٢٢ .
[٢] البقرة آية : ٢٥ .
[٣] البقرة آية : ٨١ .
[٤] البقرة . آية . ١٢١ .
[٥] البقرة آية : ١٢٥ .

٦ — وقوله سبحانه : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة »[1] قال سفيان فى قوله: « صبغة الله » دين الله، وقوله: « ومن أحسن من الله صبغة » ، « دينا » .

٧ — وقوله تعالى: « سيقول السفهاء من الناس »[2] روى سفيان بسنده عن مجاهد قال: اليهود .

٨ — وقوله سبحانه : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا »[3] روى سفيان بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال : عدولا .

٩ — وقوله تعالى « لتكونوا شهداء على الناس »[4] روى سفيان بسنده عن أبى سعيد قال : على الأمم بأن الرسل قد بلغوا . وقوله سبحانه « ويكون الرسول عليكم شهيدا »[5] روى سفيان بسنده عن أبى سعيد قال : شهيدا عليكم فيما فعلتم .

١٠ — وقوله سبحانه « إن ترك خيرا الوصية »[6] روى سفيان بسنده عن هشام ابن عروة عن أبيه أن عليا دخل على رجل من بنى هاشم وهو يريد أن يوصى وكان قليل المال ، وكان له ولد ، فقال على : إنما قال الله تبارك وتعالى « إن ترك خيرا الوصية » ، وليس فى مالك فضل عن ولدك فنهاه عن الوصية .

١١ — وقوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية » : البقرة آية ١٧٥ : روى سفيان بسنده عن سعيد قال: الشيخ الكبير الذى يصوم فيعجز . والحامل التى يشتد عليها الصوم يطعمان كل يوم مسكينا .

١٢ — وقوله سبحانه « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » البقرة آية ٢٠٧ . قال سفيان: نزلت فى صهيب اشترى نفسه من المشركين وأهله وولده وماله على أن يدعوه ودينه .

١٣ — وقوله عز شأنه « لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده » البقرة آية : ٢٣٣ ، روى سفيان بسنده عن ابراهيم قال: إذا تم الرضاع على ثمن فالأم أحق .

١٤ — وقوله تعالى « ليطمئن قلبى » البقرة آية ٢٦٠ ، حدثنا محمد بن على ابن الحسن قال : سمعت أبى يقول : حدثنا عثمان بن زائدة عن سفيان الثورى قال : فى قوله « ليطمئن قلبى » قال : بالخلة ؟

د. عبد الحليم محمود

---

[1] البقرة آية ١٣٨ .
[2] البقرة آية ١٤٢ [3] البقرة آية ١٤٣
[4] البقرة آية ١٤٣ [5] البقرة آية ١٤٣
[6] البقرة آية ١٨٠

صحابي دارت السماء حشتيه

للعقيد حسن فتح الباب

إن من يريد التعرض بالدراسة التحليلية لشخصية الصحابي — عامر بن فهيرة — يبدأ من دور ذي بال قام به خير قيام ذلك هو دوره في الهجرة .

هذا الدور الذي يمر به المؤرخون عبرا على الرغم مما يستحقه من وقفة اهتمام وتقدير إذ لم يكن آخر الأدوار ولا أقلها شأنا بل كان حلقة بارزة من حلقاتها وعنصرا أساسيا من عناصرها اقتضاه التنظيم الدقيق والاختيار الفذ .

لقد كانت للمهمة التي عهد بها إلى عامر ابن فهيرة مهمة مزدوجة : أن يرعى غنم أبي بكر نهارا فإذا أمسى قصد إلى الغار وأراح عليهما فاحتلب النبي وصاحبه وذبحا — وشربا من لبنها وأكلا من لحمها ، وأن يتبع بالغنم مسار عبد الله بن أبي بكر بعد عودته من غار ثور إلى مكة فيعفي على ما تركته أقدامه من آثار في رمال الصحراء .

ومن الواضح أن تلك المهمة لم تكن بالهينة اليسيرة بل كان لها خطرها بالنظر إلى ضرورتها لنجاح خطة الهجرة . فما كان أحوج المهاجر العظيم وصاحبه إلى المأكل والمشرب في رحلتهما المضنية . ولئن كانت أسماء وعائشة تأتيانهما بالزاد والماء فلقد كان ما يقدمه عامر تتمة ينتفع بها أكبر النفع في مثل تلك الظروف .

أما الشق الثاني من دوره وهو طمس آثار عبد الله بن أبي بكر فتبدو أهميته إذا ذكرنا مدى شهرة العرب قديما بقص الأثر ، وما كان يحتمل من ضرر الرسالة والرسول لو لم يكن هناك من يؤدي بكفاءة هذا الدور ، ولا سيما أن قريشا جن جنونها بعد أن علمت بخروج محمد وأبي بكر من مكة فحشدت كل ما وسعها من وسائل مادية وغيرها مثل اقتفاء الأثر للظفر بهما وبالتالي الحيلولة بين محمد وبين بلوغ المدينة وتحقيق هدفه في اتخاذها دارا ومقرا للإسلام بعد أن يئس من مكة .

ومن ثم كانت مهمة عامر بن فهيرة بشقيها أمرا لا غنى عنه ولا بديل له ، وكان عامر

يمثل الشخصية المناسبة لتلك المهمة ، فهو مولى أبى بكر وموضع ثقته ، وهو مهيأ بطبيعته وبحكم ظروفه ونشأته وخبرته للقيام بهذا مما يجعله أصلح له من غيره .

ولنا أن نتساءل عما إذا كانت قلة احتفال المؤرخين — ولاسيما المعاصرين منهم — بدور عامر هذا رغم أهميته ، وتجنبهم إلقاء الضوء على صاحبه ، حتى لقد خلت منه فهارس الأعلام فى المؤلفات الإسلامية الحديثة ، فأصبح كثير من القراء يجهلون تاريخه ، مردها إلى مركزه الاجتماعى فى ذلك الحين إذ كان مولى من الموالى ، فانسحبت أهميته المحدودة إلى شخصه وتاريخ حياته .

وفى رأينا أن تخلف عامر بن فهيرة فى مركزه الاجتماعى لم يكن الدافع الحقيق وراء هذا الموقف الذى يستلفت النظر ، ذلك أن الإسلام قد شن حربا شعواء منذ أول الدعوة على التفرقة والعبودية ، بل إن المساواة فى مقدمة أهدافه الأساسية وإنما تكمن العلة فى أمور ثلاثة : أولها تقييم الدور الذى قام به فى الهجرة فى ضوء علم التنظيم ، والثانى عدم تقدير هذا الدور على أساس مبادىء الإسلام فى المساواة ، والثالث عدم تقصى أنباء عامر بن فهيرة فى المراجع التاريخية

ومن ثم رجعنا إلى كتب السيرة فوجدنا بعض أخبار عن الرجل متناثرة هنا وهناك ولكنها تقدم رؤية واضحة له . وتستعرض شخصية بطولية لا تقل شأنا عن غيرها من الشخصيات التى تلق إعجابا واهتماما من المؤرخين لعصر النبى والصحابة .

وأول ما نعثر عليه من معلومات عنه أنه ينتمى إلى الأزد وسمى لذلك بعامر بن فهيرة الأزدى ، ونسب إلى أمه فهيرة مولاة أبى بكر ، ويستفاد من ذلك أنه نشأ فى بيت الصديق منذ نعومة أظفاره .

وكان عامر راعيا لغنم أبى بكر ، الأمر الذى أتاح له فرصة الاضطلاع بالمهمة التى كلف بها النبى وصاحبه ، فنهض بمسئوليته وقام بواجبه خير قيام ، إذ أمد المهاجرين الجليلين بحاجتهما من المأكل والمشرب وأزال من طريقهما كل أثر قد ينم عنهما حتى غادرا الغار بعد ثلاث ليال .

ويروى ابن عبد البر فى كتابه : (الدرر فى اختصار المغازى والسير) أن عبدالله بن أريقط أتى رسول الله وصاحبه براحلتيهما بعد خروجهما من الغار ، فركباها وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة ، ويستدل من هذه الرواية على أن عامرا قد صحب الرسول

وأبا بكر فى رحلتهما إلى المدينة ، وهى صحبة تضع الرجل فى منزلة لا تدانيها منزلة ، مما يشهد له بالفضل والسبق .

ومفهوم بداهة أن عامر بن فهيرة لم يكن ليحظى بهذا الشرف لولا ما عرف به لدى النبى والصديق من قوة العقيدة والاستعداد للتضحية والقدرة على التحمل ، فضلا عن الإخلاص والوفاء .

وفى بعض الروايات أن عامر بن فهيرة هو الذى كتب بأمر رسول الله كتابا لسراقة ابن مالك وكان موكلا من قريش بمطاردة النبى وأبى بكر ، ولما أدركهما فى الصحراء فى موقع يدعى قديد — إذ اتخذ الرسول إلى المدينة طريق الساحل — ورآه رسول الله — دعا عليه فساخت يدا فرسه فى الأرض ، ثم استقل فأتبع يديه دخان ، فعلم أنها آية فناداهم قفوا على وأنتم آمنون ، فوقف رسول الله حتى لحق بهم ، ثم عم به فساخت يدا فرسه فى الأرض ، فقال له : ادع الله لى فلن ترى منى ما تكره ، فدعا له فاستقلت فرسه ، ورغب إلى رسول الله ﷺ أن يكتب له كتابا — أى كتاب أمن — فأمر أبا بكر وقيل عامر بن فهيرة فكتب له .

ويستدل من هذا على أن عامرا كان قارئا وكاتبا مما يستوجب إدراجه فى قائمة كتاب رسول الله ، وتلك ميزة أخرى تضاف إلى ميزاته الأخرى التى سبق بيانها .

ولما بلغ رسول الله المدينة ونزلها آخى بين المهاجرين والأنصار على الحق والمساواة ، فآخى بين عامر بن فهيرة والحارث بن الصمة .

وقد حارب عامر بن فهيرة مع أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار فى غزوة بدر ، وهى أعظم المشاهد فضلا لمن شهدها ومن ثم كان من البدريين أصحاب السبق والفضل فى الجهاد .

وختمت حياة عامر بن فهيرة أعظم ختام إذ استشهد هو والحارث بن الصمة أخوه فى دار الهجرة — فى بعث بئر معونة وكان رسول الله قد أرسلهما فى وفد من المسلمين على رأسه المنذر بن عمرو الساعدى ، وقد بلغت عدتهم أربعين رجلا .

وجاء فى البخارى أنهم كانوا ثلاثين ، وقيل سبعين ، من خيار صحابته يسمون القراء كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل ، وأمرهم رسول الله بالمسير إلى نجد ودعوة أهله إلى الإسلام ، استجابة لمطلب أبى براء عامر بن مالك الكلابى — حين

وفد على النبي في المدينة – وتعهده بحمايتهم ، وكان عامر هذا من فرسان قومه وشجعانه حتى عرف بملاعب الأسنة ، وهو عم عامر بن الطفيل كبير النجديين وعدو المسلمين ، كما عرف عنه أنه لا يخاف من أجاره عدوان أحد عليه .

وخرج ركب أصحاب رسول الله من المدينة في طريقهم عبر الصحراء إلى نجد ومعهم كتاب منه إلى عامر بن الطفيل زعيم أهل نجد يدعوه فيه إلى الإسلام . ونزلوا موقعا يسمى بئر معونة بين أرض بني عامر وأرض بني سليم فعسكروا فيه ، وأوفدوا من هناك واحداً منهم وهو حرام بن ملحان يحمل إلى ابن الطفيل كتاب النبي . فلما أتاه لم ينظر في كتابه بل وثب عليه فقتله غيلة وغدراً .

ثم استصرخ بني عامر على أصحاب الرسول كي يقتلوهم ، فأبوا أن يجيبوه ، وقالوا : لن نخفر ذمة أبي براء ، وقد عقد لهم عقدا وجوارا . فاستصرخ قبائل من بني سليم : عصية ورعلا وزكوان ، فأجابوه إلى ذلك . وخرجوا في وفرة من العدد والعدة لقتال المسلمين . وكان هؤلاء قد استبطأوا أصحابهم حراما ، فأقبلوا في إثره .

وما إن لقيتهم عصابة ابن الطفيل حتى أحاطت بهم في رحالهم ، فاستلوا سيوفهم ثم قاتلوا الكثرة الباغية الغادرة حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق ، فحمل من المعركة جريحا إلى المدينة ، وعاش حتى قتل شهيداً يوم الخندق رحمه الله .

ولقد سجل أصحاب رسول الله ومنهم عامر بن فهيرة في هذه الواقعة موقفا من أعظم مواقف العمل الفدائي في تاريخ الإسلام بل في تاريخ العالم بأسره . فقد أبوا إلا أن يدافعوا عن عقيدتهم في موطن لا مفر فيه من الموت باذلين دماءهم حتى آخر قطرة في العروق ثمنا رخيصا في سبيل المبدأ والكرامة ، راغبين أن يفوزوا بالشهادة ، ضاربين المثل الأعلى في إيثار الجماعة على الفرد والتضحية في سبيل العقيدة .

ومن ذلك أن المنذر بن عمرو قائد السرية عرض عليه ابن الطفيل وعصبته أن يبقوا على حياته قائلين : إن شئت آمناك . فأبى وقاتلهم حتى قتل ، وفي هذا الشهيد الخالد قال رسول الله :

أعتق ليموت، يعني أنه تقدم على الموت وهو يعرفه . وذلك الموقف الذي روى عن

المنذر بن محمد بن عقبة وكان يصحب المسلمين مع عمرو بن أمية الضمرى وكان قد عهد إليهما بالقيام على مطيهم التى تركوها ترعى أى حراسة إبلهم – إذ شاهد طيرا تحوم على موضع بالصحراء فقالوا . والله إن لهذه الطير لشأنا . وسارا يستطلعان الأمر ، فإذا أصحابهم فى دمائهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة . فقال المنذر لعمرو : ما ترى ؟ فقال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر ، فقال المنذر : ما كنت لأرغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو . ثم قاتل حتى قتل .

أما مصرع الشهيد عامر بن فهيرة فيروى أن عمرو بن أمية وهو الوحيد الذى نجا من المسلمين إذ اقتاده المجرمون أسيرا ثم أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه – يروى أن عمراً افتقد عامر بن فهيرة من بين القتلى فسأل عنه عامر بن الطفيل فقال : قتله رجل من بنى كلاب يقال له : جبار بن سلمى ولما طعنه قال : فزت والله . ورفع إلى السماء علوا ، فأسلم قاتله . وقال رسول الله ﷺ : «إن الملائكة وارت جثته وأنزل عليين» .

وحزن النبى على شهداء بئر معونة أشد الحزن . وبلغ من حزنه أنه ظل شهرا كاملا يدعو على قتلتهم بعد الركعة من الصبح فكان يقول : اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم سنين كسنى يوسف . اللهم عليك ببنى كيسان وعضل والقارة وزعب ورعل وذكوان وعصبة فإنهم عصوا الله ورسوله .

ويمثل استشهاد عامر بن فهيرة والمنذر بن عمرو والمنذر بن محمد وسائر إخوانهم فى تلك الفاجعة أبلغ الآيات والشواهد على قوة إيمان جنود النبى ودعاته ، وثقتهم بالله ورسوله وللمؤمنين ، وصلابة إرادتهم فى أداء الرسالة أو الموت دونها ، تلك القيم الروحية الرفيعة التى بثها الإسلام فى نفوسهم فجرت فيها مجرى الدماء ولا غرو أن تصدر هذه الآيات عنهم فهم أصحاب المعلم الأعظم فى تاريخ البشرية ، وهم الطلائع الإسلامية المجاهدة التى نشرت فى العالم عقيدة الطهارة والإيمان والتضحية .

وكذلك شاءت إرادة الله تعالى أن يعيش عامر بن فهيرة بطلا ويموت بطلا وأن تكون حياته القصيرة جهادا موصولا فى سبيل الله ، وآية على سمو النفس واحتمال الألم مرضاة لله ورسوله . ؟

محمد فتح الباب

فى تصويب ما خطأه رجال النحو والصرف القدامى

للأستاذ عباس أبو السعود

إحقاقا للحق ورجوعا إلى الصواب، أرجو أن يسمح لى السادة الأفاضل علماء النحو والصرف القدامى رحمهم الله وأثابهم، ومن ساروا فى ركابهم، ونسجوا على منوالهم من العلماء الأحياء، أطال الله فى أعمارهم – بأن أخالفهم فيما ذهبوا إليه فى بعض المسائل.

المسألة الأولى : أنهم منعوا أن يجمع فعل صحيح العين جمعا قياسيا على أفعال، مع أن التصريح وحاشيته نقلا منه نحو عشرين، منها شكل وأشكال، ولفظ وألفاظ، ورأى وآراء، وأرض وآراض، ورمس [1] وأرماس، وشخص وأشخاص، وشرط وأشراط، وضرب [2] وأضراب، وعمل وأعمال، وحبر [3] وأحبار، وحفظ وأحفاظ، وألف وآلاف، وأنف وآناف، وجفر [4] وأجفار، وبعض وأبعاض، ودخل وأدخال، ونهر وأنهار، وفرد وأفراد.

وهذا المنع لا يستند إلى أى دليل، والصواب جواز جمعه قياسا على أفعال، فيقال : بحث وأبحاث، وشطء وأشطاء، وسمع وأسماع، ودجن وأدجان، ولحن وألحان، وعرش وأعراش، ورهط وأرهاط، وسجع وأسجاع، وجفن وأجفان، وربع وأرباع، ونجم وأنجام، ونذل وأنذال، وسطر وأسطار، ونبل وأنبال، وحبل وأحبال، ونجد وأنجاد، وكيس وأكياس، وطلق [1] وأطلاق، ورغس [2] وأرغاس، وحمل وأحمال، ومن هذا قوله تعالى : «وأولات الأحمال» ولحد وألحاد.

ولا مانع أن يجمع – كغيره – على صيغة أخرى إذا انطبق عليه وصف المفرد الذى يطرد جمعه عليها، هذا وقد جاء على لسان أحد أعضاء المجمع اللغوى هو الأب

---

[1] الرمس : القبر.
[2] الضرب : الصنف.
[3] الحبر : العالم.
[4] الجفر : ما عظم واستكرش من أولاد الشاة.

---

[1] الطلق : الظبى.
[2] الرغس : النعمة.

أنستاس الكرملى مايأتى منقولا من محاضر جلسات دور الانعقاد الرابع ص ٥١ :

« إن النحاة لم يصيبوا فى قولهم : إن فعلا لا يجمع على أفعال إلا فى ثلاثة ألفاظ لارابع لها ؟ وهى فرخ ، وحمل ، وزند ، وأكد ابن هشام أنه لا رابع لها وقال صاحب الحاشية على القاموس فى مادة (سطر) لأن فعلا بالفتح لا يجمع على أفعال فى غير ألفاظ ثلاثة .

والذى وجدته أن ما سمع عن الفصحاء من جموع فعل على أفعال أكثر مما سمع من جموعه (أى المطردة) على أفعل ، أو فعال بالكسر ، أو فعول بالضم : فعدد ما ورد على أفعل هو ١٤٢ اسما ، وعلى فعال ٢٢١ اسما ، وعلى فعول ٤٢ اسما .

فأن يسلموا بجمعه قياسيا مطردا على أفعال أحق وأولى ، لأن ماورد فيها هو ٣٤٠ لفظة ، وكلها منقول عنهم لورودها فى الأمهات المعتمدة مثل القاموس واللسان »

ثم قال : « يحق للمجمع ألا يعتمد على مجرد الأقوال التى تداولها النحاة ، ناقلين الأقوال الواحد عن الآخر ، بلا اجتهاد ولا إمعان فى التحقيق بأنفسهم ، أما الذى يؤيده الاجتهاد فخالف لما أثبتوه وقد حان الوقت أن ينادى المجمع على رءوس الملا بهذه القاعدة الجديدة المبنية على أقوال الأئمة الفصحاء » اهـ ثم ذكر بعد هذا أن كل الأمثلة التى وجدها هى لصحيح العين والفاء وحدث أبو حيان التوحيدى قال قال الصاحب بن عباد يوما : فعل - ويريد ما كان منه صحيح العين - ليس من الأنواع التى ذكروها ، وأفعال قليل ، ويزعم النحويون أنه جاء منه إلا زند وأزناد ، وفرخ ، وأفراخ ، وفرد وأفراد ، فقلت له : أنا أحفظ ثلاثين حرفا كلها فعل وأفعال ، فقال : هات يامدعى ، فسردت الحروف ، ودللت على مواضعها من الكتب ، ثم قلت ليس للنحوى أن يلزم هذا الحكم إلا بعد التجربة والسماع الواسع ، وليس للتقليد وجه إذا كانت الرواية شائعة والقياس مطردا

وقد يفهم من كلام أبى حيان أيضا شىء آخر ، هو أن الكثير الذى يباح عليه القياس يتحقق بورود ثلاثين مثالا مسموعة

والحق أن الأمثلة فوق الكثير - فيما أرى - لأنه ساقه فى معرض التحدى وإثبات الحفظ والمعرفة كما يفهم من روح القصة ، لا مجرد نقل المسموع الذى يؤيده .

المسألة الثانية : أنهم قالوا لا تجمع صيغة فاعل المكسورة العين إذا كانت وصفا لمذكر عاقل على فواعل إلا شذوذا مدعين أن في ذلك لبسا بين قولنا ضارب وضوارب ، وقد حكم بهذا الشذوذ أكثر النحويين ، ومنهم ابن مالك الذي قال :

فواعل لفوعل وفاعل
وفاعلا مع نحو كاهل
وحائض وصاهل وفاعلة
وشذ في الفارس مع ماماثله

والحق أن صيغة فاعل تجمع قياسا على فواعل ، سواء أكانت للمذكر العاقل ، أم للمذكر غير العاقل والفرق يدرك بالقرائن ، لكنها تجمع على فواعل أكثر إذا كانت صفة لمذكر غير عاقل ، ولا يحكم بالتخطئة على من يجمعها على هذا الوزن وهي صفة للمذكر العاقل ، وإنما يحكم عليه بأنه ترك الأفضل إلى ما هو مباح ، وإن كان دونه في القوة ، فتقول هن ضوارب ، ولك أن تقول هم ضوارب ، وضاربون .

١ — ودليل ذلك أن اللغة بها ألفاظ كثيرة تقع على المذكر والمؤنث والقرائن هي التي تحدد المقصود ، كحمامة ، وشاة ، وحية ، قال الأخطل :

إن الفرزدق قد شالت نعامته
وعضه حية من قومه ذكر

وإنسان ، وفرس ، وبعير ، قال :

لا تشتري لبن البعير وعندنا
عرق الزجاجة واكف التهتان

وبكر وفارض في قوله تعالى : « إنها بقرة لا فارض ولا بكر » وزوج كما في قوله : « اسكن أنت وزوجك الجنة » وفاقد كما في قول كعب بن زهير :

كأنها فاقد شمطاء معولة
ناحت وجاوبها نكد مثاكيل

وجبان كما في قول كثير :

أناخت إلى الليل خود غريرة
جبان السرى لم تنطق عن تفضل

وسبب الإباحة هو ما تيسر لبعض الباحثين المعاصرين من اهتدائه في الكلام الفصيح الذي يحتج بصحته إلى جموع كثيرة جاوزت الثلاثين ، وكل منها وصف للمذكر العاقل .

ومن هذه الجموع : سابق وسوابق ، وهالك وهوالك ، وسائح وسوائح ، وحاسر وحواسر ، وقارىء وقوارىء ، وكاهن وكواهن ، وعاجز وعواجز ، وناكس ونواكس ، وفارس وفوارس ، وقد عرض

صاحب خزانة الأدب عند كلامه على قول الفرزدق :

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم
خضع الرقاب نواكس الأبصار

أمثلة لهـذا الجمع جاوزت العشرة ، منها غائب وغوائب ، وشاهد وشواهد ، قال عتبة بن الحارث لجزء بن سعد :

أحامى عن ديار بنى أبيـكم
ومثلى فى غوائبـكم قليل

فقال له جزء : نعم وفى شواهدنا ، فجمع عتبة : غائبا على غوائب، وجمع جزء شاهدا على شواهد ، ومنها حارس وحوارس ، وحاجب وحواجب (من الحجابة) نقلهما عن ابن الأعرابى صاحب أدب[1] الكاتب وخاطىء وخواطىء ، ومنه المثل « مع الخواطىء سهم صائب » وقولهم « أما وحواج بيت الله ودواجه » جمع حاج وداج والدواج هم الأجراء والجمالون والأعوان من دج دجيجا إذا دب دبيبا ، وداجن ودواجن بمعنى مقيمين ، وباسل وبواسل[2] وحكى المفضل رافد وروافد ، بمعنى باذل العطاء ، وعن ابن القطاع يجمع الصاحب على صواحب ، وفى المصباح المنير فى مادة (فرس) بعض من هذه الجموع ، وهى هالك وهوالك ، وناكس ونواكس ، وهم المعجمون عن الأمور ، وخالف وخوالف وهم القاعدون المتخلفون، ومنه قوله تعالى: « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » وخارج وخوارج .

وأقوى مما سبق وأصرح ماجاء فى تاج العروس شرح القاموس ، جزء ١ مادة قرأ عند الكلام على قوارىء ما نصه قوارىء كدنانير ، وفى نسختنا قوارىء كفواعل ، وجعله شيخنا من التحريف ، قلت إذا كان جمع قارىء فلا مخالفة للسماع ، ولا للقياس، فإن فاعلا يجمع على فواعل » اهـ

المسألة الثالثة :

أنهم منعوا أن يكسر اسما الفاعل والمفعول إذا كانا مبدوءين بميم زائدة ، وقالوا : إن قياسهما التصحيح ، فيقال فى جمع مسلم ، ومهندس ، مسلمون ، ومهندسون ، وفى جمع مسلمة ، ومهندسة مسلمات ، ومهندسات ، وهكذا تقول فى اسم المفعول : منصورون ومنصورات،

(١) شرح أدب الكاتب الجواليقى

[٢] قال عث بن مريم :
وكتيبة سفع الوجوه بواسل
كالأسد حين تذب عن أشبالها

واستثنوا من ذلك وزن مفعل بضم الميم وكسر العين المختص بالمؤنث نحو مرضع ، ومطفل وهى ذات الطفل من الإنسان والحيوان ، فإنه يجمع جمع تكسير على شبه فعالل ، فيقال :

مراضع ومراضيع ، ومطافل ومطافيل وزان مفاعل ومفاعيل ، قال تعالى : « وحرمنا عليه المراضع » .

وقد رد هذا الرأى كثيرون ممن جاءوا بعد ابن هشام ، وحكوا بتخطئة من يكسرون الأسماء التى على وزن مفعول .

بيد أن ابن قتيبة ذكر فى كتابه (المعانى الكبير) أمثلة كثيرة صحيحة لجمع مفعول على مفاعيل ، مسموعة ممن يحتج بكلامهم كما أن الأب (أنستاس الكرملى) وهو من المحققين المعاصرين ـ قد نشر بحثا لغويا مستقى من الكلام العربى الفصيح ، والمعجمات اللغوية الأصيلة ، أثبت فيه صحة جمع مفعول على مفاعيل قياسا مطردا ، وعرض عشرات من الأمثلة الصحيحة منسوبة إلى أصحابها الذين يحتج بكلامهم ، أو مأخوذة من مراجعها اللغوية الموثوق بها .

على أن سيبويه قد سبق ابن هشام إلى المنع ، على الرغم مما ساقه فى كتابه من جموع متعددة تخالف رأيه ، منها :

مكسور ومكاسير ، وملعون وملاعين ، ومشئوم ومشائيم ، ومسلوخ ومساليخ ، ومسلوب ومساليب ، ومفرود[1] ومفاريد ومصمود ومصاميد .

فلا داعى للتأويل الذى يمنع القياس على هذه الجموع المتعددة ، ولاسيما بعد كشف نظائر أخرى تبلغ العشرات ، منها :

ميمون وميامين ، ومجنون ومجانين ، ومملوك ومماليك ، ومرجوع ومراجيع ، ومتبوع ومتابيع ، ومستور[2] ومساتير ، ومعزول[3] ومعازيل ، ومشهور ومشاهير ، ومفهوم ومفاهيم ، ومضمون ومضامين[4] ، ومنكود وهو قليل الخير ومناكيد ، قال المتنبى :

لا تشترى العبد إلا والعصا معه
إن العبيد لأنجاس مناكيد

وعلى هذا يجوز أن نقول فى جمع محمود محاميد ، وفى جمع محروم محاريم ، وفى جمع

(بقية المنشور على صفحة ٦٤٠)

(١) المفرود : الجس .
(٢) المستور : العفيف .
(٣) المعزول : من لا رمح له .
(٤) المضامين : ما فى أصلاب الفحول من النسل .

«تراثنا»

« إحياؤه ... وأزمة تحقيقه »

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغى

الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الإسلامية

إن حضارتنا الفكرية أورثتنا تراثا رائعا فى مختلف ألوان الثقافة ، ولا نكاد نجد علما من العلوم ، أو فنا من الفنون إلا وقد أسهمت حضارتنا الفكرية فى وضع أسسه ، أو تشييد بنائه ، يشهد بذلك مؤرخو العلوم ودارسوها .. وتلك مفخرة من مفاخرنا مازلنا نباهى بها حضارات العالم .

وقد تراكم تراثنا الفكرى أولا فى عواصم أقطارنا : فى بغداد ، ودمشق ، والقاهرة ، وقرطبة وأشبيلية ، وغيرها ، ثم توزعته الأقطار والأمصار بعد ذلك حين كان الملوك والأمراء يهتمون به ويعرفون أثر التراث فى رفع شأن الشعوب ، والسير بها فى مدارج التقدم ، فكانوا يسترخصون كل بذل فى سبيل الحصول عليه .

ثم دارت دورة الزمن فتجمع مرة أخرى فى الإستانة ، بحكم أنها كانت عاصمة الخلافة الإسلامية فهى اليوم تزخر بأكبر قسط من هذا التراث فى مختلف المكتبات الحكومية والأهلية ، وقد بقيت من هذا التراث نثارات هنا وهناك .. فى المساجد والمدارس والأروقة ، عبثت بها يد الغفلة والانتهاب ، فتسرب شىء منه إلى الأقطار الغربية ، ولا أبالغ كما يبالغ البعض فأقول : أكثره لأن الدراسات والإحصائيات تثبت خلاف ذلك ، فما استقر منه فى المكتبات الغربية لايمثل إلا نسبة ضئيلة .

ولقد تنبهت الشعوب العربية ـ بعوامل الاستنارة والتثقيف والمنافسة ـ لخطر ما بقى لديها من تراث ، وأخذ كل شعب يدرك أهميته ، فجعل يضن به ، ويحافظ

عليه ، ويحتاط له ، فتوقفت تقريبا عمليات انتقال كتب التراث بين الأقطار إلا في حدود ضيقة ، وبوسائل غير مشروعة .

وقد حلت عملية التصوير مشكلة توقف عمليات الانتقال هذه ، وحلت صورة الكتاب لدى الدارسين محل الكتاب نفسه وأوفت بالغرض المطلوب منه ، وأخذ التبادل الثقافي بالتصوير يجرى بطرق ميسرة إلى حد ما .

وهنا نرى واجبا علينا أن ننوه بما قامت به «جامعة الدول العربية» من نشاط في خدمة التراث العربي ، حيث قامت بتصوير قدر كبير مما تفرق منه في كثير من الدول العربية وغيرها وقد أصابت بذلك هدفين :

الهدف الأول : الاحتفاظ بصورة الكتاب لتكون بديلا عنه عند الجوائح والنوازل .

والهدف الثاني : تيسير الاطلاع عليها لمن أراد من الباحثين والدارسين وحققت بذلك مطلبا كان عسيرا عليهم من قبل .

وقد تابعت الشعوب العربية خطواتها في خدمة تراثها فأخذت تعمل على بعثه ونشره ، وتأثرت في هذا المجال بصنيع المستشرقين ، وأفادت من تجاربهم وجهودهم

ولا شك أن المستشرقين كانوا بأذهانهم المتفتحة ، وبوسائلهم الميسرة أسبق منا في هذا الميدان ، وخاصة الهولنديين منهم والألمان ، إلا أننا مع تقديرنا لجهودهم في نشر التراث . . نرى أن إحياء بعض كتب التراث ونشره وتحقيقه كان ينقصه استيعاب عناصر التحقيق العلمي فقد كادت تنحصر في بيان فروق النسخ إن وجد للكتاب أكثر من نسخة ، ثم وضع الفهارس ، ووضع المقدمات في التعريف بموضوع الكتاب ونسخه — وكانت هذه في الغالب بلغة المستشرق ناشر الكتاب —

أما المادة العلمية فلم نر — فيما وقع لنا من الكتب التي قام المستشرقون بنشرها — من تعرض لها بتوضيح أو استدراك أو ترجيح أو نحو ذلك مما لابد منه في النشر العلمي الدقيق ، ولعل لهؤلاء عذرهم في ترك التعرض لمثل هذا الأمر يقتضي التخصص أو الدراسة الواسعة ، وليس بينهم من يدعي تلك المرتبة فيما نظن لا سيما مواد الشريعة واللغة .

ومهما يكن على المستشرقين . . فحسبهم أنهم حملوا المشاعل على الطريق ، وفتحوا أبواب نشر التراث العربي واختطوا مناهجه ونبهوا إلى واجب كان ينبغي أن يبادروا

إليه عند ما سنحت لهم الفرصة ، وتوافرت لديهم الوسائل بابتداع الطباعة ، وسهولة التبادل العلمي بين مواطن التراث .

ومنذ مدة ، ازداد الشعور في الأقطار العربية بواجبها نحو بعث التراث ونشره ثم اختلفت درجات اهتمامها تبعا لتفاوت الإمكانيات العلميـة والمالية ، وارتفاع وانخفاض المستوى الحضاري، وكان بعضها أسبق من بعض إلى العمـل ، وقد قطعت سوريا ولبنان والقاهـرة أشواطا بعيدة في هذا الميدان، بينما لا تزال بعض الأقطار في أول الطـــريق ، وبعضها لم يبدأ المحاولة بعد .

وظل العلماء والأدباء في هذه الأقطار يقومون بجهود فردية لا تناسب المسئولية الضخمة نحـو هذا التراث حتى رأت الحكومات العربية أن تسهم في نشر التراث ضمن تخطيطها الثقافي ، ونشاطها العلمي، اعترافا بقيمته الحضارية والتاريخية والقومية ، فأنشأ بعضها هيئات رسمية وشبه رسمية تنهض بذلك العبء ، حشدت لها الكفايات والخبرات والإمكانيات ولم يقتصر بعضها على هيئة واحدة، بل تعددت الهيئات ، وقد اختط بعض هذه الهيئات مناهج للبحث العلمي السليم ، ورغم قيود الروتينيات التقليدية ، ورغم ما يحتاج إليه هذا العمل من جهد ووقت استطاعت أن تؤتي ثمارها ، وتقدم للعالم من ذلك التراث نتاجا فكريا مختلف اللون والمذاق ويمثل مختلف نواحي الحضارة، فقد أصدرت كتبا في الفلك وفي النقود وفي الفلسفة هذا عدا ما نشرته في مواد الشريعة واللغة .

ولاتجاه الوعي الفكري العربي عامـة إلى الاهتمام بدراسة التراث العربي للاستفادة من الينابيع الأولى للثقافة العربية اتجه الناشرون التجاريون إلى العناية به استجابة لهذا الاتجاه ، وبدءوا يسهمون في نشره بنشاط ملحوظ ، إلا أن هذا العمل في مختلف جهاته قد واجه عقبة أو أزمة وقفت في طريقه تلك هي عدم توافر العناصر العلمية والفنية اللازمة له ، فليس كل عالم مهما بلغ حظه من العلم صالحا له ، لأنه يتطلب ـ إلى جانب المشاركة العلمية القوية في كل فن ـ المران والتجربة والإلمام بالمصطلحات والرموز المستخدمة في التحقيق . والعلماء الذين هم على هذه الشاكلة قليلون بل قليلون جدا ، وهم أشخاص لم يتلقوا هذا الفن ـ أعني فن التحقيق ـ من معهد ولا من معلم ، وإنما

اكتسبوه بالجد والمثابرة والنظر الدقيق فيما يحتاج إليه كل علم وكل كتاب وكل خط من تعليق وتحقيق، وتبين ما فيه من تصحيف وتحريف، ونقص وزيادة ونحو ذلك. حتى صاروا اخصائيين فيه وعرفوا به واتجهت إليهم الأنظار وتزاحمت لديهم رغبات الناشرين فعجزوا أن يلبوا هذه الرغبات ويفوا بمطالب الهيئات الرسمية وغير الرسمية فأصيب نشر التراث بأزمة على ما أشرنا إليه.

وقد أحس المعنيون بنشر التراث، والمشتغلون به بهذه الأزمة، واشتد إحساسهم حين رأوا هؤلاء الإخصائيين يتساقطون في الميدان واحداً إثر واحد، ولا يجدون من يصلح لخلافتهم.

وقد فكرت بعض الأقطار العربية في علاج هذه الأزمة، ورأوا أن السبيل إلى ذلك أن ينشأ لهذا الفن — أعني فن التحقيق — معهد خاص به، يقوم على حملة المؤهلات من مختلف الجامعات، ومن سائر الأقطار، وقد أنشىء هذا المعهد، ويتولى التدريس فيه الآن العلماء وأصحاب الخبرة في التحقيق، وسيسد هذا المعهد كثيراً من الفراغ الذى نواجهه الآن، وإن في إنشاء هذا المعهد فرصة يجب أن تغتنمها الأقطار العربية المعنية بنشر التراث وتسهم في إحيائه، ويعوزها ما يعوز الأقطار الأخرى من الخبرات الفنية المتخصصة في هذا الفن.

وهناك فكرة أرجوا أن توضع موضع الدرس من الجهات العلمية، التى تعنى بنشر التراث، وهى وجوب التنسيق بينها، وتنظيم عملية النشر، حتى لا يضيع المجهود بتكرار نشر الكتاب في أقطار متعددة.

وقد يشابه هذه الفكرة ما نشر أخيراً في بعض الصحف من أن هناك تفكيراً في توحيد المجامع اللغوية في البلاد العربية في مجمع واحد. والأساس في الفكرتين هو توفير الجهود العلمية، وحسن توزيعها والاستفادة منها.

هذه كلمة حول التراث أكتبها قياما بحق التراث العربى الذى خدمته أكثر من ربع قرن مديراً للمكتبة الأزهرية، وأخدمه الآن مقرراً للجنة «إحياء التراث» بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وأخدمه كذلك بالمشورة وبالمعونة وبإسداء النصح لكل من يعالج شأناً ما من شئون التراث من سائر المستويات، ومن مختلف المعاهد والأقطار؟

أبو الوفا المراغى

المصطلحات العسكرية في كتاب "المخصص"
واستعمالها في الجيش العراقي الحديث

للواء الركن محمود شيت خطاب

— ٦ —

(هـ) الثَّلِبُ الرُّمحُ المتثلِّم : قال الشاعر :

ومُطَّرِدٌ من الخَطِّيِّ لا عارٍ ولا ثَلِبُ

٢ — (أ) رُمحٌ ماضٍ : حديد .

(ب) طَعْنَةٌ نَجْلاء : واسعة .

(جـ) رُمحٌ مُتَثَلِّم : غير ماضٍ .

ما يُشْبِهُ الرِّماح

١ — (أ) الحَرْبَةُ : أصغر من الرُّمح .

(ج) حِرابٌ .

(ب) الأَلَّة : أصغر من الحَرْبة وفي سِنانِها عِرَضٌ . (ج) إلالٌ .

(جـ) الخُرْصُ من الرِّماح . قصير يُتَّخَذُ من خَشَبٍ منحوت

(د) الصَّعْدَة . نحوٌ من الأَلَّة . (ج) صِعادٌ

(هـ) العَنَزة قَدْرُ نِصفِ الرُّمحِ أو أكبر وفيها زُجٌّ كزُجِّ الرُّمح .

(و) العُكَّاز . نحوٌ من العَنَزة . والعُكَّازة : عصاً في أسفلها زُجٌّ (ج) عُكَّازات . والعَكْز الاشتمام بالشيء والاعتداد به .

(ز) المِزْرَاق : ما زُرِق به زَرْقاً ، وهو أخفُّ من العَنَزة .

(ح) النَّيْزَك نحوٌ من المِزْراق ، وقد نَزَكَه نَزْكاً : طعنه بالنيزك .

(ط) الهِلال حَرْبة على صِفة الهِلال .

(ى) المِخْزَق . عُودٌ في طَرَفه مِسمارٌ مُحَدَّد .

٢ — (أ) الحَرْبَة : آلة قصيرة من الحديد مُحَدَّدة الرأس تُستَعمَل في الحرب وتُوضع اعتيادياً في مُقَدَّم البُنْدُقيَّة والقَدَّارة وتُثبَّت بنابض خاص، وتُستَعمل في أثناء الحملة على العدو للاشتباك به ، ويُطلق على هذا القتال : القتال بالسلاح الأبيض . والسلاح الأبيض هو الحِراب (ج) الحِراب

والحربة من أسلحة صنف المشاة يتسلح بها الجنود وضباط الصف من حاملى البندقيات والمدافع.

(ب) العكاز : عصا فى أسفلها زج ، يحملها المقاتلون فى الحروب الجبلية ، ويطلق عليها : عصا التوجيه إذا كان فى أعلاها مدادة للتصويب على الأهداف فى الأراضى الجبلية .

السلّ بالرمح

١ — (أ) زَرَجَهُ بالرمح — يزرُجه زرجا : زجّه به .

(ب) الزُّجل : الزجّ — زَجَلْتُه أزجُله زَجْلاً . والمِزْجَل السنان .

(ج) زرخه بالرمح — يزرخه — زرخا : زجه .

(د) زَلَجه بالرمح : زجه به زجا لا طعنا .

(هـ) زَخَرَه بالرمح — يزخره زخراً : زجّه به .

(و) أشرعتُ الرمحَ قِبَلَهُ : مددته . ورماح شُرَّع وشوارع .

(ز) أهزع القومُ برماحهم : أشرعوها .

(ح) تهزّعت الرماح : أقبلت شوارع .

(ط) أقرنت الرمح إليه : رفعته .

(ى) أقبلناهم بالرماح قابلناهم بها .

(ك) تشاجر القومُ بالرماح : تطاعنوا بها . ورماح شواجر مختلفة وكل ما تداخل فقد اشتجر وتشاجر .

(ل) اعتقل رمحه : وضعه بين ركابه وساقه .

(م) خطر برمحه — يخطر خطرانا : رفعه مرة ووضعه أخرى .

٢ — (أ) الطعن التشاجر ، وهو تصويب السنان إلى العدو لقتله .

(ب) اعتقل الرمح : وضعه بين ركابه

السكين ونعوتها

١ — (أ) السكين فِعّيل من قولهم : وذبحت الشيء حتى سكن اضطرابه . وهى تذكر وتؤنث والسكينة والسكان والسكاكينى متخذ السكاكين .

(ب) الشفرة : السكين . وربما سمى إزميل الحذاء شفرة .

(ج) الصلت : السكين الكبيرة .

(ع) أصلات . وهى الصلت والصلت والمِصلتة

(د) الرَّمِيضُ : السكين الشديدة الحد وكل حادٍ رَمِيضٌ .

(هـ) الخنجر : السكين العظيمة .

(و) المَخَارِص : الخناجر .

(ز) المِدْيَةُ والمُدْيَة : السكين (ج) مُدًى ومِدًى .

(ح) الجُزْأة عجز السكين .

(ط) أنصَبْتُها . جعلتُ لها نصابا . يقال نصاب السكين والمُدْيَة .

(ى) السِّيلان من السكين والسيف : حديدته التي تدخل في النصاب .

(ك) شَعِيرَة السكين وغيرها : حده . وأشعرت السكين جعلتُ لها شَعِيرَة .

(ل) مَقبِضُ السكين . نصابُها . وأقبضت السكين جعلت له مقبضاً .

(م) قِرَاب السكين : ما تُدخل فيه . وأقرَبتُها : جعلتُ لها قرابا .

(ن) أغلفتُ السكين : جعلتُ لها غِلافاً وكذلك أدخلتُها في الغلاف .

(س) الطَّرِيدة : حديدة يُبرى بها .

٢ — (ا) السكين : سلاح أصغر من الحربة وأخف منها وزناً يتسلح بها جنود الدوريات والمغاوير لقتل العدو بها عند مصادفته دون ضوضاء ، لكي تبقى حركات الدوريات والمغاوير مَخفية عن قوات العدو الضاربة من أجل مباغتته في المكان والزمان المناسبين .

(ب) الخنجر : سلاح أكبر من السكين وأصغر من الحربة ، يتسلح بها الجنود غير النظاميين من الأنصار والقوات الشعبية .

(ج) مَقبِض السكين نصابُها ، وعادةً يكون من الخشب ونحوه .

(د) قِرَاب السكين : ما تدخل فيه ، وعادة يكون من الخشب المُغلَّف بالجلد .

(هـ) الطَّرِيدة : حديدة يُبرى بها ، وتكون من أدوات أرباب الحرف في الوحدات العسكرية .

أسماء عامة القِسِيّ

١ – (ا) القَوْس : أنثى وتصغيرها بغير هاء ، وهي أحدُ ما جاء من المؤنث الذي على ثلاثة أحرُف بغير علامة مُصغراً بغير علامة (ج) أقواس وقِيَاس وقِسِيّ وقُسِيّ . وكلُّ ما انعطف وانحنى فقد استقوس وتقوَّس وقوَّس ، ومنه حاجبٌ مُقوَّس ورجل قوَّاسٌ وقيَّاس: صانع قِسِيّ وتقوَّس قوْساً : حملها .

(ب) الماسِخِيَّة : القِسِيُّ منسوبة الى (ماسخة) رجل من الأزْد ، وهو أول من عمل القِسِيّ من العرب ، فلذلك قيل لها ماسِخِيّة . والماسِخِيُّ : القواسُ .

(جـ) الحَنِيَّة : القواس . (ج) حَنِيٌّ وحَنِيٌّ .

(د) الوِشَاحُ : القوس ، وقد تقدّم أنّه السيف .

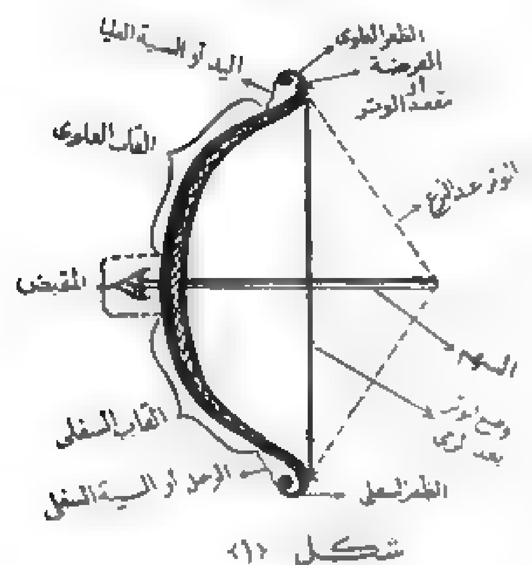
٢ — لا تستعمل هذه المصطلحات فى الجيش ، نظراً لأن القوس ألغىَ استعماله سلاحاً للقتال فى الجيوش النظامية .

نُعُوتُ القِسِيِّ من قِبَل عِيدَانِها

١ — من القِسِيِّ الشَّرِيج : وهى التى تُشَقُّ من العود فلقتين : وهى الشريجة . (ج) شَرِيج ، وقيل : الشريجة : القوس يكون عودها لوبين أُخِذَ من الشَّرجين وهى الضَّربان وقيل الشَّرِيج ، التى فيها شقٌّ ، وليس هى الشريج التى من بِصَف قضيب ، هذه غير مَعيبة وتلك مَعيبة ، لأن فيها صُدُوعاً ، واسم الصَّدْع شرجٌ ، وهى الشُّرُوج والشِّراج .

شكل

القوس والسهم



شكل «١»

والشَّرج : الشقاق فى القوس ، وقد انشرجت والشَّرِيجة : القضيب لا يُبْرَى منه شىء إلا أن يُسَوَّى وتُسَمى قضبة إذا كانت كذلك .

(ب) القَضْبَة : فرع النبع المتخذ من القوس . (ج) قُضُبٌ . والقضيب : التى عُمِلت من غُصْن غير مشقوق .

(جـ) الفَرْع : التى عُمِلت من طرف القضيب . وقوس فَرْع وفَرْعة : وهى من خير القِسِى .

محمود شيت خطاب

من أضابير لجنة الفتوى

يقدمها الأستاذ: محمد أبو هادى

تعدد الجماعة فى مسجد واحد وفى وقت واحد

سؤال من السيد / الأستاذ مدير إدارة السكرتارية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ما حكم الشرع فى إقامة الصلاة جماعة، وجماعة أخرى فى مسجد واحد ووقت واحد؟

الجواب:

أن حكم التعدد وعدمه منوط بخوف الفتنة وعدمه، فإذا خيفت الفتنة كأن كان للمسجد غير مطروق وله إمام راتب، ولم يأذن الإمام الراتب فى التعدد كان التعدد مكروها قبل جماعة الإمام الراتب أو بعده أو معه فإن ذلك يشعر بالطعن فى الإمام الراتب وقد يؤدى إلى تعطيل جماعته فإذا تحققت الفتنة وأن القصد الكيد للإمام الراتب والإفساد عليه كان التعدد حراما، وإن انتفى حصول ذلك لعذر فلا كراهة، وإذا لم تخف الفتنة كأن كان للمسجد مطروقا أو ليس له إمام راتب أو أذن الإمام الراتب فى التعدد فلا كراهة كذلك قبل أو بعد أو مع جماعة الإمام الراتب بشرطين:

الأول: ألا يقترن بالتعدد محظور كتشويش على مصل أو تخليط فى صلاتهم أو أقوالهم أو أفعالهم فإن اقترن به شىء من ذلك بسبب التعدد كان حراما.

والثانى: انتفاء خوف الفتنة من جهة أخرى غير جهة الإمام الراتب، وإلا كان التعدد ممنوعا كراهة أو تحريما على حسب تفاوت الأحوال المقتضية للمنع ضعفا وقوة فقد يكون التعدد مكروها وقد يكون حراما تبعا لذلك، كما أنه إذا ألف التعدد فى المسجد المطروق ممن علم من حاله أنه يقصد الكيد للإمام الراتب والإفساد عليه كان حراما.

فإذا انتفى احتمال الفتنة رأسا فالتعدد جائز بصوره الثلاث، بشرط ألا يقترن به محظور كما تقدم.

وعلى ذلك إذا رأى ولى الأمر أن يرتب فى بعض المساجد إمامين أو أكثر لأمر مصلحى يقتضيه فلا مانع منه بل هو من التيسير على المسلمين، وهـذا ما اختارته

لجنة الفتوى من قبيل أقوال الفقهاء .

ما حكم الصلاة فى مبنى أقيم وسط المقابر للصلاة على الموتى قبل الدفن

سؤال من السيد / إبراهيم عمر

فى مدينة بريتوريا يوجد ما لا يقل عن ٥٠٠٠ مسلم ، كما يوجد غيرهم من ديانات وجنسيات مختلفة وقد خصصت بلدية المدينة لكل طائفة قطعة أرض يدفن فيها موتى كل طائفة .

فقام الأهالى المسلمون ببناء مبنى لإقامة الصلاة على الموتى قبل دفنهم ، وكان ذلك من سنة ١٩٤٠ حتى الآن ، ولكن منذ شهور قام أحد العلماء ووجه نداء إلى المسلمين يمنعهم فيه من الصلاة فى هذا المبنى على أساس أن الصلاة لا تجوز فى المقابر وخاصة وأنها عاطلة بمقابر أخرى لغير المسلمين ـ فما حكم الشرع فى هذا القول ؟

الجواب :

إن هذا البناء المسئول عنه فى مدينة بريتوريا لا يعد مقبرة بل هو مبنى مستقل خصص لإقامة صلاة الجنازة فيه وما حوله من مقابر لا يمنع من صحة الصلاة سواء كانت صلاة جنازة أو غيرها فالصلاة فيه صحيحة وغير مكروهة ، ولا يجوز هدمه لأنه أخذ حكم المسجد حينئذ وقول البعض إن الصلاة فيه غير جائزة لوقوعه فى وسط المقابر غير صحيح والجنة تنصح بجمع الكلمة بين المسلمين والكف عما يوجب الفرقة بينهم والاستمرار على ما هم عليه حيث علم حكمه والله تعالى أعلم ؟

عمود كهرباء يتسبب فى قتل شخص

من السيد / الأستاذ عمر خليل المعانى
المحامى بالمملكة الأردنية الهاشمية

١ ـــ فى مجلس بلدى مؤسس بقانون مصادق عليه من المراجع الدستورية وله ميزانية ووظائف خاصة معينة فى القانون على أن يراعى السلامة عند قيامه بأعماله ، ومن جملة وظائفه إنارة شوارع البلد وساحاتها العامة ، وقد قام بنصب أعمدة لهذه الغاية ، وربطها بشبكة كهربائية ، ومن جملة ما قام به وضع عامود كهربائى فى طرف ساحة عامة تقع ملاصقة للطريق العام والدخول إلى الساحة مباح للاستمتاع بمنظر البحر الذى تطل عليه .

فجاء رجل فى الصباح ودخل إلى الساحة ثم تقدم إلى عامود الكهرباء المنصوب

فى طرفها واتكأ عليه فصادف أن العامود كان مكهربا فى تلك اللحظة سواء بسبب تماكك الأسلاك من تأثير المطر أوخلاف ذلك من الأسباب التى تؤدى إلى هذا التكهرب .

والآن ورثته يطالبون بديته من المجلس البلدى باعتبار أنه هو الذى تسبب فى وضع العامود المكهرباى الذى حصلت الوفاة نتيجة ملامسته والاتكاء عليه وهو المسئول عن كهربته ما دامت أعماله بحسب وظيفته المخولة له من المرجع المختص الذى هو بمثابة ولى الأمر فهو ليس متعديا بوضعه ولم يثبت أنه أخطأ أو أهمل فى تنفيذ أية تعليمات صدرت إليه وشرط السلامة لا ينفى ضمان ما يحصل للإنسان بفعله ، فلولا أن الرجل المتوفى تقدم إلى العامود واتكأ عليه مع عدم اضطرار لذلك وهو ليس معدا للاتكاء لما حصلت الوفاة أى أنه هو المباشر للفعل الذى أدى إلى الوفاة والمباشر هو الذى يضمن ولو لم يكن متعمدا .

٢ — لو فرضنا أن مجلس البلدية كان مسئولا عن كهربة العامود لأن محافظته وصيانته هى من واجبه ، فهل يعتبر المتوفى مسئولا أيضا عن فعله بتعمده التقدم إلى العامود ولو كان لا يدرى أنه مكهرب والاتكاء عليه وهو ليس معدا لذلك ويقع عليه جانب من المسئولية إن لم تقع عليه كلها .

أرجو التفضل بإعلامنا عن الحكم الشرعى فى هاتين الحالتين ؟

الجواب

إن هذا الشخص الذى اتكأ على عامود النور فى ميدان عام فصادف أنه مكهرب فصعقه التيار ومات ، لم يلجئه أحد إلى هذا الاتكاء ولا غرر به أحد حتى اتكأ فهو المقصر حتى أصابه الضرر ، فإن العامود لم يوضع لمثل هذا بل الشأن فيه أنه عرضة للخطر .

وعليه فلا ضمان فيه على أحد وشرط سلامة العافية الذى قد يتعلق بعقد البلدية إنما يفيد لو لم يكن تقصير ممن أصابه الضرر ، أما والتقصير ظاهر باتكائه على العامود من غير إلجاء أو تغرير به فالتعلق بهذا الشرط لا يفيد ، وهو المسئول وحده عن فعله .

محمد أبو شادى

أنباء وآراء

الإمام الأكبر :

ألقى فضيلة الإمام الأكبر دكتور محمد محمد الفحام كلمة فى المجاهدين أثناء زيارته للجبهة يوم الثلاثاء الثامن من رمضان المبارك عام ١٣٨٩ هـ جاء فيها :

أيها القواد . . أيها الجنود :

إن رمضان شهر الجهاد والنصر ، إنه مدرسة إلهية تفتح أبوابها شهرا فى كل عام ، يتلقى فيها المؤمنون دراسات عالية غالية ، تهذب الأخلاق ، وتطهر الأرواح ، وتقوى الإرادة ، وتشد من العزائم ، وتروض على الصبر والثبات ، أمام الأحداث والشدائد ، وتوثق الصلة بالله ، وتغرس فى النفوس حب الجهاد والاستشهاد ، فيعيشون حياتهم كراما أعزة ، لا يرضون الدنية فى دينهم ولا يقبلون الضيم لأوطانهم ، ولا يرون للحياة ولا للدنيا كلها قيمة ، إذا أريد بهم هوان ، أو نزل بساحتهم بغى ، فيسارعون إلى التضحية ، ويسبقون إلى الفداء ، ويتزاحمون على الموت مهما كان عدوهم كثير العدد ، موفور القوة ، فصدق الله لهم وعده ، وأعز جنده ، وكان حقا علينا نصر المؤمنين .

ومن أجل ذلك كان التوقيت الربانى لمعارك الإسلام الأولى ، التى شاء الله سبحانه أن تكون فى رمضان ، ووهب فيها النصر لأجناد الحق على أعوان الباطل.

وإذا كنا نعيش رمضان هذا العام ، والعدو الصهيونى لا يزال بصلفه وعدوانه يحتل ترابا عزيزا من أرض العروبة والإسلام ، فإنما يريد الله لنا تعميق الابتلاء والاختبار لنتخذ من ذلك قوة دافعة من الحماس والغيرة ، فنثأر لأنفسنا بعنف ، ونسترد كرامتنا بقوة .

« قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين » .

أيها الأبطال . . . أيها المجاهدون . . . يا أمل الوطن . . . ويا حماة الحق ويا جند الله إنكم تخوضون معركة مقدسة ضد عدو

غادر أعلنها حربا على العرب والمسلمين جميعا ولم يعد أمامكم من خيار فإما النصر وإما الشهادة « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله » فسيروا على بركة الله والله معكم والنصر حليفكم وقاتلوا فى سبيل الذين يقاتلونكم وغدا يتحقق لنا بإذن الله عيدان عيد الكرامة المستردة والحق المصون وعيد ترفع فيه أعلام الحرية على الديار السليبة ويسود السلام على أرض السلام عيد النصر الكبير .

« ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ».

مجمع البحوث الإسلامية :

● أوفدت إدارة البحوث الإسلامية ـ إحدى وحدات مجمع البحوث عددا من البعثات تشمل البلاد العربية والإسلامية فى كل من آسيا وأفريقيا .

وأخذت بعثات المجمع تؤدى واجبها الإسلامى فى كل من : أندونسيا وماليزيا وتايلاند والفلبين وسنغافورة والهند وباكستان، وبورندى وأوغندا والصومال وغير ذلك من الأقطار الإسلامية ، والبلاد التى تعيش بها جاليات إسلامية كبيرة .

كذلك شغلت بعض بعثات المجمع أماكنها فى أوربا والأمريكتين ، لتدريس المواد الدينية والثقافة العربية .

ويعنى الأزهر الشريف إلى جانب ذلك بتزويد معاهده فى الخارج بالكتب الدراسية حتى يتوفر لأبناء الأقطار الإسلامية مواصلة الدراسة والنهوض بها .

● أوفد مجمع البحوث الإسلامية عددا من أعضائه الفنيين إلى الجبهة للالتقاء بالأخوة المجاهدين ، فارتحل إلى الجبهة الأساتذة : الدكتور محمد عبد الغنى شامة ، والأستاذ الشيخ عبد الرحمن عبد الفتاح الزغبى ، والأستاذ الشيخ عبد الحميد ندا والأستاذ الشيخ متولى يوسف شلبى .

وقد زارت البعثة عدة أماكن من الجبهة وشهدت ما يتمتع به جنودنا من روح قوية مجاهدة صادقة .

● تلقت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بحوثا عدة فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والسيرة النبوية والتخطيط للدعوة الإسلامية عقب إعلانها عن ذلك .

يجرى فحص هذه البحوث بأيدى مختصين عقب انتهاء شهر رمضان .

كتب الأستاذ محمود عبد الرازق أبو طالب إلى مجلة الأزهر يتحدث عن أستاذنا الراحل صاحب الفضيلة الشيخ كامل حسن وكيل كلية اللغة العربية الأسبق، قال :

فى يوم الاثنين ٢٩ من شعبان سنة ١٣٨٩ هجرية صعدت إلى عليين روح الفقيد الطاهرة وترك فضيلته دنيا البشر بعد جهاد على استمر نحو أربع وأربعين سنة يشع فيها الهدى ويهدى إلى الكتاب والسنة.

تخرج الفقيد من الأزهر عام خمس وعشرين وتسعمائة وألف ، وكان ترتيبه الثانى فى العالمية وعمل بالتدريس فى معاهد أزهرية عدة كمعهد طنطا ودسوق والزقازيق ثم عمل أستاذا للنحو بكلية اللغة العربية ثم مفتشا للعلوم الدينية والعربية ، ثم عاد إلى كلية اللغة العربية فواصل العمل بها أستاذاً للتفسير ثم حاضر فى الحديث الشريف وفى عام تسع وأربعين وتسعمائة وألف عين وكيلا للكلية ، واستمر فى هذا المنصب حتى نهاية مدة خدمته عام ١٩٦٠ م

وقد أتم الفقيد ـ وكان ذلك آخر أعماله لكتاب الله ـ جزءاً من التفسير الوسيط الذى يعده مجمع البحوث الإسلامية رحم الله الفقيد رحمة واسعة .

على الخطيب

(بقية المنشور على ص ٦٢٦)

مظلوم مظاليم ، وفى جمع مسموع مساميع وفى جمع مجول مجاميل ، وفى جمع محصول محاصيل .

ومثل ذلك مفعول ومفاعيل ، ومعلول ومعاليل ، ومغبون[1] ومغابين ، ومغسول ومغاسيل .

والجموع : مناشير ، ومعاذير ، ومثاقيب قد تكون جموعا لمنشار ، ومعذار ، ومثقاب ، وقد تكون جموعا لمنشور ، ومعذور ، ومثقوب ، والأسلوب هو الذى يحدد المفرد ، فإذا قلنا ينشر الخشب بالمناشير كان المفرد منشارا ، وإذا قلنا رفوف مناشير كان المفرد منشورا كما فى قوله تعالى : « فى رق[1] منشور » وإذا قلنا لفلان معاذير واضحة أى حجج ، كما فى قوله تعالى : « ولو ألقى معاذيره » كان المفرد معذارا وإذا قلنا هؤلاء الغلمان معاذير أى مختونون كان المفرد معذورا ، وإذا قلنا يثقب الخشب بالمناقيب كان المفرد مثقابا ، وإذا قلنا خشب مثاقيب كان المفرد مثقوبا ؟

عباس أبو السعود

(١) مغبون : مغلوب أو منقوص .

(١) الرق : جلد رقيق يكتب فيه ، والصحيفة البيضاء .

there, who had come from different parts of Ababia to fulfil their religious obligation. He addressed to them his celebrated sermon, in which he gave a resume of his teaching : "Belief in One God without images or symbols, equality of all the Believers without distinction of race or class, the superiority of individuals being based solely on piety; sanctity of life, property and honour; abolition of interest, and of vendettas and private justice; better treatment of women; obligatory inheritance and distribution of the property of deceased persons among near relatives of both sexes, and removal of the possibility of the cumulation of wealth in the hands of the few. The Qur'an and the conduct of the Prophet were to serve as the bases of law and a healthy criterion in every aspect of human life."

41 — On his return to Madinah, he fell ill ; and a few weeks later, when he breathed his last, he had the satisfaction that he had well accomplished the task which he had undertaken - to preach to the world the Divine message.

42 — He bequeathed to posterity, a religion of pure monotheism; he created a well-disciplined State out of the existent chaos and gave peace in place of the war of everybody against everbody else; he established a harmonious equilibrium between the spiritual and the temporal, between the mosque and the citadel; he left a new system of law, which dispensed impartial justice, in which even the head of the State was as much a subject to it as any commoner, and in which religious tolerance was so great that non-Muslim inhabitants of Muslim countries equally enjoyed complete juridical, Judicial and cultural autonomy. In the matter of the revenues of the State, the Quran fixed the principles of budgeting, and paid more thought to the poor than to anybody else. The revenues were declared to be in no wise the private property of the head of the State. Above all the Prophet Muhammad set a noble example and fully practised all that he taught to others.

in order to declare his acceptance of Islam, the Prophet told him: "And in my turn, I appoint you the governor of Mecca"

Without leaving a single soldier in the conquered city, the Prophet retired to Madinah. The islamization of Mecca, which was accomplished in a few hours, was complete.

38 — Immediately after the occupation of Mecca, the city of Ta'if mobilized to fight against the Prophet. With some difficulty the enemy was dispersed in the valley of Hunain, but the Muslims preferred to raise the siege of nearby Ta'if and use pacific means to break the resistance of this region. Less than a year later, a delegation from Ta'if came to Madinah offering submission. But it requested exemption from prayer, taxes and military service, and the continuance of the liberty to adultery and fornication and alcoholic drinks. It demanded even the conservation of the temple of the idol al-lat at Ta'if. But Islam was not a materialist immoral movement and soon the delegation itself felt ashamed of its demands regarding prayer, adultery and wine. The Prophet consented to concede exemption from payment of taxes and rendering of military service; and added: You not demolish the temple with your own hands: We shall send agents from here to do the job, and if there should be any consequences, which you are afraid of on account of your superstitions, it will be they who would suffer. This act of the Prophet shows what concessions could be given to new converts. The conversion of the Ta'ifites was so whole-hearted that in a short while, they themselves renounced the contracted exemptions, and we find the Prophet nominating a tax collector in their locality as in other Islamic regions.

39 — In all these "wars," extending over a period of ten years, the non-Muslims lost on the battlefield only about 250 persons killed, and the Muslim losses were even less. With these few incisions, the whole continent of Arabia, with its million and more of square miles, was cured of the abscess of anarchy and immorality. During these ten years of disinterested struggle, all the people of the Arabian Peninsula and the southern regions of Iraq and Palestine had voluntarily embraced Islam. Some Christian, Jewish and Parsi groups remained attached to their creeds, and they were granted liberty of conscience as well as judicial and juridical autonomy.

40 — In the year 10 H., when the Prophet went to Mecca for Hajj (pilgrimage), he met 140,000 Muslims

breaking up the alliance, and the different enemy groups retired one after the other.

34 — Alcoholic drinks, gambling and games of chance were at this time declared forbidden for the Muslims.

THE RECONCILIATION

35 — The Prophet tried once more to reconcile the Meccans and proceeded to Mecca. The barring of the route of their Northern caravans had ruined their economy. The Prophet promised them transit security, extradition of their fugitives and the fulfilment of every condition they desired, agreeing even to return to Madinah without accomplishing the pilgrimage of the Ka'bah. Thereupon the two contracting parties promised at Hudaibiyah in the suburbs of Mecca, not only the maintenance of peace, but also the observance of neutrality in their conflicts with third parties.

36 — Profiting by the peace, the Prophet launched an intensive programme for the propagation of his religion. He addressed missionary letters to the foreign rulers of Byzantine, Iran, Abyssinia and other lands. The Byzantine autocrat priest-Dughatur of the Arabs embrace Islam, but for this, was Kynched by the Christian mob; the protect of Ma'an (Palestine) suffered the same fate, and was decapitated and crucified by order of the emperor. A Muslim ambassador was assassinated in Syria-Palestine; and instead of punishing the culprit. The emperor Heraclius rushed with his armies to protect him against the punitive expedition sent by the Prophet (battle of Mutah).

37 — The pagans of Mecca hoping to profit by the Muslim difficulties, violated the terms of their treaty. Upon this, the Prophet himself led an army, ten thousand strong, and surprised Mecca which he occupied in a bloodless manner. As benevolent conqueror, he caused the vanquished people to assemble, reminded them of their ill deeds, their religious persecution, unjust confiscation of the evacuee propperty, ceaseless invasions and senseless hostilities for twenty years continuously. He asked them: " Now what do you expect of me ?" when everybody lowered his head with shame, the Prophet proclaimed: "My God pardon you; go in peace; there shall be no responsibility on you today; you are ree. " He even renounced the claim for the Muslim property confiscated by the pagans. This produced a great psychological change of hearts instantaneously. When a Meccan chief advanced with a fulsome heart towards the Prophet, after hearing this general amnesty,

31 — In the concern for the material aspects of the community, the spiritual aspect was never neglected. Hardly a year had passed after the migration to Madinah, when the most rigorous of spiritual disciplines, the fasting for the whole month of Ramadan every year, was imposed on every adult Muslims, man and woman.

STRUGGLE AGAINST INTOLERANCE AND UNBELIEF

32 — Not content with the expulsion of the Muslim compatriots, the Meccans sent an ultimatum to the Madinans, demanding the surrender or at least the expulsion of Muhammad and his companions but evidently all such efforts proved in vain. A few months later, in the year 2H., they sent a powerful army against the Prophet, who opposed them at Badr ; and the pagans thrice as numerous as the Muslims, were routed. After a year of preparation, the Meccans again invaded Madinah to avenge the defeat of Badr ? They were now four times as numerous as the Muslims. After a bloody encounter at Uhud, the enemy retired, the issue being indecisive. The mercenaries in the Meccan army did not want to take too much risk, or endanger their safety.

33 — In the meanwhile the Jewish citizens of Madinah began to form trouble. About the time of the victory of Badr, one of their leaders, Ka'b ibn al-Ashraf, proceeded to Mecca to give assurance of his alliance with the pagans, and to incite them to a war of revenge. After the battle of Uhud, the tribe of the same chieftain plotted to assassinate the Prophet by throwing on him a mill-stone from above a tower, when he had gone to visit their locality. In spite of all this, the only demand the Prophet made of the men of this tribe was to quit the Madinan region, taking with them all their properties, after selling their immovables and recovering their debts from the Muslims. The clemency thus extended had an effect contrary to what was hoped. The exiled not only contacted the Meccans, but also the tribes of the North, South and East of Midinah, mobilized military aid, and planned from Khaibar an invasion of Madinah, with forces four times more numerous than those employed at Uhud. The Muslims prepared for a siege, and dug a ditch, to defend themselves against this hardest of all trials. Although the defection of the Jews still remaining inside Madinah at a later stage upset all strategy, yet with a sagacious diplomacy, the Prophet succeeded in

him. The Prophet Muhammad now entrusted all these deposits to 'Ali, a cousin of his, with instructions to return in due course to the rightful owners. He then left the town secretly in the company of his faithful friend, Abu Bakr. After several adventures, they succeeded on reaching Madinah in safety. This happened in 622, whence starts the "Hijrah" calendar.

REORAGANIZATION OF THE COMMUNITY

28 — For the better rehabilitation of the displaced immigrants, the Prophet created a fraternization between them and an equal number of well-to-do Madinans. The families of each pair of the contractual brothers worked together to earn their livelihood, and aided on anothe in the business of life.

29 — Further he thought that the development of the man as a whole would be better achieved if e co-ordinated religion and politics as two consti uent parts of one whole. To this end he invited the representatives of the Muslims as the non- [illegible] lim inhabitants of the region : Arabs, Jews, Christians and other, and suggested the establishment of a City-State n Madinah. With their assent, he endowed the city with a writ [illegible] stitution in which he defined the duties and rights both of the citizens and the head of the State — the Prophet Muhammad was unanimously hailed as such — and abolished the customary private justice. The administration of justice became henceforward the concern of the centeral organisation of the community of the citizens. The document laid down principles of defence and foreign policy ; it organized a system of social insurance, called ma'aqil, in cases of too heavy obligations. It recognized that the Prophet Muhammad would have the final word in all differences, and that was no limit to his power of legislation It recognized also explicitly liberty of religion, particularly for the Jews, to whom the constitutional act afforded equality with Muslims in all that concerned life in this world (cf. infra 303).

30 — Muhammad journeyed several times with a view to win the neighbouring tribes and to conclude with them treaties of alliance and mutual help. With their help, he decided to bring to bear economic pressure on the Meccan pagans, who had confiscated the property of the Muslim evacuees and also caused innumerable damage. Obstruction in the way of the meccan caravans and their passage through the Madinan region exasperated the pagans, and a bloody struggle ensued.

THE PROPHET OF ISLAM
his biography

By Dr. Muhammad Hamidullah

(III)

(Continued from the previous issue)

MIGRATION TO MADINAH

27 — The annual pilgrimage of of the Ka'bah brought to Mecca people from all parts of Arabia. The Prophet Muhammad tried to persuade on tribe after another to afford him shelter and allow him to carry on his mission of reform. The contingents of fifteen tribes, whom he approached in succession, refused to do so more or less brutally, but he did not despair. Finally he met half a dozen inhabitants of Madinah who being neighbour of the Jews and the Christians, had some notion of prophets and Divine messages. They knew also that these "people of the Books" were awaiting the arrival of a prophet - a last comforter. So these Madinans decided not to lose the opportunity of obtaining an advance over others, and forthwith embraced Islam promising further to provide additional adherents and neccessary help from Madinah. The following year a dozen new Madinans took the oath of allegiance to him and requested him to provide with a missionary teacher. The work of the missionary, Mus'ab, proved very successful and he led a contingent of seventy - three new converts to Mecca, at the time of the pilgrimage. They invited the Prophet and his Meccan companions to migrate to their town, and promised to shelter the Propet and to treat him and his companions as their own kith and kin. Secretly and in small groups, the greater part of the Muslims emigrated to Madinah. Upon this the pagans of Mecca not only confiscated the property of the evacuees, but devised a plot to assassinate the Prophet. It became now impossible for him to remain at home. It is worthy of mention, that in spite of their hostility to his mission, the pagans had unbounded confidence in his probity, so much so that many of them used to deposit their savings with

and Jews were clearly defined. The Prophet declared in his charter ". . . . the Jews who attach themselves to our state shall be protected from all insults and annoyances, they shall have an equal right with our own people to our assistance and good offices. The Jews of the various branches shall form with the Muslims one composite nation, they shall practice their religion as freely as the Muslims . . . . The Jews shall join the Muslims in defending Yarthrib (Medina) against all enemies . . ."

Enraged that they could not use the Prophet as their instrument for the conversion of Arabia to Judaism, and that his belief was, so much simple than their 'Talmudic legends' they soon broke off, and ranged themselves on the side of the enemies of the Prophet. They had openly and knowingly violated the terms of their compact. was only for a month had gone by before old spirit of rebellion, which had led them to kill their Prophets, found vent in open seditions and secret treachery.

The Jews of Medina sent out emissariest to the enemies of the state the protec'ion of which they had formally accepted. The Qureish of Mecca also know that the Jews had accepted Muhammad's alliance only from motives of temporary purpose, and that the moment they showed themselves in the vincinity of Medina the worshippers of 'Jehovah' would break away from him, and join the idolaters. Medina now became full of danegers, by sed a and treachery of Jews within it, or a sudden attack of Qureish from outside of it.

The Prophet was bound by his duty to his people to suppress a party that might have led, and almost did lead to the sack of the city by invisible armies. The safety of the state required the prescription of the traitors, who were either sowing the seeds of sedition within Medina or carrying information to the common enemy. In the fifth year of the Hijrah the Qureish made a great effort to destroy the Muslim state in the war of the clans or war of the Trenchs. While the Muslims were awaiting, the assault, news came that 'Bani Quraizah' the Jewish tribe of Yathrib which had till then been loyal, had gone over to the enemy. Khaiber was the stronghold of the Jewish tribes in north Arabia. It had become hornets' nest of the Prophet's enemies.

TREACHERY OF THE JEWS IN THE TIME OF THE PROPHET

By : ABDUL RAHIM FUDA

One of the first acts of Prophet Muhammad after his arrival in Medina was to unite together the conflicting elements of which the city and its suburbs were composed, into an orderly confederation. The two major tribes of 'Aus' and 'Khazraj' rallied round the ensign of Islam and forgot their mortal feuds, in the brotherhood of the Faith. In order to unite the 'Ansar' and 'Muhajireen' in closer bonds, the Prophet established a brotherhood between them which linked them together in sorrow and happiness.

The brotherhood of Faith, so wisely established by the Prophet, prevented the growth of jealousy, and gave rise to a generous emulation, both among the 'Ansar' and 'Muhajireen'. In this way the Prophet gave a death-blow to that anarchic custom of the Arabs which had hitherto obliged the aggrieved and the injured to rely upon his own or his kinsmen's power in order to exact vengeance or satisfy the requirements of justice.

At the first time the Jews of Medina were inclined to look with some favour on the preachings of the Prophet. They imagined that he was one who would give them dominion, not one who made the Jews who followed him brothers of every Arab who might happen to believe as they did. Till then the Qibla had been Jerusalem. They considered this choice as a leaning toward Judaism, and, that he could be their promised 'Messiah' to help them in conquering the Arabs, and found for them a new 'Kingdom of Juda'. With this aim in view they joined with the Medinites in a half-hearted welcome to the Prophet. But when they found that they could not use the Prophet for their own ends they tried to shake his faith in his mission, to seduce his followers and to sow disaffection among his people. They mispronounced the words of the Qur'an so as to give them an offensive meaning.

In order to lay down the first written constitution of a state, the Prophet had granted a charter to the people, by which the rights and the obligations of the Muslims

for the adoption of the resolution for the admission of the so called "State of Israel". Strong pressure by the Western powers was again exerted in the General Assembly for adopting the resolution of May 11, 1949 for admitting 'Israel' to the United Nations.

Such admission cannot give the minority of Jews in Palestine, the occupants by force of 80o/o of Palestine, any right or sovereignty, because the United Nations has no authority to do so. One of the purposes of the United Nations in Article I of the Charter is 'to bring about by peaceful means and in conformity with the principles of justice and International Law, adjustment or settlement of international disputes or situations which might lead to breach of the peace'. The words 'by peaceful means' and 'in conformity with justice and international law' are imperative. The United Nations cannot contravene, violate or ignore the principles of international law and justice. The occupation of Palestine by force and violence, by alien Jews and the expulsion of more than one million inhabitants can hardly be said to have been accomplished by 'peaceful means', or to be consistent with principles of justice and International Law.

Therefore the resolution of the General Assembly of the United Nations had no effect under International Law and did not legalize the unlawful occupation of Palestine by Jews. Furthermore Article 4 of the United Nations Charter provides that United Nations can only admit as a member 'a peace loving state which accepts the obligations of the Charter and able and willing to carry out these obligations'. These facts are proof that Palestine had all the qualifications of a state under International Law and Justice.(1)

---

(1) Key to References:—

1— The Middle East, 1963, Europa Publications.
2— India and Palestine.
3— A textbook of International Law by : Ross.
4— American Journal of International Law, Vol. 35.
5— The Publications of the Palestine Arab Delegation at United Nations.

occupied territory of the occupying power or that of any other country are prohibitted regardless of their motive.

These principles of International Law establish beyond any shadow of doubt that the occupation of 80 % of Palestine by a minority of Jews was illegal. Under International Law Jews could not establish a state of Palestine. They could not change the internal administration in the country. They could not substitute a new governmental structure. They could not change the nationality of the inhabitants. They could not replace the Arabic language. They could not expel, exile or forcibly transfer the population of Palestine. They could not occupy the public property of the Government of Palestine or occupy, appropriate, dispose of or use the private property of the inhabitants of the country. They could not commit outrageous acts atrocities and massacres against the inhabitants.

Some people ask, what about the admission of the so-called 'State of Israel' to the United Nations ? The admission of so-called 'Israel' to the United Nations was contrary to International Law and to the letter and spirit of the United Nations Charter. Also called 'State of Israel' never existed in fact or in law. It was nothing but an illegal "proclamation" and illegal occupation by a minority of Jews. Furthermore, such admission was obtained by undue pressure and deceit, and therefore it is void. This so-called "Provisional Government of Israel", which consisted of international Zionist representatives, aliens from many foreign lans, representing Zionists throughout the world, submitted an application for membership in the United Nations. On the 17th. of December 1948 the Security Council rejected that application.

When the western powers submitted the application to the General Assembly in April 1949 and this was referred to the Political Committee for further discussion. Many delegates questioned Zionist representatives whether they intended to abide by resolutions of the General Assembly regarding Palestine. The committee was given affirmative assurance by Mr. Aba Eban a citizen of the Union of South Africa who had no connection with Palestine. His answers were misleading. He gave the impression that the Jews intended to abide by United Nations Resolutions on Palestine. The Western Powers exerted strong pressure upon delegates in the political committee

in violation of International law, expelled more than one million citizens from Palestine and stole all their assets. How could they be a peace loving nation " ? How could they carry out obligations under United Nations Charter when their very existence, their occupation of 80 % of Palestine, and the crimes committed by them against its inhabitants are the greatest mockery of the United Nations Charter ?

Yet, by an armed insurrection and in defiance of the General Assembly of the United Nations and the Security Council, Jews occupied 80 % of Palestine and proclaimed themselves the counterfeit so-called " State of Israel. " The Rules of War in International Law deal with the occupation by one state of the territory of another state. At the same time it considers the occupation by armed insurrection as a military occupation to which the principles of International Law apply. The consensus of opinion of International lawyers confirms the following principles :

1 — The occupant does not in any way acqure sovereign rights in the occupied territory but exercises a temporary right of administration on a trustee basis . . . . the legitimate government of the territory retains its sovereignty but that the latter is suspended during the period of belligerent occupation. Military occupation does not confer title or extinguish a nation. As long as the people of the occupied country do not accept military conquest, so long as they can manifest, in one way or another, their inalterable will to regain freedom, their sovereignty even though flouted, restricted and sent in exile still persist.

2 — Mere seizure of terriory does not extinguish the legal existence of a government. The occupant is not entitled to alter the existing form of government, to upset the constitution and domestic laws of the territory occupied or set aside the rights of the inhabitants.

3 - The most important principle of law is that occupation does not displace or transfer sovereignty. The rights of the inhabitants of an occupied territory are also safeguarded against abuse and violation. They owe no allegiance of any sort to the occupying power. Their family honor and rights, and private property must be protected. Individual or mass forceable transfers, as well as deportations of the inhabitants from

The Jews, a minority in Palestine, by force and violence violated the territorial integrity of Palestine and the Political independence of the Muslim and christian Arab majority of Palestine. The Jews expelled more than one million Arab citizens from their ancestral homeland in defiance of Article 2 paragraphe 4 of United Nations Charter which "forbids the threat or use of force against the territorial integrity or political independence of any state, or in any other manner inconsistent with the purpose of the United Nations".

The Second Special Session of the General Assembly convened on April 16, 1948. The United States submitted proposals for placing Palestine under Trusteeship wherby the Trusteeship Council would exercise supervisory powers over Palestine, appointing a Governor - General. While the United Nations was in Session Searching for a peaceful solution to this problem, the minority of Jews in Palestine by force and violence, aided and abetted by British troops, expelled more than one million Muslim and Christian Citizens of Palestine from their homeland occupying their homes and properties, robbing them of all their personal possessions. Jews owned less than 1 o/o of Palestine yet they plundered and occupied all private and pulic property in 80 o/o of Palestine. The minority of Jews in Palestine was about 30 o/o of the total population, less than one half were naturalized Palestine citizens and the balance illegal alien immigrants.

These are the facts of the Palestine tragedy. But what is the position according to International Law, the United Nations Charter, and the Charter of Human Rights ? Can a naturalized Palestine citizen, who is a Jew, expel a native Palestine citizen who is a Muslim or a Christian ? If not, can a Jew, who is an alien illegal immigrant in Palestine, do so ? If a minority of Jews by force and violence occupied 80o/o of Palestine, what right do these Jews have in Palestine as occupants under International Law ? Can these Jews claim sovereignty in Palestine under International Law ? If Palestine naturalized Jews cannot deprive Palestine Arabs of their rights, under what principle of International Law and Justice can alien Jews, legal or illegal residents in Palestine, deprive the indigenous Arab Palestine population of sovereignty and birth right in their homeland ?

The so - called "State of Israel" never was a state. It consisted of a minority of Jews, aliens illegal immigrants, transplanted into Palestine, who by an armed insurrection,

and about 4[illegible]0,000 alien Jews, mostly illegal immigrants. A United Nations Special Committee on Palestine was oppointed to investigate the problem and make recommendations for politial settlement. The influence of the Western Powers and Zionist machinations produced a "majority plan" for partitioning Palestine. The "minority plan" proposed a Federal state. By pressure undue influence and power politics a resolution proposing reference of the Palestine issue to the International Court of Justice to determine whether the United Nations had authority to partition Palestine or any other coutry, was rejected in the General Assembly. As the result of pressure and improper manipulation by the Western Powers, the General Assembly of the United Nations adopted the resolution of the 29th of November, 1947, recommending the Partition of Palestine into an 'Arab State', a 'Jewish State', and an 'International Zone' for the Jerusalem-Bethlehem area.

British forces disarmed Arabs in every city, town and village throughout Palestine. The British military forces took part in battles between Jews and Arabs ensuring victory for the Jews. This British-Zionist conspiracy resulted in the expulsion of Arabs from Tiberias, Haifa, Jaffa, Acre, Safad, Beisan, Modern Jerusalem and all villages surrounding these towns. When the disarmed Arab civilian population were threatened with massacre by the terrorist Jews, the British military forces representing the British Mandatory power, and as such responsible for law and order, were considerat enough to urge the Arabs to surrender and generous enough to offer army trucks and lorries to evacuate Arab civilians, to enable them to take refuge in neighbouring Arab countries! British armed forces aided and abetted Jews enabling them to win the second round againt the Palestine Arabs after April 1948. Britain used her then powerful influence in the Arab World to prevent Palestine Arabs from taking part in the war after May 15, 1948.

In spite of the fact the United Nations General Assembly was still metting in the Special Session called to search for a peaceful solution of the Palestine problem, the international Jewish Agency on May 14, 1948, proclaimed their so-called Declaration of Independence. The Jews in occupation of Palestine called themselves the so-called State of Israel and organized a so-called provisional Government. The international Zionism believed they could thus wipe the State of Palestine off the face of the map by a stroke of their pen and by proclaiming their Declaration of Independence.

price Zionist Jews demanded for using their influence to railroad the United States into World war I as Britain's ally. Samuel Landman, a London Solicitor and legal adviser to the World Zionist Organization, described the Balfour Declaration as follows : "The best and perhaps the only way, which proved so to be, to induce the American President to come into the War was to secure the cooperation of Zionist Jews by promising them Palestine, and thus enlist and mobilize the hitherto unsuspectable powerful forces of Zionist Jews in America and elsewhere in favour of the Allies on a'quid pro quo' contract basis". As soon as this conspiracy, became known to the Arabs they protested vigorously, demonstrated and demanded their liberty and independence. From 1919 to 1939 many Arab uprisings took place. British military forces, reaching 200,000 British troops in 1936 - 39, crushed Arab resistance using the most unjustified and ruthless methods, More than 50,000 Palestinian Arabs were killed during the twenty - nine years of British rule in Palestine. More than 100,000 Palestinian Arab nationalists were imprisoned or thrown into concentration camps. Many British Commissions were sent from London to investigate the situa on in Palestine. Each and everyone of them came to the indentical conclusion, that the Mandate was "unworkable because there existed two incompatible obligations, one to the indigenous Arab population and the other to Jews".

In 1939 the British Government issued a white Paper, promising Palestine self - determination and limiting the further immigration of Jews to Palestine. This White Paper enraged the International Jewish Agency and Zionists throughout the world. While Britain was engaged in a life and death struggle in World War II, terrorist gangs of Jews in Palestine — the Hagana, the Irgun and the stern gangs — waged an armed insurrection, committing the most barbaric atrocities and acts of terrorism against British forces, the Government of Palestine and the civilian population. Many thousands of victims were killed, maimed or wounded. According to official British documentary evidence, Mr. David Ben - Gurion and his Jewish Agency colleagues plotted, planned and ordered the execution of these crimes and atrocities.

When the General Assembly of the United Nations met in a special session in April 1947, there were in Palestine 1,350,000 Muslim and Christian Arabs who were Palestine citizens by birth, about 200,000 Jews naturalized Paletine citizens,

Nations, with the exception of Palestine and a few others. In the twenty-nine years following 1919 the Birtish Mandatory failed to carry out its mandate to give the population of Palestine independence and self-determination. Throughout that period Britain continued dumping alien Jews into an Arab country and using the Balfour Declaration as justification.

According to the principles of International Law, "the natural home and field of activity of every human being is his home state. He cannot claim any right to be admitted to, or settle in, foreigin states. If admitted, he is merely a guest who must put up with the conditions offered him. He must obey the general laws of the land-being a foreigner, he must put up with the lack of many advantages conferred on the natives. If he is not satisfied, he can leave the country." In the present case alien Jews illegally in occupation of Palestine claim every right and deny the lawful indigenous population all their rights.

A citizen of a state cannot expel another citizen. A state cannot expel or exile a native citizen. Since the First World war the International community has endeavoured to lay down rules for the protection of minorities and safeguarding their rights of to life, liberty and religious freedom. The maxim adopted was that all citizens were to be equal before the law, enjoy the same civil and political rights without any distinction due to race, language or religion. It also provided that minorities or any state could petition the League of Nations if these rights were violated. The preamble of the United Nations Charter reaffirms faith in fundamental human rights, in the dignity and the worth of the human person, in the equal rights of men and women, of nations large and small. The Declaration of Human Rights guarantees against violation of the rights of the individual. These principles of International Law support our contention that the minority of the naturalized Palestine Jews could not expel the majority of the citizens of Palestine from their ancestral homeland, and deprive them of their citizenship, their political, religious and civil rights, and their right to political indipendence and self-determination.

The history of Palestine tragedy started from the Balfour Declaration which confirmed the infamous and perfidious conspiracy by which in 1916 Britain betrayed her Arab Allies in World War I by promising world - wide alien Jews "a Jewish national home in Palestine" as the

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FÛDA

SHAWWAL 1389	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	DECEMBER 1969

To mark the 22 nd anniversary of 'Palestine partition' plan

International Law and Justice Call for the Liberation of Palestine from Zionist Occupation

By : A. M. Mohiaddin Alwaye

Under International Law, Palestine was recognized as a state, with territory, with fixed bounderies, and with a population. The British Mandatory organized a Civil Administration which it called The Government of Palestine. That Government consisted of an Executive, a Judictory and ten Departments, which adminstered the affairs of the country. The Goverment of Palestine was headed by a High Commissioner and a Chief Secretary, aided by various Assistant Secretaries. Palestine-Citizenship was created by the Palestine-Citizenship-Order. Palestine passports were issued to citizens. The Government of Palestine took part in many important international conferences and became a member of Several International Agencies.

In 1919 Palestine, Iraq, Syria, Lebanon and Transjordan were recognized as independent states by all the nations assembled in Paris for the Versailles Peace Conferences, and at the same time they were temporarily placed under Mandates of the League of Nations. The Mandate for Palestine was entrusted to Britain. The population of Palestine in 1919 was 95 % Muslim and Christian Arabs and 5 % Jews.

All countries placed under Mandates have become independent and are now members of the United

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٤٧٣
٩٠٥٥٠٦

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء التاسع — السنة الحادية والأربعون — ذو القعدة سنة ١٣٨٩ هـ يناير سنة ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الطاقة التى لا تقهر

للأستاذ عبد الرحيم فوده

١ — لا شك أن أقوى الأسلحة فى ميدان القتال هو إيمان للقاتل بأنه يذود عن شرف ، ويدافع عن حق ، ويجاهد فى سبيل دين ، فإذا آمن — مع هذا — بأن الأجل لا يتقدم بحرب ولا يتأخر بسلم ، وأن للموت كما يقول الله : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا » ، وأن هذه الحياة وسيلة إلى حياة أخرى كبرى ، وأن متاعها لايقاس بمتاع مابعدها كما يقول الله : « وما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل » .

كان إيمانه هو الطاقة الكبرى التى تدفعه إلى مواجهة عدوه ، وترفعه فوق مستوى الشعور بالضعف أو الخوف ، وتمنعه من التردد وقبول الهزيمة ، ومن ثم كان هدف المؤمنين أحد أمرين ، إما شرف النصر والفوز ، وإما شرف الاستشهاد والتضحية ، وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : « ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما » .

أما الفرار من الميدان فلم يكن يخطر ببال مؤمن صادق الإيمان ، لأنه عار لا يقبله ، وذل لا يرتضيه ، وهوان لا قيمة للحياة معه ، ثم لأن الله توعده عليه بالغضب وسوء المصير ، حيث قال : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

٢ — هذا إلى أن الإيمان الصادق يستتبع الجهاد فى سبيل الله بالأنفس والأموال ، بل إن بذل الأنفس والأموال من الإيمان كما يفهم من قوله تعالى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » ، وقول النبى ﷺ : (ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل) .

فإن ذلك يفهم منه أن الإيمان بالله ورسوله هو الذى لا يرقى إليه ريب أو شك ، وأنه يدفع المؤمن إلى بذل كل ما يملك من جهد ومال ونفس فى سبيل الحق والخير ، وكل ما أمر به الله ورسوله وأن المؤمنين هم أصحاب العقائد القوية الذين يثقون بها ويرتاحون إليها ويعبرون عنها ، ويحرصون على تحقيقها فى العمل ، وتطبيقها فى السلوك ثم لا تزيدهم المحن والفتن إلا تمسكا بها ، وحرصا عليها ، وعملا بمقتضاها .

٣ — هذا الإيمان هو الطاقة التى لا تقهر فى الميدان ، وقد عرف فى أعلى مستواه عند أول عهد المسلمين بالإسلام ، فكانوا كما يقول الله « يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » « أشداء على الكفار رحماء بينهم » . وكانوا كما قال أبو بكر رضى الله عنه لخالد بن الوليد : أطلب الموت توهب لك الحياة ، وكما قال خالد لقائد من قواد الفرس : لقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ، بل لقد كان الواحد منهم يشم ريح الجنة وراءها ببصيرته وهو يخوض غمرات الحرب فينتشى بها ، ويقول :

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة وباردا شرابها

ذلك لأن إيمانهم بوعد الله لم يكن مجرد أفكار تدور فى الرءوس والصدور ،

بل كان عقائد تمتزج بأرواحهم ومشاعرهم ، وتخالط بشاشة قلوبهم وأفئدتهم ، ولهذا حرصوا على النصر ليعظم به قدرهم وأجرهم ، بل حرصوا على الاستشهاد ليكونوا مع الذين قال الله فيهم : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون » . .

٤ — والآن ترد الأنباء بما يفعله الفدائيون فى سيناء وفى البلاد العربية المحتلة ، فترى فيها بشائر الخير والنصر ، إذ تنطلق الأصوات هناك مع أصوات المدافع بكلمة « الله أكبر » وينطلق الفدائيون فى كل أنحاء فلسطين ، ليحققوا ما تحقق من آبائهم مع اليهود قديماً حين ظنوا أن حصونهم مانعتهم من الله . « فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين » وقد ارتفعت الروح المعنوية فى الجيش إلى درجة عالية ، وسرت هذه الروح فى الشعب فأعادت إليه الثقة . وأكدت تصميمه على النصر ، ولعل اجتماع رؤساء القمة بالرباط يكون إيذاناً ببداية التحرك والزحف ، أو إشارة سارة لقرب وعد الآخرة ، كما يفهم من قول الله لبنى اسرائيل « فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » . والله غالب على أمره ، وهو القاهر فوق عباده وهو اللطيف الخبير .

عبد الرحيم فودة

وحدة المسلمين

دورها في تاريخ الإسلام وأهميتها في حاضرنا

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد الفحام
شيخ الأزهر

كان العالم قبل الإسلام أمما متناحرة وشيعا متفرقة ، أيامهم تقاطع وعداوة وحياتهم اضطراب وحروب ، ثم شاء الله أن يشرق نور الهداية ، ويتحرك موكب التوحيد والحضارة ، فبعث محمدا صلوات الله وسلامه عليه برسالة الإسلام ، تزيح الظلام وتجمع الشتات ، وتوحد الكلمة ، وانطلقت الأمة المحمدية إلى غاياتها تقود البشرية بمبادئ الإسلام وتعاليمه إلى مدينة طاهرة فاضلة قضت على الفوارق وحطمت البغي وحررت المستعبد للظلوم وردت الحق المغتصب ونشرت العدل والخير فاطمأنت إليها القلوب وانضوى تحت لواء الإسلام شعوب جديدة رضيته لها دينا ، وآمنت بأنه الدين الجامع للكلمة الذى يربط بين قلوبهم ويوحد صفوفهم نحو حياة حرة كريمة .

والإسلام رحم بين أهله مهما تباعدت ديارهم وتعددت أجناسهم وتنوعت ألوانهم لأنه لا يقر الحدود ولا يعرف العصبية ولا الأجناس والألوان وإنما يربط بين القلوب بأسمى رباط أساسه عقيدة التوحيد التى جعلت من أصحابها أمة واحدة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وصدق الله حيث يقول : « وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

وبهذا الرباط الوثيق وتلك الوحدة القوية عزت أمة الإسلام وخشى العالم بأسها وأمن سلطانها الذى لم يعرف التاريخ سلطانا مثله عدالة وكفالة ومساواة ، وما كان لها ذلك إلا لأن أبناءها التفوا تحت راية الإسلام فى عزم وتصميم وانضووا تحت لوائه فى اتحاد وإخلاص .

وبهذه الوحدة كانت الأمة الإسلامية

أعظم قوة سرهوبة فى أرض الله حطمت الطواغيت وأقامت ميزان العدالة وأضاءت منار الهداية وحفظت كرامة الإنسان وصانت له حقوقه .

وبهذه الوحدة شقت أمة الإسلام طريقها فى الحياة عزيزة كريمة بأبنائها المعتزين بإيمانهم المؤمنين بوحدتهم .

بهذه الوحدة استطاع المسلمون تحت أقسى الظروف أن يصمدوا أمام بربرية التتار فى « عين جالوت » ويحطموا هذا الغول المغولى المخرب ويصونوا العالم كله من شروره وطغيانه .

وبهذه الوحدة انهارت قوة الصليبيين وجبروتهم عند « حطين » وولت جحافلهم الأدبار أمام مضاء العزيمة واسترخاص الأرواح الموحدة فى سبيل الله .

ويوم أن تنكب المسلمون طريق الوحدة واستهانوا بدينهم وكرامتهم وتفرقوا دويلات لا تجمعهم كلمة ولا يوحدهم هدف ذهبت ريحهم وضاعت هيبتهم وسارع العدو المترقب إلى تمزيق أوصالهم حتى تمكن منهم واحتل أوطانهم وسلب حريتهم ذلك لأن الفرقة ضياع وضعف والتمزق ذلة والاختلاف هوان ومن هنا حث رسول الله ﷺ على الوحدة والجماعة منذ المرحلة الأولى من بعثته وحارب التفرق أشد المحاربة فقال : « عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة » . ويقول الله جل شأنه : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

وما أحوجنا نحن المسلمين اليوم وفى هذه المرحلة الحاسمة التى نخوض فيها معركة المصير ونواجه قوى الشر والعدوان المتربصة بديننا وأوطاننا ما أحوجنا فى هذه الظروف أن نعتصم بحبل الله ونرتفع فوق مستوى الأحداث فنجمع الشمل ونوحد الكلمة ونضم الصفوف حتى نجتاز المحنة ونقضى على مؤامرات المستعمرين وأذنابهم ويتحقق النصر بإذن الله وترتفع أعلام السلام على أرض السلام ويعود للإسلام مجده وللعروبة عزتها ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

شيخ الأزهر

(دكتور محمد محمد الفحام)

هل من مظاهر التحضر النفاق ؟

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغي

ليس النفاق في حاجة إلى تعريف فنستعين عليه بكتب اللغة أو الشريعة ، فحقيقته واضحة في الأذهان غنية عن البيان ، زادها التطبيق العملي وضوحا وبيانا .

فالمتعلم ونصف المتعلم والعامي يفهم أن النفاق أن تظهر خلاف ما تبطن ، وأن تقول ما لا تفعل ، وأن تلقى الناس بوجوه مختلفة حسب الظروف والأحوال ، فتمدح المرء في وجهه حتى تبلغ به عنان السماء ، فإذا انصرف عنك أوسعته ذما وتجريحا حتى تنزل به إلى الحضيض ، فإذا أردت أن تدفع عن نفسك عار النفاق ، قلت هذه مداراة ومجاملة دعا إليها حسن الأدب وواجب اللياقة ، وحسبت أنك خدعت الناس وما خدعت إلا نفسك ، إذ ظننت أن الأسماء تغير المسميات وتقلب الحقائق وأن تغليف السم يبطل خواص التدمير فيه ويجعله دواء نافعا .

إن النفاق داء استشرى في الأفراد ، وشاع في الجماعات وله في كل بيئة أسلوب خاص ، وأصبح أمارة للمهارة ودليل الحذق وسلم الوصول ، وأصبحت الصراحة أسلوب الحياة الفاشل ، تقف دون الغايات والمقاصد كما أصبح الصريح غريبا في جماعته وموضع تندرهم وهزئهم ، وإن كانت له حاجة فسبيل إنجازها أن يستعين بمن يتقن أساليب النفاق ويحسن وسائل اللف والدوران وإلا كان صيدا سهلا للمحتالين والمخادعين ، وقد أورث هذا الأسلوب بلبلة في أفكار الناس ومعاملتهم وأصبح للأقوال وجوه شتى من المعاني ومجالات لاحتمالات مختلفة يلجأ المنافق إلى تأويلها عند اللزوم كما يريد ليدفع عن نفسه مسئولية المؤاخذة بالتفريط والتقصير أو المعاقبة بالتجريم .

وقد افتقد الناس بشيوع هذا البلاء الثقة فيما بينهم وتعقدت معاملاتهم ، وفسدت علاقاتهم بما اقتضاه من وجوب الحيطة والحذر والتشكك في الأقوال

والأفعال ، وضاقت وجوه التعامل بين الناس إيثارا للسلامة من المخاصمات والمنازعات .

والشكوى من هذا البلاء عامة فكل من لاقيت يشكوه إليك والشاكى والمشكو إليه صريعا هذا الداء ، ولو عالج كل منهما نفسه لصلح الحال وهان الخطب ، ولكن المضحك أن كل واحد منا يأمر أخاه وينسى نفسه ، ويلوم الناس وهو مليم .

ومن المعلوم أن للمنافق للصادق شر من المعادى للصارح ، فالمعادى للصارح يعطيك بصراحته فى عداوته فرصة الإعداد للدفاع أما المنافق للصادق فيأخذك على غرة ويهاجمك بغتة وله من مخالطتك ومعرفة دخيلتك سلاح فتاك .

إن النفاق داء قديم تنكره المروءة ، وتنكره الأديان ، وطالما كابد منه الأنبياء والمصلحون ، وكابد منه العامة كذلك ، إلا أنه كان مرضاً محصوراً ينزل ببعض الأفراد فيهون التحصن منه والوقاية من عدواه كما يهون علاجه ودفع أخطاره ، ولكنه صار فى هذا العصر وباء شاملا لا يكاد يفلت منه إلا القليل من الناس بحصانة من دينهم وأخلاقهم وأحسابهم .

ولقد كان الظن فى تطور الحضارة وشيوع التعليم أن تسمو النفوس وتطهر الأخلاق من رذيلة النفاق وتستريح الجماعات من أخطارها وآثارها ، ولكن خاب الظن وانعكس الأمر ، وانتشر النفاق على ما ذكرنا .

ولعل سبب ذلك فى نظرنا أن النفاق مصدره الجبن ، والوصولية ، والجبان يتقى المخوف بأى وسيلة ، والوصولى يسلك كل فج للوصول إلى غاياته ، وقد كثر المخوف وكثرت عوامله وكثرت الحاجات وتنوعت المطالب تبعا لتقدم الحضارة ، وتطلع الناس إلى مستويات رفيعة فى حياتهم ومعاشهم وجاههم ، ولهذه الدوافع سلب أكثر الناس اختيارهم فى سلوك الطرق المستقيمة ، وأصبحوا لا يبالون أى الطرق يسلكون ولا إلى أى منقلب ينقلبون .

ولخطر داء النفاق وسوء آثاره خصه الأنبياء بعنايتهم وأفاضوا فى التحذير من سوء عاقبته وما أعد للمنافقين فى الآخرة فشأن الدعوات أن يقف الناس منها طوائف ، يقف بعضها موقف المستجيبين المخلصين ، ويقف بعضها موقف الجاحدين

المعاندين، ويقف آخرون موقف المذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى أولئك « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ». وهؤلاء هم أخطر الطوائف فى طريق الدعوات.

وقد تكرر ذكر النفاق والمنافقين فى القرآن فى معرض التنديد بهم وتفضيح أمرهم، واختصوا بسورة منه هى سورة (المنافقون) وأكثر النبى ﷺ الحديث منهم، وقد جمع بعض المحدثين جزءا خاصا بما ورد فيهم والنفاق استعمل كثيرا فى إبطان الكفر وإظهار الإيمان لأنه شر أنواعه، ولكنه استعمل فى إظهار الشىء وإخفاء ضده وما يخالفه، وهذا هو ما يجرى العرف به الآن.

وقد وصف الله المنافقين بالفسق الكامل فقال: « إن المنافقين هم الفاسقون »، وجعلهم شرا من الكافرين فقال:

« إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا » وحسبنا من حديث الرسول فيهم قوله: (تجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه) وقوله: (من كان له وجهان كان له يوم القيامة لسانان من نار).

وقد سرى هذا الداء من الأفراد والجماعة إلى الأمم، وكما اتخذ له بين الأفراد اسما خادعا براقا هو المداراة أو المجاملة اتخذ له بين الأمم اسما خلابا هو الدبلوماسية والدبلوماسية فى واقع أمرها نفاق مقنع يلبس أقنعة مختلفة الأشكال براقة الألوان، وأكثر الأمم ممارسة لهذا النوع من النفاق هى الأمم الكبرى ذات المصالح السياسية والاقتصادية، وإنا لنرى منهم فى هذه الفترة من التاريخ صورا غريبة فبعض الدول فى الظاهر معك وفى الواقع عليك وهى هنا بوجه وهناك بوجه، وهى اليوم تصالحك وتهادنك، وغدا تغاضبك وتقاتلك، لا يردعها حياء، ولا يكنها وفاء، ولهم فى تسويغ ذلك أعذار أبعد ما تكون عن المنطق الصحيح.

وكما افتقد الأفراد الثقة فيما بينهم بسبب

هـــذا المرض افتقدت الأمم الثقة فيما بينها أيضا .

وأصبحت كل أمـة بدافع الشك فى نيات الأمم الأخرى وأقوالها تتخذ لنفسها الحيطـة اقتصاديا وعسكريا وسياسيا بما أسعفها بـه العـــلم من وسـائل الفتك والتدمير توقعا للمفاجأة ، وأصبح النشاط العسكرى للأمم يستغرق أكثر استثماراتها على حساب معاشها وعلى حساب رخائها ورفاهيتها .

ولو صدق الأفراد والأمم فى أقوالهم وأخلصوا نياتهم ، لسادهم الود والصفاء وعمهم الخير والرخاء .

وأنى هذا وكيف يكون ؟ ؟

أبو الوفا المراغى

الجهاد والمهمة الحضارية للإسلام

للأستاذ ابراهيم الخولى

فى ظروف كهذه.. والأمة العربية تخوض معركة المصير قد يبدو الحديث عن الجهاد والدعوة إليه ضرورة من ضرورات الواقع موقوتة بمناسبة تمليها وتحتمها.. لكن من الحق أن يقال. إن الجهاد فى الإسلام قضية دائمة، وفريضة مستمرة لا تتوقف عند مناسبة ترتبط بها... أو تنتهى بظروف تحدد مداها..

إن الجهاد الإسلامى فى معناه العريق إنما هو محصلة الجهد الإنسانى لحركة المجتمع الإسلامى كله، تلك الحركة المتصاعدة إسهاما إيجابيا من أجل التمكين لسيادة قيم إنسانية عليا، ومثل أخلاقية سامية لا تخص المسلم وحده وإنما هى تمثل الغايات النبيلة للإنسان إينما وجد وحيثما كان.

وفى ضوء هذا المفهوم للجهاد تبدو ركيزته الأولى فى النفس المؤمنة إيمانا بالغاية وتجردا لها ينعكس على صاحبه بذلا وتضحية، وإيثارا وفداء بعيدا عن أى هدف نفعى أو مظهرية متطلعة.

هذه القاعدة النفسية التى تنطلق من خلالها حركة المجاهد يرسيها النبى ﷺ حينما سئل: «الرجل يقاتل حمية، والرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليرى مكانه (إظهارا لشجاعته) فمن من هؤلاء فى سبيل الله؟ فيكون جوابه: «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله».

وهل تعلو كلمة الله فى الأرض إلا بسيادة مبادىء الحق والعدل وإقرار السلام على الأرض وتهيئة مناخ حر يتحرك فيه الأفراد والجماعات دون أن يتعرضوا لقهر يكبت، أو عدوان ظالم، أو فتنة طاغية؟.

وقد تظهر لنا قيمة هذا المعنى حينما نتمثله فى موقف الأعرابى البسيط الذى قدم على النبى ﷺ فى المدينة وأعلن إسلامه بين يديه. ثم طلب من النبى ﷺ أن يبقيه معه كأحد المهاجرين. وقبل النبى عرضه وأوصى به أصحابه حيث لم يكن للرجل

ما يعتمد عليه فى حياته الجديدة بالمدينة فلا ثروة ولا مسكن ، ولا مورد رزق ولا قدرة على ممارسة حرفة يعيش منها ، وبقى صاحبنا بالمدينة يرعى خيل المسلمين ويقوم على أمرها .. ويخرج فى إحدى الغزوات مع المسلمين .. ويفتح الله عليهم ويفىء عليهم غنائم قسمها النبى ﷺ فيما بينهم وأرسل للأعرابى نصيبه حيث كان بعيدا لم يحضر القسمة .. وسأل الرجل فأخبر أن هذا نصيبه من الغنيمة .

ترى ماذا صنع ؟ ! هو الآن بين يدى النبى ﷺ وقد وضع المال أمامه وهو يسأل : ما هذا يا رسول الله .

هـذا قسمك ؟ ! (يعنى نصيبك من الغنيمة) .

هل يستقل الرجل نصيبه من الغنيمة وهذا سر تساؤله وغضبه ؟

كان جو الحديث والنقاش يوحى بهذا .. لكن منطق الرجل حسم كل شىء . .

يا رسول الله ـ والله ما على هذا (المال) .. بايعتك .. وإنما بايعتك على أن أرمى بسهم هاهنا (يشير إلى حلقه) فأموت فأدخل الجنة ؟ . ويعلق النبى ﷺ ، إن كان صادقا فسوف يصدقه الله .

وقد كان صادقا ، وقد صدقه الله بالفعل .. فما لبثوا إلا قليلا حتى نهضوا لغزوة أخرى .. وبينما النبى ﷺ يشرف عليها جاءوه بشهيد ليصلى عليه .. وينظر عليه السلام نحوه ويتساءل : أهو هو ؟ ويكون الجواب نعم .. فيقوم ليصلى عليه .. ويحفظ من كلامه فى صلاته : اللهم إن هذا عبدك فلان .. خرج مهاجراً فى سبيلك فمات شهيدا .. أنا شهيد على ذلك . .

وختمت حياة هذا المجاهد بأعظم ما يتمنى المجاهدون ..

هذا المجاهد وأمثاله إنما كانوا يتحركون ضمن حركة جماعية لأمتهم المؤمنة ولمجتمعهم المسلم خلف قائدهم ونبيهم محمد ﷺ ... وهذه الحركة إنما كانت تنطلق من خلال علاقة محددة وواضحة بين مجتمعهم الجديد بقيمه الجديدة وبين قوى أخرى وقفت منها مواقف مضادة تستهدف تصفيتها والقضاء عليها مستخدمة فى سبيل ذلك كل أساليب العدوان والتآمر والتأليب والخداع .

إنها محاولة لإعادة حركة التاريخ إلى الخلف بعد أن صاغها محمد ﷺ فاتجهت بالإنسانية إلى الأمام مبشرة بمستقبل

مشرق تضيئه قيم جديدة للبشر وغايات جديدة للحياة .

والتصور الصحيح لحركة المجتمع المسلم فى علاقته بغيره من المجتمعات يعنى الإجابة عن هذا السؤال : ما طبيعة العلاقة بين المجتمع المسلم وغيره من المجتمعات ؟

يقرر القرآن هذه العلاقة بأن الأصل فيها أن تكون علاقة سلام ومسالمة . « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » السلم بكل معانيه .. بكل مظاهره .. بكل مجالاته وميادينه .

وحين يدب نزاع بين المجتمع الإسلامى وغيره من المجتمعات فض هذا النزاع يسير فى نفس الاتجاه .. « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » .

الأصل إذا هو علاقة السلام .. وعلى هذا فالحرب أو القتال تمثل الوضع الطارىء وغير الطبيعى فى علاقة المجتمع المسلم بغيره .. هى استثناء من القاعدة ولهذا تطلبت إذناً فى ممارستها حينما فرضتها الدواعى الملحة ولم يبق سواها طريقاً لمواجهة الأعداء الباغين المتربصين « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » .

هذا التصور هو المبدأ الذى ينظم هذه العلاقة ويحكمها .. وليس هناك من قيود عليه سوى تحفظ واحد .. هو : ألا يتعرض جزء من أرض المسلمين لاغتصاب أو عدوان .. ولو كان شبرا وألا يتعرض أحد من المسلمين لفتنة فى دينه أو إذلال لكرامته أو انتهاك لحقه فى الحياة على أرضه .. فإن حدث من هذا شىء تحول الموقف كله .. وتغير شكل العلاقة وأصبح لزاما على المسلمين جميعا أن يزيلوا هذا الأثر ويتخذوا له كل ما يقتضيه من وسائل مع رفض حاسم لمنطق المساومة أو التنازلات .. طالما تمكنهم قدراتهم من تحمل النتائج مهما كلفتهم من تضحيات سواء فى النفس أو المال .

فى الظروف العادية يكون الجهاد فرض كفاية يعنى أن المجتمع ينظم القيام به بما يسمح لحياة المجتمع العادية أن تسير .

أما حينما تتعرض أرض المسلمين أو يقع أفراد أو فرد منهم لقهر أو ظلم أو عدوان فإن الجهاد يصبح فرض عين يعنى فرضا على كل فرد فى المجتمع رجلا كان أو امرأة ويصبح منطق التعبئة الشاملة لمواجهة الموقف هو المفروض ، ولا تنتهى

هـذه التعبئة الا بتصفية للموقف لصالح المسلمين .. بإحراز نصر يحرر أرضهم ويوفر الكرامة لكل فرد منهم .. «وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر» .

قد تفرض ظروف للمسلمين وواقعهم شكلا من أشكال المهادنة الموقوتة ريثما تكتمل لهم قوتهم واستعدادهم .

لكن منطق المهادنة الموقوتة شىء . ومنطق التصفية لحق من حقوق المجتمع الإسلامى شىء آخر . الأول مقبول تبرره اعتبارات السياسة وظروف المعركة . والآخر مرفوض لأنه استسلام وهوان . والله يخاطب المسلمين بنقيضه « فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم » .

وهذا التصور لسير المعركة بين المسلمين وأعدائهم فى سبيل تحرير حقوقهم هو نفس التصور الذى يحدد به موقف الفرد المجاهد فى لقاء عدوه بالفعل . فبينما يلزمه بالثبات فى مواجهة عدوه « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا » نراه يعطيه حق تكييف للموقف طبقا لظروفه بشرط ألا يكون فى تصرفه أى أثر لرغبة فى الفرار أو لشائبة من شوائب التخاذل .. عندها تصبح الحركة المرنة فنا من فنون الحرب والقتال وليس شيئا آخر .. « ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله » .

إن الميل إلى العدوان جزء من فطرة البشر وبالتالى فاحتمال وقوعه نتيجة طبيعية مفروغ منها .. وإذا كان الرد على العدوان هو الدفاع عن النفس فى مواجهته . وكان هذا الدفاع فى صورته العملية حربا يخوضها المسلمون ضد عدوهم فقد أصبح من الضرورى لأمن المجتمع شرعية الحرب متى فرضت عليه وحتى توضع الحرب فى موضعها الصحيح من تشريع الإسلام فقد أحاطها بأمرين :

أولا : أن تكون دفاعية «ولا تعتدوا»

وثانيا : أن تكون حربا نظيفة ومهذبة إن صح هذا التعبير ...

والحرب المهذبة تجرنا إلى الحديث عن أدب الحرب أو القتال فى الإسلام وهنا نجد أن الإسلام يضيق دائرة الحرب فى أضيق حدودها فلا يبيح ضرب غير المقاتل وكان المقاتل عندهم من ينزل إلى الميدان بسيفه أو قوسه أو يعين عليه برأيه أو مدده .

ويحرم الإسلام حرب الإبادة ... فلا تحريق ولا تغريق ولا تدمير للمنشآت مدنية تمثل جهداً إنسانياً فى سبيل خير البشرية ورخائها ...

ويحرم الإسلام قتل النساء والصبيان والشيوخ . . . والمنقطعين للعبادة الذين لا يشاركون فى القتال بجهد أو رأى أو مشورة ...

هذه المبادىء وأمثالها تمثل أدب الحرب فى الإسلام وهى أسمى ما يمكن أن تتطلع إليه تصورات البشر ...

هنا يبرز سؤال : كيف يكون موقف الإسلام إذا كان العدو لا يلتزم بمثل هذه المبادىء وإذا كان يستبيح لنفسه مثل ما استباحت إسرائيل وأمريكا فدمرت .. وقذفت بالنابالم الحارق .. ولم تفرق بين رجل وامرأة ولا بين صبى وشيخ .. ؟

والجواب أن الإسلام يلزم أصحابه بهذه الأخلاقيات فى حروبهم بالقدر الذى لا يجعل منها قيداً على حركتهم فى مواجهة عدوهم وفى حقهم المشروع فى ردعه والرد عليه بمثل منطقه وأسلوبه ... وإلا لتحول موقفهم إلى موقف ذليل مستسلم يتلقى طعنات عدوه ولا يملك القدرة على ردعه .

حركة الجهاد الإسلامى تتجه ــ إذاً ــ لتحقيق غايتين : توفير القدرة الدفاعية عن النفس بالنسبة للمجتمع المسلم .. وتوفير القدرة على الإسهام إيجابياً لإقرار مبدأ الحرية والعدالة فى العالم على أوسع مدى ممكن .

هذا يفرض بالضرورة واجبات ومطالب يحتمها التزام المجتمع بفريضة الجهاد التزاماً دائماً ومستمراً طالما أن تعرضه للعدوان قائم .. وحاجة المجتمع الإنسانى إلى دوره الإيجابى قائم أيضاً ؟

إبراهيم الترزى

دراسات قرآنية :

أسلوب ابراهيم فى الدعوة إلى الحق

للأستاذ مصطفى الطير

« وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين » آية (٧٤) من سورة الأنعام

نشأ إبراهيم عليه السلام منذ صباه على سنة المرسلين ، مطمئن الفؤاد موقنا بأن للكون إلها واحداً لاشريك له فيه ، وكان عجبا أن ينشأ مستقيم العقيدة بين أسرة وثنية وأمة مشركة تعكف على الأصنام وتقدس الكواكب،حتى إذا استقام عوده واعتدلت سنه واكتمل النضوج لروحه وفكره وإرادته وبلغ بذلك أشده أرسله الله سبحانه إلى قومه الناكبين عن الصراط السوى لهدايتهم إليه .

والحق أنه لاغرابة فى أن ينشىء الله فتى على التوحيد بين أسرة وأمة وثنيتين ، وأن يختاره بعد أن يبلغ أشده رسولا إلى قومه ليهديهم سواء السبيل ،فتلك هى سنة الله فى خلقه،فهو الذى يخرج الحى من الميت ويخلق الورود ذات العبير الشذى الفواح من بين الأشواك ، ويبدع من الشجر المر الثمر الشهى حلو المذاق ، وينبت الزرع النضير من بين التراب والسرجين .

مسلكه فى الدعوة إلى الله :

سلك إبراهيم عليه السلام فى دعوته إلى الله مسلكين ، أحدهما صريح متفق مع عقيدته ،وكان يسلكه مع أهله لمابينه وبينهم من وشائج القرب ورفع الكلفة وجرأة الحديث .

وثانيهما استدراجى على خلاف عقيدته يصل منه فى النهاية إلى مشكاة الهدى وشمس الحق،وكان مسلكه مع قومه لمزيد عنادهم وعنيد إصرارهم على الباطل ، وعبادتهم لكل ما يمس مقدساتهم من قريب أو بعيد.

ومن الأسلوب الأول ما حكته سورة الأنعام عن دوره مع أبيه آزر ، وإليك بيانه ومايتصل به .

من هو آزر

صرحت الآية التي صدرنا بها المقال بأن آزر كان أبا لإبراهيم عليه السلام، لكن المؤرخين أجمعوا على أن اسم أبيه تارح، قال الزجاج: ليس بين النسابين اختلاف في أن اسم أبي إبراهيم تارح بتاء مثناة فوقية وألف بعدها راء مفتوحة وحاء مهملة، ويروى بالخاء المعجمة.

وممن ذهب إلى كون آزر ليس اسما لأبيه مجاهد وسعيد بن المسيب ومعظم أهل السنة، وبعض القائلين بذلك يرى أنه عمه، ويرى أصحاب هذا الرأي أنه لا مانع من أن يطلق القرآن الكريم الأب على العم فهذا عرف قرآني، قال تعالى: « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق » فقد أطلق الأب على إسماعيل مع أنه عم ليعقوب بل أطلق أيضا على جده إبراهيم، والعرب يفعلون ذلك

وقد حمل أصحاب هذا الرأي على تأويل الأب هنا بالعم أنه لا يليق بنبي أن يكون أبوه أو أحد أصوله مشركا، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: (لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات) وللمشركون نجس فلا يصلح أحدهم لأن يكون في أصول نبي، فلذا يحمل الأب في الآية على العم لأنه أقرب الآباء بعد الأب والجد.

لكنني لا أرى داعيا لتأويل ظاهر القرآن الكريم بما لا نص فيه ولا ضرورة تدعو إليه، فإنه لم يرد بسند صحيح أن اسم أبيه كان تارح وإن أجمع عليه المؤرخون والنسابون وعلى فرض صحته فليكن آزر لقبا لأبيه تارح، وقد ذكره القرآن بلقبه.

وأي مانع من أن يكون أبوه كافرا وهو رسول من سلالته، أفليس هذا دليلا على قوة داعي الحق عنده مع وفرة دواعي الباطل حوله في أصله وأسرته وأمته، أليس من سنن الله أن يخرج الورد من الشوك. والنور الساطع من النار المحرقة، والعسل الشهي من النحل اللاسع، وغير ذلك مما جاء فيه الفرع مخالفا لأصله نفعا وضرا وخيرا وشرا.

أما قوله صلى الله عليه وسلم: (لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام

الطاهرات) فالمقصود به أنه من سلالة نكاح لا من سلالة سفاح .

صراحة إبراهيم مع أبيه

لقد كان إبراهيم صريحاً مع أبيه آزر المشرك إذ قال له : « أتتخذ أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين » .

قال : قائلون هذا جفاء وخشونة فى النصح لا يليقان مع الغرباء ، فكيف يحدثان من رسول لأبيه ، وقد قال تعالى لموسى وهرون فى شأن دعوتهما لفرعون « فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى » فقد أوصاهما باللين فى مخاطبته وبين لهما أن حسن الأثر مرجو فى الملاينة لأن المخاشنة توجب النفرة .

وقال فى الوصية بالوالدين « ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما » وقال : « وصاحبهما فى الدنيا معروفا » والخشونة فى النصح أشد إيذاء من التأفف ومباينة للصحبة بالمعروف ، فكيف صدرت من إبراهيم عليه السلام لأبيه ؟

والجواب أن ذلك لابد أنه صدر منه بعد مزيد من النصح اللين ، ويدل لذلك ما يحكيه الله تعالى عنه فى سورة مريم إذ قال : « يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ، يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ، يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا ، يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا » فهذا ولا شك أرق وألين ما يكون فى النصح ، ولكنه أصر على كفره وهدده بالإيذاء وطلب أن يعتزله ويهجره فقال « أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم ، لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا » فلاينه وسالمه قائلا « سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا » .

فملاينة إبراهيم لأبيه فى أول دعوته إلى الحق هى اللائقة بمسلك الرسل عموما وبخلقه عليه السلام خصوصا ، فقد قال تعالى فى حقه « إن إبراهيم لأواه حليم » فلهذا كله يحمل ما حدث منه لأبيه على أنه كان بعد فترة من الملاينة والمسالمة ، ولا مانع من أن يقسو إنسان على آخر بعد حين من الملاينة إذا كان ذلك لمصلحته ، قال أبو تمام :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقس أحيانا على من يرحم

وكون الرفق أكثر تأثيراً من الخشونة بصفة مطلقة غير مسلم، فالمقامات تختلف ففي مقام يحسن اللين، وفي آخر تحسن الخشونة، ولذا أمر الله محمدا ﷺ بهما يستعمل كلا منهما في موضعه، قال تعالى «وجادلهم بالتي هي أحسن» وقال: «واغلظ عليهم».

على أني بعد كل هذا لا أرى فيما قاله عليه السلام لأبيه أي نوع من الخشونة، فقوله «أتتخذ أصناما آلهة» إنكار لاتخاذه الأصنام معبودات بأخف أسلوب وأرقه مع أنه ارتكب أكبر الكبائر وهو الإشراك بالله، ومع ظهور الأدلة على فساده، وقوله «إني أراك وقومك في ضلال مبين» لا خشونة فيه أيضا، فهو أسلوب لغوي بريء من الجفاء، فإن الضلال هو البعد عن الطريق الموصل إلى الغاية، والمبين البين الواضح.

ولا شك أن عبادة أبيه وقومه للأوثان أبعدتهم عن الطريق السوي الموصل إلى الحق، فالعرف اللغوي لا يرى في هذا جفاء أو خشونة، والسائل الذي يصف هذا الأسلوب بذلك غير منصف[1]، أرأيت لو أن رجلا ترك سبيلا واضح المعالم موصلا إلى مدينة يقصدها واتخذ سبيلا آخر لا يوصل إليها، فلما علمت حاله قلت له لقد ضللت السبيل إليها ضلالا بينا لأخذ السبيل الآخر، أتكون خشنا في خطابه بهذا التعبير المطابق لمقتضى الحال، فإذا قلت كلا، قلت فكذلك ما قاله الله ترجمة لحديث إبراهيم لأبيه بلغته، فإنه لما رآه ضل سبيل الحق إلى سبيل الباطل أخبره بذلك ليعدل عنه، ولا توجد عبارة أكثر وضوحا ولينا مما قاله له، وإنما يكون إبراهيم خاشنا لأبيه إذا كان قد سفه عقله أو تعرض لمساءته بعبارة نابية، وهذا لم يحدث أصلا وحسبك في ملاينته له ما نقلناه عنه من سورة مريم.

والكلام بقية نتحدث فيها عن أصل عبادة الأوثان، ومن نظر إبراهيم الكواكب ووصفه لها بالربوبية وحجاجه لقومه، فإلى العدد المقبل إن شاء الله؟

مصطفى محمد الطير

---

(١) ومما يدل على أنه لا خشونة في هذا الأسلوب مخاطبة الله به لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم في قوله «ووجدك ضالا فهدى».

التصوف الإسلامي في ضوء الكتاب والسنة

للأستاذ على عبد العظيم

إن التصوف الإسلامي يضم ثروة روحية ضخمة تسمو بالنفوس البشرية إلى أرقى الدرجات ، وقد حان لنا أن ندرس المناهج الصوفية دراسة علمية موضوعية بعيدة عن التعصب قائمة على الدليل النقلي والبرهان المبين .

هذه الدراسة تقتضينا أن نفحص التراث الصوفي فحصا دقيقا وأن ننقيه مما تسرب إليه أو التصق به من شائبات عديدة كادت تطمره تحت أكداس متراكمة من الأباطيل والأوهام - والإنصاف يقتضينا أن نقرر أن معظم كتب التصوف لا تزال مخطوطة في المتاحف والمكتبات العالمية ومعظم ما تم نشره من هذا التراث لم ينل نصيبه من التحقيق العلمي والفحص الدقيق وما تم نشره محققا لم ينل نصيبه من الدراسة والبحث العلمي العميق .

ونحن نعلم أن كثيرا من الإسرائيليات تسرب إلى بعض كتب التفسير فشوه صفحاتها الوضاءة كما أن فيضا من الأساطير تدفق عليها وعلى كتب الملاحم والمغازي فالتبس فيها الحق بالباطل والواقع بالخرافات وفي هذا يقول الإمام أحمد بن حنبل : « ثلاثة لا أصل لها : التفسير والملاحم والمغازي » ويقول المحققون من أتباعه إن غرضه من ذلك أنها ليست لها أسانيد صحيحة متصلة ، وقد تعرض الحديث الشريف لمثل هذه الافتراءات التي ألصقت به عددا ضخما من الأحاديث المكذوبة تكاد تبلغ أضعاف الأحاديث الصحيحة ولكن الله قيض لهذه العلوم جماعة من كبار الباحثين استطاعوا أن يميزوا الطيب من الخبيث ، والحق من الباطل والصحيح من الزائف ، ولا يزال جهابذة الباحثين يعاودون النظر في هذه العلوم بدقة وإمعان وينقونها مما عساه يكون قد بقي فيها من شائبات .

ولكن التراث الصوفي لم ينل من هذه العناية ما هو جدير به من تصحيح وتقويم فبدا صفاؤه مشوبا بأكداس من الأوهام والخرافات ، وبخاصة بعد أن اندس

فى الصوفية طوائف عديدة من الدخلاء اتخذوا منه وسيلة للكسب والارتزاق والشهرة بين الناس ونسجوا حوله أساطير عديدة كادت تخرجه عن دائرة الإسلام .

فقسموا الدين إلى شريعة وحقيقة وأتباعه إلى أهل ظاهر وأهل باطن وإلى علماء رسوم وعلماء إلهام وبالغ بعضهم مبالغة شديدة حتى خرج فعلا عن تعاليم الإسلام حيث أسقط أداء العبادات مدعيا أنه وصل إلى الله فسقطت عنه التكاليف .

وليس لنا أن نحكم على التصوف بهؤلاء الأدعياء ، كما أنه لا مساغ للحكم على الإسلام اليوم بالمسلمين المعاصرين .

[أما التهام الثعابين أو المشى على السيوف والرقص على نقرات الدفوف فشعوذة وتدجيل] .

والبحث العلمى يقتضى أن نتعرف إلى أسس التصوف من آثار رجاله الأعلام ثم ندرس هذه الآثار فى ضوء تعاليم الإسلام المستمدة من القرآن الكريم والحديث الشريف .

* * *

١ — يقول سهل التسترى المتوفى سنة ٢٨٣هـ : أصول طريقتنا سبعة : التمسك بالكتاب ، والاقتداء بالسنة . وأكل الحلال ، وكف الأذى ، وتجنب المعاصى ، ولزوم التوبة وأداء الحقوق .

٢ — ويقول الجنيد المتوفى سنة ٢٩٧هـ وهو سيد الطائفة وإمامها : « من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر ، لأن علمنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة » .

٣ — ويقول أبو يزيد البسطامى المتوفى سنة ٢٦١ « لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة » .

٤ — وأجاب الإمام الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ من سأله عن رجل من أولياء الله وصل إلى درجة سامية من القرب تتيح له أن يتنصل من شعائر العبادات حتى لا تشغله عن الاتصال الباطنى بالله ، أجاب الإمام برسالة طويلة أثبت فيها أن أقرب الناس إلى الله رسول الله ﷺ ، وأنه ، ما كف عن عبادة الله بل زاده الله فرائض وأوجب عليه التهجد ولم يوجبه على غيره : « يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه

أو انقص منه قليلا » . ثم يقول ، عن المحققين من أساتذته « لو رأيت إنساناً يطير فى الهواء ويمشى على الماء ، وهو يتعاطى أمراً يخالف الشرع فاعلم أنه شيطان »

٥ — ويقول الإمام أحمد الرفاعى المتوفى سنة ٥٧٨ هـ : « الفقير على الطريق مادام على السنة فتى حاد عنها زل عن الطريق » .

٦ — ويقول رأس العارفين محى الدين ابن عربى المتوفى سنة ٦٣٨ هـ : (إن طريق الوصول إلى علم القوم الإيمان والتقوى ، قال تعالى : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) أى أطلعناهم على العلوم المتعلقة بالعلويات والسفليات » .

ومقدمة كتابه « الفتوحات المكية » تنطق بالتوحيد النقى المجرد عن أى شائبة من الشبهات .

٧ — ويقول الإمام أبو الحسن الشاذلى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ وهو شيخ الصوفية المحققين : « إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف ، وقل لنفسك : إن الله تعالى ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة ، ولم يضمنها فى جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة .

٨ — ويقول الإمام الشعرانى المتوفى سنة ٧٩٣ هـ : « إن طريق القوم مشيدة بالكتاب والسنة وإنها مبنية على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء ، ولا تكون مذمومة إلا إن خالفت صريح القرآن أو السنة أو الإجماع لاغير ، وأما إذا لم تخالف فغاية الكلام أنه فهم أوتيه رجل مسلم ، فمن شاء فليعمل به ، ومن شاء تركه ، وما بقى للإنكار إلا سوء الظن بهم ، وحملهم على الرياء ، وذلك لا يجوز شرعا » .

ولو ذهبنا نستقصى أقوالهم فى الاعتصام بالكتاب والسنة لاحتجنا إلى مجلدات عديدة ، وحسبنا ما ذكرناه دليلا على ما تجاوزناه .

* * *

إن الصوفية — كما رأينا من مبادئهم — يتمسكون بالكتاب والسنة ، وما أوجباه من إيمان وعمل صالح ، ولكنهم يمتازون عن طائفة أهل السنة بالتأملات الروحية والمجاهدات العملية ، كما يمتازون عن طائفة المعتزلة بأنهم يعتقدون أن العقل محدود وأن مجاله مقصور على الموازنات والمقايسات وأنه لا يتجاوز نطاق الماديات ، أما ماوراء

المادة من روحانيات وتجليات وإلهامات فإنها تحتاج إلى ملكة خاصة وراء العقل يسميها القرآن الكريم بالحكمة ، وقد اهتدى إليها الفلاسفة المحدثون وبخاصة برجسون وأطلقوا عليها اسم « الحدس » وبعضهم سماها « الحاسة السادسة » ، وستتحدث عنها بالتفصيل فى مقال تال إن شاء الله .

أما منهج الصوفية وسلوكهم العملى فإننا نجد الإمام أبا الحسن الشاذلى يلخصه فى قوله : « التصوف تدريب النفس على العبودية ، وردها لأحكام الربوبية » وقد شرح هذا المنهج كبار الصوفية ، وهو يتناول ثلاث مراحل : الإسلام ، ثم الإيمان ، ثم الإحسان وقد وضحها صاحب إيقاظ الهمم بقوله : « إن وجه اصطلاح الصوفى فى ترتيب الإسلام أولا ، ثم الإيمان ثم الإحسان ، هو أن العبد ما دام مشغولا بالعبادة الظاهرة مع حسن النية وسلامة الوجهة سمى ذلك مقام الإسلام أو الشريعة ، فإذا انتقل للأعمال القلبية وتطوع بالنوافل واشتغل بتصفية القلب ، وترقية النفس ، وتحقيق الإخلاص سمى ذلك مقام الإيمان أو نهج الطريقة ، فإذا انتقل بالذكر والمجاهدة للنفس إلى عرفان عيوب نفسه وسعة آفاق روحه واستقرار سره ، واستقامت فطرته للحقيقة سمى ذلك مقام الإحسان أو الحقيقة قال الجنيد رضى الله عنه : « العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رءوس الملوك » .

وإذا تأملنا هذا المنهج فإننا نراه مقتبسا من الحديث الشريف الذى رواه الشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى حوار طويل بين جبريل والرسول ﷺ : « قال يا محمد أخبرنى عن الإسلام فقال ﷺ : الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت الحرام إن استطعت إليه سبيلا قال فأخبرنى عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره .. قال فأخبرنى عن الإحسان قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . » ومن هذا يتضح أن الصوفية لم يبتكروا شرعا جديدا ولا خرجوا عن منهج الكتاب والسنة ، وفى هذا يقول محى الدين بن عربى « إن الولى لا يأتى بشرع جديد ، وإنما يأتى

بالفهم الجديد فى الكتاب والسنة » وفى هذا بلاغ للمستشرقين ومن يقلدونهم ممن يزعمون أن الصوفية الإسلامية مستوحاة من الأفلاطونية الحديثة أو من البوذية أو الرهبنة المسيحية ، ولقد أطلق الصوفية على المراحل الثلاث السابقة أسماء اصطلاحية فسموا مرحلة الإسلام شريعة ، ومرحلة الإيمان طريقة ، ومرحلة الإحسان حقيقة وقالوا الشريعة أن تعبده ، والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده ، والواقع أن هذه المراحل متكاملة ولكنها معالم متوالية تهدى إلى الله ، وقد فرقت آية كريمة بين الإسلام والإيمان حيث جعلت الإيمان مبنيا على الإسلام قال تعالى : « قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم » فالأعراب فى الآية الكريمة لم يقطعوا إلا المرحلة الأولى فحسب ، وهى مرحلة الإسلام ، والواقع أن كل مرحلة من هذه المراحل تنقسم إلى مسافات شاسعة وإذا كنا نقدر الدرجات فى الدنيا بمقاييس محدودة فالله تعالى يقول : « وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا » ولما كان الإحسان هو أسمى هذه المراحل فقد وعد الحق سبحانه بمضاعفة أجر المحسنين « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » .

* * *

ولما كانت مرحلة الإسلام معروفة وضحتها كتب الفقه توضيحا تفصيليا فإن من الخير أن نلق بعض الأضواء على مرحلة الإيمان ثم مرحلة الإحسان لنفهم موقف المتصوفين فى ضوء تعاليم الإسلام .

الإيمان : معناه التصديق والثقة وهو مشتق من الأمان ولهذا تتجلى فيه المعانى الثلاثة فهو تصديق بالله وثقة فيه وطلب للأمن فى ظلاله قال تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » وهو يجره إلى هذا أيضا الأمانة وهى من أكرم الصفات وقد عرضها الله على السموات والأرض والجبال « فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان » لأن أعباءها عظيمة والتمسك بها أساس الفضائل ، وقد أطلقت قريش على الرسول ﷺ لقب (الأمين) ووصف الله جبريل بأنه (الروح الأمين) وكما أن الأمانة هى أساس الأخلاق الكريمة فهى أساس الإيمان ، روى أحمد وأبو داود والحاكم وابن حبان عن النبى ﷺ « لا إيمان لمن

لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » .

والإيمان هو الاقتناع العميق بهدف عظيم والسعي لبلوغه والتضحية في سبيله ، فمن الناس من يكون هدفه الأعظم إحراز الأموال ، ومنهم من ينشد المناصب ومنهم من ينشد الاستمتاع باللذات والشهوات ، ومنهم من يكون هدفه المثل الأعلى للكمالات وهو الله سبحانه وتعالى .

روى الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) ، وقد ذكر القرآن الهجرة إلى الله فيما قصه عن إبراهيم ولوط عليهما السلام « فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي » .

وقد وضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه معالم الإيمان في قوله : (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي .

والإيمان بالله هو أساس العقيدة الدينية في جميع الشرائع السماوية ، فالأعمال القائمة على غير إيمان منهارة لأنها قائمة على غير أساس قال تعالى : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » وقال جل شأنه : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا » وقال عز من قائل : « ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين » ونحن نعلم أن الله غني عن عبادتنا إياه .

فلو كان أهل الأرض جميعا مؤمنين ما نفعوا الله بشيء ، ولو كانوا جميعا كافرين ما ضروه بشيء ، وقد صرح بهذا الحديث القدسي الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ عن رب العزة : « يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا » . وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال عن السر في إرسال الرسل وإنزال الكتب ، وفيم « أزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين » ؟ .

يقول الله تبارك وتعالى : « وما خلقت

الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون » وهنا نلتمس الإجابة من خلال الآية الكريمة فإن الله ما خلق الإنسان ليظل قابعا في نطاق غرائزه الحيوانية وليميل مخلدا إلى الأرض متبعا هواه ، وإنما خلقه ليتصل بربه ويسمو إليه فيرتقي في معارج الكمال حتى يكون قريبا من المثل الأعلى للكمالات وهو الله سبحانه وتعالى ، وهذا هو معنى السعادة : تهذيب النفس وسمو بالروح واتصال بالملأ الأعلى وتمسك بالهدف الأسمى في اتساق مع النواميس الكونية التي خلقها الله وتتجه إلى الله دون التواء أو انحراف « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » « إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا » .

والإيمان لا بد أن ينتج عملا صالحا فلا إيمان بلا عمل ولا عمل بلا إيمان ، بل هما صفحتان متكاملتان ، بذرة صالحة تنمو فتنتج دوحة باسقة تفيض بأعذب الجنى وأطيب الثمار ، فالإيمان عمل صالح مستور ، والعمل الصالح إيمان بارز مشهور ، وصدق رسول الله في قوله « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرىء ما نوى .. » ولهذا قلما يرد الإيمان في القرآن الكريم غير مقرون بالعمل الصالح ، وتمام الإيمان الجهاد في سبيله بأعز ما علك الجاهدون من أموال ونفوس وقد حدد القرآن الكريم تعريف المؤمنين تحديدا دقيقا في الآية الكريمة « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » .

وقد استهلت الآية الكريمة بأداة القصر « إنما » التي حصرت المؤمنين داخل نطاق هذا التعريف واتبعت بتأكيد التعريف بالقصر القائم على تعريف المبتدأ والخبر ثم التأكيد بضمير الفصل « أولئك هم الصادقون » ووصفهم بالصدق دليل على أن من لم يتصفوا بهذه الصفات غير مؤمنين ، فالمؤمنون الصادقون هم الذين آمنوا بالله ورسوله إيمانا لا يعتريه وهم ولا يتطرق إليه شك ، إيمان كامل ينتج أعمالا صالحة كاملة ، وجهاد في سبيل هذا الإيمان مع التضحية بأعز ما علك المؤمنون من نفوس وأموال ، وإذا امتلأت نفوس المؤمنين بهذا الإيمان ارتبطت قلوبهم جميعا به حتى أصبحوا كالبنيان المرصوص ،

(البقية على صفحة ٦٧١)

من الأصول السياسية والدستورية في الإسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفي

لعل أكثر ما دفعني إلى عرض هذه الأحاديث النبوية في السياسة والإمامة هو ما قوى في بعض النفوس من أن الإسلام خال من الأصول الدستورية والسياسية .

وقد دعم بعض القائلين رأيهم في ذلك بحجج عديدة . أهمها أن الآيات القرآنية جاءت عامة مجردة حتى أنها لا تفيد حكما محدداً قابلا للتطبيق . وأنه لذلك لا يعتبر القرآن — في زعمهم — مصدراً كافيا تشتق منه الأحكام السياسية والدستورية . وقالوا إن ما ورد عن النبي ﷺ لا يطبق بعده ! هكذا ؟ واستندوا استناداً خاطئا لما فهموه من أقوال الإمام القرافى الصنهاجى في الفرق السادس والثلاثين (ارجع اليه مضامن التطويل) مع أن أقوال الإمام تشهد بعكس مفهومهم . وأدى إنكارهم للمصدرين الرئيسيين إلى إنكار مصادر الاجتهاد في هذا الشأن .

ومن الغريب أن هذه الدعوى الباطلة وجدت سبيلها إلى كثير من النفوس .

ولم أجد خيراً من أن أرد عليها بتقديم طائفة من أحاديث السياسة والإمامة مستقاة من صحيح البخارى .

وإنى أقصد أيضا — في الوقت نفسه — من ذلك ، تقديم نصوص مختارة لتكون تحت بصر العاملين المجدين المجتهدين ممن يدأبون بجهد ومثابرة على الدراسات الإسلامية النافعة في هذا الزمان .

ومن المعلوم أن ديننا يقوم على النصوص ولا سبيل للسلوك في ساحته إلا عن طريق التعريف بالنصوص ونشرها وشهرها .

وكثير من النصوص ليست متداولة وبعضها كثر تداوله وتناقله وترديده حتى انحصر فيه البحث وخيل الناس أنه لا جديد بعده ، وليس وراءه غيره .

فمن شأن تقديم هذه الطائفة الجديدة توسيع نطاق الاستناد والاستشهاد .

وهذه الأحاديث مقدمة بلا ترتيب متعمد ، فإن ترتيبها وحده عمل ضخم . . كما أنني اقتصرت فيها على عمدة الأحاديث الصحيحة وهو صحيح البخارى بصفة مبدئية ففيه ضمان لعلو الصحة .

والله الموفق للخير .

السياسة الشرعية . أساسها وأنواعها ومنشاها .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء . كلما هلك نبي خلفه نبي . وأنه لا نبي بعدى وسيكون خلفاء فيكثرون » .

قالوا : فما تأمرنا ؟

قال : « فوا ببيعة الأول فالأول ، اعطوهم حقهم ، فإن الله سائلهم عما استرعاهم » [1] .

الفوائد :

يبين لنا هذا الحديث الشريف أساس السياسة الشرعية ومنشاها ، فقد سارت النظريات السياسية زمنا طويلا في الدول الغربية تتخبط في مسالك الوقيعة والدسيسة والمصلحة الشخصية للحاكم وتبرير الغاية للواسطة مما جعلها لا تخلص — حتى في أرق تطوراتها — من المعايب .

أما الإسلام فقد عرف من البداية أن السياسة هي استصلاح الناس بإرشادهم إلى الطريق المنجى في الدنيا والآخرة .

[1] (صحيح البخاري كتاب الأنبياء — باب ما ذكر عن بني إسرائيل طبعة دار الشعب الجزء الرابع صفحة ٢٠٦) .

وقال في البحر الرائق : عرفت السياسة بأنها القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الأموال .

فهي تقوم على تحرى مصلحة الناس واستهداف صالحهم المطلق وقصد خيرهم . وفي ذلك قامت أصول شرعية عتيدة منها أن الولاية العامة مقيدة بما فيه مصلحة الرعية وأن تصرفات الإمام مقيدة بما هو نظر لصالح المسلمين وغير ذلك يجعل السلطة مقيدة بأصول الشريعة ومقاصدها .

ومن المقرر أن جميع الأوضاع الإسلامية مقيدة بالشريعة الإسلامية فالشارع هو الذي ينشىء الأوضاع ويحددها وكل العلاقات الإسلامية سواء كانت بين السلطة والرعية أو كانت بين الناس وبعضهم ، حتى الشروط التعاقدية والحقوق الخاصة والملكية ، كل ذلك نابع من الشرع ومقيد به . فالأحكام كلها تستق من الكتاب والسنة بطريق الاجتهاد وليس لأحد تقدير ولا نظر إلا في أن يستعمل اختصاصه طبقا لمقاصد الشريعة وللصالح التي ترعاها .

وقد بين الحديث هنا أن سياسة أنبياء بني إسرائيل كان يتوجه بها الأنبياء ولو أنهم عصوهم وقتلوهم وأنها في أمتنا هي سياسة

خلفاء النبوة . وهى أرقى أنواع السياسة وسماها العلماء بالسياسة المطلقة .

وقد قسموا السياسة إلى أقسام :

سياسة مطلقة : وهى سياسة الأنبياء . فقال فى كليات أبى البقاء ما حاصله أن السياسة المطلقة هى إصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجى العاجل والآجل للخاصة والعامة فى ظواهرهم وبواطنهم ، وهى إنما تكون من الأنبياء وقال سميت المطلقة لأنها فى جميع الخلق وجميع الأحوال بلا تفريط ولا إفراط .

وسياسة مدنية : وهى سياسة السلاطين والأمراء . قال : وهى تكون فى ظواهر الناس وفى عاجل أمرهم وتقوم على إصلاح معاملتهم لأن الإمام يطبق الشريعة بجميع مقاصدها وهى ليست قاصرة على ظاهر الأمر وعاجله ونظن أن من عرف ذلك راعى ما آل إليه السلاطين والأمراء من الظلم فى العصور المتأخرة ، فلم يجد أن يمكنهم من الدخول إلى بواطن أمور الناس وشئون آخرتهم .

وسياسة نفسية : وهى سياسة العلماء وهم ورثة الأنبياء . ولما كان المفروض فى إمام المسلمين أن يكون من العلماء فى نفس الوقت فإن ذلك يؤيد ما قلناه ويكون مفهوم الحديث « سيكون خلفاء » أى يحكمون فى الناس كما يحكم ورثة الأنبياء فهم سلاطين علماء .

وإننا إذا قارناهذه النظريات الإسلامية الراقية نجد أن العلم الحديث لم يتوصل إليها إلا فى مبادىء هذا القرن ولكنها لم تنضبط بالتطبيق السليم لأنه ليس لدى علماء القانون الحديث مثلا عقيدة مجسدة تسيطر على الأوضاع وتحددها كما هو الشأن لدينا بفضل الله علينا بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وأما تبنى السياسة الإسلامية فهو التكليف والمسئولية . دل عليه قوله ﷺ فى الحديث « فإن الله سائلهم عما استرعاهم » وأحسب أن هذا موضوعا مستقلا يؤول إلى قوله ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

كما نبق سائر ما عرض له الحديث فى موضعه إن شاء الله تعالى .

(التفرقة بين ما هو نذر للإمام وما ليس كذلك . كيف تطرح للسائل العامة للشورى وأخذ الرأى . جواز النيابة الشعبية وأسا سها) .

عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة :

أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين ، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله ﷺ : « أحب الحديث إلى أصدقه ؛ فاختاروا إحدى الطائفتين ؛ إما السبي وإما المال » ...

قالوا : فإنا نختار سبينا .

فقام رسول الله ﷺ في المسلمين ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد ، فإن إخوانكم هؤلاء جاءونا تائبين . وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم . فمن أحب منكم أن يطيب بذلك ، فليفعل . ومن أحب منكم أن يكون على حظه ، حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل » .

فقال الناس : قد طيبنا ذلك لرسول الله ﷺ لهم .

فقال رسول الله ﷺ : « إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفعوا إلينا عرفاؤكم أمركم »

فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم .

ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ ، فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا [1] .

الفوائد :

يتضح من هذا الحديث التفرقة بين ما هو نظر للإمام وما ليس كذلك .

فمن الأعمال ما يختص به الإمام وحده فلا معقب عليه ، وهي نظر له وحده ، ومن الأعمال ما تتطلب موافقة الناس ومشاورتهم .

فإن النبي ﷺ رأى بنظره أن المصلحة تقتضي مصالحة هوازن بعد أن هزمهم ، واستجابته إلى مرضاتهم حتى يتألفهم ويقرب نفوسهم إلى الإسلام .

ولذلك فقد اتفق معهم برأيه على أن يرد إليهم سبيهم ، ولا رجوع في ذلك بعد أن اتفق عليه معهم .

وهذا النوع من العمل ، الذي يتعلق بسياسة الدولة في الحرب والصلح ونحوها ، هو مما يسمى الآن بأعمال السيادة أو أعمال الحكم ، وهي التدابير التي تتخذ في سياسة الدولة وأمنها الداخلي والخارجي .

---

[١] صحيح البخاري كتاب الوكالة ـ باب إذا وهب شيئا لوكيل أو شفيع قوم جاز ـ نسخة مطابع الشعب جزء ٣ صفحة ١٣٠ . وكتاب الخمس باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين ـ نسخة مطابع الشعب جزء ٤ صفحة ١٠٨ .

وهذه الأعمال تختص بها السلطة العليا في الدولة المتولية لتدابيرها السياسية، وتخضع لتقديرها.

ولا مانع من أن تستأنس فيها برأى الجماعة أو تستشير كما حدث في غزوات ومناسبات كثيرة، ولكن لا مانع أيضا أن يستأثر فيها وينفرد، وكما حدث في الحديبية مثلا.

وفي هذه الخصوصية قال النبي ﷺ للناس حين قام فيهم: «وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم».

أي قرر ذلك وبت فيه وهو غير مطروح للرأى ولا معروض على الناس.

وإنما لا يجوز أن يؤدى استعمال حق السيادة إلى الافتيات على حقوق الأفراد المالية.

فهذه منطقة خاصة يحتفظ بها للأفراد إلا إذا نزلوا عنها برضاهم.

ومن المقرر أيضا في القانون الحديث تعويض الأفراد عن الأضرار التي تصيب ذممهم الخاصة بسبب تصرفات الدولة في نطاق السيادة فإذا أدى ذلك إلى ضرر في أموالهم أو عقودهم وجب تعويضهم في ذلك.

وهنا نجد أن الحديث يعرض على الناس مبدأ التعويض بسبب عمل في مجال السيادة.

قال رسول الله ﷺ: «ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفىء الله علينا فليفعل».

(٢) كذلك يوضح لنا هذا الحديث بصورة عملية كيف تطرح المسائل العامة للشورى ونحوها وكيف يؤخذ الرأى عليها وجواز النيابة في ذلك.

وأن هذا الموقف يذكرنا بصور الديمقراطية المباشرة في عهودها القديمة في المجتمع الأثيني ونحوه، فكانت المدينة تجتمع وتطرح عليها المسائل ثم يؤخذ الرأى عليها.

وهنا، نجد المسألة طرحت بصورة مباشرة على أصحاب الشأن وهم الجند الذين حضروا الموقعة. وقد عرف في التاريخ أنهم كانوا حول العشرة آلاف، فاجتمعوا وأولى لهم النبي ﷺ بالمسألة وعرضها لهم، وطلب رأيهم فيها.

فلما أبدوا رأيهم بصورة مجملة، طلب منهم أن يكون ذلك بصورة دقيقة منظمة.

فقال لهم: إنا لا ندرى من أذن منكم

فى ذلك ممن لم يأذن فرجعوا حتى رفعوا إلينا عرفاؤكم أمركم ».

فتباحث الناس أمرهم فى ذلك مع عرفائهم ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم طابت نفوسهم فيه وأذنوا .

وهذه الواقعة تصلح أساساً لكثير من أحكام النيابة الشعبية والتمثيل الشعبى فى المسائل الدستورية الحديثة ولكن مع التوفيق والتحرى من نواح عديدة .

فمن ناحية فإن العرفاء المذكورين هم ناس معروفون بكيانهم الخاص ومكانتهم الشخصية فيمن نابوا عنهم . فهم مثلا ناس معروفون فى قومهم ونسبهم وأصولهم وخلقهم وسمعتهم وشأنهم فى ذلك مثلا شأن النقباء ليلة العقبة من وجوه الانصار واشرافهم . فهذا نوع من المكانة الخاصة الشخصية تختلف كثيرا عن العلاقات النيابية الحديثة .

ومن ناحية أخرى هناك شك فى أنه يجوز الانتخاب بترشيح الانسان نفسه . لأن القاعدة عندنا أن هذا الأمر لا يسند لمن يطلبه . وإنما كان هؤلاء العرفاء ممثلين لمن نابوا عنهم بحكم مكانتهم الأصيلة فيهم .

فأساس النيابة الشعبية هنا هو علاقة تقوم على الاعتبار الذاتى والإغضاء بين المريض ومن ينوب عنهم . وهى علاقة وثيقة أصيلة تقوم على التعارف الحقيق ، ولا تتطرق اليها المثالب التى تسمح بها النظم الموضوعية الحديثة .

وإنما نحن هنا نعرض فقط ، ولا نجتهد فللاجتهاد أربابه . والله الموفق للخير .؟

د : مصطفى كمال وصفى

(بقية المنشور على ص ٦٦٥)

والجسد الواحد ، وقامت أخوة الإيمان بينهم مقام روابط الدم «إنما المؤمنون إخوة» .

قال ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » هذا هو الإيمان ، وهو ما هتف به الصوفية ، وجاهدوا فى سبيله ضحوا فيه بكل ما تفيض به الحياة من متع ولذات ، قال أبو القاسم البغدادى : « الإيمان هو الذى يجمعك إلى الله ويجمعك بالله .... » .

أما التقوى فوعدنا بالحديث عنها للمقال التالى إن شاء الله .؟

على عبد العظيم

قضية بنت الأخ والعمة وبنت العم في الميراث

للأستاذ كمال عون

— ٢ —

توريث ذوى الأرحام :

ونبدأ بالكلام عن الرأى القائل بتوريث ذوى الأرحام ، وإلحاق النسوة الثلاث بهم ونبادر إلى القول بأن توريث ذوى الأرحام بأدلته التى اعتمد عليها الأئمة القائلون به من الكتاب والسنة يرد على من حرم أولئك النسوة الثلاث من الميراث ، وأهدر قرابتهن ، فيثبت حقهن فى ولاية أقربائهن ، وحظهن فيما تركوا من المال على حسب درجتهن فى القرابة .

* * *

وأحب أن أسجل هنا هذه النقاط الهامة من آراء المثبتين ، ومنهجهم فى التوريث .

١ — يرث ذوو الأرحام إن لم يكن أحد من الوارثين بالفرض أو التعصيب — وذوو الأرحام اصطلاحا هم أقارب الأم ذكورا وإناثا ، ألحق بهم من قرابات الأب النسوة الثلاث ومن يليهن من النساء .

٢ — من انفرد من ذوى الأرحام أخذ المال كله سواء أكان ذكرا أو أنثى ، وذلك فى قول جميع من ورثهم على ماحكاه صاحب المغنى ج ٦ ص ٢٣٣ .

٣ — إذا كانوا أكثر من واحد : قال بعضهم : يشتركون جميعا فى الميراث قريبهم وبعيدهم ، إذ لا نص فى أنصبتهم وقد اشتركوا فى القرابة ، كما يتساوى ذكرهم وأنثاهم فى مقدار نصيبه قياسا على ميراث الأخوة لأم ، وهم متساوون بنص القرآن الكريم فى قوله تعالى : « فهم شركاء فى الثلث » .

ورأى غيرهم ترتيب القرابات فبعضها أولى من بعض ، كما رأى سريان القاعدة الغالبة فى التوريث للذكر مثل حظ الأنثيين إذا تساويا فى جهة الاستحقاق ، على ما هو الشأن فى أصحاب الفروض والعصبة .

وبالرأى الأخير أخذ قانون للواريث فى الجمهورية العربية المتحدة .

٤ — تحديد المستحقين :

فى تحديد من يستحق الميراث من ذوى الأرحام — حسب الرأى الأخير — طريقتان : طريقة القرابة وطريقة التنزيل .

(ا) فطريقة القرابة وهى مذهب أبى حنيفة ومن تابعه مؤداها أنهم قسموا القرابة على أصناف كأولاد البنات، وبنات الإخوة وأولاد الأخوات .. الخ . وأن من كان أقرب إلى الميت من أى ناحية كان أحق بالميراث من سواه، فقد يحرم الرجل القريب لوجود أنثى أقرب منه كما فى خالة شقيقة وخال لأب، ترث الشقيقة المال كله وتحجب الذى للأب، وكما ترث بنت بنت دون ابن بنت بنت.

جاء فى كتاب الاختيار شرح المختار (حنفى) (جـ ٣ ص ٧٢٤) بعد أن حكى الخلاف فى توريث ذوى الأرحام واستدل عليه قوله: «والأقرب يحجب الأبعد كالعصبات، حتى من هو أقرب للميت من أى صنف كان فهو أولى به».

ومثله فى كتاب رد المحتار على الدر المختار بحاشية ابن عابدين (جـ ٥ ص ٦٩٨).

• • •

(ب) وطريقة التنزيل: وعليها الإمام أحمد ومن تابعه — هى أن يجعل من أدلى بوارث وإن بعد بمنزلة ذلك الوارث فيأخذ نصيبه.

جاء فى كتاب (الروض المربع) للامام منصور بن يونس البهوتى الحنبلى (جـ ٢ ص ٣٣) ما يلى:

«باب ذوى الأرحام — وهم كل قريب ليس بذى فرض ولا عصبة، يرثون بالتنزيل أى بتنزيلهم منزلة من أدلوا به، الذكر والأنثى منهم سواء، لأنهم يرثون بالرحم المجرد فاستوى ذكرهم وأنثاهم كولد الأم فولد البنات، وولد بنات البنين وولد الأخوات مطلقا كأمهاتهم، وبنات الأخوة مطلقا كآبائهم، وبنات الأعمام لأبوين أو لأب كآبائهن، وبنات بنيهم أى بنى الأخوة أو بنى الأعمام كآبائهن».

ويقول ابن قدامة فى المغنى (جـ ٦ ص ٢٣١ «مذهب أبى عبد الله (أحمد بن حنبل) فى توريث ذوى الأرحام مذهب أهل التنزيل وهو أن ينزل كل واحد منهم منزلة من يمت به من الورثة، فيجعل له نصيبه، فإن بعدوا نزلوا درجة درجة إلى أن يصلوا من يمتون به فما حصل لكل وارث جعل لمن يمت به (أى ما يكون للأصل يجعل لفرعه) فإن بقى من سهام المسألة شىء رد عليهم على قدر سهامهم» قال وهذا قول علقمة ومسروق والشعبى .. وسائر من ورثهم غير أهل القرابة».

من أمثلة التنزيل :

ثم قال ابن قدامة بعد ماسبق : « وقد روى عن على وعبدالله رضى الله عنهما أنهما نزلا بنت البنت منزلة البنت ، وبنت الأخ منزلة الأخ ، وبنت الأخت منزلة الأخت ، والعمة منزلة الأب ، والخالة منزلة الأم » ثم حكى فى منزلة العمة آراء غير ماسبق ، من تنزيلها منزلة العم ، أو الجد أو الجدة وقال : « وإنما صار هذا الخلاف فى العمة لأنها أدلت بأربعة جهات وارثات : فالأب والعم أخواها ، والجد والجدة أبواها » وحكى رأيا آخر فى الخالة بتنزيلها منزلة الجدة لأن الجدة أمها ، ثم قال : والصحيح من ذلك تنزيل العمة أبا والخالة أما لوجوه ثلاثة :

أحدها : ماروى الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (العمة بمنزلة الأب إذا لم يكن بينهما أب ، والخالة بمنزلة الأم إذا لم يكن بينهما أم) ، ورواه الإمام أحمد .

الثانى : أنه قول عمر وعلى وعبد الله فى الصحيح عنهم ولا مخالف لهم فى الصحابة .

الثالث : أن الأب أقوى جهات العمة ، والأم أقوى جهات الخالة ، فتعين تنزيلهما بهما دون غيرهما ، كبنت الأخ وبنت العم فإنهما ينزلان منزلة أبويهما دون أخويهما ولأنه إذا اجتمع لها قرابات ولم يمكن توريثهما بجميعها ورثنا بأقواها .

● ● ●

هـذا ـ ومما هو بسبيل ما نحن فيه ، عديد من مسائل الميراث أوردها ابن قدامة فى فصوله الضافية وتفصيلاته الكثيرة من كتابه المغنى فى باب توريث ذوى الأرحام ، وفى هذه المسائل ترث بنت الأخ مع غيرها من ذوات الأرحام ميراث العصبة مما يشعر بوضعها الخاص ، وهـو شعور صحيح ، وإحساس فطرى سليم ، كذلك ترث العمة فى بعضها ميراث العصبة فتحجب الأبعد ، ويحجبها الأقرب .

جاء (فى ص ٢٣٣ جـ٦) تحت عنوان مسائل ما يلى :

١ — من ذلك بنت بنت وبنت بنت ابن ، المال بينهما على أربعة ـ فإن كان معهما بنت أخ فالباقى لها وتصح من ستة .

٢ — فإن كان معهما خالة فلبنت البنت النصف ولبنت بنت الابن السدس تكملة الثلثين ، وللخالة السدس (بمنزلة الأم) والباقى لبنت الأخ .

٣ — فإن كان مع الخالة عمة حجبت بنت الأخ وأخذت الباقى ، لأن العمة كالأب

فتسقط من هو بمنزلة الأخ ، ومن نزلها عما جعل الباقى لبنت الأخ وأسقط العمة ، ومن نزلها جدا قاسم بنت الأخ الثلث الباقى بينهما نصفين ، ومن نزلها جدة جعل لها السدس ولبنت الأخ الباقى .

وفى ص ٢٤٥ جـ ٦ قال المصنف (الخرق) « إذا كن ثلاث بنات إخوة متفرقين (لأم ـ ولأب ـ ولأبوين) فلبنت الأخ من الأم السدس ، والباقى لبنت الأخ من الأب والأم » ، وساق ابن قدامة فى شرحه على المصنف عدة مسائل متنوعة على هذا النحو وفيها بنت الأخ لأم تنزل منزلته فتأخذ السدس الذى يأخذه فرضا ، وبنت الأخ الشقيق تأخذ الباقى نصيب أبيها وتحجب بنت الأخ لأب .

* * *

كما نرى فى عدد من المسائل نصيب الأنثى أكثر من نصيب الذكر لأنها تأخذ مايكون لمن أدلت به ، كذلك نرى العمة أقوى جانبا من الخال والخالة ، يستبين ذلك جليا ويتردد مرارا فى تقريرات القائلين بتوريث ذوى الأرحام :

جاء فى كتاب الاختيار شرح المختار ، وهو مما يدرس الطلاب الأحناف بالقسم الثانوى من الأزهر ما يلى ص ٢٢٩ جـ ٣ « وإن اجتمع الجنسان : العمومة والخئولة فالثلثان لجانب العمومة والثلث لجانب الخئولة كيف كانوا فى العدد والذكورة والأنوثة . مثاله : عمة وعشرة أخوال ، فلعمة الثلثان وللأخوال الثلث ـ عمة وخال أو خالة : فلعمة الثلثان وللخال أو أو الخالة الثلث » .

ثم قال : « والقياس ألا يكون للخال والخالة شىء لأن قرابة الأب أقوى ، كما لا شىء للعمة لأم مع العمة لأب » .

* * *

كذلك نرى بنت العم ، بل بنت ابن العم أقوى جانبا من الخالة . قال صاحب المغنى ص ٢٣٤ : « ونقل عنه (يعنى الإمام أحمد) جماعة من أصحابه فى خالة وبنت خالة وبنت ابن عم . فللخالة الثلث ، ولابنة ابن العم الثلثان ولا تعطى بنت الخالة شيئا » كما روى على أثره ما نقله عنه ولده حنبل من تصويب رأى سفيان الثورى فى مسألة عماثلة بمثل ما قرره الإمام أحمد .

وفى (ص ٢٣٥) مسائل مما نحن فيه ومنها :

١ ـ بنت بنت بنت وبنت أخ : المال

بينهما ، ومن ورث الأقرب جعله لبنت الأخ لأنها أسبق ، وقول أهل القرابة هو للأولى وحدها لأنها من ولد الميت وهى أقرب من الثانية .

٢ — ابن خال وبنت عم ثلث وثلثان (أى على الترتيب) ومن ورث الأسبق جعله لبنت العم وإن كان معهما بنت عمة فلا شىء لها لأن بنت العم أسبق إلى الوارث منهما .. وإن كان معهم عمة سقطت بنت العم لأن العمة بمنزلة الأب وبنت العم بمنزلة العم .

٣ — بنت أخ وبنت عم : المال لبنت الأخ .

ولو ذهبنا نستقصى ولو ما فى كتاب واحد من تلك الموسوعات الفقهية الرائعة لطال بنا المقام ، وفيما سلف كفاية إن شاء الله تعالى .

وإلى هنا يمكن أن نأخذ النتائج التالية :

أولا : إن التوريث فى غير المنصوص عليهم بتحديد أنصبتهم اجتهاد يستضاء فيه بما قررته النصوص .

ثانيا : إن النصوص المتنوعة بين الكتاب مجملا ومفصلا ، والسنة مجملة ومفصلة ، كانت مناط استنباطات متفاوتة ، فكل مجتهد أخذ منها بحظه المقسوم له من الفهم الذى منحه الله إياه فى كتابه ، وسنة نبيه ﷺ .

ثالثا : وأن هذه الاستنباطات المتفاوتة قد تكون أحيانا على طرفى النفى والإثبات كما هو الحال فى أصل توريث ذوى الأرحام ثم فى فروعه الكثيرة عند من يقولون به .

رابعا : ثبوت الحق فى الميراث عند جمهرة العلماء — وهم المورثون لذوى الأرحام — لبنت الأخ والعمة وبنت العم .

خامسا : ولعله قمة كل ما تقدم : بروز مكان أولئك الإناث الثلاث فى كثير من التطبيقات والمسائل المحددة ، كما هو فى حقيقته من قرابات الأبوة ، ودرجات العصوبة ، حتى قامت كل واحدة منهن مقام أبيها .

وذلك الوضع أوضح وأقوى بكثير من عدهن فى قرابات الأم المعبر عن أصحابها اصطلاحا بذوى الأرحام ، بل هو الوضع الطبيعى السليم ؟

كمال أحمد عون

دور الإسلام في مشكلة التربية والثقافة

بين استقرار المبادئ وتطور العلم

للدكتور محمد غلاب

— ٤ —

رسمنا في الكلمات السالفة لوحة مبسطة بقدر المستطاع للتربية والثقافة في مراحل التعليم ، وأبنا دور أستاذ التعليم العالي والدراسات العليا ، ووضحنا وجوب التفريق بين المصادر والمراجع الأصيلة والدخيلة ، وبقي علينا الآن أن نشير إلى التعليم الديني في مدارس الدولة وتدرجاته على السلم الطبيعي الذي ينبغي صعود النشء عليه . ونحن نبادر هنا فنقرر أن هذا التعليم الديني هو الوسيلة المثلى للاحتفاظ بجدية الشباب ورجولته ومقدرته على المقاومة والجلاد والكفاح وبالتالي هو في مقدمة الأعمال الوطنية الرئيسية وهو فوق ذلك أساس الوحدة التي هي الهدف الأعظم للنظام الحاضر كله .

لذا يجب أن يمتزج الدين بكل أفكار الإنسان وأعماله في هذه الحياة ، لأن موضوع الأخلاق هو دراسة علائق بني الإنسان بعضهم ببعض ، ولا يمكن أن ينظم هذه العلائق تنظيما محكما غير البارى الأعلى في قانونه الخالد وهو الدين ولأن واجب الإنسان نحو أسرته ومواطنيه ، ونحو أفراد الإنسانية جميعا متجنس من من منبع واحد ، وهو واجب الإنسان نحو ربه « من اتقى الله اتقى الناس » .

والواقع المحسوس الذي نشاهده كل آن في الحياة العملية هو أن الإنسان ضعيف عاجز أمام أهوائه وشهواته وغرائزه الحيوانية وأنه في أشد الحاجة إلى معونة صوت الإيمان ليقوده في هذه الظلمة المخيفة التي تحوطه من كل جانب وهذا أمر طبيعي لا غرابة فيه ، إذ من ذا الذي يستطيع أن يقود الوجدان البشري إلا تلك القوة العليا التي تحيط بكل شيء ، ثم أي جزاء هو أكثر رهبة في نظر الروح الخالدة من جزاء الله الأبدي التي سيلتقي بها

فى حياة طويلة لا يدرك مداها ، ولا يعرف منتهاها ، وأى عزاء يسلى من أحزان الحياة وآلامها أعلى من التفكير فى عدالة الله التى ستوفى الصابرين أجرهم بغير حساب.

هذا كله بالنسبة إلى أثر الدين على الفرد وأما أثره على الجماعات ، فهو لا يقل أهمية عما تقدم ، إذ من ذا الذى يستطيع أن يفهمنا احترام الأنظمة المقررة ، ومعنى التضحية الأسرية ، والإذعان للسلطة الشرعية ويعودنا الصبر على المكاره ، واحتمال الآلام ، وتخفيف وقع منظر الفروق الهائلة بين شقائنا وسعادة غيرنا على نفوسنا أكثر من الدين .

وفى الحق أن الحكومة التى تشعر بأن عليها واجبا تؤديه لأفراد الشعب لا تستطيع أن تؤسس تعاليمها الأخلاقية منفصلة عن الدين ، بل يجب عليها أن تشركه فى تأسيس هذه الأخلاق إن لم تعتمد عليه اعتماداً كليا ، وأن تفسح له مكانا لائقا فى مدارسها ومعاهدها ومنتدياتها ، ليستطيع أن يؤدى مهمته فى تهذيب النفوس كما ينبغى لأننا جميعاً نعمل على صيانة القوانين الوضعية ، ونسهر على احترامها وحفظها من عبث العابثين ، بل أنها تصل من نفوسنا أحيانا إلى مرتبة الإجلال والتقديس ، فإذا دوت فى المكان هذه الجملة « باسم القانون أفعل كذا » .

عند ذلك تخفق القلوب ، وتهلع النفوس ، وتنحنى الرءوس ، وتسود المجلس الرهبة ويخيم السكوت .

ولا ريب أننا لم نخلع على القانون هذه القداسة إلا لأنه يقر الأمن ، ويصون الحقوق ، وينشر السلام والاطمئنان ، ولكن من يدقق النظر فى أحوال الأمم وظواهرها الاجتماعية ، وخصائصها النفسية يتضح له تمام الاتضاح أن للممتنعين عن الجرائم ، منهم عشرة فى المائة متأثرون بالأخلاق الحرة فى ذاتها ، وعشرون يخشون القانون ، وسبعون يتجنبون الرذائل اتقاء الله وخوفا من عقابه الذى هم موقنون بأنه أشد وأقسى وأطول مدى من عقوبات القوانين الوضعية ، فإذا كان الدين قد نال من النفوس البشرية هذا المنال الذى لم يفز القانون بثمنه ولا بثلثه ، فإنه يجب علينا كمواطنين مخلصين لبلادنا ، راغبين فى صلاح أحوالنا الاجتماعية أن ننمى فى نفوس الجماهير هذه العقيدة النبيلة ما دام لها على أخلاقهم هذا الأثر الجليل .

ومن أهم وسائل تنمية الدين فى النفوس دراسته فى مدارس الدولة على اختلاف أنواعها ، وفى جميع مراحل التعليم فيها ، دراسة تتلاءم مع تطور عقول الشباب وتتوافق مع نشوء أفكارهم ورقيها .

فإذا درس الشباب الدين على النحو المؤسس على التعقل والتفكير ، ونشأ على احترامه وتقديسه ، كان له على أخلاقه العملية أثر لا يجحد ، غير أننا مع ذلك كله نشاهد أن بعض مفكرى أوروبا المحدثين يرفعون الصوت عاليا بوجوب فصل الأخلاق عن الدين ، وينتحلون لذلك أعذارا سنذكر هنا أهمها وأجدرها بالعناية ، ثم نرد عليها بما يدحضها فى نظر المنطق الصحيح .

١ — أن كثيراً من الدول تعتنق كل واحدة منها ديانات مختلفة ، وأن نشر أخلاق دين من الأديان وإهمال أخلاق الأديان الأخرى يعد خنقا لحرية معتنق تلك الأديان للهمة .

ونحن من جانبنا نرى أن هذا الاعتراض واه من أساسه ، لأن الديانات على اختلاف ألوانها وطقوسها لا تتعارض مع الفضائل الجوهرية البتة ، ولا تختلف فيما بينها بإزاء هذه الفضائل ، فإذا نشرنا أخلاق الإسلام مثلا فى مصر ، فإننا لا نرتاب أقل ارتياب فى أن للمسيحيين المخلصين لدينهم سيستريحون لهذه الأخلاق الإسلامية كل الاستراحة ، وسيجدون فيها أنواع السعادة الاجتماعية على أن هؤلاء المعترضين يجزمون بأن الأخلاق الحرة لا تنال الاحترام إلا إذا كانت تتسع لإرضاء المواطنين جميعا . وهى بالطبع لا يمكن أن ترضى المؤمنين جميعا على اختلاف أديانهم إلا إذا كانت تلتقى مع هذه الديانات كلها عند نقطة خاصة . وهذا هو عين ما ندعيه من أن جميع الديانات متفقة فى الفضائل الأساسية ، وإذن فلا معنى للتخوف من أن نشر أخلاق دين بعينه يعدو على حرية الدين لا يعتنقونه .

٢ — أن المشاهد أن بعض الحكومات لا دينية كجمهورية فرنسا مثلا ، وأنه يكون من التناقض أن تربط هذه الدول (اللادينية) الأخلاق بالدين بعد أن فصلت عنه قوانينها وتشريعاتها وسياستها .

ويمكن أن يجاب على هذا الاعتراض بأن القياس هنا مع الفارق ، لأن القوانين المدنية والدساتير السياسية يمكن أن تتبع

العصور المختلفة والأمزجة المتباينة ، أما القوانين الأخلاقية فيجب أن تكون ثابتة لا تتأثر بزمان ولا بمكان ، ولا ينبغي لها أن تتبع أهواء الزعماء والمشرعين اللادينيين ، وإلا كانت بشرية متناقضة تستحسن اليوم ما استهجنته بالأمس ، ولا ريب أن هذه الصفة تفقدها عالميتها التي هي ألزم لها من الهواء للكائنات الحية . وإذن فهذه العالمية وذلك الثبات الضروريان للقوانين الأخلاقية لا يتحققان إلا إذا كان المنبع ثابتا وخالدا . ومن أكثر ثباتا وخلودا من ملشىء الديانات ؟ .

فكل عاقل تهمه الحالة الاجتماعية العامة يرى وجوب نشر الأخلاق الدينية حتى في البلاد اللادينية ، فكيف ببلد كمصر يستمد كثيراً من قوانينه المدنية وكل تشريعات الأحوال الشخصية من الدين ؟ فضلا عن أن مبادىء الإسلام تنص على وجوب عدم فصل السياسة عن الدين .

وفوق ذلك فإن العلم يعترف في صراحة بأن أكمل الأسس الاجتماعية وأرقى الأنظمة العمرانية مدينة بحياتها للدين وحده ، لا لتلك الأخطاء المرعبة ، والسقطات المروعة التي امتلأت بها نظريات العلماء أما الدين فإنه يقرر دائما حقائق مطلقة ، وهذا الفرق كاف لسموه وجدارته بأن يكون منبعا للأخلاق .

والذي أدعى إلى الدهش والاستغراب هو أن « كانت » — وله منزلته الفلسفية في العصور الحديثة — يعلن أن فصل الدين عن الإخلاق يعد ضربا من الخطأ الخطر على الحياتين : الأخلاقية والاجتماعية معا .

فإذا كان هذا هو رأى «كانت» — وهو يعد في تاريخ الحركة العقلية الأوروبية مدرسة بتمامها — ورأى الأكثرية المحترمة من الفلاسفة الروحيين والعقليين ، فما بالنا نرى بعض المعاصرين الذين يعالجون هذه الموضوعات يتنكبون السبل السوية ويتيهون في مهامه التقليد والانقياد وراء هذه الشرذمة المادية من فلاسفة أوروبا الذين حطمتهم أدلة الروحيين ، وصيرت مذاهبهم خرائب وأطلالا .

يرى أحد المربين أن الواجب في دراسة الدين في المدارس هو الاقتصار على ذكر مافي الدين من أخلاق وفضائل دون تعرض إلى دراسة الدين نفسه ، ولا إلى تحليل

نظرياته الجدلية التى لا يعود منها على الطالب إلا إثقال كاهله، وكد رأسه، وإنهاك عقله فيما لا يفيده، بل يئد قواه، ويقتل ملكاته، ثم يستمر فى نقده فيقول : إذ ماذا يستفيد الطفل من معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلية ؟ إلى آخر ما قال.

ونحن نرى بديا أن عبارته الأخيرة الساخرة المتهكمة : « أسماء الله الحسنى وصفاته العلية » تستحق الرثاء لعقليته كما تستوجب الاستهانة والاستخفاف بشخصيته.

أما رأيه فهو بعيد عن التعمق والدقة كل البعد، ولو عملنا به لأتى شبابنا من الأخلاق الدينية خالى الوفاض، صفر الأيدى، ولسرنا جميعا نحو الفشل بخطوات واسعة، لأننا لا نرى أدعى إلى السخرية ولا أبعث على الاستهزاء من شخص يتبع أخلاق دين، وينسج على منوال فضائله الظاهرية وهو يجهل أصوله ومبادئه كل الجهل، لأن هذا الدين يتهدم من رأسه، ويزول الاعتقاد به من ذهنه عند أول عاصفة شك أو إلحاد تهب على هذا الذهن الذى لم يتحصن بمعرفة هذا الدين، ولم يدعم إيمانه بالأدلة والبراهين ومتى زال من قلبه الإيمان، انمحت من نفسه تلك القداسة العليا التى كانت تقوده إلى الإذعان لما جاء فى هذا الدين من فضائل وأخلاق. وليس لهذا كله من سبب إلا الجهل بأسس الدين ومبادئه، ذلك الجهل الذى يدعو إليه هذا للعربى المعاصر وأمثاله.

وإنى لمستأنس هنا برأى أحد كبار المستشرقين الفرنسيين وهو الأستاذ (ديزيريه بلانشيه) مؤلف كتاب (فى الدراسات الدينية) إذ قال حين عرض للإسلام ما يلى :

« ينبغى أن نذكر أن الدين الإسلامى مخالف كل المخالفة لهذه الأبراج المتشامخة التى تسقط من ضربة واحدة، لأن فيه قوة كامنة وصلابة ومتانة تجعله قادراً على المقاومة قدرة تامة.. وإنى أعتقد أن الشرق إذا تغلب على جموده الراهن وتخلص منه فإن الإسلام لن يضع أية عقبة جدية فى سبيل التفكير الحديث ».

ويجب على المربين والأساتذة أن ينبهوا الشباب منذ مبدأ مرحلة التعقل إلى أن القرآن هو روح الإسلام الذى شع ولا يزال يشع فيه الكينونة والوجود، وهو قلبه الذى ينبض بالحياة، وعقله الذى به يفكر

ويتأمل ، والذى ضمن له ذلك الامتياز على جميع ما عرفته البشرية من أديان ، والذى أفاض عليه تلك المبادىء السامية الخالدة التى صيرته عاما أو دوليا على حد تعبير بعض أدعياء المستشرقين من زعمائهم المخلصين للعلم ـ أستغفر الله ـ بل فطريا يشتمل على كل خير الإنسانية وعوامل رقيها وتقدمها ، محتويا على جميع عناصر الصلاحية لكل زمان ومكان .

وفى وصفه يقول المستشرق الكبير الأستاذ (ماسينيون) مايلى : إن القرآن هو نظام عالمى واقعى موحى،فهو ينظم تطبيق كل حادثة من أحداث الوجود وشرحها وتقديرها وهو بالنسبة إلى جميع المؤمنين بمثابة ذاكرة قد أعدت أتم الإعداد أو مذكرة إحصائية للمفردات اللغوية أو قاموس من لا قاموس له وهو بالنسبة إلى كثيرين أيضا كتاب التعريفات المضمونة والقابلة للتطبيق دائما، والتى تتيح التمرين المتأمل ، إنه رفقة أبدية للإرادة البشرية ، ومجموعة من العظات للأفعال العملية ، وللتأملات الباطنية التى تركز الانتباه فى البراهين على المجد الأعلى بصورة لا تنقطع والقرآن هو الذى يقوم بدور تبسيط مشكلة منهج الحياة أمام المؤمنين لأن هذه المجموعة من القوانين الموجاة هى التى تغذى الذاكرة،وتحل عقال العمل دون أن يكون لذى الفكر حاجة إلى التردد وإذا كان القرآن للإسلام هو الروح والقلب والعقل كما أسلفنا ، وإذا كان الكائن الحى لا وجود له بغير هذه العوامل الأساسية الثلاثة ، بل الشطور الجوهرية لكيانه ، فإنا نحسب أنه لا يرتاب أحد من صفوة المفكرين فى أن فناء الاسلام ـ ولا قدر الله ـ ، سيتحقق فى اليوم الذى يختفت فيه صوت القرآن،لا كان ذلك اليوم المشئوم ولكن هذا التمنى الخيالى لا يكفى وحده لإنقاذ المسلمين من هذا المصير الرهيب الذى تتجه إليه بخطوات واسعة ومن آيات ذلك أن الأستاذ المستشرق لويس ماسينيون قد لمح هذا الخطر وسجله فى كتابه العظيم عن الحلاج منذ أكثر من أربعين سنة حيث ينص على أن مدارس تحفيظ القرآن قد ضعفت فى مصر ، وفى مصر فقط ، أفليس ذلك أمرا داعيا إلى الانزعاج [1] .

(١) يلاحظ أن المأسوف عليه الأستاذ ماسينون قد كتب هذا النقد الخلص فى الربع الأول من القرن العشرين وكان الاهتمام بالقرآن قد ضعف إلى حد يستوجب الرثاء .

وإذن فمن مقدمة واجبات كل مسلم مخلص، أن يساهم، ـ حسب إمكانياته ـ في العمل على إدامة إشعاع هذا النور السماوى في كل مكان واستمرار جلجلة ذلك الصوت العلوى في كل زمان، لأن القرآن يحتوى على أهداف لا يحصيها العد وغايات لا تندرج تحت الحصر ومرام ليس في إمكان العقليات البشرية أن تتغلغل إلى أعماقها أو أن تسبر أغوار فوائدها وامتيازاتها « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا»

وإذن فمهمة كل مسلم هي المساهمة العملية في إدامة هذا النور المتلألىء الذى يضيء قلوب المسلمين وعقولهم، ويحفظ عليهم عقيدتهم وإيمانهم، ويحقق لهم فوزهم وانتصارهم، ويصون لهم سموهم ورفعتهم ويديم عليهم حصانتهم ومناعتهم ويبقى لهم منزلتهم التى وصفها الله جل جلاله بقوله « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ؟

د. محمد محجوب

إلى رحمة الله

لحق بجوار ربه الأستاذ « محب الدين الخطيب » بعد حياة حافلة وعمر طويل أنفقه في الدفاع عن الإسلام، وخدمة الثقافة الإسلامية، وتبصير العالم الإسلامى بما يدبر له، ويحاك ضده من المبشرين والمستعمرين والصهيونيين، وله في هذا الصدد عدة كتب منها الغارة على العالم الإسلامى، وقد رأس تحرير هذه المجلة مدة طويلة، وترك فيها من الأثر ما يذكره قراؤها والعاملون فيها.

رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه خير ما يجزى به العلماء العاملين، والمجاهدين الصابرين، وستوافى المجلة قراءها ببحث مفصل عن حياته وجهاده.

أمير المؤمنين في الحديث

لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

— ٥ —

سفيان الزاهد العابد

من دعاء أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه : اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ، ولا تجعلها في قلوبنا ؛ ومن دعائه أيضاً : اللهم وسع على رزقي في دنياي . ولا تحجبني بها عن أخراي .

وهذا النسق من الاتصال بالدنيا هو النسق الصادق ، وعلى هذا المدى ، وهو المدى القرآني سار سفيان الثوري في زهده .

يروى بشر بن الحارث أن سفيان الثوري سئل : أيكون الرجل زاهداً ويكون له المال ؟ قال : نعم . إن كان إذا ابتلى صبر . وإذا أعطى شكر .

وأمر الزهد في الدنيا يلتبس على كثير من الناس . يظن بعضهم أنه التجرد من كل شيء . والأمر ليس كذلك عند الصوفية . ولم يكن كذلك عند الصحابة فقد كان أبو بكر رضي الله عنه صاحب تجارة وثراء وكان عثمان رضي الله عنه صاحب مال وثراء وكان ثراء عبد الرحمن بن عوف ثراء عريضاً وكانوا زهاداً أي أن المال لم يكن يستعبدهم لقد ملكوا المال ولم يملكهم المال . وكانوا متحققين بقول الله تعالى « لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » .

وكان من المظاهر الجميلة في زهدهم أن أبا بكر رضي الله عنه جاء في يوم من الأيام بماله كله متبرعاً به في سبيل الله . ولما قال له رسول الله ﷺ : ماذا أبقيت لعيالك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله .

ويأتي سيدنا عثمان بمال كثير فيضعه في حجر الرسول ﷺ متبرعاً به في سبيل الله فيسر رسول الله ﷺ بكثرته التي تدل على سماحة سيدنا عثمان والتي ستيسر أمر تجهيز الجيش ويضع صلوات الله وسلامه

عليه يده فى المال يجول بها فيه هنا وهناك ويقول : (اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض) ويجول بيده فى المال مرة أخرى ويقول : (ماعلى عثمان مافعل بعد اليوم) . ويتبرع عبدالرحمن بن عوف بقافلة ضخمة من الجمال تحمل برا وألوانا كثيرة من الملبوس والمأكول يتبرع بالجمال وبما حملت الجمال صدقة لوجه الله لا يطلب عليها من الناس جزاء ولا شكورا ، لقد كانوا أثرياء وكانوا زهادا .

ومن طريف مايروى فى ذلك ويوضحه مارواه ابن عطاء الله السكندرى عن عارف بالله من كبار الأثرياء ولكن الدنيا كانت فى يده لا فى قلبه . يقول ابن عطاء الله : وقد يكون حجاب الولى كثرة الغنى وانبساط الدنيا عليه ، وقال بعض المشايخ : كان رجل بالمغرب من الزاهدين فى الدنيا ومن أهل الجد والاجتهاد وكان عيشه مما يصيده من البحر وكان الذى يصيده يتصدق ببعضه ويتقوت ببعضه فأراد بعض أصحاب هذا الشيخ أن يسافر إلى بلد من بلاد المغرب فقال له هذا الشيخ : إذا دخلت إلى بلد كذا .. فاذهب إلى أخى فلان فاقرئه منى السلام واطلب الدعاء منه لى فإنه ولى من أولياء الله ، فقال : فسافرت حتى قدمت تلك البلدة وسألت عن ذلك الرجل فدللت على دار لا تصلح إلا للملوك . فعجبت من ذلك وطلبته فقيل لى : هو عند السلطان فازداد تعجبى فبعد ساعة وإذا هو آت فى أفخر ملبس ومركب . وكأنما هو ملك فى موكبه قال :

فازداد تعجبى أكثر من الأول . قال : فهممت بالرجوع وعدم الاجتماع به ثم قلت : لا يمكننى مخالفة الشيخ فاستأذنت فأذن لى فلما دخلت هالنى ما رأيت من العبيد والخدم والشارة الحسنة فقلت له : أخوك فلان ... يسلم عليك ؟ قال : جئت من عنده ؟ قلت : نعم . قال : إذا رجعت إليه قل : إلى كم اشتغالك بالدنيا وإلى كم إقبالك عليها . وإلى متى لا تنقطع رغبتك فيها . فقلت : هذا والله أعجب من الأول . فلما رجعت إلى الشيخ قال : اجتمعت بأخى فلان ؟ قلت : نعم وأعدت عليه ما قال . فبكى طويلا وقال : صدق أخى فلان ... هو غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها فى يده وعلى ظاهره . وأنا آخذها من يدى وعندى إليها بقايا التطلع .

ولقد كان سفيان يحث على الكسب ويدعو إلى الزهد ومن حثه على الكسب

والعمل ما حدث به مبارك أبو حماد فقال : سمعت سفيان يقول لعلى ابن الحسن فيا يوصيه :

يا أخى عليك بالكسب الطيب ، وما تكسب بيدك ، وإياك وأوساخ الناس أن تأكله أو تلبسه ، فإن الذى يأكل أوساخ الناس مثله مثل عليّة لرجل وسفلة ليس له فهو لا يزال على خوف أن يقع سقفه وتهدم عليته .

فالذى يأكل أوساخ الناس هو يتكلم بهوى ، ويتواضع للناس مخافة أن يمسكوا عنه ، ويا أخى إن تناولت من الناس شيئا قطعت لسانك وأكرمت بعض الناس وأهنت بعضهم مع ما ينزل بك يوم القيامة فإن الذى يعطيك شيئا من ماله فإنما هو وسخه ، وتصير وسخه تطهير عمله من الذنوب ، وإن أنت تناولت من الناس شيئا إن دعوك إلى منكر أجبتهم وإن الذى يأكل أوساخ الناس كالرجل له شركاء فى شىء ينبغى أن يقاسمهم ، يا أخى جوع وقليل من العبادة خير من أن تشبع من أوساخ الناس وكثير من العبادة ، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال :

« لو أن أحدكم أخذ حبلا ثم احتطب حتى يدبر[1] ظهره كان خيراً له من أن يقوم على رأس أخيه يسأله أو يرجوه » .

وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال :

(من عمل منكم حدثناه من لم يعمل اتهمناه ، وقال : يا معشر القراء ، ارفعوا رءوسكم ولا تزيدوا الخشوع على ما فى القلب ، استبقوا فى الخيرات ولا تكونوا عيالا على الناس فقد وضح الطريق) .

ويقول سفيان :

(ليس الزهد فى الدنيا بلبس الخشن ولا أكل الخشن ، إنما الزهد فى الدنيا قصر الأمل ، ويقول مرة أخرى فيما رواه وكيع : الزهد فى الدنيا قصر الأمل ، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العبا) .

ومع هذا فإن سفيان يرى تهافت الناس على الدنيا وذلتهم فى طلبها فيحاول ما استطاع أن يصرفهم عن المهانة والذلة ، وأن يبين لهم خسة هؤلاء الذين يذلون لشهواتهم ويذلون للأثرياء والأمراء والملوك .

ونحن نذكر هنا بعض ما روى عنه فى ذلك ولكن لا يعزب من ذهننا أنه لا يرى أن الزهد يتنافى مع الثراء .

---

[1] يدبر : يقرح ويضحى .

قال بشر بن الحارث ، قال سفيان لبكر العابد : (يا بكر خذ من الدنيا لبدنك ومن الآخرة لقلبك) .

وروى عبد الواحد عن سفيان قال :

إنما هو اختيار أو اختبار أو عقوبة . قال فحدثت به محمودا أوناظرته فيه فقلت له : الاختيار ينبغى أن ترضى به والاختبار ينبغى أن تصبر عليه والعقوبة ينبغى أن تتوب منها .

ومن يحيى بن يمان قال : كان الثورى يتمثل بهذا البيت :

باعوا جديدا جيلا باقيا أبدا

بدارس خلق . يابئس ما اتجروا

والدنيا فى نظر سفيان تمثلها هذه الرؤيا التى رواها إبراهيم بن سعد فقال :

سمعت سفيان الثورى يقول : أخبرنى رجل من الصالحين قال : رأيت فى منامى عجوزاً شمطاء عليها من كل حلية فقلت : من أنت ؟ فقالت : أنا الدنيا فقلت : أعوذ بالله من شرك . فقالت إن أردت أن يعيذك الله من شرى فأبغض الدنيا والدرهم .

ومن مأثوراته ما حدث به أبو مسلم المستملى قال :

« إذا زهد العبد فى الدنيا أنبت الله الحكمة فى قلبه وأطلق بها لسانه ، وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها » .

ومع كل ذلك وتمشيا مع المبدأ الإسلامى وهو أن الزهد معناه أن لا يسيطر حب الدنيا على قلب الشخص ، وأن لا تستعبد الدنيا الإنسان ، وأن الإنسان يصح أن يكون من أصحاب الثراء وهو مع ذلك زاهد لأنه يتحقق بقوله تعالى :

« لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » .

نقول : إن الثورى لم يكن متزمتاً فى مأكل ولا ملبس ؛ قال وكيع : رؤى سفيان الثورى يأكل الطباهج وقال : إنى لم أنهكم عن الأكل ولكن انظر من أين تأكل ، وارتحل وانظر على من تدخل وتكلم وانظر كيف تتكلم ، كيف أنهاكم عن الأكل ، والله سبحانه وتعالى يقول : « خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » .

وأما عبادة سفيان الثورى فيقول فيها مؤمل : ما رأيت عالما يعمل بعلمه إلا سفيان وقال أبو أسامة : ما رأيت أحدا أخوف لله تعالى من سفيان ؛ وقرأ سفيان :

« إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين » ، فخرج فارا على وجهه حتى لحقوه، واجتمعت بنو ثور على سفيان وهو شاب يناشدونه مما كان فيه من العبادة ، أى أقصر عن هذا » .

ومن العبادة الذكر والدعاء .

روى سفيان الثورى عن إسماعيل بن أبى خالد عن أبى أوفى أن النبى ﷺ أتاه رجل فقال : يارسول الله إنى لا أستطيع أن أتعلم القرآن فعلمنى ما يجزينى . قال : قل : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ؛ فقبض على يمينه فقال : هـذا لله . فما لى يا رسول الله ، قال : قـل : اللهم اغفر لى وارحمنى وتب على وارزقنى ؛ قال : وقبض على الأخرى . فقال النبى ﷺ : أما هذا فقد ملأ يديه من الخير .

وحدث محمد بن يزيد بن خنيس قال : كان سفيان الثورى يقول كثيرا :

« اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشيداً يعز فيه وليك ، ويذل فيه عدوك ، ويعمل فيه بطاعتك ورضاك » ؟

د . عبد الحليم محمود

قال الله تعالى :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين » .

صدق الله العظيم

محمد إقبال المثل الأعلى للشاعر المسلم

للدكتور محمد رجب البيومي

جعل (توماس كارليل) الشاعر بطلا فهو في كتاب الأبطال يقرنه بالهداة والمصلحين من قادة المجد وهداة البشرية، وقد اختار شكسبير ودانتي ليمثلا البطولة الشاعرة في رأيه حين واجها الدنيا بما فيهما من مثالب ونقائص فكشفا النقاب عما يتخللها من شهوات ونزوات. وفضحا النفس الإنسانية إذ تغلغلا إلى الأعماق الدفينة في أطوائها تغلغل الفاحص الدقيق ثم صورا ذلك كله فيما أخرجاه في دنيا الأدب من روائع باهرات. وقد كان توماس كارليل منصفا صادقا في أكثر آرائه، ولو أنه أدرك شاعرنا الكبير محمد إقبال ما تردد في اتخاذه نموذجا للبطولة، إذ لا أعلم في الدنيا شاعرا غيره صنع بشعره صنيع الأبطال حين أنشأ أمة بقلمه وبلسانه فأية بطولة حية أكثر وضوحا من بطولة إقبال، أما بطولاته النفسية الكثيرة فتظهر بقوة في أقواله وأفعاله على السواء!

لقد كان إقبال بطلا لا نظير له.

ولن ندرك عظمة إقبال وسمو هدفه وسرير كفاحه إلا حين نعلم حقيقة عصره ومأساة الإسلام الدامية في إبان كفاحه، لنرى أي رجل هيأته الأقدار ليصد الهجوم الآثم ويرسم الطريق السوي ثم ليقود السفينة المتأرجحة فوق عباب البغي والعدوان وبين عواصف التبشير والاحتلال حتى تصل إلى المرفأ بعد عناء مرير، قريرة العين، حميدة السرى، حسنة المآل.

يقول الدكتور يحيى الخشاب موضحا ملابسات الزمن في جهاد إقبال ومجملا بعض ما اصطرع في مفتتح حياته من نقاش متذبذب حول الغايات والأهداف.

« عاش إقبال الفترة الأولى من حياته في خضم الحوادث التي كانت تتلاحق على العالم الإسلامي الذي كان يدور في مطلع القرن العشرين في فلك الخلافة العثمانية.

وتأثر في شبابه بما شاع من إثارة النعرة العصبية بين أقوام المسلمين، وعرف ما كان يدور في تركيا من جماعة تدعو إلى الطورانية

وترك الفكرة الإسلامية الجامعة إلى الطورانية التي تنظر إلى الشعب التركي على أنه من نسل المغول ، وعلى أنه قادر على أن يلم الشمل مع بني عمومته في قلب آسيا ثم في أوربا ، في بولندا وفنلندا ، وسمع جدال الجماعة التي تدعو إلى الجامعة الإسلامية وتنشد إيقاظ المسلمين ، وتحثهم على الرجوع إلى قواعد الإسلام الأولى ، سمع دعاة اللاتينية ، وهجر الحرف العربي ، ودعاة السفور وإلقاء الحجاب ، ودعاة فصل الدولة عن الدين ، والسير بالدولة قدما في ظل المبادىء التي نادت بهـا الثورة الفرنسية ، وقرأ في هذا أشعاراً لتوفيق فكرت ، وضيا كوك ألب قرأهـا بالألمانية ، فأشعار الرجلين كانت تلقى في الغرب رواجا وتأييداً ، وقرأ في الوقت نفسه أشعارا لمحمد عاكف يدافع فيها عن الإسلام ، ويتهل فيها من تاريخ الإسلام ، ويحث فيها على التمسك بالإسلام كما كان أيام النبي والراشدين ، وقرأ رسائل جناب شهاب الدين التي يستخدم فيها المنطق السليم في لباقة وبراعة ، ويستشهد فيها بأقوال الفلاسفة في أوربا وكتابها وعلمائها محاولا أن يصد التيار العنيف الذي يتخذ من خير الفطرات وسيلة لتحطيم فكرة الخلق الإسلامي ، واستمع إلى سعيد حليم يناضل في قوة عن حزب الإصلاح الديني ، ويتطلع إلى الحجاز فإذا به يقرأ عن الرجل الذي قام في نجد ينادي بتنقية الدين مما علق به من شوائب كادت تودي بأهله ، داعيا إلى الاستقامة التي تحلى بها النبي وأصحابه أيام الدعوة الإسلامية ويرى أن دعوة محمد ابن عبد الوهاب ، قد أصبحت تجري على كل لسان ، وهي تسري في الجزيرة العربية إلى شمال أفريقية وهي سارية في أدب العرب وشعرهم وشعرهم وإن لم يصرحوا باسم المصلح العربي خشية الحاكم المستبد الجاهل في استنبول والقاهرة » ويتطلع إقبال إلى بلده فإذا الاستعمار يحط عليها بكلكله ويفسد فيها غاية الإفساد ، وبينا الحضارات الزائفة تقوم بعمر كتها في تركيا إذ بالإنجليز يعبثون بالإسلام هيبتهم بسائر الأديان في الهند » .

ذلك هو إجمال الواقع كما لخصه الدكتور الخشاب ، وهو واقع يتطلب في كل قطر إسلامي رجالا من طراز ممتاز يكون لهم تأثيرهم الداخلي واحترامهم الخارجي ليقودوا الصفوف ويردوا الهجوم وكان

إقبال فى الهند أحد هؤلاء المصلحين الذين يستطيعون حمل الراية فى ثبات ، فهو فى قومه أبعد الناس عن المطامع الشخصية وأنآهم ببصيرته النظيفة عن الوصولية المستخفة مع ما يزدان به من إيمان واثق ونفاذ بصير ، وطموح هادف وهو فى أوروبا أحد الأفذاذ الأماثل ممن يعتصمون بفلسفة هادفة مثالية ، ويتسلحون بقوة مثرية من الثقافة والاستشفاف والإدراك ، وقد شهدت مؤلفاته بعمق الفكرة وسداد النظر ، فإذا تصدر القيادة فى ملته فما أجدره النجاح !.

وإذا كان للداعية المصلح أسلحته الماضية فى ميدان الجهاد ، فقد شاء الله أن يكون الشعر أبرع أسلحة إقبال وأعمقها نفاذاً وتأثيراً فى النفوس ، وقد أصبح شاعر الإسلام فى العصر الحديث لا لأنه أكثر من النظم فى المناسبات الإسلامية كما تعودنا أن نضيف هذا اللقب إلى بعض شعرائنا فى العربية ممن يتخذون المواسم التاريخية ميداناً للتذكير بمجد السلف ، بل صار إقبال شاعر الإسلام لأنه أحس بهموم المسلمين فى شتى ممالكهم إحساس المتألم المتحسر ، وطفق يعبر عنها تعبيراً يقرؤه كل مسلم مترجماً عن الأردية والفارسية إلى لغته فيلمس فيه آهات صدره ولذعات فؤاده ، ويشعر أن إقبال هو الوتر الذى أبدعه الله ليترجم عن عواطف المسلمين ترجمة الشاعر المرهف الرقيق .

وإذا كان الحديث عن شاعر ملهم كإقبال ، فإن آثاره الفريدة ومقطوعاته الرائعة تغنى عن كل تفسير ، وحسبنا أن نذكر أمثلة منها لتوضح التيار العميق الذى يندفع من نفس الشاعر الكبير وهى كنماذج أدبية تغنى غناء الشرح التحليلى فى التراجم التاريخية وماذا عسى أن يقول المؤرخ مع النص الشفاف الجميل ، بحسبه أن يسير فى ظله إن استطاع .

يدرك الشاعر مأساة المسلمين فى تأخرهم الحضارى وتكالب الاستعمار والإلحاد على بلادهم فيصيح فى مناجاة ربه ، متذكرا مجد الأسلاف .

« اسمع يا رباه شكوى عبادك الأوفياء ، إنما نسمعك نفثات القلوب المكلومة لأن نوائب الأيام أجبرتنا على ذلك ، كان يسكن هذه المعمورة السلاجقة والطورانيون والصينيون والفارسيون

واليونان ، ولكن قل لى بنفسك : أيهم تناول السيف بيده لإصلاح المجتمع وقطع دابر الفساد من الأرض غير المسلمين .

كلما حانت الصلاة أثناء صليل السيوف ، ولت الأمة الحجازية وجهها شطر القبلة وسجدت لله شاكرة ، ووقف (محمود) الأمير (وداياز) المملوك فى صف واحد فلم يبق هناك عبد ولا مولى ، ولما وصلوا إلى حضرتك صاروا وحدة جامعة » .

وينظر إلى عصبة الأمم فى جينيف وقد أقامت نفسها فى الظاهر لرعاية السلم حيث تتكالب زعماؤها فى باطن الأمر على إثارة الحرب ، فيتذكر رسالة الإسلام الخالدة إذ أشرقت من مكة ويصيح مؤكدا رسالة دينه النبيل فى وحدة البشر على السواء .

« لقد عمت فى هذا العصر مجالس الأمم لكن الوحدة الإنسانية بقيت مختفية عن الأنظار ، والهدف الذى ترمى إليه حكمة الأفرنج هو تفريق الأمم .

وغاية الإسلام إنما هى الوحدة الإنسانية لقد بعثت مكة إلى جينيف بهذه الرسالة ؛ ماذا تريدين ؟ عصبة الأمم أم عصبة بنى آدم » .

ويتألم مرة ثانية لكوارث سورية ، فتحركه المحنة القاهرة ويهتف :

« منحت أرض سورية للأفرنج نبى العفة والرفق فى المعاملة وجاء من أوربا مكافأة لسورية الخمر وللقامرة وكثرة المومسات !! » .

ويالها من مقابلة مريرة تكشف الخبيث من الطيب لذوى العيون ، وهى لا تقل عن قوله فى نكبة فلسطين ! « أدام الله خمارة الأحرار الفرنسيين حيث ترى كؤوس حلب مملوءة بالصهباء إن كان لليهود حق على فلسطين فلماذا لا يكون للعرب حق على أسبانيا » .

ثم تزعجه نكبات الطليان فى طرابلس الغرب ، وكارثة الإسلام فى أدرنة فلا يستسلم لليأس بل ينادى بالأمل القريب إذ يردد :

« إنك مسلم ، فاجعل قلبك معمورا بالأمانى والآمال ، فإن الله لا يخلف الميعاد ، هلم ننثر الأزهار والرياحين على قبر الشهيد الذى فعل المسفوح من دمه بأمتنا فعل الغيث بالشجرة النابتة ! .

إن عقبة الألم تسفر عن صباح العيد ، لقد تبلج فجر الأمل من دياجير اليأس » .

فإذا مر بصقلية تذكر ما كان بها من مجد للإسلام ، وأرسل زفرته الحارة منظومة فى هذه الأبيات : « ساعدينى أيتها العين الثرارة وابكى ما شئت دموعا ودماء فإن تربة المدينة الحجازية ماثلة بين أعيننا .

كانت هذه البلاد يوما ما مركزا لهؤلاء العرب إذ كانت البحار ملعبا لسفائنهم فى سالف الأزمان ، هؤلاء الذين زلزلوا عروش الأكاسرة والقياصرة وكانت سيوفهم غمدا للبروق الرواعد .

اشرحى حالك يا صقلية فإنى بقية من الركب الذين كانوا ينزلونك ، وسأذهب بهديتك إلى الهند وأبكى بها أناسا كما بكيت أمامك الآن » .

هذا التصور العميق بنوائب الفكرة الإسلامية كان يؤرق الشاعر ويضنيه ومن الناس من يحس إحساسه ، ولكنه يقف الموقف السلبى ، يطوى الضلوع على لظى الحسرة ، ثم يكل للأيام أن تأتى بالمعجزات الخوارق ، كأن قوانين الطبيعة لا تخضع لنظام خاص فى التغيير والمحو والتطور من حال إلى حال .

أما الشاعر فقد أخذ بعد تشخيص الداء يبحث عن الدواء ويطلب لهذه العلل الضنية مستعينا بألمعيته الوقادة ، وبصره النافذ ، حتى وجد الحل الصلى فأعلنه غير هياب !.

من لى بمن يبعث فى النفوس حرارة إقبال ، والتياع إقبال ! لطالما امتلأت عقول الشبيبة الإسلامية بثمار العلوم والفلسفات من شرقية وغربية وقديمة وحديثة ، ولكنها تكدست بها متراصة متزاحمة حتى أفسد بعضها بعضا ، ولم تتحول فى العروق إلى دماء تفور وفى العيون إلى بريق يومض وينير ، فلو كان لهذه الشبيبة الضائعة مع ما أتخمها من المعارف الثقيلة هذه الحرارة الطامئة وهذا الالتياع المتأجج ، لوجدنا أجيال القرن العشرين تتلظى حفاظا ، وتغتلى حمية وإذا كان من المتعسر أن نرى بيننا أفرادا كإقبال فليس من المتعسر فى شىء أن نرى ملايين المسلمين يرددون شعر إقبال ، ويهتفون به فى كل لحظة ، إذا تهيئوا لاستقباله ، وأدركوا مرماه فاستشعروا تلك اللوعة وكابدوا هذا الغليل اللواح .

لقد أدرك الشاعر قيمة هذا الظمأ الحنان فوجه الأنظار إليه حين قال فى قصيدة رائعة « انزل أيها السالم إلى أعماق نفسك وادخل فى قرارة شخصيتك حتى تكتشف

(البقية على صفحة ٦٩٩)

انتشار الإسلام فى قزوين

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٣ —

تعرفنا فى المقال السابق على بداية انتشار الإسلام فى قزوين ، كما أننا أوضحنا أيضاً الفرق بين موقف كل من اليهود والمجوس من هذه البداية ، ونفتتح مقال اليوم بمناقشة وضع مسلمى قزوين فى الدولة الإسلامية .

وبخصوص هذه القضية نقول : إن المصادر التى بين أيدينا تقدم لنا رأيين ، فرأى يقول : إن أهل قزوين قد نزلوا على ماتزل عليه أساورة البصرة من الإسلام ، على أن يكونوا مع من شاءوا ، فنزلوا الكوفة ، وحالفوا زهرة بن حوية ، فسموا حمراء الديلم ، والرأى الآخر يقول: إنهم أسلموا ، وأقاموا بمكانهم ، وصارت أرضوهم عشرية .

وقبل أن نحاول تبيان مدى الصواب فى كل من هذين الرأيين نرى أنه من الضرورى أولا أن نتعرف بشىء من التفصيل على قصة أساورة البصرة .

والقصة ، كما يحدثنا بها البلاذرى ، هى أن بعض زعماء الفرس مثــل شيرويه الأسوارى وسياه الأسوارى وغيرهما لما رأوا ظهور الإسلام وعز أهله ، وأن الدولة الساسانية قد قوضت أركانها أرسلوا إلى أبى موسى الأشعرى ، الذى كان يقود القواد الإسلامية فى منطقة السوس وما جاورها ، قائلين له :

« إنا قد أحببنا الدخول معكم فى دينكم ، على أن نقاتل عدوكم من العجم معكم ، وعلى أنه إن وقع بينكم اختلاف لم نقاتل بعضكم مع بعض ، وعلى أنه إن قاتلنا العرب منعتمونا منهم وأعنتمونا عليهم ، وعلى أن ننزل بحيث شئنا من البلدان ، ونكون فيمن شئنا منكم ، وعلى أن نلحق بشرف العطاء ، ويعقد لنا بذلك الأمير الذى بعثكم » .

هذه هى الشروط التى طالب بها أساورة البصرة إذا ما اعتنقوا الدين الإسلامى ، وهى شروط فى جملتها تحقق لهم امتيازات خاصة ومكانة ممتازة فى الدولة الإسلامية ،

فاذا كان موقف الأشعرى من هذه الشروط؟ لم يستجب أبو موسى الأشعرى لأى مما طالب به هؤلاء الأساورة ، موضحا لهم للمبدأ العام الذى سار عليه المسلمون فى فتوحاتهم ، وهو للمبدأ القائل لأهل البلاد المفتوحة : لكم ما لنا وعليكم ما علينا .

لم يرض أساورة البصرة بهذا المبدأ ، بل إنهم أصروا على تحقيق الامتيازات التى طالبوا بها ، وحينئذ كتب أبو موسى الأشعرى للخليفة عمر بن الخطاب بالمشكلة، فكتب إليه عمر : أن أعطهم جميع ماسألوا وقد ترتب على ذلك أن اعتنق أساورة البصرة الدين الإسلامى ، ثم استوطنوا البصرة ، وحالفوا بنى تميم .

ويتضح لنا مما سبق أن أساورة البصرة قد اشترطوا لدخولهم الدين الإسلامى شروطا معينة تمنحهم امتيازات خاصة . فلم يوافقهم عليها أبو موسى الأشعرى ، غير أن الخليفة عمر بن الخطاب أمره بأن يمنحهم الحق فى كل ما طالبوا به من امتيازات ، وقد ترتب على ذلك أن أصبح لهؤلاء الأساورة وضع خاص بين الجماعات التى اعتنقت الدين الإسلامى .

والقصة تقدم لنا فرصة طيبة للموازنة بين موقف اثنين من كبار رجال الدولة الإسلامية إزاء قضية واحدة ، فأبو موسى الأشعرى قد التزم بالمفهوم الواضح والمحدد الذى يعطيه نص المبدأ الخاص برسم العلاقة بين الفاتحين وأهل البلاد المفتوحة ، وهو بذلك مثل المسلم فى التزامه التام بالتعاليم التى تضمها ديانته ، وهو فى الوقت نفسه لم يكن يستطيع أن يعمل أكثر من هذا ، لأنه بذلك يكون قد تعدى نطاق سلطانه .

إن بعض التصرفات التى تخرج فى ظاهرها على النطاق العام لأى من المبادئ تتطلب رأى السلطة العليا والتى كانت ممثلة آنذاك فى الخليفة عمر بن الخطاب وكبار الصحابة الذين كانوا يعاونونه فى الرأى والتدبير ، وقد أقدم الخليفة عمر بالفعل على هذا التغيير، ومنح أساورة البصرة الامتيازات التى طالبوا بها ، ومما لا شك فيه أن كثيرا من الاعتبارات قد دفعت الخليفة إلى اتخاذ هـذا الموقف ، حتى وإن لم تشر المصادر التى بين أيدينا إلى شىء من هذا القبيل .

ويؤدى بنا هذا الفهم إلى القول بأن كلا من الأشعرى وعمر بن الخطاب قد تصرف فى حـدود الإطار العام للسلطة

التي منح إياها بقوة المركز الذي كان يشغله في الدولة الإسلامية ، أي أنه لا يوجد تناقض في الأساس الذي اعتمد عليه كل منهما على الرغم من التناقض الصريح في النتيجة العملية لموقف كل من الأشعري وعمر بن الخطاب .

هذه هي قصة أساورة البصرة ، وما يمكن أن يثار حولها من استفسارات ، فهل حصل أهل قزوين الذين اعتنقوا الإسلام على مثل الامتيازات التي حصل عليها هؤلاء الأساورة ، أم أنهم ظلوا مقيمين ببلادهم لهم ما لغيرهم من بقية أبناء الأمة الإسلامية وعليهم أيضا ما على الآخرين .

إن أول ما يسترعي الانتباه حول هذه القضية هو أن الرافعي القزويني لم يشر إلى الرأي القائل بأن أهل قزوين نزلوا على ما نزل عليه أساورة البصرة ، ومعنى هذا أنه يرى الرأي الثاني الذي يقول بأنهم أسلموا وأقاموا بمكانهم وصارت أرضوهم عشرية .

ولا يسعنا نحن إلا أن نؤيد الرافعي فيما يراه ، لأن ما كتبه يعتبر في الحقيقة أدق وأشمل ما كتب عن قزوين ، وخاصة أنه قدم في مؤلفه ترجمات وافية لكل من يمت بصلة ما إلى قزوين ، حتى ولو كانت هذه الصلة هي مجرد الاجتياز بها ، والذي حدث أنه لم يشر إلى شيء من هذا القبيل في حديثه عن أي ممن ترجم لهم على كثرتهم الوافرة .

ولو عدنا بأفكارنا إلى الوراء إلى تلك المرحلة من تاريخ الدولة الإسلامية ، وهي المرحلة التي كان يعتبر فيها المسلمون أبناء أسرة واحدة يحق لكل منهم أن ينتقل إلى حيث يريد وأن يستقر حيث يشاء من البلدان الإسلامية لاستطعنا أن نقول : إن الخيار كان متروكا لأهل قزوين ، شأنهم في ذلك شأن الجماعات الأخرى التي اعتنقت الدين الإسلامي ، ومن ثم غادر بعضهم مسقط رأسه ، وآثر الآخرون البقاء ، والذين غادروا قزوين ذهبوا إلى الكوفة ، ونستأنس لهذا الاستنتاج بما قاله ياقوت عن أهل قزوين : فصار جماعة منهم إلى الكوفة ، وحالفوا زهرة ابن حوية ، فسموا حمراء الديلم ، وأقام أكثرهم مكانهم [1] .

هذا ، وكما هي العادة التي جرى عليها المسلمون في فتوحاتهم ، فقد رتب البراء

---

[1] ياقوت ، معجم البلدان ج ٤ ص ٣٤٣ .

ابن حارث طليحة بن خويلد الأسدى مع خمسمائة رجل من المسلمين على كل من دستبى وقزوين ، ويقول ابن الفقيه[1] عن هؤلاء المسلمين « فتناسلوا هناك ، فأولادهم وأولاد أولادهم إلى اليوم فيها[2] » ومما لا شك فيه أن عدد ذرية هؤلاء الخمسمائة قد أصبح كثيراً فى أيام ابن الفقيه ، وقد أخذ هذا العدد ينمو باضطراد ، فلا غرابة إذن أن يقول الرافعى القزوينى الذى توفى سنة ٦٢٣ عن قزوين : « وأهلها من العرب المشهورين[3] » .

ومن هذا يتضح لنا أنه قد صاحب بداية انتشار الإسلام فى قزوين ثم نموه وازدهاره فيما بعد — أقول قد صاحب ذلك تغيير فى التركيب البشرى للمواطنين هناك ، فبعد أن كانوا من الفرس أصبحوا خليطاً من الفرس والعرب ، ومن هذا الخليط تكون العنصر الجديد الذى ارتبط به تاريخ قزوين الإسلامية .

والإشارة إلى نمو وازدهار الإسلام هنــاك تسوقنا إلى شىء من التفصيل من هذا الجانب فنقول : إن الإســلام الذى بدأ يظهر فى قزوين فى أواخر عهد الخليفة عمر بن الخطاب أخذ ينمو ويزدهر فى المنطقة مع مرور الأيام ، والمؤشر الذى يدلنا على درجة ازدهار الإسلام فى قزوين هو حركة تشييد المساجد هناك من ناحية ، وظهور علماء مبرزين فى مختلف المعارف الإسلامية من ناحية أخرى .

وبالنسبة للجانب الأول نستطيع أن نقول : إن حركة تشييد المساجد تصاحب عادة وجود أى عدد من المسلمين فى مكان ما مهما كان هذا العدد قليلا ، وفى ضوء هذا فإنه ليس من المجازفة أن نقول إن مدينة قزوين قد شهدت تشييد أول مسجد هناك فى أثناء الفترة الشاملة لأواخر العام الثانى والعشرين وأوائل العام الثالث من التاريخ الهجرى ، وهو نفس التاريخ الذى افتتحت فيه قزوين[1] .

(١) مختصر كتاب البلدان ٢٨١ .

(٢) توفى ابن الفقيه فى أواخر العقد الثانى من القرن الرابع الهجرى .

(٣) التدوين فى أخبار قزوين ج ٢ ص ٥ .

(١) لم يذكر أى من البلاذرى أو ابن الفقيه تاريخاً محدداً لفتح قزوين . أما الطبرى فإنا نفهم منه أن هذا الفتح قد تم إما فى سنة ٢٢ هـ وإما فى العام التالى ، فى حين أن ابن الأثير قد ذكر فتحها ضمن أحداث سنة ٢٢ هـ ، ومن حديث بلاذرت عن قزوين نفهم أنه يرى أنها فتحت سنة ٢٤ .

حقيقة إنا نجد فى المصادر التى بين أيدينا صمتا تاما إزاء هذه النقطة ، ولكن ليس معنى هذا الصمت أن المسلمين لم يكونوا يؤدون الصلاة ، وتأدية الصلاة تتطلب بالضرورة وجود مكان معين وأحيانا أكثر من مكان ، وهذا المكان هو ما يطلق عليه اسم مسجد أو مصلى . والمؤرخون عادة لم يلتفتوا إلى تسجيل مثل هذا العمل لأنه كان أمرا عاديا ويحدث بكثرة ، ولكنهم فى نفس الوقت أرخوا لتشييد المساجد الجامعة لما كان لذلك من أهمية .

وتعود أهمية المساجد الجامعة ، بجانب كونها مظهرا من مظاهر ازدهار الإسلام إلى ما تكسبه للمدينة التى تقام فيها من قيمة سياسية وعمرانية خاصة ، إذ أن تشييد مسجد جامع فى أى من المدن كان ينتقل بها من مجرد مدينة عادية إلى مدينة مصر ومركز للمناطق المجاورة ، وبالتالى يستقر بها كبار المسئولين عن حكم وإدارة المنطقة ويترتب على ذلك ازدهار عمرانى .

مهما يكن من أمر ، فقد مصرت قزوين فى سنة ٣٠ هـ ، مصرها سعيد بن العاص ابن أمية الذى فتح طبرستان والديلم فى السنة المذكورة ، ثم قدم قزوين وجعلها مصرا ومقرا عسكريا لأهل الكوفة الذين عهد إليهم بمهمة المرابطة وغزو الديلم من هناك[1] .

فالعام الثلاثون من التاريخ الهجرى هو الوقت الذى أقيم فيه أول جامع فى قزوين وكان هذا الجامع مسبوقا بمسجد أو مساجد فى تلك المدينة .

توالى بعد ذلك تشييد المساجد والجوامع فى قزوين ، فقد أغزى على بن أبى طالب كرم الله وجهه الربيع بن خثيم الثورى بلاد الديلم وكان مع الربيع أربعة آلاف مقاتل ، ومن الطبيعى أن يتخذ الربيع من قزوين مقرا له ولجنوده ، حيث شيد مسجدا هناك يعرف بمسجد الربيع بن خثيم[2] ، وقد جاء الربيع ورجاله إلى هذه المنطقة فى أثناء معارك صفين ، وبالتالى نستطيع أن نقول إن هذا المسجد قد أقيم حوالى سنة ٣٧ هـ[3] .

---

(١) فتوح البلدان ٤٥٠ ، مختصر كتاب البلدان ٢٨٢ ، الكامل فى التاريخ جـ ٣ ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) فتوح البلدان ٤٥١

(٣) التدوين فى أخبار قزوين جـ ١ ص ٢ .

ومن أبرز المساجد الجامعة التى أقيمت فى مدينة قزوين مسجدان ، أولها المسجد الجامع الذى شـيده محمد بن الحجاج ابن يوسف الثقفى ، وذلك حوالى منتصف الحلقة التاسعة من القرن الأول الهجرى ، وهـذا المسجد يعـرف بمسجد التوت أو الثور[1].

أما المسجد الجامع الآخـر فقد أمر بتشييده الخليفة العباسى هارون الرشيد ، وقد بدىء فى إنشاء هـذا المسجد أثناء ذهاب الرشيد إلى خراسان فى سنة ١٩٢هـ[1].

هذا ، و نواصل فى المقال التالى الحديث عن نمو وازدهار الإسلام فى قزوين ؟

و هاب غنيم [illegible]

(١) مختصر كتاب البلدان ٢٨٣ ، معجم البلدان جـ١ ص ٣٤٣ .

(١) فتوح البلدان ٤٥١ ، الكامل فى التاريخ جـ٦ ص ٢٠٧ ، معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٤٣ .

(بقية المنشور على صفحة ٦٩٣)

سر الحياة ، أنصف نفسك يا هـذا وكن لما وعيا ، إن عالم القلب كله حرارة وسكر وحنان وشوق أما عالم الجسم فتجارة وزور واحتيال ، ثروة القلب لا تفارق صاحبها ، أما ثروة الجسم فظل زائل ونعيم راحل ، إن عالم القلب لم أر فيه سلطة الأفرنج ولا اختلاف الطبقات » .

ويقول أيضا فى عبارة معجبة وأنجاه فريد : « كن مثل فريد العطار فى معرفته وأبى حامد الغزالى فى علمه وذكائه ، كن من شئت فى الحكمة ، ولـكنك لا ترجـع بطائل حتى تـكون لك أنة فى السحر خذ منى ما شئت يارب ولـكن لا تسلبنى العـزة بأنة السحر ولا تحرمنى نعيمها .

« اللهم ارزق الشباب أنتى فى السحـر ، وأنبت لصقور الإسلام القوادم والخوافى التى تطـير بها وتصطاد ، ليس لى أمنية يا مـولاى غير أن يعم نور بصيرتى سائر شباب المسلمين » .

هذا حديث الشاعر عن لواعجه وحنينه وأعنف ما تـكون هذه اللواعج استثارة وأعظم ما يـكون هـذا الحنان توهجاً فى السحر الهادىء حين تهفو النفـوس إلى عالم الحق والخير والجمال ، وإذ ذاك تتصاعد من القلب أنة الأسحار ؟

د : محمد رجب البيومى

آية الله القمر

للأستاذ محمود جبر

وماذا بعد يا قمر
خطا من فوقك البشر
تراك بعالمي تدرى
همو في أرضهم فجروا
فكيف بهم وقد قالوا
بأنك بعض ماقهروا !!
لقد قالوا لنا عجبا
أأنت القاحل القفر
وأنت خيال من هاموا
وأنت الزاهر النضر
وأنت لمن حبا أنس
وأنت نجى من كبروا
وأنت المرشد الهادى
لمن ضلوا ومن عثروا
رعاك الله يا قمر
وجنبت الألى غدروا
وصانك من أذى قوم
فهم أنى مضوا خطر ..
لقد جاورتنا عمراً
فلم يلحق بنا ضرر
وترسل نورك الزاهى
وليل الصب معتكر

فيبدو البشر منطلقا
ويمضى الهم والكدر
ألا يا ليت من صعدوا
أتوا لعلاك واعتذروا
وقالوا ضاقت الأرض
فسمنا أيها القمر
أسائل كل من حولى
وعند غزاتك الخبر !
وعند الله ما يقضى
ولا يدرى به البشر
وفي ساحات قبضته
تسبح ربها القدر
وبين الكاف والنون
عوالم مالها حصر
تعالى الله بارئها
تعالى فهو مقتدر
إلهى أنت خالقنا
ومنك النهى والأمر
فمن آياتك الكبرى
فقد أودى بنا البطر

محمود جبر

ما يقال عن الإسلام

الإسلام فى القارة الإفريقية

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

الإسلام منتشر فى جميع أنحاء الأرض، وفى جميع القارات، فى أوربا وآسيا وأفريقيا وأمريكا. ولكن أغلب المسلمين موجودون فى آسيا وأفريقيا وأوربا على التوالى، أما فى الأمريكتين واستراليا فعدد لا يرتفع إلى الملايين.

وقد تقدم معظم المستشرقين يدرسون انتشار الإسلام فى هذه القارات، تاريخيا وفى الوقت الراهن، وهذه الدراسات تقوم بها الدول الاستعمارية التى لها صلة باستعمار الدول الإسلامية منذ القرن الثامن عشر، مثل انجلترا، وفرنسا، وهولندا، وألمانيا، وأخيراً الدول الاستعمارية المتطلعة إلى أن تحل على الدول السابقة مثل أمريكا.

هذه الدراسات تستند إلى دعائم جغرافية، واقتصادية، وتاريخية، وثقافية، واجتماعية، ودينية. فلا يكفى أن يبحث أحدنا حالة الإسلام فى منطقة من المناطق من زاوية واحدة فقط هى الزاوية الدينية، بل ينبغى أن يضيف إلى بحثه الجوانب التى تقدم ذكرها.

وممن انقطع لبحث الإسلام فى القارة الإفريقية مستشرق انجليزى يسمى سبنسر ترمنجهام Spencer Trimingham، له كتاب صدر فى عام ١٩٦٨ باسم «تأثير الإسلام على أفريقيا»[1]، وهو آخر مؤلفاته عن هذا الموضوع، إذ سبق له أن أصدر خمسة كتب بحث فيها مناطق إسلامية فى أفريقيا، وهى على التوالى:

١ ـ الإسلام فى السودان ١٩٤٩.
٢ ـ الإسلام فى الحبشة ١٩٥٢.
٣ ـ الإسلام فى غرب أفريقيا ١٩٥٩.
٤ ـ تاريخ الإسلام فى غرب أفريقيا ١٩٦٢
٥ ـ الإسلام فى شرق أفريقيا ١٩٦٤.

---

[1] Spencer Trimingam, The Influence of Islam upon Africa Longman ; 19‹ 8.

بعبارة أخرى لقد أمضى هذا المستشرق عشرين عاماً منقطعا لدراسة هذا الموضوع وحده ، وهو الإسلام فى القارة الإفريقية .

وفى كتابه الجديد الذى نعرضه خرائط توضيحية للقارة الإفريقية ، وفى أى الدول يوجد الإسلام ، ويحدده فى شمال أفريقيا المطلة على البحر الأبيض المتوسط أى مصر وليبيا وتونس والجزائر ومراكش ، ثم يتخذ السودان مركزاً يحدد الإسلام فى غربه أى فى غينيا وجامبيا ، وفى وسطه ، وفى شرقه وأعاليه ، على أن التحديد بالتعبير اللفظى لا يغنى غناء الخرائط الجغرافية .

إن الدراسة المقدمة فى هذا الكتاب لا تتجه إلى تسجيل الواقع ووصفه وإحصائه ، بل تعنى ببيان أثر التفاعل بين المسلمين الإفريقيين وبين الحضارات المختلفة سواء منها القديمة الوثنية الموروثة من أقدم الأزمنة ، أم الحضارات الحديثة المعاصرة . ولهذا السبب لا نجد فى الكتاب إحصائيات تخبر بعدد السكان مثلا ، ولهذا السبب أيضاً لا نجده يصف أهل المناطق وألوانهم وطبائعهم ، كما يفعل بعض المستشرقين الآخرين ، وبخاصة الفرنسيين منهم ، حين يزودون كتبهم بصور السكان المسلمين ، ولمساجدهم ، وكيفية أدائهم لشعائرهم ، لأن هذه الدراسة تقتصر فى الواقع على الناحية الاجتماعية .

* * *

ونحن لا ننكر على المؤلف اجتهاده الفائق فى الدراسة ، واتباع منهج علمى سديد ، ولكننا نأخذ عليه أنه وهو يصور العناصر الدينية أغفل أهم ركن من هذه العناصر وهو القرآن . فهو يتحدث عن الوحدانية فى الإسلام ، أصل العقيدة ، كما يتحدث عن العبادات وهى الصلاة والزكاة والصيام والحج . غير أن كتابا يدرس عملية انتشار الإسلام فى القارة الإفريقية ، وكيف تم ذلك ، وعلى أى أساس ، كان ينبغى أن يلتفت إلى القرآن ، كتاب المسلمين وأصل الدين ، وفيه الآيات التى يحفظها المسلم حين يؤدى الصلاة ، كما كان ينبغى أن يلتفت كذلك إلى اللغة العربية ، باعتبار أنها لغة القرآن

والمستشرقون يعرفون هذه الحقيقة ، ولا ينكرونها ، ولكنهم يحاولون التغافل عنها ، وهم إذ يعرفونها ، ويعرفون أثرها وقوتها فى انتشار الإسلام ، وتثبيت قواعده

يحاولون هدم الإسلام بهدم هذا الركن ، إما بتزييف القرآن حين يطبعون مصاحف محرفة يحاولون نشرها ، وإما بترجمة القرآن ، وكل ذلك بغية هدم قاعدة الدين الأساسية ، وقد فطنت مصر في السنوات الأخيرة إلى هذه المحاولات ، فجمعت المصاحف المحرفة ، وحرصت على توزيع مصاحف صحيحة، وباللغة العربية .

وأخرى لم يلتفت إليها المؤلف وهو يبحث السر في انتشار الإسلام ، دين التوحيد ، بين سكان عدد كبير من القارة الأفريقية ، وهي ظاهرة الحج ، تلك الظاهرة التي تكون مناسبة لذهاب عدد كبير من المسلمين كل عام في موسم الحج يتوجهون إلى الحجاز للطواف بالكعبة ، وأداء شعائر الحج ، وهناك يلتقون مع إخوانهم من أهل الإسلام، الوافدين من تركيا، ومن الهند وباكستان ، ومن الشام ومصر ، ومن جميع الدول الإسلامية فيكون موسم الحج عاملا من عوامل «التوحيد» حول عقيدة وشريعة لا تختلف أي منهما ، ويدركون منها الصورة العملية لجميع العبادات كالصلاة بوجه خاص .

* * *

نكتفي بالقدر السابق من النقد ونعود إلى تفصيل ما جاء في الكتاب ، فنقول : يقع الكتاب في خمسة فصول تحت كل منها أبواب ، ففي الفصل الأول يتحدث عن المناطق الثقافية ، تاريخها وخصائصها ، وفي هذا الفصل يحدد المناطق الإسلامية في القارة الأفريقية في ست على النحو التالي :

(١) أفريقيا البحر الأبيض المتوسط

(٢) غرب السودان.

(٣) السودان المتوسط .

(٤) السودان الشرقي والنيل.

(٥) شمال شرق الحبشة .

(٦) شرق أفريقيا .

الفصل الثاني بعنوان عملية تغير الثقافة الدينية وتحته أبواب ، الأول في انتشار الإسلام وتقدمه والعوامل التي ساعدت على نشره والمراحل التي تمت إلى أن اعتنق الأفريقيون الإسلام ، ونتائج اعتناق الإسلام ، وأثر ذلك في الأديان الأفريقية والمجتمع الأفريقي .

الفصل الثالث يحمل عنوان حياة المسلم الأفريقي ، وفيه حديث عن العقيدة الإسلامية وأثرها في جمع كلمة المسلمين وتوحيدهم .

والفصل الرابع عن أثر الإســلام في الحياة الاجتماعية .

والفصل الخامس والأخير من أهم فصول الكتاب إذ يتناول الحديث فيه حالة المسلمين الأفريقيين في هـذا العصر للتغير ، وهو يبدأ الفصل بكلمة عن انتشار الإسلام ، ثم يبين وضع المسلم الأفريقي بإزاء التغير الشامل في القارة ، فكان موقف المسلمين ذا شقين : الأول رد فعل على تحديات الاستعمار الغربي ، والثاني مواجهة العقائد العلمانية المنكرة للأديان .

وقد ظهرت تبعا لذلك فكرة القومية العلمانية ، التي تفصل الدين عن الدولة ، وهـذا يقتضي بيان الصلة بين الإسلام والدولة من جهة ، وبينه وبين الأحزاب السياسية من جهة ثانية ، والعلاقة مع العالم العربي من جهة ثالثة .

وقد امتد التغيير إلى الناحيتين الاجتماعية والثقافية ، فأصبح التعليم مدنياً لا دينياً .

• • •

لاشك أن العصر الحاضر قلب الموازين في كل شيء ، وبخاصة بعد التقدم العلمي التي أوصلنا إلى غزو الفضاء وبلوغ القمر بل كواكب أخرى أبعد من القمر .

هذا التقدم العلمي أحدث تغييرا جذريا في جميع نواحي الحياة ، ولذلك انتشرت موجة الإلحاد باسم العلم ، ومن المعروف أن أوربا خلعت رداء الدين منذ الثورة الفرنسية ، وأن أمريكا التي تزعم أنها متمسكة بالمسيحية قد بدأت تنفصل عن الدين أو أخذت في تغيير مظهر الدين بحيث يتلاءم مع العصر الحاضر ، وهو تغيير لم تحتفظ من الدين فيه إلا بالاسم فقط دون الجوهر .

إن أمريكا التي ورثت أوربا وما كان لها من مستعمرات تستغل مواردها وتنهب ثرواتها وجدت أن الإســلام في أفريقيا يقف حائلا دون تحقيق مطامعها من الغزو الاقتصادي ، لهذا السبب تعددت الدراسات التي تلقي الضوء على انتشار الإســلام في أفريقيا ، ومنها هـذا الكتاب الذي نعرضه في هذه الصفحات ، فإن ظاهره دراسة علمية ، وباطنه غزو استعماري ؟

أحمد فؤاد الأهواني

الكتب

دراسات فى الوحدة العسكرية العربية

عرض وتعليق : للأستاذ يوسف عبد الهادى الشال

يقع هذا الكتاب فى مائتين وخمسين صفحة من القطع الكبير ومؤلفه اللواء الركن : محمود شيت خطاب .

وموضوع الكتاب حدده العنوان تحديدا واضحا . والعناصر الرئيسية التى تكون وحدة الدراسة هى :

الوحدة العسكرية من التاريخ العربى الإسلامى . عبرة الاتفاقيات العسكرية العربية قبل حرب يونيو ١٩٦٧ . معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى . المؤتمرات العسكرية وأهميتها . القيادة العربية الموحدة . القيادة السياسية العربية ميثاق جامعة الدول العربية . آثار الوحدة العسكرية فى المعنويات والإنتاج الحربى وتطويره وفى المجـــال العلمى والتطور التكنولوجى .

وقد مهد المؤلف لدراسته بالإلماح إلى ظاهرة الوحدة العربية التى تتحرك تلقائيا فى الصدور وتهفو إليها النفوس وتتطلع إلى يومها المرجو جميع الشعوب العربية وأنهى تمهيده بقوله :

ومع ذلك بقيت الوحدة فى متاهات النزعات والأهواء تقاومها المصالح الشخصية والرغبات الأنانية دون أن يكون للمصلحة العربية العليا أى دخل فى الموضوع .

ويبدو ـ فى تقديرى ـ أن المجال كان يتطلع إلى معرفة معوقات هذه الرغبة العارمة التى تضطرم بها صدور الشعوب العربية . وربما كان فى حساب المؤلف اعتبارات يقدرها تحول دون توضيح الأسباب ووضع النقط فوق الحروف بيد أنه استحث على الإسراع فى تنفيذ هذه الوحدة فقال :

واليوم تحتم على العرب ضرورة البقاء أمة ذات سيادة ومكانة أن يقبلوا على

الوحدة العسكرية وأن يضعوا تحت أقدامهم كل ما يحول دون تحقيقها وإلا فسيكونون بعد سنوات عبيداً فى بلادهم أو لاجئين فى بلاد أخرى... فهل يعتبرون بما حاق بهم من نكسة قاصمة للظهر فى حرب حزيران - يونيو - ٦٧ أم لا يزالون بحاجة إلى مزيد من النكسات والنكبات ؟!!

ثم تحدث عن الوحدة العسكرية عبر التاريخ الإسلامى وأقام حديثه على القاعدة التى لا تتخلف بالنسبة لجميع الشعوب .

تلك هى أن الشعب — كل شعب — لا يكون قويا ما لم يكن موحد الصفوف والأهداف حيث الفرقة تجعل من الأمة غثاء كغثاء السيل لا قيمة لها فى حرب ولا فى سلام .

ثم طوف تطوافا سريعا بأحداث التاريخ الإسلامى مبينا أثر الدوافع الإسلامية من خلال الواقع ثم انتهى من عرضه الموجز إلى تلك المرحلة التى صار العرب أثناءها فى بلد دولة مما أطمع فيهم الصليبيين وغير الصليبيين . وأمسوا وأصبحوا يتلظون بسعير الفرقة وحقوقهم ضائعة فى أروقة الأمم المتحدة وغيرها من المجالات السياسية لا خلاص لهم الا أن يأخذوا حقوقهم بأيديهم ولا سبيل لذلك إلا الوحدة العسكرية الجادة المؤمنة .

ثم انتقل المؤلف إلى الحديث عن عبرة الاتفاقيات العسكرية قبل حرب يونيو ٦٧ مبتدئا بالتفرقة بين التعاون العسكرى والوحدة العسكرية فبين أن التعاون العسكرى يخضع للظروف والملابسات فهو زئبق الموضوع ترفع درجته حرارة الميول وتخفضها برودتها . أما الوحدة العسكرية فتقوم على خطط مرسومة وإعداد وتنسيق والتزامات ، بها تصبح الجيوش العربية جيشا واحدا يعمل بقيادة واحدة لتحقيق هدف واحد تفرض السلام المشرف وتدافع عن الوطن العربى الكبير ، وتصون كرامة المحقوق .

وقد برهن على صدق ما يرى من واقع التجارب التى خاضها العرب فى حرب عام ٤٨ إذ كانت الجيوش العربية على كثرتها بدون خطط مرسومة . ودخل كل جيش من اتجاه حدوده والذى لا حدود له دخلها على غير هدى وبصيرة ، هذا على اضطراب فى الأسلحة أدى إلى نهاية أليمة . وقد كان من الطبيعى أن يدرك العرب أن الوحدة العسكرية

هى الطريق المتين ولكنهم اكتفوا بالتعاون فعقدت معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى فى ١٧ / ٥ / ١٩٥٠ ولكن هذه المعاهدة لم تصبح نافذة المفعول رسميا إلا بعد مرور أكثر من عامين ومع ذلك كانت دون مستوى المسئولية من الناحية العسكرية ، وأخفق التعاون العسكرى فى نطاق الجامعة العربية فكانت محاولات التعاون خارج هذا النطاق بعقد اتفاقيات عسكرية ثنائية وثلاثية ...

وقامت اتفاقيات من هذا اللون عديدة ولكنها جاءت متأخرة كما أنها لم تشمل البلاد العربية لذلك لم تستطع كل الدول العربية حشد طاقاتها العسكرية فى الزمان والمكان الملائمين لمجابهة إسرائيل فى حرب يونيو ١٩٦٧

وتطرق بحث المؤلف إلى وضع المعالم على الطريق المأمونة بحيث تصبح الجامعة العربية قيادة سياسية وعسكرية على مستوى المسئولية فقال :

١ — إن التضامن العربى والتعاون العربى عسكريا لا يمكن أن يتقدم خطوة واحدة إلى الإمام أو يفيد العرب ما لم توحد الجيوش العربية بكل ما فى الوحدة العسكرية من معان .

٢ — إن القيادة العربية الموحدة نواة صالحة لوضع الوحدة العسكرية العربية فى حيز التنفيذ ، وهذه القيادة ليست البديل للوحدة العسكرية ولكنها أول الطريق إليها لذلك فلا بد من دعم هذه القيادة ماديا ومعنويا .

٣ — الوحدة العسكرية بدون قيادة سياسية تخفق حتما فلا بد من العمل على تكوين قيادة عربية سياسية تكون بيديها مقاليد القيادة العسكرية حيث أصبح انبثاق الوحدة العسكرية قضية مصيرية للعرب حاضرا ومستقبلا .

أما كيف تكون الوحدة العسكرية العربية وكيف تكون القيادة السياسية التى تمثل القيادة الموحدة بتوجيهها فذلك ما تقرره المؤتمرات العسكرية العربية .

وبعد أن قدم المؤلف نص معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية والتى اعتمدتها الجامعة فى ٢ / ٢ / ١٩٥١ انتقل إلى الحديث عن المؤتمرات العسكرية العربية متعجبا من

أن العرب منذ يونيه ٦٧ حتى اليوم لم يحاولوا أن يعقدوا مؤتمرا عسكريا واحدا على النطاق العربى لدراسة أسباب النكبة واستخلاص العبر والدروس منها ووضع المقترحات اللازمة لمعالجتها وتساءل :

أ كان ذلك عن خطأ فى التدبير أم كان ذلك عن إهمال متعمد مقصود ؟ مع أن اندحار العرب عسكرى قبل كل شيء . والعسكريون وحدهم هم الذين يقدرون أسباب هذا الاندحار ، فأهل مكة أعرف بشعابها ! !

ثم تساءل مرة ثانية :

لماذا عقدت اجتماعات ومؤتمرات عربية فى شتى المجالات وفى مختلف البقاع ولم يعقد اجتماع أو مؤتمر عسكرى واحد حتى اليوم ؟

والمؤتمر العسكرى الذى يطالب المؤلف بعقده يتطلب أن يكون أعضاؤه على مستوى الأحداث علما وكفاية وتجربة وخلقا كريما ولا ينبغى أن يقتصر على العسكريين الرسميين . بل لابد أن يشمل الذين أنضجتهم التجارب ولو كانوا خارج الخدمة للإفادة من خبرتهم حيث الخبرة لها فاعليتها فى كل عمل . ثم أولا وقبل كل شيء الالتزام بالجدية الصادقة فى كل تصرف ، والابتعاد ابتعاداً كاملا عن مجالات الهزل والترفيه .

ولابد من أن يكون الضباط الذين يعدون الدراسات لكل مؤتمر على خبرة وثيقة بالمعلومات العسكرية نظريا وعمليا والحرص الشديد والدأب المتواصل والكتمان البالغ مع التحلى بالخلق الكريم والاعتصام بالمثل العليا والإخلاص المطلق لعقيدته وتربة وطنه وشرفه ، إذ ليس ضابطا من يعانى انهيارا خلقيا أو يستهتر بالمثل العليا ويتحلل من عقيدته وأكد للمؤلف أن انتصار أجدادنا كان بأخلاقهم الصارمة التى أزكاها الدين الحنيف .

أما الذين يشهدون المؤتمر الرئيسى لوضع الدراسات العسكرية موضع التنفيذ والنهوض بأعبائها وتطبيقها فى بلادهم فلا بد بالإضافة إلى ما ذكره أن يكونوا قد تدرجوا فى مناصبهم العسكرية حتى وصلوا إلى أعلى الرتب بكفايتهم لا بالهبات والترقيات الاستثنائية إذ أن حمل الرتب الكبيرة لا يمكن أن يضفى على الضابط تجربة وعلما ، وأن يكون القادة من اللامعين بجدارة فى مهنتهم ، وأن تكون

لهم حاسة استراتيجية يستطيعوا توقع ما يمكن أن يفعله العدو ، وركز المؤلف على أن أى مسلك يخالف هذا المنهج يكون لصالح العدو دون أدنى شك .

ثم عرض المؤلف الإجراءات التنظيمية لعقد المؤتمر المقترح ولخص واجباته فى :

(ا) مناقشة أسباب النكبة بصراحة تامة وتثبيت الأخطاء .

(ب) وضع الحلول الجذرية للأخطاء والعمل على تلافيها .

(ج) دراسة أسباب إخفاق القيادة العربية للوحدة والعمل على دعم تلك القيادة ماديا ومعنويا .

(د) دراسة كيفية تحويل الجامعة العربية إلى طاقة سياسية وعسكرية لتكون عند مسئوليتها التاريخية فى هذه الظروف الحرجة التى تجتازها الأمة العربية .

(هـ) إقرار الوحدة العسكرية وإيجاد قيادة سياسية مسئولة ترتبط بها القيادة العسكرية الموحدة .

ثم أخذ المؤلف فى بيان أهمية الوحدة العسكرية ممهدا لذلك بواقع معبر عن التناقض الهازل حيث رأى مرة على شاشة التليفزيون شاعراً يلقى قصيدة - عصماء - عن إنقاذ فلسطين ثم رأى بعده مباشرة مغنية تردد أغنية تأمر بالفحشاء وتحث على الفسوق !!

وخلص إلى وجوب حشد الطاقات المادية والمعنوية حشداً أصيلا ومتناسقا . وقد أتيح للعالم العربى منها ما لم يتح لغيره بيد أنها محرومة من التنظيم السليم الذى يجعل منها قوة تحمى الحقوق وتصون الكرامة وتحقق ما يستشرقه المخلصون فى آفاق المستقبل وذلك فى إطار توحيد القيادة والتدريب والتسليح والتجهيز والجهود ، الأمر الذى ينعكس أثره فى النطاق الخارجى فتتغير النظرة إلى العالم العربى تغيراً محوره المهابة والتودد . . . ، والقيادة الموحدة طريق هذا الأمل الشريف .

وقد تناول المؤلف مؤتمرات القمة التى عقدها العرب وما أصاب هذه المؤتمرات نتيجة الحملات التى حمدها أعداء العرب فى معارك الحرب النفسية للتفسية وخلص من ذلك إلى واجبات القيادة الموحدة فى حال السلم والحرب بالنسبة لتوحيد التدريب العسكرى على مستوى الشمول والاستيعاب ثقافة وعملا وإنتاجا فى تنسيق وتكامل .

ونظراً لاتساع الرقعة العربية رأى المؤلف أن ينبثق عن القيادة الموحدة فرعان يرتبطان بها :

الأول: يتولى مسئولياته غرب إسرائيل.

والثانى : شرقها وذلك لتسهيل المهمات التنفيذية وما يحيط بها .

وللترابط الطبيعى بين الجانبين العسكرى والسياسى انتقل إلى الحديث عن الجانب السياسى مقدماً له بأن تقدير الموقف لأعداء العرب يدخل فى حسابه دائما تفرقهم وعدم وجود وحدة صحيحة تجمعهم وقال :

إن وحدة العرب ليست مجرد أمل يراود الساسة بل هى حقيقة تتغلغل فى أعماق نفوس الأمة العربية ... ووحدة العرب آتية لاريب فيها ... وكل من يريد خدمة العرب والمسلمين وإزالة ما لحق بهم من عار النكبة لابد من أن يسير على الطريق الذى لا طريق غيره .. توحيد من أجل الجهاد وجهاد من أجل التوحيد . والتاريخ لم يخلد إلا الذين وحدوا الصفوف ولموا الشعث وجمعوا الكلمة وجاهدوا فى سبيل مثل عليا لمصلحة عقيدتهم وأمتهم وبلادهم .

ثم تحدث عن نشأة الجامعة العربية وبين قصور ميثاقها واقترح التنظيم السليم للعمل العسكرى والسياسى الشامل لجميع الأجهزة المقترحة موضحا هذا التنظيم بملاحق مخططة تشير إلى تدرج الأجهزة تدرجا متناسقا فى تماسك حتى تكون الجامعة العربية بعد تعديل ميثاقها حلفا سياسيا عسكريا للعرب واستحث المسئولين فى أقطار الدول العربية أن يبادروا إلى ذلك حيث لا يستفيد من التأخير إلا العدو والطريق واضحة المعالم فلابد من سلوكها قبل فوات الأوان .

واتبع ذلك العرض بملحق نص لميثاق الجامعة العربية .

وانتقل إلى بيان آثار الوحدة العسكرية مستدئا بأثرها فى المعنويات ثم فى تكامل الإنتاج الحربى وتطويره ثم فى المجال العلمى مركزا على أهمية العقيدة والقيادة فى التضحية والبذل

والعقيدة بالنسبة للعرب هى الإسلام الذى قادهم إلى النصر فلما ضعفوا صانهم من الانهيار بما غرس فى نفوسهم من حب الضبط والنظام ورؤية الاستشهاد نصراً شريفا ، وبعث الاعتزاز بالنفس والإحساس بالتبعة ... والعرب بالإسلام كل شىء . وهم بدون الإسلام لا شىء .

وفي مواصفات القائد قال المؤلف :

يجب على القائد أن ينسى نفسه ويفعل ما يقول ولا يقول ما لا يفعل وأن ينفذ أوامره على نفسه قبل أن يطالب غيره بها. عالما بواجباته نزيها متمسكا بأهداب الفضيلة والخلق الرفيع حريصاً على واجباته كل الحرص بأمانة وشرف حريصاً على مصالح الذين يعملون معه تحت قيادته شجاعا في تحمل المسئولية ولا يحاول إلقاء تبعاتها على الآخرين، يبادل رجاله حبا بحب يعرف مزاياهم فيولى الرجل المناسب في المكان المناسب دون تحيز أو انحراف، له مبادىء معروفة سليمة يؤمن بها كل الإيمان ليست له شخصية مزدوجة يكون مع المشرقين مشرقا ومع المغربين مغربا يضحى بمصالحه من أجل رجاله ولا يضحى برجاله من أجل مصالحه ... مثل هـذا القائد يهرول إلى النصر .

ولم يغفل المؤلف الإشارة إلى جهود إسرائيل في ميدان السباق العلمي لتطوير أسلحتها وأحال ما أجمله في إشاراته إلى كتابه « العسكرية الإسرائيلية » :

وابتدأ المؤلف خاتمة مطافه بقوله : حين دخل « يهود » مدينة القدس يوم ٦/٥/٦٧ كانوا يهزجون بالعبرية في المسجد الأقصى ما معنـــاه : مات محمد مات ... خلف بنات ... .

ثم قال :

وقد أصغيت إلى هذا الهزج يذاع نصا من إذاعة عربية ولعل الكثيرين أصغوا كما أصغيت وشعروا كما شعرت بأن سهما مسموما أصاب كبدي فهـو ينزف دما ومرارة وحزنا وألما .. فأين تـكون إسرائيل لو أن العرب والمسلمين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ! ! ؟

وكرر المؤلف ماسبق أن ركز عليه من أن الوحـدة العسكرية العربية هي السبيل المتعين لحشد الطاقات المادية والمعنوية للعرب ولا ينبغي أن يتوقع العرب أن يعيد أحد اليهم حقوقهم السليبة ويدافع عن بلادهم ويصون كرامتهم ويحمي مصيرهم .

وإذا دار بخلدهم ذلك يكونون واهمين كل الوهم أو مغررا بهم كل التغرير . وقدم دليل ذلك تجربة من الواقع بعـد حرب يونيو حين هرع أحـد زعماء العرب إلى إحدى الدول الصديقة وقال لزعمائها : أين أنتم ؟ وكان الجواب نحن هنا في بلادنا ،

لقد حاولنا كم بالسلاح والذخيرة : أما الدم فلا . إننا خسرنا سبعة وعشرين مليونا من القتلى فى الحرب العالمية الثانية ولسنا مستعدين أن نخوض حربا نووية لا تبقى ولا تذر من أجلكم » !

ويرى المؤلف أن من مصلحة العرب إخراج القضية الفلسطينية إلى النطاق الإسلامى لأن القدس ليست للعرب وحدهم، والشعوب الإسلامية هم الأصدقاء الطبيعيون للعرب ، ومن الضرورى أن يعمل العرب على بلورة الشعور الإسلامى إلى عمل جهادى ودعم سياسى وتعاون اقتصادى مبينا أثر الإسلام فى النفوس والعقول معا فى مختلف المجالات ويبرز عمله فى المجال العسكرى بروزا بين السلاح والثبات بما يهيج فى النفوس أكرم للمعانى وأنبل الدوافع وأطهر الأهداف معتمدا على نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة والتجارب العملية التى خاضها المسلمون السابقون .

وأنهى المؤلف خاتمة كتابه بالإجابة على السؤال الذى يتردد كثيرا .. ألسنا مسلمين ؟ وإذا كنا مسلمين فلماذا لا ينصرنا الله على أعدائنا ؟ وأجاب بقوله :

إن الجواب يورده القرآن الكريم بصراحة ووضوح فقد قال تعالى « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » فهل نحن مؤمنون حقا ؟ وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » فهل نصرنا الله حقا حتى ينصرنا ويثبت أقدامنا ؟ وبعد تقديم طائفة من الآيات التى تدور فى هذا الفلك قال :

كيف ينصرنا الله ونحن لا نطبق تعاليمه. وهل ورد فى القرآن الكريم ما يشير إلى أن الله ينصر المسلمين الذين يتقبلون الإسلام دون التزام وتكاليف . !

وبعد :

فإن طابع الأصالة والصدق يتعانق مع التجربة والخبرة فى الدراسات التى احتواها هذا الكتاب الذى يعتبر دليل عمل يقوم عليه حاضر مترقب ومستقبل مأمول .؟

يوسف عبد الهادى الشال

من أضابير لجنة الفتوى

تقديم الأستاذ محمد أبو شادى

دين العملة وسداده

من السيد / على عبد الجبار السرورى

قبل قيام الجمهورية العربية اليمنية كان التعامل فى البلاد يجرى بالريال النمساوى « ماريا تريزا » وهو عملة فضية ، وبالطبع كان الرجل يرهن قطعة أرض نظير استلامه مائة ريال فضية مثلا .

وعندما قامت الجمهورية العربية اليمنية أصدرت منشورا بإلغاء هذه العملة الفضية وإبدالها بعملة ورقية ، وبالطبع فإن بعض الناس لم يقتنع بالغاء هـذه العملة الفضية فاحتفظ بها .

والآن ونتيجة للتدهور الاقتصادى المعترف به من قبل الحكومة ذاتها فقد انخفض سعر الريالات الجمهورية بحيث أصبح الثمانية الريال الجمهورية تساوى ريالا واحدا فضيا ، ونجم عن هذا مشكلة وهى أن المستدين يأتى لمن سلفه مائة ريال فضة بمائة ريال ورقية جمهورية ، وبالطبع فإن صاحب المال يرفض قبول العملة الجديدة لأنه مغبون .

فأفيدونا ما الذى يجب على المدين الوفاء به ، هل هى ريالات فضية كالتى اقترضها أم ريالات ورقية ، علما بأن الريالات الفضية متوفرة إلا أن سعرها مرتفع جدا . ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين : أما بعد : فنفيد بأن دين الرهن ثبت فى ذمة الراهن بقبضه من المرتهن .

وحيث كان الدين ريالات فضية وهى مثلية وموجودة فالواجب رد ريالات فضية مثلها من غير نظر إلى قيمتها فى التعامل والله تعالى أعلم .

دية القتل الخطأ :

السؤال من السيد / المقوى

امرأة نامت بجانب طفلها الرضيع وأثناء نومها انقلبت عليه فمات ، ما نوع هذا القتل ؟ وهل تلزم فيه الدية ؟ وعلى من تكون ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن هذا قتل خطأ لعدم قصد الفعل فيه ، وفيه الدية مخففة على عاقلة القاتلة مخمسة ومؤجلة فى ثلاث سنين والواجب الآن اثنا عشر ألف درهم من الفضة وزنا والله تعالى أعلم ؟

اتخاذ محراب للمسجد:

السؤال من السيد / أحمد قنديل عفيفى

ما حكم إقامة قبلة فى المسجد ، حيث يوجد بعض المسلمين يعترضون على تشييدها فى مسجد جديد ، بحجة أنها بدعة لم تكن أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ؟.

الجواب :

إن اتخاذ محراب للمسجد لا مانع منه شرعا فإن مسجد رسول الله ﷺ ، به محرابه وقد مر عليه علماء المسلمين وأتقياؤهم من جميع الأقطار فى مختلف العصور ولم نسمع أن أحدا أنكر على شيء منه ، وفوق ذلك ففى إقامة المحراب تعريف الغرباء ولداخل المسجد من غير أهل الحى بجهة القبلة من أجل هذا نقول إن ذلك جائز شرعا وإثارة الخلاف حول مسائل مثل هذه هو المنهى عنه وهو الذى ينبغى أن يصان منه جماعة المسلمين توحيدا للكلمة وتقوية للروابط بين قلوبهم والله تعالى أعلم .

أين تقضى المطلقة عدتها ؟

السؤال من السيد / أحمد محمد صيام

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن المرأة المطلقة يجب عليها أن تقضى زمن العدة فى البيت الذى كانت تسكنه « بيت الزوجية » إلى وقت الفرقة سواء أكانت العدة عدة طلاق رجعى أم بائن بنوعيه والله تعالى أعلم.

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن المرأة المطلقة يجب عليها أن تقضى زمن العدة فى البيت الذى كانت تسكنه « بيت الزوجية » إلى وقت الفرقة سواء أكانت العدة عدة طلاق رجعى أم بائن بنوعيه والله تعالى أعلم .

حج المرأة عن أبيها :

هل يجوز للمرأة أن تحج عن أبيها المسن وما الدليل ؟

الجواب :

نعم يجوز لها ذلك لما ورد عن الفضل ابن عباس : أن امرأة من خثعم قالت : يا رسول الله : إن فريضة الله على عباده فى الحج : أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ قال نعم : وذلك فى حجة الوداع رواه الجماعة . وقال الترمذى ، حسن صحيح : ويقول الترمذى أيضا : وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب غير حديث والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهم ، ويقول بذلك الثورى وابن المبارك ، والشافعى ، وأحمد ، وإسحاق ، وفى هذا الحديث دليل على أن المرأة يجوز لها أن تحج عن الرجل والمرأة ، وأن الرجل يجوز له أن يحج عن المرأة والرجل ، ولم يكن هناك ما يخالف ذلك .

الاستقراض فى الحج :

هل يجوز الاستقراض للحج ؟

الجواب :

الحج لا يجب إلا إذا كان مستطيعا والمستقرض ليس مستطيعا ، فلا يجب عليه الحج ، وقد أجاب النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا السؤال ، فقد ورد عن عبد الله بن أبى أوفى . قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل لم يحج ، أيستقرض للحج ؟ قال : لا : رواه البيهقى .

شرعية بناء المساجد من مال الزكاة

من السيد / الأستاذ أحمد حسن التقى

سفير الجمهورية العربية المتحدة بلندن

هل يجوز ضم المبالغ المتجمعة من زكاة الفطر إلى مبالغ أخرى كانت مخصصة لبناء المسجد والمكتبة الإسلامية بلندن ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فقد اطلعت لجنة الفتوى على الاستفتاء المتعلق بصرف زكاة الفطر فى بناء المسجد والمكتبة الاسلامية بلندن .

بأن مصارف الزكاة المفروضة فى الفطر أو من الأموال ثمانية مذكورة فى قوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » .

وليس فى هذه المصارف الثمانية ذكر صريح للمساجد ، ولكن قوله تعالى وفى سبيل الله قد يتسع لشمول المساجد والمكتبات الإسلامية ، وذلك أن جمهرة من الأئمة قصروا معنى هذه الجملة (وفى سبيل الله) على جهادنا للكفار لإعلاء « كلمة الله » وهو تفسير غير ملزم بالاقتصار على هذا المعنى لأن الكلمة أوسع من هذا .

ولذلك ذهب آخرون من الأئمة إلى أن سبيل الله معناها كل عمل من أعمال البر التى يدعو إليها الإسلام مما ينفع جماعة المسلمين ، ويثاب عليه فاعله .

وعلى هذا التوجيه تكون المساجد داخلة فى هذه الأعمال الخيرة ،

غير أن الزكاة يقصد منها قصدا أوليا سد حاجات الفقراء ، والإسهام فى الجهاد للكفار ، وجمعا بين تفسيرات الأئمة وتحقيقا لمقاصد الزكاة بوجه أكمل . .

ترى اللجنة أنه يجوز أخذ شىء من مال صدقات الفطر للاستعانة به فيما ذكر بالسؤال عن المسجد والمكتبة الإسلامية فيترك من الصدقات شىء للجهاد إن احتيج إليه وللفقراء إن وجدوا ، حتى لا تضيع

عليهم مصلحتهم الخاصة فى ضروراتهم المعيشية .

وبذلك يتيسر تحقيق الوجهة الشرعية التى يرمى إليها الأئمة فى تفسير جملة « سبيل الله »

والله تعالى أعلم .

الصلاة خلف إمام ناسى الحدث الأكبر لم تذكره بعد أيام ؟

من السيد / عبد العليم عبد الجبار مصطفى

رجل صلى بالناس إماما أكثر من ثلاثة أيام وتبين بعد ذلك أنه جنب ولم يكن عنده علم بالجنابة

فهل عليه إثم وما حكم الصلاة التى صلاها فهل تعتبر هذه الصلاة باطلة ، أو صحيحة بالنسبة له أولا وبالنسبة للمأمومين وراءه ثانيا ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد : فنفيد بأنه لا إثم عليه حيث لم يكن يعلم بالحدث وقت الصلاة وعليه أن يعيد الصلوات التى صلاها مع الجنابة بعد تذكره لعدم استكمال شرطها وهو الطهارة مع كونه لا يخلو من تقصير .

أما المأمومون فصلاتهم صحيحة ولا إعادة عليهم لأنهم معذورون ولا تقصير من جهتهم والله تعالى أعلم .

نصيب أولاد الأخت مع الأخت الشقيقة وأولاد الأخ

من السيد / مرسى عبد المنعم مرسى

توفيت امرأة عن أخت شقيقة وعن أولاد أخ شقيق وعن أولاد أخت شقيقة فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن للأخت الشقيقة النصف فرضا لعدم من يعصبها أو يحجبها والباقى للذكور من أولاد الأخ الشقيق تعصيبا يقسم بينهم بالسوية ولا شىء للإناث منهم كما لا شىء لأولاد الأخت الشقيقة لأن الجميع من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصابات والله تعالى أعلم .

أنباء وآراء

● نجح مؤتمر القمة العربى بالرباط نجاحا قضى على كل أحلام إسرائيل فى تحطيم الصف العربى ، وانتهى المؤتمر بنتائج حاسمة فالجزائر وليبيا والمغرب تقدم للمعركة قوى مؤثرة ، كذلك تقدم ليبيا والسعودية والكويت ٣٥ مليون جنيه لعقود تسليح خاصة لا تدخل فى اعتمادات الدعم كما تقرر وضع ٢٦ مليون جنيه لمنظمة تحرير فلسطين .

● أعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه التاريخى بالسودان أن قوات المواجهة سترتفع إلى مليون جندى .

● صرح مسئول بمجمع البحوث الإسلامية بأن آخر موعد لتلقى الرسائل والبحوث فى : القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والسيرة النبوية ، والتخطيط للدعوة ، والتيارات المذهبية المعاصرة ، هو نهاية المحرم من عام ١٣٩٠ هـ . وقد سبق أن أعلن المجمع عن قبوله لبحوث فى هذه الأبواب يعطى عنها جوائز قيمة .

● يتوقع أن يعمل دكتور « محمود حب الله » الأمين العام السابق لمجمع البحوث الإسلامية أستاذاً زائراً بجامعة ليبيا الإسلامية .

● تنازلت حرم المرحوم النقيب مختار حجازى عن نصيبها من مكتبة والدها المغفور له الشيخ على قراعة ، هدية منها لمجمع البحوث الإسلامية .

● قرأت للدكتور مصطفى محمود ـ تخصص أمراض صدر ـ ما كتبه عن القرآن الكريم ، فقرأت تسجيلا لمشاعر ذاتية وإحساسات نفسية من قارىء كريم للقرآن الكريم .

ولعل دكتور مصطفى محمود لا يختلف معى إذا قلت له : إن القارىء بعامة لن تنعكس على صفحات نفسه هذه المشاعر القيمة إلا إذا قرأ ما يقرأ من القرآن مضبوطاً بالشكل ، وإذا توفر لما يكتبه سيادته المقام اللائق بالكتاب العزيز ، وهل فيما كتبه الدكتور عن هندسة للمعار

وجماله وقوته ، تناسبه الرسوم المصاحبة للصفحات ، وأى شىء فيها متناسق مع مشاعره .. أليس أولى إعادة النظر .

يا لله .. تسلق اقتباسى على الحكيم الترمذى

يجب أن يضيف النقاد مضمونا جديدا إلى قضية « الاقتباس » وأعنى به « التسلق » الذى يتشكل فى مضمون اقتباس ؛ إذ لا حيلة لنا أمام مقتبسين يعتقدون أن تأثير الأمانة كنبضات القلب عمل لا إرادى ، فإذا لم يعمل هذا التأثير بنفسه وسطا للمقتبس على شىء فذلك لا ينقص من أمانته ، كذلك لا ردع علكه النقاد أمام صنف آخر من المقتبسين يعتقدون - فى عصر الآلة - أن « الأمانة » توفرت لها (قطع الغيار) وهذا يعنى أن الأمانة بطبيعتها تبلى فتتجدد وإذا كان ذلك مفهوما فلا عار فى اتهام باقتباس أو سطو اقتباسى ما دام ذلك طبيعة الأمانة .

القضية - أيها السادة النقاد - يجب أن يكون « الناشر » نفسه تحت الأبصار فيها ، إنه ليس دائما بريئا ، وإن كنت أظن أن ناشر هذه الواقعة بالذات رجل فاضل . وأيا ما كان الأمر . فهناك إنسان مخدوع دائما أبدا . هو . القارىء

والقارىء فى يده هذه الأيام كتاب « الحج وأسراره » للحكيم الترمذى . وقد انتهى منه محققه الذى تخصص فى دراسة الحكيم الترمذى عام ١٣٨٤ ثم غادر البلاد فى رحلة علمية عاد بعدها ليفاجأ بتحقيقه يخرج مشوها حتى ليكاد يخالف الأصل مخالفة صريحة . وتم هذا السطو الاقتباسى الذى فقد فيه صاحبه القدرة على (تقييم النص) فشوه اقتباسه وأضاع الأصل ، وإذا لم تستح فاصنع ما شئت .

عزيزى قارىء الحج وأسراره :

يمكن أن تعيد النظر فى النسخة الأصلية بدار الكتب المصرية . وهى نسخة مصورة تحت رقم [ب ٢١٨١٧] حتى تستطيع تصحيح نسختك ومعالجتها ؛ فإن مقتبس التحقيق رىء ما توفرت له قطع الغيار ، وتجددت فيه نبضات القلب ما ؟

على الطيب

قطب العارفين
ابن عطاء الله السكندرى

من اللآلئ الذين أشرق القرآن فى أرواحهم فغمرت حكمته قلوبهم ، وجذبت عوالم إلى نهجه ، وجعلتهم — فى دنياهم — رحمة للناس وهدى لهم — قطب العارفين سيدى أبى الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن عطاء الله السكندرى .

لقد كان ابن عطاء الله نهجا فريدا بين المتصوفين — وضع للطريق الحق والصراط المستقيم حكماً عملية تعين على النهج السليم فى الحياة والتوكل التام على الرحمن الذى بيده الخير وهو على كل شىء قدير .

ولقد كانت هذه الحكم هديا مبينا منذ أشرقت من قلب صاحبها فعرفت قلوب الناس فكان الإخلاص حاديها إليهم فلا عجب أن وجدوا فى رحابها طب أرواحهم وشفاء صدورهم .

وعلى الرغم من شهرة صاحبها ، فإن أحداً لم يلتفت إلى زاويته التى قضى أيامه يتعبد فيها ، وإلى قبره الذى لا يزال موجوداً بجبانة سيدى على أبى الوفا بسفح المقطم من الجهة الشرقية لجبانة الإمام الليث على بعد نحو ثلاثين متراً إلى الجنوب الشرقى لجامع سيدى على أبى الوفا ، ويحيط بالقبر سور متهدم لكن الزاوية لا تزال آثارها بادية للعيان .

ورأى بعض المعجبين بآثار الشيخ أن هذا الوضع لايليق بمكانة الإمام الكبير فأخذوا يوالون هذا الموضوع اهتماما كبيراً ، وهم فى سبيل اتخاذ الإجراءات لفتح باب المساهمة بالتبرع لهذا المشروع ، وقد تكونت لجنة لذلك ، وعهدت إلى فضيلة الشيخ محمد رشاد خليفة وكيل معهد القراءات بأمانة الصندوق ؟

and the widow and hundreds of other questions the proper understanding of which enables man lead a happy life. All these rules and laws are made effective by faith in God, and in the accountability for human actions, in another existences.

The belief in the Oneness of God, His Mercy and His Supreme Power guides man in the path of universal charity and human brotherhood. All that is good and noble in man has been inspired by the true faith in God. It is through a deep faith in moral heights, taught by the great prophets and sages, man has been able to conquer his lower nature and set before himself the noblest ideals of selflessness and the service of humanity. As a matter of fact a true faith is a force in the moral development of man, not only that, a true and lofty morals are inspired only by that faith.

So far Islam is concerned, it is a religion of faith and action. Not only does the Holy Quran teach men to believe in certain principles and to practice some devotions, but it gave them an impetus to the advancement of science and learning, and to work their best and hardest for success in life, and it declared in plain words that :

وأن ليس للإنسان إلا ما سعى .

(Man shall have nothing but what he strives for 53 : 39.

The true faith in God and His attributes increases the instincts of bravery in the way of establishing the truth and resisting injustice. The Holy Quran explains this point as follows :

الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين — آل عمران ١٧٣_١٧٥ .

It means : "Those unto whom men said : Lo ! the people have gathered against you, therefore fear them. (The treat of danger) but increased the faith of them and they said : Allah is sufficient for us ! Most Excellent is He in Whom we trust ! So they returned with grace and favour from Allah, and no harm touched them. They followed the good pleasure of Allah, and Allah is of infinite bounty. It is only the devil who would make (men) fear his partisans. Fear them not; fear Me, if you are true believers". 3 : 173—175.

assent of the heart, combined, of course, with a *confession* with the tongue, to what the prophets bring from God, as distinguished from the doing of good deeds; as the context of the following verse shows :

ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون . البقرة ١٧٧

It means : "It is not righteousness that ye turn your faces to the East and the West, but righteous is he who believes in Allah and the Last Day and the Angles and Scriptures and the Prophets; and gives his wealth, for love of Him, to kinsfolk and to orphans and the needy and the wayfarer and to those who ask and to set slaves free; and observes proeper worship and payeth the poor-due. And those who keep their treaty when they make one, and the patient in tribulation and adversity and time of stress. Such are they who are sincere. Such are the *God—fearing" 2 : 177.*

The above Quranic verse indicates the principles of faith as the springs from which practical devotion, moralities and the basis of social and national life flow. There is not a single doctrine in the religion of Islam which is not made the basis of action for the development of man to higher and yet higher stage of life. With the advent of Islam a new meaning introduced into religion as it has received two new significances; firstly it is to be treated as a science based on the universal experience of humanity by presenting its doctrines as principles of actions. Secondly the sphere of religion is not confined to the next world; its primary concern is rather with this life, and that man, through a righteous life here on earth, may attain to the perfection of a higher existence Hereafter.

And so it is that the Holy Quran deals not only with the principles of faith, and with the ways of devotion, but also with the problems of the world around us, questions of relations between man and man, his social and political life, rules for the administration of justice and national finance, laws for the service of humanity; for the help of the poor, the orphan

Faith and Action*

By :

ABDUL RAHIM FUDA

Faith and action ('Iman and 'amal') are the two integral parts of the Religion of Islam. The word 'Iman' generally translated as faith or belief; while 'Amal' signifies a deed or action. The two words are most often used together in the Holy Quran to indicate that the relation of faith with actions must be borne in mind if we would understand the true meaning of Islam. So the articles of faith are called 'usul' (roots) and the regulations or ordinances which must be carried into effect are called 'furu' (branches). Because the branches grow from the roots just as actions spring from faith.

According to the Islamic doctrine the belief is not only a conviction of the truth of a given proposition, but is essentially the acceptance of proposition as a basis for action. There are no dogmas, no mysteries, no faith which does not require action, for every article of faith means a principle to be carried into practice for the higher development of man. The key of Islamic faith is summed up in the two short sentences of the 'kalima' : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله (There is no god but Allah, Muhammad is the messenger of Allah). When a man is required to believe in Allah, he is really required to make himself possessor of the highest moral qualities. He must set before himself the highest and purest ideal of which the heart of man can conceive, and make his conduct conform to that ideal. The belief in Muhammad (peace be on him) as the Prophet of Allah, means that the believer is to model himself on the noble example of the Prophet, and sacrifice his life for humanity even as Muhammad (peace be on him) and other messengers of Allah, did.

A faith in the existence of God and His Oneness is repeatedly mentioned in the Holy Quran, as the basic principle of Islam. 'Iman' implies the condition in which a confession with the tongue is accompanied by an assent of the heart, and the carrying into practice of what is believed. Thus the word 'Iman' is employed, in the Holy Quran, to indicate an

* Translated from Arabic.

for commerce and material well-being. The Qur'an seeks primarily to develop the personality of the individual : every being will be personally responsible to his Creator. For this purpose, the Qur'an not only gives commands, but also tries to convince. It appeals to the reason of man, and it relates stories, parables and metaphors. It describes the attributes of God, Who is one, Creator of all, Knower, Powerful, capable of resuscitating us after death and taking account of our wordly behaviour, Just, Merciful, etc. It contains also the mode of praising God, of pointing out which are the best prayers, what the duties of man are with regard to God, to his fellow-beings and to his own self ; this last because we do not belong to ourselves but to God, who has deposited our self with us. The Qur'an speaks of the best rules relating to social life, commerce, marriage, inheritance, penal law, international law, and so on.

But the Qur'an is not a book in the ordinary sense; it is a collection of the Words of God revealed from time to time, during twenty-three years, to His messenger sent among humam beings. The Qur'an employes graphically the word "King" for God, and "Slave" for man ; when the King desires to communcate a message to His slave He sends a messenger, and gives His instructions to his envoy; therefore there are certain things understood and implied ; there are repetitions, and even changes of of the forms of expression. Thus God speaks sometimes in the first person and sometimes in the third. He sayes "I" as well as "We" and "He", but never "They". It is a collection of revelation sent occasion by occasoin and this fact must be recalled to the beginner — and one should therefore read it again and again in order to better grasp the meaning. It has directions for everybody, every place and for all time.

66 — The diction and style of the Qur'an are magnificent and appropriate to its Divine quality. Its recitation moves the spirit of even those who just listen to it, without understanding it. In passing, the Qur'an (cf. 17/88, 11/13, 2/23, 10/38) has by virtue of its claim of a Divine origin, challenged men and jinn to produce unitedly even a few verses equal to those of the Qur'an. The challenge has remained unanswered to this day.

(To be Continued)

ordered the suppression of certain verses, that was done merely on the basis of a new revelation coming to him from Almighty.

64 — God is transcendent and beyond all physical perception of man ; and it is through the medium of a celestial messenger, an angel, that G.d causes His will and His command to be revealed to His human messenger, for the sake of mankind. God is above all bounds of language. We may in explanation employ the metaphor, that the prophets are bulbs, and the revelation the electric current ; with the contact the current, the bulb gives a light according to its voltage and colour. of The mother-tongue of a prophet is the colour of the bulb. The power of the bulb, the current and other things are determined by God Himself ; the human factor is just an instrument of transmission, only an intermediary.

64 a — The Qur'an is, according to Islam, the Word of God ; and the Qur'an itself repeats again and again, that the believer must recite it day and night, whenever one can. The mystics have well explained that it is a travelling of man towards God by means and through the word of God, the word of God being the high road, even as the electric current is the road for light, which joins the lamp with the power house. This is not an empty verbosity. In fact the Prophet Muhammad has strongly recommended that one should read the whole of the Qur'an once a week. This has led to its division into seven parts called manzils. Further the Qur'an has 114 chapters, called surats, each of which has a number of verses, called ayats. In Arabic manzil means a station after the day's journey ; surat means a walled enclosure, a room ; and the root awa, from which the word aayat is derived, means to go to bed. Station, room, bed, these are the three elements of the journey of the traveller, spiritual or temporal. The traveller undertaking a long spiritual journey has to halt in a station after the day's journey, requires a room and a bed to take rest before the further march the next day in this eternal journey towards the Eternal and Limitless !

65 — The Qur'an is adressed to all humanity, without distinction of race, region or time. Further, it seeks to guide man in all walks of life : spiritual, temporal, invidual and collective. It contains directions for the conduct of the head of a State, as well as a simple commoner, of the rich as well as of the poor, for peace as well as for war, for spiritual culture as

obtain his permission of further transmission of the text established and corrected at the time of study and collation. Those who recieted the Qur'an by heart or simply read the written text, also acted in the same manner.

The habit has continued down to our own day, with this remarkable feature that every master indicates in detail in the certificate given by him not only the fact that the rendering of his pupil was correct, but that it was in conformity with that which his master had learned from his own master, and that this last had affirmed that he in his turn had learnt it from his master, the chain mounting up to the Prophet. The writer of these lines studied the Qur'an at Madinah with Shaikh al-Qurr'a, Hasan ash-Sha'ir, and the certificate he obtained notes, among other things, the chain of masters and masters of masters, and in the final act how the master had studied simultaneously from 'Uthman, Ali Ibn Mas'ud, Ubaiy Ibn Ka'b and Zaid Ibn Thabit (all companions of the Prophet) and that all had taught exactly the same text. The number of hafizes is now counted in the world by hundreds of thousands, and millions of copies of the text are found in all parts of the globe. And what deserves to be noted is that there is absolutely no difference between the memories of the hafizes and the texts employed.

61 — The original of the Qur'an was in Arabic ; and the same text is still in use. Translations have been made in all the important languages of the world, more or less serviceable to those who do not know Arabic. It is to be remembered however that it is in the original Arabic language that the text has come down to us, and there has been no need of retranslating into Arabic from some later translataion.

62 — A text in the original language, a codification under the auspices of the Prophet himself, a continued preservation by the simultaneous double control of memory and writing, and this by a large number of individuals in every generation, and the absence of any variants in the text - these are some of the remarkable features of the Qur'an, the holy book of the Muslims.

CONTENTS OF THE QUR'AN

63 — As stated previously, the Muslims believe that the Qur'an is the Word of God, revealed to His messenger Muhammad. This messenger is only an intermediary for the reception and communication of the revelations ; his role is neither of an auther nor of compiler. If the Prophet Muhammad sometimes

Madina. These persons might have left copies to their posterity, which although authentic were yet outdated. Again, some Muslims had the habit of asking the Prophet to explain certain terms employed in the holy texts, and nothing these explanations on the margins of their copies of the Qur'an, in order not to forget them. The copies made later, on the basis of these annotated texts could sometimes have caused confusion in the matter of the text and the gloss. In spite of the order of the caliph 'Uthman to destroy the inexact texts, there existed in the 3rd. and 4th. centuries of the Hijrah enough matter for compiling voluminous works on the "variants in the Qur'an". These have come down to us, and a close study shows that these "variants" were due either to glosses or mistakes of deciphering the old Arabic writing which neither possessed vowel signs nor distinguished between letters of close resemblance by means of points, as is done now. Moreover, there existed different dialects in different regions, and the Prophet had allowed the Muslims of such regions to recite in accordance with their dialects, and even to replace the words which were beyond their ken by synonyms which they knew better. This was just an emergent measure of grace and clemency. By the time of caliph Uthman, however public instruction had advanced enough and it was felt desirable that concessions should no more be tolerated lest the Divine text be affected and variants of reading take root.

59 — The copies of the Qur'an sent by Uthman to provincial centres gradually disappeared, in the succeeding centuries; one of them is at present in the Topkapi Museum of Istambul; another incomplete one is now in Taskent. The Czarist goverment of Russia had published this latter with a facsimile reproduction; and we see that there is complete indentity between these copies and the text otherwise in use. The same is true of other extant Mss. of the Qur'an, both complete and fragmentary, dating from the first century of the Hijrah onwards.

60 – The habit of learning by heart the text of the entire Qur'an dates from the time of the Prophet himself. The caliphs and other heads of Muslim States have always encouraged this habit. A happy coincidence has further reinforced the integrity of the text. In fact from the very beginning, Muslims have been accustomed to read a work in the presence of its author or one of his authorised pupils, and

direction of the caliph, the people of Madinah brought to Zaid copies of the various fragments of the Quran which they possessed. The sources declare authoritatively that only two verses were such as had a single documentary evidence and that the rest were supported by the production of numerous copies.

56 — The fair copy thus prepared was called the Mus'haf (bound leaves). It was kept in his own custody by the caliph Abu-Bakr, and after him by his successor Umar. In the meanwhile the study of the Qur'an was encouraged everywhere in the Muslim empire. Caliph 'Umar felt the need of sending authentic copies of the text to the provincial centres, to avoid deviations ; but it was left to his successor, Uthman, to bring the task to a head. One of his lieutenants having returned from far off Armenia, reported that he had found conflicting copies of the Qur'an, and that there were some times even quarrels amog the different teachers of the Book on this account. Uthman caused immediately the copy prepared for Abu-Bakr to be entrusted to a commission, presided over by the above mentioned Zaid Ibn Thabit, for preparing seven copies ; he authorised them to revise the old spelling of necessary. When the task was completed the caliph caused a public reading of the new "edition" before the experts present in the capital, from among the companions of the Prophet, and then sent these copies to different centres of the vast Islamic World, ordering that thence forward all copies of should be based only on the authentic edition. He ordered the destruction of copies which in any way deviated from the text thus officially established.

57 — It is conceivable that the great military conquests of the early Muslims persuaded some hypocritical spirits to proclaim their outward conversion to Islam, for material motives, and to try to do it harm in a clandestine manner. They could have fabricated versions of the Qur'an with interpolations. The crocodile tears shed at the order of the caliph 'Uthman, regarding the destruction of unauthenticated copies of the Qur'an, could have been only by such hypocrites.

58 — It is reported that the Prophet sometimes abrogated certain verses that had been communicated to the people previously, and this was done on the strength of new Divine revelations. There were companions, who had learnt the first version, but were not aware of the later modifications, either because of death or of residence outside

depart his life. Whatever the spiritual meaning of his angelic aid to the Prophet, his companions attended these public recitations (called ardah, and the celebrated last presentation: the ardah akeerah) and corrected their private copies of the Qur'an. Thus the Prophet used to revise in the fasting month verses and chapters and put them in their proper sequence. This was necessary, because of the continuity of new revelations. Sometimes a whole chapter was revealed at a stretch, at others fragments of the same chapter came continually, and this posed no problems. The same was not the case if several chapters began semultaneously to be revealed in fragments (Suwar dhawat al-adad of the historians).

In this last case one had perforce to note them provisionally and separately on handy materials, such as shoulder blades, palm leaves, slate-like stones, pieces of hides etc. and as soon as a chapter was entirely revealed, the secretaries classified these notes (nuallif-al-Qur'an) under the personal supervision of the Prophet and made fair copy (ch. Tirmidhi, Ibn Hanbal, Ibn Khathir etc). It is also known, that the Prophet was in the habit of celebrating an additional service of worship during the fasting month, every night, sometimes even in congregation, in which he recited the Qur'an from the beginning to end, the task being completed in the course of the month. This service of Tarawih continues to be observed with great devotion to this our day.

54 — When the Prophet breathed his last, a rebellion was afoot in certain parts of the country. In quelling it, several people fell who knew the Quran by heart. The caliph Abu-Bakr felt the urgency of codifying the Quran and the task was accomplished a few months after the death of the Prophet.

55 — During the last years of his life, the Prophet used to employ Zaid Ibn Thabit as his chief amanuensis for taking dictation of the newly received revelations. Abu-Bakr charged this same gentleman with the task of preparing a fair copy of the entire text in the form of a book. There were then in Madinah several hafizes (those who knew the whole Quran by heart) and Zaid was one. He had also attended the 'ardah akheerah' referred to above. The caliph directed him to obtain two written copies of each portion of the text from among those which had been collated with the recitation of the Prophet himself, prior to its inclusion in the corpus. At the

his was not a chronological compilation. One cannot but admire too much, this precaution and care taken for accurarcy, when one takes into consideration the standard of the culture of the Arabs of the time.

51 — It is reasonable to believe that the earliest revelations received by the Prophet were not committed to writing immediately, for the simple reason that there were then no disciples or adherents. These early portions were neither long nor numerous. There was no risk that the Prophet would forget them, since he recited them often in his prayers and proselytising talks.

52 — Some facts of history give us an idea of what happened. Umar is considered to be the fortieth person to embrace Islam. This refers to the year 5 of the Mission (8 before the Hijrah). Even at such an early date there existed written copies of certain chapters of the Qur'an, and has Ibn Hisham reports, it was due to the profound effects produced by the perusal of some such document that 'Umar embraced Islam. We do not know precisely the time since when the practice of writing down the Qur'an began, yet there is little doubt that during the remaining eighteen years of the life of the Prophet, the number of the Muslims as also that of the copies of the sacred text went on increasing day by day. The Prophet received the revelations in fragments, it is but natural that the revealed text should have referred to the problems of the day.

It may be that one of his companions died; the revelation would be to promulgate the law of inheritance; it could not be that the peneal law regarding theft, murder, or wine-drinking for instance, should have been revealed at that moment. The revelations continued during the whole missionary life of Muhammad, thirteen years at Mecca and ten at Madinah. A revelation consisted sometimes of a whole chapter, short or long, and sometimes of only a few verses.

53 — The nature of the revelations necessitated that the Prophet should repeat them constantly to his Companions and revise continually the form which the collections of fragments had to take. It is authoritatively known that the Prophet recited every year in the month of Ramadan, in the presence of the angel Gabriel, the portion of the Qur'an till then revealed, and that in the last year of his life, Gabriel asked him to recite the whole of it twice. The Prophet concluded thereupon that he was going soon to

memory, but had also invented the art of writing for preserving their thoughts, writing being more lasting than the individual memories of human beings who after all have a limited span of life.

47 — But neither of these two means' is infallible when taken separately. It is a matter of daily experience that when one writes something and then revises it, one finds more or less inadvertent mistakes, omission of letters or even of words repetition of statements, use of words, other than those intended, grammatical mistakes, etc..., not to speak of changes of opinion of the writer, who also corrects his style, his thoughts, his arguments, and sometimes, rewrites the entire document. The same is true of the faculty of memory. Those who have the obligation or habitude to learn by heart some text and to recite it later, especially when it involves long passages, know that sometimes their memory fails during the recitation : they jump over passages, mix up one with the other, or do not remember at all the sequence; sometimes the correct text remains subconscious and is recalled either at some later moment or at the refreshing of the memory by indication of someone else or after consulting the text in a written document.

48 — The Prophet of Islam, Muhammad of blessed memory, employed both the methods simultaneously each helping the other and strengthening the integrity of the text and diminishing to the minimum the possibilities of error. Islamic teachings.

49 — The teachings of Islam are based primarily on what the Prophet Muhammad said or did. He himself dictated ertain texts to his scribes, which we call the Qur'an, others were compelled by his companions, mostly on their private initiative, and these we call the Hadith,

History of the Qur'an.

50 — Qur'an literally means reading or recitation. While dictating this to his disciples, the Prophet assured them that it was the Divine revelation that had come to him. He did not dictate the whole at one stretch : the revelations came to him in fragments, from time to time. As soon as he received one, used to communicate it to his disciples and ask them not only to learn it by heart — in order to recite it during the service of worship — but also to write it down and to multiply the copies. On each such occassion, he indicated the precise place of the new revelation in the text of till - then - revealed Qur'an ;

Preservations of the Original Teachings of Islam

By : Dr. Muhammad Hamidullah

There could be nothing in common between the true and the false and no two things in the world could be as opposed to each other as these. In the commonplace material things of daily life, the evils of falsehood are obvious and acknowledged by all. Of course in matters of eternal salvation, of beliefs, and of the original teachings of a religion, the evil that falsehood does transcends all other evils.

44 — An honest and reasonable man would experience no difficulty in judging whether a certain teaching is just and acceptable, or not. In matters of dogmas however what often happens is that one judges first the person of the teacher prior to his precepts. If he is found trustworthy, one is the more easily persuaded to acknowledge one's own defects of understanding part of his teachings rather than reject totaly his words. In such cases, the fact of the authenticity of his words and of his teachings, particularly when the teacher has died, becomes all the more imperative.

45 — All the important religions of the world are based on certain sacred books, which are often attributed to Divine revelations. It will be pathetic if, by some misfortune, one were to lose the origenal text of the revelation; the substitute could never be in entire conformity with what is lost. The Brahmanists, Buddhists, Jews, Parsis and Christians may compare the method employed for the preservation of the basic teachings of their respective religions with that of the Muslims. Who wrote their books ? Who transmitted them from generation to generation? Has the transmission been of the original texts or only their translations? Have not fratricidal wars caused damage to the copies of the texts ? Are there no internal contradictions or lacunae to which references are found elsewhere ? These are some of the questions that every honest seeker of truth must pose and demand satisfactory replies.

Means of Preservation

46 — By the time that emereged what we call the great religions, men had not only relied on their

It means : "Let not hatred of any people seduce you that deal not justly. Do justice that is nearer to your duty (towards Allah)".

(5 : 8)

Among the causes of human miseries in our contemporary age is fanaticism and intolerance, in the human treatment and understanding. To make distinction between people, in humanitarian affairs, according their faith, colour or race, is the real cause of crisis on this earth. There could be no stability and peace in this world without respect for human dignity in every man and on every land. This principle applies to communities and states in the same way it applies to individuals. Because what an individual is required to do is also expected from a community as represented in the state.

The Holy Qur'an calls the believers to work for communal amity and harmony, and to sweep away all artificial differences and factions. At the time of the Prophet Muhammad's advent international obligations were unknown. When nations and tribes made war upon each other; the result usually was the massacre of the able people, and the slavery of the innocent. In a comparative rude age, when the world was immersed in darkness, moral and social, the Prophet preached those principles of human equality, social justice and common brotherhood.

The able writer of Europe 'Hallam', compared those principles of tolerance and equality preached by the prophet of Islam with the records of any religion, and said : "Islam offered its religion, but never enforced it; and the acceptance of that religion conferred co-equal rights with the conquering body, and emancipated the vanquished states from the conditions which every conquerer, since the world existed up to the period of Muhammad, had invariably imposed". This is the opinion of the learned author of 'Hist. of England', regarding the precepts of a Prophet who has been accused of fanaticism and intolerance !

Let it be remembered that the various conflicts of the Muslims, during the life time of the Prophet, with the surrounding tribes were occasioned by the aggressive and determined hostility of the idolaters or Jews, and were necessary for self-defence. Through those principles Islam aims at establishing unity and brotherhood in humankind, and rejecting all kinds of fanaticism and isolation.

as the spring of world-understanding and the promotion of love and emity among people. The Qur'an declars, addressing to all mankind, the principle of human-brotherhood and human-relation in the following verses :

« يا أيها النـاس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ».
(الحجرات ١٣)

It means : " O mankind ! Lo ! We have created you male and female, and have made you nations and tribes that you may know one another. Lo ! the noblest of you in the Sight of Allah the best in conduct ". (49 : 13)

« وتعاونوا على البـر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ».
(المائدة ٢)

It means : "Help you one another unto righteousness and pious duty. Help not one another unto sin and transgression. (5 : 2)

And : إن الله يأمر بالعـدل والإحسان

It means : " Lo ! Allah enjoins justice and Kindness".

The Holy Qur'an has totally prohibited any kinds of compulsion as means of driving people to embrace a certain religion, faith or doctrine. It declared : لا إكراه في الدين (There should be no compulsion in religion). It has also strictly forbidden any interference in the affairs of non-Muslims and guaranteed their liberties in all walks of life. By the laws of Islam, liberty of conscience and freedom of worship were allowed and guaranteed to the followers of every other creed under Muslim domination. Islam regulated relations among peoples of different religions on the basis of justice and human equality ; no matter whether such relations be with friendly or hostile people. The Qur'an says :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ».
(الممتحنة ٨)

It means : " Allah forbids you not those who warred not against you on account of religion and drove you not out from your homes, that you should show them kindness and deal justly with them. Lo ! Allah loves the just dealers". (60 : 8)

And : ولا يجرمنكم شنآن قـوم على ألا تعـدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى.
(المائدة ٨)

Oneness of God, in His Mercy, Love and His Sustainment. 2 — The present life is the seed - ground of the Future Life. 3 — Everybody will be judged by his work alone. The belief in these principles leads the man to self humiliation, self denial and universal charity. Out of this belief he will endeavour, with honesty, sincerity and devotion, to implement the teachings of his Lord in all the spheres of his every day, individual and social life.

The Holy Qur'an and the teachings of the Prophet laid down the following principles and rules to regulate relations between individuals and communities : Human dignity, human brotherhood, freedom, justice, equality and human unity.

The Holy Qur'an declars the common parentage of mankind, despite their differences in colour, tongue, tribes, races and faiths. They emanate from one origin, and share the same end. The Holy Qur'an says :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء »
(النساء ١)

It means : "O mankind ! keep your duty unto your Lord. Who created you from a single soul and from it created its mate and from them twain Has spread a multitude of men and women". (4 : 1)

This same idea was explained by the Prophet :

« كلكم لآدم وآدم من تراب »

(you are all Adam's offspring, and Adam is of earth). Islam, through its principles and teachings, fosters dignity and self respect in the hearts of its followers and educates them to respect dignity and honour of others. This honour is due for their humanity and good conduct, and not because of their social status, race or colour. It is a Common Privilege for all people. The Qur'an referrs to this privilege as follows :

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ».
(الإسراء ٧٠)

It means : "Verily We have honoured the children of Adam and We carry them on the land, the sea, and have made Provision of good things for them..." (17 : 70)

Islam recommended 'the general human brotherhood' as means of conduct among peoples of different religions, lands and races. It, therefore, recognized human coperation

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

DHU'L-QA'DAH 1389	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	JANUARY 1970

Islam Resists Fanaticism and Isolation

By :

A. M. Mohiaddin Alwaye

The chief object of a true religion should be the elevation of humanity towards that perfection which is the ultimate purpose of the creation of man. The religion of ' Islam ' has a distinctive appellation ; it is not derived from the name of its preacher. But the word ' Islam 'means to surrender, submit or yield . the noun) salam or aslamath) derived from it means peace, safety, salvation and greeting in order that the religion of Islam is characterized in the 'absolute submission to the Will of God'. It regulates the course of human life according to the true nature (Fitrat) in which God has created man, as the Holy Qur'an says :

«فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون». (الروم ٣٠)

It means : " So set thy purpose for religion as a man by nature upright — the nature (framed) of Allah in which He has created man. There is no altering (the law of) Allah's creation. That is the right religion. But most men know not ". (30 : 30)

Islam tries to attain the object of perfection by grasping three principles ; 1 — The belief in the

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ قرشاً في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٤٧٣
٩٠٥٥٠٦

الجزء العاشر — السنة الحادية والأربعون — ذ[illegible] ١٣٨[illegible] هـ فبراير سنة ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الطائفين بالبيت الحرام

للأستاذ عبد الرحيم فودة

في أحب أرض الله إلى الله ورسوله ، وحول أول بيت وضع للناس مباركا ، وهدى للعالمين ، تلتقي جموع من المسلمين في كل عام « ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، ويطعموا البائس الفقير » وينعقد من اجتماعهم أعظم مؤتمر إنساني يقام فوق هذه الأرض وتحت قبة هذه السماء ، ذلك لأن السعي إلى هذا المؤتمر والانتظام فيه ، إنما هو استجابة لدعوة الله ، وتلبية لأمره ؛ ثم هو إلى ذلك رياضة نفسية ، تصفو بها القلوب ، وتطهر بها الضمائر ، وتسمو بها المشاعر ، وترتفع بها النفوس إلى آفاق لا تتطلع إليها العيون والأحداق ، وإنما تدركها البصائر النيرة ، وتنتشي بها الأرواح الطاهرة ، ويشعر فيها الإنسان بما لا تتسع له طاقة اللغة والبيان .

وأي لغة يمكن أن تعبر عما يشعر به الحجيج وهم يؤمون بيت الله ، ويتوجهون اتجاههم إليه في كل صلاة كانوا يؤدونها بعيداً عنه ، بالطواف حوله ، والوقوف أمامه ، والشعور بالقرب منه .

وأى بيان يمكن أن يصور مشاعرهم وقد تجردوا من كل ما يصلهم بشواغل الدنيا ، وأقبلوا على الله بين جموع تلبيه وتكبره ، ودموع تناجيه وتستغفره ، وقلوب تخفق بحمده وشكره ، وألسنة تلهج بجلاله وذكره . .

فإذا انتهوا من الطواف حول بيته العتيق، سعوا بين الصفا والمروة ، وتذكروا فى سعيهم بينهما قصة هاجر أم إسماعيل عليه السلام وهى تسعى بينهما ، وقلبها يكاد ينفطر إشفاقا على ابنها أن يقتله الظمأ ، ثم تذكروا رحمة الله بها وبولدها ، وهى تتدفق من بئر زمزم بماء غزير .

فإذا انتهوا من ذلك فهناك موقف آخر ينتظرهم ويذكرهم بموقف رسول الله ﷺ فوق جبل الرحمة فى وادى عرفات ، وهو يخطب فى الجموع التى احتشدت حوله ويقول فيما قال : (أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت . . ؟ اللهم اشهد) ، ثم يتلو عليه السلام آخر ما تلقاه من كتاب الله : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » .

فإذا أفاضوا من عرفات إلى المشعر الحرام فى المزدلفة وأشرق عليهم الصبح فى منى ذكروا قصة أخرى تصلهم بإسلامهم ، وتصور لهم مدى ما يفعله الإسلام بنفس المسلم الصادق فى إيمانه وإسلامه .

إنها قصة إبراهيم وقد امتحنه الله فى إسلامه بذبح ولده العزيز عليه ، فلم يفزع ولم يجزع ، وقصة إسماعيل وهو يقبل التضحية بحياته ، ليطيع الله ويطيع أباه .

إنها قصة شيخ طاعن فى السن يجد فى حياة ابنه امتدادا لحياته ، وقصة شاب تتفتح نفسه للحياة ، فلا تغريه الدنيا وزخارفها بمعصية الله ، وقد صور القرآن هاتين القصتين فى عبارة موجزة لا يرقى إليها بيان إنسان إذ يقول الله فى إبراهيم وإسماعيل « فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى . قال ياأبت : افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم، قد صدقت الرؤيا إنا كذلك

نجزى المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه فى الآخرين ، سلام على إبراهيم » .

وهكذا كان إسلام إبراهيم وإسماعيل إذعانا كاملا لله ، واطمئنانا إلى عدله وفضله وثقة بحكمته ورحمته ، وإن خفى عليهما وجه الحكمة والرحمة فى أن يذبح الوالد ولده ، ويطيع الولد أباه ، وقد ظهرت الحكمة فيما انتهى إليه هذا الأمر ، وفيما أسفر عنه هذا الصبر ، وهى رحمة الله بهما وإحسانه إليهما ، ورضاه عنهما وسلامه عليهما ، وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : « وناديناه أن يا إبراهيم ، قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه فى الآخرين ، سلام على إبراهيم » .

ثم كان من فضل الله عليه وإحسانه إليه أن وهب له ولداً آخر ، ليكون نبياً آخر كما يفهم من قوله : « وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين » .

ثم كان منه ومن إسماعيل وإسحاق عليهم السلام شجرة النبوة التى انتهت بخاتم النبيين وسيد المرسلين محمد ﷺ ، فإنه دعوة إبراهيم وإسماعيل التى تفتحت لها أبواب السماء حين كانا يرفعان قواعد البيت ويقولان : « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » .

هذه هى الملامح العامة التى نطالعها فى أعمال الحج ، أما ما فيها من مبادئ الاشتراكية كما يرضاها الإسلام فتبدو فى المساواة التى لا تعترف بفروق بين الناس ، وفى الوحدة التى تجمعهم على تقوى الله ، وتعظيم شعائره ، وفى التعارف الذى يصل تاصيهم بدانيهم ، ثم فى الهدى والضحايا التى تقدم قرباناً لله ، وبراً بالفقراء من عباده ، والمتأمل فى قوله تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ، والشهر الحرام والهدى والقلائد » ، وقوله سبحانه : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » ، وقوله فى هذا البيت : « الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد » يدرك

البقية على صفحة (٧٢٧)

مؤتمر المسلمين الأكبر

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد محمد الفحام
شيخ الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم :

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك » .

إلى هذا النداء الحبيب إلى قلب كل مسلم دعا رسول الله ﷺ المسلمين إلى حج بيت الله الحرام تلبية لدعوة أبيهم إبراهيم : « أيها الناس أن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا » .

قال تعالى : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » .

ففى السنة العاشرة من الهجرة ـ وقد استدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ـ وأوشك شهر ذى القعدة أن ينسلخ نادى الرسول ﷺ فى الناس بأنه سيحج هذا العام .

وسرت الدعوة النبوية وانتشرت فى ربوع الجزيرة العربية وعرف الناس أن رسول الله ﷺ قد صح منه العزم على حج بيت الله الحرام ، وما أشد لهفة المسلمين إلى زيارة مكة أم القرى التى شرفها الله بالكعبة المطهرة .

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » .

وإجابة لهذا الداعى الكريم ونيلا لهذا الشرف العظيم ـ شرف الحج مع رسول الله ﷺ سارع الناس من كل حدب وصوب إلى المدينة المنورة دار الهجرة النبوية يطلوهم البشر ويرفرف عليهم لواء الإسلام الذى انتشر فى الجزيرة العربية فانتشر به السلام

وعم به الوئام فالمسلمون جميعا فى كنف الإسلام إخوة فى الله « إنما المؤمنون إخوة » أكرمهم عند الله أتقاهم .

وأذن مؤذن رسول الله ﷺ بمسيرته حاجا إلى مكة وتبعه جميع المؤمنين الذين أكرمهم الله بالحج مع رسول الله يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراهم اليوم ، وقد ساروا خلف رسول الله ﷺ ميممين شطر البيت الحرام ليفوزوا بالرضى والرضوان وينعموا بالأمن والسلام ، وقد وحد الله كلمتهم وجمع الإسلام شتاتهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا . وصدق الله سبحانه : « هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » .

ووصل الركب مكة المكرمة ، وجاء يوم التروية ، اليوم الثامن من ذى الحجة وشرع رسول الله ﷺ والمسلمون يؤدون مناسك الحج ، وبعد الوقوف بعرفة سار الرسول ﷺ حتى أتى بطن الوادى ونادى فى الناس وهو على ناقته القصواء ـ بصوت جهورى ـ كان يردده من بعده ربيعة بن أمية بن خلف :

(أيها الناس: اسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا) .

وكأنى برسول الله ﷺ ينعى نفسه الشريفة إلى المسلمين بهذه العبارة المؤثرة ، وقد أراد صلوات الله وسلامه عليه أن يكون إرساء قواعد الإسلام وإتمام رسالة السلام فى هذا الموقف الجليل والمسلمون يؤدون فريضة العمر كله حجة الإسلام وهم مأخوذون بجلال الموقف الخالد مع رسول الله ﷺ بعرفات وعلى الناقة القصواء يخطب المسلمين خطبته الجامعة :

(أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها)

ويبين الرسول ﷺ أن المجتمع الإسلامى مجتمع التعاون الأخوى والتكافل الاجتماعى لا يحل فيه ربا المرابين ولا استغلال المستغلين فالربا حرام كله قليله وكثيره معهوده وغير معهوده ، وليس بعد بيان الرسول بيان ، فها هو ذا ينادى بأعلى صوته : (وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربا ، وأن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله) .

ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم أن مجتمع المسلمين مبنى على الأخوة الإسلامية فالمسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحل له من ماله إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه وذلك قوله ﷺ . (أيها الناس : اسمعوا قولى واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين أخوة فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم اللهم هل بلغت ، فأجاب الناس : اللهم نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم فاشهد)

وبعد أن انتهى الرسول ﷺ من خطبته تلك التي كانت إرساء لقواعد الإسلام ، وبينما هم فى الطريق قريبا من عرفات تلا عليهم صلوات الله وسلامه عليه قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » . وكانت هذه الآية الكريمة إيذانا بأن الرسول ﷺ قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة وأوشك أن يودع الدنيا إلى الرفيق الأعلى ، وذلك ما توقعه أبو بكر رضى الله عنه وقد صح ما توقعه ، فما أن أتم رسول الله صلى الله عليه وسلم مناسك الحج وعاد إلى المدينة حتى ظهرت أمارات وبدت بوادر توحى بقرب مفارقة الرسول دنياه ، فقد خرج ذات ليلة وقد بدأ يشكو المرض والأرق مستصحبا مولاه أبا مويهبة إلى البقيع حيث مقابر المسلمين فخاطب أهلها (السلام عليكم يا أهل المقابر ليهنأ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى) .

يقول أبو مويهبة : إن النبى ﷺ قال له أول ما بلغنا البقيع (إنى أمرت أن استغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معى) ، فلما استغفر لهم وآن له أن يثوب قال يا أبا مويهبة (إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة ، قال أبو مويهبة : بأبى أنت وأمى فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة) قال محمد صلوات الله وسلامه عليه : (لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة) وما هى إلا أيام حتى لقى الرسول ﷺ ربه راضيا مرضيا .

وبعـــد :

فما أشد حاجة المسلمين اليوم ــ والذئاب تحاول أن تتخطفهم من كل مكان وتنشب

مخالبها فى كيان الأمة العربية التى انبعث منها نور الإسلام يوم بعث فيها النبى العربى سيد ولد عدنان محمد ﷺ – إلى أن يتفهموا المغزى العميق من خطبته ﷺ فى يوم عرفات أنه يسأل الأجيال من بعده كيف يكون مجتمعهم فى عرفات .

وما أجدرهم اليوم وهم مقبلون على حج بيت الله الحرام أن يجعلوا من هذا الاجتماع العظيم مؤتمرهم الإسلامى الأكبر فيعلنوا على الدنيا بأسرها ما أعلنه الرسول ﷺ فى حجة الوداع : (المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) .

وليسمعوا العالم كله أن الأمة الإسلامية جسد واحد – إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

فإذا كان عضو فى جسم الأمة الإسلامية يئن من ظلم الاستعمار وطغيان المعتدين فى أرض العروبة التى أشرق فيها نور الإسلام فأضاء العالم بنور الهداية المحمدية فإن للمسلمين فى شتى بقاع الدنيا – وهم كما قال الرسول ﷺ : (يد على من سواهم) سيعلنونها صرخة مدوية تنبعث من المسجد الحرام ويردد صداها المسجد الأقصى جهاداً فى سبيل الله بالمال والدم حتى يطهر الله أرضنا ويرد إلينا قدسنا وترفرف على فلسطين أعلام النصر ورايات السلام .

« ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » .

شيخ الأزهر
دكتور محمد محمد الفحام

(بقية المنشور على صفحة ٧٢٣)

أن الاشتراكية فى الحج صورة وضيئة مضيئة من صور الاشتراكية فى الإسلام ، وإنها تقوم على أساس أعمق وأصدق وأقوى من كل النزعات والاتجاهات التى قامت عليها الاشتراكية فى غير بلاد الإسلام ، لأن أساسها التقوى كما يقول الله فيها : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين » .

تباركت يارب الحجيج جمتهم
لبيت طهور الساح والعرصات
أرى الناس أفواجاً ومن كل بقعة
إليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت
لديك ولا الأقدار مختلفات

عبد الرحيم فودة

دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله

للدكتور محمد أحمد الغمراوى

— ٢ —

ضمير الخطاب للوجه إلى النبي ﷺ منبثا فى القرآن الكريم كله، دلالته مطلقة على بطلان زعم المستشرقين ومن إليهم أن القرآن من عند محمد ، إذ لا يعقل أن يكون من عنده ﷺ وهو مأمور به مخاطب فيه ذلك الخطاب العام الشامل ، على تعدد صوره وجلال مقاصده . لكن دلالة ذلك الخطاب على نبوته ﷺ ورسالته تتوقف على أن يكون المخاطب النبي فى القرآن هو الله عز وجل . وهذا يدل عليه دلالة قاطعة ضمير المتكلم فى القرآن، فإنه لا يرجع إلى النبي ﷺ ، ولا يرجع إلى غير الله عز وجل إلا محكيا فى القصص ، ولذا ينبغى أن يسمى ضمير الجلالة ، كما يسمى ضمير خطاب النبي ضمير الرسالة .

فالخاصة العظمى للميزة للقرآن ، الدالة دلالة قاطعة على أنه من عند الله هو ضمير الجلالة ، المتكلم فى القرآن ، فإنه لا يمكن أن يكون راجعا إلا إلى الله عز وجل ، إذ الأفعال المسندة إليه لا يمكن ولا يعقل أن تصدر إلا عن الله سبحانه فى أى موطن من مواطن الإسناد على كثرتها الكاثرة فى القرآن الكريم . وتتبع تلك المواطن يحتاج إلى كتاب ، لكن يكفى فى مقال أن نضرب لها الأمثال .

وأول موطن يلقاك فيه ضمير الجلالة المتكلم هو الآية الثالثة من سورة البقرة : قوله تعالى «الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » ، فهو فى (رزقناهم) لا يمكن أن يكون إلا لله ، فإنه لا يرزق العباد إلا الله . وضمير المفعول فى (رزقناهم) راجع إلى المتقين من العباد المذكورين فى الآية الثانية أى فى قوله تعالى: «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » . فمن الواضح أن الكتاب الذى لا ريب فيه المنوه به فى الآية الثانية وهو القرآن، هو من عند من له ضمير المتكلم فى الآية الثالثة فى (رزقناهم) ، وهو الله عز وجل .

ومن عجيب الاحتراس ونفى الشبهة —

أىّ شبهة أو احتمال أن يكون الفعل فى (رزقناهم) أى معنى خاص بأى تأويل بعيد يرده إلى النبى ليكون الكلام من عنده فى زعم مستشرق أو ملحد - من عجيب أن فى مثل هذا الاحتمال مجىء كاف الخطاب، ضمير النبوة والرسالة، مرتين فى الآية التالية مباشرة، وهى قوله تعالى تماما لوصف المتقين : « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ».

وفى الفعل (أنزل) فى الآية الكريمة بيان لفحوى ضمير الخطاب، وفى تكراره توكيد لدلالته على نبوة النبى ﷺ، وتصريح بما استنبط من الآيتين قبلها من أن الكتاب أى القرآن هو من عند الله رازق العباد.

ثم يأتى ضمير الخطاب بالتاء فى الآية السادسة وهى قوله تعالى « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ».

ليس فقط مؤكدا لضمير الخطاب بالكاف فى الآية الثالثة فى إبطاله زعم من يزعم أن القرآن من عند النبى، ولكن أيضا مقترنا بما يدل صراحة على ما تدل عليه الكاف ضمنا. فالكاف فى الآية الثالثة اقترنت بالفعل (أنزل) الذى يدل صراحة على النبوة حسب مفهومها فى علم الكلام ويدل بالفحوى على الرسالة. أما التاء ضمير الخطاب فى (أأنذرتهم)، والدالة عليه فى (تنذرهم)، فسند إليه الإنذار — والإنذار من أخص أعمال الرسل.

ثم يأتى التصريح باسم الله عز وجل فى صدر الآية السابعة فى قوله تعالى « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » ليتضح لكل متأمل أن المخاطب النبى الذى يدل عليه ضمير المتكلم فى « رزقناهم » هو الله عز وجل الذى بيده وحده الختم على السمع وعلى القلوب.

فهذه دلالات متتابعة متساندة لا تدع شكا عند كل متطلب للحق، فى حسن نظر وإنصاف، أن القرآن لا يمكن أن يكون من عند غير الله وليس من المنتظر أن تتضح كل هذه الدلالات لأعجمى، مستشرق يدين باليهودية أو النصرانية، ولا لملحد مفتون بالمستشرقين لكن مهما أعمى الهوى هذا أو ذاك عن بعضها فان يعمى العقل عند هذا أو ذلك عن دلالة ضمير المتكلم فى (رزقناهم)، ولا عن دلالة ضميرى الخطاب فى موضعهما من الآيتين الرابعة والسادسة فى مفتتح أول سورة

فى القرآن بعد أم الكتاب، لو كان ذلك الناظر على ما يزعم لنفسه من علمية الطريقة والإخلاص للحق فى بحثه . وإذن لتتبع فى القرآن ضمائر المتكلم الدالة على الله بمرجعها إلى اسم من أسمائه الحسنى أو بما أسند إليها من فعل لا يقدر عليه غير الله سبحانه ، وإذن لخرج من بحثه لا يجد مفرا من التسليم بأن القرآن حقا من عند الله ، وأن محمدا إذن رسول الله.

وإذا مضى الباحث يقرأ سورة البقرة التقى ثانى مرة بضمير الجلالة للمتكلم فى قوله تعالى « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » والآية خطاب للعرب الفصحاء الذين نزل القرآن بينهم ، ثم للمرتابين فى القرآن فى أى عصر حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهى آخر آيات التحدى وأجلها ، لأن التحدى فيها آت من الله مباشرة كما هو واضح من ضميرى الجلالة فى « مما نزلنا على عبدنا » لا منه سبحانه على لسان رسوله بالأمر (قل) فى آيتى التحدى فى سورتى هود ويونس « قل فأتوا بعشر سور مثله » « قل فأتوا بسورة مثله » . ثم هى صريحة فى أن القرآن نزله الله على عبده رسول الله ، لأن قوله تعالى : « وادعوا شهداءكم من دون الله » يدل بوضوح على أن ضمير المتكلم فى الآية الكريمة هو ضمير الجلالة . ويزداد ذلك وضوحا بمجىء الآية عقب آيتين تأمران الناس بعبادة خالقهم وتوحيده : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ».

فليس من شك فى أن المتكلم فى آية التحدى هو خالق الناس الذى يأمرهم بعبادته تعالى وتوحيده فى الآيتين قبلها . وهو مثل من أمثلة الالتفات العجيب الكثير الورود فى القرآن الكريم مع قلته وندرته فى الأدب العربى كله .

وضمير المتكلم المقترن بأعمال مسندة إليه لا يمكن أن تكون لغير الله ، لتدل بداهة على أن المتكلم هو الله ، كثير الورود فى سورة البقرة مثل قوله تعالى « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » الآية (٣٤) وما إليها فى قصص آدم . « وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر » الآية (٦٠) « ولقد آتينا

موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » الآية (٨٧) وما إليهما من قصص أهل الكتاب ؛ « وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين » الآية (١٢٥) في حديث إبراهيم عليه السلام ؛ « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان » في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى آيات منبثة في القرآن كله لا يمكن أن ينصرف ضمير المتكلم فيها إلا إلى الله سبحانه لتقوم لدى العقل دليلا وشاهدا وحجة على الناس أن القرآن من عند الله .

لكن لعل أوضح الآيات القرآنية دلالة على أن المتكلم في القرآن هو الله سبحانه هي تلك الآيات الكونية التي فيها التفات أحد طرفيه ضمير الجلالة للمتكلم . وقد ذكر صاحب الإتقان الالتفات [1] في كلامه على بدائع القرآن ، وروى ما قد قيل فيه وفي فوائده ، وضرب لأنواعه الأمثال فكان من بينها مثلان من الآيات الكونية هما قوله تعالى : « والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها ، كذلك النشور » من سورة فاطر ، وقوله تعالى من سورة فصلت « فقضاهن سبع سموات في يومين ، وأوحى في كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم » .

ولم يذكر السيوطي الآيتين بتمامهما ولكن اقتصر من الآيتين على ما ضرب مثلا للالتفات من الغيبة إلى المتكلم فوقف من الآية الأولى على (فسقناه) ، ومن الآية الثانية على (وزينا) مبتدئا من (وأوحى) ، ثم لم يذكر من دلالة هذا الالتفات شيئا على عظم الدلالة وجلالها . إن شرط الالتفات عنده وعند أكثر البلاغيين اتحاد المراد من طرفيه . فالمراد واحد من لفظ الجلالة في أول آية فاطر ومن ضمير المتكلم في (فسقناه) و (فأحيينا) في الآية الكريمة .

كذلك ضمير المتكلم في (وزينا) ، هو والضمير المستتر في (وأوحى) المراد منهما واحد هو الله سبحانه العزيز العليم الذي دل عليه الالتفات العجيب من التكلم إلى الغيبة في « وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم » والمصابيح

[1] ص ٨٠ الجزء الثاني طبعة مصطفى الحلبي .

هى النجوم التى ترى فى السماء دل العلم على أنها شموس متأججة، وأنبأ القرآن بتأججها قبل أن يعرفه العلم إذ شبهها بالمصابيح ذلك التشبيه البليغ ، فإن وجه الشبه بينهما أن كلا مضىء بذاته لا بالانعكاس .

فمن الواضح الذى لا يمارى فيه عاقل أن ضمير المتكلم فى الآيتين الكريمتين هو الله عز وجل الذى يسوق السحاب إلى حيث يغيث به الناس ويحيى لهم الأرض بالنبات، والذى خلق السموات السبع وزين الدنيا منها – أى سماءنا – بالنجوم .

وفى القرآن آيات كونية أخرى متعددة جاء فيها الالتفات الذى أحد ركنيه ضمير الجلالة للمتكلم ، مثل ذلك قوله تعالى فى سورة الأنعام « وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء ، فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا » الآية (٩٩) بعد الآيات الأربع التى أولها « إن الله فالق الحب والنوى ، يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ، ذلكم الله ، فأنى تؤفكون » والتى آخرها « وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون» والكلام على إعجاز الآيات الخمس من حيث المعنى ومن حيث الأسلوب يطول .

حتى الترتيب الذى هو جزء من الأسلوب فيه إعجاز لمن يتأمله ، مثل ذلك آية (فالق الإصباح) بعد آية « إن الله فالق الحب والنوى » ، وآية « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » بعد قوله « والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم» فى خاتمة آية (فالق الإصباح) وآية الإنبات بماء السماء حتى ينتهى بإخراج الحب المتراكب بعد آية إنشاء الناس من نفس واحدة ، لكن الآيات الكريمة قد ذكرت هنا لبيان كيف إن الالتفات الذى لم ير فيه علماء البلاغة إلا وسيلة للتطرية وما إليها قياسا عليه فى كلام الناس قد جعله الله فى كلامه طريقا للدلالة الواضحة وإقامة الحجة البالغة على أن القرآن من عند الله ، وذلك بالمراوحة بين ضمير الجلالة للمتكلم وضمير الجلالة لغير المتكلم ، ولا أقول للغائب كما يقتضى علم النحو ما دامت كلها تدل على الله الحق الذى لا يغيب بمرجعها إلى لفظ الجلالة فى مفتتح أولى الآيات الخمس أو إلى اسمين من أسمائه الحسنى فى قوله سبحانه (ذلك تقدير العزيز العليم)

فى مختتم الآية الثانية ، وقد ورد ضمير الجلالة للمتكلم فى الآيات خمس مرات ، ثلاث منها فى الآية الخامسة آية الإنبات ، ومرتين فى الآيتين قبلها .

والتراوح بين الضمائر فى الآيات الثلاث ينشأ به من الالتفات خمسة متراوحة من الغيبة إلى التكلم ثم من التكلم إلى الغيبة وهلم جرا كما يبدو لمتأمل الآيات الكريمة الثلاث : « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ، وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ، وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا » . وهذا إعجاز بديعى ليس له ، حتى فى صورته ، نظير قط فى الأدب العربى جاهليه وإسلاميه .

وليس يستلزم مثل هذا الحكم الاطلاع على الأدب العربى كله لأن من المعروف أن الالتفات نفسه فى الأدب العربى قليل فكيف بتوالى خمسة منه على هذا النمط العجيب. لكن الأعجب والأبلغ فى الإعجاز — إن كان فى الإعجاز تفاوت — ما تحت تلك الالتفاتات المتراوحة من توكيد بعد توكيد الحقيقة العظمى للذهلة من أن المتكلم فى القرآن العظيم هو الله سبحانه خالق الناس وفاطر الكون فالذى جعل النجوم للناس ليهتدوا بها هو المتكلم فى (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) والمتكلم فى (قد فصلنا) هو الذى أنشأ الناس من نفس واحدة ، والذى أنشأ الناس هو المتكلم فى (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) ، والمتكلم فى (قد فصلنا) هذه هو الذى أنزل من السماء ماء والذى أنزل الماء من السماء هو المتكلم فى (فأخرجنا به نبات كل شىء) ثم لعظم وجلال هذه الحقيقة المميزة القرآن من بين الكتب السماوية كلها يؤكدها الله مرتين فى النهاية بتكرار ضمير الجلالة للمتكلم فى قوله تعالى : « فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ».

وليس يحتاج القول بتميز القرآن من بين الكتب السماوية بضمير الجلالة للمتكلم منبثا فيه من لدن الآية الثالثة من سورة البقرة إلى الآية الأولى من سورة الكوثر ليس يستلزم القول بهذا التميز استقراء الكتب السماوية كلها إذ يكفى أن متصفح كتب العهدين : القديم والجديد باحثا عن

ضمير الجلالة للمتكلم لا يجده إلا عن طريق الخبر على لسان ملك أو نبي ، كما يرد في الأحاديث القدسية على لسان خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه .

تلك إذن هي ثانية الخواص المميزة للقرآن الدالة دلالة قاطعة على أنه من عند الله : أن الحق سبحانه هو المتكلم مباشرة في القرآن يتجلى ذلك بضمائر الجلالة التي لا يمكن أن تصرف إلى غير الله عز وجل ، وبخاصة ضمائر الجلالة للمتكلم سواء أكانت في خطاب النبي كما في « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده » أم في خطاب لبني إسرائيل كما في « يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم » أم في خبر عن عن النصارى كما في « ومن الذين قالوا : إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به » أم في خبر عن الأمم الماضية كما في « وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين » أم في القصص كما في « وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا : « ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة » « إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم » في مفتتح سورة نوح أم في تشريع كما في « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم »

أم في آية كونية كما في « ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم ، إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » أم في ذكر ليوم القيامة وتذكير للناس « ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » أم في إعلان تمام نعمة الله على الناس بإكمال الدين في قوله سبحانه « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » الذي نزل على الرسول ﷺ في موقفه بعرفة في حجة الوداع ؟ .

محمد أحمد الغمراوي

دروس من بدر

للأستاذ محمد المتولى عبد الباسط

— ٢ —

تحدثنا فى مقالنا السابق [1] من دروس من غزوة بدر الكبرى استقيناها من أحداثها الهامة .

واليوم نتحدث عن أثر من آثار بدر هو أخلد على الزمن من الزمن ، ألا وهو إنزال سورة الأنفال التى خلدت بدراً إلى الأبد ، وكانت منبراً توالت منه العظات والتشريعات الخالدة .

سيكون حديثى حول سورة الأنفال لا كتفسير وإنما كعرض لأحداث ، ومبدأ لتشريعات .

(١) تحدثت السورة الكريمة ـ أول ما تحدثت ـ عن الأنفال ، وقطعت أطماع الطامعين ، وسدت باب الفتنة التى أطلت برأسها عقيب النصر المبين والاستيلاء على غنائم ما مر بخلد أحد أن يستولى عليها المسلمون .

إن أعظم ما يلاقيه الجيش المنتصر ـ من الفتن ـ هو تسرب الخلاف بين صفوفه ، إما بالتنافس على الدنيا ، وإما بالغرور والعجب .

وهذا ما وقع للمسلمين عقيب هذا النصر المؤزر ـ بالرغم أن الرسول ـ ﷺ بين أظهرهم ـ فقد اختلفوا فى شأن الغنائم وهى الأنفال ، فكل جماعة تدعى أنها أحق بها من سواها حتى ساء خلافهم ، فقد صح أنه لما هزم المشركون ، اتبع قوم أثرهم والتف جماعة برسول الله ﷺ خشية أن يكر عليه العدو فيصيبونه بسوء ، وانحازت طائفة بعسكر المشركين يحوزونه ، حتى إذا أقبل الليل وفاء الناس بعضهم لبعض ، قال الذين حازوا الغنائم . نحن أولى بها منكم لأننا الذين حزناها ، وقال الذين اتبعوا آثار القوم : لستم أولى بها منا ، نحن الذين أجلينا العدو عنها ، وهزمناهم وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ نحن أولى بها منكم ، نحن خفنا أن يصيب

[١] عدد شهر رمضان سنة ١٣٨٩ هـ .

العدو من رسول الله ﷺ غرة ، فأحدقنا به ولولا هذا لانقلب النصر هزيمة ، واشتد الخلاف بينهم ، فقطع الله أطماع هؤلاء وهؤلاء ، وانتزعها منهم - جميعا - وجعلها فى يدى رسول الله ﷺ فقسمها رسول الله ﷺ عن سواء ، ووضع الغنائم فى الوضع الذى شرعه الله تعالى « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » .

(٢) كانت لفتة إلهية عالية لهذه الأمة فى مطلع انتصاراتها أن لا تجعل الدنيا ومتاعها قصارى همها ومنتهى آمالها ، بل تسلم الأمور لله ولرسوله ، وفى هذا راحة للقلوب واطمئنان للنفوس فإن المسلم إذا عرف أن حقه الذى شرعه الله له هو كذا لم تطمع نفسه إلى ما وراء ذلك ، وهذه ميزة التشريع الإلهى عن التشريع الوضعى أن أخذ الحق فى ظل التشريع الإلهى يكون مصحوبا بالرضا سواء أخذ منك الحق أو أخذ لك الحق ، ولهذا عقب الله سبحانه الجواب عن المسألة فى أمر الأنفال بقوله « فاتقوا الله » وقفوا عند حدوده ، فلا يطمع أحدكم فى حق أخيه وانزعوا من قلوبكم كل أسباب النزاع « وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » فإن دعوى الإيمان مع مخالفة الله ورسوله دعوى كاذبة .

(٣) صورت السورة للمؤمن الصادق بصفات - وهى - ميزان صادق دقيق يزن به الإنسان إيمانه : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم »

استفتاح بهذه السورة يعتبر خير استفتاح ودرس يعتبر درسا لكل أمة ناهضة حتى لا تتشعب بها الطرق ، وتزيغ بها الأهواء .

(٤) العامل الثانى من عوامل الفتنة التى تعرض للجيش المنتصر - هو - العجب والغرور ، وهذا أخطر شىء يفتن به المنتصر ، وقد عالج الله - جل شأنه - هذه الظاهرة التى بدا بعض أثرها على بعض الوجوه ، ووجدت طريقها إلى بعض النفوس ذكرهم بحالهم قبل المعركة ، وأثناء المعركة أما قبل المعركة فذكرهم أنهم كانوا مستضعفين فى الأرض يخافون أن يتخطفهم

الناس : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون» وذكرهم بحالهم وهم خارجون إلى المعركة «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت ، وهم ينظرون » .

صورة قوم ضعاف خائفين مترددين ولكن الله جعل من ضعفهم قوة ، ومن ترددهم عزيمة ، فالفضل ـ أولا وأخيرا ـ لله ، فليس لهم أن يتشدقوا ويعجبوا بأنفسهم ويأخذهم الغرور المفسد .

ثم استمع إليه ـ تعالى ـ وهو يبين لهم منته عليهم أثناء المعركة ليردوا الأمر لله ـ وحده ـ « إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » .

ثم استمع إليه ـ حينما يرد الأمر كله إليه ـ وحده ـ « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا » .

وبهذا انقطعت أسباب الغرور من نفوسهم ، واستقبلوا النصر المبين لا مختلفين ولا مغرورين ، واستحقوا بذلك أن يغفر الله لهم ما تقدم وما تأخر ، واطلع عليهم وقال : « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »

وإلى اللقاء فى درس آخر ؟

بدر المتولى عبد الباسط

قال الله تعالى :

« ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون ، إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين »

صدق الله العظيم

دراسات قرآنية :

أسلوب ابراهيم فى الدعوة إلى الحق

للأستاذ مصطفى الطير

« وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ،
إنى أراك وقومك فى ضلال مبين » . [آية ٧٤ الأنعام]

— ٢ —

أصل عبادة الأوثان والكواكب فى العالم :

ذكرنا فى المقال السابق استنكار إبراهيم لعبادة الأوثان من أبيه وقومه ، إذ قال له وإياهم : « إنى أراك وقومك فى ضلال مبين » .

ولما كان اتخاذ الأوثان آلهة واضح البطلان ، وداعيا إلى السؤال عن الشبهة التى دعت عابديها إلى عبادتها مع عدم صلاحيتها للألوهية رأينا أن نجيب على هذا السؤال فنقول وبالله التوفيق .

ذكر الإمام الرازى نقلا عن جعفر بن محمد المنجم البلخى أن كثيرا من أهل الصين والهند كانوا يثبتون الإله والملائكة ، إلا أنهم يعتقدون أنه سبحانه جسم ذو صورة كأحسن ما يكون من الصور ، وللملائكة صورة أحسن ، وأنهم جميعا محتجبون بالسموات ، فلهذا اتخذوا صورا وتماثيل حسنة الرواء والهيكل ، وجعلوا أحسن الصور والتماثيل لله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، وجعلوا مادونه منها للملائكة ، وواظبوا على عبادة تلك الصور والتماثيل قاصدين الزلفى من الله تعالى ومن الملائكة وذكر الإمام نفسه فى أصل عبادتها أن الناس رأوا تغيرات الأحوال فى هذا العالم الأسفل مرتبطة بتغيرات أحوال الكواكب ، فزعموا ارتباط السعادة والنحوسة بكيفية وقوعها فى الطوالع ، ثم غلب على ظن أكثر الخلق أن مبدأ حدوث الحوادث فى هذا العالم هو الاتصالات الفلكية والمناسبات الكوكبية ، فبالغوا فى تعظيم الكواكب ، ثم منهم من اعتقد أنها واجبة الوجود لذاتها ، ومنهم من اعتقد

حدوثها مخلوقة للإله الأكبر ، إلا أنهم قالوا مع ذلك إنها هى المدبرة لأحوال العالم .

وعلى كلا التقديرين اشتغلوا بعبادتها ، ولما رأوها قد تغيب عن الأبصار اتخذوا لكل كوكب صنما من الجوهر المنسوب إليه بزعمهم وأقبلوا على عبادته ، وغرضهم من ذلك عبادة تلك الكواكب والتقرب إليها ، ولهذا أقام الأنبياء الأدلة على أن الكواكب لا تأثير لها البتة فى أحوال هذا العالم كما قال سبحانه « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » بعد أن بين أن الكواكب مسخرة ، على أنها لو قدر صدور فعل عنها وتأثير فى هذا العالم فهى حادثة ومخلوقة ودلائل ذلك واضحة فيكون الاشتغال بعبادة الفرع دون عبادة الأصل ضلالا محضا ، ويرشد إلى أن حاصل دين عبادة الأوثان ما ذكر أنه سبحانه بعد أن حكى توبيخ إبراهيم لأبيه على اتخاذها أقام الدليل على أن الكواكب والقمر لا يصلح شيء منها للإلهية ، انتهى .

أصل عبادة الأصنام فى بلاد العرب :

قال الألوسى تعليقا على ما قاله الإمام الرازى وأنا أقول لعل هذا سبب فى عبادة الأصنام أولا ، وأما سبب عبادة العرب لها فغير ذلك ، قال ابن هشام حدثنى بعض أهل العلم أن عمرو بن لحى وهو أول من غير دين إبراهيم عليه السلام ، خرج من مكة إلى الشام فى بعض أسفاره ، فلما قدم إلى أرض البلقاء وبها يومئذ العمالقة أولاد عملاق أو عمليق ابن لاود بن سام بن نوح عليه السلام رآهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم ما هذه التى أراكم تعبدون ، فقالوا هذه الأصنام نعبدها ونستمطر بها فتمطرنا ونستنصر بها فتنصرنا ، فقال لهم ألا تعطونى منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه ، فأعطوه صنما يقال له هبل ، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته . انتهى .

أقول ويؤكد هذا ما ذكره هشام بن محمد بن السائب الكلبى فى كتابه الأصنام تحقيق العلامة المؤرخ أحمد زكى باشا صاحب (الخزانة الزكية) أن عمرو بن لحى هذا أول من غير دين إسماعيل عليه السلام فنصب الأوثان وسيب السائبة ، ووصل

الوصيلة ، وبحر البحيرة ، وحمى الحامية[1] ، وهو الذي طرد جرهما عن ولاية الكعبة بعد أن قاتلهم ببني إسماعيل وانتصر عليهم ونفاهم من مكة وتولى حجابة البيت بعدهم ويقول الكلبي إن عمرا هذا مرض مرضا شديدا ، فقيل له إن بالبلقاء من الشام حمة[2] إن أتيتها برأت ، فأتاها فاستحم بها فبرأ ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام ، فقال ما هذه ، فقالوا نستقي بها المطر ونستنصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا ، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة.

وذكر رواية أخرى لا تتعارض مع ما سبق لإمكان تعدد الأسباب ، فقال في أول كتابه : إن إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملئوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة ، ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضا ، فتفسحوا في البلاد التماسا للمعاش .

وكان الذي سلخ بهم (أي مضى بهم) إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وصبابة بالحرم وحبا له ، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم ، وانتجثوا (أي استخرجوا) ما كان يعبد قوم نوح عليه السلام منها على إرث ما بقي فيهم من ذكرها ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة ، وإهداء البدن ، والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه ، فكانت نزار

---

[1] السائبة الناقة التي تترك في الجاهلية دون ركوب لنذر ونحوه أو كانت ينتج من ظهرها فقارة فتترك وتسيب دون ركوب ولا تمنع عن ماء ولا كلأ ، والبحيرة الناقة أو الشاة التي تلد عشرة أبطن فيبحرون أذنها أي يشقونها ، ويحرمون لحمها على نسائهم إذا ماتت ويأكله رجالهم ، والوصيلة الشاة ، كانت إذا ولدت أنثى فهي لهم أو ذكرا فهو لآلهتهم ، وإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم ، والحامي فحل الإبل إذا خرج من صلبه عشرة أبطن ، فيقولون حمى ظهره فلا يركبونه .

[2] العين ذات الماء الحار يستشفى بها .

تقول إذا ما أهلت : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك .

ويوحدونه بالتلبية ويدخلون معه آلهتهم ويجعلون ملكها بيده ، يقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » ، أى ما يوحدونى بمعرفة حقى إلا جعلوا معى شريكا من خلقى . انتهى .

أقول ومما جعل عابديها يعضون فى عبادتها أن الشياطين كانوا يتكلمون من أجوافها ويعللون الناس بالأمانى الباطلة، ويخبرونهم بما استمعوه من الملائكة من أخبار الغيب ويضيفون إليه ما شاءوا من الكذبات كما هو معروف من الكتاب والسنة من استراقهم السمع وإضافة الكذبات إلى ما يسترقون وكانوا يسمعون من أجوافها همهمة ، وكانوا يرون أشباحها ، فعن ابن عباس قال . كانت العُزى [1] شيطانة تأتى ثلاث سمرات ببطن نخلة ، فلما افتتح النبى ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد « ائت بطن نخلة فإنك تجد ثلاث سَمُرات ، فاعضد الأولى » فأتاها فعضدها فلما جاء إليه ﷺ قال « هل رأيت شيئا » قال لا . قال « فاعضد الثانية » فأتاها فعضدها ثم أتى النبى ﷺ فقال «هل رأيت شيئا» قال لا قال « فاعضد الثالثة » فأتاها فإذا هو بحبشية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها تصرف بأنيابها ، وخلفها دُبية السلمى وكان سادنها ، فلما نظر إلى خالد قال :

أعزّاء شدّى شدّةً لا تكذبى
على خالد ألقى الخمار وشمرى
فإنك إلا تقتلى اليوم خالداً
تبوئى بذل عاجلا . وتنصرى

فقال خالد :

يا عُزّ كفرانك لا سبحانك
إنى رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هى حُمَمة [1] ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن ، ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال « تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب ، أما إنها لن تعبد بعد اليوم » وفى بعض الروايات أن خالدا لما هدم العزى رمته بالشرر حتى احترق عامة فخذه حتى عوفه النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد علمت مما سبق أن عمرو بن لحى

[1] من أصنام الجاهلية سميت باسم شيطانة فيها .

[1] أى فحمة .

هو أول من أدخل عبادة الأصنام فى بلاد العرب إذ جاء بها من البلقاء ونصبها حول الكعبة ، قال الكلبى فلما صنع عمرو هذا دانت العرب للأصنام وعبدوها واتخذوها، أقول : وكانت مكة مليئة بالأصنام ، فكان لأهل كل دار منها صنم فى دارهم يعبدونه ، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع فى منزله أن يتمسح به ، وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضا . فلما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالتوحيد عابوه فقالوا :

« أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشىء عجاب » .

ولم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله النبى ﷺ فأمر بهدمها ، فهدمت ولم تستطع أن تدافع عن نفسها ، ولو كانت آلهة كما زعموا لا ستعصت على من أرادها بسوء ولردت عليه بالانتقام الشديد وصدق الله تعالى إذ يقول فيها « وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » ولسوف يلقى عمرو الذى تسبب فى عبادتها أسوأ عقاب روى هشام بن محمد الكلبى عن أبيه عن أبى صالح عن ابن عباس قال : قال النبى ﷺ « رفعت لى النار فرأيت عمرا رجلا قصيرا أحمر أزرق يجر قصبه فى النار ، قلت من هذا ؟ قيل هذا عمرو ابن لحى أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة وسيب السائبة وحمى الحامى وغير دين ابراهيم ودعا العرب إلى عبادة الأوثان ، قال النبى ﷺ ، أشبه بنيه به قطن بن عبد العزى ، فوثب قطن فقال يارسول الله أيضرنى شبهه شيئا ؟ قال « لا أنت مسلم وهو كافر » وقال رسول الله ﷺ ورفع لى الدجال فإذا رجل أعور آدم جعد ، وأشبه بنى عمرو به أكثم ابن عبد العزى فقام أكثم فقال هل يضرنى شبهى إياه شيئا ؟ قال : « لا أنت مسلم وهو كافر » .

أما بعد فهذه إلمامة كافية بأسباب عبادة الأوثان فى العالم وعند العرب ، وهى أسباب واهية هبطت بالعقل البشرى إلى الحضيض وكانت الباعث الأول على إرسال الرسل لإنقاذ عقائد الناس من الباطل وردهم إلى الحق ، وتحرير أفئدتهم وتنويرهم من الجهالة العمياء .

ولقد كان لنبى الله إبراهيم دور هام فى ذلك نحن بصدد تبيانه ، فإلى العدد المقبل حتى نرى فيه أسلوبه الثانى الذى يتظاهر فيه بأنه على عقيدة أهل الباطل ثم يبرهن لهم على فسادها بأحسن البراهين وأقواها ، والله سبحانه ولى التوفيق ؟

مصطفى محمد الطير

من هدى السنة :

من النبوات النبوية الصادقة

لفضيلة الدكتور محمد محمد أبو شهبة

روى الشيخان - البخاري ومسلم - في صحيحيهما بسندهما عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« تقاتلكم اليهود ، فتسلطون عليهم ، حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله » ، وفي رواية للبخاري : « تقاتلون اليهود ... » وفي رواية لمسلم : « لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم ... » .

وروى الشيخان في صحيحيهما بسندهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي : يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله » وهذا لفظ البخاري .

وفي رواية مسلم بلفظ : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر ، والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود » .

تخريج الحديثين :

روى الإمام البخاري الحديث الأول في (كتاب أحاديث الأنبياء - باب علامات النبوة) وفي (كتاب الجهاد - باب قتال اليهود) ، وروى الثاني في هذا الكتاب والباب أيضا [١] .

وروى مسلم هذين الحديثين في (كتاب الفتن وأشراط الساعة) [٢] .

« الشرح والبيان »

نبوءتان صادقتان :

هذان الحديثان يشتملان على نبوءتين

---

[١] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٦ ص ٧٨ ، ٤٧٦ ط البهية .

[٢] صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ٤٤ ، ٤٥ ط حجازي .

بوريثين لنبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه :

الأولى : اقتتال اليهود والمسلمين ، وليس المراد ما حدث في عهد النبي ﷺ وغلبة المسلمين عليهم حتى قتل منهم من قتل جزاء غدرهم وخياناتهم ونقضهم للعهود وأجلى من أجلى منهم عن البلد الطيب : المدينة إلى خيبر ، وإلى أذرعات من أرض الشام ، وما كان من إجلائهم عن الجزيرة العربيــة كلها في عهد الفاروق ــ عمر رضى الله تعالى عنه ــ وأراح منهم العباد والبــلاد .

لأن أسلوب الحديثين ونحواها يدلان على أن ذلك بعد عهد النبوة ، وأن ذلك من أعــلام نبوته صلى الله عليه وسلم ، ولذلك ذكــر أولها الإمام البخارى في « باب علامات النبوة » وذكرها مسلم في « باب الفــتن وأشراط الساعــة » وهو تصرف منهما ــ رضى الله عنهما ــ جيــد ، يدل على بعد في النظر ، وأصالة في الفــكر .

أما هذه النبوءة الأولى فقدصدقت من يوم أن اغتصب اليهود بمساعدة أعوانهم من الإنجليز والأمريكان ــ قطعة عزيزة من أرض المسلمين والعرب وهى فلسطين السليبة الشهيدة فمن منذ عشرين سنة والحرب لا تكاد تنقطع بين العرب واليهود ، وإذا فترت في بعض الأحيان فإنما هى فترة استعداد وترقب لتعود الحرب جذعة كما كانت ، حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

« الثانية » غلبة المسلمين على اليهود ، وتسلطهم عليهم ، وهذا أمر لا يكاد يشك فيه بعــد ثبوته بالأحاديث الصحيحة التى رواها الإمامان الجليلان : البخارى ومسلم في صحيحيهما .

أما متى يكون هذا ؟؟

فإنصافا للحقيقة ، والبحث المتئد البصير والتفــكير المتروى لا المتعجل أقول :

إن الحديث الشريف لم يحدد زمان هذا النصر ، ولا مكانه كما هــو شأنه ﷺ في إخباره بالمغيبات المستقبلة ، فكلامه ﷺ في مثل هــذا يسلك مسلك التلويح والإشارة ، لا مسلك التنصيص والعبارة ، وهــذا سر من أسرار المعجزات الغيبية ،

فقد يكون هذا النصر قريبا إن شاء الله تعالى ، وقد يكون بعيدا ، وإن كان الذى نرجوه ويرجوه كل مسلم وعربى أن يكون قريبا بإذن الله تعالى ، فاللهم عجل لنا بالنصر على اليهود ومن وراءهم يا ناصر المؤمنين ، ويا خاذل الكافرين ولكن الشىء المقطوع به أن الغلبة والنصر فى النهاية إنما هو للمسلمين والعرب ، وهذه سنة الله تبارك وتعالى ، أن العاقبة دائما للمتقين ، وأن الله يديل لأهل الحق من أهل الباطل وصدق الله : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق[1] » « وقل جاء الحق ، وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا[2] » .

وهذا الذى رجحناه من أن ذلك القتال والنصر قبل يوم القيامة هو ما عليه المحققون من العلماء ، وذهب بعض شراح الحديث إلى أن ذلك قبيل يوم القيامة حينما ينزل الدجال فى آخر الزمان ، فيجد له أعوانا وأنصارا من اليهود ، وبعد نزول عيسى عليه السلام فيطهر الأرض من الدجال وأتباعه من اليهود .

فقد أخرج الإمام أحمد عن سالم ابن عبدالله بن عمر عن أبيه - يعنى عبدالله « ينزل الدجال هذه السبخة - أى خارج المدينة - ثم يسلط الله عليه المسلمين ، فيقتلون شيعته حتى أن اليهودى ليختبىء تحت الشجرة والحجر ، فيقول الحجر والشجرة للمسلم : هذا يهودى فاقتله » ووقع صريحا فى حديث أبى أمامة فى قصة خروج الدجال ، ونزول عيسى ، وفيه : « ... وراء الدجال سبعون ألف يهودى ، كلهم ذو سيف محلى فيدركه عيسى عند باب « لد » فيقتله وينهزم اليهود فلا يبقى شىء مما يتوارى به يهودى إلا أنطق الله ذلك الشىء ، فقال : يا عبد الله للمسلم : هذا يهودى فتعال فاقتله إلا الغرقد[1] فإنها من شجرهم » أخرجه ابن ماجه مطولا ، وأصله عند أبى داود ، ونحوه فى حديث سمرة عند أحمد بإسناد حسن ، وأخرجه ابن منده فى كتاب الإيمان من حذيفة بإسناد صحيح[2] .

---

[١] الأنبياء ١٨ [٢] الإسراء ٨١

[١] شجر ذو شوك مؤذ فهو جدير بأن يكون من شجر اليهود الذين أسرفوا فى الإيذاء والإفساد فى الأرض الطيبة : فلسطين .

[٢] فتح البارى ج ٧ ص ٤٧٧ ، ٤٧٨ .

والذى نرجحه أن ذلك القتال والنصر لا يتقيد بقتال اليهود مع الدجال فى آخر الزمان إذ لا مانع من وقوع ذلك النصر مرتين : مرة قبل آخر الزمان وعسى أن يكون فى أيامنا هذه ، ومرة فى آخر الزمان حتى يكثر إفساد اليهود بزعامة الدجال الأكبر فيقتلهم المسلمون ، وينتصرون عليهم ثانيا كما انتصروا عليهم أولا .

وحديث الصحيحين الذى ذكرناه لم يقيد ذلك بآخر الزمان بعد وجود الدجال الأكبر - لعنه ولعنهم الله - ولا بعد نزول عيسى عليه السلام ، وحينئذ يكون شاملا لما قبل نزوله ، وما بعده حيث أراد الله ذلك إن شاء الله تعالى .

وفى هذه الأحاديث التى ذكرناها آنفا ما يدل دلالة واضحة على أن اليهود الصهاينة وراء كل مبطل وكل مفسد ، وأنهم لا ينفكون عن شرورهم ، وإفسادهم حتى آخر الزمان ، وأن الدجال الأكبر سيجد منهم أنصارا وأعوانا ، وفى هذه الإشارة النبوية المعبرة ما يدعونا إلى أخذ الحيطة والحذر منهم ، والقضاء على أساليبهم الغادرة والآن وقد فرغت من شرح الحديث إجمالا ، وبيان مراميه ومغازيه فلنأخذ فى شرح الحـــديث التفصيل فأقول وبالله التوفيق .

« تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم » ليس المراد بالخطاب الموجودون فى عهد النبى بل من سيوجدون بعد من المسلمين من هذه الأمة المحمدية ، ففيه جواز مخاطبة الشخص أو الجماعة والمراد غيرهم ممن يعتقد اعتقادهم ويدين بدينهم ، ويتبع نهجهم وطريقتهم لأن الوقت الذى أشار إليه الرسول لم يأت بعد ، وإنما أراد مخاطبة المسلمين عموما ، فيستفاد منه أن الخطاب الشفاهى يعم المخاطبين ، ومن بعدهم ، قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : « وهو متفق عليه من جهة الحكم ، وإنما وقع الاختلاف فيه فى حـــكم الغائبين : هل وقع بتلك المخاطبة نفسها ، أو بطريق الإلحاق ، وهذا الحديث يؤيد من ذهب إلى الأول . . . »

وفى قوله : « تقاتلكم اليهود » ما يشير إلى أنهم البادئون بالعدوان وإن كانت مادة المفاعلة تقتضى المشاركة من الجانبين ، وقد صدقت الأحداث ذلك فما من عدوان إلا وهم البادئون به لأنهم قوم صلبو الرقبة شكـــسو الأخلاق ، سيئو الطباع كما وصفهم بذلك سيدنا موسى عليه السلام فى توراتهم

التي يقرؤنها «فتسلطون عليهم» أي تقتلونهم وتغلبونهم وتنتصرون عليهم.

«حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله»

وفي رواية مسلم «حتى يختبيء اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر» «أو» إما الشك من الراوي أهو الحجر أم الشجر؟ وإما أن تكون للتنويع والتقسيم أي يقول الحجر هذا القول حينا، ويقوله الشجر حينا آخر، وإما أن تكون «أو» بمعنى الواو ولعله الأولى بدليل رواية الإمام أحمد السابقة: «فيقول الحجر والشجرة للمسلم...».

وأما القول فهو بلسان الحال ويكون من قبيل المجاز بأن يكون المراد أنهم لا يفيدهم الاختباء وراء الشجر والحجر وماذا يفيد الاختباء وراء شيء سيرشد ويدل المسلم عمن وراءه من يهودي، وإذا كان الجماد فما بالك بغير الجماد ممن يعقل ويفكر ويدبر وهذا من الأساليب النبوية البديعة الدالة على المراد.

ويحتمل أن يكون المراد به الحقيقة، وذلك بأن ينطق الله الشجر، والحجر بهذه المقالة ولا استحالة عند العقل في مثل هذا، ولعل الأول أولى.

«وبعد» فليتخذ المسلمون والعرب في حربهم مع إسرائيل من هذا الحديث مبشرات بالنصر والغلب مع أخذهم في الأسباب، واتباع سنن الله في الأكوان حسبما أمرنا الله في قوله: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله، وعدوكم، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون» صدق الله العظيم؟

د: محمد محمد أبو شهبة

خطبة الوداع
وثيقة الرسول الخالدة

للأستاذ أنور الجندي

كلما جاء شهر ذى الحجة وهلت مواقيت الحج ، تألقت صفحة من تاريخ الإسلام ، ووقفة من وقفات الرسول ﷺ ، وصيحة متجددة فوق عرفات رددتها الأجيال ، واستمعت إليها الإنسانية . وهو يعلن وثيقة حقوق الإنسان قبل أن تعرفها أمم ودول وحضارات كثيرة ، كان ذلك فى ختام حياة الرسول الكريم وبعد ثلاثة وعشرين عاما من بعثته الشريفة وقبيل أن يلحق بالرفيق الأعلى علامة على تأكيد معان كثيرة والتركيز على قيم أساسية عصر الإنسانية الأكبر الذى سار فيه المصلحون واهتدت به الحضارات والتمست أوربا فى نهضتها قبسا من هديه كان مصدراً ليقظتها .

وبالجملة فقد كان قوام هذه الوثيقة الخالدة :

« تحرير الإنسان »

« فقد كان الرجل من أهل الملل السابقة تحت وصاية الكهنة ولم يكن ينقض أمراً أو يبرمه إلا بإقرار رجال الدين عليه فجاء الإسلام ليفتح الصلة بينه وبين خالقه دون وساطة وكان الناس قبيل الإسلام سادة وعامة فلما جاء الإسلام قرر أن الناس كلهم سواء أبوهم آدم وأمهم حواء لا فضل لأبيض على أسود ولا لعربى على أعجمى إلا بالتقوى .

وقرر أن العقل مناط التكليف ومحك التمييز بين الحق والباطل ، وحرر العقول من أسر العقائد الباطلة ، فى غير ذلة واستكانة وانصراف عن الحياة .

كما قرر أن الدين ليس عدوا للمدنية وأباح لمتبعيه البحث والنظر وطالب بالتمسك بالدليل وكره الإيغال بالتقليد » .

فكانت هذه الأصول قاعدة بناء الحضارة الإسلامية الإنسانية وكان خطاب النبى فى حجة الوداع إيذانا بانطلاق المسلمين من قلب الجزيرة العربية إلى خارجها

لبناء المجتمع الإسلامى الكبير الذى لم يلبث أقل من قرن من الزمان حتى قامت دولة الإسلام شامخة من حدود الصين فى قلب آسيا إلى حدود فرنسا فى قلب أوربا، ومن هنا فقد كانت كلمة الرسول الجامعة فى حجة الوداع من عرفات دعوة إنسانية عالمية على الطريق المفتوح إلى بناء المجتمع الإسلامى الجديد الذى أقامه «الإسلام» وحدد دعائمه وقيمه «القرآن».

وما تزال خطبة الوداع بهذا المفهوم الإنسانى من جوامع الكلم الجامعة التى ماشت تدوى فى سمع الدنيا متجددة تكشف معالم إنسانية الإسلام والقيم الأساسية الخالدة للحق والعدل والحرية، وقد مضت مدداً للبشرية كلها من بعد ومصدراً من مصادر الضياء وبرهانا لنا على ما حققته الإنسانية حتى اليوم من كرامة للإنسان وحرية للفرد ووعى للأسرة وضبط للمجتمع.

فقد جمع خطاب الوداع عدة قضايا كبرى هامة كانت منذ أربعة عشر قرنا غريبة وخطيرة على دنيا تطفح بالأحقاد وللمطامع والظلم والعبودية، فأضاءت كلمات الرسول المستمدة من كلمات الله جل وعلا فى القرآن، للإنسان طريقا جديدا ما تزال الدنيا حتى يومنا هذا تسير فيه وتنشد تحقيقه، وتسعى إليه وتجهد فى سبيل إقراره: ذلك هو تحرير الإنسان من قيوده وأغلاله، قيود نفسه وأغلال مجتمعه، قيود الوثنية، واستغلال الإنسان للإنسان، وأغلال المظالم فى الدماء والأموال والأعراض.

كان الخطاب فيصلا والفاصل بين عهد وعهد بين الماضى بظلماته والمستقبل للظل الإسلام الذى بعث رسوله بالحق للإنسانية، فى وقت أصبحت أهلا لتقبله، دينا خالداً للبشرية كلها، فى كل زمان ومكان وختاما لكل رسالات السماء، فكان خطاب النبى طيا لحياة لها طابعها المشوب بالربا والدماء، وظلم الناس وتصفيد المرأة، وتوسيدا لعصر جديد له طابعه وقيمه ومفاهيمه من الحرية والحق والعدل.

هذه القيم المختلفة تمام الاختلاف عما قبلها، الواضحة الدلالة على أن الإنسانية قد أخذت تنتقل إلى مرحلة «الكرامة الإنسانية» تقديراً للإنسان وإعلانا لسيادته على الكون تحت حكم الله

وتكشف نصوص الوثيقة هذه المعانى فى وضوح .

أيها الناس : إنى والله ما أدرى لعلى لا ألقاكم بمكانى هذا ، بعد يومكم هذا ، رحم الله امرءاً سمع مقالتى فوعاها فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه .

واعلموا أن أموالكم ودماءكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، واعلموا أن الصدور لا تغل[1] على ثلاث .

إخلاص العمل لله ومناصحة أهل الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم[2] .

ألا إن كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع .

وأول دماء الجاهلية أضع دم إياس بن ربيعة بن الحارث[3] .

وربا الجاهلية موضوع كله ، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب .

اتقوا الله فى النساء ، إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، وإن لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن ، فاضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين فلهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إذا اعتصمتم به : « كتاب الله وسنة رسوله » ، وأنتم مسئولون عنى ، فما أنتم قائلون ؟!

قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت

ثم قال بإصبعه السبابة يشير إلى السماء يرفعها ويكبها ثلاثا :

اللهم اشهد . اللهم اشهد . اللهم اشهد

* * *

وهكذا حسم الرسول ﷺ فى المحطات الفاصلة الموقف كله بين عصر وعصر ، بين الجاهلية منطوية والإسلام متفتحا منطلقا إلى آفاق الأرض ، بمفهوم السماء وصيحة الإنسانية وفى هذه الكلمات الموجزة العبارة قدم الرسول ﷺ الأصول الأصيلة لحقوق

---

[١] أى لا يحملها الغل والشحناء والحقد .

[٢] أى تحدق بهم فتمنعهم وتحفظهم .

[٣] وكان مسترضعا من بنى سعد بن بكر فقتله هذيل وهو من آل عبد المطلب .

الإنسان فوضع الدماء وبدأ ببنى هاشم ووضع الربا وبدأ ببنى هاشم وقضى على النظام الجاهلى كله وحطم قوائم المجتمع القديم فى الاقتصاد والاجتماع والأخلاق حين حرر الإنسان من الربا والثأر وحرر المرأة من أغلال الرجل وظلم المجتمع وأهلها للكرامة التى تستطيع من خلالها أن تنشىء الأجيال الجديدة المؤمنة الحرة .

حسم الرسول فى خطابه أمر (الربا) على النحو الذى أقره القرآن ، وأهدر أول ما أهدر ربا عمه العباس بن عبد المطلب ، وبذلك فتح أمام الإنسانية نظاما اقتصاديا متحررا من المرابين ومن مظالم المضاعفات المضاعفة وقد قطع الإسلام فى أمر الربا على نحو بات فلم يترك فيه بابا يمكن أن يحتال منه الاستغلال .

ويستطيع الباحثون أن يقدروا عبرة هذا الحسم اليوم على نحو أشد وضوحا ويقدروا النتائج الخطيرة التى ترتبت على إقرار الإسلام لهذا الأمر ومدى ما يمكن أن يحقق للإنسانية لو أنها اهتدت به ، وما تخلف المسلمين فى فترات تخلفهم إلا بطرحهم نهج الإسلام ، فكان ذلك من العوامل الهامة التى أدت إلى انهيار قوتهم، وذهاب دولتهم وتسلط القوى الأجنبية عليهم وإغرائهم بالتعامل الربوى مما مكن المرابين من وضع أيديهم على مقدرات المسلمين فى أماكن كثيرة .

وقد عرض كثير من الباحثين العالميين لقضية الربا على ضوء التجربة التى واجهها العالم فى العصر الحديث وكشفوا عن مدى الخطر الذى يواجه الإنسانية نتيجة استشراء هذا النظام الاقتصادى ، كما كشفوا عن مدى الأمن والكرامة فى أسلوب الإسلام الاقتصادى حيث أحل الله البيع وحرم الربا وفتح باب دائرة الإنفاق الخيرة والتعاون والقرض الحسن وغيره من أساليب الإسلام واليوم وبالرغم من اضطرار الدول الإسلامية إلى تقبل الأنظمة الغربية التى تجعل الربا أساسا لأنظمة البنوك والمصارف فإن المسلمين ما زالوا يتطلعون إلى تحقيق نظام جديد يكفل لهم حفظ ثرواتهم من المرابين والمصارف الأجنبية عن طريق الضغوط التى تقوم بها القوى الاستعمارية ومن ورائها الصهيونية الراغبة فى تدمير النظم الاقتصادية فى العالم الإسلامى .

ويبدو اليوم مدى أهمية الحسم الواضح

فى خطاب الرسول بشأن قضية المرأة والأسرة وتأكيده لحقوق المرأة .

وهنا موضع العجب والتقدير فإن المرأة فى العالم كله خلال الفترة التى أعلن فيها رسول الله دعوة الإسلام لتكريم المرأة وتقرير حقوقها ، فقد كانت للمرأة تلق عنتا لاحد له وظلما بعيد المدى حيث لم يكن لها وجود تام .

فجاء الإسلام ليكسب المرأة حقوقا لم تعترف بها أوربا إلا بعد أكثر من عشرة قرون ، بينما أعلن الإسلام هذه الحقوق وطبقها المسلمون منذ أربعة عشر قرنا مما فتح للمرأة المسلمة الطريق إلى مكانة عليا فى المجتمع والحياة العامة . فكانت فقيهة ومحاربة ومعلمة وحيث كانت المرأة فى الغرب وفى غير عالم الإسلام لا تجد شخصيتها بعد زواجها فقد ظلت المرأة المسلمة متمتعة بعد زواجها بجميع الحقوق التى يكسبها القانون الإسلامى لها ، فلها الحق فى أن تتصرف فى ثروتها ، فإذا كانت تاجرة فإن ربحها لنفسها من غير أن يكون لزوجها أقل نصيب منه أو دخل فى ذلك الكسب . فإذا هجرها الزوج أو أساء معاملتها فلها الحق فى طلب الطلاق كما أن لها الحق فى نفقة تتناسب مع حاجتها ومورد زوجها ، وما من جانب من جوانب حياة المرأة إلا وقال الإسلام فيه الكلمة الفاصلة التى وحدت على المرأة كرامتها وقيمتها .

هذه بعض الأصول العامة التى تناولها خطاب الوداع ، ومن خلال هذه التعاليم التى اتجهت إلى تحرير الإنسان استطاعت أوربا أن تنهض نهضتها عندما اقتربت منها هذه التعاليم من طريق الأندلس والحروب الصليبية وغيرها من الوسائط .

لقد كان لهذه التعاليم أبعد الأثر فى حياة العالم مشرقه ومغربه ، فقد هزت دعائم الظلم والاستبداد فى دعوتين كبيرتين حمل لواء إحداها (لوثر وكلفن) ثم كانت الثورة الفرنسية تأكيدا لمفاهيم الإسلام فى الحرية والمساواة وتحقيقا لها فقد دعا لوثر إلى تحرير العلاقة بين الإنسان وبين الله وتجريدها من وساطات الوسطاء وذلك هو مفهوم الإسلام أساسا ، وكانت الثورة الفرنسية محاولة لتطبيق مفاهيم الإسلام التى نقلها فلاسفة أوربا وبخاصة فيما يتعلق بالحكم والشورى والعدالة والمساواة ، بل لقد قامت حضارة أوربا أساسا على قاعدة « المنهج العلمى التجريبى » الذى أبدعه

(البقية على صفحة ٧٥٤)

قصيدة شعر :

بيت الله

للدكتور عز الدين على السيد

« وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل
ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم »

أمكة بيت الله . يا بلد المجد . !   وأم القرى .. مهد الرسالة فى المهد

أتاك خليل الله يسعى لحكمة   من الله تخفى عن عقول ذوى الزهد

فألقى على البطحاء فلذة قلبه   وولى بقلب .. لا يفيق من الوجد . !

توارى قليلا عن عيون تعلقت   بأقدامه ينأى ويوغل فى البعد

ونادى : أيا رباه أسكنت مهجتى   بواد بلا زرع ولا سند يجدى .. !

إلهى وأنت الله تعلم حاجتى   وتعلم ما تخفى القلوب وما تبدى

أزمزم .. ياعين الحياة .. تدفقى   بضربة إسماعيل بالخير والسعد . !

فدعوة إبراهيم آتت ثمارها   لساعتها ... يا مجرى الصخر بالرفد

وأذن إبراهيم بالحج فابروا   رجالا .. وركبانا .. من السهل والنجد

خفافا إلى للولى على كل ضامر   يفيض عليهم جوده الثر كالجود

مقامك إبراهيم آية حكمة   عليك سلام الله .. أكرم بذا الجد . !

وحجرك إسماعيل منزل رحمة   أبا البر والإحسان والصبر والأيد . !

حييتما مادام فى الأرض مسلم   وبوركتما ما كان الدين من مهد

أمكة بيت الله .. لا قسر كافر   إلى صنم يهوى ويمعن فى الود

ولم يدر أن الله أولى بقلبه   وأن عذاب الله أولى بمرتد

شهدت أذى الكفار ـ والله غالب   على أمره — فى عارض منه مسود

وصابرت حتى صدت أعظم طاعة   ببعثة خير الخلق مسعدة الجد

تهيم قلوب الناس .. تجرى دموعهم   فيأتون مثل الهيم وفدا إلى وفد . !

إذا غاب (شوال) تحرك وجدهم   فياويح من رجلاه مثلى فى القيد . !

الجهاد والمهمة الحضارية للإسلام

للأستاذ ابراهيم الخولى

— ٢ —

يمكن تحديد واجبات الجهاد فى أمرين رئيسين :

أولا : إعداد القوة المادية ببناء القوة الذاتية إلى أقصى مدى ممكن . . « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم » .

ومن إيحاءات هذه الآية يتضح أنه لابد من قوة كافية لردع أى معتد تسول له نفسه الاعتداء علينا ... ثم لابد من تجاوز هذا المستوى إلى مستوى آخر يكفل للمجتمع المسلم هيبة واحتراما فى نفوس أعدائه تحول بينهم وبين التفكير فى العدوان عليه ... بعبارة أخرى مستوى يوفر كرامة الأمة وعزتها وهيبتها بين الشعوب .

(بقية المنشور على صفحة ٧٥٢)

المسلمون استمدادا من الإسلام ومن دعوة القرآن إلى النظر فى الآفاق .

وقد جاءت خطبة الوداع فى النهاية بذلك القانون الشامل الذى دعا الرسول المسلمين إلى أن يلتمسوه دائما ويتمسكوا به وذلك ما عبر عنه ﷺ حين قال :

« قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إذا اعتصمتم به : « كتاب الله وسنة رسوله » وهى دعوة من الرسول متجددة بنى المسلمون عليها نهضاتهم دوما بعد كل هزيمة ونكسة ، وأعادوا التماس مفهومه فى مواجهة كل أزمة وحدث كبير ، كانوا كذلك فى مواجهة الغزو الصليبى وحملات التتار ، وزحوف الفرنجة وكان ذلك عاملا هاما فى كسب النصر الذى حققوه فى مواقع حطين وعين جالوت والزلاقة وهى مواقع فاصلة مع الغزو الذى فرضه أعداؤهم ، ونحن اليوم نجد فى هذا القانون قاعدة لنا إلى النصر ما دام أذن الله ؟

أنور الجندى

وإذا كانت الحرب الشاملة هى صيغة الحرب فى عصرنا ... فقد أصبحت القوة المادية التى تطالب الآية بتوفيرها شاملة للقوة العسكرية ... وللقوة الاقتصادية التى تقف وراءها بل وللقوة المعنوية المتمثلة فى الحرب النفسية بكل وسائلها .. كل ذلك يتمثل فى مضمون القوة المادية والإعداد المادى بوسائله المباشرة وغير المباشرة .

ثانيا : الإعداد النفسى أو الروحى للمجتمع ... ببناء النفوس بناء سليما على أساس « عقيدى » يصلح أساسا لحركتهم حركة مؤمنة متفانية مضحية تنكر نفسها فى سبيل هدفها وتسترخص كل شىء فى سبيل غايتها ... فليس من المعقول أن نعد السلاح ونهمل من يحمل السلاح ... وليس من الصواب أن نبذل فى سبيل أدوات الحرب الكثير ثم لا نبذل أكثر منه فى تسليح المجاهد بالسلاح الداخلى الذى لا يغلب ولا يقهر : سلاح الإيمان بالله والاعتزاز بالمعتقدات وبالقيم التى يجاهد فى سبيلها على المستوى الذى تصوره هذه الآية « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ...

إن هذا الجانب المعنوى والروحى من الإعداد هو الذى يتيح لنا القدرة على فهم عوامل النصر فى القرآن تلك العوامل التى يكمن وراءها تغيير المعادلات القرآنية التى تقارن قوة الإيمان بقوة الكفر والعدوان ... « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ... » الآية « .. الآن خفف الله عنكم .. » الآية .

سبحانك ربى ١ : ١٠ تهبط إلى ١ : ٢ تحت أقسى الظروف وليس بين طرفى المعادلة أو النسبة من فروق على الإطلاق إلا هذه المحصلة نتيجة الإعداد الروحى الذى صهر الإسلام فى بوتقته أتباعه المؤمنين ...

إن الصبر الذى ختمت به الآية الكريمة وجعلته مناط الرجاء فى نصر الله إنما يعنى بلغة عصرنا « طول النفس » فى خوض المعارك والحروب ، وهو معنى يحشد القرآن له كل اهتمام ويجعله قانون النصر الأكيد « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

وقد تبدو قيمة هــذا العامل حينما نتصور سلاح البترول العربى فى المعركة ، وكيف تتوقف فاعليته على الاستمرار فيه ، وكيف يفقد قيمته إذا فقد عامل الزمن دوره .

لقد تجســد أثر العامل الروحى فى غزوة بدر ، فلم تــكن قوة المسلمين فيها لتتكافأ مع المشركين عدداً أو عــدة ، ومع هذا انتصرت القلة المستضعفة على الكثرة الباغية « واذكروا إذ أنتم قليــل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفــكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره » .

ماذا ضمن النصر لهــؤلاء ؟ ضمنه لهم إيمانهم بقضيتهم ، وثقتهم فى نصر ربهم ، وتفانيهم فى التضحية والفداء .

وإذا كان هذا الإعداد فى جانبه المادى والروحى يتطلب فى عصرنا الحديث تعبئة جهود الأمة كلها لبناء قوتها الذاتية على أساس اقتصادى متين يكفل لها الوفاء بمطالب الحرب الحديثة فإن النبى صلى الله عليه وسلم قد أوضح هذا الترابط بين القوة الاقتصادية والمجهود الحربى ، بل أضاف بعداً آخر هو عامل العلاقات الاجتماعية ، نلمس هذه المعانى فى قوله صلى الله عليه وسلم : من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلفه فى أهله بخير فقد غزا . فكل من يسهم فى إعداد المجاهد وفى تزويده بالمؤونة والسلاح مجاهد مثله ، ومن يرعى أهله فى غيبته أو بعد استشهاده سواء كان قريبا يعولهم أو صديقا يشرف عليهم أو عن طريق الإسهام فيما يقدمه لهم المجتمع من ضمانات وتأمينات أو تعويضات الخ . كل هؤلاء مجاهدون لا يقلون عن الجندى فى الميدان فى شرف الجهاد وفضله .

إن كل إسهام فى دعم المجهــود الحربى تطوعا بالنفس ، بالدم ، بالمال ، بالكلمة ، هو جهاد بأعمق معانيه وأوسعها .

وهنا يبرز مبدأ توجيهى للنبى صلى الله عليه وسلم ، أو تنظيمى بلغتنا نحن ، هو ضرورة التزام كل بموقعه الذى يحــدد له فى المعركة خلال فترة العدوان وبعدها ، حدثت كلا منا نفسه : كيف لا يذهب إلى الميدان ويقتل أعداء الله والوطن ، وهو شعور كريم مؤمن « فمن لم يغز ولم يحدث نفسه بالغــــزو ومات ، مات على شعبة من النفاق » .

لكن النبي ﷺ لا يترك للفرد أن يسير مع تقديره الشخصي لموقعه ودوره ولكن يلزمه بالوقوف حيث يتحدد له دوره ، فذلك أقرب إلى تنظيم الجهود وتكاملها وبالتالي دعم الأثر الممكن من ورائها دون تبديد أو تضارب وربما كان للموقع الذي يراه صاحبه تافها خطر وأهمية في واقع الأمر .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا : « طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله إن كان في المقدمة كان في المقدمة وإن كان في الساقة كان في الساقة » هو مستعد لأى موقع يحرك إليـــه ، ملتزم بأى موقع يوضع فيه .

إذن فالالتزام بتعليمات القيادة في المعارك وعدم التصرف من خلال الذات أمر يفرضه الإسلام ضمانا للنصر .

ومما يبرز قيمة هذا المبدأ « كل في موقعه » ما يقرره الإسلام بخصوص الجبهة الداخلية أثناء المعارك ... وهنا تحليل رائع للقوى الاجتماعية وأدوارها سلبا وإيجابا وتحديد لموقف المجتمع منها . نجده في سورة الأحزاب ويتصب على الظروف الصعبة التي يمر بها المجتمع وتشكل في حياته أزمة أو نكسة ... والقرآن تركيز في توجيهه للمسلمين خلال المحن والنكسات بالذات لحاجة المجتمع إلى التماسك . . . والترابط واستجماع النفس إلى جانب ما يتعرض له من فتن التشكيك وإشاعة روح الهزيمة تكون أشد إلحاحا منها في الظروف العادية ولهذا عنى القرآن بتأكيد هـذا القانون وهو أن الحرب ليست جولة . وأن نتيجتها ليست رهنا بموقف واحد . وإنما سنة الله أن الحرب سجال . وأنه لا يؤتى المؤمنين نصره سهلا من أول لقاء ... « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » إنها بوتقة الكفاح الطويل والجهاد المرير يصهر الله فيها الأمة ويلهبها من خلال امتحان قاس يتكرر ، وعن طريقه تمايز قوى الإيمان من القوى المتخاذلة والضعيفة والمنافقة التي تعبد الله على حرف .

في غزوة الخندق « الأحزاب » تمكن اليهود من تأليب كل القـــوى المضادة للإسلام وتجميعها لخوض معركة فاصلة عنوا من ورائها تصفية الإسلام كدين ودعوة ...

وتجمعت الأحزاب من قريش ومن قبائل العرب ... ومن اليهود حول المدينة ... وبذل « حيي بن أخطب » جهوداً مستميتة في سبيل هذا التواطؤ المعادي للمسلمين .. وبدأ حصار المدينة .. واستمر .. وبدا للمسلمين ضخامة القوى التي تحاصرهم وبدأت الحرب النفسية تمتد وتجد مرتعا خصيبا لدى المنافقين وضعاف الإيمان ... وكانت قولة السوء الأولى « ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً » إلى هذا الحد بلغت حملة التشكيك في وعد الله بالنصر . بل قال بعضهم : كان محمد يعدنا أن نأخذ كنوز كسرى وقيصر .

وأحدنا لا يستطيع اليوم أن يذهب لقضاء حاجته ... هـذا نموذج للنغمة التي ترددت بين صفوف المسلمين .

مثل آخر مما كانت تطلقه القوى المضادة على الجانب الآخر . « يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا » .

ويستجيب الضعاف والمتخاذلون « ويستأذن فريق منهم النبي ، يقولون إن بيوتنا عورة » يستأذنون في العودة إلى ديارهم بحجة أنها في حاجة إلى الحماية والدفاع « وما هي بعورة ، إن يريدون إلا فرارا » .

ونستطيع أن نتصور الجو النفسي الذي عاش فيه المسلمون خلال هـذه الأزمة والقرآن يصورها بدقة « هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » .

لـكن هل نالت كل هـذه العوامل من النفوس المؤمنة بقضية الحق التي التزمته ، الواثقة بوعد ربها الذي أخـذته . ؟

كلا ، وإنما ازدادوا إيمانا وثقة وصلابة « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما » .

أدركوا سنة الله في امتحان المؤمنين . ولم يشكوا لحظة في صدق نبيهم وقائدهم وكان لهـذا الموقف الإيجابي في مواجهة النفس أثره في زيادة إيمانهم وتسليمهم لأمر ربهم .

ويهمنا هنا أن نعرف توجيه القـرآن في مواجهة هذا الموقف العصيب، فأما أصحاب النبي فيتجه إليهم هذا القول الكريم فيزيل الغشاوة عن أعينهم ويردهم إلى التصور الصحيح الذي يقطع على النفوس خوفها

وترددها بعد أن يذكرها بالعهد الذي التزمته وعليها الوفاء به « ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار ، وكان عهد الله مسئولا » « قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذن لا تمتعون إلا قليلا ، قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة » . ثم يهدد بكشف المعوقين والمثبطين . « قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ، ولا يأتون البأس إلا قليلا » .

وأما مروجو الإشاعات وصانعو حملات التشكيك فيتجه إليهم منذرا بالمصير المحتوم إذا لم ينتهوا « لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا » .

إنه قانون الطوارىء حماية لأمن الدولة يقرره القرآن ويبلغ به إلى مدى السجن والقتل لمن ينشر إشاعة أو يسهم في حملة تشكيك أو يثبط من الهمم وكأنما يرفع القرآن مثل هذه الأمثال إلى مستوى الخيانة الوطنية بلغة عصرنا الحديث .

وبعد : إن الحديث عن الجهاد حديث طويل وعجيب إلى كل نفس تؤمن بعزتها وحقها في الحياة وتعرف معنى التضحية ، والفداء في سبيل المبدأ والعقيدة في سبيل الله والوطن وإذا كانت الأمة العربية اليوم تخوض معركتها المحتومة مع الصهيونية والاستعمار تصديقا لما تنبأ به نبي الإسلام ﷺ وإذا كان اليهود قد أظهروا من الحقد والعداوة للعرب والمسلمين ما جعل أمامنا قول الله تعالى « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود » .

وإذا كانت الجولة الأولى في المعركة تشكل نكسة ومحنة يريد الله من خلالها صهر الأمة العربية في بوتقة النضال والجهاد حتى تتوحد كلمتها وتصبح بحق أمة واحدة في غاياتها وأهدافها كما وصفها الله « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

إذا كان ذلك كله أمرا نراه ونحسه فإن علينا أن نحمل تبعة الموقف ، وأن نرتفع إلى مستواه ماديا وروحيا حتى يتحقق وعد الله لنا « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز » ؟ .

إبراهيم الخولي

معاملة المسجونين في الإسلام

للمقدم : ابراهيم محمد الفحام

يدعى الاجتماعيون الأوربيون ، أن الدعوة إلى تحسين معاملة المسجونين ، بدأت أول مرة فى انجلترا فى القرن الثامن عشر .

وقد قوبلت تلك الدعوة فى بدايتها بالسخرية والنفور ، فاستغرقت زمنا طويلا قبل أن تلق من يستجيب لها من المسئولين وكانت المطالبة بحق المرضى من المسجونين فى العلاج ، وحق الأصحاء منهم فى الغذاء والكساء المناسبين ، والمأوى الصحى ، تبدو غريبة حقا فى مجتمعات كانت تنظر إلى المذنبين نظرتها إلى الوحوش الكاسرة التى لا تستحق الرحمة ، ولا يجدى معها الإصلاح أو الترويض .

ولو أنصف أولئك المدعون لنسبوا تلك الدعوة إلى مصادرها الأول وهى تعاليم الإسلام ومبادئه .

فلو أننا تتبعنا نشأة السجون وأنظمة إدارتها ومعاملة نزلائها فى الدول الإسلامية الأولى ، لوجدنا أن المسلمين سبقوا غيرهم فى إقـــرار حق المسجونين فى المعاملة الإنسانية الكريمة ، التى تترفع عن مجرد الانتقام منهم وتعذيبهم ، وتكتفى بكف شرهم عن الناس ، مع علاج نفوسهم .

والراجح أن السجون لم تعرف فى زمن النبى عليه الصلاة والسلام ، ولا فى زمن خليفته الأول أبى بكر الصديق ، فقد كان المقصود من الحبس تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه حيث شاء ، سواء أكان فى بيت ، أم كان فى مسجد ، أم كان بتوكيل نفس الغريم أو وكيله عليه ، أو ملازمته له ولهذا أسماه النبى أسيراً .

فى سنن أبى داود وابن ماجه عن الهرماس بن حبيب عن أبيه عن جده . قال: أتيت النبى ﷺ بغريم لى : فقال لى : الزمه ثم قال لى: يا أخا بنى تميم ، ما تريد أن تفعل بأسيرك ؟ وفى رواية ابن ماجه « مرّ بى

آخر النهار فقال : ما فعل أسيرك ياأخا بنى تميم ».

ونقل ابن الطلاع فى كتابه (أحكام رسول الله ﷺ) أن الآثار اختلفت هل سجن النبى وأبو بكر أحداً أم لا فذكر بعضهم أنه لم يكن لهما سجن ، ولا سجنا أحداً ، وذكر آخرون أن النبى سجن بالمدينة فى تهمة دم ، وأنه سجن فى تهمة أخرى ساعة من نهار ، ثم خلى عن المتهم ، فثبت بذلك أن النبى سجن ، وإن لم يكن ذلك فى سجن متخذ لذلك .

وفى زمن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ابتاع بمكة داراً من صفوان بن أمية بأربعة آلاف درهم ، وخصصها لهذا الغرض ، فكانت أول سجن فى الإسلام ، وبنى على ابن أبى طالب سجناً من قصب وسماه (نافعاً) فنقبته اللصوص ، ثم بنى سجناً من مدر سماه (مخيساً).

وكان المسجونون يتولون الانفاق على أنفسهم من أموالهم ، أو ينفق عليهم من من الصدقات التى تجمع لهم من الناس ، حتى أبطل ذلك على بن أبى طالب ، وأمر بأن ينفق عليهم من بيت مال المسلمين ، وكان يقول فى ذلك : « يحبس عنهم – أى عن المسلمين – شرهم ، وينفق عليهم – أى على المسجونين – من بيت مالهم » .

واستمر العمل بذلك طوال العصر الأموى .

وقد ابتكر معاوية نظام مراقبة المقبوضين فى منازلهم ، فأمر بإعداد سجل لقيد أسمائهم ثم عين زياد بن أبيه جعداً بن قيس لمراقبة نشاطهم . كما قيل إن معاوية كان أول من عين حراساً للسجون .

وكان الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز من أشفق الخلفاء على المسجونين . وقد كتب إلى عماله يقول (لا تدعن فى سجونكم أحداً من المسلمين فى وثاق ، لا يستطيع أن يصلى قائماً ، ولا تبيتن فى قيد إلا رجلا مطالباً بدم وأجروا عليهم من الصدقة ما يصلحهم)

وفى العصر العباسى كان المسجونون يحبسون أحيانا فى دورهم ، أو فى دور بعض الأشخاص الموثوق بهم ، فلا يغادرونها إلا بإذن . وقد أمر الرشيد بحبس بعض خصومه من العلويين فى دار الفضل

ابن الربيع، فكان يحسن معاملتهم، ويقدم إليهم في كل واجبة مائدة كمائدته.

وكانت للرشيد دور أخرى يتخذها سجناً لبعض الأشخاص، وأشهرها دار السندي بن شاهك. وكانت تلك الدور تتخذ لحبس الخصوم السياسيين، والمذنبين الذين يرجى صلاحهم.

وقد طلب الرشيد من القاضي أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة أن يحدد الأسس التي ينبغي أن تقوم عليها معاملة المسجونين فأعد له دستوراً حكيماً، سبق به دعاة الإحسان إلى المسجونين من الأوروبيين بنحو عشرة قرون.

وقد أوصى أبو يوسف بأن يجرى على المسجونين الفقراء من الصدقة، أو من بيت المال، وقال: « وأحب إلى أن يجرى من بيت المال على كل واحد منهم ما يقوته، فإنه لا يحل ولا يسع إلا ذلك».

ويبدو أن بعض الحكام قد أهمل الإنفاق على المسجونين الفقراء قبل عهد الرشيد. فقد أضاف أبو يوسف في نصيحته إليه « والأسير من أسرى المشركين لابد أن يطعم ويحسن إليه، حتى يحكم فيه، فكيف برجل مسلم قد أخطأ أو أذنب يترك يموت جوعاً. وإنما حمله على ما صار إليه القضاء أو الجهل ».

ثم حدد أبو يوسف وسائل الإنفاق على تغذية المسجونين، مع ضمان عدم تسرب ما تقرره الدولة لهم إلى أيدي السجانين. فقال: (فر بالتقدير لهم ما يقوتهم في طعامهم وأدمهم. وصير ذلك دراهم تجرى عليهم في كل شهر يدفع ذلك إليهم فإنك إن أجريت عليهم الخبز ذهب به ولاة السجن والقوام والجلاوزة وهم الحراس أو الشرطة. وول ذلك رجلا من أهل الخير والصلاح، يثبت أسماء من في السجن ممن تجرى عليهم الصدقة وتكون الأسماء عنده، ويدفع ذلك إليهم شهراً بشهر. ويقعد ويدعو باسم رجل. ويدفع ذلك إليه في يده، فمن كان منهم أطلق وخلى سبيله رد ما يجرى عليه، ويكون الإجراء عشرة دراهم في الشهر لكل واحد. وليس كل من في السجن يحتاج إلى أن يجرى عليه).

ثم نصح أن يمنح الكساء إلى المسجونين مرتين في السنة، إحداهما في الصيف والأخرى في الشتاء، (فقال وكسوتهم

فى الشتاء قميص وكساء وفى الصيف قميص وإزار : ويجرى على النساء مثل ذلك وكسوتهن فى الشتاء قميص ومقنعة وكساء وفى الصيف قميص ومقنعة وإزار) .

وكان تشغيل للسجونين معروفا وذلك الزمن ، وكان يغلب ألا يؤدوا تلك الأعمال لحساب الدولة . بل كان يسمح لهم بأدائها للارتزاق منها ، أى لحسابهم .

كان ذلك النظام متبعا على الأخص فى العصر الطولونى ، حيث كانت حياة نزلاء السجون تقرب من حياتهم العادية ، وكان من أنواع السجن أن يؤمر للسجون بأن يلزم داره فلا يغادرها .

وجاء فى (أخبار الحكماء) للقفطى أنه كان يخصص أطباء لزيارة المرضى بالسجون وحمل الأدوية والأشربة إليهم .

وقد ذكر ابن أصيبعة فى كتابه (طبقات الحكماء) نقلا عن ثابت بن سنان أن كروقد دفع الوزير على بن عيسى بن الجراح إلى والدى سنان بن ثابت أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله ، وتدبير المملكة فى أيام وزارة حامد ابن العباس فى سنة كثرت فيها الأمراض جدا وكان والدى إذ ذاك يتقلد البيمارستانات ببغداد وغيرها ، توقيعاً يقول : فكرت مد الله فى عمرك فى أمر من فى الحبوس ، وأنه لا يخلو على كثرة عددهم وجفاء أماكنهم أن تنالهم الأمراض ، وهم معوقون عن التصرف فى منافعهم أو لقاء من يشاورونه من الأطباء فيما يعرض لهم فينبغى أن تفرد لهم أطباء يدخلون إليهم فى كل يوم ، وتحمل إليهم الأدوية والأشربة ، ويطوفون فى سائر الحبوس ، ويعالجون فيها المرضى ويزيحون عللهم عما يحتاجون إليه من الأدوية والأشربة ، ويتقدم بأن تقام لهم الزورات لمن يحتاج إليها منهم ففعل والدى ذلك طوال أيامه .

وعندما كانت تسوء حال السجون ، ويحرم نزلاؤها من المعاملة الرحيمة التى وضع أصولها الخلفاء والأئمة الأول . كان ينبرى بعض العلماء للدفاع عنهم ، والإهابة بالحكام أن يتقوا الله فيهم .

ومن العلماء الذين اقتدوا بالقاضى أبى يوسف فى الذود عن المسجونين العلامة تاج الدين عبد الوهاب السبكى المتوفى سنة ٧٧١ هـ . أى فى عصر المماليك الذى

تعددت فيه المظالم ، واكتظت السجون بالأبرياء . فنصح القائمين بأمرها ـ في كتابه (معيد النعم ومبيد النقم) ـ أن يرفقوا بالمسجونين ، ويخففوا عنهم عذاب السجن وألا يمنعوا عن مرضاهم ما قد يكون فيه شفاؤهم ، كشم الرياحين ، وألا يمنعوهم من صلاة الجمعة ، إلا إذا منعهم القاضي من ذلك .

والواقع أن السجن وإن كان من أسلم العقوبات ، فقد تأول بعضهم قوله تعالى : « إلا أن يسجن أو عذاب أليم » أن السجن من العقوبات البالغة لأنه سبحانه وتعالى قرنه بالعذاب الأليم .

ومن أجل ذلك فقد حرص حكام المسلمين الأول أن يتقوا الله في نزلاء السجون ، وأن يخففوا عنهم آلامها قدر الإمكان . فسبقوا حكام أوربا بمئات السنين ، في مضمار الدعوة إلى تحسين أحوال المسجونين ، وحق على كل منصف من مؤرخي هذه الدعوة أن يذكروا فضلهم ، وفضل العلماء الذين كانت ترتفع أصواتهم للدفاع عن أولئك البائسين الذين حملهم على ماصاروا إليه ـ كما قال القاضي أبو يوسف ـ (القضاء أو الجهل)!؟

إبراهيم محمد الفحام

الكتاب القادم

من سلسلة البحوث الإسلامية

التي يصدرها مجمع البحوث الإسلامية

القاديانية

لفضيلة الإمام الأكبر المرحوم

الشيخ محمد الخضر حسين

علاقة التشريع الإسلامي بالتشريع الوضعي

للأستاذ سيد عبد الله حسين

— ٣ —

سادسا — الثمن والغبن في التشريع الإسلامي :

الثمن — الثمن أحد العوضين في البيع فهو ركن من أركانه فلا يتحقق البيع بدونه فإن لم يكن ثمن فهو هبة .

وشرط الثمن أن يكون معلوما وقت التعاقد فإن كان مجهولا للمتبايعين أو معلقا معرفته ومقداره على أمر مستقبل فالبيع باطل لأنه يكون غررا .

والتشريع الإسلامي مبنى على عدم إثارة المشاحنات والخلافات في مسألة العقود والالتزامات، لأنه إذا كان البيع بتا والثمن غير معروف فلا شك ستكون اختلافات ومنازعات تكون عاملا على عدم استقرار التعامل في الهيئة الاجتماعية .

والبيع معنيان، بيع بالمعنى الأعم ومنه المبادلة فيكون الثمن عقارا ومنقولا أو نقدا وبيع بالمعنى الأخص فيخرج البدل ويكون الثمن نقدا فهو شرط في البيع بالمعنى الأخص .

ولا بد أن يكون الثمن حقيقيا لا اسميا فلو أمكن صاحب المنفعة إثبات صورية العقد وأنه وقع بلا ثمن صح فسخه للضرر الذي يلحقه كدائن مثلا أو وارث (ص ٢٢ و ٢٣ ح ٥ خرشي وص ٤ ج ٥ خرشي وحاشية العدوي وص ١٦٦ مقارنات ج ٣ .

أما الغبن في الثمن بأن زاد أو نقص الثمن عن المتعارف فإنه لا رد فيه لا من البائع ولا من المشترى متى حصل بين عارفين ولو خالف العادة .

أما إذا حصل بين جاهل بأحوال البيع والشراء وعالم بهما واستسلم للآخر قائلا (بعني أو اشتر مني كما يبيع الناس ؟ فباع أو اشترى بغبن لم يجر به العرف والعادة فللمغبون الرد بالاتفاق .

وإن كان المغبون جاهلا ولم يستسلم للآخر ففي رده خلاف .

قال ابن القصار إنه يجب الرد بالغبن إن كان أكثر من الثلث ١/٣ وقال المطيتى

وبه أفتى ابن عرفة والمازنى والبرزلى إن زاد أو نقص المشترى المبيع على قيمة الثلث فأكثر فسخ البيع إن كان جاهلا بما صنع وتام قبل مجاوزة العام ص١٦٦ مقارنات ج٣

نفقات استحضار سندات الملكية وتوقيع البائع تكون على البائع ونفقات العقد ورسم التسجيل وتوقيع المشترى والشهود على حساب المشترى إلا لعرف أو شرط فيعمل به ص١٦٦ مقارنات ج٣ .

وفى التشريع الفرنسى :

الثمن ، الثمن عامل أساسى فى البيع فالثمن والعين المبيعة لا ينعقد البيع بدونهما — والثمن أساس التزام المشترى فإذا انعدم الثمن كان التزام البائع بلا سبب فلا يوجد العقد — م ١٥٩١ ق . ف .

ويجب أن يكون الثمن أحد النقدين فإن كان عروضا أو عقارا فلا يكون بيعا بل يكون بدلا وإن انعقد باسم البيع . وكان البيع فى روما يشمل البدل (منقول فى منقول أو عرض بثمن نقد) وهو معنى البيع بالمعنى الأعم — وقد خص القانون الفرنسى البيع فى صورة مقابلة العوض بالثمن النقدى — وهو ماذهب إليه التشريع الإسلامى .

ويجب أن يكون الثمن محددا معلوما للطرفين وقت العقد وإلا بطل العقد .

على أنه يجوز للطرفين ترك تحديد الثمن إلى شخص ثالث فإن لم يحدده بطل البيع وإن حدده انعقد البيع صحيحا من ساعة إتمامه بين الطرفين وهو عقد موقوف على شرط معلق م ١٥٩٢ ق ف وص٦١٢ ج ٢ فوابيه .

ويجب أن يكون الثمن حقيقيا فلو كان اسميا فقط فلا ينعقد بيعا بل يكون هبة ويجوز لمن لحقه ضرر منه أن يثبت صوريته ويطلب إلغاءه ص٦١٢ ج٢ فوابيه

ويجب أن يكون الثمن فى البيع ثمن المثل لا ثمنا بخسا — فإن كان الثمن المتفق عليه أقل من ٧/١٢ من الثمن الحقيقى كان هذا سببا فى فسخ العقد ص ٦١٢ ج ٢ فوابيه .

النفقات التابعة للثمن وهى نفقات البيع من توقيعات ونقل تكليف وأجرة المسجل والكاتب يتحملها المشترى — وأما تطهير العقار من الرهن فعلى البائع إلا إذا اشترطا ما يخالف ذلك فى الموضعين ١٥٩٣ ق . ف وص ٦١٣ ج ٢ فوابيه .

وبمقارنة هذه الأحكام فى التشريعين نجد أنه لافرق بينهما فقط بل نلاحظ ما يأتى :

١ ـ فى مسألة الثمن فى ثمن المبيع قد فصله التشريع الإسلامى بما يطابق العرف والواقع وأعطى لكل قسم حكما سليما أما التشريع الفرنسى فجعل الحكم عاما فيه

ولكن التشريعين قد اتفقا على أنه يجوز الرد بالغبن ـ إلا أن التشريع الفرنسى قد حدده بـ ٧/١٢ أى بأكثر من النصف ـ والتشريع الإسلامى قد حدده بـ ١/٣ أى بالثلث وهو ما يمكن التغابن فيه بين المتبايعين فهو أدق فى المحافظة على مصالح الناس .

٢ ـ أبطل التشريع الإسلامى عقد البيع إذا لم يتفق الطرفان على الثمن وقت العقد جملة وتفصيلا وأخذ عنه التشريع الفرنسى ذلك غير أنه جوز عقد البيع إذا لم يعلم الثمن للمتعاقدين وقت العقد إذا فرضنا تقديره لغيرهما ، ومع اعترافه بأن معرفة الثمن واجب مؤكد لوجود عقد البيع ، فقد قرر صحة هذا البيع من وقت انعقاده ، فهو بيع موجود غير ملزم ، وموقوف على علم الثمن من المفوض إليه ذلك فيكون ملزما لكل طرف بما التزم به فى العقد .

وهذا مبنى على الفطرة التشريعية فى كلا التشريعين ، فالشريعة الإسلامية تمنع عقود الغطر أو الحظ لما فيها من التغرير وتوجب التعامل على أساس للمعرفة البشرية المحدودة التى لا تثير خلافا ولا نزاعا بين المتعاقدين بينما القانون الوضعى يبيح ذلك ، وإن كان ليس فى مصلحتهم .

بعد هذا هل يقال : إن التشريع الفرنسى ليس مأخوذا من التشريع الإسلامى ؟ ! أترك الجواب للعقلاء المنصفين ولهذه النصوص القاطعة .

سابعا : بيع المرأة :

أهلية للمرأة فى التملك والتصرف تطورت تحت أوضاع القوانين الوضعية كما يأتى :

أولا : تحت القانون الرومانى ـ كانت القاعدة العامة أن المرأة ولو بلغت رشيدة يكون محجورا عليها أبدا ، فلا شخصية قانونية لها ولا حقوق مدنية لها كذلك وما تملك يكون ملكا لصاحب السلطة القانونية عليها .

فالعائلة الرومانية تبنى على السلطة فتخضع المرأة متزوجة وغير متزوجة لسلطة رئيس العائلة كالأطفال والعبيد ، فالعائلة الرومانية جمعية متماسكة تشمل غير الأقارب بالدم أو الزواج .

ثانياً . تحت القانون الجرمانى ــ كانت المرأة تحت الوصاية الأبدية من أبيها أولا ثم من زوجها ثانيا ــ وكانت العائلة الجرمانية ترتكز على سلطة الولاية والحفظ فلا تشمل المال ولا الأشخاص ، وكانت المرأة المتزوجة عديمة الأهلية فى العقود والمعاملات ويجب عليها الحصول على إذن زوجها فى معاملاتها وفى عقودها حتى فى التقاضى .

ثم جاء بعد هذين التشريعين التشريع الإسلامى فنقل وضع المرأة إلى صورة أخرى مشرفة ومشرقة تتلخص فيما يلى :

التشريع الإسلامى :

أولا : أن البنت فى نظر التشريع الإسلامى لها شخصيتها فى الهيئة الاجتماعية من يوم وجودها إلى وفاتها ــ فقد سوى الإسلام بين الذكر والأنثى فى التربية والحفظ والتعليم والرعاية من وقت الحمل إلى الوفاة .

فالمولود ذكراً أو أنثى محجور عليه حتى يبلغ سن الرشد وحسن التصرف وهو ١٨ سنة فللولى على الصغير رد تصرفه وإبطال عقوده إذا كان لا يحقق مصلحة الصغير ــ والحجر لمصلحة الصغير حفظا لماليته ص ٢٩١ و ٢٩٢ ج ٥ خرشى .

والحجر يستمر على الأنثى حتى يتحقق أربعة شروط .

١ ــ أن تكون حافظة لمالها غير مبذرة فيما تملك .

٢ ــ أن تكون قد بلغت ١٨ عاما

٣ ــ أن تتزوج ويدخل عليها زوجها

٤ ــ أن تشهد العدول على صلاح حالها

وللأب أن يرشد ابنته قبل ذلك فلا يحتاج رشدها ونفاذ تصرفها والتزاماتها إلى هذه الشروط ص ٢٩٥ ج ٥ خرشى .

والحجر على الأنثى ذات الوصى أو مقدم الحاكم (وصى معين من القاضى) يستدعى وجود هذه الشروط زائدا فك الوصى أو المقدم .

وللوصى ومقدم القاضى أن يرشداها قبل ذلك ص ٢٦٩ ج ٥ خرشى ــ ومتى اجتمعت هذه الشروط أو رشدها الوصى أو مقدم القاضى وتصرفت ببيع أو شراء أو عقدت التزاما فتصرفها صحيح نافذ ــ وإن لم تجتمع كل هذه الشروط فتصرفها موقوف خاضع لرأى صاحب وصايتها وإن شاء نفذها بشرط وجود المصلحة وإن شاء ردها إذا خلت من المصلحة .

ثانيا: الزوجة الحـرة الرشيدة يحجر عليها لزوجها فقط فى عقود التبرع التى تزيد على ثلث أملاكها ولو كان التبرع بكفالة، فللزوج إبطال عقود تبرعها الزائدة على ثلث أملاكها وله إمضاؤها. وتبرعها الزائد عن الثلث نافذ حتى يرده الزوج أو يجيزه ويمضى إن لم يعلم الزوج به حتى بانت منه أو مات أحدهما ص ١٣٨ و١٣٩م. خليل ج ٢ - الشرح الصغير.

ويحجر على الزوجة الحامل إذا أكملت ستة شهور ودخلت فى السابع ولو بيوم ص٣٠٥ج٥ خرشى وص١٣٨م خليل ج ٢.

وبهـذا البيان فى التشريع الإسلامى فى مذهب الإمام مالك تعلـم أطوار حياة المرأة فهى قبل الرشد محجور عليها للصغر وهو مبدأ متفق عليه. وبعد الرشد تكون حرة طليقة من أى رقابة عليها حتى الزواج وهـو أمر متفق عليه فى جميع المذاهب فى التشريع الإسلامى (وقد أخذه التشريع الوضعى).

وبعد الزواج ينفرد مذهب الإمام مالك فى الحجر على الزوجة الرشيدة فى تصرفها بغير عوض فيما زاد عن ثلث مالها. وأن للزوج الحق فى إلغاء أو إجازة كل عقـد تبرع أو هبة أو غـير ذلك من العقود التى لا ثمن فيها.

وباقى الأئمـة والمشرعين فى التشريع الإسلامى لا يرون هذا الحق للزوج، فالزوجة حرة فى جميع تصرفاتها عقوداً والتزامات وهبات وتبرعات بدون رقيب عليها إلا رقابة القانون العام كالتبذير والسفه اهـ.

وفى القانون الفرنسى:

ومن مبدأ الحجر على الزوجة فى التبرعات فيما زاد على الثلث أخذ القانون الفرنسى قواعده الجديدة البعيدة عن القانون الرومانى والقانون الجرمانى فكان لها وضع خاص فى قانون الموائد الذى وجـد بعد وجود التشريع الإسلامى فى أوربا وأخذ قواعده منه وذلك:

أولا: أنه بينما كانت المرأة محجوراً عليها قبل الزواج وبعده ولا شخصية لها فقد ابتدأ لهـا وضع خاص فى قانون الموائد. فلها شخصية قانونية متى بلغت سن الرشد ومتى تزوجت فقد أصبحت غير أهل لمباشرة أى عقد أو معاملة إلا بإذن زوجها لأنه رئيس (جمعية الزوجية) فكل عمل تعمله المرأة ماليا أو قضائيا يكون باطلا إن لم يأذن به الزوج وإذا رفض الإجازة فليس

لأحد أن يجيز مكانه متى كان حاضرا ويعتبر بطلان عمل المرأة المتزوجة بدون إذن الزوج بطلانا أصليا فلا تلحقه الإجازة .

ثانيا : نصوص القانون فى عدم أهلية المرأة وتطوره :

(١) يمنع البيع بين الزوجين م ١٥٩٥ ق ف - وتجوز الهبة بينهما ويصح الرجوع فيها م ١٠٩٦ ق . ف - وص ٦٠٠ و ٩٠١ ج ٢ فوانيه .

(٢) عدم أهلية المرأة المتزوجة على أى شكل من أقسام الزواج لا يمكنها أن تعطى للغير - ولا تملك بشراء أو بغيره - ولا ترهن .

ولا تملك للغير بعوض أو بغير عوض بدون مساعدة زوجها فى العقد أو بدون إذن زوجها كتابة وقبوله م ٢١٧ ق - ف

ولا يمكن الزوجة أن تحضر أمام العدالة لا مدعية ولا مدعى عليها بدون إذن زوجها م ٢١٥ ق . ف .

ويدخل تحت ذلك الأنواع الآتية : الهبة - تمليك الغير ببيع أو بغيره - الرهن للمشترى - التزامات عقودها - اختيار مهنة غير التى تمارسها ص ٢١٦ وما بعدها ج ٢ فوانيه .

ولها عمل وصيتها واسترداد هبتها من زوجها - واستعمال حق الأمومة - وإدارة أملاكها الخاصة والتحفظ عليها والادخار الخ ص ٢١٦ وما بعدها ج ١ فوانيه .

وعللوا الحجر على المرأة بعلتين :

١ - أن المرأة مخلوق ضعيف ليس عنده من تجارب الحياة ، وللمحافظة على أملاكها وجب منعها من التصرف بدون إذن الزوج .

٢ - أن عقد الزواج شركة ورئيسها الزوج فلا يصح تصرف مالى إلا بإذنه ورضاه فوجب هيمنة الزوج على زوجته فى تصرفاتها .

ويكون تصرف الزوجة بدون إذن الزوج ورضاه أو إذن القاضى عند غيابه باطلا بالنسبة للزوج فله طلب بطلانه - وهو صحيح بالنسبة للمرأة ولمن تعاقدت معه فلا يمكنهما طلب إلغائه لعدم إذن الزوج .

وهل البطلان أصالة بالنسبة للجميع لأنه حق عام أو بطلان خاص حق الزوج فقط ؟ خلاف بين الشرعين ص ٢١٢ ج ١ فوانيه

(البقية على صفحة ٧٧٥)

أمير المؤمنين في الحديث

لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

— ٦ —

التوحيد والايمان عند الثوري

لقد حاول سفيان الثوري طيلة حياته أن تستقيم الأمة الإسلامية على الطريق الحق . طريق القرآن والسنة . الصراط المستقيم . وكما كان يقوم ، من أجل ذلك بتفسير القرآن ورواية الحديث وشرحه فإنه كان يتحدث في التوحيد .

ولقد كان سفيان كأمثاله من الإمام مالك وغيره من أئمة الهدى سلفيا . والسلف رضوان الله عليهم لا يتعرضون للمتشابه ، والله سبحانه وتعالى يقول :

« هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب » .

وإذا فسرنا المتشابه بهذا التفسير أو ذاك فإنه مما لا شك فيه أن ما يعلو على مستوى الفكر الإنساني وهو ذات الله من المتشابه . ولقد نهينا عن البحث فيها ونهينا عن البحث أيضا في القدر . فالقدر من المتشابه أيضا .

والبحث إذن في الذات وفي القدر لا يجري وراءه إلا من في قلوبهم زيغ .

وإذا ألغينا البحث في الذات وفي القدر زالت الفرق التي نشأت بسبب البحث فيهما . وهي فرق المعتزلة وغيرها من الفرق التي تكونت حول البحث في الذات والبحث في القدر .

ومن باب آخر إذا انتهينا من أن نجعل للأشخاص شأنا في العقيدة — وهم ليس لهم شأن فيها — انتهت الفرق التي تكونت حولهم ، لأن الأشخاص من حيث كونهم أشخاص لا شأن لهم بالعقيدة .

إنهم لا يكونون جزءا منها إنهم إلا الأنبياء باعتبارهم أنبياء ورسلا .

فإذا انتزعنا من البحث والجدل للتشابه وانتزعنا الأشخاص، استقام الأمر - في جانب من جوانبه - بين المسلمين . وهذا هو المذهب السلفي . ومذهب السلف الذي كتب فيه الإمام الرازي كتابه : « أساس التقديس » ، وكتب فيه الإمام الغزالي كتابه « إلجام العوام » ، والذي كتب فيه فأجاد وأفاد الإمام السيوطي كتابه النفيس « صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام » هو مذهب كل محب حقا للتوفيق بين المذاهب .

وفكرة التقريب بين المذاهب لا تقوم للغاية المرجوة إلا إذا ألغينا الجدل في المتشابه والجدل في الأشخاص أي أخرجنا من الدين ما ليس منه ، ولقد فرق البحث فيهما الأمة الإسلامية دون أن يكون لذلك نتيجة سوى العداوة والبغضاء .

وأسباب الفرقة في الأمة الإسلامية من حيث العقيدة ترجع في كثير فيها إلى هذين السببين : المتشابه والأشخاص . فإذا أراد الشخص التقريب فعليه بإزالة الأسباب .

ولقد حاول الإمام الأشعري التقريب بين المذاهب ولن يتأتى أن تجد مذهبا يفوق المذهب الأشعري في ما وفق إليه من تقريب هو في غاية الدقة وفي غاية النفاسة .

لقد كان الإمام الأشعري غاية في الذكاء بارعا في منطقه ، عالما علما ، ولقد درس مختلف المذاهب في دقة دقيقة ظهرت ظهورا واضحا جليا في كتابه « مقالات الإسلاميين » ومع ما تحلى به من علم ومن إخلاص في نزعة التقريب، ومن لباقة وحكمة في عرض للمذهب فإن مذهبه لم يوحد بين الأمة الإسلامية .

وإنا ننصح مخلصين كل حريص على وحدة الأمة الإسلامية أن يتجه في صراحة إلى أسباب التفرق فيعمل على إزالتها . وإن المذهب السلفي وحده هو المذهب الذي صلح عليه أمر الأمة في أوائلها وعليه يصلح إن شاء الله أمر الأمة الآن .

ولقد كان الإمام الثوري سلفيا بمعنى الكلمة ، وسنشرح هنا بعض الزوايا - بعضها فقط - من آرائه .

لقد سئل : بم عرفت ربك ؟ فقال : بفسخ العزم ونقض الهمة .

يريد الإمام الثوري أن يقول : إن الإنسان لا يقوم وحده دون مهيمن

ومسيطر ، بل ومتحكم ، ولو قام وحده لسار فى طريقه دون فسخ للعزم ، أو نقض لهمة ، ولكنه يشاهد طيلة حياته أنه يعزم فيتفسخ عزمه ، ويهم أحيانا فتنتقض همته لا لسبب منه وإنما لسبب من مدبر قهار ، لا يعلو على سلطانه سلطان ولا يسمو على تدبيره تدبير هو الله سبحانه وتعالى .

أما عن الإيمان فإن سفيان كان يرى كما يرى السلف أنه قول وتصديق وعمل ، قال أبو بكر الحنفى : سمعت سفيان الثورى يقول : «الصلاة والزكاة من الإيمان ، والإيمان يزيد والناس عندنا مؤمنون مسلمون ، ولكن الإيمان متفاضل وجبريل أفضل إيمانا منك » .

وعن أبى همام السكونى قال :

حدثنى أبى قال : سمعت سفيان يقول : «لا يستقيم قول إلا بعمل ، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ! ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة» .

ويصل الأمر بسفيان فى هذا الصدد أن يسأله إبراهيم بن المغيرة قائلا :

أأصلى خلف من يقول : الإيمان قول بلا عمل ؟

فيجيبه سفيان : لا ، ولا كرامة .

وكان سفيان كالسلف يؤمن بالقدر خيره وشره . لقد قال يوما :

أتدرون ما تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله ؟

يقول : «لا يعطى أحد إلا ما أعطيت ، ولا يقى أحد إلا ما وقيت » .

لقد كان هذا قوله ، وكان هذا حاله ، يقول عطاء الخفاف : ما لقيت سفيان الثورى إلا باكيا ، فقلت : ما شأنك ؟ قال : «أخاف أن أكون فى أم الكتاب شقيا » .

ويروى محمد بن كثير عن سفيان :

«ما أحب الله عبدا فأبغضه ، وما أبغضه فأحبه » .

وقال سفيان : «إذ أراد الله بعبد خيرا أفرغ عليه السداد وكنفه بالعصمة » .

أما موقف سفيان من المكذبين بالقدر فإن أحمد بن عبد الله بن يونس قال :

سمعت رجلا يقول لسفيان : رجل يكذب بالقدر أصلى وراءه ؟ .

قال : لا تقدموه . قال : هو إمام القرية ليس لهم إمام غيره . قال : لا تقدموه ، لا تقدموه وجعل يصيح » .

ومن طريف ما يروى فى ذلك عن سفيان ما رواه محمود الدمشقى قال :

جاء رجل إلى سفيان الثورى فشكا إليه مصيبة أصابته . فقال له سفيان :

ما كان بها أحد أهون عليك منى ؟ قال وكيف ذلك ؟ قال: ما وجدت أحدا تشكو إليه غيرى ؟ .

قال : إنما أردت أن تدعو لى . فقال له سفيان :

أمدبر أنت أم مدبر ؟ .

قال : بل مدبر .

قال : فارض بما يدبر لك .

ولقد شاع فى عهد سفيان مذهب المرجئة وهو مذهب مثبط ، ومن أجل ذلك حمل عليه سفيان حملات عنيفة ، فقد حدثنا الفريابى قال : سمعت سفيان يقول : ليس أحد أبعد من كتاب الله من المرجئة .

وعن المؤمل بن اسماعيل يقول : قال سفيان الثورى: خالفتنا المرجئة فى ثلاث : نحن نقول الإيمان قول وعمل. وهم يقولون الإيمان قول بلا عمل . ونحن نقول يزيد وينقص وهم يقولون لا يزيد ولا ينقص ، ونحن نقول مؤمنون بالإقرار وهم يقولون نحن مؤمنون عند الله .

وحدثنا غياث بن واقد قال : سمعت : سفيان يقول: أرج كل شىء مما لا تعلم إلى الله ولا تكن مرجئا، واعلم أن ما أصابك من الله ولا تكن قدريا . قال : وسمعت سفيان يقول : « لقد تركت المرجئة هذا الدين أدق من السابرى » .

ولا يفوتنا هنا أن نقدم نصا مصرا رواه الذهبى فى التذكرة بإسناده عن شعيب ابن حرب . قال شعيب : قلت لسفيان الثورى : حدثنى بحديث فى السنة ينفعنى الله به فإذا وقفت بين يديه وسألنى عنه قلت : يارب : حدثنى بهذا سفيان فأنجو أنا وتؤخذ . فقال . اكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . القرآن كلام الله غير مخلوق . منه بدأ وإليه يعود . من قال غير هذا فهو كافر . والإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص، وتقدمة الشيخين إلى أن قال:

ياشعيب ، لا ينفعك ما كتبت حتى ترى المسح على الخفين ، وحتى ترى أن إخفاء « بسم الله الرحمن الرحيم » أفضل من الجهر به ، وحتى تؤمن بالقدر وحتى ترى الصلاة خلف كل بر وفاجر ، والجهاد

ماض إلى يوم القيامة . والصبر تحت لواء السلطان .

فقلت : يا أبا عبد الله ، الصلاة كلها ؟ قال : لا ، ولكن صلاة الجمعة والعيدين ، صل خلف من أدركت ، وأما سائر غير ذلك فأنت مخير ، لا تصل إلا خلف من تثق به . وتعلم أنه من أهل السنة .

إذا وقفت بين يدى الله فسألك عن هذا فقل : يارب ، حدثنى بهذا سفيان الثورى ثم خل بينى و بين الله عز وجل .

وخير معبر عن منهجه ذلك ما حدثنا به يوسف بن أسباط قال : قال سفيان يايوسف إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة فابعث إليه بالسلام ، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب صاحب سنة فابعث إليه بالسلام فقد قل أهل السنة والجماعة .

وما رواه يحيى بن عمر فقال : سمعت سفيان الثورى يقول : من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة وهو يعلم أنه صاحب بدعة خرج من عصمة الله ووكل إلى نفسه ؟

د . عبد الحليم محمود

(بقية المنشور على صفحة ٧٧٠)

والنتيجة أن هذه الأحكام هى أحكام التشريع الإسلامى ، مذهب مالك وقد أخذها قانون العرف والعوائد بعد انتشار قواعد التشريع الإسلامى فى أوروبا ــ وقد عرفنا أن هذا ليس فى القانون الرومانى ولا فى القانون الجرمانى فمن أين أخذت ؟

أظن لا مناص أنه يجب الاعتراف بالحقيقة التى لا يمكن أن ينطق بها أحد من المشرعين الوضعيين ولا ممن تشبع بأفكارهم وصدقهم فى ادعائهم .

وفى هذه الأمثلة الكفاية فى هذا المقال الأول ، وسنتبعه إن شاء الله بغيره وحسبنا أن نظهر الحقيقة ولو كره المبطلون .

هدانا الله إلى الصراط المستقيم ؟

سيد عبد الله حسين

محب الدين الخطيب .. كما عرفته

لفضيلة الأستاذ أبو الوفا المراغي

إنا لله وإنا إليه راجعون . لقد جرى القضاء على (محب الدين) بما يجرى على الناس فمضى إلى جوار ربه راضيا مرضيا وخلف وراءه تاريخا حافلا بالجهاد فى دينه وعروبته وحريته، فبكاه الإسلام، وبكته العروبة ، وبكته الحرية .

إن تاريخ (محب الدين) تاريخ مشرق بالمناقب والمآثر، وما كان له — وهو المسلم العربى الغيور ، ذو العقل الحصيف والحس المرهف ، والبيان المفحم ، والقلم الخصب الرصين — أن يقصر جهاده .. على ميدان خاص من ميادين النشاط فدخل فى ميادين كثيرة ، وتفاعل مع أحداث عصره ، وكان فيها مناضلا شجاعا ، يتحمل فى سبيل نضاله ما يتحمله المكافحون المناضلون .

ولقد أعانته ثقافته وذكاؤه ونشاطه وإخلاصه على أن يقوم برسالاته فيما ندب نفسه له ، فقد ثقف ثقافة مدنية أولا ، فتعلم فى المدارس الثانوية ببيروت ، ثم بجامعة (استانبول) حيث درس الحقوق والآداب، ثم أقبل على الدراسات الإسلامية الحرة ، يعب منها فى نهم ، واستطاع بتلك الدراسات أن يكون باحثا إسلاميا واسع الثقافة والتحصيل ، على غرار الباحثين الإسلاميين أمثال (فريد وجدى) و (العقاد) وغيرهم ممن كانت مدارسهم كتبهم ومواهبهم .

ولعل ظروف حياته غير المستقرة كان لها أثر فى تكوين شخصيته العلمية والاجتماعية والدينية ، فقد أخرج من وطنه، ورحل إلى (تركيا) وإلى (اليمن) ثم إلى (مصر) حيث استقر به المقام سنة ١٩٠٩ والتقى بأحمد تيمور باشا والشيخ طاهر الجزائرى والشيخ على يوسف وعمل محررا بجريدة المؤيد .

وفى (مصر) أخذ يتابع جهوده الدينية فى الصحافة والمجتمعات الدينية بقلمه ولسانه ، فلفت إليه الأنظار، واحتل مكانه بين الصفوة من الباحثين الإسلاميين ، واستدعى إلى الحجاز فأسس للطبعة الأميرية وأصدر بها جريدتها الرسمية (القبلة)

سنة ١٣٣٤هـ-١٩١٦م وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سافر إلى دمشق وهناك وكل إليه إدارة تحرير جريدة (العاصمة) وبعد حوادث الاستعمار الفرنسي في (ميسلون) عاد إلى مصر وعين في جريدة الأهرام خلفا للسيد نجيب الأزمناوى وظل بها خمس سنوات إلى أواخر سنة ١٩٢٥م.

وكان أول اتصالنا به عن طريق مجلة (الفتح) التي أصدرها في الثلاثينيات من ذلك القرن لخدمة الإسلام، تجلية مبادئه ودفع الشبه عنه، مع صفوة من كتاب عصره، نذكر منهم المرحومين: الشيخ (عبد الباقي سرور) و (الشيخ القاياتى) وكانت صحيفته (الفتح) هي الصحيفة الدينية المتخصصة التي احتلت مكانا بارزا بين مجلات عصرها، وكنا ونحن طلاب بالأزهر - نترقب صدورها الأسبوعي بتطلع وشوق على أبواب الأزهر، ونتخطفها من الباعة لننهل من معينها الثقافي، ونتتبع الحركات الإسلامية. وكان قلمه في الإسلاميات صورة من نفسه، يلتهب حرارة وغيرة.

وكان (محب الدين) سلفيا متشددا يكره الترخص في المبادىء الإسلامية، وبرغم حبه لآل البيت كان يكره الإفراط في مشايعتهم، وله مع بعض الطوائف جولات قلمية عنيفة، وظل مجافيا لها طوال حياته.

ومن طريق الدفاع عن الإسلام برز (محب الدين) كاتبا إسلاميا ممتازا سليم الفكرة، صحيح العبارة، يعالج موضوعاته في عمق وقوة، ولم يكن يميل إلى زخرفة الأسلوب والتشدق بالغريب، بل كان موضوعيا، قليل الحشو والاستطراد فـ(محب الدين) كان كاتبا لا أديبا، فالكاتب همه الأول موضوعه.. يوفيه حقه من التجلية والإبانة، فإذا بلغ في ذلك الغاية.. فلا يعنيه التأنق في الأسلوب والعبارة، أما الأديب فهمه الأول أسلوبه وعباراته، ثم الموضوع ثانيا..

وقد يعالج الأديب موضوعا تافها، ولكن يحليه بوشي العبارة، ويجمله بالنقش والزخرف، فيبدو موفقا جذابا.

وكان (محب الدين) من الطراز الأول كاتبا لا أديبا.

وفى ميدان الصحافة والكتابة أصدر مجلة (الزهراء) سنة ١٩٢٤م ثم تولى رئاسة تحرير (مجلة الأزهر) فلبث فيها أعواما، وكانت له بعد انصرافه عنها مقالات فى مختلف مجلات (العالم الإسلامى)، وكان يشغل فراغه بالقراءة أو بالتحقيق العلمى لبعض الكتب التى كان يقوم بنشرها وطبعها فى مطبعته الخاصة، وعن طريق تلك المطبعة زود المكتبة الإسلامية بعشرات من كتب التراث، الذى كان له فى اختياره دقة، وحسن تقدير.

ولقد ترك من آثاره العلمية غير ما نشره بالفتح والزهراء وغيرهما من المجلات الإسلامية كتاب (الحديقة) و (الغارة على العالم الإسلامى) و (مع الرعيل الأول)

ولقد كان (محب الدين) داعيا لأحداث العالم الإسلامى، قدر له أن يتوفر على تسجيلها، فكان لنا منها مرجع تاريخى هام.. عن تلك الحقبة التى عاشها وهى حقبة طويلة من هذا القرن.

وفى هذا الميدان.. أعنى ميدان الثقافة أنشأ مدرسة بالمين - كما يقول بعض المتحدثين عنه.

وكان (محب الدين) مهتما بالإصلاح الاجتماعى فى العالم الإسلامى، ورأيه فى ذلك ألا سبيل لهذا الإصلاح إلا التمسك بالإسلام، وتطبيق منهجه فى نواحى حياة المسلمين، وكان يردد ذلك المعنى فى كثير من كتاباته وأحاديثه.

ولم يكن جهاد «محب الدين» بلسانه وقلمه فحسب، ولكنه جاهد بنفسه وخاض بعض المعارك «حيث اشترك فى موقعة «ميسلون» بسوريا وشارك فى تشكيل الجمعيات بتركيا، والثورة ضد السلطان «عبد الحميد»، وأشعل الثورة العربية ضد «تركيا»، ونادى بجهاد العرب فى الحرب العالمية الأولى».

وإذا أردنا أن نصف التاريخ، وننصف السيد «محب الدين الخطيب» حين نتحدث عنه.. دون مبالغة فى الحديث.. فإننا نقول إنه كان باحثا إسلاميا واسع المعرفة ذا بيان ناصع.. استطاع أن يعالج به ما كان يتصدى له من القضايا الإسلامية العامة، إلا أنه قد غلب عليه اللون التاريخى، لإعجابه بسير أسلافنا، وتقديره لهم.

ولقد كان صليب الرأى فيما يرى ، ولى معه فى هذا الشأن تجربة شخصية ، فقد حدث أنه لما توفى المرحوم «فريد وجدى» وكان سلفه فى رئاسة تحرير «مجلة الأزهر» طلبت منه أن يكتب كلمة عن « فريد » وفاء بحقه على المجلة . فرفض فى إصرار ، لأن رأيه فى « فريد » — كما فهمت من الحديث — أنه كان على ما لا يرضى الإسلام فى بعض الأمور ، إذ كان ينصرف عن أكل اللحوم إلى الاغتذاء بالنباتات ، وقد قمت حينذاك بهذا الواجب ، ونشرت لى «الأهرام» كلمة ضافية عنه ، اقتبست منها مجلة « الحج » السعودية .

أما حياة « محب الدين » الاجتماعية .. فإنه نظرا لطبيعته الانطوائية ولظروفه المعاشية ، وتقديرا لملابسات ضيافته فى « مصر » .. ظل طوال إقامته بمصر قليل الظهور فى المجتمعات العامة إلا ما كان منه فى بعض المناسبات الدينية ، رغم شخصيته وكفايته ، التى كانت تضعه موضع الصدارة فى كل مجتمع وناد ، وقد جعل من مكتبته محرابا لا يفارقه حتى إنه لما ابتنى منزله بالروضة ألحقها به حتى لا يضيع وقته فى التردد بين المنزل والمكتبة . وظل على هذا الأسلوب إلى أن لقى ربه فى أواخر شوال سنة ١٣٨٩هـ وأوائل يناير سنة ١٩٧٠ م .

وبعد ، فهذه صورة سريعة بخطوطها العريضة .. رسمتها للسيد « محب الدين » بقدر ما سمحت لى صلتى به ، ولا شك أن له أصدقاء وأحباء أشد به اتصالا ووقوفا على دقائق حياته . . وعلى عاتق هؤلاء تقع مسئولية الحديث عنه . . حديثا تفصيليا ، يزود التاريخ بما ينبغى أن تعرفه عنه الأجيال المقبلة . . كرجل من رجالات الإسلام .. وقف دونه مناضلا ومدافعا على مدى عمره الطويل الذى ناهز التسعين .

وسلام على (محب الدين) فى الصديقين والصالحين . ! !

أبو الوفا المراغى

خواطر سريعة :

ابن عطاء الله السكندرى

للدكتور محمد رجب البيومى

زارنى منذ أيام أديب سورى يضع رسالة علمية عن النثر الصوفى فى الأدب العربى ، فتطارحنا القول فى شجون هـذا الأدب الرائع متحدثين عن أعلامه الكبار حتى تطرق بنا القول إلى ابن عطاء الله السكندرى فذكر الأديب الباحث أن ابن عطاء الله فى رأيه أول أديب صوفى جعل من النثر الرائق معراجا للسبحات الروحانية بعيداً عن معميات الاصطلاحات ودقائق الرموز ، وأن أدبه الصادق امتـداد حى للمناجاة الإلهية النثرية من لدن على بن أبى طالب وزين العابدين إلى أن تفجر إلهام ابن عطاء الله بحكمه الرائعة كما يتحدر ماء المزن الصافى من أعالى القمم إلى حيث يروى العطاش ، ويحيى الظماء ، ثم عرض على أن نقوم بزيارة طيبة إلى قبره ، فذكرت أنى لا أعلم مكانه، فتعجب غاية العجب، وقال إنه هو الدمشقى البعيد عن القاهرة يعرف أنه بالقرافة الشهيرة ويعلم أن المرحوم الأستاذ محمد رمزى قد حدد مكانه فيما كتبه بالجزء الثامن من هوامش النجوم الزاهرة ص ٢٨٠ حيث قال ما نصه : « وقبر ابن عطاء الله السكندرى لا يزال موجودا بجبانة سيدى على أبى الوفاء الكائنة تحت جبل المقطم من الجهة الشرقية لجبانة الإمام الليث ، وهذا القبر يقع على بعد ثلاثمائة متر فى الجنوب الشرقى لجامع سيدى على أبى الوفاء ، وبجوار القبر من الغرب قبة تحتها كمال الدين بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام ، وبالقرب منها فى الشمال الغربى قبر محمد بن سيد الناس » .

وقد أكبرت يقظة صاحبى ودقة بحثه ، فأعلنت سرورى بصحبته لزيارة الرجـل الكبير فى مثواه ، ولم نكد نلم بساحته حتى خجلت خجـلا زائدا لرؤية الضريح المكشوف وقد أحيط به سور متهدم ، ويدل ما حوله على بقايا مسجد أو زاوية

خصصت الخلوة التعبدية ، وقد رمقنى صاحبى صامتا ، وكأن عينه تصيح محتجة أهذا ضريح أحد أعلام الفكر والأدب والتصوف فى القرن السابع بمصر ، بل أحد أعلام الفكر والأدب والتصوف فى الفكر العربى منذ سبعة قرون ! وهل يبلغ الإهمال بذوى البحث العلمى ومدونى الحركة الروحية أن يغمضوا أعينهم عن تآكل مثواه ، وأن يسكتوا أصواتهم عن المطالبة بتجديد ضريحه على نسق يشرف المصريين جميعا حين يكرمون شيخا نابه الذكر فى التاريخ بعيد الأثر فى التوجيه ، قوى الشخصية فى التأليف ! لقد رجعت من زيارة الضريح الطاهر خجلا حزينا ، ثم اتفق أن مررت بإدارة مجلة الأزهر فقابلت صديقا لى بمجلة الأزهر ، ولم أستطع أن أبادله الحديث فى غير ما كنت مشغول الخاطر به عن مثوى ابن عطاء الله فأخبرته بزيارتى الضريح المهمل ، وما تركته فى نفسى من الشجن اللاذع ، فكان عجبا أى عجب أن يلقى الصديق أن من توارد الخواطر الغريب أن يكون ضريح ابن عطاء الله موضع اهتمام أستاذنا الكبير الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية فقد تنبه إلى ضرورة العمل على تجديده بحيث يأخذ مكانة تليق بصاحبه الكبير ، ولم يشأ الرجل الغيور أن يترك الأمر لوزارة الأوقاف مخافة أن يبطىء الوقت قليلا أو كثيرا فلا ينهض البناء على وجهه السريع .

فافتتح باب الاكتتاب بمبلغ قدره خمسة وعشرون جنيها ، كى ينهض المخلصون إلى الإسهام الشعبى فى هذا العمل الجليل ، فصادف ذلك منى موضع الارتياح ، ورأيت من الأوفق أن أسرع إلى صديق الباحث السورى لأعلمه أن ما جال بخاطرينا لدى زيارة الضريح قد أحدث أثره العملى فى نفس أستاذنا الكبير عبد الحليم محمود ، وأن الضريح الكريم سيأخذ وضعه اللائق عن قريب حين تتوالى الجهود المخلصة مسهمة فى تكريم هذا العالم العامل ، والصوفى الأمثل ، وأنا أعهد فى قومى نزوعاً إلى الخير ونشاطا إلى المعروف ، وفى ذلك فليتنافس القوم .

قابلت صديقى ، فكان ابن عطاء سيد المجلس بروحه ومجده ، حيث أخذ صاحبى يتحدث عنه حديث الفاحص المحلل فتكلم عنه متصوفا وواعظا وأديبا ، وجلا من مواقفه الرائعة ، وأقواله الخالدة

وأثره الحى ما عز على أن يضيع دون تسجيل ، فحاولت أن أوجزه للقراء ، ليعرفوا أى رجل كان ابن عطاء !

لقد تآلف الفقه والتصوف منذ ظهر الغزالى على مسرح الحياة الفكرية فى الشرق الإسلامى فنشأت الطرق الصوفية داعية إلى الله عن طريق الكتاب والسنة ، وكانت الطريقة الشاذلية أعلى الطرق صوتا فى الدعوة إلى الحقيقة عن طريق الشريعة ، وإذا كان أبو الحسن الشاذلى لم يترك أثراً علمياً غير ما أحدثه من التأثير القوى فى نفوس مريديه ، وأولهم تلميذه الأشهر أبو العباس المرسى ، إذا كان أبو الحسن قد ترك الدنيا دون تأليف علمى كاشف ، فإن تلميذه أبا العباس قد ماثله فى ذلك فلم يترك غير أقواله الملهمة ذات الأثر الرنان فى نفوس تلاميذه الكثيرين وأولهم تلميذه الأشهر أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى ، الملقب بتاج الدين وبأبى الفضل وبأبى العباس ، فقد هيأته الأقدار ليكون المتكلم بلسان الطريقة الشاذلية فى مؤلفات حية قوية تتضمن التجربة الصادقة وترسم طريقة الكفاح الحى وتدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة مجادلة بالتى هى أحسن ، ولم تكن نشأة ابن عطاء الأولى صوفية ، إذ ولد فى بيئة فقهية فدرس الفقه والحديث والتفسير ، ولم يأنس بادىء ذى بدء إلى أقوال المتصوفة بل عارضها ، وناقش أربابها فى غيرة وحماسة ، حتى دفعه الإخلاص لمعتقده أن يقابل شيخ الطريقة أبا العباس مقابلة فاصلة ليواجهه بمعتقده ، وتم الالتقاء الكبير بين الرجلين ، ولا نرى أحق من ابن عطاء فى التحدث عما كان ، إذ سجل ذلك فى اعترافات حية ذات شبه كبير باعترافات الغزالى فى المنقذ من الضلال ، ومنها ما حكاه فى لطائف المنن ص ٦٨ ، ٦٩ حيث قال :

« كنت لأمره — أى أبى العباس المرسى — من المعترضين ، لا لشىء سمعته منه ولا لشىء صح نقله حيث جرت بينى مقاولة وبين أصحابه وذلك قبل صحبتى إياه ، وقلت لذلك الرجل ، ليس إلا أهل العلم الظاهر ، وهؤلاء القوم — يعنى الصوفية — يدعون أمورا عظيمة ، وظاهر الشرع يأباها ، وكان سبب اجتماعى به ، أنى قلت فى نفسى بعد أن جرت المخاصمة بينى وبين ذلك الرجل : دعنى أذهب ، أنظر

إلى هذا الرجل ، فصاحب الحق له أمارات لا يخفى شأنه ، فأتيت إلى مجلسه ، فوجدته يتكلم فى الأنفاس التى أمر الشارع بها فقال الأول إسلام والثانى إيمان والثالث إحسان ، وإن شئت قلت : الأول شريعة والثانى حقيقة والثالث تحقق أو نحو ذلك فما زال يقول وإن شئت قلت وإن شئت قلت إلى أن بهر عقلى وعلمت أن الرجل إنما يغترف من فيض بحر إلهى ، ومدد ربانى ، فأذهب الله ما كان عندى ، ثم أتيت تلك الليلة إلى المنزل فلم أجد فى شيئاً يقبل الاجتماع بالأهل على عادتى ، ووجدت معنى غريباً لا أدرى ما هو ؟ فانفردت فى مكان أنظر إلى السماء وكواكبها ، وما خلق الله فيها من عجائب قدرته فحملنى ذلك على العود إليه مرة أخرى ، قال : فأتيت إليه فاستؤذن لى عليه فلما دخلت إليه قام قائماً وتلقانى ببشاشة وإقبال حتى دهشت خجلاً ، واستصغرت نفسى أن أكون أهلاً لذلك ، فكان أول ما قلت له ياسيدى ! أنا والله أحبك ، فقال أحبك الله كما أحببتنى ، ثم شكوت إليه ما أجده من هموم وأحزان فقال : أحوال العبد أربع لا خامس لها : النعمة والبلية والطاعة والمعصية ، فإن كنت فى النعمة فمقتضى الحق منك الشكر ، وإن كنت فى البلية فمقتضى الحق منك الصبر ، وإن كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود منته عليك فيها ، وإن كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار .

فقمت من عنده ، وكأنما كانت الهموم والأحزان ثوباً نزعته ثم سألنى بعد ذلك بعدة كيف حالك ؟ فقلت أفتش عن الهم فما أجده فقال .

ليلى بوجهك مشرق

وظلامه فى الناس سارى

فالناس فى سدف الظلام

ونحن فى ضـوء النهار

الزم ، فوالله إن لزمت لتكونن مفتياً فى المذهبين مذهب أهل الشريعة : أهل العلم الظاهر ومذهب أهل الحقيقة ، أهل العلم الباطن » .

وقد تحقق ما تنبأ به أبو العباس فصار ابن عطاء مفتياً فى المذهبين ، وأصبح أستاذ التصوف بالجامع الأزهر الشريف حيث دأب على عقد مجالس الوعظ ، وطلع على الناس بما لا يألفون من ألوان التأثير الخالب بحيث أصبح ذا نمط من البيان الروحى يتميز بشدة سطوعه وعظيم شأنه وقوة جذبه

وذلك ما أشاد به جميع من تحدثوا عنه مثل الذهبي وأبي المحاسن واليافعي والسبكي وابن حجر وابن فرحون ، ودوت شهرته بين معاصريه دويا تردد صداه في مجلس السلطان حسام الدين لاجين المنصوري ، فاشرأب للقاء الشيخ ودعاه ليسمع منه أذنا إلى فم ، وقد سرد الشيخ في لطائف المنن موجزا لما دار بينه وبين السلطان حيث قال في ص ١٢٨ من كتابه :

« ولما اجتمعت بالسلطان الملك المنصور لاجين رحمه الله قلت له يجب عليكم الشكر لله فإن الله قد قرن دولتكم بالرخاء وانشرحت قلوب الرعايا بكم ، والرخاء أمر لا يستطيع الملوك تكسبه ولا استجلابه كما يتكسبون العدل والجود والعطاء قال وما هو الشكر؟ قلت الشكر على ثلاثة أقسام : شكر اللسان وشكر الأركان وشكر الجنان ، فشكر اللسان التحدث بالنعمة قال تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث » وشكر الأركان العمل بطاعة الله قال سبحانه وتعالى : « اعملوا آل داود شكرا » وشكر الجنان الاعتراف بأن كل نعمة بك أو بأحد من العباد هي من الله ، قال تعالى : « وما بكم من نعمة فمن الله » فقال : وما الذي يصير به الشاكر شاكرا قلت له : إذا كان ذا علم فالتبين والإرشاد وإذا كان ذا غنى فالبذل وإيثار العباد ، وإذا كان ذا جاه فبإظهار العدل فيهم ، ودفع الأضرار والأنكاد » .

هذا ما دار في مجلس السلطان كما سطره الشيخ الكبير ، وقد كثر التعليق عليه من الدارسين فمن قائل أنه تحديد دقيق لمعنى الشكر حين يتعدد أقسامه وتختلف جهاته ومن قائل إن آيات القرآن كانت مشرقة واضحة في نفس الأستاذ بحيث يستطيع أن يستشهد بها على تقاسيمه الدقيقة وتفريعاته المستنبطة عفو الخاطر دون روية وأناة ، ومن قائل إن نصح الشيخ ينطوي على همة عالية وزهد بالغ وتقدير لرسالة العلماء في إيضاح الحق دون استكانة أو نكوص ، ولذلك هتف الشيخ بوجوب العدالة ورعاية الحقوق ودفع الأضرار والأنكاد في زمن كثرت فيه الزلفى لغير الله إلا من عصم الله من ذوي البصائر والضمائر من الأعلام .

وإذا كان هذا المجلس السلطاني قد عرض لنا بديهة الأستاذ في الرد السريع ، والاستدلال الحاضر كما صور دقة منحاه وإخلاص هدفه ، فإن نبا تركه من روائع

النثر الصوفى ذى الروية المتئدة فى الصوغ ما يدل على فطنة قوية تترق بالقــول من أمد إلى أمد حتى تبلغ الأوج فى سبحات مؤرجة تنفح بالعطر وتشرق بالضياء ، وقد يدق الرجل فى مراقيه الصاعدة دقة تختلف وضوحا وغموضا بحسب المدارك الواعية ، وهى على اختــلاف إيحاءاتها النافذة للقلوب تترك حلاوتها اللذيذة لدى كل متذوق ، ولك أن تتأمل مظهراً من مظاهر هذا الترق بالقول من أمد إلى أمد فى مثل قول الأستاذ .

« كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى أظهر كل شىء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى ظهر بكل شىء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى ظهر فى كل شىء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى ظهر لكل شى ؟

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو أظهر من كل شى ؟

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهــو الواحد ليس معه شى ؟

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهــو أقرب إليك من كل شىء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شىء ولولاه ما كان وجود كل شىء ؟

وقد يدور حول هذا المعنى فى ابتهال ضارع يقول فيه « إلهى كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر إليك ؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك . ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك » .

ثم يعمد إلى مخاطبة الخواص فيغرب فى تصوير هذا المعنى إغرابا لا ينــكشف لغير ذوى الألق الذهنى والصفاء الروحى وذلك حين يقول .

« شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه ، المستدل به عرف الحق لأهله ، فأثبت الأمر من وجود أصله ، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه ، وإلا فتى غاب حتى يستدل عليه ؟ ومتى بعد حتى تكون الآثار هى التى توصل إليه؟ »

(البقية على صفحة ٧٩١)

انتشار الإسلام في قزوين

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٤ —

تحدثنا في نهاية المقال السابق عن أبرز مسجدين جامعين أنشيا في مدينة قزوين ، وهما مسجد الثوث أو الثور الذي شيده محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفي في أوائل العقد التاسع من القرن الأول الهجري ، والمسجد الجامع الذي أمر بتشييده الخليفة العباسي هارون الرشيد في سنة ١٩٢ هـ .

ونضيف هنا أن قزوين أصبحت مع مرور الزمن مدينة إسلامية زاخرة بالمساجد والجوامع ، ومن أهم المساجد الجامعة في مدينة قزوين جامع أصحاب أبي حنيفة ، وكان هـذا الجامع يلي في الأهمية الجامع الذي بناه هارون الرشيد .

وقد تحدث أبو زكريا القزويني عن عدة مواضع في مدينة قزوين ، وقال عنها : إنه يرجى فيها إجابة الدعاء ، وهذه المواضع هي مسجد شالكان ومسجد شهرستانك ، ومسجد دهك ، ومسجد باب المشبك الملصق بالسور ، ثم بين سر اختصاص المساجد المذكورة بهذه الميزة فقال : « فإنها مواضع يأتيها الأبدال »[١] والأبدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم إذا مات واحد منهم أبدل الله تعالى مكانه بآخر .

والتوسعات العمرانية التي تمت في ناحية قزوين كان يصاحبها في العادة تعوق إنشاء المساجد ، فمدينة موسى التي أنشأها موسى الهادي في حياة أبيه المهدي العباسي كان بها مسجد[٢] ، ومدينة المبارك التي بناها مبارك التركي ، أحد موالي الخليفة العباسي المعتصم ، أنشيء بها أيضا مسجد[٣] .

---

[١] آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤٣٥ .

[٢] ياقوت ، معجم البلدان حـ ٥ ص ٨٠ ، التدوين في أخبار قزوين حـ ١ ص ١٢ .

[٣] ياقوت حـ ٥ ص ٧٩ ، والتدوين حـ ١ ص ١٢

وليس من مهمتنا هنا أن نقدم إحصاء تفصيليا لكل المساجد التى أنشئت فى قزوين ، ولكن يكفى أن نقول : إن هذه المدينة قد ازدهر فيها الإسلام حتى غدت مركزاً من أهم المراكز الإسلامية فى منطقة بحر قزوين .

ولم يكن ازدهار الإسلام وقفا على مدينة قزوين بعينها ، إذ أننا نلاحظ أن نفس الشىء قد حدث فى المناطق الأخرى ، وها هى ذى مدينة (أبهر) التى سبق أن قلنا عن أهلها أنهم ظلوا متشبثين بمعتقداتهم السابقة ورفضوا أن يعتنقوا الإسلام ــ أقول إن هذه المدينة قد غدت مع مرور الزمن مركزاً هاما من مراكز الدين الإسلامى .

ولم أعثر فى المصادر التى بين أيدينا على الظروف التى فى ظلها اعتنق أهل أبهر الدين الإسلامى ، ولكن من الممكن أن نقول : إن إنتشار الإسلام فى المناطق المجاورة ، وزوال الظروف السياسية التى حالت بين أهل أبهر واعتناق الإسلام فى بادىء الأمر ، ثم ما قدمته فرص المعايشة بين أهل أبهر وغيرهم ممن اعتنقوا الإسلام من تفهم واع وأصيل لخصائص الدين الإسلامى — أقول إن هذه العوامل من الممكن أن نقول عنها إنها هى التى جذبت أهل أبهر إلى الدين الإسلامى ، الدين الذى سبق لهم أو لآبائهم أن رفضوه .

مهما يكن من أمر فإن صاحب معجم البلدان يبين لنا المركز العلمى الذى أصبحت تتمتع به مدينة أبهر حينما يشير إلى عدد من العلماء الذين ينتسبون إليها ، فيقول: « وينسب إليها كثير من العلماء والفقهاء المالكية [١] » وكان على رأس المالكية فى أبهر فى الربع الثالث من القرن الرابع الهجرى أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد ابن صالح الأبهرى التميمى ، وله تصانيف فى مذهب مالك .

وبجانب سيادة المذهب المالكى فى مدينة أبهر كانت الاتجاهات الصوفية لها نصيب كبير هناك ، وكان على رأس الصوفية فى أبهر حوالى مفتتح القرن الرابع الهجرى كل من عبد الله بن طاهر الذى كان معاصرا

[١] ياقوت جـ ١ ص ٨٣ .

الشبلى ، وسعيد بن جابر الذى كانت له بالجنيد صحبة وعايدة .

ويتحدث ياقوت عن غير هؤلاء من رجال أبهرثم يختتم حديثه بأن يقول: «وغير هؤلاء كثير [١] » .

ومن نواحي قزوين ناحية البشاريات وعنها يقول صاحب التدوين [٢] : «وأكثر أهل البشاريات والنمع من الحنفية » ولم يكن أتباع أبي حنيفة في هاتين المنطقتين فقط ، بل إنهم كانوا يشكلون مجموعة رئيسية من المجموعات التي استوطنت مدينة قزوين ، وكان لهم بها مسجد خاص يعرف بالمسجد الجامع لأصحاب أبي حنيفة [٣] .

أما أشهر المذاهب السنية انتشاراً في قزوين ونواحيها فهو مذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه ، يقول صاحب التدوين [٤] : « وأهل سائر النواحي شافعيون » .

[١] المصدر السابق .

[٢] حـ ١ ص ٩ .

[٣] التدوين في أخبار قزوين حـ ١ ص ١١ .

[٤] المرجع السابق ص ٩ .

وبجانب هذه المذاهب السنية كان الفكر الشيعي أو المذهب الشيعي له نصيب في تلك النواحي أيضا ، وقد تركز أغلبية الشيعة في ناحية الزهراء ، يقول الرافعي القزويني [١] «وأكثر أهل الزهراء من الشيعة» ولكن هذا المؤرخ لم يوضح لنا أي فرع من فروع المذهب الشيعي كان أهل الزهراء ينتمون مذاعلما بأنه توفى سنة ٦٢٣هـ، أى في وقت كانت فيه كل فرقة من فرق الشيعة لها كيانها الخاص .

وبجانب أتباع هذه المذاهب ، سنية وشيعية ، كانت توجد في قزوين فرق أطلق عليها الرافعي القزويني أنها « فرق البدعة » ولكنه لم يحدد هذه الفرق بمسمياتها ، كل الذى حاول هذا المؤرخ أن يصف به هذه الفرق هو أنها كانت تتسم « بالمدد والشك » أى أنها كانت متطرفة في بدعتها وانحرافها عن الطريق القويم .

ولم يكن التطرف قاصرا على فرق البدعة ، بل إنه كان سمة أيضا لأهل الاستقامة ، وقد أطلق الرافعي على تثبث

[١] المرجع السابق .

أهل الاستقامة أهمغيرة وصلابة [1] وشتان بين التطرف فى الحالتين ، شتان بين تطرف فى طريق الضلال ، وتطرف فى التمسك بتعاليم الإسلام .

من هذا يتضح لنا أن قزوين كانت موطنا لمختلف الاتجاهات المذهبية ، وأنها كانت موطنا للغالين من فرق البدعة والمتشبثين من أهل الاستقامة ، وهذه الحقيقة تفتح لنا الباب لمناقشة مشكلة يدور حولها الجدل فى كثير من المناسبات ، تلك هى حقيقة العوامل التى تؤدى إلى (ازدهار) مذهب وخمول آخر .

وحول هذه المشكلة نستطيع أن نقول : إن كثيرا من الدارسين يحاول أن يبحث عن الروابط بين مبادىء المذهب الذى ساد فى منطقة معينة والأفكار التى كانت موجودة قبل ذلك ، سواء أكانت دينية أم اقتصادية وسياسية واجتماعية ، ثم يحاول أن يستكشف العناصر المشتركة بين القديم والحديث ، أو بين السابق واللاحق .

والبعض الآخر من الدارسين يركز اهتمامه على العوامل الجغرافية باعتبارها ذات تأثير كبير فى ازدهار مذهب وخمول آخر ، فالبحار والجبال تعرقل الانتشار أما الأرض السهلية والمناطق التى يسهل فيها الاتصال فإنها تساعد على الانتشار والازدهار .

وفريق ثالث يعمد إلى الربط بين المذهب وخصائص الجنس البشرى ، فالتوافق يؤدى إلى الازدهار ، والتنافر يؤدى إلى الذبول والاضمحلال .

وكل هذه الآراء لها وجاهتها ، ولها فوق ذلك أهميتها فى إثراء الفكر وشحذ الأذهان ، ولكنها فى الوقت نفسه لا تعطى الحقيقة كاملة ، إذ الحقيقة هى أن انتشار مذهب من المذاهب يرتبط أولا وقبل أى شىء آخر بالشخص الذى يدعو لهذا المذهب ويعمل على نشره دون غيره من المذاهب وخاصة فى المراحل الأولى لانتشار الإسلام فالذين أسلموا فى تلك المراحل كان إسلامهم ملونا بالمذهب الذى كان يدين به الداعية الذى على يديه اعتنقوا الإسلام .

هذا ، ولا يخفى على الدارس أن جماعات

---

(١) المرجع السابق ، وهذا يتفق ، أو يكاد يتفق مع مايقوله المقدسى عن مدينة قزوين من أنها معدن الفقه والملكة . انظر أحسن التقاسيم ص ٣٩٢ .

كثيرة من المسلمين الأول قد استوطنت الأقاليم المفتوحة ، وكل جماعة كان لها اتجاهها المذهبي الذى وفدت به ، ومن ثم أخذ مذهب المستوطنين ينتشر فى المنطقة ويزدهر على مر الأيام .

ومدينة قزوين مع نواحيها صورة صادقة لما نحاول أن نؤكده ، فالمدينة كانت لها مع نواحيها خصائص مشتركة من الناحية الجغرافية ، كما أن العناصر البشرية التى كانت تعيش هناك كانت قبل الإسلام تعيش تحت ظروف فكرية واجتماعية واحدة ، فكان المتوقع ، تبعا لما يقول به بعض الدارسين ، أن يسود هناك مذهب واحد غير أن الواقع التاريخى يقول بغير ذلك ، يقول بوجود عديد من المذاهب بعضها متنافر ، بل ويقف مع البعض الآخر فى تضاد صريح .

وتفسير هذه الظاهرة ليس بالأمر الصعب إذا عرفنا أن قزوين كانت قبلة لكثير من الرجال الذين وفدوا إليها من أنحاء كثيرة فى العالم الإسلامى ، كل من هؤلاء الرجال جاء إلى قزوين يحمل اتجاها مذهبيا معينا ، ونتيجة لعملية التأثير والتأثر صار لهذا الاتجاه أنصاره ومؤيدوه فى تلك الناحية .

بقى علينا الآن أن نشير بصورة سريعة إلى الدور الذى لعبته قزوين فى نشر الدين الإسلامى فى المنطقة ، وحول هذا الموضوع نقول : إن قزوين ظلت حتى أواخر القرن الثالث الهجرى ثغرا فى مواجهة أعداء الدولة الإسلامية الذين لم يكونوا قد اعتنقوا الإسلام بعد ، فقد ظل إقليم طبرستان ، وهو الذى يقع إلى الشرق من قزوين، أقول ظل هذا الإقليم على مجوسيته إلى ما بعد منتصف القرن الثانى الهجرى ، أما إقليم جيلان ، وهو المتاخم لقزوين من ناحية الشمال ، فإن الإسلام لم ينتشر فيه بصورة فعالة إلا فى العقد الأخير من القرن الثالث الهجرى .

كان هذا الوضع فرصة طيبة لكثير من الرجال الذين كرسوا حياتهم للعمل على نشر الدين الإسلامى ، وكان هؤلاء الرجال يتخذون من قزوين قاعدة لهم ، ومنها ينطلقون إلى الشرق والشمال .

وقد حقق نشاطهم هذا قدرا كبيرا من النجاح ، ومن يطلع على كتاب «التدوين

فى أخبار قزوين » ويتتبع تواريخ حياة الرجال الذين ترجم لهم المؤلف يدرك المدى البعيد الذى لعبتـه قزوين فى نشر الدين الإسلامى فى تلك النواحى .

والحقيقة تقول : إن جهود هؤلاء الرجال لم تكن مقصورة على الإقليمين السابقين بل إنها امتدت إلى ما وراء ذلك ، امتدت إلى جرجان على الجانب الشرقى لبحر قزوين كما أنها امتدت أيضا إلى مناطق موقان وشروان وباب الأبواب على الشاطىء الغربى لبحر قزوين ، الأمر الذى يحملنا على القول بأن قزوين قـد أسهمت فى نشر الإسلام فى معظم مناطق بحر قزوين .

وبهذا نختتم الحديث عن انتشار الإسلام فى قزوين وهى صفحة مشرقة تعكس لنا القوة الذاتية التى يمتاز بها الإسلام ، كما أنها تبرز لنا الجهود المخلصة التى بذلها رجال لا يزالون حتى الآن فى عداد الأبطال المجهولين .

د . حامد غنيم أبو سعيد

(بقية المنشور على صفحة ٧٨٥)

إن اختلاف هذه السبحات دقة ووضوحا هو الذى أتاح للحكم كثيراً من الشراح على تناول السفين فقـد شرحها أكثر من عشرين عالما تركوا مؤلفاتهم الشارحة ما بين مخطوط ومطبوع ، ومنهم من كان يشرحها للعامة إلى عهد قريب فى دروس العصر برمضان بمسجد الحسين ، كما حدثنا الدكتور زكى مبارك عن المغفور له الشيخ محمد بخيت ! وإن عالما يشغل العقول بحكمه ويلهم الأرواح بوعظه ويهدى النفوس بسلكه لجدير أن يكون مثواه الأخير متحدثا عن جلالة مكانته بين قوم يقدرون من يخشى الله من عباده العلماء ، وإن فى دعوة أستاذنا الدكتور عبدالحليم محمود إلى إقامة المثوى اللائق ، لفرضا محتوما يهيب بالقادرين أن يخفوا سراعا إلى أدائه ومن ورائهم مثوبة الله وشكر المنصفين ؟

د : محمد رجب البيومى

من أضابير لجنة الفتوى

تقديم الأستاذ محمد أبو شادى

هل يجوز حج للمرأة بدون محرم وما رأى الفقهاء فى ذلك ؟

الجواب :

اختلف الفقهاء فى هذا ، فنهم من يقول بضرورة وجود المحرم وجعله من جملة الاستطاعة وهم الإمام أبو حنيفة وأصحابه والنخعى ، والحسن ، والثورى ، وأحمد واسحاق واستدلوا بقول ابن عباس (سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم ، فقام رجل فقال : يا رسول الله إن امرأتى خرجت حاجة وإنى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا فقال: (انطلق فحج مع امرأتك) ، رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم .

واستدلوا أيضا بما ورد عن يحيى بن عباد قال : كتبت امرأة من أهل الرأى إلى ابراهيم النخعى ، إنى لم أحج حجة الإسلام ، وأنا موسرة وليس لى محرم ، فكتب إليها ، إنك ممن لم يجعل الله له سبيلا .

ومن الفقهاء من أجاز حجها من غير محرم إذا وجدت رفقة مأمونة ، أو كان الطريق آمنا ، مستدلين بما رواه البخارى عن عدى ابن حاتم قال : « بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل ، فقال: «ياعدى هل رأيت الحيرة - قرية قريبة من الكوفة - قال : قلت : لم أرها ، وقد أنبئت عنها. قال : فإن طالت بك حياتك لترين الظعينة - الهودج فيه امرأة أم لا - ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله » واستدلوا أيضا بأن نساء النبى ﷺ حججن بعد أن أذن لهن عمر فى آخر حجة له ، وبعث معهن عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وكان عثمان ينادى ألا لا يدنو أحد منهن ولا ينظر إليهن .

ويقول ابن تيمية « أنه يصح الحج من المرأة لغير محرم ومن غير المستطيع وأن من لم يجب عليه الحج ، لعدم الاستطاعة ،

مثل المريض ، والفقير ، والمعضوب : وهو الزمن الذى لا حراك له والمقطوع طريقه ، والمرأة بغير محرم وغير ذلك إذا تكلفوا شهود المشاهد أجزأهم الحج ثم منهم من هو محسن فى ذلك كالذى يحج ماشيا ، ومنهم من هو مسيء فى ذلك كالذى يحج بالمسألة والمرأة تحج بغير محرم ، وإنما أجزأهم لأن الأهلية تامة ، والمعصية إن وقعت فهى فى الطريق لا فى نفس المقصود »

وقال الحافظ : والمشهور عند الشافعية اشتراط الزوج أو المحرم ، أو النسوة الثقاة

السؤال :

هل يجوز للطائف الركوب مع قدرته على المشى ؟

الجواب

نعم يجوز ذلك إذا وجد سبب إلى الركوب فقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ طاف بالبيت فى حجة الوداع على بعير واستلم الحجر الأسود بمحجن ، رواه البخارى ومسلم .

السؤال :

نسمع أن المرور أمام المصلى حرام ولكنا شاهدنا هذا فى الحرم فما الرأى ؟

الجواب :

يجوز المرور أمام المصلى فى الحرم بدون كراهة ولا حرمة لأن هذا من خصائص المسجد الحرام فقد ورد عن كثير ابن عبد المطلب بن وداعة ، عن بعض أهله أنه رأى النبى ﷺ يصلى مما يلى بنى سهم والناس يمرون بين يديه وليس بينهما سترة ، أى ليس بينه وبين الكعبة سترة ، رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه .

السؤال :

مريض ظن أنه لا يرجى شفاؤه وهو موسر فأناب عنه غيره ثم عوفى فهل يجزىء عنه حج النائب أو لا بد من حجه بنفسه ؟

الجواب :

يرى بعض الفقهاء ومنهم الأمام أحمد ، أنه يجزىء حج النائب عنه ، بشرط أن يكون النائب قد حج عن نفسه قبلا — ولا تلزمه الإعادة بنفسه — لأن القول بالإعادة مفض إلى إيجاب حجتين .

ويرى البعض الآخر ، أنه لا يجزئه لأنه تبين أنه لم يكن ميئوسا من شفائه وأن العبرة بالانتهاء ، ويرى ابن حزم ما رآه الأمام أحمد ، فقال : إذا أمر النبى ﷺ

بالحج عمن لا يستطيع الحج ، راكبا ولا ماشيا، وأخبر أن دين الله يقضى عنه فقد تأدى الدين بلا شك وأجزأ عنه وأن مما لا شك فيه أن ماسقط وتأدى فلا يجوز أن يعود فرضه بذلك إلا بنص ولا نص هنا أصلا بعودته ، ويقول : لو كان عائدا لبين عليه الصلاة والسلام ذلك، إذ قد يقوى الشيخ فيطيق الركوب ولم يخبر النبي ﷺ بذلك فلا يجوز عودة الفرض عليه بعد صحة تأديته عنه .

السؤال :

ما هى الشروط التى تشترط فيمن يحج عن الغير؟:

الجواب :

يشترط فيمن يحج عن غيره أن يكون قد أدى فريضة الحج عن نفسه، وإلا وقع الحج له فقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمه ، فقال أحججت عن نفسك ؟ قال : لا : قال : حج عن نفسك ثم حج عن شبرمه ، رواه أبو داود وابن ماجه بإسناد صحيح .

السؤال :

سمعنا أن العمرة فى رمضان تعدل حجة مع الرسول ﷺ فما الدليل وهل تجزىء عن حجة الإسلام؟

الجواب :

ورد فى هذا الموضوع عدة أحاديث ذكرها المنذرى فى الترغيب والترهيب ومنها ماورد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أراد رسول الله ﷺ الحج فقالت امرأة لزوجها أحججنى مع رسول الله ﷺ فقال ما عندى ما أحججك عليه فقالت أحججنى على جملك فلان ؟ قال ذاك حبيس فى سبيل الله عز وجل، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إن امرأتى تقرأ عليك السلام ورحمة الله ، وإنها سألتنى الحج معك ، فقلت ما عندى ما أحججك عليه .

قالت أحججنى على جملك فلان، قلت ذاك، حبيس فى سبيل الله عز وجل فقال أما إنك لو أحججتها عليه كان ذلك فى سبيل الله قال : وإنها أمرتنى أن أسألك ما يعدل حجة معك ؟ قال رسول الله ﷺ أقرئها السلام ورحمة الله وبركاته ، وأخبرها أنها تعدل حجة معى عمرة فى رمضان ، رواه أبو داود وابن خزيمة فى صحيحه والأحاديث مهما كثرت فى هذا الموضوع فإنها تدل على كثرة الثواب ولا تجزىء عن حجة الإسلام.

أنباء وآراء

طلائع النصر :

كانت معركة شدوان طليعة نصر الله على أيدى جنده المؤمنين الذين تلألأت أمام أعينهم أنوار الجنة فأحالوا الجزيرة على عدو الله من بنى إسرائيل كرة من لهب ، وثبت الله أقدامهم واستبشروا بنصر الله جعلوا أرضها أتونا أحال غرور الأعداء إلى رماد ، فإذا بالجزيرة التى طمعوا فى غنيمتها تطبق عليهم إطباق المصيدة فتنفر طائراتهم وينقطع إمدادهم فيتساقطون صرعى النيران والسلاح الأبيض ، ويتهون طعاما لأسماك البحر .

تلك بداية المنطلق إلى طلائع النصر على أيدى جند الله أبطال شدوان وإخوتهم المؤمنين المكافحين فى خطوط النار .

رجاء إلى الدكتور ثروت عكاشة :

كتب الأستاذ حسن سبتان المدرس بالأزهر إلى المجلة يشكر جهود وزارة الثقافة على إخراجها للموسوعة اللغوية « لسان العرب » وقد لاحظ الأخطاء المطبعية التالية :

(١) فى الجزء الحادى عشر الملزمة (٤٥ ، ٤٦) طبع النصف الخارجى للملزمة حسب الترتيب الطبيعى ، حرف القاف ، فصل الهاء ، والداخل حرف اللام فصل السين .

(ب) فى الجزء الخامس عشر الملزمة (٣١ ، ٣٢) طبع النصف الخارجى للملزمة حسب الترتيب الطبيعى : حرف الميم فصل الصاد والداخل حرف القاف فصل النون .

وقد ترتب على ذلك حذف صفحات ، وتكرار أخرى ، وتداخل كلمات ... إلخ

والأمل كبير فى أن يأمر سيادة الوزير بإعادة طبع الملزمتين المذكورتين وبيعهما حسب التكاليف حتى يتم النفع بهذا العمل العظيم .

● أصدر مجلس « مجمع البحوث الإسلامية القرار التالى ، واتخذت كافة وحدات المجمع مختلف الوسائل لإذاعته :

« إن القرآن الكريم قد وصل إلى المسلمين عبر العصور مكتوبا بالرسم العثمانى الذى يحافظون عليه منعا لأى تحريف يطرأ على لفظ القرآن .

كذلك ، فإن ترتيله متوارث جيلا عن

جيل بالنطق الذى أثر عن النبى ﷺ ، وقد وضع علماء المسلمين قواعد صريحة محدودة فى علم التجويد هى التى تحكم ترتيل القرآن الكريم ، وفى أى خروج عليها مخالفة لا يقرها الإسلام ولا يرضى عنها المجمع ».

● فقد مجمع البحوث الإسلامية علما من أعضائه العاملين هو المغفور له الأستاذ الدكتور محمد عبدالله العربى وكان رحمه الله لا يدخر وسعا فى خدمة المثل الإنسانية والحرص على أداء الرسالة

عوض الله فيه الإسلام والمسلمين خير .

● انتهت لجنة تقنين الشريعة بمجمع البحوث الإسلامية من إنهاء الجزء الخاص بعقد البيع تضم اللجنة لفيفا من رؤساء المحاكم والمستشارين ورجال الفقه الإسلامى

● يعقد المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية جلسته الأولى بمحافظة القاهرة صباح السبت الثانى والعشرين من ذى الحجة عام ١٣٨٩ هـ الموافق ٢٨ / ٢ / ١٩٧٠ ، وتنتهى أعمال دورته الأولى مساء السابع والعشرين من ذى الحجة عام ١٣٨٩ هـ ، وتبدأ دورته الثانية فى التاسع والعشرين من ذى الحجة وتنتهى فى السابع عشر من المحرم عام ١٣٩٠ هـ .

وكانت الموضوعات الرئيسية التى قررها مجلس المجمع تشمل :

(ا) الإسلام والشباب : وقد تلقت الأمانة العامة للمجمع عدة بحوث فى الموضوع منها : إعداد الشباب : صيانته ودعمه ، والإسلام والشباب المسلم اليوم ، والإسلام وحماية الشباب من الانحراف الفكرى والسلوكى .

(ب) الإسلام والمعركة : ومما ورد منه : استرداد بيت المقدس ، والجانب الإسلامى من القضية الفلسطينية ، وأهداف إسرائيل التوسعية ، والغارة الصهيونية غارة دينية ، والتولى يوم الزحف .

(ج) الأزهر ودوره فى خدمة الإسلام : وورد منه : امتزاج الأزهر بالزيتونة وأهداف الرسالة الإسلامية ودور الأزهر فى نشرها .

على الخطيب

فهرس أبجدى عام
للمجلد الحادى والأربعين من مجلة الأزهر
سنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م

الموضوع — الصفحة

هدايا صدرت عن مجلة الأزهر

١ ـ مكانة القدس فى الإسلام

٢ ـ الفلسفة والنبوة (رسالة محمد ﷺ)

٣ ـ البابية أو البهائية

٤ ـ المسجد الأقصى أيها المسلمون

٥ ـ المؤامرات اليهودية من خيبر إلى القدس

٦ ـ أسرار الصيام

٧ ـ من توجيهات الإسلام فى معركة المصير

٨ ـ كيف تعتمر وتحج

٩ ـ جدول المواريث الإسلامية

and rank calumny to suggest, for instance, that al-Bukari had invented the narration and attributed it to the Prophet or fabricated himself the chain of the narrators, or simply collected the folklore, the hearsay of his epoch and attribted it to the Prophet.

CONCLUSION

98 — It is by this triple method of safeguard, viz., committing to memory and preserving at the same time by writing and studying the same under qualified teachers — in which each method helps the other and makes the integrity of the reports triply sure-that the religious teachings of Islam have been preserved from the beginning down to our day. This is true as much of the Quran as of the Hadith which consists of the memoirs of the companions of the Prophet, concerning the sayings, doings and tacit approval by him of the conduct of his companions.

It may be remembered that as a founder of religion too, the Prophet Muhammad had had an immense success. In fact in the year 10H. he was able to address at Arafat (Mecca), a gathering of Muslims numbering about 140,000 Muslims who had come for pilgrimage (without counting many others who had not come to Mecca that year). The biographers of the companions of the Prophet affirm that the number of the companions of the Prophet Muhammad who have reported at least one incident of the life of the Prophet exceeds a hundred thousand. There are bound to be repetitions, but the very multiplicity of the sources recounting one and the same event does but add to the trustworthiness of the report. We possessin all about ten thousand reports (eliminating the repetitions) of the Hadith, on the life of the Prophet of Islam, and these concern all aspects of his life including directions given by him to his disciples in spiritual as well as temporal matters.

(Continued from page 5)

seed a nation submissive unto Thee, and show us our ways of worship, and relent toward us. Lo ! Thou, art the Relenting, the Merciful". Our Lord ! And raise up in their midst a messenger from among them who shall recite unto them. Thy revelations, and shall instruct them in the Scripture and wisdom and shall make them grow. Lo ! Thou, only Thou, art the Mighty, Wise (2 : 128 —129).

spiritual and political conquests; the injuction being motivated by the desire that the belief in predestination may not lead certain people to abandon the spirit of endeavour.

95 — Other explanations may be adduced, but these would do for present suffice.

IN LATER CENTURIES

96 — In the beginning the compilations of the Hadith were short and individual, every Companion nothing down his own recollections. In the second generation, when students attended lectures of more than one master, it became possible to collect several memoirs in larger volumes noting carefully the difference of the sources. A few generations later all the memoirs of the Companions of the Prophet were collected, and later still an attempt was made to classify these traditions according to subject matter, and deduce juridical rules, and other scientific usages. As in the case of the Qur'an, it was required to learn by heart every Hadith; and to aid the memory, one utilized the written texts. Learning from qualified and authorized teachers was also a condition 'sine qua non' This triple method of preservation and security was rigorously observed by some, and less so by others. Hence the relative importance of the different masters and their trustworthiness.

97 — Not long after the Prophet, the reporters of the Hadith adopted the habit of mentioning not only the name of the Prophet as the ultimate source of the knowledge in question, but also the means one after another of obtaining that information. Al-Bukhari, for instance, would say: "My master Ibn Hanbal has said: I have heard my master Abd-ar-Razzaq saying: My master Mamar Ibn Rashid told me, I heard my master Hammam Ibn Munabbih told me: My master Abu Hurairah told me: I heard the Prophet saying" such and such a thing. For every single report of a few words upon the Prophet, there is such an exhaustive chain of references relating to successive authorities. In a single chain of the narrators, which we have just cited, we find reference made not only to the Sahih of al-Bukhri, but also the Musnad of Ibn Hanbal, the Musannaf of 'Abd-ar-Razzaq, the Jami' of Ma'mar, and the Sahifah of Hammam dictated to him by Abu-Hurairah, the companion of the Prophet. We find the reports of this chain in all these works - which luckily have all come down to us - in exactly the same words. In the presence of a succession of such authoritative sources, it would be a foolish presumption

man of his character should have violated an express prohibition of the Prophet, if he had not heard later from the Prophet himself of the lifting of the prohibition. Abu-Hurairah came from Yemen in the year 7 H., to embrace Islam.

It is possible that in the first days after his conversion, the Prophet ordered him to write down nothing but the Qur'an; and later when he had mastered the Qur'an and was able to distinguish between the Divine Book and the Hadith, the reason of the interdiction ceased to exist. An important fact is that Ibn 'Abbas is also reported to have said, as his personal opinion, without reference to the Prophet, that the Hadith should not be compiled in writing. Nevertheless, as we have seen above, by his prolificity he surpassed those companions of the Prophet who had consigned the Hadith in writing.

THE contradiction between the word and the deed of those who are nevertheless known for their piety and scrupulous observance of the directions of the Prophet confirms our supposition that the injunction against writing down of the Hadith had certain context which has not been preserved to us in the narrations, and that it had limited scope. We must therefore seek to reconcile between the two contradictory orders of the Prophet rather than reject them both.

94 — Three possible explanations come to our mind :

(1) The interdiction might have been individual, and concerned those who had newly learnt the art of writing, or those who had newly embraced Islam and were hardly able to distinguish between the Qur'an and the Hadith. The interdiction was waived in case of the proficency later acquired. (Abu-Hurairah, for instance, came from Yemen, and it is probable that he masterd the Musnad of Himyarite script and not the so-called Arabic script prevalent in Mecca and from thence in Madinah).

(2) It might have aimed only at forbidding writing of the Hadith on the same sheets of paper which contained chapters of the Qur'an, in order to avoid all possible confusion between the text and the commentary. Abu-Sa'id al-Khudri alludes to it; and we possess the formal injuction of caliph Umar against this particular way of writing Hadith.

(3) It might have concerned some particular discourses of the Prophet, for instance, the occasion when he made prophecies regarding the future of Islam and its great

Abu-Bakr compiled a work, in which there were 500 traditons of the Prophet, and handed it over to his daughter 'Aishah. The next morning, he took it back from her and destroyed it, saying : "I wrote what I understood ; it is possible however that there should be certain things in it which did not correspond textually with what the Prophet had uttered." As to 'Umar, we learn on the authority of Ma'mar ibn Rashid, that during his caliphate, 'Umar once consulted the companions of the Prophet on the subject of codifying the Hadith. Everybody seconded the idea. Yet 'Umar continued to hesitate and pray to God for a whole month for guidance and enlightenment. Ultimately he decided not to undertake the task, and said : "Former peoples neglected the Divine Books and concentrated only on the conduct of the prophets; I do not want to set up the possibility of confusion between the Divine Qur'an and the Prophet's Hadith". Latest research shows that formal reports testifying to the writing down of the Hadith concern not less than fifty Companions of the Prophet Details would be too long here.

INTERDICTION ON THE WRITING DOWN OF HADITH

93 — THE last two narrations, regarding Abu-Bakr and 'Umar, are important in as much as they explain the real implication of the tradition which says that the Prophet had forbidden to wirte down his sayings. If there was really a general interdiction these two foremost Companions of the Prophet would not have dared to even think of the compiling of the Hadith ; and when they renounced the idea of recording the Hadith, they would not have invoked a reason other than the interdiction of the Prophet, to silence those who remained in favour of the idea. As far as we know, the only narrators who are reported to have said that the Prophet had ordered not to write down anything other than the Qur'an, are Abu-Sa'id al-Khudri, Zaid ibn Thabit, and Abu-Hurairah. Neither the context nor the ocassion of this direction is known.

One should note that Abu-Sa'id al-Khudri and Zaid ibn Thabit were among the young companions of the Prophet : in the year 5H., they were scarcely 15 year old. However intelligent they might have been, it is comprehensible that the Prophet prohibited them in the early years after the Hijrah from noting down his talks. As to Abu Huraira, we have just seen that he had himself compiled "many books on the Hadith". He is known in history as a very pious man, puritan and rigid ; and it is unthinkable that a

89 — Two other companions of the prophet, Samurah ibn Jondab and S'ad ibn Ubadah are also reported to have compiled their memoirs, for the benefit of their children. Ibn Hajar, speaking of them, adds that the work of Samurah was big and voluminous. Ibn Abbas, who was very young at the death of the Prophet, learnt many things from his elder comrades, and compiled with this material numerous works. The chroniclers state : When he died, he left a camel-load of writings. Ibn Masud, one of the greatest jurists among the Companions, had also compiled a book on Hadith, and later his son 'Abd ar-Rahman used to show that to his friends (Cf. al-Hakim, al-Mustandrak, ch. Ibn Masud).

90 — Al - Bukhari narrates, that Abdallah ibn Abi Awfa, Abu Bakrah, and al-Mughirah ibn Shubah taught Hadith by correspondence : If anyone desired information about the Prophet, they replied in writing. They even took the initiative of communicating, to officials and friends for instance, decisions of the Prophet bearing on the problems of the hour.

91 — More instructive is the following report, preserved by numerous sources (such as Ibn 'Abd al - Barr's Jami Bayan al - 'Ilm) : One day a pupil of Abu - Hurairah told him : Thou hadst told me such and such a thing. Abu - Hurairah, who was apparently in his old age, with enfeebled memory refused to to believe the Hadith, yet when his pupil insisted that it was from him that he had learnt it, Abu - Hurairah replied : If thou hadst learnt it from me, it must be in my writings. He took him by his hand, and conducted him to his house, showed him "many books on Hadith of the Prophet," and at last he found the narration in question. Thereupon he exclaimed : I had told thee, that if thou hadst learnt it from me, it must be found in my writings — it is to be noted that the story employs the expression : "many books" Abu - Hurairah died in the year 59 H. To one of his pupils, Hammam ibn Munabbih, he dictated (or gave in writing) an opuscule of 138 traditions about the Prophet. This work, which dates from the first half of the first century of the Hijrah, has been preserved. It enables us to make a comparison with later compilations of the Hadith and to confirm the fact that the memoirs of the ancients on the Hadith have been preserved with great care for the benefit of posterity.

92 — Adh - Dhahabi (Tadhkirat al-Haffaz) reports : The caliph

the saying of the Prophet : "Capture the science by means of writing". In later times, one of the pupils of Anas reports : If we insisted — another version : If we were numerous - Anas used to unroll his sheets of documents and say: These are the sayings of the Prophet, which I have noted and then also read out to him to correct any mistake". — This important statement speaks not only of the compilation during the lifetime of the Prophet, but also of its collation and verification by the Prophet. The case is cited by numerous classical authorities, such as ar-Ramhurmuzi (d. about 360 H.), al-Hakim (d. 405), al-Khatib al-Baghdadi (d. 463) and these great traditionists cite earlier sources.

COMPILATIONS OF THE TIME OF THE COMPANIONS OF THE PROPHET

86 — It was natural that the interest in the biography of the Prophet should have increased after his death. His Companions left for the benefit of their children and relatives, accounts of what they knew of the Prophet. The new converts had a thirst for the sources of their religion. Death was diminishing daily the number of those who knew Hadith at first hand; and this was an added incentive to those who survived, to pay closer attention to the preservation of their memories. A large number of works were thus compiled on the sayings and doings of the Prophet, based on the narration of his Companions, after the death of the master. Of course that refers to the first hand knowledge.

87 — When the Prophet nominated 'Amr ibn Hazm as governor of Yemen, he gave him written instructions regarding the administrative duties he had to perform. 'Amr preserved this document, and also procured copies of twenty-one other documents emanating from the Prophet, addressed to the tribes of Juhainah, Judham, Tay, Thakif, etc., and compiled them in the form of a collection of official documents. This work has come down to us. (See appendix in Ibn Tulun's I'lam as-Sa'ilin).

88 — In the Sahih of Muslim, we read that Jabir ibn 'Abdallah compiled an opuscule on the pilgrimage of Mecca, in which he gave an account of the last pilgrimage of the Prophet and included his celebrated farewell address pronounced on the occasion. Several sources mention also a Sahifah of Jabir, which his pupils used to learn by heart. Probably it dealt with the general sayings and doings of the Prophet.

COMPILATIONS OF THE TIME OF THE PROPHET

83 — At-Tirmidhi reports : One day an Ansarite (Madinan-Muslim) complained to the Prophet that he had a weak memory and that he forgot quickly the Prophet's instructive discoures. The Prophet replied ; Take the aid of thy right hand (i.e., write down).

84 — A large number of sources (at - Tirmudi, Abu Dawud, etc.) narrate the 'Abdallah ibn-Amar ibn al - 'As, a young Meccan, had the habit of writing all that the Prophet used to say. One day his comrades rebuked him, saying that the Prophet was a human being, he could sometimes be happy and satisfied, at other times annoyed or angry, and that it was not desirable that one should note indiscriminately all that he uttered. 'Abdallah went to the Prophet, and asked him if one could note all that he said. He replied : "Yes". To be surer, 'Abdallah persisted : Even when thou art happy and satisfied, even when thou art angry ! The Prophet said : "Of course ; by God ! Nothing that comes out of this mouth is ever a lie." 'Abdallah gave his compilation, the name of "sahifa sadiqah" (the book of truth). For several generations it was taught and transmitted as an independent work ; it was later incorporated into the larger collections of the Hadith compiled by Ibn Hanbal and others. Ad-Darimi and Ibn 'Abd al-Hakam report : Once this same 'Abdallah had his pupils around him and somebody asked : "Which of the two cities will be captured by Muslims first, Rome or Constantinople ? Abdallah caused an old box to be brought to him, took a book out of it, and having turned its pages awhile, read as follows : "One day when we were sitting around the Prophet to write down what he was saying, someone asked him : Which of the two cities will be captured first, Rome or Constantinople ? He replied : The city of the descendants of Heraclius". This narration definitely proves that the companions of the Prophet were interested even during his lifetime in writing down his very words.

85 — More important is the case of Anas. One of the rare Madinans who could read and write when only ten years old, he was presented by his devoted parents to the Prophet as his personal attendant. Anas did not quit the company of the Prophet till he died. Remaining night and day in his house, Anas had the opportunity of seeing the Prophet and hearing from him that which was not practicable for others. It is Anas who reports

into Persian the first chapter of the Qur'an for the immediate above mentioned requirements of the Persian converts. They employed it till they learned the Arabic text by heart. (ch. Mabsut of Sarakhsi, 1,37; Nihayah Hashiyat Al-Hidayah by Taj Ash-Shari'ah ch. salaat).

81 — Works incorporating these kinds of documents of the time of the Prophet cover several hundreds of pages.

82 — It may be observed that the Prophet was particularly interested in public instruction, and he used to say : "God has sent me as a teacher (mu'allim)". On his arrival in Madinah, his first act was the construction of a mosque, where a part was reserved for school purposes. This was the famous Suffah which served as dormitory during the night and as lecture hall during the day for all those who wanted to profit by this facility. In the year 2. H., when the pagan army of Meccans was routed at Badr and a number of prisoners captured, the Prophets ordered that all those prisoners who knew reading and writing could pay their ransom by giving instruction to ten Muslim boys (cf. Ibn Hanbal and Ibn Sa'd). The Qur'an (II/282) also ordained that commerical credit transactions could only be executed by written documents attested by two witnesses. These and other arrangements contributed to the rapid increase of litracy among the Muslims. It is not surprising that the companions of the Prophet grew ever more interested in the preservation by writing of the pronouncements of their supreme guide. Like every new and sincere convert, their devotion and enthusiasm were great. A typical example is the following : 'Umar reports that on his arrival at Madinah, he became contractual brother of a local Muslim-at the time of the famous Fraternisation ordered by the Prophet rehabilitating the Meccan refugees-and both of them worked alternatively in a farm of date palms. When 'Umar worked, his companion visited the Prophet and reported to 'Umar in the evening all that he had seen or heard in the presence of the Prophet; and when his turn came 'Umar did the same.

Thus both of them were abreast of what was passing around the Prophet, e.g., the promulgation of new laws, learning the questions of politics and defence, and so on. As to the written compilation of the Hadith, during the lifetime of the Prophet, the following incidents will speak for themselves :

same time, he ordered a written census of the entire Muslim population, and el-Bukhari says, the returns showed 1,500 individual registries.

75 — Moreover there were traties of alliance and of peace, concluded with many Arabian tribes. Sometimes two copies of the treaty were prepared and each party kept one. Letters-patent were awarded extending protection to the submitting cheiftains, and confirming their previous proprietary rights on land, water sources, etc. With the extension of the Islamic State, there was naturally certain amount of correspondence with provincial governors for communicating new laws and other administrative dispositions, for revising certain judicial or administrative decisions emanting from private initiative of officials, for replying to questions set by these officials to the central government, and regarding taxes, etc.

76— There were also missionary letters sent to different soverels inviting them to embrace Islam, such as those despatched to the tribal chieftains in Arabia, emperors of Byzantium and Iran, Negus of Abyssinia and others.

77 — For every military expedition, volunteers were raised, and written lists were maintained. Captured booty was listed in detail to enable an equitable distribution among the members of the expeditionary force.

78 — The liberation as well as purchase and sale of slaves also seems to have been made by written documents. At least three such documents, emanating from the Prophet himself, have come down to us.

79 — An interesting incident may here be mentioned. On the day of the capture of Mecca in the year 8 H., the Prophet had made an important pronouncement which included certain legal provisions. At the demand of a Yemenite, the Prophet ordered that a written copy of his pronouncement should be prepared and handed over to the person, Abu-Shah.

80 — We may also mention a case of the translation of Qur'an. The Prophet had prescribed that every Muslim should celebrate his worship in Arabic. Certain Persians embraced Islam; and they did not want to put off prayer till the time they should have committed to memory the Arabic texts or chapters of the Qur'an. With the approval of the Prophet, Salman Al Farsi, a Muslim of PERSIAN origin knowing Arabic, translated

the opportunity of putting his teachings into practice in all the important affairs of life. He lived for tewenty-three years after his appointment as the messenger of God. He endowed his community with a religion, which he scrupulously practiced himself. He founded a State which he administered as supreme head, maintaining internal peace and order, heading armies for external defence, judging and deciding the litigations of his subjcts, punishing the criminals, and legislating in all walks of life. He married, and left a model of family life. Another important fact is that he did not declare himself to be above the odinary law, which he imposed on others. His practice was therefore not mere private conduct, but a detailed interpretation and application of his teachings.

71 — Muhammed, as a man, was careful in his actions and modest. As a messenger of God, he took all necessary and possible steps for the communication, as well as the preservation of the Divine message, the Qur'an. Had he taken the same steps for the preservation of his own sayings, he would have been considered by some as an egoist. For this reason, the story of the Hadith is quite different from that of the Qur'an.

OFFICIAL DOCUMENTS

72 — There is a part of the Hadith, the very nature of which required that it should be written down, namely the official documents of the Prophet.

73 — From a passage of the Tarikh of at-Tabari it appears that, when the Muslims of Mecca, persecuted by their compatriots, went to Abyssinia for refuge, the Prophet gave them a letter of recommendation addressed to the Negus. There are some other documents likewise written by him before the Hijrah, but when he left his native town to settle in Madinah and found invested in himself the State authority, the number and the subject-matter of his letters increased from day to day.

74 — Shortly after his arrival in Madinah, he succeeded in establishing there a city-state, composed both of the Muslim and non-Muslim inhabitants; and he endowed that State with a written constitution, in which he mentioned in a precise manner the rights and duties of the head of the State and the subjects, and laid down provisions regarding the functioning of this organisation. This document has come down to us. The Prophet also delimited in writing the frontiers of this city-state. About the

Preservations of the Original Teachings of Islam (II)

By : Dr. Muhammad Hamidullah

THE HADITH

67 — The narrations on Muhammad, the Prophet of Islam, are called HADITH, whether they concern what he said or did or even simply tolerated among his disciples if they said or did something in his presence. This tacit approval implies the permissibility of the conduct in question of the public.

68 — The Qur'an has reminded dozens of times the juridical importance of the Hadith : "... obey God and obey the messenger.... " (4/59), "... what the messenger giveth you, take it; and whatever he forbiddeth, abstain from it.... " (59/7), "nor doth he speak of his own desire : it is naught save a revelation that is revealed" (53/3-4) "And verily in the messenger of God ye have a good example for him who looketh unto GOD and the Last Day and remebereth God much" (33/21-22). Thus whatever the Holy Messenger commanded, it was, in the eyes of the community, the will of his Divine sender. There have been cases when the Prophet, not having received a revelation had made a personal effort to formulate opinion through common sense. If God did not approve that, a revelation came to correct him. This internal process of the formation of the Hadith came only post evetum to knowledge of the community, and had no practical consequences. But the HADITH has another importance as under :

69 — The Qur'an is often succinct; it is in the practice of the Prophet that one must look for the method of application, the details and necessary explanations. An illustration in point is : The Qur'an has said only: "Establish the service of worship", without giving the details of the manner in which it should be celebrated. The Prophet also could not describe everything meraly by words. That is why one day he told the faithful : "Look at me, see how I worship, and follow me."

70 — The importance of the Hadith is increased for the Muslims by the fact that the Prophet Muhammad not only taught, but took

After establishing the significance and sacredness of the Ka'ba the Holy Qur'an referred to the rebuilding of the house by Abraham and Ismael : وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم (البقرة ١٢٧) .

It means : "And when Abraham and Ismael were raising the foundations of the House, (Abraham prayed) : Our Lord ! Accept from us (this duty). Lo ! Thou, art the Hearer, the knower. (2 : 127).

As the city of Ka'ba, wich is the first sanctuary to be erected for mankind on earth, 'Makka' is called in the Qur'an as أم القرى (Mother of villages) 6 : 92. The eyes of the whole Muslim world fixed on that central spot which saw the first rays of the Divine guidance. It is to this Holy place of Makka that all Muslims turn at the time of the prayers and make their pilgrimage.

The Sacred House of Makka is called Ka'ba on account of its glory and exaltation, for the root word 'Ka'ba' means it became prominent, high or exalted. All mosques of the world are built facing it. It should be borne in mind that the clear object of Qibla is to bring about a unity of purpose. So as they have all one centre to turn to, they must set one goal before themselves.

The city of Makka is situated in the centre of all great sacred places of the Muslim world. The Prophet's Mosque of Medina, Al-Aqsa Mosque of Jerusalem, Umayyad Mosque of Damascus, Al-Azhar Mosque of Cairo and all the other mosques of the world are connected with the Sacred House of Makka, as it is the direction of all mosques of the world, and the central point of the Muslims.

The significance of this land and its connection with the Father of the prophets, Abraham, the ancestors of the Arabs, Ismael, and the last of the Prophets Muhammad (peace be on them) find clear mentions in the following verses; The Holy Qur'an referred to the prayers offered by Abraham and Ismael after the completion of the re-building of Ka'ba at Makka :

ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم (البقرة ١٢٨ ، ١٢٩) .

It means : "Our Lord ! And make us sub-missive unto Thee and of our

(*Continued on page 16*)

The Significance of Makka*

By :

ABDUL RAHIM FUDA

Leaving his son 'Ismael' and his mother 'Hajar' in the 'uncultivable valley' of Makka, near the ruins of the Holy House, the 'Father of the Prophets', Ibrahim (Abraham) prayed:

ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير
ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا
الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم
وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون —
(إبراهيم ٣٧) .

It means : "Our Lord ! lo ! I have settled some of my posterity in an uncultivable valley near unto Thy Holy House, our Lord ! that they may establish proper worship., So incline some hearts of men that they may yearn toward them, and provide Thou them with fruits in order to that they may be thankful" (14 : 37).

When Abraham left them in the wilderness of Arabia the Ka'ba was in a demolished condition. After that the father and the son re-built the house. There is nothing in the Holy Qur'an to show when and by whom the Ka'ba was first built; but it is stated in the Qur'an to be the first house of worship appointed for mankind on earth (٣ : 96). It seems that the Ka'ba was then already there but in a ruined condition, it also seems to have had idols placed in it, and Abraham was required to purify it of those idols, and to re-build it as stated in the following verses of the Holy Qur'an :

وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا
واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا
إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي
للطائفين والعاكفين والركع السجود
(البقرة ١٢٥) .

It means : "When we made the House (at Makka), a resort for mankind and a sanctuary, (saying) : Take as your place of worship the place where Abraham stood (to pray). And we imposed a duty upon Abraham and Ismael (saying) : purify My House for those who go around and those who meditate therein and those who bow down and postrate themselves (in worship)" (2 : 125).

---

* Translated from Arabic.

such a journey due to a physical disability, such as renders a man unable to bear the hardships of the long journey, or a financial disability, as when a man has not got sufficient provision for the journey as well as for the dependents whom he leaves behind, deemed to be exempt from the obligation.

The word ' Hajj ' means, literally ' repairing to a thing or a place for the sake of a visit. And in the technicality of Islamic law the repairing to the Sacred House (Ka'ba) of Makka to observe the necessary devotions. As an institution Hajj existed, before the Advent of Prophet Muhammad, from a very remote antiquity.

The sacredness of Makka and the Ka'ba recognised in earlist revelations. It's connection with the name of the Father of the Prophets, Ibrahim (Abraham), is a well-known historical fact. We find clear mention of it in the early Makka revelations. In one of the earliest sûras (chapter), Makka is described as : «البلد الأمين» (the land made safe) 95 : 3. An another early revelation, speaks of 'Ka'ba' as follows :

«إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم » . (آل عمران ٩٦)

It means : " Lo ! the first sanctuary appointed for mankind was that at Becca (Makka), a blessed place, a guidance to the peoples, wherein are plain memoriels (of Alla's guidance); the place where Abraham stood up to pray. . . "
(3 : 96)

The names of Abraham and Ismael in connection with Makka, its sacredness and the fact of its being a place of resort for men, also find mention in the Holy Qur'an:

« وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام»
(ابراهيم ٣٥)

It means : " And when Abraham said : ' My Lord ! make this City secure and save me and my sons from worshipping idols" (14 : 35)

The mention of Abrahamic connection with Makka and Ka'ba, is a proof that all the main features of the Hajj, as existing at the advent of the Prophet, were based on the authority of Abraham.

Abraham not only rebuilt the Ka'ba and purified it of all traces of idolatery but he also enjoined Hajj with its main features which were therefore based on Divine revelation.

The details of Hajj will not be discussed here, but the whole atmosphere of Hajj is a demonstration of the Greatness of God and the equality of men.

life, through that narrow gate of equality which leads to broad brother-hood of humanity.

Another value of Hajj lies in its higher spiritual experience. It is made possible by this unique journey which is drawing people nearer and nearer to God till one feels that all those veils which keep him away from God are entirely removed and he is standing in the Divine Presence. It is true that a Muslim is taught to be in the remembrance of God Who is nearer to him than himself, and to concentrate all his ideas and deeds on His orders and instructions. In Hajj there is a deeper spiritual experience; every member of this great assemblage, sets out his home with one object in view. He discards all those comforts of life which act as a viel against the inner sight, putting on simplest dress avoiding all talk of an amorous nature and all kinds of disputes, and undergoing all the privations entailed by a long journey. So that he may be able to concentrate all his meditation on the Divine Being, not in solitude but in the company of others.

The company of a man who is inspired by similar feelings and who is undergoing a similar experience would undoubtedly give additional force to the spiritual experience of each one of such companions. This higher significance of Hajj is an undeniable truth. There is a mysterious way from heart to another; it is recognised even by the materialists. Now take the case of hundreds of thousands of men and women all inspired by the one idea of feeling the Presence of Divine Being, all concentrating their minds on the One Supreme Power Who for the time is their sole object. Their appearance, as well as the words which are on their lips, show that they are standing in the Divine presence. Such is the higher spiritual experience of the Hajj. This experince will lead the pilgrims to the inner change which thus effects them outwardly.

The Hajj is an obligatory function on every adult, only once in his life time. The obligation to perform the Hajj is further subject to the condition that one is able to undertake the journey to Makka. As the Holy Qur'an says :

« ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » . (آل عمران ٩٧)

It means : "And pilgrimage to the House (the Sacred Mosque at Makka) is incubent upon men for the sake of Allah, (upon everyone), who is able to undertake the journey to it". (3 : 96)

The ability of undertake the journey depends on various circumstances. Who is unable to undertake

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

DHU'L-HIJJAH 1389	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	FEBRUARY 1970

The Effects of Hajj on The Life of Man

By :

A. M. Mohiaddin Alwaye

Islam introduces, through its institutions, a workable formula for the development of human life in its all aspects. The four main institutions of Islam, Salath (prayer), Zakat (poor-due), Fasting and Hajj (pilgrimage) have individual and collective values. But Hajj has a deeper value of spiritual and social experience which is made possible by this unique assemblage of people of all races, colours and all countries, concentrating all one's ideas on God-the Al mighty, the Real Lord of the worlds, and the Cherisher of the humankind, as members of one Divine family. There remains nothing to distinguish the high from the low, but they are all clad in one dress, all moving in one way, all having but one word to speak : «لبيك اللهم لبيك» (Here are we O Allah! Here are we in Thy presence). No other institution in the world has the wonderful influence of the Hajj in levelling all distinctions of race, colour and rank.

The institution of Hajj brings into the domain of practicality what would otherwise seem impossible, namely that all people to whatever class or country they belong, should wear one dress, speak one language and meet together in one place with one aim. This levelling influence of Hajj teaches the pilgrims how to live in on way, how to act in one way, and how to feel in one way. All men are equal in birth and death ; they come into life in one way and they pass out of it in one way. Thus Hajj is the only occasion on which every Muslim made to pass, at least once in his